
من أعلام
الدعوة والحركة الإسلامية
المعاصرة

ٱلطَّبْعَةُ ٱلسَّابعَةُ
منقّحة ومزيدة

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة

تأليف

المستشار عبد الله العقيل

تقديم

مصطفى مشهور	محمد مهدي عاكف

بدر محمد بدر	عبد الله الطنطاوي

الجزء الأول

دار البشير


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة السابعة
الكاتب والكتاب

عبد الله الطنطاوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على مصطفاه، وعلى كل من اهتدى بهداه. وبعد:

فاستجابة لرغبة من لا تـرد له رغبة، أكتب هذه المقدمة المتواضعة ـ دون ادعاء التواضع ـ لهذا الكتاب البديـع في بابـه، لكـاتب حباه الله من الشمائـل مـا يأسر كل من عرفه عن قـرب، وعايشـه في السراء والضراء.. حباه حب الإسلام والدعاة إليه، ورجاله ورجالاته، وشبـانه وشوابه، فكـان الوفي لإسلامه، ولـهـم، ولـهـن، وحـبـاه الـثـبـات عـلى الـمـبـدأ، والـصـدق فـي الـقـول والـعـمـل، والإخلاص في السر والعلن، وحباه مكارم الأخلاق، من كرم، وشجاعة أدبية وميدانية، وحباه ذاكرة حديدية، ووعياً لما يجري حوله في هذا العالم الكبير الصغير، وتقـويـمـاً سليماً للحوادث التي عاشها وعايشها، أو سمع بها، وقرأ عنها...

وسوف أحاول الولوج إلى عالم الكاتب والكتاب، بقدر ما يسمح به حيز هذه المقدمة، وتجنب إغضاب الشيخ الذي يأبى أن نكتب عنه، ويأبى علينا الواجب تجاهه، إلا أن نلم إلمامة ما، بشيء من سيرته المسكية.

الكاتب:

إنه غني عن التعريف، ومع ذلك، لا بد مما ليس منه بد.. لا بد من ملامسة بعض الجوانب التي لا تخدش المروءة بمدح قد يمس كاتبه، والمكتوب عنه، معاً.

١ ـ إنه ابن جماعة الإخوان المسلمين، انتسب إليها في يفاعته وصباه، وناضل في صفوفها وهو فتى، وهو شاب، وهو كهل، وما يزال في شيخوخته، كما هو في سائر مراحل حياته، ابن هذه الجماعة، يؤمن بها، وبأفضليتها، وبفكرها، وبفهمها الحق السليم للإسلام العظيم.

اقرأ معي هذه الكلمات التي خطتها يراعته الفتية، وهو طالب في المرحلة الإعدادية، في بلدته ومسقط رأسه: (الزبير) العراقية، كتبها وأرسلها إلى مجلة (الإخوان المسلمون) سنة ١٩٤٦ ونشرتها المجلة. كانت بعنوان: (الإخوان المسلمون) قال فيها:

«اسم تهفو إليه القلوب، وتتطلع إليه الأفئدة، جماعة مؤمنة طاهرة منزهة، ائتلفت على حب الله، وتعاهدت على إعلاء كلمته، والموت في سبيله. عرفتها فعرفت الإسلام على حقيقته، واتصلت بها، ففهمت غايتها ومقصدها، فإذا هي أنبل غاية، وأشرف مقصداً مما عداها.. قوة هائلة عظيمة، تعتمد في جهادها على الله، وتؤمن بنصره، وتسير على هدي كتابه، وسنة رسوله. يدير دفتها ربان ماهر حاذق، أخلص عمله لله، ورهن حياته للجهاد في سبيله، هو المرشد العام للإخوان المسلمين. وفقها الله إلى العمل الصالح، وأخذ بأيدي القائمين بها، وأيدهم بنصره، والله قوي عزيز».

أرأيتم؟

هذا هو المستشار عبد الله العقيل منذ نعومة أظفاره، وحتى يومه هذا، لم يتغير، ولم يتبدل. وقف ـ وما يزال ـ طوداً في وجوه الأعاصير التي كادت تعصف بالجماعة، فلم تستطع، لأن فيها رجالاً كأبي مصطفى، وهيهات أن تعصف بها العواصف، وفيها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أستطيع أن أتذكر منهم عشرات في هذه اللحظة، ويستطيع غيري أكثر مني، ولكن الله يعلم الذين نعرفهم، والذين لا نعرفهم من الأبطال الذين إذا حضروا مجلساً أو معركة لم يُعْرَفوا، وإذا غابوا لم يُفْتَقدوا. وهم أكثر بكثير مما أعرف ويعرف سائر الإخوان والطغاة، ولكن الله يعلمهم، ويوفيهم أجورهم..

إخلاص أبي مصطفى لجماعته، لدعوته، لمبادئها ورجالها وتاريخها، ما يزال يشده إليها، حتى إنه ليتماهى بها، فلا ينفصل أحدهما عن الآخر، تحفزه ليكون الأخ الكبير، الأخ القدوة الذي يذكرك برجال الرعيل الأول، في مجموع الصفات التي تسكنه، لتكون شمائل كشمائل الداعية الأول ﷺ، وشمائل من سار على دربه، واهتدى بهديه، إلى يوم الدين.

إنه يدعو إليها.. يذكرني بشبابي في دعوته إليها، وهو في شيخوخته، وينافح عنها، عن مبادئها، وشعاراتها، ومؤسسها، ورجالها وتاريخها، ولا يألو، ولا يبالي، فتدمع عيناي، وأتمنى لو أتمكن من بعض هذه الحيوية، وأنا في غربتي وشيخوختي، ولكن.. هيهات.. وشتان ما بين شيخوخة وشيخوخة.. الأولى فتية لا تعرف إلا العطاء، ومن العطاء: هذا الإقدام، وهذه الحيوية، وهذا الجلد والجلاد.. أما الثانية، فالله وحده السِّتّير..

يا ويح.. بل يا ويل الذي ينتقد ـ ظلماً ـ جماعة الإخوان، أو أحد مواقفها، أو أحد رجالاتها.. يا ويله من الشيخ الفارس أبي مصطفى.. صِدِّيق هذه الجماعة، ومن صِدِّيقيها وصالحيها.

٢ ـ ما يزال، وقد تجاوز السبعين، في همة الشباب، وحماسة الشباب، وثورة

الشباب بل أين الشباب من حيويته، وحركته، وفنائه وتفانيه في العمل، ناهيك عن خدماته لكل طالب خدمة، وخاصة للإخوان.

وأنا أقرأ هذا الكتاب القيم للمرة الثالثة، أحس بدماء الشباب تثور في أعراقي، فحديثه عن أولئك العظماء يستجيش العواطف، فتسيل الدموع تارة، وتثير الحمية أخرى، وتشوقني للشهادة تارة ثالثة، فأرفع كفَّيَّ إلى السماء، وأجأر: يارب يارب.. الشهادة في سبيلك يارب.. ألحقني بشهدائنا الأبرار الأحرار يارب، ولا تمتني على سريري كما يموت الأشرار وكثير من الأخيار..

هذا وغيره، لما تراه وتقرؤه وفيما بين السطور، من غيرة على الجماعة، وعلى الأمة المسلمة وعلى إسلامنا العظيم.

٣ ـ بذله في سبيل الدعوة، وفي مساعدة إخوانه، وهو المقل، وتضحياته براحته، وما يملك من جهد ومال.. ألم أقل: إنه نموذج متميز بين الرجال الدعاة، والدعاة الرجال؟ إنه الرجل الروح، والروح الذي تسري فاعليته فيمن حوله من الشيب والشباب، إذا تكلم وإذا صمت، إذا تحرك أو سكن، ولا أزكيه على الله العليم الخبير، فهو ـ سبحانه ـ أعلم به وبما استكنَّ في جَوَّانيّه من معاني النبل والشهامة والشجاعة، والإقدام، والسخاء، والبذل من ذات نفسه، وما شهدنا إلا بما علمنا، وسوف نسأل عن هذه الشهادة الصادقة بهذا الرجل الصادق الوعد.

٤ ـ صاحب مبادرة.. أجل إنه يتميز بالمبادرة، فلا يكاد يجد مصلحه للأمة إلا ويبادر ـ دون تردد ـ لسدّ حاجة ذوي الحاجات، إنه نموذج من النماذج الرفيعة من أبناء دعوة الإخوان، قلّ نظراؤه في هذه الظروف العصيبة التي تجتاح الدعوة جماعة ورجالاً وتنظيماً، وسمعة، وقمعاً، وسجوناً، ومضايقات ومطاردات وقتلاً..

إنه لا يخشى في الله لومة لائم.. صريح في إبداء رأيه، جريء فيما يخشاه الآخرون فيوارون أو يسكتون..

٥ ـ إنه قارئ ممتاز، وله مكتبه قيمة، بل له مكتبات ينشئها حيث يحل ويقيم،

فكما كانت له مكتبته المتواضعة في بلدته (الزبير) كانت له مكتبة كبيرة في الكويت، ثم مكتبة في الرياض، ومكتبة في عمان.. يقرأ ويقرأ، ويعلق على ما يقرأ، وإذا عرف حاجة إلى كتبه لدى جهة ما، بادر إلى إهداء الكثير من كتبه، مثلما فعل في إهدائه بضع عشرة كرتونة كبيرة إلى جامعات العراق، التي نهب الآثمون مكتباتها أو أتلفوها، ومثلها إلى الجامعة الإسلامية في غزة التي فعل بها وبمكتبتها المجرمون الخونة، مثلما فعل خونة العراق بمكتباتها وجامعاتها..

وقد رفدته علاقاته الواسعة في تركيز كثير من المعاني التي أفادها من مطالعاته، وأسقطها على الواقع المعيش، فهو لا يثق بفقه الأوراق، قدر ثقته بالجوانب العملية التي تحتاجها جماعته، وأمته، ولغته، وإسلامه.

ولهذا ترى في كثير مما كتب، إضافات مهمة في الفكر، وفي الحدث، وفي التاريخ، مما لا تكاد تجده إلا عنده، أو بعد مطالعات مستفيضة في ما كتبه الكاتبون عن الرجال الذين كتب الشيخ عنهم، وعن أفكارهم، وتطلعاتهم، وسير حيواتهم.. من البلدان العربية، إلى أوروبا فأمريكا، فسائر الدول الإسلامية الآسيوية والإفريقية..

من خلالها تتعرف على جوانب مهمة من حياة الدعاة، وهو في طليعتهم، ويأبى أن يكتب سيرته، أو نكتب نحن، ولكن الدارس المتتبع لكتاباته، ومقابلاته الصحفية، وذكرياته، يستطيع تحصيل الكثير منها، ويستشف بعضها الآخر.

وقارئه الذي لا يعرفه، يحار في جنسيته، ومن أين هو؟ فهل هو زبيري عراقي، أو كويتي، أو سعودي.. ذلك لأنه عالمي العلاقات والأفكار، كتنظيمه العالمي.. يتحدث ويكتب ويتذكر الكثير عن الدعاة وعظماء هذه الجماعة، وأصدقائها، من أقصى المغرب العربي، حتى الهند وأندونيسيا..

وهذا يقودنا إلى الحديث عن أبي مصطفى عندما كان موظفاً كبيراً في وزارة الأوقاف الكويتية ثم أميناً عاماً مساعداً في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة..

كان شيخنا أبو مصطفى يعي طبيعة المسؤوليات والمهمات المنوطة به، وقد نهض بها خير نهوض وأدى الواجب وأضعافه، ولو أن الموظفين الكبار يقومون بمعشار ما قام به، لتبدل الحال، ولخفت معاناة المسلمين المعذبين في الأرض، ولانتعش العمل الدعوي في أرجاء المعمورة، ولكن.. هيهات.. وشتان..

٦ ـ ذو ذاكرة حديدية، غير أنها تنبض بالحياة، ومسكونة بذكريات حبيبة، عن شهداء أحياء قضوا في سبيل الله تعالى، مدعومة بتوفيق الله العليم الخبير المطلع على السرائر، وما تكتنزه من حب، وإخلاص، وأثرة عُمِرَ بها قلب صاحبنا الشيخ الجليل أبي مصطفى..

ولولا هذا، لما استطاع أن يكتب هذه الموسوعة من الذاكرة بعد مضي عشرات السنين على كثير مما تذكر، وربما قادته الذاكرة إلى العودة إلى بعض الصحف في الزمن البعيد، أو بعض الكتب، من أجل بعض النقول، لتقوم شاهداً على ما يقول، وهو الصادق الثبت العدل في ما يروي ويكتب.

ولهذا، تراني ألح عليه، ولا أرحم شيخوخته الشابة، أن يتفرغ للكتابة، ليس عن الأموات وحسب بل عن الأحياء أيضاً، حتى لا يضيع هذا الخزين العجيب من الذكريات الحميمة، والحوادث السعيدة والحزينة، بزمانها، ومكانها، وشخوصها، وشهودها.

أجل.. له ذاكرة حديدية، غير أنها تنبض بالحياة، واستطاعت يراعته أن ترسم لنا ـ بكلمات معدودات ـ صوراً صادقةً حية واضحة للشخصيات التي تناولتها.. وقدمت لنا، وللأجيال اللاحقة وللتاريخ الحقيقي، نماذج رائعة من الدعاة الرجال، الدعاة إلى الله بسلوكهم، وجهادهم، وتضحياتهم، قبل أقوالهم.

ذكر كثيراً من الجوانب الإيجابية للرجالات الذين ترجم لهم، وكل منهم قدوة في الوسط الذي يعيش فيه، لعل الأجيال الجديدة تتأسَّى بسير أولئك الأفذاذ، فلا يكونوا منفرين في سلوك غليظ، وطرح فظ لأفكارهم، بل يكونون دعاة مربين، يألفون ويؤلفون، يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لا تفارق

الابتسامات وجوههم، ولا تنفرج شفاههم إلا بالكلمة الصادقة، بالكلمة الحانية، بالكلمة المحبة الواعية.. المحيا طلق، وفي العلاقات رفق، وفي الأيدي سخاء، وفي الأخوة إيثار، يعطون ولا يأخذون، يخدمون ويأبون أن يخدمهم إخوانهم وتلاميذهم.. يدعون الناس بسلوكهم وأفعالهم الطيبة، قبل أقوالهم الطيبة.. بزهدهم الحقيقي، وليس المدَّعى..

إنه يقدم الدعوة في أشخاص الدعاة، في سلوكياتهم، وفي أفكارهم، وفي كفاحهم، وفي مناضلتهم الباطل، ومجاهدتهم الطواغيت.. ليكونوا الأسوة الحسنة للأجيال والدعاة الناشئين، ليعملوا في مراحلهم العمرية والدعوية جميعاً، في كل مكان وزمان، لا يذوبون ولا يتأثرون بل يذيبون سواهم في بوتقاتهم، ويصهرون غيرهم، فيتأثرون بهم..

فكما كان الرسول القائد خلقه القرآن.. كان قرآناً يمشي بين الناس، فكذلك هم.. وكذلك يكون الدعاة وما ينبغي لهم إلا أن يكونوا كذلك... على قدم رسول الله، يحيون بسلوكهم سيرته وسير أصحابه العظام، سير الصِّدّيق والفاروق وذي النورين وعلي وخالد وأبي عبيدة وآلاف أخرى من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الناس هذا، حيث الرجال الرجال، والدعاة الدعاة: حسن البنا، والهضيبي، وقطب، وعودة، وفرغلي، والسباعي، والزهاوي، والصواف، والمودودي، والنَّدوي، والنورسي، والإبراهيمي، وابن باديس، والورتلاني، والقليبي، والفاسي، والخطابي، والمختار، وابن باز.. ومئات وآلاف آخرون لا نعرفهم، ولا نعلم الكثير من أسمائهم وأعمالهم، ولن يضيرهم جهلنا بهم، فالله يعلمهم، ويعلم أخبارهم وتضحياتهم في سبيله.

٧ ـ ولعل الوفاء من أبرز شمائل شيخنا العقيل... وفاء نادر، في هذا الزمن المادي الرعيب.

إنه يتفقد أحبابه الأموات وأسرهم، وآثارهم، كما يتفقد الأحياء، وسوف أضرب مثالاً واحداً على وفائه، حتى لا أحرج أحداً..

كان الشاعر الكاتب البحاثة الأديب الكبير، الأستاذ وليد الأعظمي ـ تغمده الله بفيض رحمته ورضوانه ـ من أحب الناس إلى شيخنا، يذكر سابقته الدعوية، وكفاحه وتضحياته في سبيلها، وما لقيه من الطغاة الصغار و(الكبار) من ألوان الأذى والاضطهاد والتعتيم عليه وعلى شعره ونثره، ومحاربته في شهرته وحياته، وقبل وفاة الشاعر الكبير، اقترحت عليه أن نجمع شعره في ديوان كبير، فقال الشاعر:

ـ يا ليت .. وقد سلمت بعض دواويني لإحدى دور النشر من سنتين، وأبرمت معها عقداً، ولم يف صاحبها بالعقد.

فانبرى الشيخ العقيل صاحب المبادرات، وقال له:

ـ اسحب شعرك من تلك الدار.

ثم اتفقنا أن نجمع شعر الشاعر، وسعى الشيخ في طباعته طباعة أنيقة في مجلد كبير، واستطعنا إيصال بعض النسخ إلى الشاعر الكبير قبيل وفاته بأيام، وفرح بديوانه، وعبر ـ برسالة خطية ـ عن سعادته بظهور ديوانه بهذه الحلة القشيبة.

وبعد وفاة الشاعر، اقترحت على الشيخ (العقيل): طباعة الآثار النثرية الكاملة للأعظمي، فتهلل وجه العقيل، ووجهه دائماً بسام متهلل، إلا إذا أسيء إلى الإخوان، أو الإسلام، فإنه الغضوب آنئذ.

كنت أظن الأستاذ الأعظمي مقلاً في نثره، وإذا المادة تبدو كبيرة كبيرة.. أرهقنا في جمعها، وترددت، ولكن الشيخ مضى ولم يأبه لضخامة المشروع وكلفته، وعندما رأى الطبعة الأولى للمشروع في ثمانية مجلدات (٤٥٧٢) صفحة من القطع الكبير، فرح الشيخ فرحاً عظيماً، وقال:

ـ الحمد لله.. الآن أشعر بأني وفيت لأخي أبي خالد (وليد الأعظمي) رحمه الله تعالى.

إنه يذكر إخوانه بحب، ويحن إليهم، وإلى الأيام الخوالي التي أمضاها معهم،

وكانت حافلة بجلائل الأعمال، وترى التماع السعادة والفرح في عينيه، وهو يتحدث عنهم، وعن ذكرياته الحميمة معهم، كأنه يحياها الآن..

بل لو أنك استمعت إليه وهو يتحدث عنهم، عن رجال الإخوان، ممن عرف وممن لم يعرفه عن معايشة وقرب ـ لعرفت أيَّ رجل داعية هذا الذي يحدثك.. لقرأت الحب والوفاء، في كل كلمة ينطق بها، ولفهمت مدى الالتزام بالجماعة في عبارة من عباراته.. ولأيقنت: أنه ابن هذه الجماعة الراشدة.. ابنها البار بها إلى ما شاء الله له من الحياة.

الكتاب:

عندما كنا نسمع أحاديث الشيخ أبي مصطفى، عن أولئك الرجال، وعن ذكرياته التي وعتها حافظته النادرة، كنا نعجب لعدم تسجيلها، ونشرها في كتاب، وكان تواضع الشيخ، وزهده، وخوفه من الشهرة، وضياع الأجر، يحول دون ذلك، ولكنه سلم، ونزل عند رأي إخوانه، فبادر إلى كتابة بعض الحلقات في مجلة المجتمع، ومنشئها أخوه أبو بدر ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ يهلل لتلك الحلقات، ولقد سمعته يهاتف مدير التحرير بشأنها مرة في مكة المكرمة، ومرات في عمان... كان الرجل العظيم أبو بدر مهتماً جداً بها، وما كان يدري أنه سوف يكون حلقة مهمة من حلقاتها، بل لعله كان يتطلع ـ كما أتطلع ـ ليكون من ضمنها، وقد كان من أعلاها، وحق له هذا، فهو الرجل المؤمن الذي ندر مثيله في هذا الزمان..

كنا نقرأ كتب الأولين عن سلفنا الصالح، فنعجب بهم، بسلوكهم، بزهدهم، بشغفهم بالعلم، بجمعهم بين الجهاد والعلم، بسخاء بعضهم، بمروءاتهم، ثم ننظر.. نتلفت يمنة ويسرة، فلا نجد إلا النزر اليسير من سماتهم لدى من نعايش، حتى ظننا بإخواننا الظنون، حتى ظهرت هذه الكتابات، فتنفسنا الصعداء، وتمنينا على شيخنا العقيل أن يستمر في الكتابة، ثم أن يجمع ما كتب في كتاب، يليه جزء وأجزاء، وجاءت المبادرة من القاهرة، عندما صدرت الطبعة الأولى من الكتاب، جمع فيها الأخ الأستاذ بدر محمد بدر، ما نشره العقيل في المجتمع، ثم

تتالت الطبعات، حتى بلغت ستاً ضمت عشرات الآلاف من النسخ، وقد نفدت كلها..

وتوقف الشيخ العقيل فترة عن الكتابة، ولم يتوقف إلحاح إخوانه عليه، فشرع يراعته، وأضاف تسعاً وأربعين ترجمة جديدة، وصار عدد الحلقات مئة وتسع عشرة حلقة، عن مئة وتسعة عشر رجلاً من أفذاذ الرجال، قرأتها في حالة من الذهول، حتى كانت الساعات تمضي وأنا أقرأ، ولا أحس بالوقت.. إنها كانت وما تزال وسوف تبقى تشد قارئها، وتثيره، وقد تبكيه وتشجيه، وتشعره بالتفريط والتقصير تجاه أولئك الأخيار حيناً، وبالفخر على ما كان منهم، وبالغضب على ما كان منه ومن أمثاله الذين قعدوا عن نصرتهم، وهم يتعرضون إلى الاضطهاد على أيدي الأشرار الفجار.

واقترحنا على الشيخ أن يطبع الكتاب الموسوعة طبعة جديدة، تضم كل الحلقات، ووافق الشيخ الهين اللين الموطأ الأكناف مع إخوانه، فكانت هذه الطبعة في مجلدين، ونرجو أن يكون المولود الثالث على الطريق، فادعوا لشيخنا أن يمده الله بالصحة، والفراغ، والعمر المديد الحافل بجلائل الأعمال.

وفي هذه الطبعة، جرى ترتيب الأسماء بحسب الحروف الهجائية، وذيلت بفهرس للأعلام، أنجزه الأستاذ أحمد العلاونة.

تشابه:

وما أحب أن أقوله كثير، عن الكتاب وصاحبه، ولكن المقدمة لا تستوعب كلَّ ما أريد قوله، الأمر الذي يجعلني أرجئ مالا أستطيعه هنا، إلى مكان آخر، وزمن آخر، أما هنا، فشذرات..

منها: أن كتاب الشيخ، يشبه في سيرورته شعر أخيه وصديقه الحميم، الشاعر وليد الأعظمي، فديوان الأعظمي طبع أربع طبعات في أقل من سنة، ولا تكاد تذهب شرقاً أو غرباً من بلاد العروبة والإسلام، إلا تراه حيث ذهبت.. والآن هو معد لطبعة خامسة بعون الله تعالى.. وهذا متى؟ في زمن كساد الشعر.. حتى

دواوين الشعراء الكبار موضوعة على الأرفف وفي الخزائن، والمطبوع منها يملأ المستودعات، إلا شعر الأعظمي.

وكذلك (أعلام الدعوة..) هذا، وقد وصل إلى الصين وماليزيا وأندونيسيا وسواها شرقاً، كما وصل إلى أمريكا وأوربا غرباً، وإلى روسيا، وأوكرانيا، والدول المستقلة، وتركيا، وسواها.. وترجم إلى الأردية والبوسنية.

ومتى هذا؟ في زمن كساد الكتاب، حتى رأينا بعض دور النشر لا تطبع من الكتاب الجيد أكثر من ثلاث مئة نسخة.. فاعجب..

سمات ودقائق:

ـ تقويم المؤلف لشخصياته دقيق سليم، ويظهر فيه عمقه في سبر نفسياتهم، وحسه الصادق في معرفتهم حق المعرفة، ومعرفة تاريخهم، وسلوكهم الدعوي والجهادي.

ـ روح الجهاد، والدعوة، والتربية، مبثوثة في تضاعيف الكتاب، وما بين السطور أيضاً.

ـ حفل الكتاب بالكثير من العبر التي تسح العبرات، فتنساح في طول الكتاب وعرضه.

ـ هذا الكتاب موسوعة، فيه الكثير من سير الرجال الدعاة، والكتّاب، والشعراء، والأدباء، والمفكرين، والسياسيين، والمجاهدين، والاقتصاديين المتميزين، من سائر البلدان العربية والإسلامية وغيرها، وكلهم من الرجال الأفذاذ الذين كافحوا وعملوا من أجل تجديد شباب الأمة، وتجديد هذا الدين العظيم.

أطلعنا على معلومات قيمة عنهم، لا يعرفها أكثر الناس المعنيين بتراجم الرجال، ولولا هذا الكتاب لضاعت كما ضاع الكثير الكثير من تاريخ الجماعة ورجالها، بموت أصحابها..

ولعل هذا الكتاب الرائع يكون حافزاً يحفز الإخوان على كتابة ما يكتنزون من

ذكريات، ومذكرات، وأسرار، وحوادث، تكون من المصادر المهمة لكتابة تاريخ حقيقي بعيد من التزييف والكذب.

والناس يتطلعون إلى قراءة تاريخهم الحقيقي.

ـ طبع من هذا الكتاب عشرات الآلاف من النسخ، ونفدت كلها، ولكننا لم نقرأ إلا أقل من القليل من الكتابة عنه..

فهل قرأه الذين اقتنوه، وكان القادرون على الكتابة عنه من الزاهدين، لضحالته مثلاً، أم أنه الإهمال المروع من أولئك الذين عزفوا عن التعريف به، ونقده، وبيان آرائهم في الكاتب وما كتب؟

إني ليحزنني أن أرى غيرنا يحتفون بكتابات أمثالهم، مهما كانت عادية، أو دون العادية، بل حتى لو كانت تافهة، ونحن لا نلقي بالاً، ولا تلقى كتب كتابنا اهتماماً، حتى لو كان الكتاب بمستوى هذا الكتاب أو أكثر..

يا حسرة على كتّاب الإخوان، وعلى ما يكتبون..

وأنا أخطّ هذه الكلمات على الورق، يشارك حبري دموعي التي تهمي غزاراً وأنا أقرأ بعض السير لعظماء هذه الجماعة، وهذه الأمة.

عظماء كانوا الأمل في نهضة الأمة، بما آتاهم الله من فضله، من علم، وأخلاق، وفهم، وحنوّ على الناس، ووعي لما يحيط بالأمة من أخطار، ومن جهاد لدرء الأخطار والمؤامرات عن هذه الأمة، وعن قيمها ومثلها وعقائدها، وتاريخها، وأرضها، ومقدساتها..

أجل.. كانوا الأمل الذي قتله الأشرار من الحكام وعملائهم، ومن المستعمرين وببغاواتهم وعملائهم من خونة الأمة.. كانوا الأمل في استئناف الحياة الحرة الكريمة في ظلال الإسلام وشريعته التي ما كانت إلا لتحيا البشرية قاطبة، حياة السعادة، بما فيها من أجواء إنسانية حقيقية، أين منها كل الدعوات الأخرى ولا أستثني..

قتل الأشرار هذا الأمل، استجابة لشرور أنفسهم، وشرور سادتهم، فراوحت

الأمة في مكانها، واضطربت صفوفها باضطراب قيمها التي تتعرض لحملات ظالمة لا تحمل الصلبان الظاهرة للعيان، وتحمل الأضغان والصلبان في دواخلها السود، وأوقفوا التنمية الفكرية والبشرية والاقتصادية والعسكرية، ورجعوا بالأمة القهقرى، لتكون في ذيل الأمم، وهي التي كانت بالإسلام خير الأمم..

أجل .. مر على الأمة قرن كامل، وكثير من حكامها، وعلمائها، ومثقفيها عصوات بين العجلات، يعوقون أي تقدم وأي تنمية، بالزج بالأحرار في أقباء السجون والمعتقلات وبتعليق قادتهم على أعواد المشانق، وبالتفريط بالأرض والوطن، وكأنهم ليسوا من هذه الأمة، وصدق الله العظيم ﴿**يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**﴾ [هود: ٤٦]، كذلك هؤلاء.. ليسوا من أهلنا، إنهم عمل فاسد..

ترى كم خسرت الأمة في المحن التي تعرضت لها الجماعة، من الرجال المتميزين في شتى الميادين، الذين أعدموا ظلماً وعدواناً، وعشرات الآلاف من زهرة الشباب الذين زج بهم الطواغيت في أقباء السجون والمعتقلات في مصر أولاً، ثم في سورية، وفي كثير من البلدان العربية والإسلامية.. لقد قتلوا الآلاف، وشردوا مئات الآلاف، وسجنوا عشرات الآلاف، من صفوة الأمة..

ترى.. هل كان في حسبان الطواغيت تلك الخسائر التي لا تقدر بثمن إلا ثمن الإبقاء على الطواغيت في مناصبهم الزائفة، مقابل الإجهاز على رجالات الإخوان، وعلى شبانهم المجاهدين، ونسائهم المجاهدات العاملات للنهوض بالمجتمع ، والقضاء على الجهل والتخلف والفقر، كما يعمل رجالهم على تخليص الأمة من أوهاق الاستعمار بأشكاله البغيضة، وتحرير فلسطين من حثالات البشر، والنهوض بالأمة لتستأنف مسيرة الخير التي بدأت برسول الله محمد وأصحابه الكرام، رضي الله عنهم وأرضاهم.

خسرت الأمة ولا تزال بمحاربة هؤلاء الرجال المتميزين في اختصاصهم،

وفي أخلاقهم، وفي عقيدتهم السليمة التي تدعو إلى التخلص من كل أشكال العبودية، سوى العبودية لله الواحد الأحد.

وهل فكر الطغاة بأنهم سوف يلقون غياً، جهنم يصلونها ويحشرون فيها، ليكونوا وقوداً مع سائر الظلمة والمجرمين.. وحصب جهنم.. لو كانوا مؤمنين بالله واليوم الآخر، لما أقدموا على محاربة الأبرار.

ولو كانوا وطنيين مخلصين لأوطانهم، ولشعوبهم لما اجترحوا الجرائم بحق الأطهار من أبناء الأمة..

ولكنهم الكفرة والعملاء والخونة، وأصحاب الأهواء والشهوات.

يا حسرة على الرجال.

لو وجد مثل صلاح شادي في أمة غير أمتنا، لصدرت الكتب والدراسات عنه.. وكذلك قل في الإمام الشهيد ورجال الرعيل الأول الذي صحبه وتتلمذ على فكره وأخلاقه وزهده و..

أين الكتب التي صدرت عن شهداء الجماعة وعن مجاهديها، وعن علمائها، وعن شيوخها، وعن شبابها، وعن نسائها؟ عن أولئك العظماء الذين لا تجد في كل الأحزاب والهيئات والحكام من يكون مثل واحد منهم.

أطلعنا على حياة رجال لم نسمع بأسمائهم، وهم الرجال الرجال بفعل التعتيم الإعلامي عليهم، حتى لا يكونوا قدوة للشباب والأجيال الصاعدة.. يريد العبيد الطواغيت أن يطمسوا حياتهم.. ويأبى الله إلا أن يهيئ لأولئك الرجال قلم حر لرجل الدعوة وابن الجماعة، العقيل، ليسطر لنا هذه التراجم أو الذكريات مع أولئك الأبطال..

كان العقيل من أوفى الأوفياء لأولئك الرجال الذين عايشهم، ورأى ما جذبه إليهم، ورأى بطولاتهم، في سائر الميادين، رأى إخلاصهم، و... فانبرى للكتابة عنهم بصدق وأمانة..

والناس عطاش، كانوا يتطلعون إلى مثل هذا الكتاب القيم، فبادروا إلى اقتنائه وما زالوا يتطلعون إلى المزيد وأنا أدعوه وأرجوه أن يتابع ..

وأدعو وأرجو من عنده من مثل هذه الذكريات الحميمة، وهذه المعلومات المهمة، أن يبادر إلى تسجيلها، ونشرها، أو إعطائها إلى من يحسن الكتابة أو يقوى على نشرها في صحيفة ثم في كتاب، قبل أن يموت صاحبها، وتدفن معه.

عندنا رجال تفاخر بهم ملائكة السماء، فكما كان عندنا في العصر النبوي والراشدي جيل قرآني فريد، كان لنا وعندنا جيل هائل من الذين أحيوا الإسلام في نفوس الناس، وأعادوه حياً في القلوب والعقول والأقلام وفي المجتمع ..

فيها من سير الرجال الأبطال ما يفرح ويحزن..

يفرح لهذا الرصيد الفذ من الرجال الأفذاذ، ويحزن، لأنهم عاشوا في القرية الظالم أهلها، فقتلوا على أيدي فراعنة العصر بل إن الفراعنة القدماء يعدون في العدول إذا قيسوا بطغاة اليوم، في بلاد العروبة والإسلام..

فلو لم يتآمر عليهم الطواغيت الخونة، لكانت الحال غير الحال، ولساد مجتمعنا الأمن والأمان ولانتعشت التنمية التي طرح الطغاة أهلها في غياهب السجون والمعتقلات، منذ أكثر من خمسين سنة من السنوات العجاف، التي صيروها جحيماً بقمعهم وجرائمهم.. لولا هذه الموسوعة لما عرفنا الكثير من رجالها.

أجل.. يا حسرة على العباد.

تقديم الطبعة الثالثة



الإمام الشهيد حسن البنا مؤسس
جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٢٨م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وقائد الغر المحجلين، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فالحمد لله على نعمة الإسلام، وما أعظمها من نعمة، والحمد لله على نعمة السير في طريق دعوة الإخوان المسلمين، وما أجلّها من نعمة وفضل. نسأل الله أن يعيننا على أداء الأمانة وتبليغ الرسالة.. آمين.

لقد نجح الإمام الشهيد حسن البنا بما وهبه الله من عمق إيمان وصدق يقين ونفاذ بصيرة في أمرين:

الأول: هو الفهم الصحيح والدقيق لهذا الدين، وتجلية معالمه بشمولها وكمالها، وتوضيح أركانه، وبيان رسالته الخالدة وأهدافه العليا.. نجح في أن يبيّن أن الإسلام منهج حياة متكامل، يصلح لكل زمان ومكان، بعيداً عن الإفراط والتفريط، فكشف عن سمو هذا الدين العظيم، وأبان عن رقيه وعظمته، وأعاده إلى ما كان عليه الأمر عند المسلمين الأوائل.

والثاني: أنه لم يكتفِ بالتنظير والكتابة، بل اتجه إلى تربية الرجال الذين يحملون هذا الفهم العميق والإيمان الدقيق والحماس المتدفق، والجهد

المتواصل.. الرجال الذين يحبون هذا الدين، أمانة في أعناقهم، وعمقًا في وجدانهم، وسلوكًا في حياتهم، واعتزازًا في عقولهم وضمائرهم مهما واجهوا من عنت أو لاقوا من صعاب أو تحملوا من أذى، لا يرجون إلا وجه الله والدار الآخرة، ولا يطلبون إلا رضاء الله وعزة دينهم وأمتهم.. أحبوا دينهم فاجتهدوا لنصرته، وأحبوا أمتهم فبذلوا أرواحهم وأوقاتهم وجهدهم وعرقهم لرفعتها وعزّتها، وسقط منهم شهداء، وسُجن منهم من سُجن، وشُرد منهم من شُرد، لكن ذلك كله لم يثنهم عن التزام الحق والدفاع عنه وصدق فيهم قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وأخونا الكريم المستشار عبد الله العقيل (أبو مصطفى) عايش غرس الإمام البنا، وارتوى من منهجهم وسلوكهم، ونهل من هذا المعين النابض الحي المتدفق، فكتب بقلمه السيّال، وبكلماته البديعة، هذه السير الذاتية العظيمة لهؤلاء الرجال الكبار.. صفحات حب وأخوة، وجهاد ودعوة، وابتلاء وصبر، وصمود وتضحية.. والتزم في كتابته أن يكون التقى بمن يكتب عنه، وأن يتعرف عليه معرفة دقيقة، فهو يكتب كتابة العارف الواعي، فكانت هذه الثلة الطيبة التي امتدت لأكثر من عشرين قطراً عربياً وإسلاميًا وغير إسلامي.. لكنه لم يلتقِ بالإمام الشهيد رحمه الله، فلم يكتب عنه، لكن اعتزازه بالرجل المجاهد وبهذه الدعوة الجليلة يظهر في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب، بل في كل سطر من سطوره..

وأسأل الله أن يتقبل منه هذا الجهد، وأن يجعله ذخرًا له يوم القيامة، وأن ينفع به شباب الأمة وشاباتها، والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين..

محمد مهدي عاكف

المرشد العام للإخوان المسلمين

تقديم الطبعة الثانية

لم تتوقف قافلة الدعاة إلى الله عن العمل بالإسلام وللإسلام يوماً.. منذ أن قام الإمام القدوة خاتم الرسل والأنبياء داعيًا إليه، ومبشرًا به، وجامعًا الناس حوله، في صحراء كان سكانها في جهالة: يعبدون الأصنام.. فتحوَّلوا بعد أن رسخ الإسلام في قلوبهم وعقولهم إلى مؤمنين سبقوا غيرهم إلى الإيمان بالدعوة كما جاءت تخاطب وتتفاعل مع الفطرة.. وتخاطب وتتفاعل مع العقول والقلوب.. فتملأ القلوب بطمأنينة العقيدة.. تسكن وتحتل أعماقها.. وتملأ العقول بمفاهيم ومعالم الخير، والعدل، والحرية، والمساواة.. وتنطبع على الجوارح عملاً يؤكد الفهم، ويؤكد على العلاقة الوثيقة بين الفهم والعمل.. وقبل ذلك كله فهو دليل الإيمان الصادق الراسخ: يحرك ويوجه، ويبعث على العمل، والإنجاز والتضحية والبذل.

والله سبحانه الذي أنزل الإسلام على رسوله ﷺ ليدعو إليه ويبشر به ويربي الناس على العمل به وله.. جامعاً المؤمنين في دوحته وواحته يتعالون فوق ما يخدش ويشين، متحلين بكل ما يجمل ويزين.. يعيشون جنة القيم والمثل، وقد أقاموها على أرض الواقع.. تتأكد فيها معالم وروابط الأخوة.. والحب في الله، والمساواة، والتعاطف، والود، والتراحم.. الله سبحانه الذي أنعم على عباده بهذا الإسلام، كان في مقدوره وهو الخالق القادر أن يبعث لهذا الدين ملائكة تحرسه وتذود عنه.. ولكن لحكمة عنده.. وهو الحكيم الخبير.. نهضت قافلة الدعاة منذ

أن نزل الإسلام إلى اليوم.. تحمل الرسالة وتؤدي الأمانة.. جابوا الشرق والغرب.. ووصلوا وطافوا أمصار الشمال والجنوب متجردين من متاع وزخرف الدنيا.. ومصالح ومطامع ومطامح النفس البشرية، في استقامة للوجهة.. وخلوص للنية، وطمع فيما عند الله وحده.. وهو القائل جل شأنه: ﴿**مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ الله بَاقٍ**﴾ [النحل: ٩٦].

وها نحن نرى جيل الدعوة المعاصر يسير على خطى سلفه الراشد ﴿**كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه**﴾ [الفتح: ٢٩] شاهدين في كلِّ أرجاء العالم أن الله متم نوره ولو كره المشركون حتى قال فيهم من قال ـ عليه رحمة الله ـ: إنهم الفتية الذين كنت ألمحهم بعين الخيال قادمين، فوجدتهم في واقع الحياة قائمين.. مجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، مؤمنين في قرارة أنفسهم أن العزَّة لله ولرسوله وللمؤمنين.. إنهم الفتية الذين كانوا في الخيال أمنية، فإذا بهم حقيقة وواقع بل حقيقة أعظم من الخيال، وواقع أكبر من الآمال.. انبثقوا من ضمير الغيب، انبثاق الحياة من ضمير العدم، والنور من خلال الظلام.. جاهدوا في سبيل الله، وباسم الله، وعلى بركة الله.. وتركوا بصماتهم علامات للأجيال ولمن سار من بعدهم في إطار قافلة الدعاة.. ما بدلوا وما غيّروا، وملؤوا الدنيا علماً ونوراً وراجعوا الظلم والطغيان.. جهاداً، ودعاة حق وعدل.. وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكتاب (من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة) لأخينا المستشار عبدالله العقيل ـ حفظه الله ـ عرض لنا وللقراء الكرام نماذج من قافلة الدعاة في عصرنا الراهن، عشنا ونعيش معها من خلاله إيماناً، وفهماً، وعملاً.. داعين الله أن يتقبل منهم.. ويجعله في ميزانهم يوم لا ظل إلا ظله، وهو إن شاء الله في الميزان.. حسنات مضاعفة وجميل أجرْ وجزيل ثواب.

مصطفى مشهور

المرشد العام للإخوان المسلمين

تـقـديـم

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعد..

شرفٌ لي أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب الرائع، الذي أَلَّفه الداعي والمربي، الأستاذ المستشار عبدالله العقيل، الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإِسلامي بمكة المكرمة (سابقاً)، والذي تناول فيه السير الذاتية العطرة، وجانباً من أعمال وصفات وأقوال ثلة من خيرة أبناء الأمة الإِسلامية في بلاد العرب وفي غيرها، أولئك الذين تركوا بصمات واضحة، وأعمالاً جليلة، ومواقف بطولية في ميادين الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، والتضحية بالنفس والنفيس لحراسة الدين وحماية الوطن، وبذل الوقت والجهد والمال لتحصيل العلم النافع، في وقت تكالبت فيه الدول الاستعمارية على بلاد المسلمين، تنهب خيراتها وتستنزف ثرواتها، وتعتقل وتقتل أحرارها.. فكان هؤلاء الرجال وأمثالهم طليعة الأمة في جهادها ونهضتها.

والمستشار عبدالله العقيل معروف للمشتغلين بالعمل الإِسلامي والدعوة إلى الله، حيث وُلد في الثلاثينيات، ودرس بالعراق، ثم رحل إلى مصر في أواخر الأربعينيات، والتحق بكلية الشريعة جامعة الأزهر الشريف، وتخرّج فيها عام ١٩٥٤م، ثم عاد إلى السعودية، ثم العراق حيث عمل مدرساً بمدرسة النجاة الأهلية في الزبير، ثم توجه إلى الكويت وتولى العديد من الوظائف كان آخرها

مستشار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية، ثم غادر الكويت في عام ١٩٨٦م ليرجع إلى السعودية، حيث تولى منصب الأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي، والأمين العام للمجلس الأعلى للمساجد.. ثم استقال ليتفرغ للكتابة.

وقد أتاحت له دراسته في مصر في أوائل الخمسينيات، أن يروي ظمأه في التعرف على العلماء العاملين، والدعاة المجتهدين، والزعماء المخلصين، وقادة حركات التحرر من الاستعمار الذين اتخذوا من مصر ملاذاً وانطلاقاً لتحرير شعوبهم.. فكان المستشار العقيل يحرص على مجالسهم، ويتتبع مواقفهم وآراءهم، ويستفيد من علمهم وورعهم، ويتربَّى على هذا الزاد الإيماني، والوعي السياسي، والعمق الفكري والدعوي، فلا غرابة إذن أن تحفظ ذاكرته ـ رغم مضي عشرات السنين ـ كل هذه النماذج العظيمة، من الرجال الأبرار، فيكتب عنهم بحبٍ صادق، تشعر به في كل سطرٍ من سطور الكتاب، بل في كل كلمة من كلماته، في أسلوب رشيق، وعباراتٍ سلسة، ومعانٍ عميقة، وعرضٍ جذاب.

لقد اقترب الأستاذ العقيل من هذه الشخصيات التي كتب عنها، ولمس آثارها عن كثب، وشاركها في محاضرات أو ندوات أو لقاءات ودروس، أو معسكرات إيمانية، فكانت كتابته كتابة الخبير بمعرفة الرجال.

وفي هذا الكتاب يعرض لسيرة أكثر من سبعين علماً من أعلام الأمة، امتدت رقعتهم المكانية في عشرين دولة عربية وإسلامية وأجنبية، طوال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) وأحسب أن لديه المزيد من هذا النبع المتدفق الفياض، الذي نحن في شوق إليه.

إنني ـ شخصياً ـ كنتُ أجهل عدداً غير قليل من هؤلاء الأعلام، رغم اشتغالي بالصحافة، فماذا عن جمهور المسلمين، الذين لا يجدون في وسائل الإعلام المختلفة ـ تلك التي تحاصرنا صباح مساء، وتقتحم علينا بيوتنا وخلواتنا ـ إلا الحديث الدائم والمكرور عن أهل الفن، ولاعبي الكرة، ورجال السياسة، وكأنهم

المُثل العليا التي يجب أن يتربى عليها شباب الأمة، ولا مكان لمصلح أو داعية أو مجاهد ضحى بروحه في سبيل دينه وأمته!.

ومن هنا تأتي أهمية هذا الجهد المبارك، الذي بذله المستشار عبدالله العقيل في التعريف بهؤلاء الرجال، ونشره في سلسلة حلقات في مجلة (المجتمع) الكويتية الغرّاء، لكي يتعرف شباب الأمة على تاريخها الصحيح، فتعود لهم الثقة من جديد في عطائها الشامخ من أمثال هؤلاء الرجال، الذين ضحوا وبذلوا، غير منتظرين إلا رضاء الله سبحانه، وثواب الآخرة.

وحتى لا أطيل.. أترك القارئ العزيز مع هذه الباقة الخالدة، التي أعرف أنه سيسعد بها كما سعدتُ أنا.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

بدر محمد بدر

القاهرة ـ مارس ٢٠٠٠م

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هداه،
وبعد:

فهذه هي المجموعة الأولى من الحلقات التي نشرتها مجلة (المجتمع) الكويتية الغراء على فترات من الزمن.

تناولتُ فيها الحديث عن كوكبة من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة والدعوة الإسلامية المباركة التي اضطلع بمسؤوليتها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكانوا نماذج صادقة لهذا الإسلام العظيم وهم يمثلون أقطاراً شتّى من أنحاء العالم الإسلامي كما يمثلون جميع شرائح المجتمع المختلفة والتخصصات العلمية، وفيهم الشباب والشيوخ.

وهذا الذي أقوم به هو بعض الوفاء بحق هؤلاء الإخوة الكرام، وواجب من واجبات الدعوة، وتعريف بذلك الجيل الطاهر والنموذج الفريد في العصر الحاضر من رجالات الإسلام، الذين مثّلوا الرجولة بأعلى مراتبها، وقدّموا الإسلام للعالم بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم، كأحسن ما يعرض الإسلام المستقى من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فكانوا امتداداً للرعيل الأول الذين سبقوا على طريق الإيمان والإمامة، لأنهم كانوا إسلاماً حيّاً يسير على قدمين في دنيا الناس الصاخبة المائجة بمختلف الأفكار والمذاهب البعيدة كل البعد عن

منهج الإِسلام الصحيح، والسائرة في ركاب الشرق والغرب، والمقلدة تقليد الببغاوات للاستعمار وأعوانه وأذنابه من العملاء والمرتزقة.

هذه النماذج من العلماء العاملين والدعاة المجاهدين، الذين صبروا على لأواء الحياة، وجاهدوا لنصرة دين الإسلام، وصمدوا أمام قوى الباطل والطغيان واستهانوا بكل زخارف الحياة ومغرياتها، واستعلوا بإيمانهم على كل ما يشدّ الإنسان إلى الأرض، وحلّقوا بآمالهم وطموحاتهم إلى السماء مؤثرين ما عند الله على ما عند الناس متطلعين إلى جنة الله ورضوانه.

هؤلاء هم صنّاع الحياة العزيزة بهذا الدين العظيم، وهم ما بين علاَّمة نحرير، ومربٍّ فاضل، وداعية مجدّد، ومجاهد شهيد، وتاجر صدوق، وصحفي بارع، ومفكر مبدع، وشاعر صاحب رسالة، وأديب قاص هادف، واقتصادي عالم وكلهم سابق بالخيرات بإذن الله.

جيل من الأعلام كانوا تطبيقاً عمليّاً لمعالي هذا الدين وعزائمه.. من الذين دفعوا الثمن غالياً، لقاء صبرهم وصمودهم على المنهج الحق.. من الذين حملوا هموم الأمّة وسعوا لتحقيق آمالها.. من الذين ضربوا أروع الأمثلة للأجيال الحاضرة واللاحقة فكانوا أئمة هدى، وقدوات تحتذى في ميادين التربية والدعوة والجهاد، وتغيير واقع الأمة والنهوض بها، إلى أن بلغت الصحوة الإِسلامية ذروتها، ودخل الإِسلام كل بيت إلا بيوت الأشقياء والمحرومين.

ولقد نهضتُ للقيام بهذا الفرض الكفائي، عن أجيال الدعوة المعاصرة أداءً لبعض حقوق أولئك الأعلام على أبناء دعوتهم، وتخليداً لسيرتهم العطرة، وتسجيلاً لجانب من شمائلهم الكريمة، التي سطروها بجهادهم ودمائهم، وشموخهم على سفساف الحياة، واستعصائهم على تهديد الطغاة والبغاة، وترفّعهم على كل المغريات.

وذلك من أجل أن يُدرك أبناؤنا وأحفادنا، أنهم امتداد لهذا الجيل المبارك، من أصحاب الفضل والسابقة والحجة على من بعدهم.

لقد أفضى هؤلاء الدعاة الكبار إلى ربهم، وعهدوا بالراية إلينا، ونحن بدورنا نسلمها للشباب الإسلامي الناهض، الذي نعتز به ونفخر، ونؤمّل فيه الخير الكثير في الاضطلاع بمسؤولية الدعوة وحمل رايتها وإعلاء كلمة الله في أرض الله لتحرير عباد الله من الطغاة والمفسدين في الأرض.

منهجي في الكتابة:

ولقد التزمتُ منهجاً في الكتابة: أنني **لا أكتب إلا عن معاصر التقيتُهُ**، وهذا منهج الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ، **وأن يكون متوفى**، فلا أكتب عن الأحياء، فالحي لا تؤمن فتنته، **وأن يكون من دعاة الإسلام العاملين**، ورجال الحركة الإسلامية المجاهدين، لأن العلم وحده، من دون العمل به ودعوة الناس إليه لا يجدي كثيراً، فلسنا في حاجة إلى معاجم متحركة، بل نحن في حاجة إلى رجال يعيشون الإسلام ويعملون له، ويستشهدون في سبيله.

وطريقتي في الكتابة أنني لم ألتزم في التسلسل أي نمط، ولا يعني التقديم والتأخير أي شيء. كما أن بعض الحلقات لم تزد على أربع صفحات والبعض الآخر زاد على العشر لطول المعايشة أو خصوبة الذاكرة، أو توافر المعلومات.

ولنا في هذه النماذج المعاصرة من أساتذتنا وإخواننا خير قدوة بعد رسول الله ﷺ، وصحابته، والتابعين والسلف الصالح.

لقد سارع بعض إخواني في أرض الكنانة بطباعة هذه الحلقات، قبل أن أراجعها وأُعمل النظر فيها، وبخاصة أنها من الذاكرة وكنتُ في كل حلقة أنشرها أطالب القراء بموافاتي بملاحظاتهم عليها لتدارك ذلك قبل طباعتها في كتاب، ولكن قدّر الله وما شاء فعل، وهذا اجتهاد يُشكرون عليه.

وها أنذا أقدّمها في شكل أجزاء متتابعة، وفيها إضافات مهمة وتعديلات كثيرة، وأرجو من الإخوة القراء ألا يحرموني من إضافاتهم وتعديلاتهم للاستفادة منها وأعتذر عن كل خطأ أو نقص بدر مني بغير قصد.

إن تَـجِـدْ عَـيْـبـاً فَـسُـدَّ الخَلَـلا   جَـلَّ مـن لا عـيبَ فـيـه وعـلا

ولقد رجعتُ إلى بعض الكتب والمجلات والصحف التي فيها شيء عن الأشخاص الذين كتبتُ عنهم واستفدت منها، وإن كان جلّ اعتمادي على ذاكرتي ومعايشتي لهؤلاء الرجال الأفذاذ.

ويعلم الله أنني مدين لكل من كتبت عنهم من زملاء أو أساتذة بالفضل، وأنني أدعو الله لهم كما أدعو لنفسي ووالديّ، وأسأل المولى الكريم، أن يغفر لي ما قدّمتُ وما أخّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنت، وما هو أعلم به مني، وأن يجمعني بهم في مستقر رحمته مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، هو وليٌّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى الله

عبدالله بن عقيل بن سليمان العقيل

الرياض ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م

ص. ب: ٩٣٦٥٠

الرمز البريدي: ١١٦٨٣

الكاتب والكتاب
في عيون الشيخ القرضاوي(*)

كنت وأنا طالب في المرحلة الجامعية على صلة وثيقة بعدد من طلاب البعوث الذين جاؤوا من أوطانهم يدرسون في الأزهر الشريف.

وأبرزهم الطالب النجيب الذي جاء من مدينة (الزبير) في العراق، وكان شعلة متقدة من النشاط والحركة والتقرب من العلماء والدعاة من مصر، أو القادمين عليها. وهو الأخ النابه عبدالله العقيــل، الطالب في كلية الشريعة ـ والذي سكن مع الأخ أحمد العسال فتـــرة من الزمن، وكان له نشاطه المتميز في قسم الطلاب، وقسم الاتصال بالعالم الإسلامي.

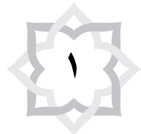
وكان وثيق الصلة بي وبالأخ محمد الدمرداش رحمه الله. وقد صحبني الأخ عبدالله في إحدى الرحلات الدعوية إلى مدن الصعيد، فكان نعم الصاحب والرفيق، وقد قالوا قديماً: الرفيق قبل الطريق، والجار قبل الدار.

وقالوا: إنما سُمِّي السفر سفراً، لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، وقال سيدنا عمر لمن شهد لرجل بالصلاح: أصاحبته في السفر، الذي يكشف من أخلاق المرء ما لا يكشف في الحضر؟.

(*) نقلاً عن (ابن القرية والكتاب) للدكتور يوسف القرضاوي.

وقد استمرت الصلة بيني وبين الأخ عبدالله، حتى تخرج وعاد ليعمل في مناصب القضاء في الكويت ثم نُقل ليعمل مديراً للشؤون الإسلامية في وزارة الأوقاف بالكويت، فجعل من هذه الإدارة مؤسسة عالمية حية للعلاقات الإسلامية، وكوَّن صلات لا تحصى بالجهات الناشطة والعاملة للدعوة الإسلامية في العالم، وأمدَّها بالكتب والمساعدات، التي آتت أُكلها في حينها بإذن ربها، ثم نقل أميناً مساعداً لرابطة العالم الإسلامي، واستقر بالرياض بعد أن أُحيل إلى التقاعد.

وقد أصدر حديثاً كتاباً قيماً عن أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة ترجم فيه لعدد من أعلام العلم والدعوة والجهاد وأحسب أنه ـ شكر الله سعيه ـ وفّاهم حقّهم، وعرّف بفضلهم الأجيال الصاعدة، وأسقط فرض كفاية عن علماء الأمة، فكثيراً ما ذهب رجال كان لهم دورهم المشكور في الدعوة والجهاد والتربية والتثقيف، ولم يكتب عنهم أحد، فطمست آثارهم، وجهلت أخبارهم، على حين تمتلئ الساحة بالنّكرات والإمَّعات الـذين أصبح يُشار إليهم بالبنان، وهم لا فـي العير ولا في النفير.



المعلم المجاهد إبراهيم عاشور
(أبو حسن)

(١٣٤٨ ـ ١٣٨٨هـ = ١٩٣٠ ـ ١٩٦٩م)

بداياته:

الأخ المجاهد إبراهيم عاشور من الشباب الفلسطيني المسلم عالي الهمة، مترفع عن سفاسف الأمور، وصغائر الأعمال، نشأ في حضن الحركة الإسلامية المعاصرة بفلسطين، وتربى على منهج الإسلام الحق، وأخلاقه الفاضلة، وسار مع إخوانه العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، يعمل بجد وإخلاص، وصمت وهدوء، يؤلف القلوب، ويصطفي العناصر الصالحة، للانخراط في سلك الدعوة الإسلامية المباركة، ويتحرق شوقاً للجهاد في سبيل الله. ضد الصهاينة المغتصبين لأرض فلسطين، والمدنسين لمقدسات المسلمين.

ولقد لقي ـ رحمه الله ـ الأذى الكثير من طاغية مصر، حيث سجن وعذّب وحورب وطورد، فقد كان ضابطاً في الجيش المصري فترة، ثم التحق بمنظمة فتح، حين كانت تتبنى الجهاد ضد اليهود، وتتصدى لهم من خلال

العمليات الفدائية التي كان ينفذها الشباب الفلسطيني المجاهد.

وحين انحرفت فتح عن مسارها، ودخلت دهاليز السياسة وألاعيبها، واكتفت بالدعايات والدعاوى والمظاهر الكاذبة والبيانات المزيفة، وتبنى قادتها الأفكار اليسارية والعلمانية، نفض يده منها وانفضّ عنها وتركها، لأنه يؤمن بالجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، ويؤمن بالقتال من أجل الدين لا من أجل الطين، ويؤمن بالالتزام بمبادئ الإسلام وسُنَّة المصطفى ﷺ لا بأفكار ماركس ولينين وجيفارا.

مقامه في الزبير:

وقد توجه إلى العراق حيث عمل مدرساً في مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، التي سبقه إلى العمل فيها الأخوان المجاهدان محمد الصفطاوي وهاني بسيسو،



إبراهيم عاشور... وهاني مصطفى بسيسو مع بعض إخوانهما
حسن المدهون ـ عرفات العشي ـ إبراهيم أبو جبارة

وهي مدرسة أنشأها العلاّمة الموريتاني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي عام ١٩٢٠م بالتعاون مع أهل الزبير، وكانت تُعنى بالدرجة الأساسية بالعلوم الإسلامية من التفسير والحديث والتوحيد والفقه وبخاصة المواريث وباللغة العربية وآدابها والمحاسبة ومسك الدفاتر والعلوم العصرية الأخرى، حتى إن معروف الرصافي حين زارها قال: «إنها أحرى أن تسمى جامعة النجاة وليس مدرسة النجاة»، وقد تخرّج فيها أجيال عديدة من أبناء الزبير، شغلوا الكثير من المناصب والوظائف في القطاع التجاري والصناعي والزراعي بكفاءة وإخلاص.

وبعد وفاة الشيخ الشنقيطي تولى إدارتها العلاّمة الكبير والعالم النحرير الفقيه الفرضي الشيخ ناصر بن إبراهيم الأحمد الذي يُعتبر زينة علماء الزبير في عصره، وقد حرص ـ رحمه الله ـ على تطوير المدرسة واختيار أكفأ المدرسين علماً وخلقاً للتدريس فيها، ولذا كلَّفني حين كنتُ بمصر للدراسة الجامعية، أن أختار وأرشح له بعض المدرسين، فرشَّحت له الأخوين الكريمين محمد الصفطاوي وهاني بسيسو، ثم تبعهما صلاح الشربيني وإبراهيم عاشور وغيرهما.

وفي سنة ١٩٥٥م نظَّمنا رحلة حج لبعض مدرسي النجاة الأهلية، ضمّت بعض الأساتذة وهم: إبراهيم المبيض، أحمد العرفج، عبد المحسن الشقير، يعقوب العقيلي، عبدالله العقيل، محمد الصفطاوي، هاني بسيسو وغيرهم، وقد نزلنا في طريقنا إلى الحج في ضيافة علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن السعدي الذي أكرمنا غاية الإكرام، لأنه كان من تلامذة الشيخ الشنقيطي مؤسس المدرسة، كما زرنا الشيخ محمد نصيف شيخ أعيان جدة رحمه الله تعالى.

ولم يكتف الشيخ ناصر الأحمد بتوفير الأساتذة الأكفياء للمدرسة، بل سعى لتطوير مواردها المالية، حيث شكَّل وفداً برئاسته وعضوية جاسم الجامع وعبد الله العقيل للذهاب إلى المملكة العربية السعودية لجمع التبرعات، وقد نزلنا في الرياض بضيافة جلالة الملك سعود الذي أقام لنا وليمة عشاء، ورحَّب بنا، وتبرع

للمدرسة بمبلغ سخي، كما تبرع الكثير من أهالي الرياض والخُبر والدمام، وكذا أهل الكويت جزى الله الجميع كل خير.

وبهذا أمكن تلافي العجز المالي للمدرسة وخطت إلى الأمام خطوات واسعة والحمد لله.

كفاءته العسكرية والجهادية:

لقد بقي الأستاذ إبراهيم عاشور يدرِّس بمدرسة النجاة بالزبير، حتى إذا فتح الإخوان المسلمون معسكرات التدريب وقواعد الجهاد ضد اليهود في الأردن سنة ١٩٦٨م، بادر ـ رحمه الله ـ للالتحاق بقوافل المجاهدين والمرابطين في الثغور، وقدَّم من خبرته العسكرية وكفاءته القتالية، ما أفاد إخوانه المرابطين الذين دهشوا له، وعجبوا منه لأنه أول قدومه لم يتظاهر بأنه يعلم شيئاً عن القتال أو الأمور العسكرية، بل انخرط كفرد مجاهد ضمن المئات من الإخوان المتطوعين، ولكن سرعان ما تبيّن للإخوة المسؤولين مقدرته العسكرية وكفاءته القيادية، فعهدوا إليه بالمهمات الكبيرة، وأسندوا إليه تدريب الإخوان على فنون القتال، وتعليمهم أنواع السلاح وطرق استعماله، فكان نِعْمَ المعلم القائد والمجاهد الصادق والعامل الصامت رغم صغر سنه فهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره، كما هو الشأن في أكثر المرابطين والمقاتلين من الإخوان في معسكرات التدريب وقواعد القتال فقد كانت أعمارهم دون الثلاثين، فهم في ريعان الشباب ومراحل الفتوة، ينطبق عليهم القول المأثور: «رهبان في الليل فرسان في النهار» وقد لقّنوا اليهود دروساً لا تنسى على مر الأيام، وأعادوا سيرة إخوانهم المجاهدين سنة ١٩٤٨م في فلسطين، وعلى ضفاف قناة السويس سنة ١٩٥١، ومسحوا العار الذي ألحقته هزيمة سنة ١٩٦٧م، وأيقن الناس أن الإخوان المسلمين هم رجال المواقف وفرسان الميادين وطلاّب الآخرة.

النموذج الفلسطيني:

إن الأخ إبراهيم عاشور نموذج للشباب الفلسطيني المسلم الملتزم، الذي جعل الجهاد سبيل التحرير، للأرض والعرض، والنفس والمال، والدين والكرامة، وكان حريصاً على طلب الشهادة تواقاً لنيلها، يسابق إخوانه للحصول عليها، وشاء الله عز وجل أن يكرمه بها في ميدان التدريب بمعسكر الإخوان في يوم الثلاثاء ٢٦ / ٨ / ١٩٦٩م، حيث دفن بمقبرة أم الحيران بالأردن.

يقول الأخ د. محمد أبو فارس في كتابه القيِّم (شهداء فلسطين): «لقد وصل خبر للأخ المسؤول أن المنطقة التي يعسكر فيها الإخوان ستتعرض لهجوم الطائرات الإسرائيلية القاذفة للقنابل، فأمر إخوانه المجاهدين بالتفرق على الفور وترك المعسكر، وبعد نصف ساعة جاءت الطائرات الإسرائيلية الضخمة تقذف المنطقة بقنابل كثيرة، حتى حرثت المنطقة حرثاً، ولم يبق أثر للخيام أو الأثاث، إذ كلها أتلف وأحرق من الغارة الإسرائيلية، وقد جُرح من الإخوان جريحان فقط، وفي اليوم التالي وبينما كان الإخوان يجتمعون للغداء، إذ أحضر أهل القرية المجاورة قنبلة لم تنفجر، فأخذها الأخ إبراهيم عاشور، وأخذ يشرح لإخوانه عن هذه القنبلة، ويذكر لهم شدّة حساسية صاعق هذه القنبلة، وسرعة انفجارها لأقل الأسباب وأضعف المؤثرات، وكان الأخ المجاهد الشاب رضوان كريشان يتكئ على كتف الأخ إبراهيم عاشور وهو يشرح، وإذا بالقنبلة تنفجر فتقطّع أوداج الاثنين وحَلْقَيْهِما ويستشهدان على الفور» انتهى.

وكانت صدمة على الإخوان شديدة جداً، لأنهم كانوا يتمنون أن يكون استشهادهما بعد معركة مواجهة مع اليهود في الميدان لا في معسكر التدريب.

غير أن هذه إرادة الله وقد اتخذهما شهيدين في ميدان الرباط والإعداد والجهاد في سبيله وابتغاء مرضاته، فهما قد خرجا لهذا فأكرمهما بالقدوم إليه: **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾** [الأحزاب: ٢٣].

شهادات المقربين:

يقول المقربون من الأخ إبراهيم عاشور في مدرسة النجاة الأهلية بالزبير: إنه صالح مستقيم، عامل بصمت، عميق التفكير، بعيد الرؤيا فيه الصفاء والهدوء، وإيثار العمل على القول، والبعد عن الجدل والمراء، والمظاهر والادعاء، ولقد لمستُ ذلك بنفسي في زياراتي لمدرسة النجاة الأهلية بالزبير، كما سمعت ذلك أيضاً من إخوانه بالمعسكر في منطقة الأغوار حين زرتهم مع الأخوين الكريمين أبي بدر حفظه الله، وأبي طارق رحمه الله، كما أن الشهيد صلاح حسن ـ رحمه الله ـ وأخاه أبا خليل والأخ أبا أسامة وأبا شهاب يشهدون له بكل خير ويثنون على رجولته وشهامته وإخلاصه وتفانيه طيلة الفترة التي كان فيها في معسكر التدريب وقواعد الجهاد ضد اليهود إلى أن لقي الله عز وجل شهيداً إن شاء الله.

إن الأخ المجاهد إبراهيم عاشور ترك في نفوس تلامذته بمدرسة النجاة وزملائه في معسكر التدريب أجمل الأثر وأطيبه من خلال سيرته الحميدة، وخلقه الكريم، وإيثاره لإخوانه على نفسه وتواضعه وشجاعته ورباطة جأشه، فكانوا يتحدثون عنه ويذكرونه بكل خير، ويثنون على مواقفه ورجولته، وليس هذا بمستغرب على من تربى في مدرسة حسن البنا مجدد هذا القرن والداعية الموفق، الذي يقول عنه الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

«أشعر بالرضا وأنا أعترف بأني من تلامذة حسن البنا ومحبيه وحاملي أعباء الدعوة الإسلامية معه، أعرف أن ذلك يبغضني عند كثير من الناس! ليكن، فقد تعلَّمت من الرجل الكبير، أن المؤمن يسترضي الله وحده، ويطلب وجهه الأعلى. إن من رحمة الله بالأمة الإسلامية، بل بالعالم الإنساني أن يظهر بين الحين والحين رجل مثل حسن البنا يجدد تراث محمد ﷺ ويحشد الجموع حوله، ويحل المشكلات به وينفي عنه الأوهام والبدع، ويعيد إليه بريقه الأخاذ يوم كان وحياً يُتلى وسُنَّة تتبع» انتهى.

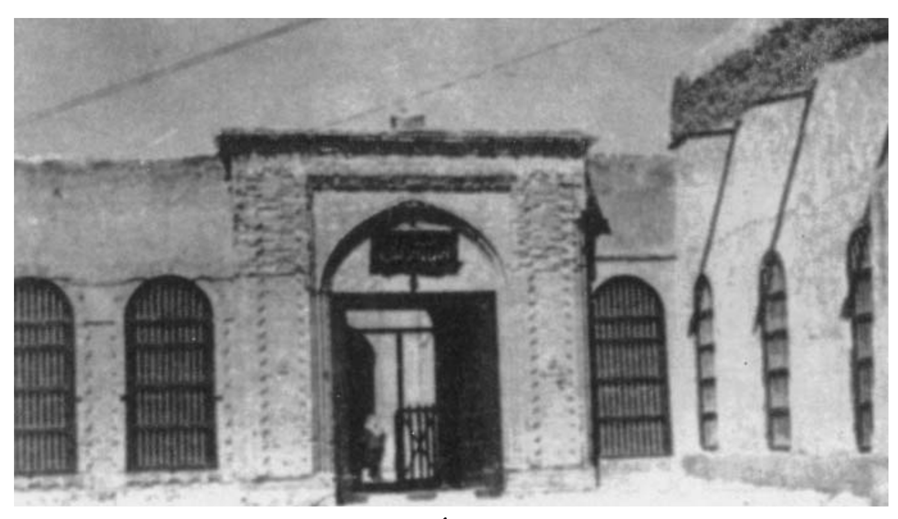
ذلكم هو الأخ المجاهد العامل إبراهيم عاشور، وتلك هي بعض الجوانب من

سيرته رحمه الله رحمة واسعة وغفر لنا وله، ووفق الله شباب الأمة ليكونوا رجالاً يحملون رسالة الإسلام ويجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

وقد رثاه الأخ الشاعر الدكتور محمد محمود صيام بقصيدة جاء فيها:

جَـلّـتْ عـن الـحـزن الـمصيبـة	والـنـفسُ مـا بـرحتْ كـئـيـبـة
والــقــلبُ ذاب وكــانت الأهـ	ـوالُ تــعــجــزُ أن تُــذيــبــه
أبــكــي (أبــا حســن) وأضـ	ـرعُ لــلإلــه بــأن يــثــيــبــه
ويُــنــيــلــه ورفــاقــه الشـ	ـهــداء جــنــاتٍ رحــيــبــة
رغــمَ الــمــهــازلِ مــن هــنــا	وهــنــاك فــي دنــيــا الــعــروبــة
فـالأمـة الـعـصـمـاء تَـخْـبِـطُ	فــي مــتــاهــاتٍ عــجــيــبــة
وولاتــهــا درجــوا عــلــى	حُـبّ الـخـلافـات الـمـعـيـبـة
مــتــلــهِّــفين عــلــى الســلا	م كــأنــهــم جــهــلــوا عــيــوبــه
والـخـصـم يصـفـع وجـهـهـم	كــالســائـمـات بــلا صـعـوبـة
فــوربِّ (إبــراهــيــم) لــن	نــرضــى بــتـسـويــة مــريــبــة
يــا إخــوتــي فــلــتــثــبــتــوا	ضــد الـعـصـابـات الـغـريـبـة
ولــتــبــذلــوا أرواحــكــم	فــي الله عــن رغبٍ وطــيــبــة
فــقــوافــلُ الشــهــداء مــن	شــعــبــي تــنــيــر لــه دروبــه
والـتضـحـيـاتُ هـي السـبـيـلُ	إلـى فـلسـطـيـن الـحـبـيـبـة
والـمسـجـدُ الأقصـى الـعـزيـز	مــن الــدمــاءِ لــهُ ضــريــبــة

والحمد لله رب العالمين.

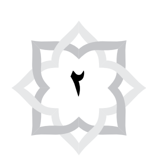


مدرسة النجاة الأهلية في الزبير



الشيخ محمد أمين الشنقيطي
مؤسس مدرسة النجاة الأهلية في الزبير





المفكر العلاّمة أبو الأعلى المودودي

(١٣٢١ ـ ١٣٩٩هـ = ١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م)

مولده ونشأته:

هو الإمام الداعية العلاّمة أبو الأعلى المودودي، ولد في مدينة (أورنج آباد) في ولاية حيدر آباد الدكن جنوبي الهند سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م) في بيت معروف بالعلم والورع، حيث تعلم العربية وعلوم القرآن والحديث، وحفظ موطأ الإمام مالك عن ظهر قلب، وعمل في الصحافة في سن السابعة عشرة حيث التحق بجريدة (المدينة) التي تصدر في (بنجور)، ثم تولى إدارة تحرير جريدة (التاج) اليومية التي تصدر في (جلبور).

وقد ذهب إلى (دلهي) وقابل مفتي الديار الهندية آنذاك الشيخ كفاية الله الدهلوي والشيخ أحمد سعيد سحبان الهند اللذين عهدا إليه برئاسة تحرير جريدة (مسلم) الأسبوعية التي كانت تصدر من العاصمة دلهي بلسان جمعية العلماء ولم يتجاوز عمره السابعة عشرة، ثم عهدا إليه في

سنة ١٩٢٤م بجريدة (الجمعية) اليومية رئيساً لتحريرها أيضاً إلى سنة ١٩٢٨م.

وفي سنة ١٩٢٦م بدأ بكتابة سلسلة مقالات بعنوان: (الجهاد في الإسلام) طُبعت فيما بعد بكتاب ضخم وهي ردّ على الزعيم الهندي (غاندي) الذي كان في قمة مجده آنذاك، وكان لهذه المقالات ولرسالته الثانية (الجهاد في سبيل الله) دويٌّ كبير أعاد الأمة إلى شيء من وعيها، ودحض المتخاذلين المهزومين أمام ضغط الواقع والذين ينادون بأن الجهاد مبدأ دفاعي في الإسلام.

وقد تُرجمت الرسالة الثانية إلى العربية وكانت هي وبقية رسائل المودودي من الكتب المرشحة للقراءة لدى الإخوان المسلمين في العالم العربي، وكان الشهيد سيد قطب يحلو له دائماً أن يسمي المودودي بـ «المسلم العظيم»، وكان الدكتور محمد إقبال ينصح دائماً الشباب المسلمين باقتناء كتاب «الجهاد في الإسلام» ويثني عليه حيث ألّف المودودي هذا الكتاب بناء على مناشدة الزعيم محمد علي جوهر الذي قال: «ليت شخصاً يقوم ويفند افتراءات الهندوس ضد الإسلام».

وفي سنة ١٩٣٢م بدأ إصدار مجلة «ترجمان القرآن» الشهرية التي كان همّه فيها عرض الإسلام من مصدريه الكتاب والسُّنَّة ومهاجمة الأفكار الوافدة، وفي سنة ١٩٣٨م انتقل المودودي من «حيدر آباد» إلى لاهور في «البنجاب» استجابة لدعوة الشاعر محمد إقبال الذي دعاه ليتعاونا معاً على بعث الشرع الإسلامي، ولكن محمد إقبال توفي قبل أن يأخذ العمل صيغته، وقد أنشأ الأستاذ المودودي «الجماعة الإسلامية» في «لاهور» سنة ١٩٤١م من خلال مؤتمر عام ضمّ المتأثرين بكتاباته الإسلامية، وتقرر اختيار المودودي أول رئيس للجماعة، وقد تعرّضت الجماعة للهجوم من القوى البريطانية في الهند منذ ظهورها، كما حاربها الهندوس ودعاة العلمانية من المسلمين.

وبدأ المودودي تفسير القرآن الكريم سنة ١٩٤٣م وأخذ ينشره في مجلته الشهرية (ترجمان القرآن) بعنوان (تفهيم القرآن) وكان له صدى طيب.

وفي سنة ١٩٤٧م جرى تقسيم الهند فهاجر إلى باكستان، وكان يطالب بتطبيق

الإسلام في كل مرافق الدولة من خلال خطبه ومحاضراته وكتاباته حتى ضاقت به الحكومة الباكستانية ذرعاً فاعتقلته مع مجموعة من أنصاره وزجّت بهم في السجن، ولكن الضغوط الشعبية الكبيرة جعلت الحكومة تفرج عنه وعن زملائه بعد عشرين شهراً من الحبس، وذلك في شهر يونيو (حزيران) ١٩٥٠م.

معرفتي به:

كانت بداية معرفتي بالمفكر العلاّمة أبي الأعلى المودودي في سنة ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م)، حين زارنا في الزبير الأستاذ مسعود عالم الندوي مدير دار العروبة للدعوة الإسلامية بباكستان والذي كان يحمل رسالة تعريف به وبمهمته من أستاذنا الشيخ د. محمد تقي الدين الهلالي المغربي، ولقد سعدنا بالأستاذ مسعود، الذي حدثنا كثيراً عن الجماعة الإسلامية بالقارة الهندية وباكستان وعن أهدافها وبرامجها ووسائلها وأفكارها وتنظيماتها.



المودودي يعانق المستشار العقيل

وأسهب كثيراً في الإشادة بمؤسسها السيد العلاّمة أبي الأعلى المودودي الذي كان ينافح بقلمه ولسانه عن الإسلام والمسلمين ويتصدى لدعاة العلمانية بالقارة الهندية من أبناء المسلمين، الذين يريدون السير على منهج الطاغية «أتاتورك» الذي ألغى الخلافة الإسلامية وسار في ركاب جمعية الاتحاد والترقي الماسونية، التي رشحته لرئاسة تركيا العلمانية.

لقد كان أبو الأعلى المودودي يطرح الفكر الإسلامي الأصيل المستقى من الكتاب والسُّنَّة، وما أجمع عليه سلف الأمة، وينبري مفنداً كل المقولات والدعاوى الباطلة التي يرددها ببغاوات الغرب، وتلامذة المستشرقين وعملاء

الإنجليز في القارة الهندية وباكستان، كما كان على اطلاع واسع على حضارة الغرب وعوراتها وسوءاتها، فهو كالطبيب النطاسي الذي يُشخِّص المرض ويصف الدواء، فأمراض المجتمعات الإسلامية علاجها هو الإسلام الحق وليس سواه.

وقد زوَّدنا الشيخ مسعود الندوي ببعض مؤلفات المودودي التي كان يحملها معه، وكان هذا أول اطلاعنا على فكر المودودي، من خلال تلك الكتب التي وجدنا فيها شبهاً كبيراً بمؤلفات الإخوان المسلمين ورسائل الإمام الشهيد حسن البنا، وتمّ إعادة طبعها بالقاهرة سنة ١٩٥٠م وانتشرت في أوساط الإخوان المسلمين بمصر والعالم العربي، كما سمعنا الثناء الحسن عليه من السيد أبي الحسن الندوي حين زارنا بالقاهرة سنة ١٩٥١م وقال: «إن المودودي من مفكري الإسلام الكبار في هذا العصر»، كما أثنى على الجماعة الإسلامية التي يرأسها، وأشاد بتلامذته ـ وإن كان أبو الحسن الندوي يرى أن مناهج الجماعة الإسلامية تحتاج إلى أن تولي الجانب التربوي والروحي عناية أكثر من الجانب الفكري والسياسي الذي يطغى على ما سواه من المناهج.

لقائي به في الكويت:

وقد التقيتُ المودودي أول مرة حين زارنا بالكويت أوائل الستينيات، حيث أقام له الأخ عبدالله المطوع وليمة كبيرة في منزله، كما شرّفني بمنزلي بحضور جمع من إخوان العقيدة المقيمين بالكويت، كما التقيت به في لندن سنة ١٩٧٤م مع الإخوان: محمد قطب، وزغلول النجار، وخورشيد أحمد، حيث ألقى المودودي محاضرة قيمة بعنوان: (الإسلام في مواجهة تحديات العصر الحاضر).

وكانت له أحاديث، ومحاضرات، وندوات ومسامرات، وأسئلة واستفسارات كان فيها الخير والبركة والحمد لله.

ثم تكررت لقاءاتي به، في زياراتي المتعددة إلى باكستان، مرات ومرات في دار الجماعة الإسلامية وفي مكتبه، وفي داره، حيث كثيراً ما كان يدعونا مع إخواننا القادمين معنا وإخواننا أعضاء الجماعة الإسلامية إلى بيته لتناول الطعام أو الشاي، ويبادلنا الطرائف والملَح، التي تُدخل البهجة والسرور على زائريه، ثم يتطرق بعد ذلك إلى أوضاع المسلمين، وأسباب ما هم فيه، وسبيل النهوض بهم، ويخوض في المسائل العلمية الدقيقة، ويغوص في أعماقها، ويستخرج الحكم الشرعي الراجح، المعزز بالدليل، والمؤيد بالبرهان، كما أنه يشخّص أمراض العالم الإسلامي ويتصدى للطغاة المستبدين، الجاثمين على صدور شعوبهم والذين يحكمون الناس بالحديد والنار ويسلبون خيرات البلاد، ويملؤون بطونهم وجيوبهم بالمال الحرام، ويبيعون الأرض والعرض لسادتهم المستعمرين بثمن بخس.

صلابة الموقف:

والعلاّمة المودودي صلب في مواقفه، تصدى للقاديانية ودعاتها وأنصارها من الحاكمين، ولم يتراجع عن موقفه، وأصدر حكمه بكفر مذهبها، واستمرّ في فضح عمالتها للإنجليز، وارتباطها بالاستعمار، ولم تنفع معه كل السبل لتثنيه عن رأيه، وتلقى الحكم عليه بالإعدام عام ١٩٥٣م برباطة جأش وشجاعة منقطعة النظير، وأحدث هذا الحكم ضجة في العالم الإسلامي كله، مما دعا الدكتاتورية العسكرية في باكستان للعدول عن حكمها، والإفراج عنه بعد ذلك، حيث كانت المرافعة التي أعدها وقدمها، من أقوى المرافعات القانونية والشرعية، فضلاً عن تدخل كبار علماء المسلمين لنصرته، والمطالبة بالإفراج عنه، وثورة جماهير المسلمين في باكستان والعالم الإسلامي التي ساءها هذا الحكم الظالم الجائر على هذاالعالم الجليل، والداعية الكبير، والمفكر العظيم.

إن العلاّمة المودودي علم من أعلام الإسلام المعاصرين، ومفكر من مفكريه،

وداعية من دعاته، آتاه الله الحكمة وبُعد النظر، والعمق في الفهم والصبر على العلم، والتأمل في الواقع، والدراسة الميدانية للأفكار الرائجة، والأوضاع السائدة، والتتبع لمصادر المعرفة، وتمييزها وتوثيقها، والنقد الموضوعي لحضارة الغرب، بأخذ الصالح منها وطرح غير النافع، وتقديم الإسلام حلاً لمشكلات الحياة في جميع جوانبها، وهذا هو المنهج الذي سار عليه الإمام الشهيد حسن البنا، وأتبعه بالبرامج العملية التي تصوغ الأخ المسلم وفق منهج الإسلام الحق.

ولقد حدَّثني ـ رحمه الله ـ في إحدى زياراتي له في بيته وبرفقتي الأخ خليل أحمد الحامدي وذلك بعد إعدام الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ بفترة غير طويلة، فقال: «إن ما ورد في كتاب (معالم في الطريق) هو نفس ما أراه، بل كأنني الذي كتبته فقد عبَّر عن أفكاري بدقة»، وكنت ألحظ الإكبار والتقدير للأستاذ المودودي من إخوانه وتلامذته الذين يحبونه من أعماق قلوبهم لبعد نظره، ومحبته لهم، وتواضعه معهم، واهتمامه بشؤونهم، والسماع لوجهات نظرهم ومناقشتهم بموضوعية والنزول على رأي الشورى فيما تراه، بعد استيفاء الموضوع حقه، من البحث والحوار والمناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن، بحيث يخرج أعضاء الشورى وهم على رأي واحد وموقف موحد واقتناع كامل.

وحين استقرت الجماعة ووضحت أهدافها وبرز الكثير من أفرادها كقادة ومفكرين، حنَّكتهم التجارب، وصقلتهم المحن، واطمأن الأستاذ المودودي على سلامة سير الجماعة، طلب من إخوانه إعفاءه من المسؤولية ليتولاها الشيخ ميان طفيل محمد، وتفرَّغ المودودي للبحث والعلم، والتوجيه والمشورة، وظل كذلك حتى لقي الله عز وجل.

نصيحته للشباب:

وفي كلمة له سنة ١٣٨١هـ ينصح الشباب العربي في لقائه بهم قال: «يا

شباب.. نصيحتي إليكم أن تجعلوا القرن القادم قرن الإسلام، لأن الحضارة الراهنة توشك على الانهيار، وسوف يكون هناك فراغ في حياة البشرية، ولن يستطيع أن يملأ هذا الفراغ إلا الإسلام، فعليكم أن تجاهدوا لملء هذا الفراغ بـ «الصبر والمتابعة» ولقد جربنا نحن فوائد هاتين الكلمتين في باكستان ولا ينبئك مثل خبير. لا تقوموا بعمل جمعيات سريّة لتحقيق الأهداف، وتحاشوا استخدام العنف والسلاح لتغيير الأوضاع لأن هذا الطريق نوع من الاستعجال.. إن هذا الطريق أسوأ عاقبة، وأكثر ضرراً من كل صورة أخرى.. وإن الانقلاب الصحيح السليم قد حصل في الماضي ـ وسيحصل كذلك في المستقبل ـ بعمل علني واضح وضوح الشمس في رابعة النهار.. فعليكم أن تنشروا دعوتكم علناً وتقوموا بإصلاح قلوب الناس وعقولهم بأوسع نطاق وتسيروا بالناس لغاياتكم المثلى بسلاح من الخلق العذب والشمائل الكريمة والسلوك الحسن والموعظة الحسنة



المودودي بين تلامذته ومحبيه

والحكمة البالغة وأن تواجهوا كل ما يقابلكم من المحن والشدائد مواجهة الأبطال..» انتهى.

أذكر أن الإخوان المسلمين، حين أقاموا معسكرات التدريب، وقواعد الجهاد، في الأردن سنة ١٩٦٨م، طلبوا إعداد وإعادة طباعة بعض الكتب المختصرة المتعلقة بالجهاد، لتكون في أيدي مجاهدي الإخوان، كزاد ثقافي، يعرفون منه حكم الجهاد، وفرضيته وأحكامه التفصيلية، فوقع الاختيار على بعض الإخوان ليقوموا بهذه المهمة، وكنت مع الأخوين مصطفى الطحان، وعبد الستار أبو غدة، أعضاء اللجنة المكلفة بذلك، فوفقنا الله لإعداد كُتيب باسم «نداء الجهاد»، ثم أتبعناه بكتاب آخر جمعنا فيه ما كتبه الإمام حسن البنا والإمام المودودي والشهيد سيد قطب، لأن المؤلفين الثلاثة ينهلون من مورد واحد، ويسعون لتحقيق هدف واحد، هو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وإقامة شرع الله في أرض الله.

إخوانه وتلامذته:

ولعل من المناسب، أن أذكر بعض من عرفتهم عن صلة وقرب من إخوان المودودي وتلامذته وأخص بالذكر: غلام محمد ـ رحمه الله ـ الذي أنشأ المؤسسة الإسلامية في «نيروبي» بكينيا، وميان طفيل، الذي تولى إمارة الجماعة الإسلامية بعد تنازل المودودي، **وغلام أعظم أمير الجماعة الإسلامية في بنجلاديش**، وقاضي حسين أحمد أمير الجماعة الإسلامية الحالي، ود. خورشيد أحمد الذي أنشأ المؤسسة الإسلامية في «ليستر» ببريطانيا، ومسعود عالم الندوي، ومحمد عاصم الحداد، وخليل أحمد الحامدي ـ وقد تولى الإخوان الثلاثة مسؤولية دار العروبة ـ وغيرهم من كرام أعضاء الجماعة الإسلامية بباكستان، الذين لقينا منهم كل تعاون لخدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان.



المستشار العقيل مع البروفيسور غلام أعظم أمير الجماعة الإسلامية في بنجلاديش عام ١٩٩٠م

وأشهد الله أن هذه الكوكبة المؤمنة من إخوان المودودي وتلامذته وجدناهم نماذج صادقة، للدعاة العاملين، والمجاهدين المخلصين، وكانوا معنا كالإخوان المسلمين الذين ربَّاهم الأستاذ الإمام الشهيد حسن البنا، صدقاً ووفاء، ومحبة وأخوة، وكرماً وإيثاراً، بحيث نشعر وكأننا بين أهلينا وإخواننا.

ثناء الندوي والقرضاوي عليه:

يقول الداعية أبو الحسن الندوي عن المودودي وتأثيره في الجيل المسلم:

«إنني لا أعرف رجلاً أثَّر في الجيل الإسلامي الجديد، فكرياً وعلمياً مثل تأثير المودودي، فقد قامت دعوته على أسس علمية أعمق وأمتن من أيِّ أسس تقوم عليها دعوات سياسية وردود فعل للاستعمار الأجنبي، وكانت كتاباته، وبحوثه موجهة إلى معرفة طبيعة هذه الحضارة الغربية، وفلسفتها في الحياة، وتحليلها تحليلاً علمياً، قلما يوجد له نظير في الزمن القريب، وقد عرض الإسلام ونُظم

حياته، وأوضاع حضارته وحكمه وصياغته للمجتمع والحياة وقيادته للركب البشري والمسيرة الإنسانية، في أسلوب علمي رصين، وفي لغة عصرية تتفق مع نفسية الجيل المثقف وتملأ الفراغ الذي يوجد في الأدب الإسلامي من زمن طويل» انتهى. كما أن العلاّمة الدكتور يوسف القرضاوي يذكر العلاّمة المودودي مثنياً عليه الثناء العطر فيقول: «المفكِّر المجدِّد، صاحب النظر العميق، والتحليل الدقيق ناقد الحضارة الغربية على بصيرة، والداعي إلى نظام الإسلام عن بيِّنة، صاحب الكتب والرسائل التي ترجمت إلى عشرات اللغات، الذي وقف في وجه دعاة (التغريب) و(أعداء السُّنَّة) والمنادين بنبوَّة جديدة (القاديانيين) و(المرتزقة) من الخرافيين والقبوريين و(مشوَّشي الفكر) من المقلِّدين الجامدين.. مؤسس كبرى الجماعات الإسلامية في شبه القارة الهندية: العلاّمة أبو الأعلى المودودي الذي اتفقت أصول دعوته مع أصول دعوة حسن البنا، وإن لم يلتقيا، وإنما التقى أبناء المدرستين وتعاونوا في مجالات شتى وخصوصاً في أوروبا وأمريكا والشرق الأقصى».

دعوته لتكوين الجماعة:

كان المودودي قد أصدر عام ١٩٤١م نداءً للمتأثرين بكتاباته قال فيه: «لا بد من وجود جماعة صادقة في دعوتها إلى الله، جماعة تقطع صلتها بكل شيء سوى الله، جماعة تتحمل السجن والتعذيب والمصادرة وتلفيق الاتهامات وحياكة الأكاذيب، وتقوى على الجوع والعطش والحرمان والتشريد، وربما القتل والإعدام، جماعة تبذل الأرواح رخيصة وتتنازل عن الأموال بالرضا والخيار، وتقدِّم كل ما تملك قرباناً في سبيل إقامة مجتمع الإسلام ونظامه...» فاستجاب المخلصون من المثقفين لهذا النداء، وتأسست الجماعة الإسلامية عام ١٩٤١م وطُرح دستورها للناس، وكانت لها ـ فيما بعد ـ فروعها في القارة الهندية وباكستان وبنجلاديش.

تعرضه للسجن:

ولقد تعرّض المودودي للسجن ثلاث مرات، كان يخرج بعد كل منها، كأقوى ما يكون الداعية، قوة وصلابة، وعزماً وثباتاً، وعملاً وإصراراً، كما حُكم عليه بالإعدام من الطغمة العسكرية، فلم يضعفْ عزمه، ولم تلنْ قناته ولا توقف نشاطه، بل ظل يسير بالجماعة على منهج الإسلام ووفق تعاليمه بكل ثقة واطمئنان.

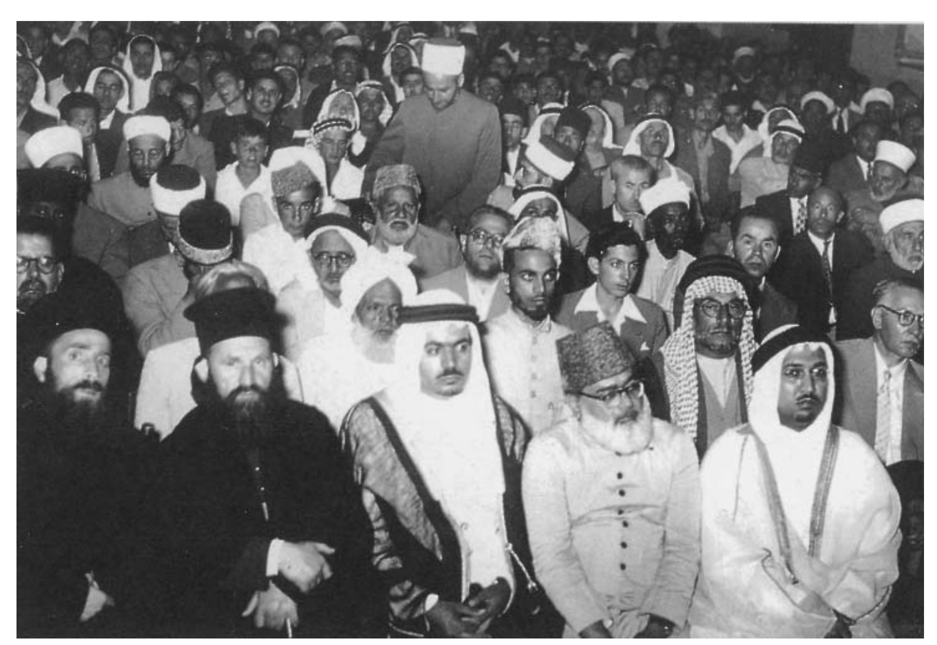
وقد بارك الله في جهود المودودي وجهاده ووفق الله إخوانه وتلامذته، للتحرك بالدعوة الإسلامية، ونشر الفكر الإسلامي في كل مكان، حيث قاموا بحركة ترجمة ونشر وتوزيع واسعة، لكل مؤلفات المودودي في البلاد العربية والإسلامية والدول الأوروبية والولايات المتحدة وبلدان جنوب شرق آسيا وإفريقيا بكل اللغات.

رفضه للعنف:

والمودودي رجل يحب السلم ويرفض العنف، يقول أحد تلامذته وأعوانه وهو الأستاذ غلام أعظم: «الحكومات السابقة كانت لا تجد اتهاماً حقيقياً فتلجأ إلى الاختلاق، كي تنال من الجماعة الإسلامية عن طريق تشويه السمعة، فمولانا المودودي يعارض بشدة استخدام السلاح في الدعوة، وقد طلب منه الجيل الجديد عدة مرات السماح له بالدفاع عن النفس باستعمال القوة ضد العناصر المعارضة، التي تستعمل القوة في مواجهة الجماعة الإسلامية، ولكنه أبى عليهم ذلك، لأن الإسلام إذا لم يكن حاكماً فاستعمال أبنائه السلاح يُعَدُّ بمثابة انتحار، ويسوق دليلاً على ذلك، بعدم سماح الرسول ﷺ لأصحابه في العهد المكي، باستعمال القوة، ضد هؤلاء الذين كانوا يعذّبونهم ويضطهدونهم، ولم يسمح لهم بذلك إلا بعد انتقالهم إلى المدينة المنورة وتكوين الدولة الإسلامية» انتهى.

جهوده العلمية ومؤلفاته:

إن أستاذنا العلاّمة السيد أبا الأعلى المودودي عالم متبحر في العلوم، وله في كل ميدان صولات وجولات، فقد تناول في محاضراته وخطبه وكتبه ومقالاته، سائر جوانب الإسلام، ولم يدَعْ موضوعاً إلا طرقه، ولا قضية إلا وبيَّن الحكم فيها وعالجها، وفق التصور الإسلامي، حيث شرح: نظرية الإسلام السياسية ـ نظرية الإسلام الخلقية ـ نظرية الإسلام الاقتصادية ـ منهاج التغيير الإسلامي ـ موقف الدين من الجاهلية ـ تحديد النسل ـ الربا ـ الحجاب ـ دور الشباب المسلم وواجبه ـ الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية ـ المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم ـ ختم النبوة في ضوء القرآن والسُّنَّة ـ الزي بين الابتذال والاحتشام ـ بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية ـ بين يدي الشباب ـ فرعون في القرآن الكريم ـ نحن وبنجلاديش ـ الأمة الإسلامية ـ قضية القومية ـ الإسلام ومعضلات الاقتصاد ـ تحديات العصر الحاضر والشباب ـ أضواء على حركة التضامن الإسلامي ـ احذروا مخطط اليهود ـ الإسلام اليوم ـ برّ الأمان ـ البيانات ـ الدين القيّم ـ رسالة سيرة النبي ﷺ ـ الحياة بعد الموت ـ الحكومة الإسلامية ـ حقوق الزوجية ـ الذبائح ـ ذبائح أهل الكتاب ـ نحن والحضارة الغربية ـ نظام الحياة في الإسلام ـ المسألة القاديانية ـ في محكمة العقل ـ ما هي القاديانية؟ ـ مبادئ أساسية لفهم القرآن ـ القانون الإسلامي وطرق تنفيذه ـ صياغة موجزة لمشروع دستور إسلامي ـ طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر ـ مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة ـ منهاج الانقلاب الإسلامي ـ المسلمون والصراع السياسي الراهن ـ نحو ثورة سلمية ـ موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه ـ واقع المسلمين وسبل النهوض بهم ـ شهادة الحق ـ شريعة الإسلام في الجهاد والعلاقات الدولية ـ دور الطلبة في بناء مستقبل العالم الإسلامي ـ حول تطبيق الشريعة في العصر الحاضر ـ حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية ـ الحركات الهدامة ـ الجهاد في سبيل الله ـ الإسلام والمدنية الحديثة ـ إلى أي شيء يدعو



المودودي ـ عاصم الحداد ـ عبدالرزاق الصالح

الإسلام؟ ـ تدوين الدستور الإسلامي ـ تذكرة دعاة الإسلام ـ نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ـ قضية كشمير المسلمة ـ وحدة الأمم الإسلامية ـ مسألة ملكية الأرض في الإسلام ـ أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة ـ معضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام ـ الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ـ تفسير سورة الكهف ومريم ـ تفسير سورة النور ـ تفسير سورة الأحزاب.

وكان خاتمة جهوده العلمية المباركة تفسيره للقرآن الكريم الذي أسماه (تفهيم القرآن) وقد تولى أتباعه ترجمة كتبه إلى مختلف اللغات العالمية.

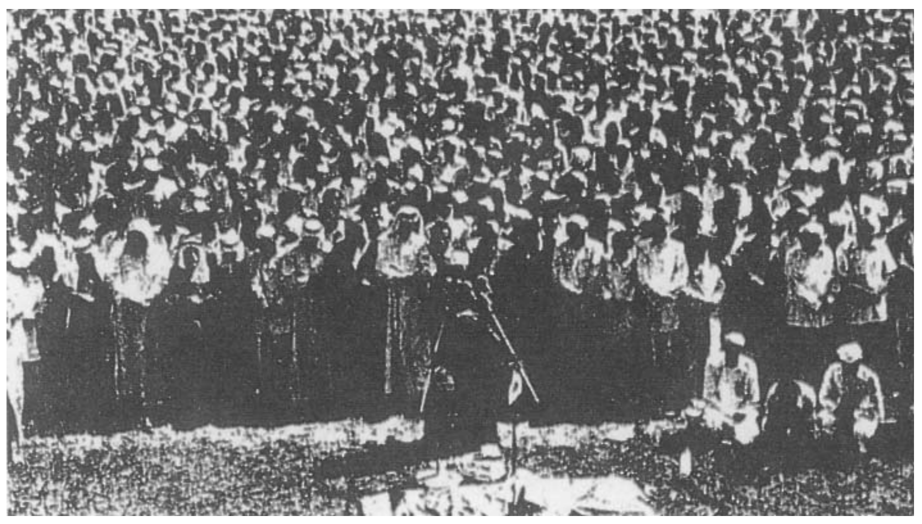
قالوا عنه:

يقول الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه القيم (النهضة الإسلامية في سير أعلامها):

«إن موقف الإمام المودودي من الماركسية، أشهر من أن يُشار إليه، فقد كتب عنها ما صار سلاحاً باتراً لدى كل كاتب إسلامي، لأن علم المودودي الموسوعي، وعقله المبلور، وفكره المستنبط، ونظره العميق إلى شتى حركات الانقلاب في الكتلة الشرقية، مما جعله يضع النقاط على الحروف، والحق أن مفكراً كبيراً من طراز المودودي، يجب ألا تخلو مكتبة في بيت مسلم من مؤلفاته، إذ يعطي المسلم ما لا يجده عند سواه، وكأنه في عطائه الفسيح الزاخر مُؤَيَّدٌ بروح الله» انتهى.

تكريمه:

وقد لقي التكريم الذي يستحقه، حيث إن الخدمات التي قدّمها المودودي في مجال الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي وخدمة الإسلام جعلته الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وهي أول جائزة تُمنح لداعية



جموع المصلين على جنازة المودودي يؤمهم د. القرضاوي، وفي مقدمتهم:
عبدالعزيز المطوع، وسعيد حوى، وسيف الإسلام، وعبدالله العقيل، وغيرهم من محبي المودودي

إسلامي ومفكر. وقد تسلمها بالنيابة عنه ابنه فاروق في حفل كبير رعاه جلالة الملك خالد بن عبد العزيز بمدينة الرياض في شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٩هـ.

وفاته:

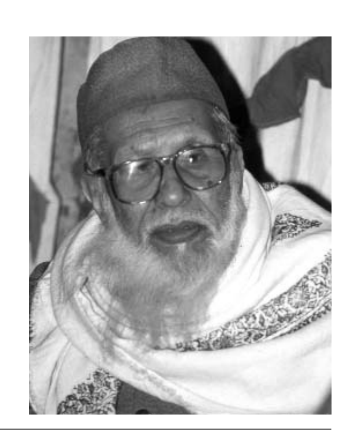
ولقد ذهبتُ إلى باكستان لتشييع الجنازة بعد وفاته في ٢٠ / ١٠ / ١٣٩٩هـ الموافق ٢٠ / ٩ / ١٩٧٩م بمستشفى (بافلد) بنيويورك، وشارك فيها الأستاذ أحمد سيف الإسلام حسن البنا، ود. يوسف القرضاوي من مصر، وعبد العزيز العلي المطوع من الكويت، وسعيد حوى من سوريا، وجمع غفير من أنحاء العالم الإسلامي، حيث أمّ المصلين الشيخ يوسف القرضاوي، فكانت جنازة مهيبة وحشداً هائلاً وموكباً عظيماً، يدل على مكانة الرجل، وتقدير الناس له، والوفاء لجهده وجهاده، في سبيل الإسلام وتبليغ رسالته، والدفاع عن قضايا المسلمين، والتصدي لأعداء الإسلام، من الصهيونيين والصليبيين والشيوعيين والعلمانيين والمنحرفين والهدامين الذين يكيدون للإسلام والمسلمين.

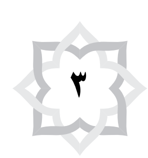
رحم الله أستاذنا العلاّمة المودودي وبارك في آثاره التي خلّفها، وتلامذته الذين ربَّاهم، ونفع الله المسلمين بعلمه، ورزقنا الله وإياه الفوز بالجنة، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وأخيراً:

سُئل الإمام أبي الأعلى المودودي: ماذا أعددت والصعوبات والعقبات أمامك كثيرة، والمخاطر أكثر؟

فأجاب قائلاً: (أعددت للشدة يقيناً، وللمعوقات ديناً، وللظلم صبراً، وللسجون والمعتقلات قرآناً وذكراً، وللمشانق: وعجلت إليك ربي لترضى).





الإمام الرباني السيد الشيخ أبو الحسن الندوي

(١٣٣٣ ـ ١٤٢٠هـ = ١٩١٤ ـ ١٩٩٩م)

مولده ونشأته:

هو العلاّمة الكبير والداعية الرباني سماحة الشيخ علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الحسني. ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ولد بقرية (تكية) بمديرية (رأي بريلي) في الولاية الشمالية بالهند في ٦ محرم سنة ١٣٣٣هـ/ الموافق ١٩١٤م، ونشأ في أُسرة ذات أصل عربي عريق. تعلم القرآن الكريم في البيت بمعاونة أمه التي كانت من المربيات الفاضلات، تحفظ القرآن وتكتب وتقول الشعر، وأبوه هو علاّمة الهند ومؤرخها السيد عبد الحي بن فخر الدين الحسني صاحب المصنفات المشهورة، ومنها (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر في تراجم علماء الهند وأعيانها).

كما كان شديد التأثر بعلماء الهند الكبار: أحمد بن عرفان الشهيد، وولي الله الدهلوي، والسرهندي وغيرهم. وقد وهب الله الأستاذ الندوي همَّة عالية،

وجلداً على تحمل التبعات ونفساً صادقة، وقلباً حياً بالإيمان، ولساناً نظيفاً، وعقلاً كبيراً، وحرصاً شديداً على تربية النشء وإعداد العلماء والدعاة، وكان فقهه الدعوي يرتكز على تعميق الإيمان في مواجهة المادية، وإعلاء الوحي على العقل، وتوثيق الصلة بالقرآن الكريم والسنَّة والسيرة النبوية، وإشعال الجذوة الروحية، والانصراف إلى البناء لا الهدم، وجمع كلمة الأمة لا تفريق صفوفها، واستيحاء التاريخ الإسلامي وبطولاته، ونقد الفكرة الغربية والحضارة المادية، ونبذ القوميات والعصبيات الجاهلية، وتأكيد عقيدة ختم النبوة، ومقاومة الفتنة القاديانية، والتصدي للردة الفكرية، وتأكيد دور الأمة المسلمة في هداية البشرية، والشهادة على الأمم الأخرى، وبيان فضل الصحابة ومنزلتهم لأنهم الجيل المثالي في هذه الأمة، والاهتمام بقضية فلسطين، لأنها قضية المسلمين جميعاً، والعناية بالتربية الإسلامية الحرة التي تستمد فلسفتها من الإسلام، وترشيد الصحوة الإسلامية، والاهتمام بدعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

شيوخه:

وقد تعلم العربية على الشيخ خليل الأنصاري اليماني، واللغة وآدابها من عمّه الشيخ عزيز الرحمن وعمه محمد طلحة، ثم توسّع فيها وتخصص على الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي سنة ١٩٣٠م، كما درس اللغة الإنجليزية والتحق بدار العلوم لندوة العلماء، وحضر دروس التفسير والحديث والفقه للمشايخ: حيدر حسن خان، خليل الأنصاري، شبلي الأعظمي، عبد الرحيم الفاروقي، أحمد علي اللاهوري، حسين أحمد المدني، إعزاز علي أصغر علي وغيرهم.

حياته العملية:

في سنة ١٩٣٤م عُيِّن مدرساً في دار العلوم لندوة العلماء، حيث درس التفسير والحديث والأدب العربي وتاريخه واستفاد من الصحف العربية، حيث عرف

أحوال العالم العربي واستفاد من كتب المعاصرين من الدعاة والمفكرين العرب، وكان يكتب في مجلة «الضياء» العربية الصادرة من الهند، وقام برحلة استطلاعية للمراكز الدينية في الهند، وتعرف على الشيخ عبد القادر الراي بوري، والداعية محمد إلياس الكاندهلوي، وفي سنة ١٩٦١م اختير أميناً عاماً لندوة العلماء، وشارك في تأسيس المجلس الاستشاري الإسلامي لعموم الهند سنة ١٩٦٤م، وتأسيس هيئة الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند سنة ١٩٧٢م، كما كان عضواً في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وعضواً في المجلس الأعلى العالمي للدعوة الإسلامية بالقاهرة، ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئيس المجمع الإسلامي في لكنهؤ (الهند) ورئيس مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية ببريطانيا، وعضواً في مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة والأردن، ورابطة الجامعات الإسلامية بباكستان، وحصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٠هـ، وشارك في المؤتمر الثالث للسيرة والسنَّة النبوية الذي عُقد بالدوحة بقطر سنة ١٤٠٠هـ، كما حاز على جائزة الشخصية الإسلامية الأولى لعام ١٤١٩هـ في دبي.

نشر أول مقال له بالعربية في مجلة «المنار» لصاحبها رشيد رضا سنة ١٩٣١م حول حركة الإمام السيد أحمد بن عرفان الشهيد، وظهر له أول كتاب بالأوردية سنة ١٩٣٨م، وكان أول كتبه بالعربية سنة ١٩٤٠م كتاب «مختارات في أدب العرب» ثم (قصص النبيين) و«(القراءة الراشدة)، وفي سنة ١٩٤٤م بدأ تأليف كتابه المشهور (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟).

منهجه وأسلوبه:

كان يدعو إلى العودة إلى الإسلام في عصر غلبة الأفكار الأجنبية، فواجه الغزو بأسلوب علمي رزين مقنع، وهاجم الحضارة الغربية بأسلوب معتدل جمعَ

فيه بين الأصالة والمعاصرة، فلم يكن يدعو إلى الرفض الكامل للحضارة الغربية، ولا إلى القبول الكامل، وإنما كان منهجه الجمع بين القديم والجديد.

رحلاته الدعوية:

رحلته الأولى كانت في ربوع الهند سنة ١٩٣٩م، حيث طاف في معظم أنحاء البلاد، ثم في سنة ١٩٤٧م كانت رحلته للحج لأول مرة، ثم أتبعها برحلة أخرى سنة ١٩٥١م، عرج بعدها إلى القاهرة، حيث سعدنا بلقائه، وكنا وقتها طلبة في كليات الأزهر: «يوسف القرضاوي، أحمد العسال، محمد الدمرداش، عبد الله العقيل، وياسين الشريف»، وكنا نكثر التردد عليه ونصحبه في زياراته للعلماء والأدباء والمفكرين والأندية والجمعيات، ونحضر محاضراته ودروسه العامة والخاصة، وبخاصة مع جماعة الإخوان المسلمين، التي كان يقضي معظم وقته في لقاءات مع قادتها ومسؤوليها ومفكريها وشبابها وطلابها، ويزور مراكزها في القطر المصري، وقد التقى بمصر بالمشايخ: عبد المجيد سليم، محمود شلتوت، أحمد محمد شاكر، حسنين محمد مخلوف، حامد الفقي، محمد عبد اللطيف دراز، محمد فؤاد عبد الباقي، مصطفى صبري، محمد الشربيني، محمد يوسف موسى، أحمد عبد الرحمن البنا «والد البنا». كما التقى بمفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني، والأمير بطل الريف عبد الكريم الخطابي، واللواء صالح حرب، وسيد قطب، ومحب الدين الخطيب، وأحمد الشرباصي، ومحمد الغزالي، وسعيد رمضان، وصالح عشماوي، وعبد الحكيم عابدين، والبهي الخولي، وأحمد حسن الزيات، وأحمد أمين، وعباس محمود العقاد وغيرهم.

ثم سافر إلى السودان والشام والقدس والأردن، وكانت له لقاءات وندوات ومحاضرات وقد طبعت مذكراته لهذه الرحلة بعنوان: «مذكرات سائح في الشرق العربي»، حيث مكث بمصر ستة أشهر، ثم أتبع ذلك في رحلات أخرى إلى سورية ولبنان وتركيا والكويت والإمارات وقطر وأفغانستان وإيران والعراق

واليمن والمغرب الأقصى والجزائر وبورما وباكستان وسريلانكا وبنجلاديش وسويسرا وفرنسا وبريطانيا وإسبانيا وألمانيا وبلجيكا وأمريكا وكندا وماليزيا وطشقند وسمرقند وبخارى وغيرها.

معرفتي به:

أول معرفتي به كانت بمصر حين زارنا سنة ١٩٥١م، حيث كنت مرافقاً له في معظم زياراته للأشخاص والهيئات والمحاضرات والندوات، وقد فاجأني في أول لقاء بأنه تعرّف عليَّ من خلال كتاب زميله مسعود الندوي (شهور في ديار العرب) الذي حكى فيه عن زيارته للعراق سنة ١٩٤٩م ولقائه معنا في البصرة والزبير مع إخواني عبد العزيز الربيعة وعبد الواحد أمان وعبد الهادي الباحسين وسررت بهذه المعرفة، وسُرّ هو بهذا اللقاء وشرفني في البيت الذي أسكنه بالقاهرة مع زميلي يعقوب الباحسين وتناول طعام الغداء من صنع أيدينا وأثنى عليه.

وقد رافقته في زيارة الغزالي، والبهي الخولي، وسعيد رمضان، وصالح عشماوي، وعبد الحكيم عابدين، وجمعية الشبان المسلمين، والمحكمة، ولقاءات طلبة البعوث بالأزهر، وشباب الإخوان المسلمين، ومكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين، حيث ألقى كلمة فيهم بعنوان: «أريد أن أتحدث إلى الإخوان»، كان لها أكبر الأثر في نفوسهم، وعلق عليها الأستاذ عبد الحكيم عابدين بالثناء الحسن والشكر الجزيل، وبقيت ملازماً له حتى غادر مصر، وكانت تلك من أسعد الأيام، حيث انتفعنا بتوجيهاته وعلومه ونصائحه وخبرته وتجاربه.

ثم تتابعت لقاءاتي معه بعد ذلك في الكويت، حيث زارني في البيت وحضر الندوة الأسبوعية وتكلم عن الإخوان المسلمين، وأثنى عليهم، كما التقيته في السعودية والأردن والهند عشرات المرات ولم تنقطع الصلة به حتى وفاته رحمه الله.

مؤلفاته:

وهي كثيرة جداً باللغة العربية والإنجليزية والأوردية تجاوزت المئة والخمسين كتاباً ورسالة، نذكر أهمها بالعربية هي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ مذكرات سائح في الشرق العربي، الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنَّة، أريد أن أتحدث إلى الإخوان، أحاديث صريحة مع إخواننا العرب والمسلمين، إذا هبت رياح الإيمان، الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية، أسبوعان في المغرب الأقصى، إلى الإسلام من جديد، بين الدين والمدنيّة، تأملات في القرآن الكريم، التربية الإسلامية الحرة، التفسير السياسي للإسلام، حديث مع الغرب، الداعية محمد إلياس الكاندهلوي، رجال الفكرة والدعوة في الإسلام، رسائل الإعلام، رسالة التوحيد، روائع إقبال، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، سيرة خاتم النبيين، السيرة النبوية، شخصيات وكتب، الصراع بين الإيمان والمادية، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، صورتان متضادتان، الطريق إلى السعادة والقيادة، الطريق إلى المدينة المنورة، العرب والإسلام، العقيدة والعبادة والسلوك، في مسيرة الحياة، القادياني والقاديانية، كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز والجزيرة العربية؟ مختارات من أدب العرب، المدخل إلى الدراسات القرآنية، المرتضى: سيرة علي بن أبي طالب، المسلمون في الهند، المسلمون وقضية فلسطين، من نهر كابل إلى نهر اليرموك، موقف العالم الإسلامي من الحضارة الغربية، النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، نظرات في الأدب، نفحات الإيمان بين صنعاء وعمان، أحاديث صريحة في أمريكا، الإسلام والمستشرقون، أضواء على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية، أحمد بن عرفان الشهيد، أمريكا وأوروبا وإسرائيل، ترشيد الصحوة الإسلامية، حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي، الحضارة الغربية الوافدة وأثرها في الجيل، الدعوة الإسلامية في الهند وتطوراتها، الدعوة والدعاة مسؤولية وتاريخ، دور الإسلام

الإصلاحي، دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة، دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته، ربانية لا رهبانية، شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال، صلاح الدين الأيوبي، عاصفة يواجهها العالم الإسلامي والعربي، غارة التتار على العالم الإسلامي وظهور معجزة الإسلام، فضل البعثة المحمدية على الإنسانية، القرن الخامس عشر الهجري الجديد في ضوء التاريخ والواقع، قصص من التاريخ الإسلامي، قصص النبيين، قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم، محمد رسول الله صاحب المنة الكبرى على العالم، المدخل إلى دراسات الحديث، المد والجزر في تاريخ الإسلام، المسلمون تجاه الحضارة الغربية، المسلمون ودورهم، مع الإسلام، موقف المسلم إزاء أسلافه الجاهليين، النبي الخاتم، نظرات على الجامع الصحيح للإمام البخاري، واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه، دراسة للسيرة النبوية من خلال الأدعية المأثورة المروية، أزمة إيمان وأخلاق، الإسلام فوق القوميات والعصبيات، الإسلام في عالم متغير، الإسلام والحكم، الإسلام والغرب، اسمعوها مني صريحة أيها العرب، اسمعي يا إيران، اسمعي يا زهرة الصحراء، اسمعي يا سورية، اسمعي يا مصر، أكبر خطر على العالم العربي قطع العرب عن الإسلام، إلى الراية المحمدية أيها العرب، إلى شاطئ النجاة، إلى ممثلي البلاد الإسلامية، الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها وآفاق المستقبل، بين الجباية والهداية، بين الصورة والحقيقة، بين نظرتين، حكمة الدعوة وصفة الدعاة، ردة ولا أبا بكر لها، رسالة سيرة النبي الأمين إلى إنسان القرن العشرين، إضافة إلى عشرات الرسائل والكتيبات والمحاضرات التي لا يمكن حصرها في هذه العجالة.

من أقواله:

- «يدل التاريخ على أن الظلم كان في بعض الأحيان السبب الرئيس

لانهيار المجتمعات ولاندثار الامبراطوريات، وانطفاء نورها، والقضاء على ما تكوّن فيها من حضارة وثقافة، وما نشأ فيها من ثروة علمية وأدبية».

ـ «إن الإسلام دين حي ورسالة خالدة، إنه كالحياة نفسها، وخالد كخلود الحقائق الطبيعية ونواميس الحياة. إنه تقدير العزيز العليم، وصنع الله الذي أتقن كل شيء. وقد ظهر في شكله النهائي وطوره الكامل وأعلن يوم عرفة: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ [المائدة: ٣] فهو يجمع بين الكمال الذي لا انتظار بعده لدين آخر، ولا حاجة معه لرسالة جديدة».

ـ «لم يكن انحطاط المسلمين أولاً، وفشلهم وانعزالهم عن قيادة الأمم بعدها، وانسحابهم من ميدان الحياة والعمل أخيراً، حادثاً من نوع ما وقع وتكرر في التاريخ من انحطاط الشعوب والأمم، وانقراض الحكومات والدول وانكسار الملوك والفاتحين وانهزام الغزاة المنتصرين، وتقلص المدنيات والجزر السياسي بعد المد، فما أكثر ما وقع مثل هذا في تاريخ كل أمة، وما أكثر أمثاله في تاريخ الإنسان العام، ولكن هذا الحادث كان غريباً لا مثيل له في التاريخ، مع أن في التاريخ مثلاً وأمثلة في كل حادث غريب».

قائمة مشرفة:

ـ «إن لهؤلاء المجاهدين الدعاة المصلحين قائمة مشرفة يتجمل بها تاريخ الإصلاح والدعوة، ولا يخلو منهم زمان أو مكان، وقد كان الإمام الشهيد حسن البنا من هذه الشخصيات التي هيأتها القدرة الإلهية، وصنعتها التربية الربانية، وأبرزتها في أوانها ومكانها، وإن كل من يتعرف على سيرة هذا الرجل، وهو سليم الصدر، مجرد الفكرة، بعيداً عن العصبية والمكابرة، يقتنع بأنه رجل موهوب مهيأ، وليس من سوانح الرجال ولا صنيعة بيئة أو مدرسة، ولا صنيع تجربة أو ممارسة، إنما هو من صنائع التوفيق والحكمة الإلهية، والعناية بهذا الدين وبهذه

الأمة، والغرس الكريم الذي يُهيأ لأمر عظيم ولأمل عظيم، في زمن تشتد إليه حاجته وفي بيئة تعظم فيها قيمته.

إن هذه الشخصية جمع الله فيها مواهب وطاقات هي: العقل الهائل النيّر، والفهم المشرق الواسع، والعاطفة القوية الجياشة، والقلب المبارك الفياض، والروح المشبوبة النضرة، واللسان الذرب البليغ، والزهد والقناعة، والنفس الولوعة الطموح، والهمة السامقة الوثَّابة، والنظر النافذ البعيد، والإباء والغيرة على الدعوة، والتواضع في كل ما يخص النفس.

وقد تعاونت هذه الصفات والمواهب في تكوين قيادة دينية اجتماعية، لم يعرف العالم العربي وما وراءه قيادة دينية سياسية أقوى وأعمق تأثيراً، وأكثر إنتاجاً منها منذ قرون».

قالوا عنه:

المحبون للندوي لا يحصى عددهم، والمتأثرون به على الساحة العربية والإسلامية لا يمكن حصرهم، والذين كتبوا عنه وأشادوا بفضله لا تحيط بهم ذاكرتي وأكتفي بأربعة فقط:

يقول عنه د. عبد القدوس أبو صالح: «تبكي الأمهات والآباء فلذات أكبادهم لما أودع الله في قلبهم من حب وحنان، ويبكي الناس عظماء الأمة، من حاكم عادل في حكمه، أو عالم متفوق في مجاله، أو تقي يشهد له الناس بالتقوى، ولكن قلما يكون في الأمة رجال مثل أبي الحسن، يجمعون بين محبة الناس وتقدير الحكام، وبين التفوق في شتى المجالات، فهو الفقيه المتمكن، والداعية المتفرد، والمربي الجليل، والمفكر الأمين، والخطيب المفوّه، والأديب الذواقة.. إنه الرجل الذي ألقى الله محبته في سويداء القلوب، ووهبه فراسة المؤمن، وحكمة الشيخ المجرب، وتوقد القلب الحي النابض، وتقوى العابد

الزاهد، فلا عجب بعد ذلك أن يكون أمة في رجل، وأن يكون حقاً بركة عصره وفريد دهره».

ويقول عنه الشيخ د. يوسف القرضاوي: «هو شخصية ثرية متعددة المواهب، متنوعة العطاء، فهو إمام من أئمة الدعوة، وعلم من أعلام الإصلاح، ونجم من نجوم الهداية، وجبل من جبال العلم، ورائد من رواد الربانية، وقائد من قادة الإسلام.

كان أحد الرجال الربانيين الذين يدلك على الله منطقهم، ويذكرك بالآخرة سلوكهم، ويزهدك في الدنيا حالهم، وهو بطبيعته رجل معتدل في تفكيره، وفي سلوكه وفي حياته كلها، فهو قديم جديد وهو تراثي وعصري وهو سلفي وصوفي في لين الحرير وصلابة الحديد.

زارنا في قطر، وكان يشكو قلة موارد «دار العلوم» بندوة العلماء، فاقترح عليه البعض زيارة بعض التجار وطلب العون منهم، فرفض الندوي ذلك وقال: إن هؤلاء القوم مرضى ومرضهم حب الدنيا، ونحن أطباؤهم، فكيف يستطيع الطبيب أن يداوي مريضه إذا مدَّ يده إليه يطلب معونة؟»

ويقول عنه الدكتور محمد رجب البيومي: «كان أشد ما يلفتني في سيرة أبي الحسن أنه أشرق في محيط العالم الإسلامي بدراً مكتملاً، فعهدنا بصاحب الفكرة، وعاشق البحث أن يتتبع سنة التطور، فيبدو ناشئاً صغيراً ثم تمر به الأعوام حتى يكتمل نضجه، كما يبدو البدر في أول الشهر هلالاً، ثم يسير نحو الكمال، حتى يكتمل إشراقه في الليلة الرابعة عشرة، ولكن أبا الحسن أصدر كتابه باللغة العربية «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟» في مطلع حياته الفكرية، فكان حدثاً هائلاً في دنيا الفكر، لأنه رجّ القراء رجاً، وكأنه نفخ في الصور فأحيا نفوساً وأشعل أرواحاً، وأخذ الناس يقرؤون مبهورين يخافون أن تنفد صفحات الكتاب».

ويقول عنه الأديب العلاّمة علي الطنطاوي: «قد يشتغل غير العربي بعلوم العربية حتى يكون إماماً فيها، في اللغة والنحو، والصرف، والاشتقاق، وفي سعة

الرواية، بل إن أكثر علماء العربية كانوا ـ في الواقع ـ من غير العرب، ولكن من النادر أن يكون فيهم من له هذا الذوق الأدبي الذي نعرفه لأبي الحسن الندوي، فلو لم تثبت عربيته بصحة النسب لثبتت بأصالة الأدب».

وصيته:

كتب فيما كتب ـ بمكة المكرمة يقول: «اسمعوها مني صريحة أيها العرب: بالإسلام أعزكم الله، لو جُمع لي العرب في صعيد واحد، واستطعت أن أوجه إليهم خطاباً تسمعه آذانهم، وتعيه قلوبهم لقلت لهم: أيها السادة.. إن الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد العربي (ﷺ) هو منبع حياتكم، ومن أفقه طلع صبحكم الصادق، وإن النبي (ﷺ) هو مصدر شرفكم وسبب ذكركم، وكل خير جاءكم ـ بل كل خير جاء العالم ـ فإنما على طريقه وعلى يديه، أبى الله أن تتشرفوا إلا بانتسابكم إليه، وتمسككم بأذياله، والاضطلاع برسالته، والاستماتة في سبيل دينه، ولا راد لقضاء الله، ولا تبديل لكلمات الله، إن العالم العربي بحر بلا ماء، كبحر العروض، حتى يتخذ سيدنا محمد (ﷺ) إماماً وقائدًا لحياته وجهاده، وينهض برسالة الإسلام، كما نهض في العهد الأول، ويخلص العالم المظلوم من براثن مجانين أوروبا الذين يأبون إلا أن يدمروا المدنيّة ويقضوا على الإنسانية القضاء الأخير، بأنانيتهم واستكبارهم وجهلهم ـ ويوجه العالم من الانهيار إلى الازدهار، ومن الخراب والدمار والفوضى والاضطراب إلى التقدم والانتظام والأمن والسلام، ومن الكفر والطغيان إلى الطاعة والإيمان، وإنه حق على العالم العربي سوف يُسأل عنه عند ربه، فلينظر بماذا يجيب؟!»

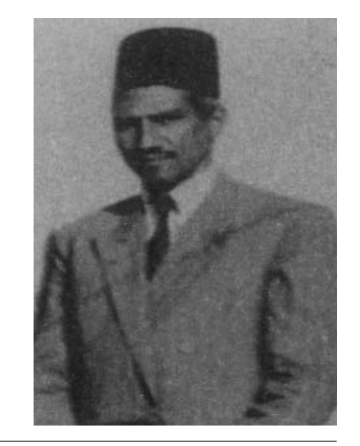
وفاته:

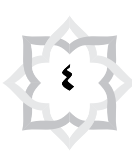
ذلكم هو الإمام الندوي وتلك هي سيرته بإيجاز، غادر دنيانا إلى الدار الآخرة يوم الجمعة ٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ الموافق ٣١ / ١٢ / ١٩٩٩م في قرية (راي

بريلي) القريبة من مدينة لكنهؤ بالهند ـ وكان ذلك قبل صلاة الجمعة، حيث توضأ واستعد للصلاة، وشرع يقرأ «سورة الكهف».

وبوفاته يكون خامس العلماء الكبار الذين فقدتهم الأمة الإسلامية في عام واحد، وهم: علاَّمة الجزيرة الشيخ عبد العزيز بن باز، وأديب الفقهاء وفقيه الأدباء العلامة الأستاذ علي الطنطاوي، والفقيه الكبير المجدد العلامة مصطفى الزرقاء، والمحدِّث الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الرجل الصالح أحمد أنس الحجاجي

(١٣٣٨ ـ ١٣٩٢هـ = ١٩٢٠ ـ ١٩٧٣م)

معرفتي به:

هو كاتب إسلامي عرفته من خلال ما كان ينشره في مجلة (الإخوان المسلمين) الأسبوعية، ثم اطلعت على بعض كتبه التي كان معظمها عن الإمام الشهيد حسن البنا، مثل كتابه القيم (روح وريحان)، الذي تفضل بإهدائه إليَّ أحد الطلبة السعوديين بكلية الطب بجامعة فؤاد بالقاهرة سنة ١٩٤٦م وهو الدكتور يوسف عبدالله الحميدان الذي أصبح فيما بعد وكيل وزارة الصحة السعودية، فقرأته بتمعن وأدركت مقدار تعلق الحجاجي بالإمام البنا، وتتبّعه لتحركاته ومواقفه ومعالجاته للمشكلات في طريق الدعوة بأسلوب سلس وعاطفة جياشة وتصوير دقيق، وتربية حكيمة.

وحين توجهت إلى مصر للدراسة الجامعية سنة ١٩٤٩م، كان الأستاذ الحجاجي من أوائل من التقيتُ بهم، فقد وجدته ملازماً لسيف الإسلام بن حسن



(عبدالله العقيل ـ سيف الإسلام البنا ـ أحمد أنس الحجاجي ـ طالب السامرائي ـ زميل)

البنا، لا يكاد يفارقه، بل يوليه جل رعايته وعنايته، ويبذل كل جهوده ليكون الابن صورة من أبيه، فالشبل من ذاك الأسد وكان الحجاجي يعمل سكرتيراً خاصاً للإمام الشهيد حسن البنا من سنة ١٩٤٠م حتى استشهاد الإمام البنا وأصدر عدة كتب عنه.

ولقد توطدت صلتي بالأستاذ الحجاجي وبتلميذه سيف الإسلام البنا حتى غادرت مصر سنة ١٩٥٤م بعد التخرّج وانقطعتْ صلتي بالحجاجي لوفاته، وتوثّقت أكثر فأكثر بالأستاذ أحمد سيف الإسلام البنا إلى اليوم والحمد لله.

كان الأستاذ الحجاجي كثير الحديث عن الإمام البنا، ومعجباً به غاية الإعجاب، يروي لنا على مدار الأيام القصص والوقائع التي واجهت الإمام البنا، ويذكر من صفاته وأخلاقه ما يحببنا فيه ويشدّنا إليه، ويقول عنه: إنه مجدد العصر وهو رأس المئة، لأن فيه من الصفات القيادية والأخلاق العالية والمواهب النادرة ما لا تتوفر في غيره من معاصريه.



(أنس الحجاجي ـ زميل ـ عبدالله العقيل ـ سيف البنا ـ ـ طالب السامرائي)

ومع أن البنا لقي ربه شهيداً وهو في الثانية والأربعين من عمره، إلاّ أن الأثر العظيم الذي تركه، والذكر الخالد الذي خلفه وعم العالم العربي والإسلامي كله، لم يبلغه أحد من الدعاة المعاصرين رغم قصر عمر البنا ـ رحمه الله ـ.

ويؤكد الحجاجي أن قوة جماعة الإخوان المسلمين تكمن في عبقرية البنا، لأنه كان أهم شيء في الجماعة وليس فيها من يقاربه أو يدانيه، فقد سبق زمانه وفاق أقرانه وكان فريد عصره ورجل أمة.

ومن هنا أدرك المستعمرون خطورته على مصالحهم الاستعمارية فأقدموا على قتله في شارع من أكبر شوارع القاهرة، وهو شارع الملكة نازلي بأيدي عملائهم المرتزقة، وحالوا دون إسعافه، بمنع الأطباء عن نقلهم الدم له، حتى لقي ربه شهيداً يشكو الظلم والجور والبغي والعدوان ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بالله الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [البروج: ٨].

إن الأستاذ الحجاجي، يتميز بصفات الجندية بكل ما تحمل من معان، وبالطبيعة التنفيذية الحيّة، التي تبادر إلى العمل دون إبطاء أو تراخ، وبالأخوة

الإسلامية الحقيقية، التي تسقط من حسابها كل الروابط العرقية واللونية واللسانية، وتقيم مقامها رابطة الدين، وتؤكد في واقعها التكافل والتراحم والتواد والتعاطف مع كل من يقول لا إله إلاّ الله محمد رسول الله خاصة مع العاملين في الحقل الإسلامي والسائرين في ركاب الحركة الإسلامية المعاصرة.

لقد رافق الأستاذ الحجاجي الإمام الشهيد حسن البنا مدّة طويلة، وكان موضع ثقته والمؤتمن على الكثير من أسراره الخاصة، وقد وكل إليه العناية بابنه سيف الإسلام، لكثرة غياب البنا وتنقلاته وأسفاره خارج القاهرة.

وقد عكف الحجاجي على تأليف كتيبات عن الإمام الشهيد حسن البنا، تبرز مواهبه القيادية، وفقهه الدعوي وقدرته التربوية ومهارته السياسية، ومنها كتاب (روح وريحان) و(الإمام) وكتاب (الرجل الذي أشعل الثورة) وغيرها من المؤلفات.

وكانت تلك المؤلفات من الزاد الذي يستفيد منه الإخوة الجدد من الملتحقين بصفوف الدعوة الإسلامية خاصة الشباب في المدارس والمعاهد والجامعات.

وشخصية الأستاذ الحجاجي محبوبة لأنه ودود خلوق متواضع، يألف ويُؤلف، ويحب الخير للناس جميعاً، ويسعى لخدمة الجميع بطيب نفس ورضا.

وكم كان ـ رحمه الله ـ يغمرني وإخواني الطلبة الوافدين إلى مصر للدراسة فيها، بالمعاملة الكريمة والخدمات العامة والأخلاق الفاضلة وطيب الصحبة، بحيث ينسينا أهلنا فلا نشعر بوحدة ولا غربة، بل نعيش في أجواء الإيمان والأخوة الإسلامية الصادقة والحب في الله والعمل لما يرضي الله، فوقتنا موزع بين العبادة والدراسة والدعوة في أوساط الطلبة، وكان دورنا الأساسي مع طلبة البعوث الإسلامية من مختلف أقطار العالم الإسلامي وما أكثرهم في الجامعات المصرية خاصة جامعة الأزهر والمعاهد التابعة لها حيث يبلغون الألوف بمصر.

إن الأخ الحجاجي من النماذج الكريمة التي تربت بمدرسة الإخوان المسلمين وانطلقت بقوة وعزم، تنشر الخير بين الناس وتعمل على هداية الضال، وتقويم

المنحرف وتقريب الشارد وتعليم الجاهل والأخذ بيد المظلوم وعون المحتاج والتصدي للظالم وتبصير الأمة كلها بواجبها نحو دينها، والأخذ بيدها إلى مواطن العزة والكرامة، والقيادة والريادة.

لقد كان للعلاقات الاجتماعية والصلات الشخصية والاتصال بجماهير الناس بالدعوة الفردية والخطابة العامة وتقديم الخدمات لذوي الحاجات، أثرها البالغ في كسب قلوب الكثيرين من الناس والتزامهم جادة الصواب، وانخراطهم في سلك المسلمين الملتزمين وتحملهم أمانة الدعوة وتبليغ الناس الخير، وهذا منهج كان الأستاذ الحجاجي يحرص على الوفاء به والنهوض بتبعاته ودعوة إخوانه إليه.

إن الأستاذ أحمد أنس الحجاجي ظل الصورة المشرقة للنماذج الكريمة التي تخرجت في مدرسة حسن البنا، في أخلاقه وسلوكه ونشاطه وتحركه وفقهه ووعيه، وظل الوفي لشيخه، الذي عهد إليه برعاية ابنه، فكان نعم المعلم والمربي الذي لم يدخر وسعاً في تنشئة الابن سيف الإسلام، وفق ما كان يتمناه أبوه الإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمه الله ـ.

وها نحن اليوم نجد هذا الابن البار بوالديه، الوفي لأستاذه، المخلص لدينه، الملتزم بدعوته، يشق طريقه في الحياة معلياً راية الإسلام سائراً على نفس طريق أبيه ومن سار قبله من السلف الصالح المقتفين أثر الرسول ﷺ الذي كان خلقه القرآن.

إن الأخ الكريم سيف الإسلام بن حسن البنا، من قادة العمل الإسلامي اليوم، وقد تولى منصب الأمين العام لنقابة المحامين على مستوى جمهورية مصر، حيث وصل إلى هذا المنصب بالانتخاب الحر، الذي أبرز ثقة الأمة برجال الحركة الإسلامية، ووفاءها لمن بذر فيها بذور الخير، وأعلن دعوة الحق، وصبر على وعثاء الطريق وأخلص النية لله: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

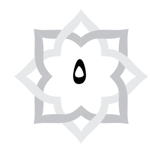
وقد توفي الأستاذ الحجاجي في سجن مزرعة طرة السياسي حيث كان يقضي مدة العقوبة لاشتراكه في نشاط لإعادة وإحياء جماعة الإخوان المسلمين مع مجموعة على رأسها الأستاذ أحمد سيف الإسلام بن الشهيد حسن البنا، كما يزعم طواغيت العصر المعادون للإسلام والمحاربون للدعاة في كل عصر ومصر.

غفر الله لنا ولأخينا الأستاذ أحمد أنس الحجاجي والأستاذ الشهيد حسن البنا ووفق أخانا سيف الإسلام البنا في خطاه لتثبيت دعائم الحق، والتمكين لدين الإسلام، في بلد الإسلام ﴿**وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: ٢١]، والله أكبر ولله الحمد.



المؤلف مع شيخ الأزهر جاد الحق بالقاهرة





الداعية الصابر أحمد البس
(أبو عبدالحميد)

(١٣٣٥ ـ ١٤١٢هـ = ١٩١٥ ـ ١٩٩٢م)

مولده ونشأته:

وُلد أستاذنا الحاج أحمد البسّ سنة ١٩١٥م ببلدة (القضّابة) مركز (بسيون) في محافظة الغربية، وبعد إكماله الدراسة، عمل مدرساً في حقل التدريس ثم مدير مدرسة، ثم موجهاً بوزارة التعليم، وقد التحق بركب جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٣٩م، فعاش كل محن الجماعة، وقضى في سجون مصر ـ سواء في العهد الأسود لإبراهيم عبد الهادي أواخر الأربعينيات أو في عهد طاغية العصر جمال عبد الناصر ـ قرابة ربع قرن من الزمان كان فيها صابراً محتسباً آمناً مطمئناً، لم يهن ولم يضعف ولم يعط الدنية في دينه، وبقي على العهد حتى لقي ربه مأجوراً إن شاء الله.

معرفتي به:

سمعتُ عن الأخ الداعية الحاج أحمد البسّ، ثم التقيته أول وصولي إلى مصر

سنة ١٩٤٩م من خلال إخواني وزملائي أحمد العسّال ويوسف القرضاوي ومحمد الصفطاوي ومحمد الدمرداش، الذين كانوا يشكلون مجموعة من طلبة الإخوان الأزهريين، ويقودون العمل الإسلامي ويتحركون في أوساط الطلبة ويزورون المدن والأقاليم والأرياف ينشرون دعوة الله، ويبشرون بحركة الإخوان المسلمين التي تعمل على إعادة الحياة الإسلامية إلى الواقع المصري، مترسمة خُطا الدعوة الإسلامية الأولى التي جاء بها محمد ﷺ والتي لا صلاح للبشرية بدونها.

ولقد كانت اللقاءات مع أستاذنا أحمد البسّ تتكرر في القاهرة والأقاليم، وتشرَّفت بزيارته في بلدته ودخلت بيته وأكلت من طعامه وتوثقت الصلة به وبتلامذته وأبنائه، كما التقيته بعد خروجه من سجن الطاغية عبد الناصر في مصر بمكتب المرشد العام عمر التلمساني ثم محمد حامد أبو النصر بدار الدعوة وكذا التقيته في السعودية عدة مرات، وكان آخرها حين شرّفني بمكة المكرمة بمنزلي مع ابنه الدكتور عبد الحميد، والأخ الدكتور أحمد العسّال، وكانت أحاديث وذكريات ودروس وتوجيهات وطرائف ومِلح.

يقول الأستاذ جابر رزق في مقدمته لكتاب (الإخوان المسلمون في ريف مصر) لمؤلفه الأستاذ أحمد البسّ ما نصه:

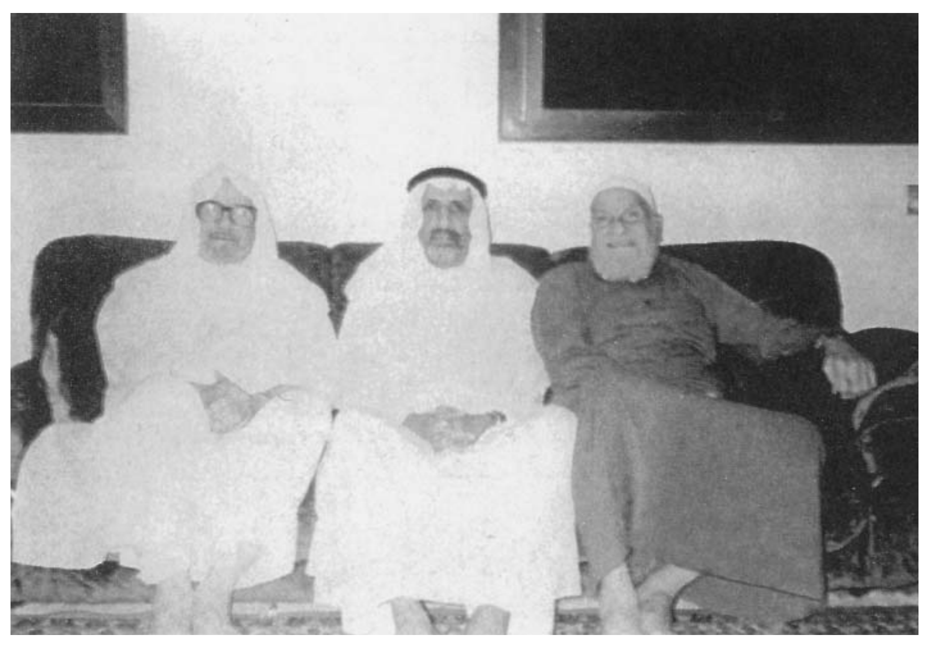
«إن تاريخ جماعة الإخوان المسلمين هو في حقيقته تاريخ هذا الجيل الذي رافق الإمام الشهيد حسن البنا في إقامة هذا الصرح الشامخ، وواصل المسيرة مع الإمام الممتحن حسن الهضيبي، وصابر وثبت على الحق، حتى جاء فرج الله، فخرجوا من السجون والمعتقلات، مرفوعي الرؤوس، لم يحنوا رؤوسهم لطاغية أو لجبار، وواصلوا السير مع المرشد الثالث الأستاذ عمر التلمساني الذي استطاع على مدى الخمسة عشر عاماً الأخيرة، أن يعيد للجماعة وجهها الوضاء ويدحض كل ما ألصق بها من تهم وافتراءات، وأصبحت جماعة الإخوان المسلمين واقعاً فعلياً في الساحة المصرية كأقوى قوة اجتماعية مؤثرة في المجتمع المصري» انتهى.

أخلاقه وصفاته:

لقد كان الحاج أحمد البسّ نموذجاً رائعاً وقدوة حسنة للدعاة، في علمه وخلقه، ودينه وتقواه وسيرته ومعاملته، وكان التواضع والبساطة والكرم والبشاشة، من صفاته التي لا تفارقه، وهي قدر مشترك ينتظم معظم دعاة الإخوان المسلمين، وبخاصة الذين تربوا على يدي الإمام الشهيد حسن البنا ومرافقيه فترة من الزمن، فهذا الجيل له من الأخلاق العالية، والنفوس الكبيرة، والصلاح والتقوى، والصبر والثبات والعمل الدؤوب في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، نصيب كبير وجهد متواصل، وباع طويل، وعمل مُتقبل مشكور بإذن الله.

التحاقه بالإخوان:

وقد أهداني كتابه القيم (الإخوان المسلمون في ريف مصر) الذي تحدث فيه



المستشار العقيل وعن يمينه الحاج أحمد البس... وعن يساره محمد عبدالحميد

عن تاريخ انتسابه للإخوان المسلمين سنة ١٩٣٩م، حيث يقول:

«في يوم من أيام عام ١٩٣٩م خرجتُ من منزلنا بالقضّابة سائراً مع صديق لي هو عبد المجيد الخلالي، فقابلنا الأستاذ محمد إسماعيل حتاتة، الذي أعطانا إعلاناً صادراً عن جماعة الإخوان المسلمين (فرع طنطا) ثم قدم المهندس عبد السلام فهمي، والأستاذ محمود العجمي من الإخوان المسلمين وخطب كل منهما في مسجد من مساجد «القضابة»، وقد التقينا بهما، وسألناهما عن الفرق بين الإخوان المسلمين والشبان المسلمين، وما المقصود بدعوة الإخوان المسلمين.

وحين شرح الله صدورنا اتخذنا مقرنا في البيت في حجرات الضيوف كشُعبة من شُعب الإخوان المسلمين وزارنا فيها الأستاذ عبد الرحمن الساعاتي شقيق البنا ثم انتقلنا إلى مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، حيث اشتركت مع زميلي عبد المجيد في البناء مع العمال، فكانت في الصباح لطلبة تحفيظ القرآن الكريم، وفي المساء لاجتماعات الإخوان المسلمين، وقد زارنا الإمام الشهيد حسن البنا، حيث صلى بالناس العشاء والتراويح، وسألهم كم عدد ركعات التراويح التي يصلون؟ فقالوا عشرين، فصلى بهم عشرين، مع أنه يصلي بالمركز العام بالقاهرة ثماني ركعات، وقد سارت الأمور في القضابة، إلى أن صدر قرار من إخوان طنطا أن أنتقل إلى شعبة (بسيون) للإشراف عليها وكانت تضم حوالي عشرين قرية وبقيتُ فيها من سنة ١٩٣٩م إلى سنة ١٩٥٤م حيث أنشأنا مستوصفاً وفرقة للجوالة ساهمت في مكافحة الكوليرا سنة ١٩٤٧م ومسجداً للصلوات الخمس والجمعة وداراً للسيدات ومدارس الجمعة للأطفال والناشئة ومدرسة ليلية للبنين ولجنة للمصالحات، وفض المنازعات بين الناس، ولجنة الحفلات والندوات، ولجنة تعاونية زراعية وتجارية ونادياً للشباب ومآدب الإفطار في رمضان... إلخ».

ومن توفيق الله له في السجن أنه كان يحفظ القرآن الكريم كله وهو في سن

العاشرة، وقد نسيه، وحين دخل السجن استعاد حفظه كاملاً في أربعين يوماً، وواصل قراءته كل عام سبعين مرة، وظل كذلك بعد خروجه من السجن، بحيث كان يقرأ القرآن الكريم كل عام خمسين أو ستين مرة حتى لقي ربه سنة ١٩٩٢م عسى الله أن يجعل تلاوته للقرآن ذخراً له في السماء.

ثناؤه على الإمام البنا:

ويقول عن أستاذه حسن البنا: «كان مسلماً يمشي على الأرض رأى منه الإخوان كيف يفسّر الإسلام، ويطبِّقه على نفسه، في الأكل والشرب والغضب والرضا، حتى إن الإخوان استفادوا من سلوكه العملي أكثر من سلوكه الخطابي وإن كان الاثنان لا يقلان عن بعضهما، حسن البنا شخصية لم أر مثلها ولعله ممن أشير إليهم أن الله تعالى يبعث على رأس كل قرن من يجدد للأمة أمر دينها».

ثناؤه على الإمام الهضيبي:

وقال عن أستاذه حسن الهضيبي: «رجل عظيم، ومسلم منظم، وقائد حكيم، فُرضت عليه القيادة وهو كبير السن، مريض الجسم، لقد صمد الرجل صمود الأبطال، وضرب المثل المشرف الجميل، وسار بالدعوة يدفعها إلى الأمام، يزور البلاد ويواجه المشكلات ويتعرض للأزمات والدعوة منطلقة من يديه وبمساعدة الإخوة الخلصاء وقبل هذا بتوفيق الله تعالى إلى بلوغ مناها من تجميع وتكوين وتركيز وإصرار، وفي سنة ١٩٥٤م تمّ القبض على ثمانية عشر ألفاً من الإخوان إرضاء للصهيونية العالمية والشيوعية الدولية والرأسمالية الغربية، وحُكم بالإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة وغير المؤبدة، على ألف منهم، وحجز الباقي في السجون والمعتقلات سنين طويلة.

وفي سنة ١٩٦٥م قُبض على خمسة وأربعين ألفاً من الإخوان المسلمين وحُكم بالإعدام والأشغال الشاقة المؤبدة والأشغال على عدد منهم وحجز الباقي في

المعتقلات والسجون سنين طويلة، وأبيد منهم العشرات بل المئات بالتعذيب والضرب بالنار، وقد واجه الأستاذ حسن الهضيبي كل ذلك بصبر واحتساب إلى أن لقي الله عز وجل» انتهى.

في داخل الزنزانة:

يروي الأستاذ الحاج أحمد البسّ عن بعض أحوالهم في السجون فيقول:

«رُميتُ في زنزانة إلى العشاء، ثم دُعيت للتحقيق على يد الضابط (أحمد صالح داود) وأجلسوني تحت قدميه، وأمرتُ بخلع ملابسي جميعاً، وطرحت أرضاً على بطني، وانهال الضربُ على كل أجزاء جسمي، ثم أتوا بالعروسة الخشب وربطوني بها ونقشوا ظهري بالكرابيج، وكانوا يمرون علينا بالأسياخ المحماة ويلمسون أجسامنا حتى تبرد الأسياخ، فيأتون بغيرها حتى صرنا لا نحس بالحرارة، ولكن نسمع صوتها وهي تلمس الظهر أو الكتف أو الإلية، واستمر هذا التعذيب طوال الليل، وفي يوم من الأيام دعونا إلى الخروج من الزنازين إلى ساحة العنبر ثم الصعود مرة أخرى وبسرعة، وهكذا صعود ونزول سريع، مع الضرب بالكرابيج، وكان الجزء الأعلى من جسمي مكشوفاً، لعدم قدرتي على لبس شيء عليه، لأنه يلتصق بالجروح، وفي مرة ونحن نصعد السلم ظنَّ أحد الإخوان أني ألبس ملابسي، فأمسك بظهري ليستعين على الصعود، فقطع جلدي من رقبتي إلى أسفل بأصابعه وقد كان ذلك سهلاً لوجود القيح أسفل الجلد في جميع ظهري فانكشفت عظامي، فأخذني أحد الإخوان الأطباء المسجونين معنا، وأمرني بالنوم على بطني، وأخذ يرد جلد ظهري إلى مكانه، وقال لي الأخ الطبيب: لقد أنقذك الله من الموت لأنني حين أرجعت الجلد إلى مكانه قذفت القيح من تحته، ولو بقي هذا القيح يوماً آخر لوصل إلى صدرك ومت، وإن ما فعله الأخ الممسك بظهرك، كان رحمة من الله بك. وحين رحلت

من السجن الحربي إلى ليمان طرة وجدت قرابة المئتين من الإخوان من بينهم منير دلة وسيد قطب ومحمد يوسف هواش وحسن أيوب وحسن دوح وصالح أبو رقيق وكمال خليفة وغيرهم من الرجال الصابرين.

وفي يوم ١/ ٦/ ١٩٥٧م فوجئنا بحشد من الجنود والضباط، وبكميات من الذخيرة والأسلحة، والعصي والسياط، وكان ذلك عقب إحدى الزيارات حيث أدخل الإخوان الزنازين عصر الأمس وأُخرجوا صباح هذا اليوم وقيدونا بالسلاسل الحديدية، التي تتسع كل واحدة منها لعشرين أو ثلاثين أخاً، وبدؤوا بالسلسلة الأولى التي ضمت عبد الحميد الخطابي وأحمد البسّ وعبد الرزاق أمان، وهكذا تم سلسلة خمسة عشر أخاً، ثم توقف مجيء الإخوان من الزنازين، لأنهم أدركوا أن هذا الأمر لتصفيتهم جميعاً، حين خروجهم للجبل مسلسلين، فما كان من إدارة السجن وعلى رأسها السيد والي إلا إصدار الأوامر بإطلاق النار على الإخوان وهم داخل الزنازين واستمر إطلاق النار قرابة الساعة، وكانت الحصيلة ٢١ قتيلاً، و٢٢ جريحاً، وخشي المنفذون أن يكون أي تحقيق من النيابة فأخذوا يوسِّعون مكان الطلقة بالسكاكين، ليوهموا المحققين بأن الأمر معركة بالسكاكين بين الإخوان أنفسهم، وفي اليوم التالي خرج ٢١ نعشاً ليلاً تحت الحراسة المشددة للدفن، وجاء صلاح الدسوقي ليهنئ قائد السجن السيد والي وزملاءه عبد اللطيف رشدي والنصراني متّى وأحمد صالح داود وعبد العال سلومة وغيرهم، وقال أحد الضباط: إن المذبحة بأمر السيد الرئيس جمال عبد الناصر، لأن الإخوان بالأردن أفسدوا الانقلاب الذي دبَّره ضد الملك حسين، فانتقم من الإخوان المسجونين بمصر مقابل ذلك.

ثم نُقلت إلى سجن القناطر لأكثر من عام وإلى سجن الواحات الخارجة والمحاريق حوالي الخمس سنوات ثم إلى سجن أسيوط وسجن القاهرة قرابة العامين، ثم إلى سجن قنا حوالي الست سنوات....» انتهى.

وهكذا قضى الداعية الصابر فترة زادت على ربع قرن، متنقلاً بين سجون

الطغاة، من سجن إلى سجن، ومن عذاب إلى عذاب، ولكنه عذاب الدنيا، وابتلاء الله لعباده المؤمنين، ليميز الخبيث من الطيب، وتلك سُنَّة الله في عباده المؤمنين: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون﴾ [العنكبوت: ١، ٢].

رئاسة الجمعية التربوية:

وقد تولى رئاسة الجمعية التربوية الإسلامية بعد تقاعده وهي جمعية أقامها الإخوان المسلمون بمصر للاهتمام بشؤون التربية والتعليم في مدارس الإخوان على مستوى الجمهورية، كما كان من نواب الإخوان في البرلمان في انتخابات ١٩٨٧م، حيث اكتسح خصومه في الدائرة الانتخابية، وفاز بفارق كبير بالأصوات على مرشحي السلطة، وكانت مواقفه وإخوانه النواب في المجلس، تمثل نبض الشعب المصري، وصوت الإسلام المدوِّي، وكلمة الحق المجلجلة، في وجه الظلم والطغيان، وتطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، ورفع المعاناة عن الشعب، وتربية النشء وفق منهج الإسلام، والتصدي لأعداء الدين في الداخل والخارج من اليهود والصليبيين والعملاء والمأجورين والملاحدة والشيوعيين والفسقة والعلمانيين.

ثناء إخوانه عليه:

يقول الأستاذ عباس السيسي: «عاش أحمد البسّ حركة الدعوة على اتساعها في الأقطار والأمصار، أكثر من خمسين عاماً نصفها في المعتقلات والسجون، وكان قريباً من الإمام الشهيد حسن البنا، فشرب من أخلاقه وآدابه، وأدرك الأهداف والغايات التي جاء بها رسول الله ﷺ رحمةً للعالمين.

كان متحدثاً يتحلق حوله الشباب ويستمعون إليه بإنصات وشوق ولهفة، فهو مشرق الطلعة، في منطقه نور وحلاوة، وفي حديثه مسحة رطبة ندية، تأصلت من

طبيعته الريفية، وفي ثنايا أحاديثه الرقيقة، يتوجه إلى مكامن الحواس فيوقظها برفق، وهو صاحب قلب كبير يتسع لقلوب إخوانه جميعاً، وكان يتودد إلى الشباب، وينزل إلى مستواهم الفكري والروحي، ليرتفع بهم ويحلّق بهم إلى المستوى الشرعي المستقى من منهج الرسول ﷺ.

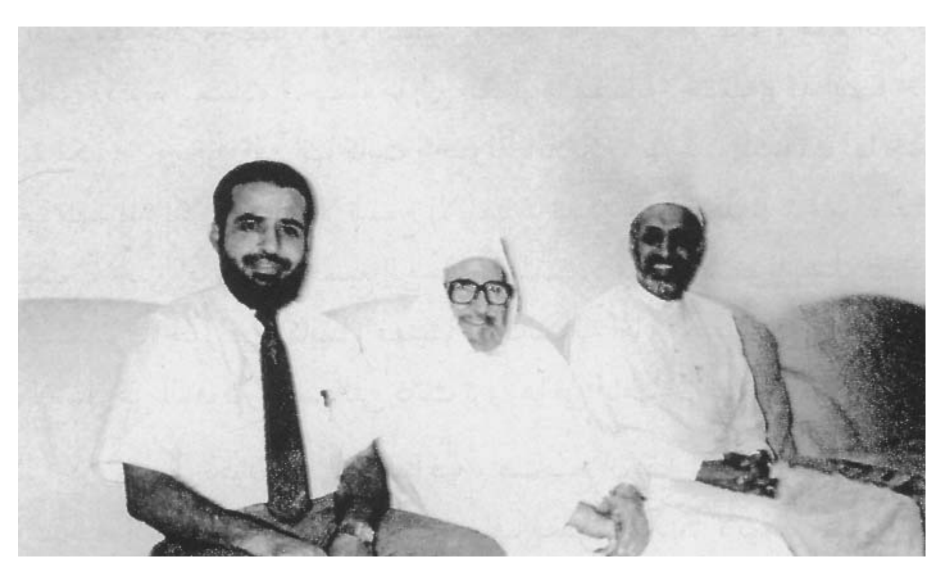
كما كان يشارك الناس عامة في الخدمات التي يقدمها والواجبات التي يضطلع بمسؤوليتها، ويبذر بذور الحب والأخوّة في القلوب والنفوس» انتهى.

إن الأستاذ المربي والداعية الحليم الحاج أحمد البسّ كان له في نفوس الإخوان وبخاصة الشباب والطلاب منزلة ومكانة الأب والموجه والأخ والمعلم، حيث يحبونه غاية الحب، ويستجيبون لتوجيهاته التربوية دونما تردد، ويسيرون في ركاب الدعوة باندفاع وحماسة حيث يرون في أستاذهم القدوة الحسنة، فقد كانت الدعوة إلى الله هي همَّه بالليل والنهار، وقضايا الإسلام والمسلمين، هي شغله الشاغل، وقد وفقه الله لزوجة صالحة ومربية فاضلة كانت السند القوي، الذي يشد أزره، ويؤيد منهج الإخوان المسلمين، وكانت خدمتها لأبناء الدعوة لا تقل عن رعايتها لأولادها الذين وفقها الله لتنشئتهم تنشئة صالحة، على مبادئ الإخوان المسلمين، فكانوا قرة عين للوالدين في البر والوفاء والصبر والثبات.

بيته وأُسرته:

يقول أستاذنا البسّ:

«شاء الله أن أدخل السجن، بسبب انتمائي لجماعة الإخوان المسلمين بعد عشر سنوات من زواجي، وخرجت بعد قضاء هذه المدة الطويلة، بعيداً عنها وعن أولادنا، فوجدت زوجتي أزكى ما تكون زوجة، والأولاد أحسن ما يكونون خلقاً وعلماً وأدباً، وقد أراد الله أن تكون محنتي مصحوبة بالعزة والكرامة، فإيمان هذه الزوجة جعلها ترضى بأن تجوع وتمرض وتسافر وتحزن وتتألم وتسهر



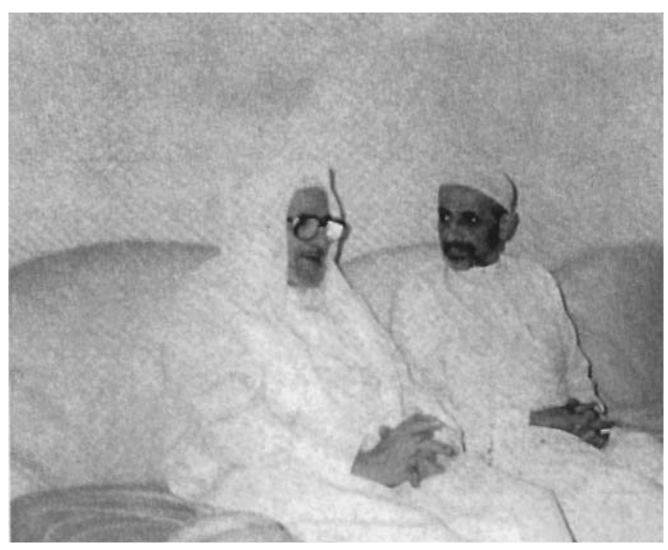
الحاج أحمد البسّ بين المستشار العقيل والدكتور عبدالحميد أحمد البسّ بمنزلنا بمكة المكرمة

وتمشي وتكدح وحدها وسط هذه المحنة الطويلة العريضة العميقة، بعيداً عن أسماع الناس وأبصارهم» انتهى.

توجيهاته لابنه:

كتب الأستاذ البسّ رسالة إلى ابنه الدكتور عبد الحميد ليخبره بوفاة والدته فقال: «.. فلعلّك تذكر وأنتم تزورونني في السجن، وكنت لا أعلم بخبر وفاة ابني خالد، ولا أحد يجرؤ على مكاشفتي، وإذا بك بروح المؤمن الصافي تقول لي: «إن أخي خالد قابل ربه».

وتجدني الآن يا بني عاجزاً كل العجز أن أقوم بالدور الذي قمتَ به، فأقول: أعظم الله أجركم، فقد فاضت روح والدتكم أمس، وهي عليكم راضية ولربها راضية، قد علا وجهها النور والبشر، وتيسّر كل شيء حولها، وجمع الله خير الناس وأكرم العباد، فحملوها إلى مقابر «القضّابة» حيث يرقد ابنها خالد شقيقكم.. ويخيّل إليَّ أنها كانت محمولة بالملائكة، بل كان المشيّعون لها جميعاً



المستشار العقيل يتحدث مع الحاج أحمد البسّ

تحوطهم الملائكة، فكنتَ لا تسمع إلا أنفاساً تذكر الله، وقلوباً تدعو، وأفكاراً تسبّح، حتى إذا وصل الجميع إلى ساحة المقبرة، وقفوا صفوفاً يصلّون عليها ويلتمسون الخير في ركابها، فهنيئاً لمن كانت له أماً، وهنيئاً لكل من عرفها، ولا تسل عن الوفود والأُسر التي كانت تزورها في أيامها الأخيرة.

أرجو أن تكون أهلاً لما ابتُلينا فيه، صحيح أن فقد الوالدة خسارة كبيرة، وصحيح أن فقدها بالذات أضعاف أضعاف فقد الأمهات، لأنها كانت على مثال فريد من النبل والوفاء، ولكن الله تعالى قال لسيد الخلق عليه الصلاة والسلام: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠]» انتهى.

من أقواله:

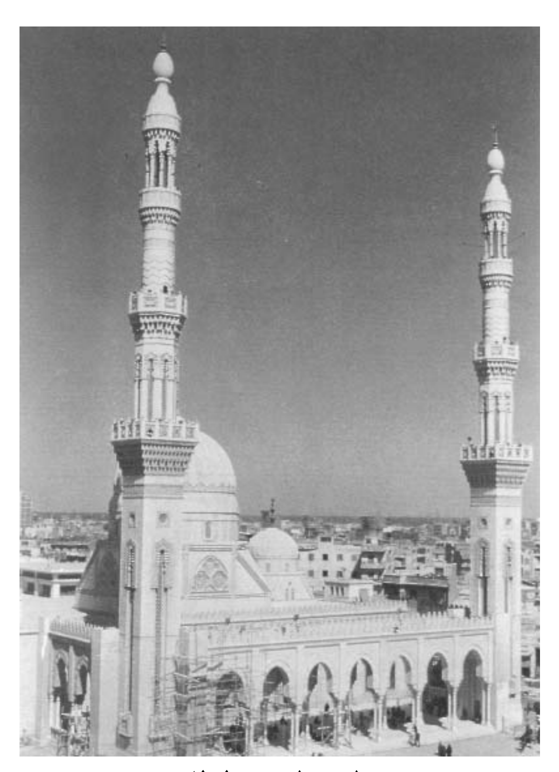
ومن أقوال أستاذنا المربي الكبير أحمد البسّ:

«العبرة دائماً بالنتائج لا بالمقدمات، فكثيراً ما تبدأ الأمور بارتياح وسرور وتنتهي بحزن وألم والعكس بالعكس ومن الأمثلة في الأمور المهمة غزوة بدر

الكبرى التي ابتدأت بأن المؤمنين أذلة وأن فريقاً من المؤمنين لها كارهون وقد ذهبوا للمعركة كأنما يساقون إلى الموت ولا يودون ذات الشوكة، ويجأرون بالاستغاثة ويغشاهم النعاس، وينزل عليهم المطر، ويزحف عليهم العدو، ولكن النتيجة بعد ذلك النصر المبين، فيقتلون من أعدائهم سبعين ويأسرون مثلهم ﴿**ليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا**﴾ [الأنفال: ١٧]» انتهى.

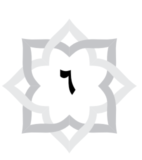
وفاته:

وقد اختاره الله إلى جواره في مصر عام ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، وشُيِّع في موكب مهيب من إخوانه وتلامذته، رحم الله أستاذنا الداعية المربي أحمد البسّ وجمعنا الله وإياه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.



مسجد السيد البدوي بطنطا ـ مصر





الداعية المجاهد أحمد الخطيب
(أبو محمد)

(١٣٣٣ ـ ١٤١٨هـ = ١٩١٤ ـ ١٩٩٧م)

معرفتي به:

معرفتي بالأخ المجاهد العامل الداعية أحمد محمد الخطيب كانت في الخمسينيات، عند أول زيارة قمت بها إلى الأردن، وكنت أسمع عنه قبل لقائي به من بعض إخوانه رفقاء الدرب في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، ومن خلال ما قرأته عن جهاد الإخوان المسلمين في الأردن ضد الإنجليز واليهود، وكان في مقدمة هؤلاء المجاهدين الأخ أحمد الخطيب.

فهو من رجال الرعيل الأول المؤسس لحركة الإخوان المسلمين في الأردن، حيث تأثر بالإمام الشهيد حسن البنا، وأعجب بحركته الإصلاحية وارتبط بها.

أخلاقه وصفاته:

لقد كان ـ رحمه الله ـ مثال الأخ الصادق، والمؤمن العامل، والمجاهد الصابر

الذي فقه الإسلام حق الفقه، وترجم هذا الفقه إلى واقع عملي يعيش فيه وسط الناس، يدرسُ مشكلات المسلمين ويعمل على علاجها، ويجاهد الأعداء بتخطيط وإحكام، وعزم وتصميم، وقد توثقت صلتي به، بحكم الرباط العقدي والعمل الدعوي، والاهتمام بنشر الكتب الإسلامية، وبخاصة رسائل البنا، وكُتب سيد قطب الذي سمى أحد أبنائه على اسمه، وغيرها من الكتب الهادفة التي تنير عقول الشباب، وتبيِّن محاسن الإسلام، وتهيب بالأمة للالتزام بشريعة الله، والتي يعمل على نشرها من خلال (مكتبة الأقصى) وأعمل أنا على اقتنائها وترويجها لدى العاملين في حقل الدعوة الإسلامية.

أذكر أنني وبعض إخواني في أوائل الستينيات احتجنا إلى الرجوع إلى جريدة الإخوان اليومية التي كانت تصدر بمصر أواخر عام ١٩٤٦م، ثم توقفت بقرار الحل في ٨ ديسمبر ١٩٤٨م، فلم نعثر عليها عند كثير من الإخوان، ولكن وجدنا بعض أعدادها لدى الشيخ عبد الرزاق الصالح، والشيخ عبد العزيز العلي المطوع بالكويت، وأكثر الأعداد حصلتُ عليها من الأخ أحمد الخطيب ـ رحمه الله ـ ثم عثرنا عليها كاملة من أول صدورها إلى توقفها لدى مكتبة الجامعة الأمريكية في بيروت.

إنَّ الخُلق الفاضل، والأدب الجم، والصدق، والوفاء، والعمل الصامت الذي يتميز به الأخ أحمد الخطيب كان مثار الإعجاب والتقدير لدى إخوانه ومحبيه، فهو لا يحب الظهور، ويؤثر البعد عن الأضواء، والعمل الهادئ، وهو مجاهد من الطراز الأول، فيه الرجولة والشجاعة، والإقدام والجرأة، لا يتردد ولا يضعف ولا يخاف، ولا يهاب، بل من صفاته الجرأة والإقدام والعزم والتصميم.

مواقف جهادية:

كتب عنه الأستاذ زهير الشاويش في جريدة (الدستور» يقول:

«... نشأ معلماً مع والده القارئ المدرس في المدرسة الابتدائية في «إربد»،

وسار في ركاب ثورات البلاد الشامية على الانتداب البريطاني والفرنسي وعلى الغزو الصهيوني والاستيطاني المدعوم من الإنجليز بالدرجة الأولى، وكان هناك خط لأنابيب النفط مار بالقرب من مدينة (إربد) إلى مدينة (حيفا)، ومنها إلى أول وأكبر مصفاة للنفط على شرقي البحر المتوسط، فقام أحمد الخطيب وإخوانه المجاهدون من السوريين والأردنيين بنسف تلك الأنابيب في الصحراء وفي داخل الأراضي الفلسطينية خلال السنوات ١٩٣٦ ـ ١٩٤١م، وكانت بريطانيا تظن أن هذا العمل قام به ضباط عراقيون أو فلسطينيون تدربوا في ألمانيا بمساعدة الحاج أمين الحسيني، مما أبعد الأنظار عن الخطيب وإخوانه، وحتى اليوم لم يُعلم أن الذي أوقف النفط عن حيفا مرات ومرات كان الأستاذ الخطيب



الجلوس من اليمين: مصطفى الزرقا ـ أحمد الخطيب ـ الدواليبي ـ عبدالحكيم عابدين ـ أبو اليسر عابدين ـ عبداللطيف أبو قورة
الوقوف من اليمين: شريف سعيد ـ عبدالرحمن القطيقاني ـ أحمد الصباغ ـ صالح الأخرس ـ صلاح رجب أكرم ـ أنور الحفار ـ صلاح دعدوش ـ عادل سودان ـ أديب الجهايني... الشاش ـ الكواكبي
وقد التقطت هذه الصورة عام ١٩٤٧م

وصحبه، كما اشترك في معارك شمالي فلسطين في ثورات ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩م، ثم شارك عام ١٩٤٨م في حرب اليهود مع إخوانه عبد اللطيف أبو قورة، وممدوح الصرايرة، ومشهور حيمور وغيرهم في معارك (صور باهر)، و(القدس)، و(القطمون)، وأصيب بشظايا قنبلة ورصاصات رشاش، فأدخل المستشفى الوطني بدمشق للعلاج من آثارها، وبقي فترة طويلة، وبعد الشفاء عاد إلى الأردن ليواصل العمل الإسلامي مع إخوانه محمد عبد الرحمن خليفة، ويوسف العظم وغيرهما....» انتهى.

هذا جانب من جوانب شخصيته الجهادية التي عايشها الأخ الأستاذ زهير الشاويش، وتحدث عنها حديث العارف البصير، ولست أنسى له مواقفه الكريمة في اللجنة التي تشكلت وخططت للعمل الجهادي ١٩٦٨م وأسهمت في إخراجه إلى حيز الوجود، حيث عمل مع إخوانه أبي عمرو وأبي أسامة، وأبي أحمد، وأبي طارق، وأبي بدر وغيرهم وبذلوا الجهود المضنية ليستمر الجهاد ضد اليهود لإزالة اليأس والإحباط الذي كاد يصيب المسلمين نتيجة الهزيمة الكبرى التي تسبب بها الحكام المتسلطون على شعوبهم الذين فرت جيوشهم كالأرانب أمام أبناء القردة والخنازير من يهود.

لقد كان أحمد الخطيب علماً من أعلام الإسلام المعاصرين، ومجاهداً من المجاهدين الأبطال، وداعية من دعاة الإسلام، وقائداً من قادة الإخوان المسلمين في بلاد الشام لا يعرفه حق المعرفة إلا الرعيل الأول، والجيل المؤسس لكبرى الحركات الإسلامية في هذا العصر.

يقول الأستاذ يوسف العظم في جريدة (السبيل):

«كنت في الخمسينيات شاباً في عنفوان الشباب، وكان أحمد الخطيب رجلاً مكتمل الرجولة، راجح العقل يجلس في مكتبته في إربد التي يرتادها الشباب لشراء الكتب وبخاصة الإسلامية، وكان البعض يظنونه مجرد صاحب مكتبة يبيع الكتب، وما كانوا يعلمون أنه كان يلتهم تلك الكتب التهاماً، يغذي بها عقله،



الوقوف من اليمين: عبدالوهاب العرجا ـ أبو صلاح دمشقي ـ عبداللطيف أبو قورة ـ أحمد الخطيب ـ شفيق محمد الأشمر
أما الجلوس فهم: ... فوزي القاوقجي ـ عبدالحكيم عابدين... الشيخ محمد الأشمر

ويمتِّع بها روحه، مما جعل منه رفيق كتاب، حكيم تجربة، فقيه مطالعة، وكان في طليعة الرواد الأوائل العاملين والمجاهدين ضد الحركة الصهيونية والوجود البريطاني في الأردن وفلسطين على حد سواء» انتهى.

إن حركة الإخوان المسلمين المباركة التي أسسها مجدد القرن الرابع عشر الهجري الإمام الشهيد حسن البنا، قد قدّمت الكثير من النماذج الرائعة على مستوى العالم العربي والإسلامي، وكان هؤلاء الدعاة صوراً صادقة عن الإسلام في فقههم وعملهم وجهادهم وصبرهم وصدقهم وإخلاصهم، كما أن آثارها جد واضحة في هذه الصحوة الإسلامية التي تنتظم العالم الإسلامي كله، وهذا الإقبال من الشباب على الإسلام وحمل رسالته، وانتشار الكتاب الإسلامي، والشريط الإسلامي، والزيّ الإسلامي، والبنوك الإسلامية، وعمارة المساجد،

وفتح المدارس الإسلامية والأندية، والنقابات المهنية، والاتحادات الطلابية التي يمثل مكان الصدارة فيها أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة، فضلاً عن هيئات الإغاثة الإسلامية وهيئات الدعوة الإسلامية، وحركات الشباب الإسلامي، والجهاد الإسلامي في فلسطين وكشمير والفلبين وغيرها.

ولا شك أن هذه النهضة الإسلامية تباشير خير لعودة الأمة إلى دينها رغم العراقيل والعقبات التي تصنعها القوى المعادية للإسلام، وإن المعركة طويلة بين الحق والباطل والحرب سجال بين دعاة الخير ودعاة الشر، ولكن العاقبة دائماً للمتقين، وهذا الدِّين سينتصر على أعدائه بإذن الله، إذا أحسن المسلمون التوكل على الله وأخلصوا عملهم لله، وأخذوا بالأسباب التي أمر الله بها عباده المؤمنين.

وما هذه القوافل من الشهداء الذين قدمتهم الحركة الإسلامية المعاصرة إلا دليل على صدقها وأصالتها، وإخلاصها ونقائها، ولن يضيرها أن يسقط البعض أو يتخاذل أمام الترغيب أو الترهيب من قوى البغي والعدوان الذين يريدون القضاء على الإسلام والمسلمين وتجفيف منابع الدين كما يزعمون أو يحلمون، فالإسلام قادم لا محالة، رغم كل الطغاة والبغاة والمتسلطين والمستكبرين، والإسلام دين محفوظ باق بحفظ الله: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾ [الحجر: ٩].

يقول العلاّمة الكبير الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «(المبشرات بانتصار الإسلام) عن المحن التي يتعرض لها دعاة الإسلام في كل مكان وعصر:

«إن هذه المحن الشداد التي تُصب على رؤوس الدعاة إلى الإسلام، والضربات القاسية التي تنهال عليهم من هنا وهناك، ليست علامة ضعف أو موت لدعاة الإسلام، بل هي دليل حياة وحركة وقوة، فإن الميت الهامد لا يُضرب ولا يُؤذَى، إنما يُضرب ويُؤذَى الحيّ المتحرك المقاوم، إن الدعوة التي لا يُضطهد أصحابها ولا يُؤذى دعاتها، دعوة تافهة أو ميتة أو أن دعاتها ـ على الأقل ـ تافهون ميتون، ثم إنّ هذه المحن والاضطهادات برهان على حيوية المبدأ نفسه «مبدأ

الإسلام» فهو يقدم كل حين شهداء في معاركه، يروون شجرته بدمائهم، ويبنون صرح مجده بأشلائهم، وهذه المحن أبلغ مُعَلِّم وأعظم مربٍّ لأصحاب الدعوات باعتبارهم أفراداً تصفو أنفسهم بالشّدة، وتتمحص قلوبهم بالمحنة» انتهى.

كبرى الحركات الإسلامية:

ويقول د. محمد السيد الوكيل في كتابه: (كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري):

«... إن الإمام الشهيد حسن البنا تصدى لكل المفاهيم الخاطئة ووقف يتحداها بإيمان تَنهدُّ أمامه الجبال الرواسي، تحدى الزعماء السياسيين بالمفاهيم السياسية الأصيلة في الإسلام، وتحدى رجال الاقتصاد بالنظم المالية في صريح القرآن، وتحدى علماء الاجتماع بالأسس التي بنى عليها القرآن المجتمع الإسلامي، وتحدى النظريات التربوية أن تصل في أصالتها إلى تربية القرآن، وتحدى حضارة الغرب بإظهار مفاسدها وما جرّته على العالم من الوبال والدمار» انتهى.

ويقول ماجد رسلان في جريدة (اللواء) عن المجاهد أحمد الخطيب:

«كان رحمه الله سباقاً مبرزاً في أعمال البر والإحسان وما أكثرها وأكثر تشعباتها وبخاصة أيام التردي والهوان، كما كان من الذين إذا حضروا لم يُعرفوا، وطالما وقفت الزعامة ببابه تحاوره وتجادله ليتسلَّم قيادها، ولكن جنديته تأباها وتنفر منها وهي تتشرَّف به ولا يتشرف بها» انتهى.

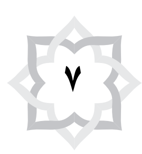
تلك صفحة مشرقة من جهاد الدعوة الإسلامية في الأردن منذ نصف قرن، أسهم في إرساء قواعدها وتسجيل مآثرها الأخ الحبيب المجاهد والمؤمن الصابر أحمد محمد الخطيب وإخوانه الكرام أهل السابقة والجهاد، وهي صفحات مكملة للصفحات المشرقة التي سطرها إخواننا المجاهدون والدعاة المخلصون الصابرون في أرض الكنانة وبلاد الشام والعراق:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وفاته:

ولقد اختاره الله إلى جواره يوم السبت (التاسع من شهر صفر ١٤١٨هـ الموافق ١٤/ ٦/ ١٩٩٧م) وهو في الخامسة والثمانين من عمره، وقد شيّعه إخوانه ومحبوه وعارفو فضله وجهاده في موكب مهيب، ضمّ المئات من داخل الأردن وخارجها، حيث دفن في مقبرة (سحاب) في عمان، رحم الله المجاهد والداعية أبا محمد وأسكنه فسيح جناته وغفر الله لنا وله ونفع الله بآثاره وذريته.





الأديب الصحفي أحمد عبدالغفور عطار

(١٣٣٥ ـ ١٤١١هـ = ١٩١٥ ـ ١٩٩١م)

مولده ونشأته:

هو الكاتب الكبير والصحفي القدير والأديب اللغوي الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار، من مواليد مكة المكرمة سنة ١٣٣٥هـ، بدأ تعليمه في المدارس النظامية، حتى حصل على الشهادة الثانوية من المعهد السعودي في العاصمة المقدسة، ثم أوفدته الحكومة السعودية إلى مصر لاستكمال دراسته في كلية دار العلوم بالقاهرة، فكان يجمع بين الانتظام فيها والاستماع بكلية الآداب في جامعة القاهرة.

ولكن ظروفاً عائلية اضطرته إلى العودة إلى بلده ومع هذا لم ينقطع عن مواصلة التحصيل العلمي ومتابعة الدراسة والقراءة في كتب الأدب والدين واللغة ومختلف المعارف، وقد عمل موظفاً مدة ثلاث سنوات، ثم تحول إلى العمل الصحفي والتأليف، فقد أصدر جريدة (عكاظ) عام (١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م)

اليومية ثم مجلة (كلمة الحق) عام ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م) ولم يتوقف عن التأليف والكتابة في الصحف والمجلات داخل المملكة وخارجها، وكان يكتب مقالات كثيرة تحت أسماء مستعارة مثل: عبدالله، عبدالله مكي، عبيد الحازمي».

وكان من المدافعين عن اللغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ومفتاح فهم الكتاب والسُّنَّة، وقد واجه موجة التغريب التي تجتاح العالم العربي والإسلامي وتصدى لها بكل صلابة وقوة.

وكان كثير القراءة حتى قال عن نفسه: إنه يقرأ في كل يوم أربع عشرة ساعة، وهو موسوعة علمية يرصد كل ما يصدر من المطابع ويتتبع كل ما يُكتب في الصحف والمجلات والكتب، وبخاصة إذا كان له علاقة بالإسلام أو المسلمين أو اللغة العربية، ونال جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م) وأهدى مكتبته إلى مكتبة الحرم المكي وكانت تحتوي على خمسة وعشرين ألف مجلد.

وهو يحظى بتقدير كبير لدى الأدباء والباحثين وكانت له صلة وثيقة بالأستاذ سيد قطب الذي أحبه ووقف إلى جانبه في محنته أمام الطغاة والفراعنة، وقد كتب عنه في مجلته (كلمة الحق) بعد استشهاده يقول:

«إن سيد قطب عنيد في الحق، فهو إذا اعتقد شيئاً أصر عليه، ولا يعتقد إلا الحق، وهو عنيد في كفاحه وجهاده، لا يثني عزيمته وعناده أمر من هذه الأمور التي تحطم الرجال تحطيماً..

وأولى خصال سيد قطب هي الإيمان بالله، فهو يعرف أن قوة الحكومة كبيرة، ولكنه يؤمن أن الله أكبر، وهذا الإيمان يجعل تلك القوة الكبيرة الضخمة، صغيرة وضعيفة، فيكبر عليها بإيمانه أن الله أكبر، ولهذا لم يبال بقوة الطغيان وقوى الفساد، وقوى الشر الكبيرة، ودفعه إيمانه بأن الله أكبر، على الوقوف في وجهها والانتصار عليها» انتهى.

إن الأستاذ العطار رجل مواقف وصاحب عقيدة ومبدأ، سخّر قلمه للدفاع عن

لغة القرآن الكريم، وشهر سلاحه في وجه أعدائها، وأبان خصائصها ومحاسنها وقدرتها على البقاء وصلاحيتها لكل العصور، لأنها ليست لغة جامدة، بل وسعت مطالب الإنسان كلها، كما وسعت كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ، وفي كتابه القيم (الزحف على لغة القرآن) يحدثنا فيقول: «إن الأدباء الذين سبقوا هذا الجيل الجديد، عاشروا القرآن الكريم طويلاً، وعكفوا على قراءته ليل نهار، وهذه المعاشرة الطويلة أكسبت أساليبهم لوناً رائعاً أصيلاً، وجعلتها أساليب وثيقة التركيب سليمة البنيان، وكيف تتهم اللغة العربية بالضيق والعجز وقد وسعت كتاب الله وأحاديث رسوله ووسعت آداب العرب وعلومهم وفلسفاتهم وفنونهم وحضاراتهم ووسعت مطالب الإنسان كلها عندما كان الإنسان سيد الأرض.. فاللغة العربية ليست جامدة في حقيقتها، بل الذي جمدها هم أهلوها وحدهم، الذين حبسوها في قالب لا تستطيع الخروج عنه.

إن الدعاة الحاقدين على الإسلام يريدون إلغاء الأدب العربي.. وإلغاء القرآن الكريم.. وإلغاء الشعر العربي.. وإلغاء الحرف العربي.

إن في المأثورات الشعبية.. ما بعث الإسلام لمحاربته والقضاء عليه، كالأساطير والخرافات والوثنيات والشركيات وما إليها.

أنا لا أدعو لإعدام الحرية، بل أجاهد من أجلها، لأنها هبة الله للإنسان.

ولكني أطلب أن تكون الحرية تحت قوامة الإسلام الذي يصونها من الزلل.

والحرية التي تملي لصاحبها أن يعبث بحريات الآخرين هي حرية حيوان، وليست بحرية إنسان.

إن الازدراء بالأدب العربي خطوة إلى إنكار جميع المثل والقيم.. وقضاء على الحرية والكرامة وخنق لصوت الدين» انتهى.

هكذا كانت مواقف أستاذنا الفاضل أحمد عبد الغفور عطار، وهذا هو أسلوبه الصريح مع هؤلاء المتنكرين لدينهم ولغتهم والسائرين في ركب أعداء الإسلام من حيث يشعرون أو لا يشعرون، لأنهم يرددون كالببغاوات ما يقوله

المستشرقون من افتراءات على القرآن والسُّنَّة واللغة العربية والأدب العربي والشعر العربي.. وبهذا يكون الأستاذ العطار مؤكداً وملتزماً بالمنهج الذي سار عليه أديب العربية بلا منازع الأستاذ مصطفى صادق الرافعي.

كما ينبري العطار متصدياً لأولئك الزاعمين بأن مناهج التربية والتعليم هي مناهج غربيّة ويفند دعاواهم ويبطل مقولاتهم حيث يقول: إن أئمة المسلمين هدتهم تجاربهم وثقافتهم وعلومهم وخبرتهم إلى طرق التربية والتدريس قبل الغرب بمئات السنين، وإن مناهج التربية الحديثة ليست غربيّة ـ كما يظن من لا علم عنده ـ بل هي في جملتها وصميمها مناهج عرفتها التربية الإسلامية، التي أجحف بها الظالمون المنتقصون لأقدار العرب والمسلمين.

إن غرض التعليم إعداد الفرد إعداداً صالحاً للحياة، بحيث يكون قوة من قوى المجتمع وقواعده وأسسه، وبحيث يستطيع أن يواجه الحياة وكل ما فيها من حالات وأحداث ونظم وآراء وثقافات، حتى يوجه السلوك الإنساني توجيهاً صالحاً حسناً، وتنمو الشخصيات وتزكو المواهب وتقوم موازين الخير والفضيلة والحق والجمال في المجتمع.. فالتربية عند المسلمين هي غيرها عند النصارى واليهود والمجوس، والتربية في المجتمع الفاضل المتدين غيرها في المجتمع الذي لا يعترف بدين.

يقول عنه الأستاذ محمد المجذوب في كتابه القيِّم (علماء ومفكرون عرفتهم):

«وقد شاقتني من بحوثه في الأناجيل المختارة، ذلك الجهد الجبار الذي يبذله الأستاذ العطار في تقصي الدلائل وتفلية النصوص والرجوع إلى العديد من المصادر والوثائق.. وإنه لجهد لا يصبر عليه إلا محقق وهب نفسه للعلم ووقف قلمه على تجلية الحقائق.. والحق أن سمة التحقيق والصبر ـ وهذه هي الميزة البارزة في نتاج الأستاذ العطار، سواء كان هذا النتاج كلاماً في الأدب أو آراء في اللغة أو بحثاً في التاريخ أو حديثاً في النقد أو حجاجاً بالفقه مستنبطاً من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ـ سمة تنبئ المتتبع لآثاره، أنه بإزاء طراز لا يكاد يشتبه بسواه من

كُتّاب جيله، فالأستاذ العطار من بقايا الرجال الذين رضعوا أفاويق الثقافة الإسلامية من ينابيعها الأصيلة، إنك لتقرأ كلامه فتحس نفحات الوحي تهب عليك في ألفاظه المنتقاة، وتراكيبه المختارة، ومعانيه المتزنة المؤثرة» انتهى.

لقد أحببت أستاذنا العطار منذ عرفته سماعاً على لسان أبي الحسن الندوي، الذي زارنا بالقاهرة عام ١٩٥١م أثناء الدراسة الجامعية، حيث أخبرنا أنه يحمل رسالة منه إلى الأستاذ سيد قطب، الذي يحبه العطار حباً شديداً ويذكره دائماً بالخير، ويؤكد على الشيخ الندوي بضرورة التعرف عليه واللقاء به، وبالفعل التقى أبو الحسن الندوي الأستاذ سيد قطب بناءً على تعريف الأستاذ العطار، فكان ما كان من توثيق الصلات وزيادة المودة وتبادل الآراء، حيث كتب الأستاذ سيد قطب مقدمة كتاب الندوي (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟).

مواقف مع سيد قطب:

لقد كانت مواقف العطار مع سيد قطب في محنته وسجنه من قبل الطاغوت عبد الناصر، من أكبر المواقف شجاعة ورجولة، فقد سخَّر مجلته (كلمة الحق) للدفاع عنه وعن إخوانه الدعاة، وكانت بينه وبين الشهيد سيد قطب مراسلات حتى وهو في السجن، بل سعى لدى الملك فيصل بن عبد العزيز، كما سعى غيره من العلماء والصالحين بالمملكة كالشيخ ابن باز وغيره لعدم تنفيذ حكم الإعدام بسيد قطب، وذهبت برقية الملك فيصل إلى الطاغية، ولكنه أمر بسرعة التنفيذ وإعدام سيد قطب والجواب على البرقية بأنها وصلت بعد التنفيذ!!.

هذا الموقف الكريم من الأستاذ العطار ليس بالغريب، فلقد سمعتُ من أخي المجاهد أحمد الخطيب صاحب مكتبة الأقصى بالأردن، الكثير من المواقف الرائعة للأستاذ العطار حين التقينا نحن الثلاثة بالمكتبة بعمان يقول: إن الأستاذ العطار من أدباء المملكة العربية السعودية، بل من أدباء العالم العربي الذين لهم

دورهم الثقافي وريادتهم الفكرية ونتاجهم الأدبي واللغوي، فقد أصدر أكثر من سبعة وأربعين مؤلفاً، منها أحد عشر باللغة والأدب ما بين مؤلف ومحقق.

ومن أهم مؤلفاته:

آداب المتعلمين ـ الأناجيل المختارة ـ الزحف على لغة القرآن الكريم ـ كلام في الأدب ـ آراء في اللغة ـ تهذيب الصحاح للزنجاني «ثلاثة أجزاء» ـ الصحاح للجوهري «سبعة أجزاء» ـ ابن سعود وقضية فلسطين ـ أحكام الحج والعمرة من حجة النبي ﷺ وعمرته ـ أريد أن أرى الله بتقديم سيد قطب ـ الإسلام دين خاص أم عام؟ ـ الإسلام طريقنا إلى الحياة ـ الإسلام والشيوعية ـ أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة ـ انحسار تطبيق الشريعة في أقطار العروبة والإسلام ـ إنسانية الإسلام ـ إننا عرب ومسلمون ـ بناء الكعبة على قواعد إبراهيم ـ مكة المكرمة ـ البيان ـ بين السجن والمنفى ـ التربية ـ توحيد إخناتون وثنية وكفر ـ جحا يستقبل نفسه ـ الحجاب والسفور ـ دفاع عن الفصحى ـ خمس دقائق قبل الفطور ـ الديانات والعقائد في مختلف العصور ـ الشريعة لا القانون ـ الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر والموبقات والشرور والعاهات ـ اليهودية والصهيونية ـ مع الكتب والمؤلفين ـ المفتش ـ مع الملوك والرؤساء ـ صقر الجزيرة ـ عائشة أم المؤمنين ـ عروبة فلسطين والقدس ـ قطرة من يراع ـ كتابي ـ قضايا ومشكلات لغوية ـ الفصحى والعامية ـ غزوات الرسول ﷺ ـ لا أُومن بالاشتراكية ـ محمد بن عبد الوهاب ـ محمد رسول الله تحاربه قوى الشر والتخريب ـ مسلمة في سيبريا ـ المقالات ـ المكتبات ـ من نفحات رمضان ـ مؤامرة صهيونية على العالم ـ الهجرة ـ وراء القضبان ـ ورود من كلام ـ وفاء الفقه الإسلامي بحاجات كل عصر.

كما أن له تحقيقات منها:

ليس في كلام العرب لابن خالويه ـ مقدمة تهذيب اللغة للأزهري ـ كشف

الظنون ـ شرح مقصورة ابن دريد لابن هشام ـ الأزمنة لقطرب ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبي العمَيْثل ـ ومجموعة المعاني ـ الصحاح ومدارس المعجمات ـ المسيحية والمسيح... وغيرها كثير مما لا تحيط به الذاكرة.

هذا بالإضافة إلى سيل من المقالات والبحوث والتعليقات والاستدراكات، والمحاضرات والندوات، التي نرجو من تلامذة العطار الحرص عليها، وتقديم الرسالات الجامعية عنها ليعرف الجيل المعاصر وجيل الصحوة الإسلامية قيمتها.

إننا لنفخر بالأستاذ العطار، الذي سخَّر قلمه ولسانه لخدمة الإسلام والدفاع عن القرآن ولغة القرآن، وقدَّم الأدب العربي في ثوبه الإسلامي، ونافح عن الدعاة والأدباء الملتزمين بأدب الإسلام بكل صلابة ورجولة وشهامة ومروءة.

رأي الملك فيصل:

لقد قال له الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود:

«إني والله أعزّك، لأنك أديبنا الكبير».

إن الكاتب الإسلامي الكبير أحمد عبد الغفور عطار، صاحب غيرة على حرمات الإسلام، لا يسكت عن منكر، ولا يرضى بالتصرفات الشاذة لبعض الكتاب في الصحف، بل يتعقَّب سقطاتهم، ويحاول جهد طاقته نصحهم وإرشادهم وتحريك غيرتهم على دينهم وواجبهم نحو أمتهم، فقد كتب يقول: «يعلم الله أنني اتصلت بكل جريدة من جرائدنا ناصحاً وراجياً أن تنصر الإسلام، وتعزّه وتعلي كلمة الله وتشغل نفسها بما يعود عليها وعلى وطننا وعلى أمتنا وعلى المسلمين بالخير... فبعضها يتظاهر بالرضا، وبعضها تأخذه العزة بالإثم».

ميدان الصحافة:

إن اقتحام الأستاذ العطار لميدان الصحافة، هو لخدمة الإسلام والمسلمين

وإعلاء كلمة الله ولهذا كانت عكاظ في زمن توليه إياها، جريدة إسلامية، لم تفتح صفحاتها لأي كلمة أو مقال فيه خروج على منهج الإسلام، أو مسيء للأخلاق، أو مناقض لأدب الإسلام، ولهذا فحين ترك الجريدة، جاءت رسالة عتاب من أحد القراء، فكان جواب الأستاذ العطار للقارئ: «إنني لست مالكاً لعكاظ الآن، ولا دخل لي فيها... فلستُ صاحب امتيازها، ولا رئيس تحريرها، ولا علاقة لي بها».

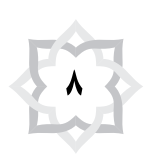
هكذا كان أستاذنا العطار صريحاً في مقالته، صادقاً في لهجته، صلباً في مواقفه، غيوراً على دينه، وظلّ كذلك حتى لقي ربه.

قال عنه أبو الحسن الندوي بعد وفاته:

«أشهد الله سبحانه وتعالى أني وجدته في كل ما قرأت له من كتاباته، متحمساً في الدفاع عن الدين، وشديد الحب والإعظام لمكانة رسول البشرية والسلام ﷺ، وقد كتب آلاف الصفحات في المواضيع المختلفة ولم ينحرف عن المبدأ، ولم يتجاوز حدود الأدب الإسلامي، ولم يتطرق بموالاة الملاحدة والمارقين» انتهى.

نسأل المولى الكريم أن يتغمده برحمته ورضوانه، وأن يسكنه فسيح جناته ويغفر لنا وله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الأخ الداعية

أحمد قطيش الأزايدة

(١٣٦٨ ـ ١٤١٢هـ/١٩٤٨ ـ ١٩٩٢م)

مولده ونشأته:

ولد أحمد قطيش الأزايدة سنة ١٩٤٨م في مدينة (مأدبا) بالأردن ودرس الابتدائية فيها ثم تابع دراسته في كلية الحسين، وتخرج فيها سنة ١٩٦٨م ثم درس المرحلة الجامعية في القاهرة في جامعة «عين شمس» بكلية الهندسة، حيث حصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية سنة ١٩٧٣م، وعمل في وزارة الأشغال العامة من سنة ١٩٧٣م إلى سنة ١٩٧٥م.

وعمل في القطاع الخاص قرابة ثماني سنوات، ثم انتخب رئيساً لبلدية «مأدبا» لدورتين متتاليتين من عام ١٩٨١م إلى عام ١٩٨٩م، ثم انتخب نائباً عن لواء (مأدبا) سنة ١٩٨٩م، وحصل على أعلى الأصوات، وكان عضواً فاعلاً في مجلس النواب الأردني، حيث انتخب رئيساً للجنة الحريات العامة، وناطقاً رسمياً باسم نواب الحركة الإسلامية في المجلس، وكان عددهم اثنين وعشرين

نائباً، ثم اختير عضواً في لجنة الميثاق الوطني، كما كان عضواً في جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، وهو أيضاً عضو في اللجنة التحضيرية لحزب جبهة العمل الإسلامي، وأمين سرها من سنة ١٩٨٩م، وحتى وفاته سنة ١٩٩٢م.

كانت الحياة المعيشية في ريعان صباه صعبة، وكان الناس يعملون في زراعة الأرض وفلاحتها ورعي الأغنام، لتأمين مستوى من العيش يحفظ العائلة ويسد رمقها، وكان واحداً من هؤلاء الذين يساعدون أهليهم في حياتهم وكسب معاشهم.

تعرّف على الإخوان المسلمين أثناء دراسته الثانوية، ثم بعد تخرجه في «جامعة عين شمس» بالقاهرة، عاد إلى الأردن ليعمل مهندساً في وزارة الأشغال.. ثم رئيساً للإشراف الهندسي في شركة خاصة، ثم رئيساً لبلدية «مأدبا» سنة ١٩٨١م، ثم نائباً في البرلمان سنة ١٩٨٩م.

وكان من قادة جماعة الإخوان المسلمين، عرفه الناس جميعاً، متواضعاً كريماً ذكياً حسن الخطاب، يحترم الناس، ويسعى في حاجاتهم، لا يرد سائلاً مهما كانت حاجته، وكان محاوراً بارعاً تشهد له بذلك الندوات والمناظرات العامة، حيث يخطف تأييد الناس لجانبه.

وكان يسعى للإصلاح بين الناس، وفض الخصومات فيما بينهم، ويشاركهم في المناسبات الاجتماعية، فهو السبّاق للتعزية بالوفاة، وعيادة المرضى، والتهنئة بالزواج والقدوم من الحج أو السفر، فضلاً عن زياراته إلى الخارج، حيث الطلبة الدارسون في البلاد الغربية.

حين ابتلاه الله بالمرض العضال، كان من الصابرين على البلاء، والمحتسبين ذوي النفوس الكبيرة، والقلوب المؤمنة بقضاء الله وقدره، والصابرة على امتحانه في السراء والضراء.

لقد كان صورة مشرقة للمسلم الملتزم بالإسلام قولاً وعملاً وسمتاً

وسلوكاً، وكان يتحرك بهذا الإسلام، يدعو الناس إلى الخير، ويجمعهم على الحب في الله، والعمل لمرضاته، وخدمة المجتمع بكل فئاته وأصنافه، والتعاون مع الجميع في سبيل إحياء الأمة، وترشيد مسيرتها، لتنطلق في قافلة الحياة، سائرة على الدرب الصحيح، والمنهج الحق، لأن الإسلام عقيدة ونظام ومنهج حياة.

معرفتي به:

التقيته أول مرة مع الأخ محمد عبدالرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن في لقاء دعوي، نتدارس فيه أحوال المسلمين وأوضاعهم في العالم الإسلامي، والهجمة الشرسة التي يواجهونها من أعداء الإسلام في الشرق والغرب على حد سواء، والذين يكيدون في الليل والنهار، ضد الإسلام كدين، والمسلمين كأمة، وكيف أن الواجب الإسلامي يحتّم على العاملين في الحقل الإسلامي أن تتكاتف جهودهم، وتتوحّد قلوبهم، للتصدي لهؤلاء الأعداء من الخارج والمنافقين من الداخل.

وكانت الآراء التي يطرحها، ذات وجاهة وعمق، والعلل التي كان يشخّص أسبابها، ويرشد إلى طرق علاجها، فيها كل النفع والفائدة للحركة الإسلامية المعاصرة، وبخاصة أنها دخلت تجارب كثيرة في أكثر من قطر، وصمدت صمود الجبال الرواسي أمام الرياح والأعاصير التي تهبّ من الشرق والغرب.

وقدّم الإخوان المسلمون قوافل الشهداء في أكثر من ميدان، وبخاصة على أرض فلسطين، أرض الإسراء والمعراج، وبيت المقدس، وعلى ضفاف النيل في قناة السويس، حيث صارعت اليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي، والمد الشيوعي.

كما ناجزت الاستعمار بكل أشكاله، في جميع بلاد المسلمين في المشرق والمغرب، وأثبتت كل صلابة وشجاعة في مواجهة التحديات الاستعمارية بكل

صورها، ولم تنل السجون والمشانق من رجال الحركة الإسلامية، بل بقيت ترفع اللواء، وتعلن النداء، وتقدم الشهداء.

من أقواله:

«أعتقد أن دور الطلاب في المرحلة المقبلة هو دور «القائد» لا سيما إذا اختلفت الأمور، بمعنى أنه لا سمح الله إذا تراجعنا على المستوى السياسي، أو اضطر المسؤولون أن يتراجعوا عن الموقف السابق، وزاد الهامش بين ما هو مطلوب وما هو ممكن، يكون دور الطلاب دوراً في غاية الأهمية أن يحافظوا على البوصلة لتتجه في الاتجاه الصحيح، وأن يحافظوا على معنوياتهم ومعنويات الناس، وأن يمنعوا الهزيمة النفسية عن قلوب الناس، وإذا لم يمنعها الواعون والمثقفون من الناس والشباب، فأعتقد أن غيرهم أقل قدرة على منعها».

«لست أدري ماذا ينتظر اليهود الغاصبون؟ وماذا يتوقعون لأنفسهم من مصير، بعد كل ما اقترفوا وجنت أيديهم؟ وماذا ينتظرون وقد تجمّعوا من كل أرجاء الأرض، يحملون الحقد والأساطير والسلاح، فقتلوا الأطفال، وبقروا بطون النساء، ودمروا القرى والأحياء، وشردوا شعباً كان آمناً في وطنه، بل وكان يعطي الأمان لكل من يجاوره في بلاده؟

ماذا ينتظر الغاصبون في فلسطين؟! ماذا ينتظرون والأمة التي تواجههم أنزل الله في كتابها ﴿**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود**﴾ [المائدة:٨٢]، و﴿**يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة**﴾ [التوبة:١٢٣]، و﴿**فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون**﴾ [الأنفال:٥٧]، و﴿**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**﴾ [محمد:٤]، و﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين**﴾ [التوبة:١٤]، وعلّمهم نبيّهم أن ذروة سنام دينهم: الجهاد، وأن «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات ميتة جاهلية».

ثم ماذا ينتظرون والأرض التي أقاموا فوقها كيانهم، ومارسوا حقدهم وعدوانهم، هي «أولى القبلتين» وهي مسرى محمد ﷺ، ومهد عيسى وسائر الأنبياء الكرام.. وهي الأرض التي ببركتها بارك الله حولها؟

فيا أيها الغاصبون المحتلون، يا أيها المعربدون، استكباراً وعلواً وعتواً.. أيتها القطعان البشرية المرتحلة من أصقاع الأرض إلى بلادنا الطاهرة بأحقادكم وأساطيركم وأوهامكم في جنة الأرض فيها اللبن والعسل.

يا هؤلاء وأولئك: ليس والله إلا الذبح ينتظركم فوق هذه البلاد.. لو قتلتم كل من في فلسطين، ولاحقتم من شُرد من شعب فلسطين فوق كل أرض، فقتلتموهم ولستم بقادرين على ذلك لو فعلتم كل ذلك ومثله، فلن تجدوا في بلادنا إلا الذبح.. بل إن إمعانكم في البطش والتنكيل، إنما يزيد في الغضب، ويسعّر النار التي سوف تشتعل بكم.

يا أيها المجرمون: إن الأمة الإسلامية كلها وحتى أولئك الذين يسكنون في أقصى ركن من الأرض، ترتحل قلوبهم إلى الأقصى، وينتظرون اليوم الذي يواجهونكم ليموتوا شهداء فوق تراب الأقصى، والأرض الطهور. ورغم كل ما يواجهون من تحديات وصعاب وأخطار، فإن ذلك كله لا ينسيهم الأقصى الأسير.

هل تريدون السلام العادل؟.. إنه ليس له إلا طريق واحد.. أن ترحلوا إلى حيث كنتم.. ليس سوى ذلك إلى السلام من سبيل.

وإن أبيتم، فليس والله إلا الذبح.

ومن أقواله: «إن صراعنا مع اليهود هو حقاً صراع وجود لا صراع حدود، وقضية فلسطين هي قضية عقيدة ودين لكل مسلم. والخطر اليهودي لا يهدد فلسطين فقط، بل هو خطر يهدد الأمة بمجموعها وعلى أكثر من صعيد. من هنا فإن التعامل مع هذا الخطر يتمثل في إعداد الأمة عسكرياً وتربوياً وإعلامياً، لتستعد للوقوف في وجه الخطر، ووضع خطة على مستوى الأمة لاجتثاثه بإذن

الله. ويأتي في مقدمة هذه الخطة دعم الانتفاضة المباركة مادياً وإعلامياً وسياسياً، والعمل على تصعيدها واستمرارها».

ومن أقواله: «اللهم توفني قبل أن أرى الصلح مع اليهود» وقد استجاب الله دعاءه، فاختاره الله إلى جواره قبل معاهدة (وادي عربة) التي عقدها الأردن مع اليهود.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ حمزة منصور: «زحف الشعب الأردني بمختلف شرائحه الاجتماعية، ومناطقه الجغرافية، صوب (مأدبا).. الحافلات زحفت إلى (مأدبا).. السيارات الصغيرة تزحف إلى (مأدبا).. المشاة يزحفون إليها، العيون تتطلع إلى «مأدبا» الأفئدة تطير إلى (مأدبا)، ما سرّ هذا الزحف؟ ما سرّ هذا الموكب الذي أوله في «مأدبا» وآخره في عمان؟ ما سرّ العيون الباكية والقلوب الخاشعة؟ ما سرّ الأيدي المرفوعة نحو السماء؟ ما سرّ الصلاة الممزوجة بالبكاء؟ ما سر الكنائس التي قرعت أجراسها في غير وقت صلاة؟ ما سر رجال الأمن العام وهم يرفعون أكف الضراعة إلى الله؟ ما سرّ تسابق رجال السير لتسهيل مرور الموكب؟ ما سر الصمت المطبق في «مأدبا» إلا من ذكر الله والترحم على الراحل الكبير؟ ما سر هذا؟ إنه الوفاء من شعب الوفاء إلى رجل الوفاء.

لقد أدرك الشعب الأردني الوفي أن الفقيد ليس فقيداً عادياً، إنه من ذلك النوع الذي لا يتكرر إلا نادراً لحكمة بالغة قدرها الله. لقد أدرك هذا الشعب بنظره الثاقب، وميزانه الدقيق، أنه يودع رجلاً ربانياً جعل رسالته في الحياة أن يعطي دون توقف وبلا حساب، لقد أحب الجميع حتى خيّل لكل من عرفه أنه الأقرب إلى قلبه، وأعطى الجميع فلم يبخل بوقته ولا بنصيحته ولا بشفاعته ولا بما ملكت يداه، كان يحس أن إسعاد الناس طريق مرضاة رب الناس، فكان عظيماً في وفائه، فقابله الشعب الوفي بوفاء عجيب».

ويقول الأستاذ سميح المعايطة: «أحمد قطيش الأزايدة، كان رئيساً لبلدية «مأدبا» أكثر من دورة، ونائباً في البرلمان الأردني عام ١٩٨٩م، وناطقاً باسم كتلة نواب الحركة الإسلامية، والشخص الأهم في مسار إنتاج حزب جبهة العمل الإسلامي، وهو شخصية إسلامية وطنية يملك الكثير من مواصفات الزعامة التي تتجاوز حدود الإخوان المسلمين إلى ساحة الأردن، فكان في «مأدبا» محل احترام المسلمين والمسيحيين، البدو، والحضر والمخيم، دقت أجراس كنائس (مأدبا) حزناً عليه.

إذا رأيته يلبس اللباس العربي، وسمعت لهجته، حسبت أنك أمام رجل بدوي لم يدخل مدينة، لكن هذا كان جزءاً من قوته، فهو ابن بيئته، يحمل هويتها، لكنه المهندس الناجح، ورئيس البلدية المميز، وكان رجل التنظيم الإسلامي المحبوب الذي يرى فيه الجميع مستقبل الحركة، وسمات قيادتها، وكان سياسياً قريباً من قضايا أمته، وبخاصة قضية فلسطين، يحبها ويحترمها بعيداً عن صراعات النفوذ، وتجارة المواقع ، وكان رمز الموقف الإسلامي الشعبي الذي قدّم خدمات جليلة للدولة والناس.

كان رحمه الله نتاج مراحل النقاء والإخلاص الإخواني، وكان تربوياً، ورجل تنظيم.

في كثير من المحطات الصعبة أو الانتقالية للعمل الإسلامي يأتي ذكره.. الحريصون على ارتفاع مستوى الأداء، يتمنون وجوده. لقد كان إخوانياً أردنياً، بما لا يخل بفكره الإسلامي، وصدقه مع قضايا أمته، يتحدث بلغة الناس، ويفهم لغة السياسة، لم يتصنّع أو يتكلّف الصدق والإخلاص، بل مارسهما، لم يركب أي موجة، ولم يفقد تواضعه، فخرج من بلدية «مأدبا» بدين مالي ثقيل على كاهله، وخرج من الحياة بسيرة عطرة، وذكرى تحضر عندما تحتاج المراحل إلى القيادة الحقيقية».

ويقول الأستاذ حسن التل رئيس تحرير مجلة اللواء: «كان أحمد الأزايدة

يملك فلسفة خاصة للعمل مع الناس، وبخاصة العمل الدعوي، تجعله يؤديه على الوجه الأكمل، ويحنو على الآخرين، ويلاطفهم، حتى وإن كانوا من خصومه، أو بتعبير أدق، كانوا ممن يخالفونه الرأي في المسائل الخلافية».

ويقول الدكتور إسحاق أحمد الفرحان: «كان نموذجاً للداعية المسلم المفكر العالم الذي يطبّق فقه الآيات على معطيات الواقع لتتفاعل في ضوء النظر لقضايا العصر من منظور إسلامي.

لقد عاش (أبو بلال) حياة مكثفة اختزل فيها الحياة، فمات وعمره بضع وأربعون سنة لكنها حياة مضاعفة مباركة».

ويقول الدكتور فاروق بدران: «إن من يقرأ آثار الأستاذ المهندس أحمد قطيش الأزايدة، يدرك نوعية هذا الرجل، فهو إنسان آمن بالإسلام، فكراً ومنهاجاً وطريق حياة، فكان يدعو الناس إليه، ومن خلال هذه الدعوة كنا نحسّ بصدق انتمائه للإسلام، وحبه لوطنه الصغير، الأردن، والكبير العالم العربي، والأكبر العالم الإسلامي.

هذه الآثار لم تعد ملكاً لأسرته، بل هي ملك الأردن جميعاً، وهي تدوين للفكر الإسلامي الذي يسود البلد، ولذا فقد أصبحت وثيقة مهمة لشخص مهم، هو نائب في البرلمان منتم إلى الحركة الإسلامية «الإخوان المسلمين» ورئيس لجنة الحريات في مجلس النواب، وعضو لجنة الميثاق الوطني.

إلى جانب هذا، يدرك من يقرأ آثار أحمد قطيش الأزايدة، أنه كان فقيهاً، حافظاً للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، مطلعاً على الثقافات المختلفة، قارئاً للتاريخ، ناقماً على بعض خلفاء الأندلس الذين أضاعوها، كثير الاستشهاد ببيتي الشعر عنهم:

مما يزهدني في أرض أندلس ألقاب معتمد فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وفي الوقت نفسه، نجد أحمد قطيش الأزايدة، يحمل هم الأردن، وكيفية النهوض به، ومنع العدوان اليهودي عليه، نجده ينسى همّ المرض، وينسى أن ثلثي معدته قد رماهما الجراح البريطاني، ليبقي له ثلثاً واحداً، نجده ينسى هذا، ويقضي ليله مع مرافقه في الحديث عن هموم الأردن، وسبيل تقويته عسكرياً، لئلا ينقضّ عليه الأعداء، وأثناء ذلك لا ننسى الروح المرحة التي تميز بها في كتاباته ومداعبته لصديقه النائب الدكتور يوسف الخصاونة، إضافة إلى ذلك، نجده شاعراً بدوياً يصف رحلة المرض إلى بريطانيا في قصيدة بدوية طويلة، أجاد فيها وصف الرحلة والمرض والأطباء والممرضات وزملائه في مجلس النواب أمثال الدكتور عبداللطيف عربيات، والدكتور عبدالله العكايلة، وأقاربه وزوجته وأولاده».

ويقول الأستاذ سالم الفلاحات المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن: «كثيرون هم الذين لا يموت ذكرهم بموتهم، لأنهم دخلوا قلوب الناس، وتركوا بصمات عميقة في وجدان من عرفوهم وعاصروهم، ولكنهم لا يطيلون المكث في الدنيا، منهم المرحوم بإذن الله المهندس أحمد قطيش الأزايدة.

خلال سنوات قليلة نجح في فتح باب الحوار مع مختلف الأفكار والاتجاهات والأحزاب، حتى إذا احتاجت الحركة الإسلامية لمحاور كان أولهم وأنجحهم فكان خير سفير.

لم يكن (أبوبلال) في منهجه وطريقة عمله، يعتمد على موقف أو تصنيف محدد يضعه في خانة الاعتدال أو التشدد، ولكنها منهجية مستمدة من تقرير المصالح العامة وإمكانية تعدد الصواب، والقدرة على المعارضة والاختلاف، مع الاستمرار في الحوار والعلاقة الطيبة مع جميع الاتجاهات والناس مهما كانت مواقفهم ودرجة الاختلاف معهم.

ولم تحكمه في عمله مصلحة شخصية، ولم يُذكر أنه استفاد شخصياً من مواقعه وأعماله المختلفة، بل إنها طريقة عمل استهلكت كل ماله الخاص وجهده

ووقته. وكان بعيداً عن خيارات العزلة والتجاهل، أو الانفتاح والتأييد بطريق الاتجاه الواحد. وكان يستمد تأثيره واحترام الآخرين له من التفاته للجمهور العام والناس العاديين الذين كان يسعى لخدمتهم بما يستطيع، ويفتح بابه لهم وينقل همومهم واحتياجاتهم للمسؤولين والمؤسسات دون شبهة مصلحة أو منفعة.

له لسان وجنان يستطيع بهما مخاطبة كل قلب، والتمكن من أسره ببساطة لا تنقصها البلاغة والعمق والوعي، وفي معاصرة وأصالة لا تصطدم إحداهما بالأخرى، إسلامي الانتماء والفكر، لكنه لم يحصر نفسه يوماً في همٍّ حزبي خاص. إذا اختلف المتحاورون لدرجة النزاع والخصام، قال كلمات قليلة هادئة حسمت الموقف، بحيث لا يشعر أي طرف أنه مغلوب في حواره، كان مدرسة في حياته وكان مدرسة في وفاته، حتى تكاد تُنسى المصيبة على عظمها لكثرة المعزّين وتنوعهم من داخل الأردن وخارجه».

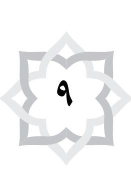
وفاته:

لقد كان يوم ٢٠ ـ ٦ ـ ١٩٩٢م يوم وفاته، يوماً مشهوداً، حيث كانت مدينة (مأدبا) على غير عادتها، فقد أغلقت المحلات أبوابها، وبدأت المساجد بتلاوة القرآن الكريم، والكنائس تدق أجراسها، وكانت الآلاف المؤلفة من البشر تملأ المساجد والساحات العامة، وأكثر من خمسة آلاف سيارة ترافق الجثمان إلى المقبرة.

فكان أحمد قطيش الأزايدة الداعية المسلم حاضراً في قلوب الناس في حياته وبعد مماته.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.





الكاتب الأديب أحمد محمد جمال

(١٣٤٣ ـ ١٤١٣هـ = ١٩٢٤ ـ ١٩٩٣م)

مولده ونشأته:

وُلد بمكة المكرمة سنة (١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م). وتخرج في المعهد العلمي السعودي سنة ١٣٥٩هـ، واختير أستاذاً للثقافة الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة سنة ١٣٨٧هـ ثم بجامعة أم القرى بمكة المكرمة وظل مدرساً فيها حتى وفاته. وكان ذا ثقافة عالية، شغوفاً بكتب الدعاة المعاصرين كالإمام حسن البنا والأستاذ سيد قطب.

وقد اجتمع مع الإمام الشهيد حسن البنا في بيت الله الحرام وما كان يتركه إلاّ لماماً، كما ذكر ذلك الأستاذ علي حسين بندقجي في كتابه (ظلمات ونور).

وكان مشرفاً على سلسلة (دعوة الحق) التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة حتى وفاته. كما كان مشرفاً على مجلة (التضامن الإسلامي) التي تصدرها وزارة الحج والأوقاف إلى ما قبل سنة من وفاته.

سعدتُ به في رحلات ومؤتمرات إسلامية ومنها افتتاح المركز الإسلامي في مدريد بإسبانيا حيث كان موضع التقدير والاحترام من الجميع.

كما كان له نشاط فكري ومقالات في الصحافة المحلية والعربية بصفة مستمرة، كانت الزاد الفكري الإسلامي للشباب المسلم.

وقد اختير عضواً خبيراً في المجمع الفقهي الإسلامي التابع للمؤتمر الإسلامي في جدة.

أول معرفتي به:

عرفتُ الأستاذ أحمد محمد جمال وأخاه صالح محمد جمال في منتصف الأربعينيات الميلادية، حين قرأت الإعلان بمجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية، بأن صالح محمد جمال مطوف الإخوان المسلمين بمصر، وحين توجهت إلى الحج أول مرة سنة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)، زرت المكتبة التي يديرانها واطلعت على محتوياتها، وسرني أن أجد الكثير من كتب الإخوان المسلمين فيها، وجرى بيني وبين الرجلين أحاديث، أدركت من خلالها ارتباطهما بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وعرفت مقدار غيرتهما على الإسلام ودعاته، والحرص على وحدة الأمة الإسلامية وعالمية الإسلام، وتحقيق معنى الأخوة الإسلامية بين الشعوب، والتواصل المستمر لتوثيق العرى بين العاملين والدعاة إلى الله في كل مكان، كما وجدتُ فيهما الصدق والوفاء والحب والتقدير للإمام الشهيد حسن البنا الذي تأثرا به غاية التأثر وأحباه في الله ولله، ووقفا إلى جانب إخوانه وتلامذته.

نشاطه العلمي الدعوي:

إن الأخ الكريم أحمد محمد جمال صاحب قلم سيال، يكتب في موضوعات شتى كلها لخدمة الإسلام والمسلمين، سواء على المستوى المحلي أو العربي أو الإسلامي أو الدولي.

كما أنه عضو فعال نشط له دور كبير في المؤتمرات الإسلامية التي تعقد داخل المملكة وخارجها، حيث يبين حقيقة الإسلام ويبين محاسنه، وينبري للرد على كل الأباطيل التي يثيرها الخصوم عن الإسلام والمسلمين، وكانت له مواقف صلبة في تعرية الطغاة الذين انتصبوا لحرب الإسلام ودعاته في هذا العصر.

والأستاذ له محاضراته ودروسه في جامعة أم القرى، فضلاً عن المحاضرات التي يلقيها في سائر أنحاء المملكة العربية السعودية بالجامعات والمعاهد والأندية وغيرها، كما أن له مؤلفات كثيرة جداً، في موضوعات إسلامية متنوعة، وله اهتمام بتربية الشباب وتوجيه الخطاب لهم من خلال الدروس والأحاديث والكتب والمقالات لأنه يعتبرهم العنصر الذي سيتولى زمام الأمور فيما يستقبل من الأيام، فيجب علينا أن نعنى بتنشئته النشأة الإسلامية الصالحة وأن نعطيه مزيداً من الجهد والرعاية، وأن نراعي السن التي هو فيها، والثقافة التي يحتاجها، وأن نحسن عرض الإسلام بالأسلوب المحبب على جرعات متدرجة، لأن الرسول ﷺ كان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم والملل، فكيف بمسلمي اليوم، وخاصة الشباب؟!!

أخلاقه وصفاته:



كان الأستاذ أحمد محمد جمال له ابتسامته المشرقة التي لا تفارقه حتى في أحرج الأوقات، كما أن فيه من صفة الوفاء لإخوان الصدق، قدراً كبيراً وشأناً عظيماً، بل إن أسلوبه في الحوار ممتع وجميل، لا يصخب ولا يجهل ولا يتطاول ولا يتعالم، بل يعرض وجهة النظر التي يؤمن بها، بأسلوب حكيم وطريقة لبقة تشد السامع إليه، وتؤثر فيمن يحاوره مستفهماً

أو متشككاً أو مجادلاً، فلا يملك الطرف الآخر إلا التسليم بوجهة النظر التي طرحها الأستاذ جمال دون أي حرج أو غضاضة للأسلوب البارع في فن الحوار الذي سلكه الأستاذ جمال والأدب الجم والكلام الطيب الذي يظلل أجواءه.

مواقفه:

إن مواقف الأستاذ جمال في المؤتمرات الإسلامية العالمية تتسم بالصدق والوضوح والجرأة في الحق والانقضاض على الباطل وتصديع أركانه حتى ينهار.

وكانت الجولات الإسلامية التي يقوم بها في أنحاء العالم الإسلامي من خلال رابطة العالم الإسلامي أو غيرها ذات مردود طيب وأثر فعال، لأنه يقدم عرضاً صادقاً لأوضاع المسلمين الذين زارهم، ويشفعه بالمقترحات اللازمة لعلاج مشكلاتهم وحل معضلاتهم، بحيث يستفيد المسلمون من هذه الزيارات الفوائد الجمة التي تعود عليهم بالخير الكثير.

ولن أنسى للأخ أحمد جمال ترحيبه بي حين التحقت برابطة العالم الإسلامي، كما لا أنسى الزيارات التي أسعدني بها والمؤلفات التي يواليني بها تباعاً، وكنت أبادله وداً بود، وحباً خالصاً في الله ولله، لما أعرف من سابقته وسابقة أخيه صالح في الوقوف إلى جانب الدعاة أيام المحن التي تعرضوا لها على أيدي الطغاة في بعض الأقطار، ومساعدتهم مادياً ومعنوياً، وبذل قصارى الجهد لرفع الظلم والحيف الواقع بهم، والشفاعة لدى الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود في تفريج كربة المكروبين ودفع الأذى عن المظلومين والعمل على فك أَسر المعتقلين ومساعدة الأُسر والمحتاجين.

إن صالحاً وأحمد جمال كانا من أعيان مكة المكرمة المشهود لهم بالخير والفضل والاستقامة والسمعة الطيبة والسيرة العطرة لدى القريب والبعيد، وقد كان فقد كليهما خسارة للعمل الإسلامي في كل مكان حيث بكاهما محبوهما

داخل المملكة وخارجها لما لهما من أياد بيضاء ومواقف صادقة ورجولة صلبة لا يملك الإنسان حيالها إلا الاعتراف لذوي الفضل بفضلهم، وخاصة في هذا الزمن الذي قل فيه أنصار الحق وكثر الملق والنفاق وطغى الزيف والزخرف على الجوهر النفيس.

ومع هذا كله فإنني مهما كتبتُ عن الأخ أحمد محمد جمال فلن أستطيع أن أفيه حقه، ولقد قرأتُ الكثير مما كتبه الأوفياء في الصحف السعودية عن الرجل وجهاده ونشأته وسيرته، غير أن الجانب المهم ـ وهو تعضيده للحركة الإسلامية المعاصرة والاتصال برموزها في أنحاء العالم الإسلامي ـ لم يتطرق إليه الإخوة الكتّاب لذا آثرت إبرازه والتنويه عنه. ولقد حدثني الأستاذ عمر التلمساني المرشد العام للإخوان المسلمين ـ رحمه الله ـ عن زيارة أحمد جمال له بمكتبه بالقاهرة والحديث الذي دار بينهما والغيرة الصادقة على الدعوة والدعاة التي أبداها الأستاذ أحمد جمال ـ رحمه الله ـ واستعداده لبذل كل جهد مستطاع في صالح الإسلام والمسلمين، خاصة في مصر الشقيقة التي يعتبرها العالم الإسلامي القلب النابض، وفيها نشأت أكبر حركة إسلامية معاصرة انتشرت في مصر والعالم العربي والإسلامي كله.

توفي في الإسكندرية ودفن بمكة المكرمة يوم (٩ / ١٢ / ١٤١٣هـ).

صدرت عنه كتب ومقالات لمؤلفين كثيرين منها:

ـ مقال (أحمد جمال... وفقد العلماء) بقلم: عاصم حمدان.

ـ كتاب (أحمد جمال: رجل الدعوة والفكر) لمؤلفه: زهير كتبي.

ـ كتاب (الأديب المكي: أحمد محمد جمال) لمؤلفه: محمد علي الجفري.

ـ كتاب (أحمد محمد جمال: الداعية، النسر، الأديب) لمؤلفه: محسن باروم.

ـ دراسة (أحمد محمد جمال شاعراً) بقلم: محمد قطب عبد العال.

ولقد رثاه الشاعر محمد ضياء الدين الصابوني في قصيدة منها:

نبأ سرى فأثار كامن مهجتي وغزا فؤاداً لم يكن متحمِّلا

إن النوائب في الحياة كثيرة وأجلّها فَقْدُ الحبيب معجلا
يا(أحمد) والفضل فيك سجيّة قد كنت في دنيا المعارف منهلا
أسفاً عليك بكل عين أدمع أسفاً على أدب رفيع قد جلا
ولقد عرفت بك الأخوة سمحة بل كنت في دنيا الأخوة مشعلا
أبكي الشمائل والفضائل والنهى أبكي الأخوة والوداد الأكملا
ما مات من ترك المآثر بعده ما مات من كان الأديب الأمثلا

من مؤلفاته:

أدب وأدباء.
استعمار وكفاح.
الإسلام أولاً.
الاقتصاد الإسلامي.
أوصيكم بالشباب خيراً.
تاريخنا الإسلامي لم يُقرأ بعد.
تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل.
الجهاد في الإسلام: مراتبه ومطالبه.
خطوات على طريق الدعوة.
دين ودولة.
رفقاً بالقوارير.
سعد قال لي.
الشباب: دراسات ولقاءات.
الصحافة في نصف عمود.
الطلائع (أعاد طبعه بعنوان وداعاً أيها الشعر).

عقود التأمين بين الاعتراض والتأييد.
فكرة الدولة في الإسلام.
في مدرسة النبوة.
القرآن الكريم: كتاب أحكمت آياته.
القصص الرمزي في القرآن الكريم.
قضايا معاصرة في محكمة الفكر الإسلامي.
كرائم النساء: أمثلة من أمجاد الأمومة.
ليشهدوا منافع لهم.
ما وراء الآيات.
مأدبة الله في الأرض.
ماذا في الحجاز؟
مأساة السياسة العربية.
مبادئ ومثل.
مجتمعنا العربي كما ينبغي أن يكون.
محاضرات في الثقافة الإسلامية.
مسؤولية العلماء في الإسلام.
مع المفسرين والكتّاب.
مفتريات على الإسلام.
مكانك تحمدي.
من أجل الشباب.
من كشمير إلى فلسطين وخطر الصهيونية والصليبية على الإسلام.
مهمة الحاكم المسلم.
نحو تربية إسلامية.
نحو سياسة عربية صريحة.

نساء وقضايا.

نساؤنا ونساؤهم.

وداعاً أيها الشعر.

يسألونك.

رحم الله الأخ الكريم أحمد محمد جمال وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجازي عباده الصالحين، وحشرنا الله وإياه في مستقر رحمته مع الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الداعية المجاهد د. أحمد محمد الملط

(١٣٣٧ ـ ١٤١٥هـ = ١٩١٧ ـ ١٩٩٥م)

مولده ونشأته:

وُلد في شهر ديسمبر سنة ١٩١٧م في بلدة (القطاوية) مركز أبو حمّاد بمحافظة الشرقية في مصر، وتعرّف على دعوة الإخوان المسلمين منذ كان طالباً في المرحلة الثانوية وانتظم في صفوفها وقد حصل على بكالوريوس الجراحة سنة ١٩٤٦م وكان رئيس البعثة الطبّية للإخوان المسلمين في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م، اعتُقل سنة ١٩٤٩م في قضية السيارة الجيب وأُفرج عنه سنة ١٩٥١م. وفي سنة ١٩٥٤م حصل على دبلوم الجراحة كما حصل على زمالة الجراحين الملكية من بريطانيا، ثم اعتُقل في عهد الطاغية عبد الناصر سنة ١٩٥٤م وسنة ١٩٦٥م وخرج من السجن في ١٩٧٣م. تولى منصب نائب المرشد العام للإخوان المسلمين.

معرفتي به ولقاءاتي معه:

أول ما عرفته عنه من خلال قراءتي لمجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية عام ١٩٤٦م في عددها الخاص عن الجامعة ونشاط الإخوان فيها، وبخاصة كلية الطب، فقد كانت المقالات المنشورة فيها لكل من: د. أحمد الملط، ود. حسان حتحوت، ود. سيد الجيار، ود. عوض الدحة، ود. عبد الرحيم عمران ود. خطاب.. إلخ ثم قرأتُ عن جهاده في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ومشاركته مجاهدي الإخوان المسلمين، ومعه الإخوة الأطباء المذكورون وغيرهم، ثم التقيته بمصر بعد ذهابي للدراسة الجامعية سنة ١٩٤٩م، حيث أُصبت بالدوسنتاريا سنة ١٩٥١م، فذهب بي أحد الإخوة إليه للعلاج، فوجدت فيه من النبل والخلق والرجولة فضلاً عن العلم والكفاءة، ما حمدت الله عليه وشكرته على نعمائه، حيث وجد أمثال د. أحمد الملط في الحركة الإسلامية، وأدركتُ أن تربية الإمام الشهيد حسن البنا قد صاغت هذه النماذج الرائعة وفق منهج الإسلام المستقى من الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة.

ثم تكررت اللقاءات به في الكتائب والرحلات والندوات والمحاضرات والأُسر والاجتماعات طيلة فترة الدراسة الجامعية، مما زادني به معرفة، وله محبة، حيث رأيت فيه عزة المؤمن وصلابته وصدقه وصراحته، كما وجدت فيه الحب الصادق لإخوانه، والإيثار على نفسه، والبذل والتضحية والفداء والتفاني في العمل، والإخلاص في المودة، وكان يولي الطلبة الوافدين من خارج مصر عناية خاصة، وما زلت أذكر حين زرته في عيادته بصحبة أحد الإخوان المصريين للعلاج من جراء مرض ألمَّ بي وثقلت وطأته عليّ، فسرعان ما شفاني الله على يده، حتى إنني احتفظت بوصفة الدواء (الروشتة)، وأطلعت عليها أولادي حينما كبروا، وحدثتهم عن هذه الشخصية العظيمة، ثم جاءت محنة الطاغوت الفرعوني، فشن الحرب على دعاة الإسلام بمصر، وفتح السجون والمعتقلات، وتعرض الإخوان المسلمون في السجون لأقسى أنواع التعذيب التي لا تخطر

على بال، حيث استخدمت كل الوسائل الخسيسة، التي استوردوها من جلاوزة الشيوعيين، وعتاة النازيين، وزاد عليها سدنة الفرعون، ما تفتقت عنه عقول الزبانية، وجلاوزة النظام أمثال: صلاح نصر، وشمس بدران، وحمزة البسيوني، وصفوت الروبي، وعبد العال سلومة، وأحمد راسخ، وسعد عبد الكريم، وحسن كفافي، وفؤاد علاّم، وأحمد صالح، والسيد والي، وعبد اللطيف رشدي، ومتّى النصراني، وأحمد أنور، وجمال القاضي، وإسماعيل همت، وعلي شفيق، وفريد شنيشن، ومحمود عبد المقصود.. وغيرهم.

مواقفه وصلابته:

إن الدكتور أحمد الملط قمة من القمم الشامخة، لا يكل ولا يمل من العمل ليل نهار داخل مصر وخارجها، يصول ويجول في كل ميدان، ولا يتكاسل عن أي عمل يكلف به، أو يُطلب منه، وهو صاحب إصرار ودأب، وصلابة في قول الحق، وإخلاص في أداء العمل، وهو منظم دقيق صارم لا يتهاون في الخطأ ولا يرضى الكسل أو التراخي أو التردد، وشجاع مقدام يقتحم الميادين دون تهيب، كما أنه كريم سمح مضياف، لا يدع زائراً من الإخوان إلى مصر إلا ويدعوه إلى بيته، وكم من مرة استضافني وإخواني القادمين معي في زياراتي إلى مصر، ولقد سعدتُ بلقاءاته في أوروبا وأمريكا ودول الخليج وشرفني في بيتي بالكويت أثناء زياراته المتكررة مرات ومرات، كما تحدث في ندوة الجمعة حديثاً أعاد للنفوس ثقتها بنصر الله، وهون من شأن الطغاة المتسلطين على شعوبهم، وبشّر الإخوان بقرب الفرج، وأن الدائرة ستدور على الباغين من الظالمين وأعوانهم، ولن ينفعهم الشرق ولا الغرب ولا اليهود ولا النصارى، فعباد الله المخلصون المتوكلون على الله هم الذين سيزيلون دولة الباطل ويحطمون غرور المستكبرين بالأرض، ولكن عليهم الأخذ بالأسباب وإخلاص النية، وحسن التوكل على الله والالتزام بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وأن حركة الإخوان المسلمين التي عمّت

أرجاء العالم وأقبل النشء الجديد عليها، هي الأمل المرتجى للمسلمين في كل مكان لإنقاذهم مما هم فيه من ضعف وهوان لأن الله غايتها، والقرآن دستورها، ومحمداً ﷺ قدوتها، والجهاد سبيلها، والشهادة أمنيتها.

وإن هذه الدول الكبرى والقوى العظمى ومن يلوذ بها، ليست بشيء أمام عباد الله المجاهدين الذين يؤثرون ما عند الله على ما في الدنيا كلها، ويرخصون النفس والنفيس في سبيل مرضاة الله تعالى القوي العزيز.

وقد بذل د. الملط جهوداً جبارة مع إخوانه: كمال السنانيري، ومصطفى مشهور، وصلاح شادي، وعباس السيسي، ومحمد سليم مصطفى.. وغيرهم في جولاتهم في البلاد العربية والإسلامية والدول الغربية، حيث التقوا بالإخوان القدامى والجدد، ووثقوا الصلة بهم، وحثوهم على استمرارية العمل، ومضاعفته وتنشيطه، فكانت هذه الصحوة المباركة، التي التقى فيها الجيلان: تلامذة البنا وتلامذتهم، فانطلق العمل الإسلامي بقوة وعزم، وحكمة وأناة، واستمر البناء في العلو، بعد أن أُحكم الأساس، وثُبتت القواعد، وتميز الصف، فكان كالبنيان المرصوص.

قالوا عنه:

يقول الأخ جابر رزق في كتابه (مذابح الإخوان في سجون ناصر): «فبالرغم من الإجهاد الشديد الذي أثمرته عملية غسيل المخ للإخوان المسلمين، حتى شحبت وجوههم، ونحفت أجسادهم، وصاروا كالأشباح، إلا أن الإخوان كانوا يحرصون على قيام الليل، ويحرصون على الصوم تطوعاً، ويتنافسون ويتسابقون في حفظ القرآن وتلاوته وتدارسه، ويتمثلون بجيل الصحابة رضوان الله عليهم، لقد كانت فترة السجن الحربي هي الذروة التي وصل إليها الإخوان في طاعتهم لربهم، وتوكلهم عليه، ولجوئهم إليه، وكانت التقوى - بحق - الزاد الذي يتزودون به، وأذكر أن الدكتور أحمد الملط كان يردد كثيراً الأثر الذي

يقول: «أحكم السفينة فإن البحر عميق، وخفف الحمل فإن العقبة كؤود، وأكثر الزاد فإن السفر طويل، وأخلص العمل فإن الناقد بصير» انتهى.

في موسم الحج:

لقد غيبت السجون الطبيب الماهر والأخ الداعية الكبير د. أحمد الملط قرابة عشرين عاماً مع إخوانه المجاهدين الأبطال فلم نلتق به، حتى جاء حاجاً مع الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين، وكان ذلك في موسم حج ١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م، حيث كانت الاجتماعات المكثفة لمسؤولي الإخوان في جميع أنحاء العالم، مع الأستاذ الهضيبي وإخوانه، وكانت ثمارها طيبة مباركة وهو أول لقائي بالدكتور الملط بعد خروجه من السجن، ثم زرت القاهرة مع الأخ عبد العزيز الناصر (أبو أيمن) للعلاج عام ١٩٧٥م، وكانت فرصة نادرة التقينا فيها بالأخ الكبير د. أحمد الملط وإخوانه، حيث استفدنا من علمهم وتجربتهم، وأكبرنا فيهم هذا الثبات والصبر والمثابرة، التي لولا تربية الإمام البنا ومدرسة الإخوان المسلمين ـ بعد توفيق الله ـ لما بقي للإسلام أثر في مصر، بعد هذه المحن المتلاحقة، والحرب الشرسة، من الأعداء في الداخل والخارج على حد سواء، لقد ثبتهم الله فصبروا وصابروا ورابطوا، وما ضعفوا وما استكانوا، بل ظلوا على الحق ثابتين، وبأخوة الإسلام متمسكين، ولمرضاة الله عاملين، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

واستأنف الإخوان نشاطهم بقيادة مرشدهم الثالث الأستاذ عمر التلمساني الذي قاد السفينة بحكمة وعقل وحلم وأناة، حتى استطاعت أن تبدد كل الشبهات والأكاذيب التي كانت تطلقها أبواق الفرعون الهالك وبطانته السيئة.

تأسيس الجمعية الطبّية:

لقد شارك د. أحمد الملط في تأسيس (الجمعية الطبّية الإسلامية بمصر) وأقام

العلاقات بينها وبين نظيراتها في العالم العربي والإسلامي والغربي، وعقدت المؤتمرات، وأنشأت الكثير من المستشفيات والمستوصفات في داخل مصر وفي الخارج، بأفغانستان، والصومال، والبوسنة والهرسك، وغيرها، كما ساهمت في تخفيف الكوارث من الأمراض والزلازل والحروب، وكانت لها إسهاماتها المتميزة في الداخل والخارج، ولن ينسى له الشعب الأفغاني زياراته المتكررة، وإقامته الطويلة، وإيفاده البعثات الطبية المتلاحقة المقيمة والمتنقلة، التي كان لها دور كبير في مداواة جراح المجاهدين وعلاج مرضى اللاجئين، وإيوائهم وخدمتهم، وقد ربى جيلاً ضخماً من الأطباء المسلمين العاملين في مختلف الميادين، والذين برزت شخصياتهم القوية في نقابات الأطباء بفروعها المختلفة، ومن خلال نشاطهم في أفغانستان والبوسنة والهرسك وغيرها.

إن أستاذنا الدكتور أحمد الملط لم يكن طبيباً فحسب، بل هو مربٍّ من الطراز الأول، حيث له من الفقه الدعوي، والنشاط الحركي، والتربية الروحية نصيب وافر، وحظ كبير، وكم له من نظرات عميقة في تحليل الوقائع والأحداث، وتقويم الأفراد والجماعات، وهو رجل دائم الذكر والدعاء، وتلاوة القرآن، لا يترك ورده القرآني اليومي، ولا الأدعية المأثورة في الصباح والمساء، ويكثر الدعاء لأساتذته ومشايخه، وإخوانه العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، ويسعى لإصلاح ذات البين، متعاوناً مع أستاذنا الداعية الكبير الحاج حسني عبد الباقي الذي يعتبر الرائد في هذا المجال ـ رحمهما الله جميعاً ـ.

إن الأخ الحبيب والداعية المجاهد والطبيب الناجح د. أحمد محمد الملط من الرجال القلائل الذين صمدوا في المحن المتعاقبة التي أصابت الحركة الإسلامية المعاصرة، وكان مثال العبد الصابر المؤمن بقضاء الله وقدره، الذي واجه المحن كلها برباطة جأش، وإيمان راسخ، وتوكل على الله العظيم.

في بيت الله الحرام:

ولقد أكرمه الله بالحج إلى البيت الحرام أكثر من مرة، وقد نوى إحدى الحجات عن الإمام ابن حزم الظاهري لأنه لم يحج كما أنه قل أن تفوته عمرة في رمضان، حيث الاعتكاف وتلاوة القرآن، والدعاء للمسلمين، والنظر في شؤونهم، وتوجيه العاملين في الدعوة الإسلامية، وشحذ هممهم لمضاعفة الجهد فيما يرضي الله تعالى.

إن الأخ الكريم الداعية أحمد الملط ثمرة ناضجة من غرس الإمام الشهيد حسن البنا، وإن سيرته العطرة، ومواقفه الصلبة، وثباته على الحق، وعمله الدؤوب.. ليدل على أن هذه الكوكبة من الرجال المؤمنين هم الذين يكتبون التاريخ بجهادهم لا بأقلامهم، ويعيشون الإسلام بأعمالهم لا بأقوالهم، ويعملون لإرضاء الله لا يخافون في الله لومة لائم، ولا يرهبون السلطان لأنه إلى زوال، ودعوة الله باقية.

يروي الشهيد عبد الله عزام في كتابه (حماس: الجذور التاريخية والميثاق) فيقول: «حدثني الدكتور أحمد الملط قال: كنت مع الإمام البنا، إذ دخلت عليه امرأتان تصيحان تقولان: يا بنَّا، أنت آثم لأنك تأخذ أولادنا وتريدنا أن نأكل الطوب (التراب) إذ كان عماد عيشنا فداناً من الأرض يجره ثور وحمار، فقام ابننا (عبد السلام عجلان) وباعهما وهو الآن في السيارة التي أمام دار الإخوان المسلمين متوجهة إلى فلسطين. فأرسل الإمام البنا إليه، وقال له: نحن لا نريدك أن تذهب إلى فلسطين، وإذا بعبد السلام عجلان يستشيط غضباً ويرد على الإمام البنا بقوله: إن كنت تظن أنني ذاهب إلى فلسطين لإرضائك فأنت واهم؛ أنا ذاهب لنيل الشهادة في سبيل الله ودخول الجنة. ثم خرج من دار الإخوان وركب السيارة، فأمر الإمام البنا بإنزاله من السيارة، فنزل وركب عبد السلام في المواصلات العامة. وكم كانت دهشة الإخوان أن وجدوه ينتظرهم على القنطرة فاضطروا لأخذه.

وقال الدكتور أحمد الملط: لقد أرسل وراءنا سليمان عزمي باشا (مدير الهلال الأحمر المصري) وقال: اطلبوا ما شئتم من المرتبات لأننا أعلنا في الصحف نطلب أطباء برواتب مغرية فلم يتقدم أحد قال أحمد الملط: «وكنا ثلاثة أطباء من الإخوان: د. حسان حتحوت، ود. خطاب، وأنا) فقلنا: لا نريد إلاّ الطعام والمأوى فقال سليمان عزمي: ولكننا نكتب لكل طبيب دية تسلم عند استشهاده لمن يريد، ثم سلمونا نحن الثلاثة أوراق الدية وقيمتها (ثلاثة آلاف جنيه مصري) وكان للجنيه آنذاك قيمة كبيرة إذ كان ثمن رغيف الخبز مليماً واحداً.

فكتب د. أحمد الملط: (ديتي تسلم لحسن البنا) وعندما ودع د. الملط الأستاذ البنا أفصح له بأن ديته تدفع له، فانفجر باكياً وشاركه البكاء مصطفى السباعي» ـ انتهى.

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه (حكايات عن الإخوان): «إن غاية الإخوان المسلين من دعوتهم هي تغيير العرف العام في الأمة نحو الإسلام، فهماً وسلوكاً وحركة، ولا يبدو هذا التغيير واضحاً، إلا بشيوع الفكر الإسلامي وانتشاره، ولا تتضح معالم هذا الفكر إلا إذا كانت له مظاهر عملية واضحة تعلن عن نفسه، فالفكر بلا حركة، روح بلا جسد، فالحركة تجسيد للفكر، وإعلان عن وجوده، حقيقة وعملاً، وهي دليل فاعلية الفكر، وأثره وتأثيره، فالأخ المسلم كتاب مفتوح أينما سار، فهو دعوة متحركة أو دعوة بالتفسير والتوضيح» انتهى.

نعم.. لقد كان د. أحمد الملط وإخوانه المجاهدون الصابرون دعوة متحركة يرى الناس فيها الصورة المشرقة المضيئة التي تعيد سيرة السلف الصالح من الدعاة المسلمين، والعاملين الصادقين، الذين حملوا راية الإسلام، وجاهدوا في سبيله، وأعلوا كلمة الله، وحرروا العباد من سيطرة الطواغيت.

يقول الأستاذ حسن الهضيبي ـ المرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمين ـ حين سمع الإمام حسن البنا يخطب: «كم من خطب كثيرة سمعت، كنت أتمنى

كل مرة أن تنتهي سريعاً، ولكن هذه المرة كنت أخشى أن يسرع البنا بإنهاء خطبته، لقد مضت مئة دقيقة، جمع فيها قلوب السامعين في راحتي يديه، وهزها حيث أراد، وانتهى الخطاب وأعاد إلى مستمعيه قلوبهم ما عدا قلبي فقد بقي في يديه» (كتاب الدعوة إلى الله حب).

لقد ظل الدكتور الملط يجاهد ويتحرك في كل مكان لجمع كلمة المسلمين وخاصة العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، ويوصيهم بالاستمرار في بذل الجهد من أجل الإسلام والمسلمين، ولم يمنعه كبر السن، ووطأة المرض في القلب من كثرة الأسفار في سبيل الله، وآخرها زيارة إخوانه المبعدين من فلسطين في مرج الزهور بجنوب لبنان رغم تقدّم سِنّه ووهن صحته وقد كان يتمنى أن يلقى الله وهو في ساحة الجهاد.

وفاته بمكة المكرمة:

وقد ختم الله حياته الحافلة بالجهاد، حيث اختاره إلى جواره، بعد الفراغ من مناسك الحج عام ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، وصُلي عليه بالمسجد الحرام، ودفن في مكة المكرمة، رغم أمنيته في أن يدفن بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم.

ثناء إخوانه عليه:

قال عنه رفيق دربه المرشد العام الخامس الأستاذ مصطفى مشهور:
«.. صديق العمر ورفيق الطريق على مدى نحو خمسين عاماً، رفيق الجهاد والكفاح، المقاتل بالسلاح لأعداء الإنسانية والإسلام من اليهود والصهاينة في القدس واللد والرملة وسائر بلاد فلسطين الحبيبة ولحلفائهم المستعمرين الإنجليز على أرض القنال، ثم الصابر المحتسب عشرات السنين في سجون الظلم والاضطهاد، ثم المكافح بالكلمة الصادقة والعبارة الصريحة الشجاعة



د. أحمد الملط بين د. عبدالمنعم أبو الفتوح وعبدالله المطوع (رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت)

الباذل للمال عن سعة وبغير حساب في سبيل الله، الأخ الدكتور أحمد الملط، نائب المرشد العام للإخوان المسلمين» انتهى.

وقال عنه **رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت الأخ عبدالله علي المطوع**: «ودّعت الحركة الإسلامية قبل أيام الدكتور أحمد الملط نائب المرشد العام للإخوان المسلمين، الذي كان علماً من أعلامها، ونجماً من النجوم الذين حملوا لواءها، وانتظموا في صفوفها منذ أكثر من ستين عاماً.

عرفتُ الدكتور أحمد الملط منذ فترة طويلة، فكانت روح الشباب وهمتهم وطاقتهم هي دأبه منذ عرفته وحتى لقي ربه مخلصاً لدعوته صابراً على المحن التي تعرّض لها طوال حياته، والسجون التي دخلها في عهود الظلمة والطواغيت سواء في عهد فاروق أم عبد الناصر، فكان يخرج من كل محنة ومن كل معتقل أصلب عوداً مما دخل، وأمضى عزماً مما كان، ومع أنه كان طبيباً جراحاً ماهراً إلا أنه كان صاحب قلم فيّاض ويد سخية معطاءة، فكان مجاهداً بماله ونفسه وقلمه



عبدالعزيز المزيني ـ عبدالعزيز النمر ـ يوسف الحجي ـ عبدالله العقيل
أثناء محاضرة الشيخ أبو الحسن الندوي بجمعية الإصلاح بالكويت سنة ١٩٦٨م

في سبيل الله، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، شارك في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م ضد اليهود وهو شاب يافع، وخرج من المعتقل في السبعينيات ليواصل دعوته وجولاته في أوروبا وأمريكا وشرق آسيا والعالم العربي ليبلغ الدعوة وينصر الدين، حتى حين كبر سِنّه وأدركته العلل كان يصلح بين الأفغان، وزار المبعدين الفلسطينيين في مرج الزهور، وزار المحاصرين في سراييفو اختاره الله إلى جواره عقب أداء مناسك الحج ودفن بمكة المكرمة..» انتهى.

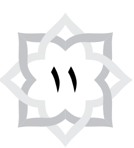
وقال عنه الشيخ محمد عبدالله الخطيب: «... أجدر الناس بالخلود، ذلك الرجل الذي يحرص على مصلحة أمته، فهو يعيش لها لا لنفسه، إنه يسهر من أجلها، ويحرص على سلامتها، ويسعى لأمنها وراحتها، إنه يربط مصيره ومستقبله بالحق الذي قامت عليه السموات والأرض، ماذا أخذ فقيدنا من الدنيا؟ أخذ منها جسداً طالما تحمل الآلام والتعذيب، والسجون والمعتقلات، أخذ منها

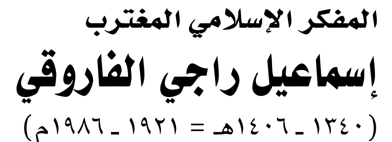
محناً متوالية، وشدائد يرقق بعضها بعضاً لم يحرص على منصب أو جاه، ولم يتزلف لأحد، وإنما وضع بين عينيه ثقل التبعة وخطرها والأمانة وأعباء الطريق، ووقوفه بين يدي القاهر الذي لا تخفى عليه خافية؛ وإن قلباً تسكنه مخافة الله جدير أن يحمل صاحبه على التعالي على حطام الدنيا، والارتفاع فوق كل ما يرهب وما يخيف، فكل شيء دون ما عند الله هباء.

كان فقيدنا عليه الرضوان من ذلك النوع الفريد الذين وهبهم الله رصيداً عظيماً من معرفة الحق، والثبات والصبر على تكاليفه، فكان إيمانه بالله عز وجل وثقته به، ويقينه بوعده، ورعايته لأوليائه شيئاً عظيماً، يسري في كيانه كله، ويملك عليه أقطار نفسه، كان يقول الحق ولو كان مراً، وكان يصرّ على أن الثبات على أمر الله هو الرصيد المذخور وهو برهان الخير وأمل النصر» انتهى.

نسأل الله تعالى أن يتقبله في عداد الصالحين والدعاة والصابرين وأن يجمعنا وإياه مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.







المفكر الإسلامي المغترب

إسماعيل راجي الفاروقي

(١٣٤٠ ـ ١٤٠٦هـ = ١٩٢١ ـ ١٩٨٦م)

مولده ونشأته:

ولد إسماعيل راجي الفاروقي في مدينة (يافا) بفلسطين، سنة ١٣٤٠هـ ـ يناير ١٩٢١م. درس الحقوق في الجامعة الأمريكية ببيروت، وفي كلية الحقوق بالقدس.

عمل في الحكومة الفلسطينية أيام الانتداب، حيث كان حاكماً (محافظاً) للواء الجليل، وبعد عام ١٩٤٨م، سافر إلى أمريكا لإتمام الدراسة، فالتحق بجامعة (إنديانا) ثم جامعة (هارفارد) وحصل على درجة الماجستير من كل منهما، كما حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٥٢م، وبعد الدكتوراه ذهب إلى الأزهر بمصر، فقضى ثلاث سنوات يتردد على قاعات المحاضرات والمكتبات هناك.

نشاطه العلمي والعملي:

عمل أستاذاً للفكر الإسلامي الحديث في جامعة (ماكميجل) في (مونتريال) بكندا سنة ١٩٥٨م، وفي سنة ١٩٦١م، دعته حكومة باكستان للعمل أستاذاً ومدير بحث في المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية، الذي أسسته خصيصاً لتقديم المشورة الإسلامية للحكومة في شتى دوائرها، وبعد عامين من العمل في باكستان عاد إلى أمريكا للتدريس في جامعة (شيكاغو)، ثم جامعة (سراكيوز)، ثم جامعة (تمبل) وهناك أنشأ قسماً خاصاً لدراسة الدين الإسلامي وحضر مؤتمر التعليم الإسلامي الأول في مكة المكرمة، وكان له دور في دعم إنشاء (اتحاد الطلبة المسلمين) في أمريكا سنة ١٩٦٢م، وإنشاء (رابطة العلماء الاجتماعيين) سنة ١٩٧٣م وغيرهما.

وأهم المواد التي قام بتدريسها في الجامعات هي: التاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية، والدولة الإسلامية، والحكم الإسلامي، والأدب العربي، والفن الإسلامي، وأصول الفقه، والفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام، وحركات التجديد في الإسلام، ومناهج البحث لدراسة الأديان ومقارنتها.

وكان كثير الكتابة في المجلات والدوريات العربية والإنجليزية والفرنسية، كما كان كثير الحضور في المؤتمرات الإسلامية داخل الولايات المتحدة وخارجها، والمشاركة في المناظرات التي تضم أصحاب الديانات الثلاث.

وتولى رئاسة مجلس الأمناء لمؤسسة الوقف الإسلامي بأمريكا الشمالية، ورئاسة جمعية علماء الاجتماع المسلمين، ورئاسة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وكان له نشاط دعوي في السجون الأمريكية التي تضم الكثير من السود وغيرهم، حيث وفقه الله لهداية الكثير منهم إلى طريق الإسلام المستقيم، وكان يوزع عليهم النشرات، ويدعوهم إلى الإسلام أثناء زيارتهم.

شخصيته وأفكاره:

الدكتور الفاروقي شخصية متميزة، ومفكر إسلامي عميق النظر، وهب نفسه للعمل الإسلامي، وقد شغلته قضية «إسلامية المعرفة»، حتى أصبحت حياته وهدفه، وكان بحكم كونه أستاذاً في الجامعات الأمريكية، يسخّر معرفته وخبرته لخدمة هذه القضية، وهذا الهدف، وله آراء متميزة وفريدة وهي: ضرورة تحويل كارثة فلسطين إلى قوة دافعة للشعب الفلسطيني، لكي يرتبط بالفكرة الإسلامية، وهو من المجددين المسلمين الملتزمين والعلماء المتميزين الذين أثروا الساحة العلمية بالكثير من المؤلفات، التي تناولت جوانب المعرفة في ميادين مختلفة، كما أسهم بترجمة العديد من المؤلفات العربية إلى اللغة الإنجليزية.

أهم مؤلفاته:

له مؤلفات زادت على خمسة وعشرين كتاباً، ومن أهم هذه الكتب:

العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الإسلامية.

الأخلاقيات المسيحية.

الإسلام والعصر الحديث.

ثلاثية الأديان الإبراهيمية.

أطلس الثقافة والحضارة الإسلامية.

الأطلس التاريخي للأديان في العالم.

أسلمة المعرفة.

الفكر والثقافة الإسلامية.

كتاب (العروبة).

الإسلام.

في نقد النصرانية.

ترجمة كتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب.

ترجمة كتاب حياة محمد تأليف: د.محمد حسين هيكل.
ترجمة بعض كتابات محمد الغزالي.
ترجمة بعض كتب خالد محمد خالد.
الأصول الصهيونية في الدين اليهودي.
الملل المعاصرة في الدين اليهودي.
الديانات الآسيوية الكبرى.
صياغة العلوم الاجتماعية صياغة إسلامية.

من أقواله:

«يتجه العالم الإسلامي في الوقت الحاضر نحو مرحلة حرجة من مراحل تاريخه، فهو يواجه المدنية الغربية بكل ما فيها من زيغ وانحراف، وبكل ما فيها من تجرد من الإنسانية وتنكر لها، تلك المدنية التي فرضت نفسها على أرجاء العالم تقريباً، وتحاول جاهدة أن تفرض نفسها على العالم الإسلامي، ولقد حاولت ذلك في فترة الاستعمار المكشوف بالقوة السافرة، أما في فترة ما بعد الاستعمار، فهي تحاول ذلك بأساليب أكثر دهاء وخبثاً، والعالم الإسلامي اليوم مقسم إلى دويلات متناحرة تصل الخلافات بينها إلى درجة المواجهة المسلحة، ووسائل الإعلام فيها والمؤسسات التعليمية في معظمها تعبر عن رأي القوى المحلية أو الأجنبية التي تناهض الإسلام وحضارته، ومما يجعل المواجهة أكثر شؤماً، أنها ليست قاصرة على ضخامة العقبات في الطريق، أو على الوضع المتخلف المرعب للعالم الإسلامي، بالمقارنة بالعالم الغربي في قوته المادية، ونفوذه العسكري، لقد كانت الأمة الإسلامية في القرن السابع لا تتجاوز تلك الأعداد البسيطة في شبه الجزيرة العربية، وقد ووجهت بالإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ذائعتي الصيت آنذاك.

وبعد قرن من الزمان، أصبحت نفس الأمة أكثر عدداً، وأحرزت انتصارات

عسكرية واسعة، في الوقت نفسه الذي كانت محرومة فيه من العلم والتكنولوجيا، ومن فرصة التمدن.

لقد واجهت ثلاث حضارات ممزقة: الحضارة اليونانية، والحضارة الفارسية، والحضارة الهندية، وقد انبثق النصر من جديد، فقد امتصت هذه الأمة، واستوعبت كل ما يمكن أن تقدمه هذه الحضارات، بل وأثرتها بالتجربة والبحث.

ثم أعادت صياغة الثقافة الإنسانية والمدنية في أطر وقوالب تتفق والروح الإسلامية.

لقد كان الخلق فريداً.. حضارة جديدة قوامها التوحيد الخالص، وإثبات الوحدانية المطلقة، والتنزيه لله سبحانه وتعالى.

وبذلك مكنت الحضارة الإسلامية الجموع التي اعتنقت الإسلام على اختلاف أصولها العرقية، وعلى اختلاف مذاهبها الاعتقادية من مسيحية ويهودية وزرادشتية، وبوذية، وهندوسية.. مكنت كل هؤلاء من الانضواء تحت راية الإسلام، بل واعتبروه قضيتهم، وجعلوه يعيد صياغة حياتهم، طبقاً لمنطقه الخاص من القيم والأخلاق، وعلى ذلك فالفرق بين الأمة الإسلامية في تلك العصور القديمة، وبين مسلمي هذه الأيام، هو غياب الرؤية الإسلامية الواسعة الشاملة التي أشرقت عندهم، وغابت عندنا، بتحديد أكثر.. بينما كانت الرؤية الإسلامية كشعلة متوهجة في عقول وقلوب أنصارها الأوائل، فإن نورها قد أعتم، وجذوتها قد خبت عند أتباعها الحاليين.

وقد أسهمت هذه الحقيقة الفريدة أكثر من غيرها في انحدار المسلمين، وإذا لم نكتشف طريقاً لإعادة إشعال جذوة الإيمان من جديد، وتقوية عزيمتنا بنفس معيار الطاقة والفاعلية.. فإن المعركة الدائرة أمام أعيننا بين الحضارات، ربما تتأتى نتيجتها على غير ما نتمنى نحن المسلمين، وهي بناء على ذلك، أصعب من أن يدركها أي دارس لتاريخ العالم المعاصر، ليتعرف من خلالها على عوامل

الاستقرار والاستمرار في الأمة الإسلامية، أو ليتعرف على عوامل التغيير والاضطراب لها».

قالوا عنه:

يقول الدكتور خورشيد أحمد رئيس معهد الدراسات السياسية في باكستان: «إن الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي ليس لأمريكا وحدها، ولكنه لكل الجماعة الإسلامية في العالم».

ويقول الدكتور قطبي المهدي: «لقد أبعدوا عنا جسمه عضوياً، ولكن الدكتور الفاروقي كان رجل أفكار ومبادئ، وهذه ستعيش في مئات من طلابه».

ويقول الدكتور سيد محمد سعيد: «كان وحتى قبل لحظات من اغتياله يعمل للإسلام، وإني لأعتبر موته دليلاً على تلك الروح الإسلامية التي ينبغي على كل منّا أن يتمثلها».

ويقول الدكتور محجوب الكردي الأستاذ بجامعة (أم درمان الإسلامية): «لقد كان الأستاذ الفاروقي وثيق الصلة بطلابه في قسم الأديان بجامعة «تمبل» يعرفهم جميعاً بأسمائهم، ويتصل بهم عن طريق التلفونات، أو الزيارة إن تيسرت، وكان يغضب إن مرض أحد الطلاب ولم يُخبر بذلك، وكان يفرح إذا اتصل به أحد طلابه في منزله ليستفسر عن مسألة علمية، بل كان بيته ملتقى للطلبة المسلمين، تتحول فيه اللقاءات إلى منتدى فكري، ومركز يشتعل حماساً بهموم الدعوة الإسلامية، ومنطلقاً للعمل الإسلامي، وكان يحثّ طلبته على أن يكونوا متفوقين بدراستهم، نشيطين في مجال الدعوة الإسلامية، بل كان يهتم بتنظيم المحاضرات والدروس للمسلمين السود داخل السجون الأمريكية».

وقد أشاد به الكثيرون كالدكتور عبدالله نصيف، والدكتور أنيس أحمد، والدكتور طه العلواني، والدكتور أحمد زكي، والإمام وارث الدين محمد،

والدكتور جمال البرزنجي، والدكتور إقبال يونس، والدكتور معين صديقي، والدكتور أمير عبدالحليم.

يقول عنه الدكتور محمود أبو السعود: «حديثي عن إسماعيل الفاروقي اليوم، حديث عن رجل انفرد بعقلية فذة، وشخصية مجاهدة، وإيمان عميق، امتزجت جميعاً وانفعلت بما أحاطها من ظروف حياتية، وانصهرت في بوتقة الواقع العملي المرير، ففهمت الحياة كما هي: قاسية ظالمة، واتخذت من سلاحي العلم والإيمان ما صمدت به في وجه قوة الطغيان وظلم الإنسان.

نشأ إسماعيل بعيداً عن وطنه المغتصب، وكأنه أحسّ أن من أسباب نكبة فلسطين والمسلمين جهل المسلم بأمور الدنيا، فهو قاصر غير مدرك لمجريات الأمور، ثم جهله بأمور الدين، فهو يقصر إيمانه وعبادته على أداء الشعائر والمحافظة على الطقوس، وهو يستسلم دون مقاومة لما يأتي به الغد متقبلاً الصغار والاستعمار، وكأنه القدر المقدور.

ثار إسماعيل الفاروقي في نفسه ثورة عارمة، ولكنها عاقلة واعية، فإذا به ينصرف إلى العلم والمعرفة حتى يصبح من أعلام الفلسفة الإسلامية المعاصرين، وهداه قلبه إلى وجوب تعرف عقائد الذين يكيدون للإسلام والمسلمين، فإذا هو حجة في اليهودية والنصرانية، وما عداهما من الأديان، وإذا به يجابه أهل الملل جميعاً، يدفع عن دينه الشبهات، ويصد عنه المفتريات، ويقرع بحججه الترّهات، ثم هو أبداً مزهو بتعاليم دينه، فخور بإسلامه، لا تخدعه ثقافة الغرب التي تربى في حجرها عن نور ربه، وبرهان عقيدته، فهو لا يلتمس الأعذار ليبرر حكماً من أحكام الشريعة المقررة، بل إنه ليباغت الخصم وينازله، ويعتد بالشرع ويناصره، ويجد الباطل في غيره فيدمغه، وشعاره في ذلك كلمة: إن الله ينصر من ينصره.

تلفت الفاروقي حوله، فإذا بالدعاية الصهيونية موغلة فاحشة، تتجنَّى على الإسلام والمسلمين، وتنكر على الفلسطينيين وجود فلسطين، وتؤيد المسيحية

على الإسلام، وتقلب حقائق التاريخ لتستقر في قلب الوطن الإسلامي العربي وتتركه خواء دون روح، وجسداً دون حراك.

وانبرى الرجل يجاهد الصهيونية بمفرده، سلاحه إيمانه بربه وبحقه في الحياة، وإذا بصوته يرتفع، وإذا بكلماته تنتشر، وإذا بعدوه يحس خطر ما يتهدده من انكشاف حيله وغدره، فيكيد له ما وسعه الكيد، ويمكر ما استطاع المكر: ﴿**ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ [الأنفال:٣٠].

لقد تلقى الفاروقي في أواخر أيامه العديد من التهديدات، وكان يحسب أن أصحابها من الجبن بحيث إنهم يخافون لقاءه، ومن الضعف بحيث لا يحسب لهم حساب، فلم يتخذ من الحيطة وليجة، فإذا بهم يقتلونه غيلة وغدراً كأجبن وأخس ما يكون القتل والغدر.

كان إسماعيل طاقة هائلة، قل أن تجد مثلها في الرجال، كان مؤمناً برسالته في الحياة، يريد أن يخرج الإسلام من ظلام الماضي إلى نور الحاضر، وأن يخلصه من قيود الجمود محلقاً في آفاق التطور والحركة، ويخرج به من قماقم الانعزال إلى حلبة الواقع ﴿**ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم**﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقف الفاروقي في طليعة المجاهدين ينادي «بأسلمة» المعرفة، اشتق اللفظ وأضفى عليه معناه، إنه أراد أن يرجع الفكر إلى الله، وأن يتعلق مستتر الضمير ونفخ الروح بالله، وأن تكون المعاملات والعبادات كلها مستمدة من الله، وذلك حتى تتعلم المادية الطاغية الملحدة أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وأن السعادة ليست من المادية الديمقراطية أو الاشتراكية، وإنما هي في المزج المتسق بين إشراقة الروح ونزعات الجسد، بحيث تصدر كلها عن نغم واحد لا اضطراب فيه ولا نشوز.

وشهد الله أني حين لقيته آخر مرة منذ أشهر ثلاثة، وجدت فيه عزمة جامحة، وتصميماً على المضي في تنفيذ ما ملأ قلبه من إيمان بفكرته، أحاول أن أبطئ من

خببه، وأقلل من اندفاعه، فلا يكاد يسمع قولي، أو يستجيب لرأيي، وكأنه كان يحس دنو الأجل، وكأنه كان يخشى فوات الوقت، وكأنه كان يدرك أن الزمن قد لا يجود بمن يحمل رايته من بعده، فهو منطلق يطوي في اندفاعه وسراه كل ما يعترضه.

استشهد إسماعيل الفاروقي ولكن ليس كما استشهد غيره من المجاهدين في سبيل الله، إذ نفقده لأنه كان فذاً في مسلكه وعزمه وإيمانه وفكره، ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

استشهد إسماعيل الفاروقي وعز من شهيد.

معرفتي به:

لقد حدثني الكثير من الإخوة المقيمين في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء زياراتهم لنا بالكويت عن شخصية الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي وثقافته الواسعة، واستيعابه للحضارات، قديمها وحديثها، واطلاعه على الديانات والمذاهب من خلال الكتب والمراجع ومشاركته في الحوارات لأتباع تلك الديانات، وإلزامهم الحجة على انحراف مساراتهم عن الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء والرسل.

ورؤيته العميقة لواقع اليوم، وأوضاع المسلمين البائسة، وحماسته الشديدة لتغيير هذا الواقع، والاستفادة من العلوم المعاصرة، وأسلمتها، كل هذا وغيره سمعته من الإخوة: طه وغيره، ولذلك حرصت خلال زياراتي للولايات المتحدة، وكانت أربع زيارات، أن ألتقي الدكتور الفاروقي، وقد سعدت بثلاث منها في مقابلة هذا العلامة الجهبذ، وأكبرتُ فيه هذا الصبر على البحث العلمي المتعمق،

والنشاط، والحيوية، وكثرة الأسفار والحركة والمحاضرات والندوات والدروس والحوارات والمشاركة في الأنشطة الإسلامية والعلمية في أكثر من قطر، فلقد كان علاّمة بحق، يفهم الواقع ويستقري التاريخ، ويضع البرامج والخطط للتعامل مع هذا الواقع، والخروج من الأزمات التي تحيط بالمسلمين، كما كان يولي القضية الفلسطينية وقضايا العالم الإسلامي الأهمية الكبرى، ويرسم للشباب السبل لتحقيق النصر على أعداء الأمة، عن طريق العلم والبحث ومواكبة التطورات العالمية، وما يستجد في عالمنا المعاصر من مبتكرات علمية، يجدر بالمسلمين أن يأخذوا بها دون تفريط في ثوابت الأمة العقدية والخلقية، وإن المطلوب من كل مسلم أن ينهض بالدور المنوط به، كل حسب إمكاناته، ووفق تخصصه، فكل إنسان ميسّر لما خُلق له، ولا يصح البتّة الانتقاص من أي جهد يبذل، وفي كل ميدان، بل المطلوب تضافر الجهود، وتشابك الأيدي للعمل الجماعي المنظَّم المدروس، بحيث تغطَّى كل جوانب الساحة، وميادين العمل تستوعب الكثير من الطاقات والرجال، والإمكانات متوافرة لدى مسلمي اليوم، ولكنها تتطلب التنسيق والتنظيم وحمل المسؤولية بكل صدق وأمانة.

وفاته:

تعرَّض للتهديد أكثر من مرة في أواخر السبعينيات، وأوائل الثمانينيات، وكانت التهديدات تقول: «إننا سنقتلك إذا لم تتوقف عن الحديث عن الفلسطينيين وحقوقهم وقضيتهم».

اغتيل هو وزوجته في مساء يوم ١٩ رمضان ١٤٠٦هـ ـ يوم ٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦م بيد زنجي بهائي يحمل سكيناً مكتوباً عليها الرقم (١٩)، وحين حقق مع القاتل قال: إنني قتلته لأنه يكره الرقم (١٩) واسم القاتل (جوزيف بانج).

وهذا القاتل لم يُعثر عليه إلا بعد أن أعلنت الجالية الإسلامية والعربية والمعهد

العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة، عن جائزة كبرى، قدرها خمسون ألف دولار أمريكي لمن يدلُّ على القاتل.

ولقد تم إنشاء (مؤسسة الفاروقي للإعانة) بتعاون الاتحاد الإسلامي في أمريكا الشمالية، مع منظمة علماء الاجتماع المسلمين لإيجاد منح دراسية للطلبة ولإكمال الأبحاث الفكرية التي بدأها الفاروقي. هذا وقد نعته الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض بقولها:

«إن موت العلماء الأفذاذ خسارة كبيرة ولا شك، وإن موت الدكتور الفاروقي بالذات باعتباره من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، ورئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وصاحب المؤلفات النافعة، والترجمات القيّمة، وصاحب أطلس الحضارة الإسلامية، وغير ذلك من الكتب النفيسة، كان له وقع الصاعقة على نفوسنا، ولكن مما يعزينا في هذا المصاب الجلل، أن الرجل له آثاره الحميدة في المجالات العلمية والفكرية والاجتماعية، وإن غاب عنا بجسمه، فإن له من الآثار ما يخلّد ذكره، ويرفع قدره».

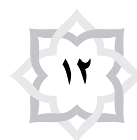
كما نعته مجلة البعث الإسلامي الهندية التي تصدرها ندوة العلماء بلكهنؤ برئاسة أبي الحسن الندوي رحمه الله بكلمة قالت فيها:

«كانت وفاة الأستاذ عمر التلمساني في ٢٢ ـ ٥ ـ ١٩٨٦م وبعد خمسة أيام أي في ٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦م أصيبت الدعوة الإسلامية بخسارة أخرى، وهي وفاة المفكر الإسلامي الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي الذي عُرف بكتاباته الإسلامية، وبحوثه القيّمة، ومحاضراته في الندوات العلمية، وقد كانت الطريقة التي حدثت بها وفاته مؤلمة للغاية، فإنه اغتيل بصورة وحشية، بأيدٍ أثيمة، بمؤامرة صليبية صهيونية كانت تعتبره خطراً عليها، وقد توفيت معه نتيجة لهذه الغارة الوحشية زوجته في بيتهما في فلادلفيا، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

والملاحظ أن اغتيال الفاروقي وزوجته يعيد إلى الأذهان، ما دأبت عليه وسائل الإعلام الغربية من حملات رسمية وخاصة، كلها تهدف إلى تصوير العرب

والمسلمين كإرهابيين متوحشين، هدفهم تحطيم الحضارة الغربية والشبهات كلها تحوم حول (رابطة الدفاع اليهودية) التي أسسها عضو البرلمان الإسرائيلي الحاخام (مائير كاهانا) أيام إقامته في نيويورك أواخر الستينيات، كان لها نشاط ضد أنصار القضية العربية الفلسطينية، وتصفيتهم بالاغتيالات، كما حصل للدكتور إسكندر عودة الذي اغتيل على يدها، وغيره كثير، والله غالب على أمره.





سماحة الشيخ العلاّمة أمجد الزهاوي

(١٣٠٠ ـ ١٣٨٧هـ = ١٨٨٣ ـ ١٩٦٧م)

لقائي به في البصرة:

كان أول لقاء لي مع سماحة الشيخ أمجد الزهاوي عام ١٩٤٧م بمدينة البصرة، حيث قدم إليها زائراً وبصحبته الشيخ محمد محمود الصواف، والأستاذ المحامي عبد الرحمن خضر، وكنت مع مجموعة من زملائي الطلبة بمتوسطة البصرة، أذكر منهم عبد الواحد أمان، وعمر الدايل، وخليل العقرب، وعبد القادر الأبرشي، وعبد الرزاق المال الله.. وغيرهم، فكان نشاطنا الإسلامي من خلال جمعية الآداب الإسلامية (فرع البصرة) التي اتخذت لها من جامع الخضيري مقراً.

فخرجنا إلى محطة القطار القادم من بغداد، وفي مقدمتنا الحاج حمد الذكير، والقاضي عبدالله الصوفي، والشيخ عبد المحسن البابطين، والشيخ عبدالله الرابح، والحاج عبد القادر العبايجي، وتوفيق الصانع، وجاسم محمد صالح،

وعبد الهادي الباحسين، ويعقوب عبد الوهاب، وعبد العزيز الربيعة، وعبد الرحمن الخزيم، وعبد العزيز الوتار، وطه البصري، وعبد المجيد الرحماني، ويعقوب الباحسين وآخرون.

وكان البرنامج حافلاً بالخطب والمحاضرات والدروس والندوات والزيارات، فضلاً عن الجلسات الخاصة المخصصة للأسئلة والاستفسارات عن كل ما يهم المسلم معرفته عن دينه والواجب الملقى عليه لتبليغ رسالة الإسلام وحمل الدعوة إلى عموم الناس، والدور الذي يجب أن يضطلع به لتعبئة الأمة المسلمة لحرب اليهود الذين اعتدوا على إخواننا الفلسطينيين بمساعدة الإنجليز واحتلوا الديار المقدسة، بمباركة من دول الكفر مجتمعة، التي أصدرت قرار تقسيم فلسطين المسلمة بين العرب واليهود سنة ١٩٤٧م، وكانت الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا، أُولى الدول التي وقَّعت على قرار التقسيم الجائر، ولقد أحدث هذا القرار الظالم ردة فعل كبيرة في العالم الإسلامي، فقامت المظاهرات في مصر وبلاد الشام والعراق والسودان وبلدان المغرب العربي والعالم الإسلامي كله.

جمعية إنقاذ فلسطين:

وبادر علماء العراق؛ وعلى رأسهم سماحة الشيخ أمجد الزهاوي ـ بتأسيس (جمعية إنقاذ فلسطين) وتحركوا في طول البلاد وعرضها، وفي مقدمتهم الشيخ محمد محمود الصواف، مستنهضين همم



حمد الذكير ـ محمد محمود الصواف ـ أمجد الزهاوي ـ عبدالله الصوفي ـ عبدالرحمن خضر ـ معتوق توفيق عام ١٩٤٧م

المسلمين لنجدة إخوانهم المجاهدين في فلسطين، وكان لشباب الإخوان المسلمين في العراق، دورهم الرائد وجهودهم الخيّرة، حيث انتشروا في المدن والقرى والأرياف والبادية، يذكِّرون الناس بواجبهم الإسلامي في الجهاد، ودعم المجاهدين والوقوف إلى جانب المضطهدين من المسلمين بفلسطين.

ولقد تكررت لقاءاتي بالشيخ الزهاوي بعد ذلك في بغداد، حيث ذهبتُ للدراسة في الثانوية الشرعية، ثم بعد التخرج في الأزهر بمصر عام ١٩٥٤م، فازددت منه قرباً، وبه معرفة، وله إكباراً وحباً، حيث كان رحمه الله شجاعاً في كلمة الحق، راجح العقل، سديد الرأي عميق الفقه، بسيط المظهر،جم التواضع مع الصغير والكبير والغني والفقير، كما وجدت فيه الصفاء في الذهن، والنور في الوجه، والعلم الغزير المتدفق في الأصول والفروع على حد سواء.

وما زلت أذكر حين صلينا معه لأول مرة كبَّر تكبيرة الإحرام بصوت عال، اهتزت له مشاعرنا، وارتجفت أجسادنا، فكأنه قد خرج من الدنيا إلى لقاء الله عز وجل بهذه التكبيرة الخاشعة، وكنا أثناء السير معه نلاحظ أنه كلما رأى ورقة أو جريدة «صحيفة» ملقاة على الأرض التقطها ووضعها في جيبه خشية أن يكون فيها اسم الله عز وجل وتتعرض للإهانة.

كما لاحظنا أنه يكرر السؤال عن أسمائنا، رغم أننا عرّفناه بها، حيث كان ينسى الأسماء، في الوقت الذي يستحضر فيه دقائق المسائل العلميّة الفرعية في الأصول والفروع، ببديهة حاضرة، وذاكرة عجيبة تُذهل السامع والسائل، وتبهره لهذا العلم الغزير والفيض المتدفق.

كان الشيخ الزهاوي يكثر من الثناء والإشادة بالشيخ الصواف، على حماسته وغيرته على الإسلام والمسلمين، ويوصينا بالعمل معه في طريق الدعوة إلى الله والالتزام بمنهج الحركة الإسلامية، الذي حمله الأستاذ الصواف بعد عودته من مصر، حيث التقى بالإمام الشهيد حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين، وبإخوانه وتلامذته وتأثر بهم خلال دراسته بالأزهر غاية التأثر.

ولقد أكبرنا في الشيخ الزهاوي هذه الهمّة والحيوية والنشاط والعمل الدؤوب ـ رغم كبر السن ـ دونما كلل أو ملل، فلا يسأل عن الطعام أو الشراب، ولا ينشد الراحة أو المنام، مما جعلنا نحقِّر أنفسنا أمام هذه النفس الكبيرة، التي تُجهد جسمها في سبيل الله تعالى في حمل كثير من الأعباء التي ينوء بها كاهل الشباب، ونعجز أن نجاريه في بعض ما يقوم به، وصدق القائل:

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام

لقد كان الإمام أمجد الزهاوي علاّمة العراق وفقيه الحنفية في عصره، وإليه يرجع العلماء من أنحاء العالم الإسلامي للاستنارة برأيه، والتفقه من علمه، والاستزادة من فتاويه، كما كان يرجع إليه ذوو الحاجات وأصحاب الظلامات والمستضعفون من الناس، ليقضي حاجاتهم، ويشفع لهم في معضلاتهم، وفك أسراهم، ورفع الظلم عنهم لدى المسؤولين وأصحاب النفوذ والقرار، الذين كانوا يستجيبون لشفاعته لما له من مهابة في نفوسهم ولعظيم احترامهم له وتقديرهم إياه.

أعوام مشحونة بالغضب:

وفي فترة الدراسة الثانوية ببغداد كانت لنا برامج تربوية، ومناهج ثقافية، ونشاط دعوي ولقاءات أُسرية، وكتائب روحية، ومعسكرات رياضية، يتولى التوجيه فيها ثلة من العلماء والأساتذة والمربين وفي مقدمتهم الشيخ الزهاوي والأستاذ الصواف، ولقد كان عام ١٩٤٧م وعام ١٩٤٨م من الأعوام المشحونة بالغضب والثورة على الإنجليز واليهود، حيث كان في هذين العامين قرار بتقسيم فلسطين وعقد معاهدة (بورت سموث) الاستعمارية المسماة «جبر ـ بيفن» فعمّت المظاهرات الطلابية والشعبية أنحاء العراق، وبخاصة العاصمة بغداد، حيث مقر الحكومة الموالية للإنجليز، والتي أقرّت التقسيم، وعقدت المعاهدة مع الإنجليز، وهي حكومة صالح جبر، وتصدّر هذه المظاهرات

وقادها، طلاب الثانوية الشرعية والكلية الشرعية بالأعظمية وفي مقدمتهم: إبراهيم منير المدرس، ونعمان السامرائي، ويوسف العظم وغيرهم، حيث ألهبوا حماسة الجماهير واصطدموا بأزلام السلطة، وأعوان الطواغيت وخدم الاستعمار، فاعْتُقل من اعتقل، واسْتُشهد من استشهد، وجُرح من جرح، وفُصل من الدراسة أو العمل من فصل ولم يفت ذلك في عضدهم، ولم يوهن عزيمتهم، بل انتشر السخط في جيمع البلاد وخرجت الأمة عن بكرة أبيها تطالب بإسقاط الحكومة العميلة وتم ذلك حيث استقالت الحكومة، وبطلت المعاهدة وأُلغيت بإرادة شعبية.

ولقد برز الأستاذ الصواف، كقائد للجماهير الشعبية الساخطة على الاستعمار والصهيونية، وارتفع صوت الشباب المسلم، يردد هتافات الإسلام، وكانت قصائد الشاعر الكبير وليد الأعظمي الحماسية على كل لسان، فقد كان شاعر الملحمة الكبرى، في التصدي للطغاة وخدم الاستعمار وأذناب الغرب والشرق، واحتل التيار الإسلامي موقعه، كقوة سياسية فاعلة، لها القيادة والريادة، اكتسحت كل ما عداها من القوى القومية واليسارية والعلمانية، وأقبل الناس وبخاصة الشباب، على الانخراط في سلك الحركة الإسلامية المعاصرة، التي تربي الشباب على منهج الإسلام الصحيح، الذي يصوغ الرجال، ويصنع الأبطال، لأنها دعوة الحق والقوة والحرية المستقاة من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة.

وكان لعلماء العراق وشباب الحركة الإسلامية ـ وفي مقدمتهم أمجد الزهاوي، ومحمد الصواف ـ الدور الريادي والقيادي، في توجيه الشباب، نحو نصرة الإسلام والالتفاف حول رايته، والتمسك بعقيدته، والالتزام بمنهجه.

ميلاده ونشأته:

وُلد الشيخ أمجد الزهاوي عام (١٣٠٠هـ ـ ١٨٨٣م) بمدينة بغداد، ونشأ في

أُسرة علمية ثرية، ذات مكانة اجتماعية مرموقة وهو ابن محمد بن سعيد الزهاوي، درس على والده وبعض المشايخ والتحق بالمدارس الرشدية والابتدائية والإعدادية في بغداد، ثم سافر إلى إستانبول حيث درس ست سنوات في «كلية القضاء»، وتخرج فيها، فكان ترتيبه الأول على الطلاب، وقد منحه السلطان عبد الحميد الثاني وسام الشرف تقديراً لنبوغه وتفوقه، ثم عاد إلى بغداد، حيث تقلد مناصب القضاء، إلى أن انتهى إلى رئاسة مجلس التمييز الشرعي، وبعدها تقاعد عن العمل واشتغل في المحاماة فترة من الزمن ثم تفرغ للعمل الدعوي عام ١٩٤٦م، وكان من مؤسسي أهم الجمعيات الإسلامية في العراق وهي: «الآداب الإسلامية، وإنقاذ فلسطين، والتربية الإسلامية، والأخوة الإسلامية، ورابطة العلماء، واللجنة العليا لنصرة الجزائر» وكان رئيساً لهذه الجمعيات جميعها في آن واحد.

الانقلاب العسكري:

وحين وقع الانقلاب العسكري في العراق، بقيادة عبد الكريم قاسم يوم ١٤ / ٧ / ١٩٥٨م، وناصره الشيوعيون والملاحدة والعلمانيون.. عمّت الفوضى البلاد، وانتشر السلب والنهب والقتل والسحل وعاش الناس في القطر العراقي كله عيشة الرعب والخوف، ولم تبق كرامة لعزيز، ولا قيمة لرجل الدين، وهان العلماء والقضاة، وحرّضت السلطة الأوباش على كرام الناس، وتعرَّض كثير من العلماء إلى الإهانة والاعتقال، ومُلئت السجون بدعاة الحق والخير أمثال الشيخ محمد الصواف، والشيخ عبد العزيز البدري، والشيخ محمد الخالصي، وغيرهم كثيرون من الشباب والشيوخ والنساء والرجال، وانتشرت كتب الكفر والإلحاد والدعوة إلى الفجور.

وحاول الشيخ أمجد الزهاوي نُصح عبد الكريم قاسم طاغية العراق، وأسمعه كلاماً قوياً في مقابلتين معه بديوان الرئاسة، ولكنه كان يراوغ وأصمّ أذنيه عن


الشيخ أمجد الزهاوي بالبصرة عام ١٩٤٧م

الحق، وظل سادراً في غيِّه.

عندما قرر الشيخ أمجد الزهاوي الارتحال إلى المدينة المنورة، سافر مع ابنه الشيخ محمد سعيد وزوجته وابنته نهال، وبقي في المدينة المنورة نحو سنة ونصف السنة، وقد لحق به الشيخ محمد الصواف بعد أن خرج من العراق عن طريق سورية، حيث استقر بالمملكة العربية السعودية إلى وفاته، بينما عاد الشيخ أمجد الزهاوي إلى العراق.

ولقد أكرمني الله عز وجل أن أرى الشيخ أمجد الزهاوي قُبيل وفاته في الكويت مع إخواني عبدالله المطوع وعبد الواحد أمان وعمر الدايل وغيرهم، ثم غادرنا إلى العراق ولم ألتق به بعدها لوفاته ببغداد عام ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

آخر أعماله:

وكان آخر أعماله ـ رحمه الله ـ أنه تلقى دعوة لحضور المؤتمر الثالث لوزراء التربية العرب، وكان المرض قد اشتدت وطأته عليه، فلم يستطع الحضور واكتفى بإرسال مذكرة أملاها على ابنته نهال، يوضح فيها وجهة نظره في إصلاح وزارات التربية، وقُدّمت الورقة للمؤتمر، وقد قامت «جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت» مشكورة، بطباعة هذه المذكرة ضمن المذكرات الأخرى ووزعتها على نطاق واسع.

وبعد المؤتمر ببضعة أيام غادر الدنيا الفانية إلى الدار الباقية يوم الجمعة ١٤ شعبان ١٣٨٧هـ تاركاً وراءه أعظم الأثر، وأطيب الذكر، وأعطر السير، لرجال الدعوة وعلماء الأمة، الذين يؤثرون ما عند الله على ما عند الناس، فكان الزهاوي بحق كما وصفه الإمام الشهيد حسن البنا، حيث قال: «يا بني إذا أردت أن تنظر إلى وجه رجل من صحابة رسول الله ﷺ فانظر إلى وجه الشيخ أمجد الزهاوي».

قالوا عنه:

قال عنه الشيخ محمد محمود الصواف: «كان ـ الزهاوي ـ أزهد الناس في الثناء، وأبعدهم عن الرياء، فهو لله وحده، لذا ما كان يرجو سواه ولا يبغي إلا رضاه عز وجل، ويبتعد عن السعي من أجل السمعة ويكره الشهرة».

وقال عنه الشيخ علي الطنطاوي: «إذا وقف الشيخ أمجد للصلاة نقّى قلبه ثم صرخ: الله أكبر، فتحس وكأن قنبلة قُذفت في وجه الشيطان».

وقال عنه الشيخ عبد العزيز البدري: «إن الشيخ أمجد إسلام يمشي على الأرض، فكل من يراه يذكر الله تعالى، لما منّ عليه الله من فضل وجلال وهيبة ووقار».

ويروي الأستاذ سليمان القابلي أن طلاب الشيخ لاحظوا أن شيخهم كلما رأى علبة سجائر تركي يلتقطها من الأرض، فسأله أحدهم فأجاب الشيخ: ألم تروا ما كُتب على العلبة؟ أليس هذا لفظ الجلالة؟ وأشار إلى اسم صاحب الشركة (عبدالله لطفي) المدون على كل علبة سجائر، فلما علم صاحب الشركة بذلك بدل اسمه من «عبدالله» إلى «عبود».

ويقول د. نعمان عبد الرزاق السامرائي: «لقد كان الشيخ أمجد الزهاوي من ذلك النفر الرباني الذي عرف الله، وحاول أن يرضيه بصدق ويلتزم طريقه، سواء أرضي من حوله أم غضبوا».

وقد عاش في القرن الرابع عشر للهجرة، ومن عرفه عن قرب كان يشعر كأنه هبط من القرن الثاني للهجرة، ويروي د. أبو اليقظان الجبوري عن شدة حياء الشيخ أمجد، أن رجلاً شكا من ألم في ركبته، ولما كشف عنها أمام الشيخ، أدار الشيخ وجهه عن حياء.

ويروي د. طه جابر العلواني: أنه حضر مجلساً ضم الشيخين أمجد الزهاوي وقاسم القيسي ـ وكان مفتي العراق في حينه ـ فدار حوار بينهما حول مسألة لغوية.

يقـول الشيخ القيسي للشيخ الزهاوي: «يا شيخ أمجد، كنت تركت لك الفقه والأصول، وسلمت إليك القيادة والريادة فيهما، ولم أكن أظن أنه يمكنك أن تناقشني في علوم العربية والبلاغة، ولكنني الآن مضطر لأن أسلم لك بهذه أيضاً، فأنت يا أمجد أفندي شيخي وشيخ العراقيين جميعاً في المنقول والمعقول وفي سائر العلوم، ولن أجادلك بعد اليوم ولكن أستفتيك».

كما روى عنه أحد القريبين منه: أنه عندما كان يشيّد داره في الأعظمية سمع أحد العمال يقول كلمة كفر فناداه وأعطاه أجره كاملاً وصرفه، ثم أمر بهدم ما بناه هذا العامل وجاء بغيره.

ويروي الأستاذ كاظم أحمد المشايخي في كتابه القيم (الإمام أمجد بن محمد سعيد الزهاوي فقيه العراقين والعالم الإسلامي) ـ والذي أخذنا عنه كثيراً من النقول السابقة ـ يقول المشايخي: «كانت ليهودي قطعة أرض مجاورة لأرض الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله، فاغتصبها الوصي منه، فاشتكى اليهودي على الوصي وصدر الحكم في مصلحة الوصي، فميّز اليهودي الدعوى وعرضت على الشيخ أمجد الزهاوي باعتباره رئيس مجلس التمييز يوم ذاك، وتوسط بعض معارف الشيخ لجعله يصادق على قرار الحكم إرضاء للوصي فردَّهم قائلاً: لا يهمني رضاء الوصي، ولكن يهمني رضاء رب الوصي، ودرس

القضية جيداً ووجد الحق في جانب اليهودي، فنقض قرار الحكم وأعاد الأرض لليهودي» انتهى.

موقفه من فلسطين:

ذلك هو الشيخ الزهاوي وتلك نبذة عن سيرته وهذه بعض أقوال من عايشوه عن قرب وقالوا عنه بصدق، أما موقفه من القضية الفلسطينية، فقد كان همّه الأول والأخير، وشغله الشاغل طيلة حياته، لأنها في نظره قضية الإسلام الكبرى في هذا العصر، وقد حضر جميع المؤتمرات التي عقدت من أجلها في القاهرة ودمشق والقدس، وسافر من أجلها إلى معظم البلاد العربية والإسلامية، ولازم أول فوج من مجاهدي العراق إلى فلسطين، وزار الخطوط الأمامية بنفسه وعاش المأساة على أرض الواقع، وكان رئيس المؤتمر الإسلامي لنصرة فلسطين.

احتفال النصف مليون:

وكانت معرفته للأستاذ الإمام حسن البنا، قد توثقت بزيارته لمصر عام ١٩٤٨م، وحضوره الاحتفال الكبير بالمركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة بمناسبة مرور عشرين عاماً على تأسيس الجماعة، حضره ما لا يقل عن نصف مليون شخص، وكان يرافقه في رحلته الشيخ فؤاد الآلوسي والشيخ إسماعيل الأيوبي، كما زار الأستاذ البنا في بيته المتواضع، ودام اللقاء أكثر من ساعتين ونصف الساعة، وخرج معجباً بحركة الإخوان المسلمين وتنظيماتها وبرامجها ومناهجها وإخلاص رجالها وصدقهم ونشاطهم وتعاهد مع الإمام البنا على أن يعملا معاً لإعادة بناء الدولة الإسلامية، وفي زيارته هذه لمصر تعرّف على الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ودعاه لزيارة العراق وساعده في حملة التبرعات للجزائر وطاف معه البلاد العربية لنصرة الجزائر، وحين زار الزعيم المغربي علال الفاسي بغداد سنة ١٩٥٣م التقى بالشيخ الزهاوي والشيخ الصواف، كما أن

الشيخ الزهاوي زار المجاهد الكبير عبد الكريم الخطابي بطل الريف المغربي بمصر، أما صلته بالحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين فهي وثيقة متينة لاهتمامهما معاً بقضية الإسلام الكبرى في هذا العصر: قضية فلسطين.

يقول تلميذه د. عبد الكريم زيدان: «فإن شأني مع شيخ الإسلام الزهاوي رحمه الله شيء آخر لا يخضع لما تعودت عليه في حياتي من زهد في الرثاء واكتفاء بالعبرة والدعاء لأني ما تأثرت بشخص رأيته بعيني بمثل ما تأثرت بأستاذي الزهاوي رحمه الله تعالى، وما رأت عيني مثله على كثرة من رأيت وعرفت وخالطت.. لقد رأيت فيه ما كنت أفتش عنه من زمن بعيد وأريد الوصول إليه لمساً باليد ورؤية بالعين وسلوكاً في الخارج.. حتى عرفت الشيخ فرأيت فيه ما أريد: إخلاصاً نقياً ومخافة من الله واهتماماً بأمر المسلمين..

أما **إخلاصه** فكان صافياً خالصاً لا تشوبه أكدار التلفت إلى الحياة والسلطان والمنصب والثناء والسمعة والظهور.. استوى عنده عمل السر والعلن لأنه لم يعد عنده ما يخفيه في العلن ويبديه في السر.. يعمل الخير ولا يتحدث فيه فحسبه أن يعرفه الله فمعرفة الله تغني عن معرفة الناس، فقد بلغ به الإخلاص إلى حد نسيان ما يعمله من صالح الأعمال نسياناً لا بسبب ضعف الذاكرة، ولكن بسبب فعل الإخلاص.. لقد كان رحمه الله أمة في الإخلاص لا يعرف بسببه تكلفاً ولا تصنعاً ولا رياءً حتى ظهر الإخلاص في كلامه وحركاته وسكناته وطفح على قسمات وجهه المشرق النّير المهيب الذي يبعث في الناظر إليه انشراحاً واطمئناناً وهدوءاً.. ولا أكتم القارئ الكريم أني كنت إذا ما ألم بي ضيق في الصدر وانقباض في النفس؛ أسرعت إليه رحمه الله لأجلس بجانبه وأنظر إليه وأستمع منه فتهدأ نفسي ويزول عني الضيق والانقباض، وهكذا تفعل مجالسة الصالحين المخلصين.

أما **مخافته لله** فأمر محسوس ظهر في وقوفه عند حدود الله وهو الفقيه بهذه الحدود وفي تعظيمه شعائر الله، وفي مبادرته إلى أداء حقوق الله وفي جهره بالحق

عند السؤال والاستفتاء، وهكذا يكون شأن الخائف من الله، فمن خاف هرب، ولكن هرب الخائفين من الله يكون إلى الله...

وأما **اهتمامه بأمور المسلمين** فقد كان منطلقه فيه الحديث الشريف: «**ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**» وقد كان رحمه الله يريد أن يكون من المسلمين لا من غيرهم ولهذا فقد أهمه أمر المسلمين وأرّق جفنه فما كان يسمع باجتماع إسلامي إلاّ وسارع إليه معللاً نفسه بحصول شيء يخدم الإسلام وينفع المسلمين، ومن أجل ذلك شدّ الرحال إلى أقطار الإسلام: إلى أندونيسيا وباكستان ومكة المكرمة وتركيا وغيرها من بلاد الإسلام بالرغم من شيخوخته وجسمه النحيل ولكن هي الهمة، همة المسلم الصادق المخلص تحرك البدن الضعيف بالرغم من تجاوز صاحبه سن الثمانين... لقد كان من فرط اهتمامه بأمور المسلمين وحزنه على ما آل إليه أمرهم يبكي إذا ما تحدث عن عزهم السابق وقرنه بهوانهم الحاضر نعم يبكي وتسيل دموعه على وجهه المشرق المنير حتى تبل لحيته الكريمة البيضاء.

لقد صحبتُ الشيخ رحمه الله في إقامته وفي سفره وفي صحته وفي سقمه وحضرت مجلسه العام والخاص فما رأيت منه ضعفاً أو فتوراً فيما تحدثت عنه من إخلاص وخوف من الله واهتمام بأمر المسلمين، رحم الله أستاذي الكريم الذي قلّ نظيره وعزّ مثيله، لقد أحببته حب التلميذ لأستاذه وحب الابن لأبيه وحب الأخ لأخيه في الله.. لقد عاش رحمه الله فقيهاً عزيزاً لا يماري ولا يداهن يصدع بالحق وإن سكت غيره ولا يبيع شيئاً من دينه بالدنيا كلها فالدنيا أتفه من أن تكون ثمناً لشيء من معاني الإسلام فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وجمعنا معه في جنات النعيم والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً» انتهى.

يقول الأستاذ الكبير النائب الأردني يوسف العظم: «.. كان الشيخ أمجد الزهاوي على علاقة طيبة بالمغفور له الملك الشاب فيصل الثاني ملك العراق،

علاقة الأب المحب والعالم النقي بالملك الذي كان يتوق لنصح أمثال هذا الشيخ ورعايته وكان الملك الشاب يعامله معاملة الحفيد للجد أو التلميذ المؤدب للعالم الجليل. وكان الشيخ الزهاوي إذا أراد الحديث مع الملك فيصل الثاني رحمه الله رفع السماعة وطلب مأمور مقسم الهاتف ورجاه أن يصله بـ (فيصل أفندي) وهو يعتقد أن هذا اللقب يليق بالعظماء لأنه اللقب الذي كان ينادى به السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين، وكان الملك الشاب يستجيب للطلب.

قامت مظاهرة ذات يوم في بغداد وشارك فيها الشباب من سائر الانتماءات السياسية فزج بعدد منهم في التوقيف للتحقيق معهم فما كان من الشيخ الزهاوي إلاّ أن اتصل بـ (فيصل أفندي) كما كان يناديه ببراءة ليفرج عن شاب لقيت أمه الشيخ بباب المسجد ترجوه في ولدها الموقوف. فسأل الملك الشاب بتواضع جم وأدب: أي شاب يريد شيخنا أن نفرج عنه؟ فكان جواب العالم الجليل: كلهم يا ولدي أولادنا.. الله يرضى عليك!!.. ويتم الإفراج عن الشباب جميعاً إسلاميين وقوميين وماركسيين إكراماً من الملك الأصيل للعالم الجليل...» انتهى.

من أقواله:

ومن كلمات الشيخ الزهاوي المأثورة: «إن العالم الإسلامي يحترق، وعلى كل منا أن يصب ولو قليلاً من الماء ليطفئ ما يستطيع أن يطفئه دون أن ينتظر غيره». وقد توّجت منظمة حماس الجهادية دستورها بهذه الكلمة الرائعة.

رحم الله أستاذنا العلاّمة وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي عباده الصالحين ونفعنا الله بما ترك لنا من السيرة الحسنة والقدوة الصالحة، وجمعنا وإياه في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.





الأستاذ الكبير أنور الجندي

المفكر الإسلامي والمؤلف الموسوعي

(١٣٣٧ ـ ١٤٢٢هـ = ١٩١٧ ـ ٢٠٠٢م)

مولده ونشأته:

ولد الأستاذ أنور الجندي في مدينة (ديروط) بمحافظة أسيوط بمصر في ٥ / ٣ / ١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م في بيت علم ودين، ومن الأشخاص الذين تأثر بهم: شيخ العروبة أحمد زكي باشا وأحمد تيمور وشكيب أرسلان ومصطفى صادق الرافعي وحسن البنا وعبدالعزيز الثعالبي وعبدالعزيز جاويش وأمين الرافعي ومحمد فريد وجدي.

ودرس في مجالي التعليم التجاري والصحفي، واتصل بعدد من الجامعات المصرية والأجنبية، والتحق بالعمل ببنك مصر، وعمل بالصحافة، حيث كتب في الصحف المصرية والعربية، وعكف على تأليف الكتب، وانبرى للتصدي لموجة التغريب التي غزت مصر والعالم العربي بمعاونة الاستعمار وحركات التبشير التي اجتاحت العالم الإسلامي بعد سقوط

الخلافة العثمانية واستعمار الدول العربية وتقسيمها إلى مزق وأشلاء.

سكن في حي (الطالبية) وهو من أحياء القاهرة الشعبية الفقيرة في بيت قديم متهالك، كثيراً ما ينقطع عنه الماء كسائر بيوت الحي، وكان الأستاذ أنور الجندي كما روت ابنته الوحيدة يقوم بملء البراميل وتوزيعها على الجيران بنفسه، وكان يستعمل الحافلات العمومية في تنقلاته، وليس لديه سخان للماء في البيت.

بدأ الكتابة وعمره ١٨ عاماً، ويروى أن أول من شجعه على الكتابة هو الإمام الشهيد حسن البنا الذي رافقه في رحلة الحج سنة ١٩٤٦م، وكانت بواكير كتبه: مع بعثة الحج للإخوان المسلمين، اخرجوا من بلادنا، الإخوان المسلمون في ميزان الحق... إلخ.

معرفتي به:

عرفت الأستاذ أنور الجندي في وقت مبكر سنة ١٩٤٦م، حين كنت طالباً بالمدرسة المتوسطة بالبصرة، حيث كان ينشر مقالاته في مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية، وبعد إصداره كتبه: مع بعثة الحج للإخوان المسلمين، اخرجوا من بلادنا، الإخوان المسلمون في ميزان الحق، حسن البنا قائد الدعوة.. وغيرها، فكنت مع إخواني في البصرة والزبير، عبدالواحد أمان، خليل العقرب، عبدالقادر الأبرشي، يعقوب الباحسين، عبدالرزاق المال الله، عبدالجبار المال الله، عبدالعزيز الربيعة، وعمر الدايل وغيرهم نتدارس هذه الكتب مع كتب أحمد أنس الحجاجي، ومحمد لبيب البوهي، وصابر عبده إبراهيم، لأنها من المقررات الدراسية بالأسر الإخوانية.

وقد أعجبنا بوصفه لبعثة الحج للإخوان المسلمين ودورها الدعوي وسط حجاج بيت الله الحرام القادمين من أنحاء العالم، كما أثلج صدورنا بكتابه الذي يطالب فيه الإنجليز بالخروج من مصر ويهيب بالشعب المصري للتصدي للمستعمر المحتل.

وفي كتابه الذي يرد فيه على الشيوعي المصري الذي هاجم الإخوان بكتاب اسمه (الإخوان المسلمون في الميزان) لمؤلفه حسن أحمد، فقد أنصف الأستاذ أنور الجندي بكتابه الرائع (الإخوان المسلمون في ميزان الحق)، كما حبب إلينا قائد الدعوة الإمام الشهيد حسن البنا في حديثه عنه في كتابه (قائد الدعوة).

ثم كانت لقاءاتي به في مصر حين ذهبت إليها للدراسة الجامعية سنة ١٩٤٩م. وبعد التخرج انقطعت الصلة إلا من خلال ما نقرؤه له من كتب استمر في إصدارها للتصدي لموجة التغريب ومؤامرات المبشرين وأكاذيب المستشرقين، وخطط المستعمرين، ومؤامرات اليهود، والصليبيين والشيوعيين والعلمانيين والحداثيين وغيرهم.

ثم أكرمني الله بلقائه في الرياض في مؤتمر الإمام محمد بن عبدالوهاب سنة ١٩٧٨م الذي أقامته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فكانت فرصة طيبة لأبثه عواطفي ومشاعري نحوه، والثناء على جهوده المباركة في الميدان الثقافي والفكري الإسلامي.

وكنت وما زلت مكْبِراً لهذه الجهود الجبارة التي اضطلع بها بمفرده وبجهوده الذاتية وسط هذا الخضم من الأعداء في الداخل والخارج الذين تسنموا أعلى المناصب في الإعلام والثقافة، وأصبحوا يقربون أتباعهم ويحاربون ذوي الخط الأصيل من المفكرين والأدباء والشعراء المسلمين أمثال: أنور الجندي، محمود غنيم، علي أحمد باكثير، نجيب الكيلاني، وغيرهم. وأغرقوا الأسواق بالقصص الماجنة والأدب الرخيص والشعر الهزيل واللغة الركيكة، وكانت الدولة ترعاهم من الداخل وتغدق عليهم الأموال والجوائز وتفتح كل الأبواب أمامهم، وكذا كان هناك الدعم الخارجي لكل الكتَّاب الذين يحاربون الفكر الإسلامي واللغة العربية.

وكان آخر لقاءاتي به بالقاهرة حين حضوري ممثلاً رابطة العالم الإسلامي في مؤتمر المنظمات الإسلامية، وقد بان عليه كبر السن ولكن عزيمته وهمته كانتا عزيمة الشباب وهمتهم.

من أقواله:

ـ «أنا محام في قضية الحكم بكتاب الله، ما زلت موكلاً فيها من بضع وأربعين سنة، حيث أُعدُّ لها الدفوع، وأقدم المذكرات بتكليف بعقد وبيعة إلى الحق تبارك وتعالى، وعهد عليَّ بيع النفس لله، والجنة سلعة الله الغالية هي الثمن لهذا التكليف: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ [التوبة:١١١].

«لقد كان طه حسين هو قمة أطروحة التغريب وأقوى معاقلها، ولذلك كان توجيه ضربة قوية إليه هي من الأعمال المحرِّرة للفكر الإسلامي من التبعية».

ـ «قرأت بطاقات دار الكتب، وهي تربو على مليوني بطاقة وأحصيت في كراريس أسماءها، راجعت فهارس المجلات الكبرى كالهلال والمقتطف والمشرق والمنار والرسالة، والثقافة، وأحصيت منها بعض رؤوس موضوعات. راجعت جريدة الأهرام على مدى عشرين عاماً، وراجعت المقطم والمؤيد واللواء والبلاغ، وكوكب الشرق، والجهاد، وغيرها من الصحف، وعشرات من المجلات والدوريات التي عرفتها بلادنا في خلال هذا القرن، كل ذلك من أجل تقدير موقف، والقدرة على التعرف على (موضوع) معين في وقت ما».

ـ «حسن البنا نموذج من النماذج النادرة التي عرفها تاريخ الإسلام الطويل، فهو من الدعاة الأبرار والمصلحين الربانيين، الذين عرفتهم الأمة الإسلامية، فصححوا مسيرتها، وغيَّروا أعرافها، وطبعوها بطابع الحق، وأعادوها إلى الصراط المستقيم، هؤلاء قد أحدثوا دوياً عالياً في آذان الدهر وأسماع الناس، فهم يبرزون فوق الأحداث، ولا يخضعون لمقررات الوراثة، ولا يستمدون مقدرتهم من بيئة أو أسرة، وإنما هم صبغة الله ومظهر إرادته البالغة، ذكاء غاية في الذكاء، وعزيمة آية في الصدق، وبراعة أداء وبلاغة بيان. ولقد عاش حسن البنا بضعة وأربعين عاماً، وتألق وهو لما يبلغ الثلاثين، وحمل رسالة الإسلام إلى

العالمين في شجاعة المؤمن وبراعة القائد وحكمة المجاهد، وصدق الداعية، فلم يلبث أن استمعت له الدنيا، واجتمعت حوله القلوب، فهزَّ دوائر الأحزاب وجماعات السياسة، وأزعج الزعماء، وأقض مضاجع المستعمرين، وتكالبت القوى كلها على الخلاص منه، ذلك أن الصوت الذي كان يتحدث به هو صوت الحق، والكلمة التي كان يقولها هي الكلمة التي يخشاها الاستعمار».

مؤلفاته:

للأستاذ أنور الجندي أكثر من مئتين وخمسين مؤلفاً في مختلف المواضيع وتناسب مختلف الأعمار، وكانت كتبه ورسائله تمثل الزاد المتجدد لحماية عقول الشباب من التيه والزيف، حيث قدم خدمات جلَّى بالغة التميز خدم فيها الفكر الإسلامي المعاصر والثقافة العربية والإسلامية وتاريخ الأدب العربي واللغة العربية، بحيث كان مدرسة في التأليف الموسوعي والدفاع عن الفكر الإسلامي بمنهج رشيد وأسلوب حكيم، يتسمان بالاعتدال والوسطية، ومن أهم مؤلفاته ثلاث موسوعات متميزة هي:

١ ـ معلمة الإسلام، في خمسين جزءاً.

٢ ـ موسوعة المناهج، في عشرة أجزاء.

٣ ـ في دائرة الضوء، في خمسين جزءاً.

كما أن له مؤلفات في مواضيع شتى نذكر طائفة منها وهي:

اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار، أقباس من السيرة العطرة، السلطان عبدالحميد والخلافة الإسلامية، عبدالعزيز الثعالبي، عبدالعزيز جاويش، القيم الأساسية في الفكر الإسلامي والثقافة العربية، قضايا الشباب المسلم، قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، يوم من حياة الرسول، الوجه الآخر لطه حسين، وحدة الفكر الإسلامي، وذكرهم بأيام الله، هزيمة الشيوعية في عالم الإسلام، نوابغ الإسلام، نحن وحضارة الغرب، مؤلفات في الميزان،

الاستشراق، الإسلام تاريخ وحضارة، الإسلام في أربعة عشر قرناً، نظرية السامية، موقف الإسلام من العلم والفلسفة الغربية، التبشير الغربي، مناهج الحكم والقيادة في الإسلام، من طفولة البشرية إلى لطف الإنسانية، كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة الأخطار؟، مقدمات العلوم والمناهج، آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة، الإسلام في وجه التغريب، أخطاء المنهج الغربي الوافد، ابتعاث الأسطورة، نحو بناء منهج البدائل الإسلامية للنظريات الغربية، الإسلام والدعوات الهدامة، الإسلام في وجه التيارات الوافدة، الإسلام وحركة التاريخ، الإسلام والعالم المعاصر، الإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة، أسلموا المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة، أضواء على الأدب العربي المعاصر، إطار إسلامي للفكر المعاصر، الإسلام، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، اعرضوا أنفسكم على موازين القرآن، أعلام الإسلام: تراجم الأسماء البارزة منذ عصر النبوة إلى اليوم، أعلام القرن الرابع عشر الهجري: أعلام الدعوة والفكر، أعلام وأصحاب أقلام، الانقطاع الحضاري، أهداف التغريب في العالم العربي، البطولة في تاريخ الإسلام، بماذا انتصر المسلمون؟، بناء منهج جديد للتعليم والثقافة على قاعدة الأصالة، تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات، تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلة الحصار من حركة الجيش إلى كامب ديفيد، تاريخ الغزو الفكري والتخريب: خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠ ـ ١٩٤٠م، تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة، التبشير الغربي، تحديات في وجه المجتمع الإسلامي، تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، ترشيد الفكر الإسلامي، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث: السلطان عبدالحميد والخلافة الإسلامية، تصحيح المفاهيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، التغريب: أخطر التحديات في وجه الإسلام، الثقافة العربية الإسلامية أصولها

وانتماؤها، جوهر الإسلام، جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام، حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني، حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام، حركة الترجمة، حركة اليقظة الإسلامية في مواجهة النفوذ الغربي والصهيونية والشيوعية، حقائق عن الغزو الفكري للإسلام، خصائص الأدب العربي، خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، الخلافة الإسلامية، الخنجر المسموم الذي طُعن به المسلمون، الاقتصاد الإسلامي، الأصالة في مواجهة المعاصرة والاقتباس وسلم القيم، النفس، الفرويدية، سقوط العلمانية، سقوط نظرية دارون، السلطان عبدالحميد: صفحة ناصعة من الجهاد والإيمان والتصميم، سموم الاستشراق والمستشرقين، سيكولوجية الفروق بين الأفراد والجماعات، الشباب المسلم: مشاكله وقضاياه في مواجهة تحديات العصر، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، شبهات في الفكر الإسلامي، الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي، الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، شخصيات اختلف فيها الرأي، الشرق في فجر اليقظة: صورة اجتماعية للعصر من ١٩٢١م إلى ١٩٣٩م، الشعوبية في الأدب العربي الحديث، الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية، الصحافة والأقلام المسمومة، الصحوة الإسلامية: منطلق الأصالة وإعادة بناء الأمة على طريق الله، صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر، صفحات مضيئة من تراث الإسلام، الطريق إلى الأصالة، الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية، الطريق أمام الدعوة الإسلامية، طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، عالمية الإسلام، عقبات في طريق النهضة: مراجعة لتاريخ مصر الإسلامية منذ الحملة الفرنسية إلى النكسة، عقيدة الكاتب المسلم، على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم، العودة إلى المنابع : دائرة معارف إسلامية، الفصحى لغة القرآن، الفكر الإسلامي والتحديات التي تواجهه في مطلع القرن

الخامس عشر الهجري، الفكر البشري القديم، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الفنون الشعبية، في مواجهة الفراغ الفكري والنفسي في الشباب، القاديانية: خروج على النبوة المحمدية، كتاب العصر تحت ضوء الإسلام، الضربات التي وجهت للانقضاض على الأمة الإسلامية، ماذا يقرأ الشباب المسلم؟، محاذير وأخطار في مواجهة إحياء التراث والترجمة، المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مئة عام ١٨٤٠م ـ ١٩٤٠م، المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي، المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر، المدرسة الإسلامية: على طريق الله ومنهج القرآن، المرأة المسلمة في وجه التحديات، مصابيح على الطريق، مصححو المفاهيم: الغزالي، ابن تيمية، ابن حزم، ابن خلدون، الدعوة الإسلامية في عصر الصحوة: قضايا السياسة والاجتماع والاقتصاد، الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة، الأعراض موسوعة طبية أمريكية، المثل الأعلى للشباب المسلم، المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة، المسلمون في فجر القرن الوليد، المعارك الأدبية في مصر منذ ١٩١٤ ـ ١٩٣٩م، المعاصرة في إطار الأصالة، معالم تاريخ الإسلام المعاصر، معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاث مئة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن، معلمة الإسلام، مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الإسلام، مؤامرة تحديد النسل وأسطورة الانفجار السكاني، المؤامرة على الفصحى: لغة القرآن، كمال أتاتورك وإسقاط الخلافة الإسلامية، أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة: حياته ـ آراؤه ـ آثاره، فضائح الأحزاب السياسية في مصر: السياسة والزعماء.. والرشوة واستغلال النفوذ، مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية، أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي: قضايا الأدب، قراءة في ميراث النبوة: إطار إسلامي للصحوة الإسلامية، حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد.

قالوا عنه:

يقول د. مصطفى الشكعة: «إذا كان المفكر الكبير أنور الجندي قد لاقى صنوفاً من المضايقات والإهمال، فإن له عظيم المكانة إن شاء الله في الآخرة، وحسبه أنه وقف مدافعاً بمفرده عن العربية السليمة، والشريعة الإسلامية الغراء التي أراد أن يتربص بها الرويبضة والمنافقون. إنه من معدن نفيس، معدن ورثة الأنبياء، وهو من حملة مشاعل الحق والهدى والفضيلة والعلم إلى البشرية.

أنور الجندي علم ساطع مرموق في سماء الفكر العربي الإسلامي في قرننا هذا، وهو مثال واضح للعمل الدؤوب والتخطيط المنظم، والتأصيل غير المسبوق، وغزارة الإنتاج».

ويقول د. شوقي ضيف: «عرفت أنور الجندي بعد مشاكساته الحادة ومواجهاته القوية للدكتور طه حسين ورده عليه، وعكوفه على استخلاص نماذج أصيلة من التراث العربي الإسلامي، وتقديمها في العصر الحديث، كمثال جيد على روعة حضارتنا وعظمتها وحيويتها في كل العصور والأزمنة.

إن أنور الجندي لا يقل في كتاباته وما توصل إليه من نتائج باهرة عن العلماء الأفذاذ في تاريخنا، فهو يماثل الجاحظ والأصمعي وابن تيمية وابن القيم في موسوعية المعرفة، والجهاد الطويل بالنفس والروح والوقت لنصرة الإسلام وقضاياه المصيرية».

ويقول د. حسين مجيب المصري: «لقد عاش لقضيته مدافعاً صلباً لا يلين، وتخصص في علوم كثيرة يعجز المعاصرون عن الإلمام بها، أنور الجندي علامة في هذا العصر، وهو الذي أعاد للإسلام رواءه وحيويته وتجدده مرة أخرى بعد أن كثرت سهام المغرضين فيه.

عصامي في مدرسة المجددين المسلمين، علم نفسه من خلال قراءاته المتشعبة الموسوعية واستنتاجاته الفذة، وإصراره على دحض التنصير والمستشرقين وأنصارهم في البيئة العربية الإسلامية.

أنور الجندي كان جامعة قائمة في رجل واحد تخرج فيها آلاف المثقفين بفضل كتاباته العميقة، وريادته لحقل الفكر الإسلامي».

ويقول عنه د. حسن حبشي: «إن إنتاج أنور الجندي يمتاز بالتوثيق الدقيق، والحس التاريخي، والضلوع في فهم تاريخنا عبر حقبه الطويلة، وإجادته للربط بين أكثر من فن وعلم، كما أن دراساته تقع موقعاً متقدماً في المكتبة العربية ولاقت استحسان المتخصصين في الفكر والأدب والتاريخ والدين والحضارة».

ويقول د. يوسف القرضاوي: «مسكين أنور الجندي، لقد ظلمته أمته ميتاً كما ظلمته حياً، فلم يكن الرجل ممن يسعون للظهور وتسليط الأضواء عليه، كما يفعل الكثيرون من عشاق الأضواء الباهرة، بل عاش الرجل عمره راهباً في صومعة العلم والثقافة، يقرأ ويكتب ولا يبتغي من أحد جزاء ولا شكوراً».

ويقول د.عبدالحليم عويس: «إن أنور الجندي كان قلعة حصينة في حقبة مظلمة من تاريخنا، وكان يقف بالمرصاد لمحاولات التغريب ودعاة العلمانية، أمثال طه حسين، وخلف الله، ولويس عوض، وغيرهم.

وقد سعى أنور الجندي بالتعاون مع كوكبة من كبار المصلحين إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل، فكان رائداً كبيراً في قافلة، روادها حسن البنا ومحمد أبوزهرة، وفريد وجدي، ومصطفى صادق الرافعي، ومحمد الغزالي، وسيد سابق، وحسن أيوب، وسعيد رمضان، وسيد قطب، وغيرهم.

ويقول د. عبدالمنعم يونس: «إن أنور الجندي يقف دائماً في مقدمة الصفوف ليمثل دائرة معارف إسلامية متكاملة للعلوم المعاصرة، ستظل تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، حيث البون شاسع بين شخصه الواهي، وفكره الذي شرَّق وغرَّب، حتى ملأ العالم، فكان وهو في صومعته وعزلته يخشاه الجميع على كراسيهم ومناصبهم، حيث كان ممثلاً للحق الذي لابد أن ينتصر، فقدّم النموذج الفذ لأمانة القلم في رسالة لم تتوقف عبر كتبه التي

تجاوزت المئتين وخمسين، وفي حملة لم تنقطع عبر مقالاته وبحوثه التي تجاوزت الآلاف».

ويقول د. غريب جمعة: «جاء الرجل من قريته «النخيلة» بمحافظة أسيوط إلى القاهرة ليعمل في مصرف مالي، ثم اجتذبته دعوة الإخوان المسلمين منذ البداية، وقد لا يعرف البعض أنه كان المسؤول عن خزينة الإخوان المسلمين، وكان يقوم بتسليم رواتب شهرية إلى أسر الضباط المحسوبين على الإخوان المسلمين ممن تعرضوا للاعتقال أو الفصل من الجيش. ولم يقف الرجل عند العمل المالي والإداري، بل اتجه إلى القلم فكتب في موضوعات متعددة، ثم اشتغل بالعمل الصحفي، وتوالى ظهور كتبه في الأسواق، وكان يصف كل كتاب يصدر بأنه (مولود جديد)، وكنت أداعبه قائلاً: كم بلغ عدد مواليد حضرتكم الآن؟ فكان يقول: لقد رزقني الله بابنة واحدة، أما المواليد الآخرون فيحتاجون إلى قائمة لأنهم تجاوزوا المئتين بين رسالة وكتاب وموسوعة».

ويقول الأستاذ محمود خليل: «امتاز أنور الجندي رحمه الله بالضبط المنهجي، عبر رحلته العلمية الطويلة في كشف أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، حيث قام بعملية فرز منهجي لكتابات (أرلوند توينبي) و(بروكلمان) و(مرجليوث) و(لامنسي) وكذلك كتابات (فيليب حتي) و(لويس شيخو)، و(وليم وليكوكس) في التاريخ، وكذلك اعتمد اعتماداً أساسياً في نقده لمشروعات التغريب والتذويب، على نقض الأسس العلمية التي تبنى عليها، حيث قام بنقض نظرية «فرويد» في الجنس، ونظرية (دوركايم) في الاجتماع، ونظرية (تين ويبرنتير) في الأدب، مع تقديم البديل الإسلامي فيما يتناوله من مفاهيم ونظريات».

حضوره المؤتمرات:

شارك الأستاذ أنور الجندي في كثير من المؤتمرات الإسلامية والفكرية في

الجزائر والرباط ومكة المكرمة والخرطوم وعمان والإمارات والرياض وإندونيسيا والقاهرة وغيرها. وكان عضواً في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، وحصل على جائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٦٠م.

وفاته:

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الثلاثاء ١٥ / ١١ / ١٤٢٢هـ عن عمر يناهز الخامسة والثمانين عاماً، وكان عدد المشيِّعين لا يتجاوز الخمسين فرداً فقط!!!

هذا هو عملاق الفكر الإسلامي المعاصر الذي يدافع عن قيم الإسلام ويتصدى للتغريب ودعاته طيلة أكثر من نصف قرن.

يقول الأستاذ صلاح الرشيد: «كشمس الشتاء في خفوتها وضعفها وهوانها على البرد القارس، كان مشهد المفكر الإسلامي الرائد أنور الجندي وهو يترك الحياة الدنيا وشقاءها. كان مشهد الجنازة دليل إدانة لعصر تجاهل عطاء وإنتاج وفكر أنور الجندي صاحب الدراسات الوافية والموسوعات الضخمة والاستنتاجات الدقيقة والمعارك التي خاضها في سبيل الله والحق والإسلام، ومن أجل الذود عن حوض الإيمان وصرح اللغة العربية والفكر القويم، أكثر من نصف قرن من العطاء وأكثر من مئتين وخمسين كتاباً من التأليف بعد البحث والمثابرة والتأصيل، والمقابل هو جحود مستبين، ونكران واضح، وكأن الزمان في أيامنا هذه لم يعد يلتفت للعلماء الموسوعيين، ومن هم في قامة أنور الجندي».

عمل رائع:

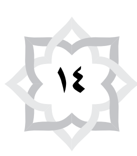
ولقد أصدرت جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت (موسوعة قضايا الدعوة الإسلامية من اليقظة إلى الصحوة) للكاتب الراحل وهي موسوعة تتناول المؤامرات ضد الدين والإسلام كمنهج حياة، ومعالم الصحوة الإسلامية،

وموقف الإسلام من التغريب والعلمانية، والحداثة والمبادئ الهدّامة. وإنه لعمل رائع تُشكر عليه الجمعية، وهكذا يكون الوفاء للرجال الأفذاذ، وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون.

رحم الله أستاذنا الكبير أنور الجندي، وحشرنا وإياه في زمرة الصالحين من عباده، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الداعية المجاهد البهي الخولي

(١٣١٩ ـ ١٣٩٧هـ = ١٩٠١ ـ ١٩٧٧م)

معرفتي به:

حين أكرمني الله بالتوجه إلى مصر للدراسة بكلية الشريعة سعدت برفقة إخوة كرام قَلّ أن يجود الزمان بمثلهم، ومنهم الأخ الدكتور يوسف القرضاوي، والأخ أحمد العسّال، والأخ محمد الصفطاوي، والأخ محمد الدمرداش، وغيرهم من صفوة الشباب المسلم الأزهري، ومن خلال هؤلاء عرفتُ الأستاذ الكبير البهي الخولي الذي كان يتولى توجيههم بالدروس والمحاضرات، وبخاصة دروس الفجر، حيث كان يطلق على هذه المجموعة من الطلاب «كتيبة الذبيح» وقد أهداني الأخ العسّال الكتاب القيم للأستاذ الخولي وهو «تذكرة الدعاة» فقرأته بتأمل، ووجدت فيه من العلم الغزير والزاد الوفير ما يحتاجه كل داعية إلى الله، فهو كتاب قيم لا يستغني عنه الداعية والموجه، والخطيب، والمدرس، والواعظ، والمرشد.

وقد قال عنه الإمام الشهيد حسن البنا في تقديمه: «طالعت هذه التوجيهات، بل المحاضرات في أساليب الدعوة وتكوين الدعاة، فأعجبت بها وهششت لها، وشممت فيها بوارق الإخلاص، والتوفيق إن شاء الله، ودعوت الله تبارك وتعالى أن يجعلها نافعة لعباده، موجهة لقلوب الناطقين بكلمته، والهاتفين بدعوته، وليس ذلك غريباً على كاتبها وملقيها الأخ الداعية المجاهد الأستاذ البهي الخولي، فهو بحمد الله صافي الذهن، دقيق الفهم، مشرق النفس، قوي الإيمان، عميق اليقين، أحسن الله مثوبته، وأجزل مكافأته، وبوأنا وإياه منازل من أحب من عباده فرضي عنهم ورضوا عنه»!. اهـ.

وعن هذا الكتاب القيم أقتبس لك فقرات مما قاله مؤلفنا وأستاذنا البهي الخولي ـ رحمه الله ـ: «واعلم يا أخي أن كل إنسان كائناً من كان ينطوي على مناجم إلهية من العبقريات العظيمة وإمداد من العزائم والهمم، وكنوز من الفضائل التي تنضر وجه الحياة، وتزدان بها الإنسانية، ولا سبيل إلى إثارة هذه المناجم النفيسة، إلا أن تثيرها باسم الله العلي الكبير، فاسم الله وحده هو مفتاح هذه الكنوز الربانية المغلقة، ولا يضع الله هذا المفتاح إلا في يد العبد الرباني الذي يتخلق بصفات الربانية الفاضلة، يجاهد نفسه حق المجاهدة ويقمع هواه في غير هوادة، فيفضي ذلك إلى ما شاء الله من بطولة وتوفيق: ﴿**وَالَّذِين جاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنين**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وأنت واجد تفسير ذلك كله بصورة عملية واقعية في تاريخ الغر الميامين الذين خرّجهم رسول الله ﷺ، وصاغهم بعين الله أبطالاً، فتحوا أقطار الأرض، لأنهم فتحوا قبل ذلك أقطار النفوس، وأضاؤوا الدنيا بنور الحق، لأنهم أطلعوا شموسه قبل ذلك في حنايا الصدور. وأسعدوا البلاد بنعمة العدل والحرية والإيثار، لأنهم بثقوا ينابيعها قبل في خفايا القلوب، وانبعثوا إلى تخليد الباقيات الصالحات من الأعمال والأخلاق والمبادئ، فأتوا من ضروب البطولات النفسية والمادية ما يدهش الألباب، ويعجز الأبطال، ويشبه الأساطير» اهـ.

وقد كتب المرحوم محمد الغزالي مقالاً تعريفياً بكتاب (تذكرة الدعاة) فقال رحمه الله: «في هذا الكتاب إيمان عميق صادق، وتصوف ناضج مهذب، وثقافة شرعية واسعة، وتحليل منسق للآيات والآثار، قد يدق، وقد يتضح، غير أنه لا يخلو قط من صيغة الإخلاص والحب والحرص الشديد على نفع القارئ وتسديد خطاه إلى الغاية السامية المرسومة له.. ولقد وددت مخلصاً لو أن إخواننا الوعاظ والأئمة والدعاة إلى الله طالعوا هذا الكتاب فهو ذخيرة كريمة يجدر اقتناؤها، وينبغي ألا تخلو مكتبات الإخوان منها»[1] اهـ.

ثم سعدتُ بالجلوس إليه وهو يلقي دروسه على صفوة من الإخوان، المراد إعدادهم ليكونوا نماذج صادقة للدعاة من حيث الكفاءة العلمية، والتربية الخلقية، والطبيعة التنفيذية، والحركة الدعوية، وكان حديثه في غاية العمق، يغوص على المعاني غوصاً، ويستخرج اللآلئ المكنونة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويعرضها بأسلوب شيق وروح شفافة، وقلب حي مليء بمحبة الله ورسوله، غيور على الإسلام وأهله، حريص على إنقاذ الأمة من الضياع الذي تعيش فيه نتيجة تسلط الأعداء الذين صرفوا الناس عن الإسلام وحاربوا كل مظاهره ومشاعره.

والأستاذ البهي الخولي ذو طبيعة صافية تغلب عليه النزعة الصوفية الملتزمة البعيدة عن خرافات التصوف وأدعيائه لأنه منضبط بضوابط الكتاب والسُّنَّة، متبع لمنهج السلف الصالح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿**الذين آمنوا وكانوا يتقون**﴾ [يونس:٦٣].

وكان محباً للإمام الشهيد حسن البنا متأثراً به وبمنهجه، يراه القدوة الصالحة في زمانه، والنموذج الفريد للقادة والزعماء الذين أخلصوا دينهم لله، ووهبوا حياتهم للجهاد في سبيله.

---

(١) مجلة (الإخوان المسلمون) الشهرية العدد ٩٣ من السنة الرابعة الصادر في يوم الثلاثاء الموافق ٨ من ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ هـ ـ ١٢ مارس ١٩٤٦م، ص ١٦.



المستشار العقيل والأستاذ البهي الخولي
في محاضرة بجمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت

وظللت أحرص على دروس أستاذنا البهي الخولي في الكتائب والرحلات والمعسكرات والمخيّمات، شأني شأن معظم شباب الجامعات الذين استهوتهم الحركة الإسلامية المعاصرة بجهودها وجهادها، وكفاحها ونضالها ضد الاستعمار الصهيوني، حيث هبّ شباب الإسلام لمنازلة اليهود في فلسطين، والإنجليز في قناة السويس، وأصابوا الأعداء وهزموهم، ولقي الله منهم شهداء كثيرون على أرض فلسطين وعلى ضفاف القناة بمصر.

ولولا المؤامرات الدولية الكبرى والخيانات العميلة في الداخل، لما سقطت فلسطين بأيدي شراذم اليهود، ولما ضُرِب الإسلام في عقر داره، وحُورب الدعاة في كل مكان.

إن الدروس الروحية التي كان يلقيها الأستاذ البهي الخولي على الشباب تربطهم بالدار الآخرة وتزين لهم العمل الصالح لمرضاة الله، وتهوِّن في أعينهم زخارف الدنيا ومتاعها، وتأخذهم بالجد والسعي الدؤوب للنهوض بالأمة

الإسلامية من كبوتها وإيقاظها من سباتها، وإحياء الروح الجهادية في نفوس أبنائها.

وكان البهي الخولي ـ رحمه الله ـ بعد الانقلاب العسكري بمصر عام ١٩٥٢م يؤثر الملاينة والمهادنة مع ذوي السلطان، وينادي بعدم الصدام معهم والصبر على عوجهم وانحرافهم اتقاء الفتنة وخشية المحنة التي قد لا يصبر عليها الضعاف، ممن لم يتربوا التربية الإيمانية الجهادية، وقد استغل أعوان الطاغوت في مصر هذه الطيبة عند الأستاذ البهي الخولي وحاولوا الاستفادة منها في تفريق صف الجماعة المسلمة، ولكنهم لم يفلحوا رغم إيفادهم له في بعثة الحج المصرية الرسمية، حيث لقيته بمكة المكرمة وحذرته من مغبة ما يفعله هؤلاء القوم، وكنت معه قاسياً، مما ترك أثراً في نفسه دعاه للشكوى مني لبعض إخواننا بمصر حين عودته من موسم الحج عام ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

وقال: كيف يخاطبني أحد تلامذتي بهذا الأسلوب؟! ثم دارت الأيام دورتها وجاءت هزيمة الفرعون ١٩٦٧م أمام العجوز الحيزبون «جولدا مائير» وسقطت أسطورة البطل الظافر الذي سيقذف إسرائيل في البحر.

ثم وفق الله بعد ذلك لدعوة الأستاذ البهي الخولي إلى الموسم الثقافي في الكويت، حيث أحسن وأجاد في محاضراته العامة، كما كان له درس خاص في ندوتنا الأسبوعية مساء الجمعة، أفاض فيه بصدق وصراحة، وصفاء وشفافية، ودقة وعمق، وحلّق بنا في أجواء روحانية عالية، أخذت بمجامع القلوب، وأذرفت منا الدموع، وأثارت كوامن النفوس، حتى قال أحد الحاضرين بصوت عالٍ معلقاً على الدرس: «هذا فصل جديد يضاف إلى تذكرة الدعاة».

وبعد هذه الزيارة مباشرة أرسل أستاذنا البهي الخولي رسالة للشيخ يوسف القرضاوي في قطر يُثني على تلميذه العقيل الذي رضي عنه كل الرضا، ويذكر للشيخ القرضاوي ما كان من العقيل من حسن استقبال، وحسن معاملة، وقد

حاولت العثور على الرسالة، لعل الله ييسر ذلك في طبعة قادمة للكتاب (إن شاء الله).

وللبهي الخولي بالإضافة إلى كتاب (تذكرة الدعاة) بعض المؤلفات منها: كتاب (الإسلام لا شيوعية ولا رأسمالية)، وكتاب (الإسلام وقضايا المرأة)، وكتاب (المرأة بين البيت والمجتمع)، وكتاب (العمل والعمال في الإسلام)، وغيرها.

نعم.. لقد كان البهي الخولي صادقاً مع الله ومع نفسه ومع سامعيه وهو يتحدث بكل جوارحه ومشاعره فكان حديث القلب ينفذ إلى القلوب، وقد تأثر به السيد أبو الحسن الندوي حين زار مصر سنة ١٣٧٠هـ ١٩٥١م، وتعلّق كلٌّ منهما بالآخر وبعد مغادرة الندوي لمصر كتب له البهي الخولي رسالة بعد مغادرته مصر إلى السودان في (٢٨ / ٩ / ١٣٧٠هـ ـ ٣ / ٦ / ١٩٥١م) بالقطار الذي يركبه من محطة المطرية قال فيها:

«أخي العزيز.. لقد أحسست وقطار المطرية يرحل بكم إلى بعيد أن في صدري كائناً مغلوباً على أمره يبكي بكاء الحنين، وينكسر إلى الله ضارعاً، وانكساره الحزن والبؤس، نعم، فهذه البقعة الحبيبة من النور آذنت بالرحيل بعد أن حلّت بيننا ميمونة الحل مأنوسة الجانب.. إنه شيء غير حلول الزائر الميمون والجانب المأنوس.. فلقد كانت بقعة النور الجديدة تشقُّ نفسها من صدري وهي تبتعد فكأنما ينشق لها ذلك النسيج الذي اتصلت لحمته منذ اللحظة الأولى في أول لقائه.

لماذا يا ربّ قدَّرت على أحبائك المتحابين فيك أن يتفرقوا في أكناف الأرض البعيدة، وأذقتهم هذا الوجد الذي يحزن في رقة وخشوع، لقد طالما قالوا إن فراق الأبدان لا يبطل الود مع رعاية العهد وإكرام الذكرى.

نسأله سبحانه أن يؤنسنا بك، وأن يؤنسنا عنك، وأن يجمع بيننا في الدنيا على خير ما يحب، وفي الآخرة مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وأخيراً.. تحياتي وأشواقي إلى الإخوة الأحبّة الغرّ الذين شرفت بهم الديار في زيارتهم لها بصحبتك الميمونة، وأسأل الله لهم التوفيق إلى كل خير والتأييد فيما يرضيه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

القاهرة في ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٣٧٠هـ

(٢١ / ٨ / ١٩٥١م)

أخوك البهي الخولي

وهذه الزيارة للكويت هي آخر العهد بأستاذنا البهي الخولي، حيث لقي ربه بعد فترة، نسأل الله عز وجل أن يرحمه رحمة واسعة ويغفر لنا وله، ويجمعنا وإياه في مستقر رحمته إخواناً على سُررٍ متقابلين، إنه على ما يشاء قدير.





جابر رزق الفولي

المجاهد الصابر والصحفي الداعية

(١٣٥٥ـ ١٤٠٨هـ = ١٩٣٦ـ ١٩٨٨م)

مولده ونشأته:

ولد الأستاذ جابر رزق الفولي في ٢ / ١٠ / ١٩٣٦م في قرية «كرداسة» التابعة لمحافظة الجيزة، ونشأ في بيئة متواضعة متوسطة الحال، وكان عصامياً في حياته، درس الابتدائية في كرداسة، والثانوية بمدرسة السعيدية، ثم عمل مدرساً للغة الفرنسية ثم أكمل المرحلة الجامعية بجامعة القاهرة «كلية الآداب» قسم الصحافة، وتخصص في العمل الصحفي، فكان من أنجح الصحفيين الإسلاميين بمصر.

حياته العملية:

عمل في مجلة (الإذاعة والتلفزيون) الصادرة عن وزارة الإعلام المصرية سنة ١٩٦٢م، وكان قد تعرف على الإخوان المسلمين منذ طفولته في قرية كرداسة،

ثم انتظم معهم في شبابه وشارك في الحياة السياسية، حيث اعتقل سنة ١٩٦٥م، وحوكم مع الإخوان المسلمين «سيد قطب وإخوانه»، وحكم عليه بالسجن لمدة خمس عشرة سنة، قضى منها تسع سنوات في السجن، وأفرج عنه سنة ١٩٧٤م. وفي سنة ١٩٧٦م صدرت مجلة (الدعوة) بإشراف عمر التلمساني، ورأس تحريرها صالح عشماوي وتولى جابر رزق مدير تحريرها، وفي سنة ١٩٨١م سجن مرة أخرى مع قيادات الإخوان المسلمين وغيرهم لمدة خمسة أشهر، وفي ١٩٨٦م تولى رئاسة تحرير مجلة (لواء الإسلام) الناطقة بلسان الإخوان المسلمين، وكان يكتب في العديد من الصحف والمجلات، كمجلة الاعتصام، وصحيفة الشعب، وصحيفة النور، ومجلة الأمة القطرية، ومجلة الإصلاح الإماراتية، ومجلة المجتمع الكويتية.

كما سجل العديد من اللقاءات الإذاعية والتلفازية، وشارك في عشرات المؤتمرات والندوات والمهرجانات وظل متمسكاً بمبادئه، مواصلاً الطريق الذي اختاره، وقد ألّف عدة كتب، فضح فيها ما يجري في المعتقلات والسجون من تعذيب رهيب فاق في شراسته فظائع محاكم التفتيش، ومظالم الشيوعية والنازية والصهيونية، وساهم مع إخوانه في إعادة تنظيم صفوف الإخوان وبخاصة بالمدارس والجامعات.

كما فضح المؤامرات والمخططات التي تولى كبرها الولايات المتحدة الأمريكية، زعيمة الصليبية المعاصرة، والصهيونية العالمية، وقوى الإلحاد والإباحية، وحركات الهدم الماسونية التي التقت جميعاً على ضرب الإسلام كدين، والمسلمين كأمة، والتصدّي لحركات البعث والإحياء الإسلامي والصحوة الإسلامية المباركة، التي عمَّت العالم الإسلامي كله، بفضل الدعاة الصادقين، والعلماء العاملين، الذين بذلوا الأرواح رخيصة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وتحكيم شرع الله في عباد الله في أرض الله، وكان مهموماً بقضايا الوطن الإسلامي، وخصص له باباً في المجلة (وطننا الإسلامي).

كما قام بتعميق دور الصحوة الإسلامية المعاصرة، وأرسى قواعد بنائها، وأشاع مفاهيمها، وركز على برامجها التربوية العملية وبخاصة في محيط الشباب، واهتم ببناء قاعدة إعلامية لجماعة الإخوان المسلمين من شباب الإخوان، كما كان منفتحاً على التيارات الأخرى، وكانت له فيها صداقات كثيرة، وكان أول من يحضر إلى مكتبه بعد صلاة الفجر ليقرأ الورد القرآني ويطالع الصحف ويكتب ثم يتفرغ لإدارة المكتب الإعلامي للإخوان.

وقد أبرز دور المصلحين المجددين في هذا العصر، من مرشدي الإخوان المسلمين كالإمام الشهيد حسن البنا، والإمام الصامد حسن الهضيبي، والداعية الحكيم عمر التلمساني، ولا ننسى دوره في جمع شعر الشهيد محمد عواد الذي خرَّ صريعاً بسياط التعذيب في أقبية السجون الناصرية، دون أن ينبس ببنت شفة ضد إخوانه، بل صبر وصابر حتى لقي الله شهيداً.

مؤلفاته:

للأستاذ جابر رزق أكثر من أربعة عشر مؤلفاً في الفكر والدعوة والتراجم. ومن أهمها:

مذابح الإخوان في سجون ناصر.

الإمام الشهيد حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه.

الدولة والسياسة في فكر حسن البنا.

المؤامرة على الإسلام مستمرة.

محمد عواد الشاعر الشهيد.

مذبحة الإخوان في ليمان طرة.

الأسرار الحقيقية لاغتيال الإمام الشهيد حسن البنا.

طه حسين.. الجريمة والإدانة.

حسن الهضيبي.. الإمام الممتحن.

الإخوان المسلمون في سورية.

النصيرية.

هذا بالإضافة إلى المئات من البحوث والدراسات والمقالات والتحقيقات التي قام بها أثناء جولاته الدعوية في أنحاء العالم العربي والإسلامي وفي البلاد الأوروبية، وأمريكا، وقد أعدَّ حملة صحفية حول التعذيب الذي تعرض له الإخوان في السجون.

من أقواله:

يقول الأخ جابر رزق في كتابه: (مذابح الإخوان في سجون ناصر):

«... إن فكرة تصفية الإخوان المسلمين لم تكن في يوم من الأيام تفكيراً مصرياً خالصاً.. ولكن في جميع المحن التي تعرض لها الإخوان المسلمون، كان المد الصليبي، والكيد اليهودي، والمكر الشيوعي، هم وراء كل محنة لتصفية هذه الجماعة.

ويقيني أن الولايات المتحدة الأمريكية هي المحرض الأول على ضرب الإخوان المسلمين، سواء أكان ذلك أيام إبراهيم عبدالهادي أو أيام جمال عبدالناصر، أولاً: لأنها أمريكا صاحبة المصلحة الأولى في المنطقة، سواء كانت المصلحة اقتصادية أو استراتيجية.

ثانياً: لأنها حامية حمى الصليبية العالمية في القرن العشرين.

وثالثاً: لأنها أصبحت مطية الصهيونية واليهودية العالمية، تسخرها لتحقيق حلمها الكبير في إقامة (هيكل سليمان) من جديد... والجميع يعلمون أن هذا الحلم لن يتحقق إلا في غيبة الإسلام، وبالذات (إسلام الإخوان المسلمين) الذي أعلن جمال عبدالناصر أنه لن يسمح بوجوده في منطقة الشرق الأوسط!

أقول: إن العقل المفكر في ضرب الإخوان المسلمين كان عقل القوى الخفية

التي تحكم العالم اليوم، وتعتبر الإسلام عدوها الأول، والأخير، وبرميل البارود الذي لا يدرون متى ينفجر، فيبدد أحلام الجميع.

أما الأقزام من الحكام الذين صورتهم أجهزة هذه القوى الخفية في صورة «الأبطال الأسطوريين» أمام شعوبهم، فلم يتعد دورهم دور الهراوة الغليظة التي هوى بها المجرم الحقيقي على رأس الضحية.. ولكن أنى للإنسان القزم أن يحجب بيده الشمس؟ وأنى للحقد الصليبي والكيد اليهودي، والمكر الشيوعي، أن يقفوا في وجه الزحف الإسلامي الكاسح؟!

إن المسلم الحق الذي يعمر الإيمان قلبه، مطمئن إلى قوة الله، وقدرته، وإحاطته بالبشر جميعاً، ويقينه أنه لو شاء الله لانتصر منهم، ولكن لله سنة لابد أن تتحقق، فحتى يتحقق نصر الله، لا بد أن نستقيم نحن أولاً على طريق الله، فالنصر مرهون باستقامتنا نحن على دين الله، وليس رهناً بقوة الباطل أو ضعفه».

قالوا عنه:

يقول الأستاذ علي عبدالعزيز حسنين: «عرفته وعايشته وخبرته، ليس بالدرهم والدينار، وليس من خلال السكن والجوار، وليس من ثنايا الأسفار، باعتبارها من أهم وسائل الاختبار، ولكن عرفته نفساً تعرف الحب، لا أيّ حب، وعايشته روحاً تعشق الإيثار لا الأثرة، وخبرته عقلاً قبل اللفظ، وفكراً في محيط النص، فتهاوت عنده معايير الدنيا، وتوارت لديه مقدرات الحياة، وصار حبه لها مرهوناً بحب ربه لها، وارتباطه بها ارتباط الإنسان بالوسائل لا الغايات.

عرفته سروراً يدخله على إخوانه، وعايشته بلسماً يعالج ما بإخوانه، وخبرته خدمات تؤدَّى إلى إخوانه، يمشي في حاجة الناس، ويكف غضبه عن الناس، ويقول حسناً للناس، مصغياً لمحدثه، منتبهاً لمخاطبه، أصبر ما يكون لصاحبه، أسرع ما رأيت لمخاصمه، كأن الله أقامه فينا شهيداً وأوجده بين أيدينا حجة، وقطع بحياته معنا العذر، إن الأثر الطيب الذي امتاز به بيننا، والذي تركه فينا بعد

رحيله، هو رجوعه للحق، ونزوله عنده، ثم الحرص عليه والتمسك به».

ويقول عنه الأستاذ الكبير أنور الجندي: «رحم الله ذلك الوجه السَّني الذي كان يشع دائماً بالإيمان والإخلاص والسماحة التي علمها الإسلام لأبنائه وأهله، فقد كان جابر رزق علامة مضيئة من علامات الدعوة الإسلامية في جيل جاء بعد جيل الرواد، ولكنه تعلم الكثير وقدم الكثير في فترة من أشد فترات الامتحان والابتلاء، ولقد استطاع أن يمتلك قلماً نقياً طاهراً، وقدرة بارعة على فهم البيان الصحفي الإسلامي، جارياً على نفس الخط الذي رسمه الإمام الشهيد حسن البنا، والذي حمل لواءه كتاب الإسلام وصحفيوه.

ولقد استطاع جابر رزق أن يوسع دائرة كفايته الصحفية باشتراكه في العديد من المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في لندن وجنيف والخرطوم، كما حرر في الصحف الملتزمة التي صدرت في الإمارات وقطر وغيرها.

وكان خلال كل ذلك شعلة متقدة من الإيمان، وصدق الحماسة لكلمة الله تبارك وتعالى، عارفاً بأقدار العاملين على الساحة الإسلامية، متحدثاً إليهم في شتى الشؤون، فكان بحق فارساً من أبرز فرسان الصحافة الإسلامية في الفترة الأخيرة، ومن الذين كانوا يتعجلون السفر والأوبة إلى دار الخلود، ولقد كان جل عنايته أن يكشف الجوانب التي أوقعها بأهل الدعوة الإسلامية بعض الظالمين، فجزاه الله عن هذا العمل الخالص أصدق الجزاء».

ويقول عنه الأستاذ الكبير محمد عبدالله السمان: «جابر رزق ذو الغربتين، فهو عاش غربته معنى في وطنه، وعاش غربته واقعاً بعيداً عن وطنه، وكانت مأساة غربته في وطنه أفدح من مأساة غربته بعيداً عن وطنه، لأنه كان في وطنه صاحب فكر إسلامي أصيل، يؤرق مضاجع الذين يتخوفون من أصالة الفكر الإسلامي الذي يهدد مطامعهم ومصالحهم، وحامل قلم جريء يعرف الصراحة، ويتجاهل المداراة والتزلف.

وقد دفع الثمن باهظاً من ريعان شبابه في سجون عبدالناصر وسجن السادات».

ويقول الأستاذ صلاح عبدالمقصود: «دعانا رحمه الله قبل سفره للعلاج بيوم إلى منزله، ليستعرض معنا موضوعات العدد الجديد، واقتراحات تطوير المجلة إلى الأفضل، وذلك بعد أن حال المرض دون حضوره إلى دار المجلة، ورغم ما كان به من آلام إلا أنه كان راضياً.. هاشاً.. باشاً، فلم يحرمنا من ابتسامته وعاطفته التي تعودناها منه على مدار عشر سنوات عشناها معاً.. سألنا الدعاء.. وقال: إنني لن أتأخر.. مجرد استشارة وأعود بعدها بإذن الله.

قلنا له: لا تتعجل بالعودة حتى تبرأ تماماً، وكن مطمئناً على المجلة أكثر من وجودك معنا.

فقال: إنني واثق من ذلك.. وأردف قائلاً: إن محنة مرضي لا تقل عن محنة سجني بأي حال، وإن عدت فسوف نواصل المسيرة بمشيئة الله، وإن لم يقدر الله لي العودة، فأرجو أن تسامحوني».

ويقول عنه الأستاذ بدر محمد بدر: «تعلمت منه الكثير، وأكثر ما شدني في أخلاقه صفتان:

الأولى: حبه الشديد لدعوته وجماعته حباً ملك عليه كيانه، واستولى على حبات قلبه، فكان يومه يبدأ من صلاة الفجر أو قبلها، ويستمر حتى بعد منتصف الليل، ما بين قراءة وكتابة ولقاءات ومحاضرات وغيرها، يبذل ما يستطيع صابراً محتسباً.

والصفة الثانية: هدوء نفسه، وصفاء قلبه، وسعة صدره، كان يحب أن يرى المجلة في أفضل صورة، مجلة تليق بأكبر جماعة تعمل في حقل الدعوة الإسلامية في العالم».

ويقول عنه الدكتور حلمي القاعود: «تزاملت مع جابر رزق في الكتابة لأكثر من دورية إسلامية وصحفية، وكانت متعة أن نناقش ما كتبناه بالصدق والصراحة، لنتلافى الأخطاء، ونستزيد مما نراه من إيجابيات.

ويذكر لجابر أنه أثار قضيتين شغلتا الدنيا في حينه، أولاهما: الوثيقة الأمريكية

التي نشرها في مجلة (الدعوة) وعلق عليها، وكانت تتناول كيفية مواجهة الصحوة الإسلامية، أو المد الإسلامي، وكان لهذا النشر وقعه الداوي الذي شغل الجميع أيامها، وكان له تأثيره المضاعف فيما بعد.

وثانية هذه القضايا: إثارته لموقف طه حسين من الشعر الجاهلي في تحقيقات صحفية نشرها بالمجلة الأسبوعية التي كان يعمل فيها، وقد هزت هذه التحقيقات مشاعر الكثير سلباً وإيجاباً فتدخلت السلطة في أعلى مستوياتها، وأمرت بوقف النشر».

ويقول عنه الأستاذ عبدالله الطنطاوي: «التقيته مرتين: في عامي ١٩٧٧ و١٩٨٥م، كان بصحبة المرشد الحكيم: عمر التلمساني، ولاحظت اعتماد المرشد عليه، وثقته به، وسمعت من المرشد إطراءً عليه، إخلاصاً، وحركة، ووعياً، وتفانياً في العمل.. كان متوقد الذهن، لمَّاحاً، وعندما حدثته عما يجري في بلدي، وأعطيته بعض النشرات، تحمَّس لقضيتنا، وقال: قضية الإخوان واحدة.. إنها هي هي، في مصر والشام.. واليهود وراء كل مصائب الإخوان في كل مكان، والحركات الباطنية ربائب اليهود منذ نشأتها. ووعد بإصدار كتاب عن ذلك، وبرَّ بوعده، وأصدر كتابه عن النصيرية.

وطلبت من فضيلة المرشد طلبات، وأحالها المرشد إلى الأستاذ جابر، ونفَّذها الأستاذ جابر بحماسة، وكان من أكبر المتحمسين للإخوان في سورية.. وقد خسرنا بوفاته الكثير».

معرفتي به:

بدأت معرفتي بالأخ جابر رزق حين بدأت أتردد على مصر بعد هلاك عبدالناصر، ولقاءاتي بإخواني وأساتذتي وزملائي الذين بقوا على العهد ثابتين، وللإسلام عاملين، وكان أول لقاء معه في التوفيقية، حيث مكتب المرشد العام الثالث عمر التلمساني، وإخوانه الدعاة: د.أحمد الملط، وأحمد حسنين،

ومصطفى مشهور، وكمال السنانيري، ومأمون الهضيبي، وصلاح شادي، وصالح عشماوي، وجمال فوزي وغيرهم.

فكان الأخ جابر رزق شعلة من النشاط والحركة، يفيض بالبشر والسماحة، والعمل الدؤوب الذي لا يتوقف، والفهم لقضايا العالم الإسلامي، ومخططات أعداء الإسلام، وكيدهم للإسلام والمسلمين.

وكان محاوراً جيداً يصغي إلى الكلام بانتباه ويقظة ويستوعب ما يُقال، ويدلي بوجهة نظره بعد استجماع للأدلة التي تعززها، مع أدب وتواضع جمّ.

ولاحظت أن الإخوان في مختلف الأعمار يحبونه ويحيطونه بالرعاية، ويؤثرونه في استجلاء الكثير من الوقائع والأحداث التي يتعرض لها المسلمون في أنحاء العالم، وكان يقدم لهم الصورة كما تلقاها من المصادر الإعلامية، ويتبعها بالتحليل الذي يراه إزاءها.

وشعرت بالأخوَّة والانسجام معه في أول لقاء، لصدق عاطفته، وصفاء نفسه، وكان موضع التقدير من جميع الإخوان، وبخاصة أستاذنا التلمساني الذي يفيض على الجميع بالرعاية والمحبة، ويختص الأخ جابر رزق بالنصيب الأوفى.

وتكررت لقاءاتي بالأخ جابر في مصر وخارجها، ورافقته في أسفار دعوية متعددة، زادت من محبتي له ولمهنته الصحفية التي سخرها لدعوته، فكان نعم الرجل المناسب للمكان المناسب.

وفاته:

عقب عودته إلى مصر بعد حضور مؤتمر في إستانبول بتركيا أوائل عام ١٩٨٨م، شعر بآلام نزلة برد، وظل يتردد على مكتبه في مجلة (لواء الإسلام) التي يرأس تحريرها وهو يظن أن المسألة مجرد نزلة برد بسيطة وستنتهي، ولكنها استمرت طويلاً، وتطورت، وشعر أنه لابد من مراجعة طبيب، ثم أكثر من طبيب، حتى تقرر سفره للعلاج في كندا وأمريكا، في ولاية فلوريدا، على يد الدكتور

أحمد القاضي، حيث وافاه الأجل هناك يوم الاثنين ٦ / ١١ / ١٤٠٨هـ الموافق ٢٠ / ٦ / ١٩٨٨م عن عمر يناهز الثالثة والخمسين، وعاد جثمانه إلى مصر ليدفن بالقاهرة قرب أستاذه عمر التلمساني، حيث أوصى رحمه الله بذلك، ونفذ الأهل والإخوان وصيته، وقد ترك ثلاثة أبناء هم: أيمن، وأشرف، وأحمد.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



جمال فوزي

الشاعر الداعية والمجاهد الصابر

(١٣٣٠ ـ ١٤٠٦هـ = ١٩١٠ ـ ١٩٨٦م)

مولده ونشأته:

ولد الأستاذ جمال الدين إبراهيم فوزي في قرية (شنشور) التابعة لمحافظة المنوفية بمصر سنة ١٩١٠م، وتلقى تعليمه الأولي في القرية، وبعد ذلك اعتمد على نفسه في ثقافته وقرآنه، فكوّن ثقافة وعلماً واسعاً، وقد انتظم في صفوف جماعة الإخوان المسلمين في بدايتها، وكان يعمل موظفاً بالبريد، وهو صاحب القصيدة الشهيرة المعروفة بـ (ملحمة الدعوة) التي أنشدها العديد من المنشدين، وله ديوانان هما «الصبر والثبات» و«الصبر والجهاد».

صبره على البلاء:

وابتلي الأستاذ جمال فوزي في كل المحن التي تعرضت لها الحركة الإسلامية المعاصرة تقريباً، فكان متهماً في قضية السيارة الجيب سنة ١٩٤٨م، ثم محنة

الطاغية عبدالناصر سنة ١٩٥٤م، ثم في المحنة الثانية سنة ١٩٦٥م، وأخيراً في محنة السادات سنة ١٩٨١م، وقد تعرّض لتعذيب وحشي بشع، أتلف له أذنابُ السلطة وجلادوها نصف جسده طولياً: إحدى عينيه، وعموده الفقري، وذراعه وخصيته ورجله، وهو الرقيق النفس، الرهيف المشاعر، فكان صابراً محتسباً، وهو شاعر رقيق، باسم الوجه، مرح الروح، وذلك رغم ما يعانيه من آلام خلَّفتها على جسده الأيدي الآثمة من زبانية السلطة الظالمة.

أطلق عليه إخوانه لقب (حسّان الدعوة) لأنه من أدق من وصف الدعوة في مراحلها المتنوعة شعراً، خاصة وصفه مرحلة السجن والتعذيب أيام الطاغية عبدالناصر.

وله أشعار كثيرة، طبع منها ديوانان هما: (الصبر والثبات) و(الصبر والجهاد) فضلاً عن القصائد الكثيرة التي قالها داخل السجن وخارجه ولم تنشر.

كما كُتبتْ عنه وعن حياته وشعره، رسائل جامعية، منها رسالة للباحث عبدالباسط مصطفى في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة ١٩٨٨م.

من أقواله:

«دخلنا مبنى ضخماً وألقى بي أحدهم في إحدى حجراته، بعد أن طفنا وسط ممرات كثيرة، وبعد فترة وجيزة، صاح صوت من خلال مكبر صوت: أنت بالمخابرات العامة.. إما الاعتراف وإما الموت.. وبالطبع تبيَّنت الحقيقة بأنني في المخابرات العامة، ولكن عن أي شيء أعترف..؟! ولم يطل بي تفكيري، إذ دخل عليَّ زبانية المخابرات، ليوقعوا بالجسد المشلول المزيد من العذاب.. علقوني من ذراعيَّ إلى أعلى، وربطوهما في حبال، فصار جسدي معلقاً ومتدلياً، ثم ربطوا قدميَّ في اتجاهين مختلفين، ثم بدأت عملية الفسخ والسلخ، بشعة.. رهيبة.. قاسية.. صرت أتمزَّق، وأحسست آلاماً فوق الآلام.. فوق طاقة البشر، من صنع أناس ليسوا من البشر.. وجرَّب القوم معي في المخابرات شتى

صنوف التعذيب.. وضعوني فوق ما يشبه الكرسي، ورُبطتُ من يديَّ ووسطي، ثم أخذ الجهاز يدور بي بسرعة مجنونة، ثم يتوقف عن الدوران فجأة، لتبدأ عملية المساومة.. ويمنحني الله قدرة على الاحتمال، فأواجه المساومة بالصمت.. فيدار الجهاز من جديد، حتى أحس نفسي مشرفاً على الموت.. ونزعوني من فوق الجهاز، ثم قذفوا بي على الأرض، ثم رفعوني ثانية وقذفوا بي، وهكذا مع الركل بالأقدام، وتهشيم جسدي بالعصي واللكمات، والقيد في يدي من الخلف، وعيناي معصوبتان، وأحس بحاراً من الدم تغمر ملابسي.. أمروني بالوقوف فما استطعت، فقد ماتت فيّ الحركة.. وجاء صوت قبيح كريه تحسُّ في نبراته غلظة وحش كاسر!! يقول:

ـ ضعوا له الخابور.

وشعرت ببقايا ملابسي الممزقة تنزع، وبجسم مدبب صلب يخزونني به.. وشعرت بالتمزق.. وكان آخر ما أذكره صيحة مدوية أفلتت مني، رغم تهافتي.. ثم رحت في غيبوبة تامة..

وأفقت من غيبوبتي، فوجدت نفسي في سيارة تنهب بنا الطريق، وأحد الضباط يوقظني.. نزع الطاقية من فوق عيني، فصرت أرى.. ويا لهول ما رأيت.. الدماء تسيل مني في نزف خطير.. وكانت بالضابط إنسانية.. أو ربما كانت حالتي من السوء حتى حرَّكت في نفسه مواطن العطف والرحمة.. حاول أن يعطيني جرعة ماء.. ولم تكن بي حاجة إلى الماء، فقد غمرتني الآلام، وكنت أشعر لهيب نار من آثار جريمة المخابرات العامة.. لم تكن مياه الدنيا بأسرها لتطفئها».

ومن أقواله أيضاً:

«إلى أرواح الشهداء الذين باعوا أرواحهم في سبيل الله..

إلى أولئك الذين عمَّقوا القرآن في قلوبهم، لتقوم دولة الإسلام على أرضهم..

إلى أولئك الذين ضمتهم سجون الطغاة، فما زادتهم إلا صقلاً وثباتاً وتمحيصاً..

إلى هؤلاء جميعاً أقدم أشعاري، تصويراً صادقاً لأحداث جسام صاغت جنوداً للحق، يضعون أرواحهم على أكفهم فداء لدعوة الحق.

بين جدران السجون والمعتقلات صغت شعري تصويراً لواقع مرّ برجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. وإنني لأصور بأشعاري جانباً مما لاقاه الإخوان المسلمون على أيدي الطغاة والجبارين، ولا جريرة لهم إلا أن قالوا ربنا الله.

إلى أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

إلى أولئك الذين صبروا وصابروا ورابطوا..

إلى أولئك الذين انصهروا في بوتقة الإيمان، فاكتسبوا صلابة وثباتاً..

إلى أولئك الذين زادتهم السجون والمعتقلات صقلاً وعمقاً..

إلى هؤلاء جميعاً.. أهدي ترجمة صادقة لتاريخ محنة صنعت رجالاً يعضّون على دين الله بالنواجذ...».

نماذج من شعره:

ذهبت يراود قلبها   أمل يحقق حلمها
ومضت تفكر كيف   تلقى غائباً عن عشها
حملته في أحشائها   ربته في أحضانها
ودعت إله الكون أن   يرعاه من أعماقها
وتفتحت آفاقه   وتحققت آمالها
فإذا الوليد مجاهد   يرعى العهود جميعها
باع الحياة رخيصة   لله يرجو أجرها
حتى طوته سجونهم   دهراً وفي ظلماتها

كم ساوموه لكي يحيد — عن العهود بأسرها
ولكي يخون كتائباً — باعوا النفوس لربها
ولكي يشوّه ما أضاء — الكون من صفحاتها
ولكي يكون صنيعة — الشيطان بين صفوفها
وأبى الكريم مباهج — الدنيا وطلق أمرها
ورأى السجون معاقل — الأحرار رغم قيودها
وأصرّ أن يعلي نداء — الحق في جنباتها
فقضى السنين العشر — عملاقاً كشمّ جبالها

إلى الطاغية السفاح

هبني مدحتك بين الناس قاطبة — حتى جعلتك بين الناس عملاقا
هبني زعمتك قدّيساً تُباركنا — وقلت إنك خير الخلق أخلاقا
من ذا يصدّقني بين الأُلى عرفوا — عنك الخِداعَ وسفَّاحاً وأفَّاقا

تعارف

أسمِعك شِعري فقد تُشجيك ألحاني — علّي أُخاطبُ وجداناً بوجدانِ
فإنني ما قرضتُ الشّعر قافية — أهدافها نغماتٌ وفْقَ أوزانِ
لكنها فكرةٌ تجري الدماء بها — تُحرّك الصلب في صدق وإيمانِ
وها أنا يا أخي إن رُمتَ معرفتي — حتى أراك مع الأيام شِرياني

تحية مجلة الدعوة

عشنا زمان عصابة غدرت بنا — فتعملقتْ فرقٌ من الأقزامِ
فرقٌ لأشباه الرجال تجمّعوا — ما هم بغير حُثالة ولئامِ

لـكـنَّ عـيـن الله سـاهـرةٌ فـلا نـامت عـيـونُ عصـابـةِ الإجـرامِ
يـا «دعـوة» الـحـقِّ الـمـبـين تـألـقـي وخُـذي بـعـزمك رايـة الإسـلامِ
الله أكـبـر مـرحـبـاً يـا «دعـوتـي» يـا مصـدر الإشـعـاع والإلـهـام

معرفتي به:

عرفته حين حضرت إلى محاكمة الإخوان المسلمين في قضية السيارة الجيب سنة ١٩٥١م برفقة أستاذنا أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي كان يزور مصر آنذاك، وكنت وإخواني نرافقه في الكثير من زياراته ومحاضراته ومقابلاته، ومنها هذه المحاكمة التي كان من أبرع المحامين فيها، الشابُّ سعيد رمضان.

فرأيت الأخ جمال فوزي وإخوانه في قفص الاتهام، وكان شاباً وسيماً يعتمر الطربوش، يقف بشموخ وعزة نفس ورباطة جأش، واثقاً بعدالة قضيته. وكنت قد رأيته قبل ذلك سنة ١٩٤٩م حين زرت السجن مع الشيخ مناع القطان أول قدومي لمصر للدراسات الجامعية، حيث كان سجناء الإخوان المسلمين في قضية السيارة الجيب يقبعون في السجون، في انتظار المحاكمات، لقاء جهادهم في فلسطين، ومقاومتهم للاستعمار والمستعمرين وأذنابهم، وقد تكررت لقاءاتي به في القاهرة وغيرها أثناء الرحلات والكتائب والمخيمات، ثم كانت المحنة سنة ١٩٥٤م التي غيَّبت معظم الإخوان في سجون الطاغية عبدالناصر، وكنت تخرجت وغادرت مصر، ولم ألقه إلا في سنة ١٩٧٦م في التوفيقية في مكتب المرشد العام الثالث عمر التلمساني، وفي منزله، حيث سعدت به كثيراً في كل زياراتي، ورأيت فيه الرجولة والصلابة بكل معانيها في مواجهة الطغيان، والشفافية والرقة والحب والحنان في معاملة إخوانه، وعلاقته بالناس جميعاً، والأدب الجمّ، والتواضع، والطاعة، والامتثال لقيادة الجماعة، وبخاصة الأستاذ عمر التلمساني، الذي كان يحبه ويقرّبه منه، وكنت ألحظ ما يعانيه من آلا م خلّفتها أيام التعذيب في السجون، فكان يصلي على الكرسي، ولا يستطيع الانحناء أو

الركوع والسجود، ورغم ذلك، كان يمارس عمله الدعوي، ونشاطه الحركي، ودروسه وأحاديثه في تجمعات الإخوان وحلقاتهم بكل نشاط وحيوية، وكنت أرى احتفاء الإخوان به، خاصة الأخ جابر رزق الذي يذكر الكثير من مواقفه وثباته في المحن المتتابعة على الحركة الإسلامية المعاصرة. ولقد سعدت وإخواني بقصائده التي نشر معظمها في ديوانيه: «الصبر والثبات»، و«الصبر والجهاد»، ولقد سبق أن قمت باختيار بعضها ونشرها في مجلة المجتمع الكويتية الغرّاء.

كما قام الأخ الأستاذ حسني أدهم جرار، والأخ الأستاذ أحمد الجدع بنشرهما فيما أصدراه من كتب ودواوين وأناشيد.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ عمر التلمساني: «... أنت ثائر على الظلم إذا استعرضته معك.. وأنت أسوان مع الحزانى إذا مُرَّ بهم أمام خاطرك.. وأنت غاضب على الظلم، كاره له إذا شاهدت من خلال الشعر أيديهم تعلو باللهب، وتنزل محترقة.. أنت معه في كل ما أراد منك أن تكون معه فيه، وهذا هو الصدق في القول».

ويقول الأستاذ عبدالله الطنطاوي: «لله درّ دعوة الإخوان.. دعوة الرجل الرباني الذي لم تنجب الأمة الإسلامية مثله منذ بضعة قرون.. الإمام الشهيد حسن البنا، رضي الله عنه وأرضاه، فقد صنعت هذه الدعوة رجالاً، واكتشفت معادن رجال ما كانوا ليُعرفوا، لولا هذه الدعوة الراشدة المباركة.. من هؤلاء الرجال: الشاعر الداعية جمال فوزي، عامل البريد، الذي عرف حقيقة هذه الدعوة، فالتصق بها، وكان من خيرة أبنائها، وعياً، وإخلاصاً، وحركة، وتضحية.. وعرفت الدعوة كنه هذا الرجل الذي قد يزدريه «الخواص» في ثيابه، وفي المكان الذي يحتلّه في السلّم الاجتماعي، موظفاً بسيطاً، يتقاضى

بضعة جنيهات كل شهر.. عرفته الدعوة، وكشفت عن مخبوءات رجل أين منه الرجال.. رجل تجاوز بعطاءاته من يحسبهم الناس كباراً. فجّرت نفسه المتواضعة، مكوّنات العبقرية والعظمة الخاشعتين لله الواحد الأحد، الشامختين على الحطام والطواغيت والمال والجاه، وكل ما يقتتل من أجله أكثر الناس.

ولله در هذا الرجل البسيط في هيئته، العظيم في روحه ونفسه ومواقفه وشعره، وفي صبره وجلده في مواجهة الخطوب، وتحمّله للمحن، وشموخه على فراعنة العصر الحاكمين بأمر غيرهم، القادرين على شعوبهم بنذالتهم ونذالة من صنعوهم على أعينهم وبأيديهم في واشنطن، وموسكو، ولندن، وتل أبيب، وسواها من عواصم العدوانيين.

ما قرأت قصيدة أو مقطوعة لجمال فوزي إلا هزّت كياني.. فجعلتني أحسّ بعظمة هذه الدعوة، وخسّة أعدائها، من لدن فاروق، إلى العبد الخاسر، وأتباعهما من العبيد العبيد العبيد.

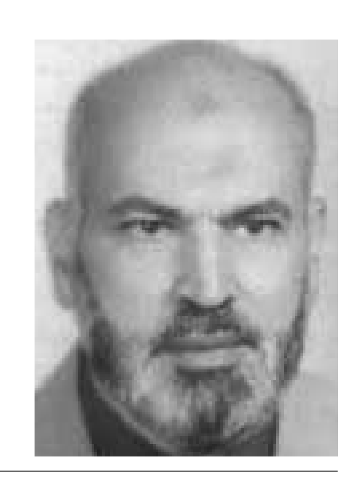
قد لا يكون جمال فوزي متفنناً في شعره، وما ينبغي له أن يكون كذلك، لأنه داعية، والدعوة هي التي تتحرك على لسان روحه شعراً يهزّ كلّ من كان له قلب وعاطفة.. شعر هو السحر الحلال.. وهو تاريخ لهذه الدعوة، وخاصة الابتلاءات التي ابتُليت بها على أيدي من لا أستطيع أن أصفهم بما فيهم من خسّة، ودناءة، وبذاءة، ووحشية.

شعر جمال فوزي صورة لروحه الشفيفة.. لإيمانه العميق.. لثباته في وجوه الأعاصير.. ولعله واحد الشعراء بتأثيره فيمن يقرؤه أو يسمعه.. مع أن الشعراء الذين ابتلوا كثر، وأبلغ بلاغة من جمال فوزي، ولكن ما يتميز به شعر جمال فوزي هو غير البلاغة.. هو شيء تشعر به ولا تكاد تحسّه.. شيء لا أستطيع أن أصفه إلا بأنه قطعة حقيقية من جمال فوزي».

وفاته:

انتقل إلى رحمة الله تعالى في الرابع من مارس سنة ١٩٨٦م، قبل وفاة رفيق الدرب الذي كان لا يفارقه الأستاذ عمر التلمساني بشهرين، حيث شيعه إخوانه في موكب مهيب.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين.





المجاهد حسن أحمد الجمل

مؤسسة خيرية تمشي على الأرض

(١٣٥١ ـ ١٤١٩هـ = ١٩٣٠ ـ ١٩٩٨م)

مولده ونشأته:

ولد الحاج حسن أحمد الجمل في حي المنيل بمصر القديمة، سنة ١٩٣٠م، وعاش حياته بين أهالي الحي في أسرة طيّبة، وتعرّف على دعوة الإخوان المسلمين وهو في مقتبل العمر، والتقى الإمام الشهيد حسن البنا سنة ١٩٤٢م، وباشر نشاطه الدعوي في شعبة المنيل، بين القراءة والعبادة والتربية والرياضة والتسلية والتثقيف، حيث كانت الشعبة تضم المسجد والنادي والمدرسة، وتقدم لروادها أنواع الأنشطة الروحية والعقلية والبدنية كافة.

جهاده في فلسطين:

وفي سنة ١٩٤٨م، نادى منادي الجهاد يدعو المسلمين إلى قتال الصهاينة على أرض فلسطين، أرض الإسراء والمعراج، فلبى الفتى حسن الجمل النداء،

وذهب إلى معسكرات التدريب للإخوان المسلمين، ليشارك في الجهاد مع كتائب الإخوان المسلمين الذاهبة إلى فلسطين، وقد أبلى وإخوانه البلاء الحسن، وأذاقوا اليهود الهزائم المتلاحقة، وقدموا بطولات عظيمة شهد لها قادة الجيش المصري، وأثنوا عليها، بل واستعانوا بها في أحلك الظروف وأقساها، لفك الحصار عن الجيش المصري، وقد تم بفضل الله ثم جهاد الإخوان المسلمين، ولولا تدخلات الدول الغربية، وعلى رأسها أمريكا، وخضوع الحكام العرب للإملاءات الخارجية، لكان الحال غير الحال، ولما بقي لليهود وجود في فلسطين، لولا الهدنات المتتابعة، فكلما شعر اليهود بضعف مركزهم، استعانوا بدول الغرب، لإعلان الهدنة، لوقف تقدم المجاهدين.

حل الإخوان واغتيال المرشد:

صدر في مصر قرار الحكومة العميلة بحل الإخوان المسلمين في ٨-١٢-١٩٤٨م، وتدبير اغتيال المرشد العام حسن البنا بأيدي عملاء السلطة في أكبر شوارع القاهرة، وهو شارع الملكة نازلي مساء ١٢/ ٢/ ١٩٤٩م، ولما ذهب الإمام البنا إلى مستشفى قصر العيني وهو ينزف لم يسعفوه، ومنعوا الأطباء من ذلك، حتى رزقه الله الشهادة، فكان دمه لعنة على النظام الذي قوَّض الله ملكه بعد سنين قليلة، ومات شرّ ميتة في أندية القمار، وبأحضان الغانيات.

من فلسطين إلى المعتقل:

أما الأخ حسن الجمل، وإخوانه المجاهدون في فلسطين، فقد اعتقلوا من ميادين المعارك، ونُقلوا إلى معتقل الطور وعيون موسى، وهذا هو تكريم الأبطال المجاهدين عند العملاء، وعبيد الاستعمار من حكام مصر آنذاك!

وفي سنة ١٩٥١م، التحق المجاهد حسن الجمل بإخوانه المجاهدين لمقاتلة الإنجليز في قناة السويس، وأبلى البلاء الحسن.

وفي سنة ١٩٥٤م زجّه الأوغاد في السجن الحربي مع الآلاف من إخوانه بأمر الطاغية عبدالناصر، ثم اعتقل مرة ثالثة سنة ١٩٦٥م، ومع كل ذلك فالصبر والمصابرة سلاح المجاهدين، والاحتساب وطلب الأجر من الله هو بغيتهم وهدفهم.

نشاطه في العمل الخيري:

وعقب خروجه من السجن، شرع في العمل الخيري في أوساط الناس، وبخاصة الفقراء والأرامل واليتامى، فساهم مع إخوانه في إنشاء العديد من الجمعيات الخيرية، ودور الحضانة، والمدارس، والمشاغل، ودور الأيتام، والمساجد، ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، والمستشفيات، وتيسير الزواج للشباب، وتقديم العون للمرضى، حتى وصفته جريدة الجمهورية القاهرية بالرجل الذي لا ينام إلا أربع ساعات، ويقضي باقي أوقاته بين الناس.

وفي سنة ١٩٧٩م، انتخبه أهل دائرته ليمثلهم في مجلس الشعب، ثم انتخبوه ثانية سنة ١٩٨٤م، ثم ثالثة سنة ١٩٨٧م، فكان نعم النائب في البرلمان، ممثلاً للجماهير المؤمنة.

ومن الغريب أن هذا البطل المجاهد، ورجل الخير والإحسان، تلاحقه سلطات الأمن، وتعتقله في أكتوبر سنة ١٩٩٠م مع الكثير من القيادات الشعبية والنقابية والجامعية والطلابية بتهمة «التحرك من أجل القضية الفلسطينية، والإساءة إلى دولة صديقة» (إسرائيل)!!

ثم يعاد اعتقاله سنة ١٩٩٥م مع عشرات الإخوان من القيادات السياسية والنقابية والجامعية والشعبية، وكانت التهمة هذه المرة: الاستعداد لخوض الانتخابات البرلمانية!!

وهكذا عاش هذا المجاهد البطل حياته في الجهاد في فلسطين، وفي قناة السويس، وفي مجالات الخير والخدمات الإنسانية، وسط الجماهير من أبناء

مصر وخاصة الفقراء والمعوزين وذوي الحاجات، فكان صورة مشرقة مضيئة لما يجب أن يكون عليه الدعاة المسلمون.

صفاته:

لقد عُرف الأخ المجاهد حسن الجمل بدماثة الخلق، والتواضع الجم، وبشاشة الوجه، والمسارعة إلى إغاثة الملهوف، ونجدة المنكوب، ونصرة المظلوم، ومساعدة الأرامل والأيتام والفقراء، واعتزازه الدائم بانتمائه إلى الإخوان المسلمين، وكان يحظى باحترام كبير، حتى بين ضباط جهاز أمن الدولة، فضلاً عن شعبيته الكاسحة لدى الجماهير التي تعتبره لسانها الناطق في مجلس الشعب، ونصيرها الدائم في السعي لنيل حقوقها، فالرجل يعيش مشكلات الناس وقضاياهم، ويسعى لما فيه مصلحتهم قدر طاقته وإمكاناته.

من أقواله:

«إن نواب الإخوان المسلمين في البرلمان يبذلون جهداً فوق الطاقة، فنحن ننادي الحكومة ونطالبها بتطبيق قوانين الشريعة، ونتقدم بطلبات إحاطة كثيرة، وأسئلة واستجوابات للوصول إلى ما نريد من مصالح الشعب، ونرفض القوانين التي تعرض علينا وتخالف الشريعة الإسلامية، وسبق أن اتفقنا في موضوع قانون الأحوال الشخصية الذي أقره مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، فقد وفقنا في ذلك والحمد لله، كما تقدمنا بثلاثة عشر قانوناً من قوانين الشريعة الإسلامية إلى البرلمان.

إنني لا أشك أن قوى الشر كلها مجتمعة على ضرب الإسلام والمسلمين في مصر، وفي مقدمتها نوادي الروتاري والليونز ومؤسسة بيلان الأمريكية، والشيوعيون والعلمانيون، ومن ورائهم الماسونية العالمية، وهي اليد الخفية التي

تتحرك في مصر بشكل كبير لضرب الإسلام، لأن هؤلاء الأعداء يدركون أن مصر هي قلعة الإسلام في العالم العربي والإسلامي، وأن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية تعمل بدأب على محاولة الإيقاع بالحركة الإسلامية، وتشويه صورتها، لافتعال أحداث ونسبتها إلى التيار الإسلامي، فلنكن على حذر مما يدبره الأعداء».

قالوا عنه:

يقول عنه المرشد الخامس الأستاذ مصطفى مشهور: «إن الأخ المجاهد حسن الجمل من الرعيل الأول الذي شارك في كتائب الإخوان المسلمين في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م، وقضى حياته في خدمة قضايا شعبه وأمته الإسلامية، وواجه المحن صابراً محتسباً».

ويقول الأستاذ صلاح عبدالمقصود: «لقد كان لي شرف الاعتقال مع المجاهد حسن الجمل، كما كان لي شرف الاتهام بنفس التهمة، وهي التحرك من أجل القضية الفلسطينية، والإساءة إلى دولة صديقة «إسرائيل»!!

وقد أودعت السجن معه ومع الدكتور أحمد عمر، الأمين العام المساعد لنقابة الأطباء، وفي زنزانة واحدة بسجن استقبال طرة، فكان الأخ حسن الجمل نعم الرائد والأب لكل السجناء، وقد أنشأ مع إخوانه في السجن مجموعة ورش عمل تدرس القضايا الوطنية والإسلامية، إضافة إلى عدد من كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم ومدارس العلوم الشرعية، والإنسانية والكونية، وكانت فترة حافلة بالفائدة، إذ استطاع أغلب الإخوان حفظ القرآن الكريم في وقت قياسي، إضافة إلى دراسة العديد من العلوم، وقد أصيب المجاهد حسن الجمل بأزمة قلبية نقل على إثرها إلى مستشفى قصر العيني لتجرى له عملية القلب المفتوح تحت الحراسة، ولم يشفع له المرض بالإفراج عنه، مثلما تعامل الدولة عتاة المجرمين، ولم يفرج عنه بنصف المدة أو ثلاثة أرباع المدة، كما يحدث مع السجناء

الجنائيين، بل أمضى المدة كاملة غير منقوصة، وخرج ليستأنف مسيرته في الجهاد، وما هي إلا أسابيع حتى لقي ربه راضياً مرضياً إن شاء الله».

معرفتي به:

عرفت اسمه من الإخوان الذين ذهبوا إلى فلسطين سنة ١٩٤٨م لقتال اليهود، كالأخ محمود عبده، ويحيى عبدالحليم، ومحمود حسن، وغيرهم، وقرأت عنه فيما بعد في كتاب الأستاذ كامل الشريف: «الإخوان المسلمون في حرب فلسطين» الذي تحدث عن البطولات الرائعة لشباب الإخوان المجاهدين ومنهم الشاب الفتى حسن الجمل، ثم التقيته بمصر أكثر من مرة في لقاءات الإخوان وعند مرشدي الإخوان: التلمساني وأبوالنصر، ومشهور، في التوفيقية والمنيل وفي الاجتماعات الأخرى التي تضم بعض أعضاء البرلمان المصري من الإخوان، كالأخ محمد المطراوي، زميلنا في الدراسة بالأزهر، وخطيب مسجد السيدة زينب والأخ صلاح أبو إسماعيل، والمستشار مأمون الهضيبي وغيرهم.

لقد كان الأخ حسن الجمل شعلة من النشاط والحيوية وبذل الخير والمعروف لأصحاب الحاجات من الفقراء والمحتاجين المتضررين وكان يسعى في قضاء مصالح الناس، وتفريج أزماتهم، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بإنشاء المدارس والمشاغل ودور الأيتام والمستوصفات والمساجد، متعاوناً مع المحسنين وأهل الخير بمصر وخارجها.

ولقد سعدت بزيارته لي في مكتبي برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة أثناء موسم الحج والعمرة، وسرني فيه قوة العزيمة، والعمل الدؤوب لجمع الشمل، واستنهاض الهمم، لنشر دعوة الحق والقوة والحرية وتقديم العون للمسلمين في كل مكان، وبخاصة في مصر التي يرى أنها مركز التأثير على العالم العربي والإسلامي، وتعلَّق عليها الآمال الكبار، فمواقفها في التاريخ معلومة مشهورة في تصديها للصليبيين والتتار، وهي اليوم بالدعوة الإسلامية المعاصرة تنشر الخير

في ربوع العالم العربي والإسلامي بجهود علمائها ودعاتها، ولشبابها المسلم الدور الناصع في فلسطين، وقناة السويس، وبطولاتهم أمام اليهود والإنجليز، والمؤمل أن تضطلع بالدور الرائد في نصرة الإسلام وإعلاء رايته والتصدي لقوى البغي والعدوان ﴿**والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ [يوسف: ٢١].

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالبذل والعطاء والجهاد والصبر والثبات، لقي المربي الفاضل الأستاذ حسن الجمل ربه، فجر الأربعاء ٩ جمادى الآخرة سنة ١٤١٩هـ ـ ٣٠ / ٩ / ١٩٩٨م، وقد شارك في تشييعه عدة آلاف، وعلى رأسهم الأستاذ مصطفى مشهور، وصُلي عليه في مسجد الباشا بحي المنيل بالقاهرة، عقب صلاة الظهر، ودفن إلى جوار مرشدي الإخوان المسلمين: عمر التلمساني، ومحمد حامد أبوالنصر، وكان عمره يناهز الثامنة والستين.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.





مفتي لبنان

الشيخ حسن خالد

(١٣٤٠هـ ـ ١٤٠٩هـ = ١٩٢١ ـ ١٩٨٩م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ حسن بن سعد الدين خالد، ولد في بيروت سنة ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م بدأ دراسته في مدرسة عمر الفاروق التابعة لجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ببيروت، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية، التحق بالكلية الشرعية (أزهر لبنان حالياً) وتخرج سنة ١٣٥٩هـ ـ ١٩٤٠م، وقد كلف من المديرية العامة للأوقاف الإسلامية بوظيفة خطيب في بعض المساجد، ثم أرسله مفتي الجمهورية اللبنانية مع بعض زملائه إلى الجامع الأزهر بمصر حيث التحق بكلية أصول الدين، حتى تخرج سنة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٦م.

حياته العملية:

بعد عودته إلى لبنان، تدرج بالوظائف من كاتب بالمحكمة الشرعية، إلى

رئيس قلم، ثم أجريت امتحانات لاختيار قضاة لبعض المحاكم الشرعية، فاشترك بالامتحان، ونجح، فعيّن قاضياً في محكمة عكّار الشرعية، ثم نُقل إلى محكمة محافظة جبل لبنان، ومع عمله بالقضاء، كان يمارس التدريس في أزهر لبنان، ويلقي خطب الجمعة في بعض مساجد بيروت.

وفي سنة ١٩٦٦م، تم انتخابه بالإجماع مفتياً للجمهورية اللبنانية، خلفاً للشيخ محمد علايا، بسبب شيخوخته وتقاعده.

نشاطه الدعوي:

لقد كانت للشيخ حسن خالد جولات وزيارات دعوية كثيرة إلى بلدان العالم، حيث شارك في العديد من المؤتمرات، وحضر الكثير من الندوات، وألقى الدروس والمحاضرات في أنحاء كثيرة من العالم العربي، والإسلامي، والأوروبي، والولايات المتحدة، وكندا.

كما كان عضواً في الكثير من المؤسسات الدعوية الإسلامية، فقد كان يتمتع بالعضوية الدائمة بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضوية مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف بالقاهرة، وعضوية المجلس الأعلى العالمي للمساجد، وعضوية لجنة إنقاذ القدس، وعضوية الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، وغيرها.

وفي الوقت نفسه، كان رئيس مجلس القضاء الشرعي الأعلى بلبنان، ورئيس اللقاء الإسلامي اللبناني.

وقد حصل على شهادة الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٦٧م، من جامعة الأزهر بمصر، ووسام النهضة الأردني، ووسام جمهورية تشاد وغيرها.

أهم مؤلفاته:

يتمتع الشيخ حسن خالد بثقافة شرعية أهلته لها دراسته في الأزهر بمصر،

ونتيجة لذلك، قام بتأليف مجموعة من المؤلفات الإسلامية القيمة ومنها:

الإسلام والتكافل المادي في المجتمع .

أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية.

أحاديث رمضان.

رسالة التعريف بالإسلام.

روح البطولة في الإسلام.

الزواج بغير المسلمين.

التوراة والإنجيل والقرآن والعلم.

الشهيد في الإسلام.

آراء ومواقف.

مسار الدعوة الإسلامية في لبنان خلال القرن الرابع عشر الهجري.

مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها.

المسلمون في لبنان والحرب الأهلية.

الإسلام ورؤيته فيما بعد الحياة.

المواريث في الشريعة الإسلامية «بالاشتراك».

موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية.

وغيرها من البحوث والمقالات المنشورة في كثير من الصحف والمجلات، وبخاصة البيانات الصادرة من دار الإفتاء خلال الحرب الأهلية اللبنانية.

والمتأمل في مؤلفاته وبحوثه، يلحظ شمولية رؤيته للحالة الإسلامية، ولمسار الدعوة في لبنان، وسعيه لتناول المواضيع التي تلامس مصالح المسلمين، وشؤون الأوقاف، وشؤون العبادات والأحوال الشخصية، بما يؤمن رعاية شؤون المسلمين وتوجيههم في ظل ظروف اجتماعية حرجة، وتجاذبات إقليمية حادة، ألقت بثقلها على الأوضاع العامة في البلاد، وبلورة رؤية عصرية للدين الحنيف،

وتجديد النظر والاجتهاد في مختلف القضايا المعاصرة التي استجدت في واقع المسلمين اليوم.

معرفتي به:

عرفتُ الشيخ حسن خالد من خلال زياراتي إلى لبنان، وفي لقاءاتي به في اجتماعات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، واجتماعات المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ومجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة، ومجمع البحوث الإسلامية بمصر، والمؤتمرات الإسلامية المتعددة. وكان يتصف بالهدوء، والوداعة، والابتسامة المشرقة، والتواضع الجم، وأدب الخطاب، والمجادلة بالتي هي أحسن، وتلك من صفات الدعاة الصادقين والعاملين المخلصين.

وكان لا يدلي بوجهة نظره في القضايا الخلافية التي تطرح على بساط البحث، وبخاصة في مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة، إلا بعد أن يستمع إلى وجهات النظر من الآخرين، ويعرف أدلتهم التي بنوا عليها أحكامهم، وكان للشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ مصطفى الزرقا منزلة كبيرة في نفسه، لمكانتهما العلمية، ورسوخ قدميهما في الاجتهاد.

اهتم الشيخ حسن إلى جانب التأليف والفتيا بقضايا الجماهير المسلمة، وحلّ المشكلات التي تواجه شرائح المجتمع المسلم في لبنان، وأرسى قواعد العمل المؤسساتي، وتطوير أجهزة دار الفتوى التي رفدها بهيئات ومجالس متخصصة، فأصبحت بجهوده مؤسسة إسلامية فاعلة، وباتت مرجعية حقيقية، تحتضن مؤسسات اجتماعية ناشطة، تتسابق في خدمة الإسلام والمسلمين، وتسعى لتحسين أحوال أبناء مجتمعها، وقد أسهمت هذه المنجزات في انتعاش الدعوة الإسلامية بلبنان، وتطوير العمل الإسلامي العام، وارتفاع موازنات الأوقاف في المناطق، وربط الأطراف

بالمركز، كما عمل على تكريم المرأة المسلمة، وتعزيز حضورها، وإسهامها في أكثر من مجال.

ولقد سمعت من إخواني بلبنان، كالشيخ زهير الشاويش، والشيخ فيصل مولوي، والأخ فتحي يكن، وغيرهم الثناء العطر على مواقفه وجهوده التي شملت المسلمين على الساحة اللبنانية كلها، بل وحتى المسلمين اللبنانيين في دول المهجر خارج لبنان.

ولقد أعطى منصب مفتي الجمهورية حقه، وأضاف إليه أبعاداً جديدة، قولاً وعملاً، كلها تصبّ في مصلحة الإسلام والمسلمين، على المستوى اللبناني والإسلامي والعالمي.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ نادر سراج: «انصرف المفتي حسن خالد إلى خدمة الإسلام بالتعليم والتأليف، وإرساء قواعد العمل المؤسساتي، وتطوير أجهزة دار الفتوى، التي رفدها بهيئات ومجالس متخصصة، فأصبحت مؤسسة إسلامية فاعلة، وباتت مرجعية حقيقية تحتضن مؤسسات اجتماعية ناشطة تتسابق في خدمة الإسلام والمسلمين، وتسعى لتحسين أحوال أبناء مجتمعها، وقد أسهمت هذه المنجزات في انتعاش الدعوة الإسلامية، وتطوير العمل الإسلامي العام، وارتفاع موازنات الأوقاف في المناطق، وربط الأطراف بالمركز، كما عمل أيضاً على تكريم المرأة، وتعزيز حضورها على أكثر من صعيد.

وقد أعطى هذا المنصب الديني أبعاداً جديدة، فوثّق الوشائج بين الديني والسياسي والوطني، وأطلّ على قضايا الشأن العام، فكان بحق، المرجعية الدينية والوطنية، ورجل الحوار والاعتدال والوحدة الوطنية، الذي وظَّف حكمته ووعيه لتجنيب لبنان آفات الفتنة والانقسام في فترة حرجة من تاريخه».

ويقول الشيخ زهير الشاويش: «وصلت بيروت سنة ١٩٦٣م، وكانت

اللقاءات معه لا تنقطع ، وكان مدرساً للعلوم الشرعية، ثم قاضياً.

وكان متأثراً جداً بمشايخ دمشق الذين كان لهم ارتباط تعليمي أو اجتماعي في لبنان، كالشيخ محمد بهجة البيطار، والشيخ سعدي ياسين، والشيخ علي الطنطاوي، والشيخ واصف الخطيب، وغيرهم.

ولما عُيِّن مفتياً كانت الصلة به قد توثقت، فتكرم، واعتبرني أحد مستشاريه، وكذلك في عدد من اللجان التي قامت بها دار الفتوى، وكان من مساعديه الشيخ طه الصابونجي، والدكتور مروان قباني، وسافرنا معه رحمه الله إلى السعودية ودول الخليج مرات عدة، وكذلك لإيران.

وكان أن استجاب إلى طلبي فأقام صلاة العيد في المصلى «الملعب البلدي» خارج بيروت، رغم عدم موافقة بعض السياسيين يومها، وألقى سماحته خطبة بليغة، استمع إليها الألوف، والتزم فيها ما كانت عليه خطب سيدنا رسول الله ﷺ في الأعياد.

والحمد لله ما زالت صلاة العيد خارج المساجد هي السائدة حتى اليوم في العديد من مدن لبنان، ولا تنقطع إلا أيام الثلوج والأمطار الشديدة.

وكان يرحمه الله لا يتأخر عن الاستعانة في الأمور الكثيرة بمن عرف من أهل العلم، ممن سكن لبنان، أمثال الدكتور مصطفى السباعي، والأستاذ عصام العطار، والشيخ محمد نصيف، والأستاذ مالك بن نبي، والحاج أمين الحسيني، وعبدالله العلي المطوع، والشيخ قاسم الدرويش، وغيرهم».

من أقواله :

«يكفي لبنان ما عاناه بسبب الوضع الطائفي، والترف السياسي.. لقد مارس بعض اللبنانيين اللعبة الطائفية، وشربوا كأسها حتى الثمالة، فكانت النتيجة أن أضاع لبنان توازنه، وكاد أن يفقد رشده. لقد مارس كثيرون اللعبة السياسية من مفهوم الترف السياسي، حتى تحوّل لبنان إلى صالون سياسي، وتحوّلت

السياسة إلى هواية لدى كل لبناني، فازداد الجدل، واتسعت هوّة الخلافات».

وقال عن (إسرائيل): «إنها ما زالت تحرّك بعض الأدوات التي تشكل رأس حربة لها، لإحداث المزيد من الارتباك داخل الوطن، ولإشعال المزيد من الفتن. أما التهديد بغزو جديد، فهو أمر وارد في كل يوم، وليس ضد لبنان فحسب، بل ضد كل دولة عربية، ودون استثناء، بل وضد مصير الأمة برمتها.. قصفت المفاعل النووي العراقي، ثم بلغت ضرب أهدافها العسكرية في تونس. وتمارس غزوها العسكري ضد الأمة العربية في كل مكان، وهي الآن تعد بالاتفاق مع الدوائر الاستعمارية، لإنتاج الصواريخ البعيدة المدى، لتطال أي عمق في البلاد العربية.. إن المعالجة الجزئية للغزو (الإسرائيلي) الجزئي هي خطأ إستراتيجي، فـ(إسرائيل) دولة عدوانية، وحدود مطامعها لا تتوقف على الحدود الفلسطينية، بل تشمل المنطقة العربية بأكملها، ومواجهة هذا العدوان، وخطر الغزو المستمر، لا يكون إلا بخطة مقابلة تكون على مستوى الخطر، وتقوم على إستراتيجية عربية موحدة، عسكرية، وسياسية، واقتصادية، وثقافية، هذه الخطة لا تكون ظرفية أو انفعالية، بل دائمة بدوام الخطر والعدوان، وتستهدف صد العدوان، والتحرير الشامل، مع الأخذ بالاعتبار، معالجة أي غزو جزئي».

وفاته:

استشهد الشيخ حسن خالد عندما انفجرت سيارة ملغومة بقرب سيارته في بيروت يوم الثلاثاء ١١ من شوال سنة ١٤٠٩هـ الموافق ١٦ / ٥ / ١٩٨٩م، وراح ضحيتها ستة عشر شخصاً، واثنان من حراسه، وسجلت القضية ضد مجهول!!

وقد تم دفنه بمقبرة الأوزاعي في اليوم التالي لوفاته، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

رثاؤه:

وقد رثاه الشاعر الإسلامي الكبير عمر بهاء الأميري بقصيدة جاء فيها:

قــتــلــتــمــوه فســمــا خــالــداً مــبــوأ مــقــعــده فــي الســمــاء

فـعشـتـم فـي حـومـة مـن الـردى هــلــكــى وغــرقــى فــي الــدمــاء

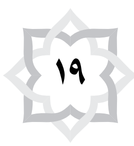
و«خــالــد» حــي قــريــر لــدى خـالـقـه الـرحـمـن فـي الأصـفـيـاء

ولقد بلغني خبر وفاته أثناء وجودي في كندا، حيث كنت في مهمة دعوية مبعوثاً من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وكان برفقتي عرفات العشي مدير مكتب الرابطة بكندا، وصلينا على الشيخ حسن خالد صلاة الغائب مع الجالية اللبنانية في كندا.

ولقد سرني أن يقوم محبوه وعارفو فضله في لبنان بتأسيس مؤسسة علمية تحمل اسمه وهي (مؤسسة الشهيد حسن خالد للتربية والتعليم) وقد تم افتتاحها سنة ١٩٩٣م.

وهذا جانب من الوفاء لهذا الرجل الذي أسهم إسهاماً كبيراً في رعاية شؤون المسلمين بلبنان وأوقافهم ومؤسساتهم العلمية والدعوية.





الواعظ الموفق..

الشيخ حسن طنون

(١٣٣٥ ـ ١٤١٣هـ = ١٩١٦ ـ ١٩٩٢م)

مولده ونشأته:

ولد الشيخ حسن طنون عام ١٩١٦م في مدينة وادي حلفا بالسودان، وتدرج في مراحله التعليمية وحفظ القرآن الكريم، واستفاد من حلقات العلم للعلماء والدعاة والوعاظ، واستفاد كثيراً من كبار العلماء أمثال: الشيخ محمد جنة، والشيخ إبراهيم الغرباوي، والشيخ عبدالحفيظ الشناوي، والشيخ محمود إبراهيم طيرة، والشيخ علي رفاعي، والشيخ سيد جعفر، وغيرهم من كبار العلماء والوعاظ في مصر والسودان.

نشاطه الدعوي:

مارس الوعظ والإرشاد وإلقاء الدروس في المساجد والزوايا والحلقات والتجمعات في أنحاء متفرقة من السودان، وكانت له دروس ومواعظ منتظمة،

وزيارات متعددة لمعظم المدن والقرى السودانية، واستمر يدعو إلى الله في السودان طيلة عشرين سنة، وترك آثاراً طيبة، وتأثر به الكثيرون، لصدقه وإخلاصه، ورقة مواعظه، فكان كثير البكاء والتأثر، يبكي السامعين، ويعيش معهم في أجواء روحانية إيمانية تنقل الجماهير من ثقل المادة، والالتصاق بالأرض، والانغماس بالدنيا، إلى آفاق الروح الصافية، والنفس المؤمنة المستشرفة لما عند الله من الخير والفضل.

رحلته إلى الكويت:

ثم رحل إلى الكويت أواخر الستينيات، فاستقبله أهل الكويت أحسن الاستقبال، ورحبوا به أجمل الترحيب، وظل يؤدي دوره الدعوي في تذكير الناس ووعظهم لسلوك سبل الخير والصلاح، وطريق النجاح والفلاح، وكان يعظ الناس في معظم مساجد الكويت، وعلى الأخص مسجد الملا صالح.

وكانت جموع المسلمين تتدفق على المساجد، خاصة من الشباب الذين أحبوه وتعلقوا به، وتأثروا بمواعظه، وهداهم الله على يده، فكان مجيئه للكويت من أعظم البركات على هذا البلد، وكان تأثيره على الكبار والصغار والنساء والفتيات عظيماً جداً، بحيث التزم الكثير ممن لم يكونوا ملتزمين، وأصبح هذا الجمهور من السامعين والمتأثرين بالشيخ حسن طنون، يشكلون القاعدة العريضة من المجتمع الكويتي.

فهو إذن عالم جليل، وداعية بليغ، وواعظ مؤثر، أمضى حياته في الدعوة والإرشاد والإصلاح في السودان طيلة عشرين عاماً، وفي الكويت قرابة ثلاثين عاماً، كان استقراره بها حتى وافاه الأجل.

تعرضه للبلاء:

ولقد ابتلاه الله بحادث سيارة أثناء زيارته البيت الحرام، حيث انقلبت به

السيارة، وأصيب إصابة بالغة، وترتب عليها شلل نصفي في الجزء السفلي من جسده، وظل صابراً على هذا البلاء ما يزيد على الخمس عشرة سنة، لا يُرى إلا ذاكراً لله، تالياً للقرآن الكريم. وكان محبوباً من جميع الناس وسائر الطبقات، يحظى بالتقدير من أهل الكويت جميعاً، الشيوخ والشباب الذين ألحوا على بقائه بالكويت، حتى بعد إصابته وعجزه.

ولقد بقي فترة الأزمة التي تعرضت لها الكويت بالاحتلال العراقي، ولم يغادرها، وفاء منه لأهلها، ولم يعط الطاغية أي كلمة رضا، بل كان يصدع بكلمة الحق، وإنكار الظلم الذي وقع على أهل الكويت، غير مبال بكل التهديدات التي أطلقها الظالمون المعتدون.

زملاؤه وتلامذته:

كان زملاؤه في الدعوة الذين يسير وإياهم على نفس النهج والأسلوب، المشايخ: محمد الغزالي، وحسن أيوب، ومحمد المتولي الشعراوي، وعبدالحميد كشك، ومن تلامذته الذين يعتز بهم: الشيخ أحمد القطان، والشيخ طايس الجميلي، ويقول: «أحب في الشيخ طايس إخلاصه وجرأته، إنه لا يخشى في الله لومة لائم».

وأحب في الشيخ أحمد القطان «إخلاصه ودعوته إلى الله بصدق، ولا يخشى في الله لومة لائم، ولو كان السيف على عنقه».

من أقواله:

«أنا مريض منذ أكثر من خمس عشرة سنة، وهذه المحنة التي أنا فيها، أعدّها منحة من الله، وما دمنا في هذه الدار، دار الابتلاء يجب علينا أن نصبر، ولا نستغرب وقوع الأقدار.. ومن لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان، قيّدت يداه بسلاسل الامتحان، ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾

[العنكبوت:٢]، وأنا لست صابراً، ولكني راض بقضاء الله وقدره، وكل يوم يمر عليَّ، وأنا في هذه المحنة، أجد حلاوة في قلبي.. وهذه السنون الطويلة التي مرت عليَّ كأنها سنة واحدة، وأشكر جميع الإخوان الذين يترددون عليَّ لزيارتي، جزاهم الله خيراً.. ولو أن من حق المسلم على المسلم زيارة المريض، ويسرّني ويثلج صدري أن الكثير من الشباب يزورونني يومي الاثنين والخميس، وهم على صيام.

ونصيحتي للشباب هي نصيحة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى ابنه الحسين حين قال: «يا بني أوصيك بتقوى الله عز وجل في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب.. والقصد في الغنى والفقر.. والعدل في الصديق والعدو.. والعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله عز وجل في الشدة والرخاء.

يا بني: من كثر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلَّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

يا بني: رأس العلم الرفق.. وآفته الحمق.. من كنوز الإيمان الصبر على المصائب.

يا بني: لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعلى من التقوى، ولا شفيع أنجح من القصد به، ولا لباس أنجح من العافية..

يا بني: من رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته، ومن سلَّ سيف البغي قتل به.. ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها.. ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورات بيته».

ومن أقواله أيضاً:

«من واجب العلماء والدعاة إلى الله أن يتصلوا بولاة الأمور، ويقدّموا لهم النصيحة، لا لغرض دنيوي، ولا لمأرب شخصي، كما كان السلف الصالح رضوان الله عليهم».

قالوا عنه:

قالت مجلة المجتمع الكويتية الغراء: «هناك رجال يقيِّضهم الله تعالى لإحياء هذا الدين في نفوس الناس كلما ضعف وذبل، ويجددون لهذا الدين رفع لوائه، والدعوة إليه، وقلّما تنجب الأمهات في زمن الانتكاسات مثل هؤلاء الرجال الذين منهم فضيلة الشيخ المجاهد حسن طنون الغني عن التعريف، الذي قدم إلى الكويت في الستينيات.. وكانت له صولات وجولات في مساجد الكويت.. وقد هدى الله على يديه كثيراً من الشباب والناس وبارك الله هذه الجهود الطيبة المثمرة، فهو ﴿**كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها**﴾ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

معرفتي به:

عرفت الشيخ حسن طنون بعد وصوله للكويت، وقيامه بالوعظ والإرشاد في المساجد، واللقاءات في المجالس والدواوين مع جماهير الناس، وبخاصة الشباب وشدّني إليه عاطفته الصادقة والحساسية المرهفة، وكثرة البكاء أثناء الوعظ، حيث ينفعل مع الموضوع الذي يتحدث به، أو القصة التي يوردها، فيبكي بصدق وحرارة، ويُبكي من حوله لفرط التأثر.

وكان الشيخ بشوش الوجه، بسّام الثغر، يتودد إلى الجميع بحسن الحديث، وجمال العرض، والأدب الجم، والتواضع ولين الجانب مع الصغير والكبير على حد سواء، وهذا ما حبّب الناس إليه، وجعل الكثرة الكاثرة من الرجال والنساء والشباب تقبل على مواعظه وخطبه، ويهدي الله على يديه الكثيرين ممن لم يكونوا على الطريق المستقيم من قبل، وهذا فضل من الله، آتاه هذا الداعية المخلص، فكانت تلك القاعدة العريضة من محبّي الشيخ في الكويت، سواء من الكويتيين أو المقيمين الذين حفظوا له هذا الفضل حين ابتلاه الله بحادث السيارة أثناء ذهابه إلى العمرة، فكان التعاطف معه منقطع النظير، وكان الوقوف إلى

جانبه من الجميع من حكام البلاد، ومن جماهير الناس، وهذا ما زاد تعلقه بأهل الكويت وتقديره لهذا الوفاء الرائع ، فآثر البقاء في الكويت، رغم عجزه عن الحركة، مستمتعاً بهذا الحب الأخوي، والصلة الربانية، وقد وافاه الأجل في الكويت، فبكاه الجميع بالقلوب كما بالعيون، ودعوا له بحسن الختام.

وفاته:

تُوفي مساء الجمعة ٦ / ١١ / ١٩٩٢م بمدينة الكويت، وشيِّع في جنازة مهيبة تحمل طابع الوفاء لهذا الداعية المؤمن العامل، والواعظ البكَّاء.

رحم الله أستاذنا الشيخ حسن طنون رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الداعية المجاهد
حسن فؤاد عبد الغني
(١٣٤٥ ـ ١٤٠٠هـ = ١٩٢٦ ـ ١٩٨٠م)

مولده ونشأته:

ولد الأخ الداعية حسن فؤاد عبدالغني، بإحدى قرى مركز منيا القمح بمحافظة الشرقية بمصر ودرس في مدرسة الزقازيق الثانوية، وأكمل الدراسة الجامعية بكلية الحقوق بجامعة إبراهيم (عين شمس حالياً)، التحق بجماعة الإخوان المسلمين ١٩٤٥م، وكان شعلة من النشاط والحيوية والكفاح الوطني، تولى مسؤولية اللجنة التنفيذية لطلاب الشرقية، وقاد المظاهرات الوطنية ضد اتفاقية (صدقي ـ بيفن)، حيث طالبوا المحتل الإنجليزي بالجلاء عن أرض مصر، وتعرض هو وزملاؤه الطلاب للاعتقال.

وفي ١٩٤٦م عاد إلى عرينه في الشرقية، واستمر في الكفاح والنضال، وألقي عليه القبض وأودع في سجن الزقازيق بضعة أشهر، وبعد الإفراج عنه دعا داعي الجهاد في فلسطين، فالتحق بالإخوان المجاهدين الذاهبين إلى فلسطين ١٩٤٨م

وتولى قيادة فصيلة من مجاهدي الإخوان المسلمين المصريين في معسكر (البريج) بغزة، فقاتل اليهود مع إخوانه ببسالة منقطعة النظير في مناطق «غزة» والمستعمرات اليهودية في (المشبه) و(الدنجور) و(كفر ديروم)، وقام هو وإخوانه المجاهدون بنسف خطوط مواصلات اليهود وتدمير قوافلهم، وكان مضرب المثل في الشجاعة والفدائية، حتى إنه كان يتعمد الحراسة الليلية في الشتاء القارس البرودة نيابة عن إخوانه.

وحين كان وإخوانه المجاهدين في منطقة (صور باهر) وصل إليهم نبأ استشهاد الإمام حسن البنا بالقاهرة بأيدي بطانة الملك الفاسد فاروق في ١٢ فبراير ١٩٤٩م، فأصر على السفر إلى القاهرة، وانضم إلى مكمن للمجاهدين في منطقة شبرا بالقاهرة، ودارت معركة مع البوليس السياسي، اعتقل على إثرها، وأودع السجن مع مجموعة من إخوانه، ثم أُفرج عنه بعد عامين.

وبعد خروجه استأنف مرحلة من الجهاد ضد الإنجليز، حيث قام مع الدكتور سعيد النجار بتنظيم كتائب المجاهدين من الطلاب الجامعيين في معسكر جامعة إبراهيم باشا، وقام بتدريبهم وتسليحهم لمحاربة الإنجليز على ضفاف قناة السويس ١٩٥١م.

وكذا كان الشأن في جامعة فؤاد (القاهرة حالياً)، حيث تولى الأخ حسن دوح قيادة معسكر جامعة القاهرة، وكانت المعارك الشرسة مع قوات الاحتلال البريطاني المرابطة بالقناة، حيث أبدى الإخوان المسلمون فيها بطولات رائعة وقدموا الشهداء، وأصابوا الإنجليز بخسائر فادحة بالأرواح والمعدات، حيث هاجموا المعسكرات، ودمَّروا قوافل الجنود، ونسفوا القطارات الحربية التي تنقل المعدات والجنود حتى زلزلت الأرض تحت أقدام الإنجليز، وأصبحوا لا يغادرون معسكراتهم، بل كان المجاهدون من الإخوان يهاجمونهم في عقرها، ويصيبون فيهم مقاتل كثيرة، واستشهد من شباب الجامعة الكثير، وجرح الكثيرون، وكان من الشهداء الجامعيين الإخوة: عمر شاهين، وأحمد المنيسي،

وعادل غانم وغيرهم، وكان التلاحم الشعبي واضحاً، حتى إن مدير الجامعة الأستاذ الدكتور عبدالوهاب مورو كان على رأس الداعمين للمجاهدين من طلاب الجامعات، وأعطاهم شيكاً على بياض، وفتح مشفاه الخاص لعلاج الجرحى المصابين بالمجان، وكانت قوافل الشهداء من الطلاب تشيع من مقر الجامعة بمشاركة الأساتذة وجماهير الشعب المصري المؤمن وفي مقدمتهم الإخوان المسلمون ومرشدهم العام الإمام حسن الهضيبي.

وحين قامت حركة الجيش في ٢٣ / ٧ / ١٩٥٢م ضد الفساد الملكي وآزرها الشعب المصري المؤمن، وفي مقدمته الإخوان المسلمون، كان للأخ حسن عبدالغني دوره المتميز، حيث قابل عبدالناصر ضمن وفد من الإخوان وقال له: «لا نريد إلا حكاماً يحترمون الإسلام، فاحكم بالقرآن تجدنا جنداً نسدد خطاك».

وبعد أن قلب عبدالناصر ظهر المجن للإخوان المسلمين، وتنكَّر لكل العهود والمواثيق التي قطعها وآثر الاستبداد بالسلطة والتخلص من كل من يعارضه من العسكريين أو المدنيين، وشن حملته الشرسة على الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤هـ بعد حادث المنشية المفتعل، كان الأخ حسن عبدالغني من الذين اعتقلوا وأودعوا في السجن الحربي ولقي من العذاب ما لقي وإخوانه في سجون الطاغية عبدالناصر، ثم أفرج عنه بعد أكثر من ثلاث سنوات، ولم يهدأ أو يستكن، بل ظل يعمل في حقل الدعوة ويوثق رابطة الأخوة فيما بين أبنائها، ويدعوهم للعمل فيما يرضي الله بدعوة الناس إلى الخير والتصدي للظلم والظالمين، والثبات على الحق مهما ادلهمت الظروف وتقاعس المتخاذلون، وكان عمله التنظيمي في إطار السرية حتى إن صديقه القريب من نفسه الأخ علي صديق فرج لم يخبره بذلك إشفاقاً عليه من المشاركة لاعتلال صحته.

وفي سنة ١٩٦٥م، اعتقل الأخ حسن عبدالغني للمرة الرابعة وأودع السجن الحربي، وتحمَّل من البلاء والعذاب والتنكيل ما تقشعر له الأبدان، وبقي في السجن خمس سنوات حتى أفرج عنه أوائل السبعينيات الميلادية، وبعدها بفترة

غادر مصر سنة ١٩٧٢م إلى الكويت، حيث عمل في الشؤون القانونية، وكان من المنافحين عن الحق والمدافعين عن المظلومين الساعين في تقديم العون لإخوانهم المسلمين بكل طاقاتهم، حيث لا يدخر جهداً إلا وبذله لمساعدة إخوانه ورفع المعاناة عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان له نشاطه الدعوي في الكويت، مع إخوانه العاملين في حقل الدعوة الإسلامية من الكويتيين والمقيمين على حد سواء، وقد أصدر كتاباً بعنوان: «(المنافقون وشعب النفاق)، وله دروس ومحاضرات وندوات وحوارات تكشف عن فهمه العميق للإسلام.

من أقواله:

«لقد غاب عن ذهن البشر عامة إلا قليلاً ممن هداهم الله أن الحضارة العارية عن الأخلاق إنما هي الخراب والدمار. ولقد نظرت في أحوال الناس والأمم، فوجدت أن النفاق هو الشاهد على حماية أهدافهم ومصالحهم وأن الأخلاق قد هجرت حياتهم، وأن الفضيلة تتهاوى تحت أقدامهم، ثم نظرت إلى من يحملون لواء الدعوة الإسلامية ومن يتحملون أعباء الدعوة إلى الحكم بكتاب الله تعالى، فوجدت أن الأفاعي المتنكرة في ثياب الملائكة، وقد أحاطت بهم، توسعهم لدغاً وإيلاماً وإذا كان من الناس من يتصدى للأفاعي الحيوانية، فأنى لنائم أن يتصيد تلك الأفاعي البشرية».

معرفتي به:

عرفته بمصر أثناء دراستي الجامعية، حيث كان هو والإخوة علي صديق فرج، وفتحي البوز، وفوزي فارس، وحسن دوح، وصالح البنا، وصلاح حسن، وعبدالعزيز علي محمد، ومحمود حسن وغيرهم، يتولون التدريب في المعسكرات والمخيمات لشباب الإخوان، وخاصة الجامعيين منهم، وكان من ثمرات توجيهاتهم وتدريباتهم المنضبطة بتوجيهات الإسلام وتعاليمه، أن استفاد

الكثير من إخواننا طلاب البعوث الإسلامية من العالم العربي وإفريقيا وآسيا، ونقلوا تجاربهم على أيدي هؤلاء المربين إلى بلدانهم، فأقاموا المخيمات والمعسكرات والرحلات، والكتائب، فكانت خير محاضن لبناء الرجال الأقوياء، في إيمانهم، وأبدانهم، فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، ومنهم كانت طلائع التيار الإسلامي في العالم العربي والإسلامي.

وحين سعدت بقدومه إلى الكويت مع إخوانه المفرج عنهم أوائل السبعينيات، كانت اللقاءات المتصلة في الأسر والحلقات والكتائب والرحلات، وكذا في الندوة الأسبوعية مساء الجمعة بمنزلنا في المنصورية والزيارات الخاصة، واللقاءات الأسرية، وهو يتميز بالهدوء والجد والعمل الدؤوب ولا يحب الصدارة في المجالس ويؤثر الفعل على القول.

قالوا عنه:

يقول عنه رفيق دربه الأستاذ علي صديق فرج: «عرفته في أوائل الأربعينيات يوم التقينا بمدرسة الزقازيق الثانوية وفي مسجد المدرسة، تعاهدنا على العمل لدعوة الحق، كان حسن عبدالغني طاقة إسلامية لا تهدأ، ينظم المظاهرات الوطنية بعزيمة لا تلين، وإقدام لا يعرف الإحجام، وحذر وحيطة لا يشوبهما غفلة، ولا يعنيان ضعفاً، وكان خطيباً مؤثراً بروح صافية، وحجة قوية، تقلد مسؤولية اللجنة التنفيذية لطلاب الشرقية، فقاد المظاهرات ضد اتفاقية (صدقي ـ بيفن) التي نظمها رهطه في طول البلاد وعرضها، حتى أحبطت واندحرت، كما قاد المظاهرات التي تنادي بجلاء المحتل الإنجليزي من أرض مصر، وتستنكر إقدام النقراشي رئيس وزراء مصر في عهد فاروق على فتح كوبري عباس، حيث سقط الكثير من الطلاب شهداء برصاص البوليس، وغرقى في النيل أمثال: سعد سرحان، والغندور، والغنيمي، وكان يزورني وأنا جريح في المستشفى ولا يدخر جهداً ولا مالاً في مواساة أسر الشهداء. وقد لحق بنا في فلسطين ١٩٤٨م،

وأسندت إليه قيادة فصيلة مقاتلة في معسكر البريج بغزة الذي كان بقيادة الشهيد الشيخ محمد فرغلي، والأخ كامل الشريف، وكان حسن عبدالغني مثالاً للفدائي الطاهر الذي أحبه المجاهدون والتفوا حوله».

ويقول الدكتور محمد المأمون محمد علي: «إنه لرهط كريم.. وموكب عزيز غال هذا الذي ينتمي إليه حسن عبدالغني أبوطارق لعله من أطهر رهط لأكرم دعوة تجديدية في القرن العشرين.. ولقد مضى من هذا الرهط الكريم على أرض الكويت كثيرون نذكر منهم: «مصطفى حسن، عبدالعزيز السيسي، صلاح حسن، حسن العشماوي، سعيد النجار، سيد ورد، عبدالرحيم عبدالخالق...

يا أبا طارق: طاب جهادك في فلسطين ضد اليهود، وطاب جهادك في القناة ضد الإنجليز، وطاب جهادك ضد الطاغوت في السجن وراء الأسوار.. وآجرك الله عن الآلام التي عانيتها في السجون.. وطابت صحبتك في الكويت منافحاً عن الحق، عاشقاً للحقيقة.. لقد سبقتنا إلى لقاء رب كريم ورضي الله عن إمامك ومرشدك الشهيد حسن البنا مؤسس هذا الرهط».

وفاته:

توفي عصر يوم الجمعة ٨ من ربيع الأول ١٤٠٠هـ الموافق ٢٥ يناير ١٩٨٠م، بعد أن أُجريت له عملية جراحية في المستشفى الأميري بالكويت، يوم ٦ يناير ١٩٨٠م، حيث انتكست العملية فكانت الوفاة، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.. وقد تم تشييع جنازته إلى مصر، حيث دفن في مسقط رأسه بالشرقية رحمه الله.



الداعية حسن محمد العشماوي

القانوني الضليع والسياسي المحنَّك

(١٣٤٠ ـ ١٣٩١هـ = ١٩٢١ ـ ١٩٧٢م)

مولده ونشأته:

ولد الأستاذ المحامي حسن محمد العشماوي في مدينة المنيا بصعيد مصر ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م، ونشأ في أسرة كريمة معروفة، وتلقى تعليمه في المدارس الابتدائية والثانوية، ثم التحق بكلية الحقوق، وتخرج فيها سنة ١٩٤٢م، ثم حصل على دبلوم القانون الخاص ١٩٤٣م، ونظراً لتفوقه اشتغل في النيابة والقضاء، ثم استقال من منصبه في أواخر الخمسينيات كوكيل للنائب العام، وعمل بالمحاماة ١٩٤٩م، وكان قد انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٤٤م.

ونظراً لملكاته ومواهبه، تقدم إلى الصفوف الأولى في الجماعة متحملاً عبء الدعوة ومسؤوليتها، وقد تولى الدفاع عن الإخوان المتهمين في قضايا الجيب والأوكار، وفاز بعضوية مجلس نقابة المحامين، وعمل مع والده بمكتب المحاماة، وقد عهدت إليه الجماعة ليكون أحد طرق الاتصال بتنظيم الضباط

الأحرار الذي أنشأته مجموعة من ضباط الإخوان المسلمين سنة ١٩٤٨م ليكون له حرية الحركة وحرية قبول الأفراد الآخرين من الضباط غير الملتزمين بالإسلام، كما اقترح جمال عبدالناصر ذلك على الرئيس محمود لبيب، لأن التوسع لابد منه وليس كل الضباط يلتزمون بالشروط الخلقية التي يتطلبها الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين والحاجة جد ماسة لتوسعة التنظيم، ليشمل أكبر عدد من الضباط الناقمين على العهد الملكي والمطالبين بالتغيير، وكان لعبدالناصر ما أراد، حيث اقتنع الصاغ محمود لبيب بوجهة نظره.

وكان اتصال الأستاذ حسن العشماوي بعبدالناصر عام ١٩٥١م أثناء معارك الإخوان المسلمين في قناة السويس ضد الإنجليز بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦م، حيث أراد الضباط الأحرار التعاون مع الإخوان في المعركة، وتقديم خبراتهم وتدريبهم للمقاتلين وتهيئة السلاح اللازم، وكان ذلك أول لقاء بين حسن العشماوي، وجمال عبدالناصر، وقد توثقت الصلة فيما بينهما، حتى إذا حصل حريق القاهرة في يناير ١٩٥٢م وكان الضباط الأحرار لديهم أسلحة وذخائر في بيوتهم، وخشي عبدالناصر من تفتيش بيوت الضباط من قبل البوليس، اتصل بالأستاذ حسن عشماوي وطلب منه أن يخفي الأسلحة في مكان أمين، فاستجاب العشماوي لطلب عبدالناصر على الفور وبدأ نقل الأسلحة إلى مزرعة أهله في مدينة الشرقية، حيث أحضر عبدالناصر تصميماً هندسياً لمخزن الذخيرة وتم الحفر في المزرعة دون علم أحد من آل العشماوي باستثناء حسن العشماوي وزوجته ومنير دلة، وعبدالقادر حلمي، وعبدالناصر.

وفي بداية عهد الثورة كانت الحكومة في حاجة إلى قرض مالي بعد أن جمَّدت بريطانيا رصيد مصر من العملات الإسترلينية عقب إلغاء معاهدة ١٩٣٦م، مما اضطر عبدالناصر إلى تكليف حسن العشماوي والفضيل الورتلاني بالسفر إلى الكويت لطلب قرض من حكومتها لحكومة الثورة في مصر، كما أن كفاءة حسن العشماوي القانونية أهلته ليكون عضواً في لجنة وضع الدستور المصري عام ١٩٥٣م.

ولكن النجاح الذي أحرزته الثورة بدعم الإخوان المسلمين بدأت الثورة تتجه فيه اتجاهاً استبدادياً لا يرضى بوجود اتجاهات تعارضها في البلاد لا من الإخوان ولا من غيرهم، وبدأ عبدالناصر بتركيز الأمور كلها في يده، وإقصاء كل من يعارضه سواء من الضباط أو غيرهم، بما فيهم الإخوان المسلمون الذين كانوا السند القوي للثورة، حيث بدأ القبض عليهم وإدخالهم السجون واحداً بعد الآخر، ابتداء بالعسكريين منهم، ثم المدنيين من القادة في المرحلة الأولى، حتى شملت الاعتقالات معظم الإخوان المسلمين في القطر المصري بعد افتعال حادث المنشية الذي اقترحته المخابرات الأمريكية على عبدالناصر للتخلص من الإخوان المسلمين، وزودته بالسترة الواقية اللازمة.

وكان نصيب حسن العشماوي الاعتقال وإيداعه السجن، ولم تشفع له الصلة التي كانت تربطه بعبدالناصر، وفوجئ حسن العشماوي بالاتهام وتحقيق النيابة معه بأنه (يحرز أسلحة وذخائر في مخبأ بعزبة أسرة العشماوي بالشرقية)، حيث نشرت الصحف على صدر صفحاتها الأولى بخط كبير أن قوات الأمن المصرية عثرت على مستودع كبير مليء بالأسلحة والمواد الناسفة بعزبة تملكها أسرة حسن عشماوي، ولما كان هذا الأمر لا يعرفه إلا جمال عبدالناصر وحسن عشماوي، فقد امتنع العشماوي عن الإدلاء بأية أقوال حتى يحضر عبدالناصر الذي يعرف كل شيء عن هذه الأسلحة، وكانت المفاجأة أن حفظ التحقيق في هذا الاتهام الخطير، لأن هذه الأسلحة هي ملك عبدالناصر وهو الذي أخفاها عند حسن عشماوي.

ولم يمكث حسن عشماوي طويلاً بالسجن الحربي، إذ خرج بعد شهرين، ولكنه كان على حذر بعد انعدام الثقة بين النظام وجماعة الإخوان المسلمين، فاستأجر منزلاً جديداً يلجأ إليه مع بعض زملائه ممن اضطرتهم ظروفهم للاختفاء ثم لحق به الأستاذ المرشد حسن الهضيبي بعد أن هوجم بيته ليلاً في غيابه، وتأكد أن أمراً صدر بالقبض عليه، وكانت الأحداث تجري بسرعة، والفتن حالكة الظلام.

وفي هذه الفترة القلقة، اجتمع الأستاذ المرشد مع زملائه أعضاء مكتب الإرشاد مرتين في ظروف بالغة الحرج، وناقش المجتمعون سياسة الجماعة مع الحكومة وموقفها من الاعتقالات التي استشرت كألسنة النيران في صفوف الجماعة على مستوى القطر المصري، واستبعد الحاضرون سياسة العنف مع الدولة، واقترح البعض القيام باعتصام سلمي يضم الإخوان وغيرهم من أفراد الشعب المصري، يرابطون جميعاً أمام قصر عابدين حتى تنزل الحكومة عن رأيها.

وجاء حادث المنشية المفتعل يوم ٢٨ صفر ١٣٧٤هـ ـ ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٤م ليزيد الأمور تعقيداً، حيث استغله عبدالناصر استغلالاً بشعاً في التنكيل بجماعة الإخوان المسلمين والزج بهم في السجون.

وأصر المرشد العام على مواجهة الموقف، ورفض فكرة اللجوء إلى إحدى السفارات العربية، وتم القبض عليه يوم ٣ من ربيع الأول ١٣٧٤هـ ـ ٣٠ / ١٠ / ١٩٥٤م وأودع السجن مع إخوانه وتلامذته الذين اعتقلوا بالآلاف من مختلف المناطق.

أما الأستاذ حسن العشماوي فرفض أن يسلم نفسه، فاختفى في أحد بيوت معارفه، وفشلت الحكومة في العثور عليه، حتى إنها لجأت إلى أسلوب حقير لإجباره على التسليم، فقبضت على أبيه وكان شخصية عامة ولم تترفق بسنه الذي تجاوز الستين.

بدأ حسن عشماوي مغامرة مثيرة في التخفي والهرب عن عيون الأمن، انتقل خلالها من مدينة إلى أخرى، واستقر به المقام في مكان صحراوي قاحل في صعيد مصر لمدة عام، آواه فيه أحد المجرمين السابقين، وتكفل بحمايته، على الرغم من علمه بأنه أحد الهاربين من بطش الحكومة، وكان الرجل كريماً ذا مروءة عالية، فقبل هذه المخاطرة، وقد نجح حسن عشماوي في استخراج شهادة ميلاد جديدة عاش بها فترة من الزمن جاوزت ثلاث سنوات مختفياً عن عيون

الحكومة، ثم نجح في الهرب إلى السعودية، حيث عمل مستشاراً بوزارة المالية، ومنها إلى سويسرا، ثم المغرب، حيث عمل أستاذاً بكلية الحقوق بجامعة الرباط، ثم استقر في الكويت، حيث عمل نائباً لرئيس إدارة الفتوى والتشريع، ثم مستشاراً قانونياً لوزارة الدفاع والداخلية في الكويت.

أهم مؤلفاته:

وقد صدرت له بعض المؤلفات منها:

مع القرآن.. زاد الرحلة الأولى كتاب الله.

مذكرات هارب.

قلب آخر من أجل الزعيم (مسرحية عن الدكتاتورية والحرية).

الشيخ عليش (سياسية رمزية).

تاريخ الحركة الإسلامية في مصر.

شخصيته وصفاته:

ولقد كان حسن العشماوي شخصية فذة في ذكائه اللماح، وروحه الوديعة، وصدره الرحب الذي اتسع دائماً للحوار، في بساطة تضمك إليه، وتسامح يستلب من كل شرس مهاجم حدة العداوة، ولم يكن ذلك إلا تعبيراً عن تفهم عميق للنفس الإنسانية، وحساسية نادرة للمجتمعات والناس. كل ذلك في إصرار على الحق ووعي عميق لمنهج القرآن العظيم، تحس بالقرآن محبة في قلوب أولاده، ونغمة تتردد في بيته، ولساناً عفيفاً، وسلوكاً يصاحبه مع العدو والصديق. ومع الخلق الدمث الوديع كان العقل الراجح المثقف المتفتح الذي يلتمس طريق الحق أياً كان مكانه أو مصدره، فالحكمة ضالة المؤمن.

لقد كان حسن العشماوي يرى الإسلام العظيم طريق الإنسانية حتى تقوم الساعة، في رحابة تستوعب كل الثقافات لتمنحها من الإسلام الروح والاتجاه،

وتعيدها إلى الفطرة دون أن تسحق إبداعها الفردي أو خصائصها الذاتية.

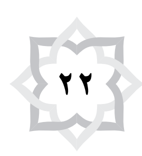
عاش مع القانون مشرعاً ومراقباً للتطبيق، فرآه أقوى ما يكون حين ينبع من نفوس الناس اختياراً واقتناعاً ومراقبة لله، فأراد للمسلمين حكومة يحس أفرادها أنهم من البشر يجتهدون فيخطئون ويصيبون، فهم يحكمون بشريعة الله من خلال خبرتهم وتقديرهم واختيارهم الشخصي.

كان بيته دائماً مفتوحاً للجميع، منتدى للفكر، والأخوة، والحوار الدائم والتسامح والحب، عاش بالإسلام خلقاً، وللإسلام أملاً وحركة، مهاجراً في سبيله، داعياً إليه حتى آخر نفس من أنفاس حياته.

ولقد اختلفت مع الأخ العشماوي في بعض المواقف أثناء وجوده بالكويت، كما كتبت نقداً لكتابه «قلب آخر من أجل الزعيم» نشر في مجلة المجتمع الكويتية الغراء، وقد أثار هذا النقد الدكتور توفيق الشاوي، ورغم ذلك فقد بقيت الصلة الأخوية بيني وبينهما لأن رابطة الأخوة الإسلامية بيننا فوق كل خلاف في الرأي، لأننا جميعاً من مدرسة الإخوان المسلمين الملتزمة بمنهج الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة، والخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

وفاته:

توفي الأستاذ حسن العشماوي يوم الأربعاء ١٧ من ذي الحجة ١٣٩١هـ ـ ٢ / ٢ / ١٩٧٢م في الكويت، وقام بتغسيله صديقه الأستاذ عبدالرحمن سالم العتيقي صاحب الوفاء والمواقف العصامية مع الرجال، ودُفن بمقبرة الصليبخات بالكويت، في جنازة مهيبة من أهالي الكويت والمقيمين على حد سواء، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الإمام حسن الهضيبي

معلّم الصمت الشامخ... والقائد الصامد الصابر

(١٣٠٩ ـ ١٣٩٣هـ = ١٨٩١ ـ ١٩٧٣م)

توطئة:

حين بدأت نشر الحلقات الأولى من (أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة) بمجلة المجتمع الكويتية الغراء، زارني الأخ الحاج عباس السيسي رحمه الله بمكة المكرمة، وأثنى على ما نُشر منها وطلب مني الاستمرار لأهمية ذلك لشباب الدعوة والجيل الجديد الذي يجهل الكثير من هؤلاء الدعاة الأفذاذ.

وقد تساءل عن عدم الكتابة عن المجاهد الصامت والداعية الصابر الإمام حسن الهضيبي، الذي يأتي في مقدمة هؤلاء، وهو ممن تنطبق عليه الشروط الأربعة التي وضعتها لمن أكتب عنهم.

وكان الجواب: أنني أعجز من أن أكتب عن هذا الرجل، الذي أدهش الجميع بنفاذ بصيرته، وصلابة موقفه، وقوة إيمانه، واعتزازه بربه، واستهانته بما عداه من الأقزام والطواغيت، والفراعنة الصغار من المأجورين والمرتزقة.

لقد عايشت الرجل منذ تولى منصب المرشد العام للإخوان المسلمين، ولاحظت كما لاحظ غيري قلة كلامه، بل كثرة الإنصات والسماع لكل الآراء، ثم حسم الأمر بكلمات قصار موجزة كل الإيجاز، ولكنها تحمل في تضاعيفها الفهم العميق، والإدراك الدقيق للأمور وسداد الرأي.

ورغم أننا في فورة الحماس، كنا نطمح ونتوقع أن نستمع للخطيب الذي يهز مشاعرنا بقوة بلاغته، وفصاحة منطقه، وجزالة ألفاظه، لكننا فوجئنا بهذا الهدوء في النبرات، وقلة الكلام والحكمة في العبارات، والوضوح في المنطلقات، والدقة في الأحكام، والصدق في القول والالتزام بالعمل.

هذه الصفات التي تميز بها الإمام الهضيبي وعرفناها فيه من أول لقاء معه، لم تكن لترضي مشاعرنا الجيَّاشة بالعواطف وحماسنا المتدفق للانطلاق إلى الأمام دون تحفظ، حتى إذا مرت الأيام، وكثرت اللقاءات، أدركنا عمق الرجل وفهمه للأحداث والأشخاص، وفراسته في معرفة الرجال داخل الجماعة وخارجها، فكأن الله قد اختاره لهذه المرحلة الحرجة التي تتابعت فيها الأحداث الجسام لحرب الإسلام ودعاته من داخل البلاد وخارجها.

رجل المرحلة:

ويوماً بعد يوم، يعود كل من خالف الإمام الهضيبي في مواقفه إلى التسليم بأن رأي الهضيبي هو الصواب، وأنه رجل المرحلة الذي وقف بكل عزة وشموخ أمام جبروت الطغاة ومؤامراتهم وكيدهم ومخططاتهم، ذلك هو الإمام حسن الهضيبي، وهذا هو السبب الذي جعلني أتردد في الكتابه عنه، لأنني دون المستوى، ولابد لمن هو أقدر مني أن يتصدى للحديث عنه، وبيان سيرته ممن عاشوا معه فترة السجن.

وبعد أن صدر الجزء الأول من كتابي، الذي تناولت فيه سيرة واحد وسبعين علماً من أعلام الإسلام المعاصرين، وبعد أن أدركتني الشيخوخة وجدتني مطالباً

من داخلي بضرورة الكتابة عن هذا العلم البارز، والجبل الأشم، لأنني مدين له ولتلامذته بالكثير من الفضل، كما أنا مدين من قبل للإمام الشهيد حسن البنا مجدد القرن الرابع عشر الهجري، وخشيت أن يدركني الموت ولما أكتب عنه فتكون في النفس حسرة من هذا التقصير نحو هذا الرجل العظيم.

لذا شرعت بتسطير هذه الكلمات التي أدرك أنها لن تفي بحق الرجل ولكنها جهد المقل، وبضاعة العاجز، فأقول وبالله التوفيق:

مولده ونشأته:

هو حسن بن إسماعيل الهضيبي، من أعلام القضاة بمصر، والمرشد العام للإخوان المسلمين بعد الإمام الشهيد حسن البنا.

ولد سنة (١٣٠٩هـ ـ ١٨٩١م)، في إحدى قرى محافظة القليوبية في مصر، من أسرة دين ووجاهة، تعلم في كُتَّاب القرية، وحفظ القرآن الكريم صغيراً، والتحق بعدها بالأزهر، ثم تحول إلى الدراسة المدنية، حيث التحق بمدرسة الخديوية، وحصل على شهادة التخرج سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩١٥م.

عمل بعد تخرجه بالمحاماة، ثم بالقضاء بمدينة (قنا) ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م، ثم تنقل في عدة بلدان حتى استقر في القاهرة، وعُرف بشدة النزاهة، والتحري في إحقاق الحق، ووصف بالتقدير والإكبار من زملائه ورؤسائه حتى ارتقى إلى مرتبة مستشار ممتاز بمحكمة النقض العليا، ولكنه استقال من القضاء بعد اختياره مرشداً عاماً للإخوان المسلمين.

لقاؤه الإمام البنا:

التقى الإمام حسن البنا، والتحق بدعوة الإخوان، واتخذه البنا صفيَّهُ ومستشاره، وموضع سره، وأوصى الإخوان باستشارته والرجوع إليه في حال غيابه، حيث قال: «لا يعلم إلا الله متى أعود، إن قدر لي أن أعود، فإن

احتجتم في غيابي إلى رأي فالتمسوه عند حسن الهضيبي بمحكمة النقض، فإنني أحسبه مؤمناً هادئاً صائب الرأي» (الإمام حسن البنا ٢ فبراير ١٩٤٩م).

وبعد قرار حل جماعة الإخوان المسلمين في سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م، واغتيال الإمام حسن البنا ١٣٦٩هـ ـ ١٢ / ٢ / ١٩٤٩م، على يد المخابرات المصرية أيام الملك فاروق، رشح أعضاء الهيئة التأسيسية الأستاذ حسن الهضيبي مرشداً عاماً للإخوان، فنزل على رأيهم وأُعلن في (١٣٧١هـ ـ ٧/ ١٠ / ١٩٥١م) مرشداً عاماً للإخوان المسلمين.

وما إن مرّ عام بعد اختياره حتى حدث انقلاب ٢٣ / ٧ / ١٩٥٢م وظن الناس وكثير من الإخوان برجال الثورة خيراً، ولكن الإمام الهضيبي بنظرته الثاقبة كان غير ذلك، فكان عبدالناصر شديد النقمة عليه، وأصر على إقالته وخلعه وراح يدبر المؤامرات ويشيع الفتنة، ولكن الله أخزاه ورد كيده في نحره.

ذهابه للحج:

أدى الإمام الهضيبي فريضة الحج (١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م) والتقى بمحبيه وتلامذته وإخوانه في رحاب المشاعر المقدسة، وقد أنهكته الشيخوخة، وترك التعذيب داخل السجن والمرض العضال في جسمه أقوى الآثار، وأصبح مجرد فكر وقّاد وروح مشرق ومثل حيّ للمجاهد المؤمن، وقد سعدتُ بلقائه في موسم الحج، حيث كان برفقته ابنه محمد المأمون الهضيبي المرشد العام السابق والدكتور أحمد الملط، وحضر الموسم قيادات الإخوان المسلمين في العالم، وكان لقاء مباركاً موفقاً ولله الحمد حيث أنعش الآمال وأعاد الحيوية لنشاط الإخوان في العالم كله.

شخصيته:

كان الإمام الهضيبي رحمه الله مهيباً قوي الشخصية، هادئ الصوت، قليل الكلام، يسمع أكثر مما يتكلم، وكان قاضياً في كل ما يتناوله من أمور، صلباً في الحق لا يعرف أنصاف الحلول، ولا يرضى بها، يمتاز بعمق الفكر، وسداد النظر، يستبعد المصلحة الذاتية والمكاسب المؤقتة، ويترك المجاملة على حساب الدعوة.

قضية التكفير:

كان له دور في حسم «قضية التكفير» التي اعتنقها بعض الشباب الذين ذاقوا ألوان العذاب، فأقنعهم بالحجة والدليل، وكتب كتابه «دعاة لا قضاة» فعدل الكثير عن رأيهم والتزموا الفكر الصحيح، وفاصل الذين أصروا على موقفهم مفاصلة واضحة، بأن يبحثوا لهم عن لافتة أخرى غير لافتة الإخوان المسلمين، ليعملوا تحتها وكانت بداية انضمامه للإخوان المسلمين سنة ١٩٤٣م ولكن هذا الانضمام لم يعلن لعموم الإخوان المسلمين، بل بقيت الصلة خفية لا يعلم بها سوى المرشد المؤسس الإمام الشهيد حسن البنا، وبعض خاصة الإخوان المسلمين، وقال بعد توليه قيادة الإخوان المسلمين:

«إني أعلم أنني أقدم على قيادة دعوة استشهد قائدها الأول قتلاً واغتيالاً، وعذِّب أبناؤها وشردوا وأوذوا في سبيل الله، وقد لاقوا ما لاقوا، وإني على ما أعتقده في نفسي من عدم جدارة بأن أخلف إمامنا المصلح حسن البنا رحمه الله لأقدم وأنزل عند رغبة الإخوان، أداء لحق الله جل وعلا، لا أبتغي إلا وجهه، ولا أستعين إلا بقدرته وقوته».

لقد رافق الإمام الهضيبي القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، حيث قرأه في كتّاب القرية فأحبه يافعاً، وشاباً، ووزن أعماله به وضبط سلوكه به والتزم بأمره ونهيه ووقف عند حدوده.

مواقفه:

وهو أول من كسر تقاليد الانحناء بين يدي الملك عند حلف اليمين القانونية التي يؤديها القضاة أمام الملك قبل تولي منصب «المستشار» إذ كانت دفعته حوالي عشرة سبقه منهم خمسة لم يترددوا في الانحناء عند حلف اليمين الدستوري رغم تهامسهم بالتذمر من هذا التقليد المهين الذي يمارسه الديوان الملكي.

حتى إذا جاء دور الهضيبي الواهن البنية الصامت اللسان، فاجأ الجميع بأن مد يده لمصافحة الملك وأقسم اليمين مرفوع الجبين فتبعه على ذلك كل من كان بعده من القضاة والمستشارين.

وبعد اختياره مرشداً عاماً للإخوان المسلمين، استدعاه الملك للاجتماع به، وبعدها كلف اثنين من كبار الحاشية الملكية لزيارة الهضيبي وحمل صورة الملك لتعليقها في دار الإخوان المسلمين، وقبل حلول الموعد بساعة اتصل الهضيبي من بيته هاتفياً بالأخ عبدالحكيم عابدين وكلفه بصرف مندوبي الملك عن المجيء، فقال الأخ: إن رد هذين ليس أمراً سهلاً، بل قد يؤدي لتوريط الإخوان، فقال الأستاذ الهضيبي: «إنهما يريدان تعليق صورة الملك في دار الإخوان المسلمين، وهذا ما لا أفعله ولو قطعت يميني». فقال الأخ عابدين: أرسلهما إليك في المنزل ولا حاجة لهذا الجفاء، وما عليك إلا أن تعتذر لهما بأن الإخوان قوم متزمتون يحرمون التصوير. وسأبادر الآن إلى رفع صور الإمام الشهيد من غرف المركز العام حتى يستقيم الاعتذار.

فقال الهضيبي للأخ عابدين: «يرحم الله أباك، وأنا لهما في الانتظار».

وحين شنَّ عبدالناصر وزبانيته حملة الكذب والبهتان على الإخوان، وسلّط عليهم إعلامه المسعور، أرسل له الإمام الهضيبي الخطاب الذي جاء فيه:

«فإني لا زلت أحييك بتحية الإسلام، وأقرئك السلام، ولا زلت ترد على التحية بالشتائم واتهام السرائر، واختلاق الوقائع، وإخفاء الحقائق، والكلام

المعاد، الذي سبق لكم قوله، والاعتذار عنه. وليس ذلك من أدب الإسلام، ولا من شيم الكرام، ولست أطمع في نصحك بأن تلزم الحق، فذلك أمر عسير، وأنت حر في أن تلقى الله تعالى على ما تريد أن تلقاه عليه، ولكني أريد أن أبصرك بأن هذه الأمة قد ضاقت بخنق حريتها وكتم أنفاسها، وأنها في حاجة إلى بصيص من نور يجعلها تؤمن بأنكم تسلكون بها سبل الخير.

إن الأمة في حاجة الآن إلى القوت الضروري، القوت الذي يزيل عن نفسها الهم والغم والكرب، إنها في حاجة إلى حرية القول، فمهما قلتم إنكم أغدقتم عليها من خير فإنها لن تصدق إلا إذا سمحتم لها بأن تقول أين الخير وسمحتم بأن تراه، ومهما قلتم إنكم تحكمونها حكماً ديمقراطياً فإنها لن تصدق لأنها محرومة من نعمة الكلام والتعبير عن الرأي.

إن الأمة قد ضاقت بحرمانها من حريتها فأعيدوا إليها حقها في الحياة، وإذا كان الغضب على الهضيبي وعلى الإخوان المسلمين قد أخذ منكم كل مأخذ فلكم الحق أن تغضبوا وهذا شأنكم ولكن لا حق لكم في أن تحرضوا الناس على الإخوان وتغروهم بهم، وليس ذلك من كياسة رؤساء الوزراء في شيء، فإنه قد يؤدي إلى شر مستطير وبلاء كبير، ومن واجبكم أن تحافظوا على الناس مخطئهم ومصيبهم، وأن تجمعوا شمل الأمة على كلمة سواء. وإنكم لا شك تعلمون أن الإخوان المسلمين حملة عقيدة، ليس من الهيّن أن يتركوها ولا يتركوا الدفاع عنها ما وجدوا إلى الدفاع سبيلاً، فإغراء بعض الأمة بهم وتحريضهم عليهم من الأمور التي لا تؤمن عواقبها».

سجنه وصبره:

اعتقل لأول مرة يوم ١٣ / ١ / ١٩٥٤م ووُضع في زنزانة انفرادية وكان الجو بارداً زمهريراً ترتعد منه أجسام الإخوان الشباب، فكيف بالشيخ الوقور الذي جاوز الستين! فعمد الأخ عبدالحكيم عابدين بإرسال فروة للأستاذ الهضيبي، وإذا

به يعيدها، وحين عوتب على إرجاعها قال: «يا عبدالحكيم لقد شُفيت والله ببرد هذه الزنزانة من كل ما أثقلني من هذه الأمراض في غابر الأيام».

وكان الأستاذ الهضيبي يمارس تمارينه الرياضية في مواجهة مكتب مدير السجن، ولما سأله أحد الإخوان مستغرباً عن سر ذلك، قال: «دعهم لا يرون منا إلا البشاشة وارتفاع المعنوية، حتى يتحققوا أن سهامهم طاشت ولم يبلغوا منا ما يريدون ألم يبلغك قول الرسول ﷺ رحم الله امرءاً أراهم من نفسه قوة»؟

وحين حصلت اعتقالات صيف ١٩٥٤م كان الأستاذ الهضيبي خارج مصر في سورية ولبنان، فما كاد يسمع بالاعتقالات حتى أسرع بالعودة إلى مصر ليسجن مع إخوانه ويواجه مع زوجته وأبنائه وبناته ما يواجهه الجميع ثم ليجري الله عليه الثبات والشموخ وليكون عوناً وردءاً لإخوانه وجنوده.

قالوا عنه:

يقول المرشد الثالث الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله: «إذا كان حسن البنا قد مضى إلى ربه وترك النبتة يانعة فتية، فقد كان حسن الهضيبي مشعل عصره، يوم حمل الراية حريصاً لم يفرط، عزيزاً لم يلن، كريماً لم يهن، وأدى الأمانة أميناً في عزم، قوياً في حزم، ثابت الخُطا في فهم، فأكد معالم الفهم السليم للإسلام الصحيح في القول وفي العمل، لم يثنه حبل المشنقة، ولم يرهبه سجن ولا تعذيب، بل زاده الأمر إصراراً على إصرار، وصموداً فوق الصمود».

ويقول الشيخ محمد الغزالي: «إنه ما ادعى لنفسه العصمة، بل من حق الرجل أن أقول عنه: إنه لم يسع لقيادة الإخوان، ولكن الإخوان هم الذين سعوا إليه، وإن من الظلم تحميله أخطاء هيئة كبيرة مليئة بشتى النزعات والأهواء.. ومن حقه أن يعرف الناس عنه أنه تحمل بصلابة وبأس كل ما نزل به، فلم يجزع ولم يتراجع، وبقي في شيخوخته المثقلة عميق الإيمان، واسع الأمل، حتى خرج من السجن.

الحق يُقال، إن صبره الذي أعز الإيمان، رفعه في نفسي، وإن المآسي التي نزلت به وبأسرته لم تفقده صدق الحكم على الأمور، ولم تبعده عن منهج الجماعة الإسلامية منذ بدء تاريخنا.. على حين خرج من السجن أناس لم تبق المصائب لهم عقلاً.. وقد ذهبت إليه بعد ذهاب محنته، وأصلحت ما بيني وبينه، ويغفر الله لنا أجمعين».

ويقول عنه الصحفي مصطفى أمين: «أعجبت بصموده، انهالت عليه الضربات فلم يركع، حاصرته المصائب فلم ييأس، تلقى الطعنات من الخلف والأمام فلم يسقط على الأرض، كان يحلم وكل من حوله يائسون، كان قوياً وأنصاره ينفضون ويستضعفون.

رأيته في محنته أكبر منه في مجده، سقط من المقعد واقفاً وغيره فوق المقعد راكعاً، رأيته يستعذب الحرمان وغيره لا يستعذب إلا السلطان.

الرجال كالمعادن لا تظهر قيمتهم إلا إذا وُضعوا في النار، هنا يظهر الفرق بين الرجل الحديدي والرجل القش، بين الذي يموت واقفاً والذي يعيش راكعاً، بين الذي يكبر في الشدائد والذي يتضاءل في المحن والأزمات.

رأيته يستقبل المحنة بابتسامة كأنه يستقبل النعمة، ينام على الإسفلت وكأنه ينام على مرتبة من ريش النعام، يأكل الخبز الممزوج بالتراب ويحمد الله كأنه تناول طعاماً على مائدة ملكية.. تعارضه فلا يغضب، تناقشه فلا يحقد.. يتقبل النقد بصدر رحب ويستقبل الثناء بخجل وحياء.. لا يجحد لفاضل فضله، ولا يذكر إنساناً بسوء، إذا جاء ذكر من طعنه بخنجر في ظهره، لا يلعنه ولكن يقول «سامحه الله».

عشت معه سنوات طويلة، كان بين زنزانته وزنزانتي زنزانة واحدة، كنت أراه كلما فتحوا باب زنزانتي.. وكانت بينه وبين المسجونين السياسيين مناقشات طويلة... كانوا عدداً من المسجونين الذين عُذبوا وصلبوا وضربوا وأهينوا وانتهكت أعراضهم، كانوا يصرون على الثأر والانتقام من معذبيهم، بعد أن

يخرجوا إلى الحرية.. سيفعلون بهم ما فعلوه فيهم.. سيذيقونهم من نفس الكأس التي أرغموهم على تجرعها.. كان يعارضهم ويقول لهم هذه مهمة الله وليست مهمتنا.. نحن دعاة ولسنا قضاة.. كانوا يحتدون فيهدأ.. ويشتدون ويلين، ويرفعون أصواتهم ويخفض صوته ويهاجمونه فيبتسم... ويتطاولون عليه فيقول لهم هذا حقكم، لا ألوم المجلود إذا صرخ من ألم السياط، لا أعاتب المطعون بالسيف إذا وقع بعض دمه على ثيابي، لا أطلب منكم أن تعفوا وإنما أرجوكم أن تتركوا الأمر لله فهو المنتقم الجبار، عذاب الله على الظالم أقسى من كل ما تستطيعون من عذاب... لا أريد أن نتساوى نحن المظلومين مع من ظلمونا، بطشوا فنبطش بهم.. ظلموا فنظلمهم.. واجبنا أن نقابل الظلم بالعدل، والقسوة بالرحمة، والجبروت بالتسامح، والعدوان بالصلاة.

كان متمسكاً بدينه بغير تعصب، مؤمناً بالعدل كارهاً للظلم، يرفض العنف ويقول ما حاجتنا للمسدس ولنا لسان؟!.

ما حاجتنا للقنبلة ودوي أصوات المظلومين أعلى من انفجار الديناميت!

كان اسم هذا الرجل هو حسن الهضيبي... عليه رحمة الله...» انتهى.

كتبت مجلة روز اليوسف سنة ١٩٥١م.

حين أشيع عن اختيار الهضيبي مرشداً عاماً للإخوان المسلمين تقول:

«عندما كان المستشار الأستاذ الهضيبي رئيساً بمحكمة الجنايات في سوهاج، وكان يترافع عن القاتل محام كبير وشقيق لوزير العدل يومئذ، وفي الاستراحة زاره المحامي الكبير ورحب به الأستاذ الهضيبي، وطلب من الساعي إحضار فنجان من القهوة له.. سأل المحامي الكبير: لعل سيادة المستشار مستريح في الصعيد؟ وأجاب المستشار الهضيبي: إن مهمة القاضي تحقيق العدل، والعدل لا يتقيد بزمان أو مكان. قال المحامي: غداً سوف أتناول الغداء مع أخي وزير العدل وأنا مستعد لأطلب منه العمل على راحتكم.. وهنا ثار الأستاذ الهضيبي وهبّ واقفاً وقال للمحامي الكبير: تفضل يا أستاذ.. أجئت تساومني؟!! وهنا كان

الساعي قد أحضر فنجان القهوة فاتجه الأستاذ الهضيبي نحوه وقال له: عُد بالقهوة.. وخرج المحامي الكبير شقيق وزير العدل مصفر الوجه!!» انتهى.

ويقول عنه الأخ د. أحمد العسال: «لقد كان الإسلام يملأ جوانحه وأخلاقه ويعرف أن الفقر الأخلاقي هو الداء العضال في هذه الأمة، وعدم مراقبة الله وخشيته هي الداهية الدهياء، وإن رسوخ هذه المعاني في نفسه جعله لا يحفل بالمظاهر مهما كان نوعها، ويرنو ببصره وبصيرته إلى المعايير السليمة، فيزن الرجال والمواقف، وكان يعرف أن الزمن جزء من العلاج، وكان لا يحب تعجل الأمور ولا اعتساف الحلول، كما كان يكره المهاترات وينأى بنفسه عن الصغائر، وكان يدفع بالتي هي أحسن، ولا يحمل في نفسه الكبيرة إلا الخير للجميع ، كان تواضعه وسماحته وبساطته مضرب الأمثال، فرغم مستواه الاجتماعي، وتقلده المناصب العليا في القضاء يرفض التكلف والمظاهر ويهتم بالأعمال والحقائق.

ولما ذهب للحج سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م بعد المحن المتتابعة التي رآها، والسنين العجاف التي قضاها، والشيخوخة التي وصل إليها، أشفق إخوانه وأحباؤه عليه وتمنوا أن يقبل النزول في فندق من الفنادق الكبيرة، لتكون الراحة أكمل والخدمة أحسن، فرفض وأبى إلا أن ينزل في المخيم العادي وينام في الخيمة العادية، وتلك هي النفس الكبيرة والقيادة الأمينة.

وإذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الأجساد

انتهى (مجلة الشهاب اللبنانية ١و٢ / ١١ / ١٣٩٣هـ).

ويروي الأستاذ عبدالحكيم عابدين قائلاً: «أعدّ مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين سنة ١٩٥٢م مذكرة لتقديمها لوزارة الدكتور علي ماهر، وكان في آخر المذكرة عبارة «في ظل جلالة الملك المعظم» فضرب بقلمه على هذه العبارة وشطبها. ولما قلت له إن هذه العبارة تقليدية وقد أقرها مكتب الإرشاد العام قال: «احذفها على مسؤوليتي وحسبنا والملك والوزارة أن نكون في ظل

الله وحده». كما يروي عبدالحكيم عابدين قصة زيارة الأستاذ الهضيبي لابنه هشام عبدالحكيم عابدين في مستشفى عبدالوهاب مورو حيث كان راقداً للعلاج، واقتراحه أن يقوم المرشد الهضيبي بزيارة رئيس الديوان الملكي الذي يرقد في نفس المستشفى، فأجاب الهضيبي: يا عبدالحكيم لقد قصدت الله تعالى بعيادةولدنا هشام ولم أقصد الملك بزيارة رئيس الديون» انتهى (مجلة الشهاب اللبنانية سنة ١٣٩٣هـ).

ويُروى أن شمس بدران مدير السجن الحربي سأل الأستاذ الهضيبي عن اسمه وعمله ليملأ استمارة السجن، فكان جواب المرشد العام الهضيبي: اسمي: حسن إسماعيل الهضيبي، وعملي: المرشد العام للإخوان المسلمين. فهبّ شمس بدران غاضباً وقال: ألم تحل الدولة جماعة الإخوان المسلمين؟ فأجابه الأستاذ الهضيبي: لقد حلت الدولة جماعة الإخوان المسلمين في مصر، أما أنا فالمرشد العام للإخوان في العالم. فبهت شمس بدران.

صلته بالإخوان:

تعود بداية اتصال الهضيبي بالإخوان المسلمين إلى سنة ١٩٤٢م، حيث لفت انتباهه ما كان يجري بينه وبين بعض الشباب من أقاربه، من حسن تفهمهم للقضايا المطروحة على الرغم من أن معظمهم كانوا شبه أميين، ولما سألهم عن هذا التفكير الناضج والوعي العميق قالوا: من انتسابنا لجماعة الإخوان المسلمين، فكان هذا حافزاً له لحضور خطب الإمام الشهيد حسن البنا وفي صيف ١٩٤٣م وكان قاضياً بمحكمة الزقازيق، وصلت إليه رقعة دعوة من الإخوان لحضور حفل الإخوان الذي سيخطب فيه الأستاذ حسن البنا، فلبى الدعوة مع بعض القضاة واستمع إليه بإصغاء، وما إن انتهى البنا من حديثه حتى كان بينه وبين الهضيبي بيعة للعمل للإسلام.

يقول الهضيبي: «لقد تعلقت أبصارنا به، ولم نجد لأنفسنا فكاكاً من ذلك،

وخلت والله أن هالة من نور أو مغناطيساً بوجهه الكريم تزيد الانجذاب إليه، خطب ساعة وأربعين دقيقة، وكان شعورنا فيها شعور الخوف من أن يفرغ من كلامه، وتنقضي هذه المتعة التي أمتعنا بها، ذلك الوقت، إن كلامه يخرج من القلب إلى القلب، شأن المتكلم إذا أخلص النية لله.. وما أذكر أنني سمعت خطيباً قبله، إلا تمنيت على الله أن ينتهي كلامه في أقرب وقت، كان كالجدول الرقراق الهادئ ينساب فيه الماء لا علو ولا انخفاض، يخاطب الشعور فيلهبه، والقلب فيملؤه، والعقل فيسكب فيه من المعلومات ألواناً».

ومنذ تلك اللحظة تعلق الأستاذ الهضيبي بالأستاذ البنا وقويت الرابطة بينهما ولكنها ظلت في إطار الكتمان لا العلانية، حيث لم يعلم بتلك الصلة إلا القلة من الإخوان القريبين من الإمام الشهيد البنا، ومن هنا نجد الإمام البنا يوم ٢ فبراير ١٩٤٩م أي قبل استشهاده بعشرة أيام يوصي الإخوان المسلمين بالرجوع إلى الأستاذ الهضيبي عند حاجتهم للمشورة والرأي.

من أقواله:

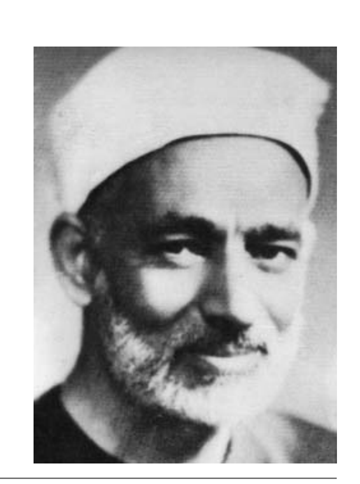
قال لعبدالناصر: إن هؤلاء الإخوان المسلمين هم خيرة شباب مصر، فاحفظوهم ذخيرة لها، وخذوا مني ما تريدون.

وكان يقول للإخوان: إن السجن حالة نفسية وليس هو الجدران والأسلاك. أقيموا دولة الإسلام في صدوركم تقم على أرضكم، ميدانكم الأول أنفسكم، فإذا انتصرتم عليها كنتم على من سواها أقدر.

وفاته:

توفي في مصر صباح يوم الخميس (١٤ من شوال ١٣٩٣هـ - ٨ / ١١ / ١٩٧٣م) وجاء في وصيته التي كتبها وهو على فراش الموت بألا يُنعى وأن يُدفن فور موته في مقابر الصدقات.

رحم الله أستاذنا الهضيبي وأسكنه فسيح جناته وألحقنا به مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





مفتي الديار المصرية

حسنين محمد مخلوف

(١٣٠٧ ـ ١٤١٠هـ = ١٨٩٠ ـ ١٩٩٠م)

مولده ونشأته:

هو العلامة الفقيه الشيخ حسنين بن العلامة محمد حسنين مخلوف، ولد يوم ١٦ من رمضان ١٣٠٧هـ ـ ٦ / ٥ / ١٨٩٠م في حي باب الفتوح بمدينة القاهرة بمصر، ونشأ في بيت كريم وأسرة محافظة، فأبوه محمد حسنين مخلوف من كبار علماء الأزهر وأعلامه المعروفين، وممن تولى إصلاحه، وترقى في المناصب الأزهرية حتى اختير وكيلاً للجامع الأزهر.

وقد تعهد الشيخ محمد ابنه حسنين بالتربية والتعليم فحفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من عمره، على يد الشيخ محمد خلف الحسيني شيخ عموم المقارئ المصرية.

حياته العلمية والعملية:

التحق بالأزهر وهو في الحادية عشرة من عمره، وتلقى العلم على كبار

العلماء أمثال: عبدالله دراز، ويوسف الدَّجوي، ومحمد بخيت المطيعي، والبجيرمي وغيرهم، بالإضافة إلى ما كان يتعلمه على يد والده محمد مخلوف.

وقد حصل على الشهادة العالمية من الأزهر ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٤م، ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي وتخرج فيها، ثم عمل في حقل التدريس لمدة عامين، وبعدها التحق بسلك القضاء، فعمل قاضياً في المحاكم الشرعية، ثم رئيساً لمحكمة الإسكندرية ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م، ثم رئيساً للتفتيش بوزارة العدل، ثم نائباً لرئيس المحكمة العليا الشرعية ١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م، وأسهم في إصلاح القضاء الشرعي، وتعديل بعض القوانين للمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية، ومحاكم الطوائف المحلية، واختير رئيساً للجنة الفتوى بالأزهر، واتسمت فتاواه بالدقة والجرأة والجهر بما يراه حقاً، ثم اختير مفتياً للديار المصرية ١٣٦٥ ـ ١٩٤٦م، كما قام بالتدريس في قسم التخصص بمدرسة القضاء الشرعي، وبعد انتهاء مدة خدمته القانونية، اتجه لخدمة المسلمين من خلال الدروس التي كان يلقيها يومياً في المساجد الكبيرة، ومنها المسجد الحسيني بالقاهرة، ومن خلال الفتاوى التي يصدرها وتنشرها الصحف. وقد اختير عضواً في هيئة كبار العلماء بالأزهر ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م، ومُنح كسوة التشريف العلمية، واختير عضواً لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، وتولى رئاسة جمعية البحوث الإسلامية، كما تولى رئاسة جمعية النهوض بالدعوة الإسلامية.

وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، عام ١٩٨٣م، وشارك في تأسيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وكان عضواً في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، كما حصل على جائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية ١٩٨٢م.

مواقفه:

كان الشيخ حسنين مخلوف، قوياً في الحق، يجهر به ما دام قد استقر في يقينه

صحة ما توصل إليه، فخاض حرباً ضد الشيوعية قبل قيام حركة الجيش ١٩٥٢م، وكانت بعض الأفكار الشيوعية قد تسرَّبت إلى الناس عبر وسائل الإعلام المختلفة، وخُدع بها البعض، فأعلن الشيخ أن الشيوعية بعيدة كل البعد عن الإسلام، وحين طُلب منه أن يعلن أن الإسلام اشتراكي، وأن الاشتراكية نابعة من صميم الإسلام، أبى الشيخ الغيور ذلك، وأعلن أن الإسلام لا يعرف الاشتراكية بمفهومها الغربي، ولكنه يعرف العدل والمساواة والتكافل حسبما جاء في القرآن الكريم.

وجرَّت عليه هذه المواقف الخصومة والعداوة من ذوي السلطان، الذين حاربوا الشيخ وضيَّقوا عليه، ومنعوا الصحف من أن تنشر له أي شيء، فاكتفى بمجلة الأزهر، يعلن فيها ما يراه حقاً.

وكان الشيخ يغيث الملهوف، ويُعين على نوائب الدهر، في وقت كانت فيه المروءة تُعدُّ من الجرائم التي لا تُغتفر، ويلحق بصاحبها الأذى والعذاب.. لكن من فُطروا على مكارم الأخلاق، والسجايا الكريمة، لا ينتكسون حين يفسد الناس، ولا يديرون ظهورهم لمن جاءهم طالباً العون والمساعدة، ولو كلَّفهم ذلك الضيق والعنت، وأوردهم موارد الخطر.

طرق بابه وهو يومئذ مفتي الديار المصرية واحد من كرام شباب الإخوان المسلمين يُدعى «محمد الصوابي الديب»، وهو من زملائي في كلية الشريعة، وكان مطارداً من الشرطة التي كانت تبحث عنه في كل مكان، وكانت جريمته الكبرى أنه من الدعاة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة... وطلب من الشيخ الكبير حسنين مخلوف أن يحميه ويخفيه عن عيون الشرطة.. وكان الطلب مفاجأة، وتلبيته محفوفة بالمخاطر، ولم تكن بين محمد الصوابي والشيخ مخلوف معرفة سابقة، وفوق ذلك كله كانت جماعة الإخوان المسلمين تعيش محنة قاسية بعد صدام حركة الجيش معها عام ١٩٥٤م، وتمتلئ بهم السجون، ويعاني أعضاؤها العذاب الأليم، وكان مجرد الانتساب إليها يكلف صاحبها

الاعتقال والتنكيل، كما أن تقديم العون لأحد أفرادها يجلب للمعين السجن والتعذيب.

غير أن الشيخ الجليل لم يكن ممن يقيّد الخوف مروءتهم، فلا يُقدمون عليها خشية سوء العاقبة، وكما كان يصدع بالحق غير هيَّاب ولا وجل، كان يُقدم على فعل المكرمات ولو كان ثمنها حريته، وهذا ما فعله الشيخ الكبير.. لقد آوى الشاب المطارد ثمانية أشهر في بيته، ودبر له وظيفة يعمل بها كسكرتير خاص عنده، وهو يعلم أن ما قام به لو علمته السلطات الحاكمة لتعرّض إلى ما لا تحمد عقباه، بعد أن تجاوز عمره الستين، ولحلّ به ما لا يحتمله جسمه الواهن من العذاب والتنكيل على يد من عميت بصيرتهم، ونُزعت الرحمة من قلوبهم، وتخلوا عن خلق العدل والحق.. ولكن الله سلّم.. ومرت عملية اختفاء «محمد الصوابي» في هدوء دون أن تعلم بها زبانية السلطة وأصدقاء الشيطان، ولم يلحق الشيخ ولا أحداً من أفراد أسرته أي أذى، لأنه بعد أن ترك الأخ «محمد الصوابي» بيت الشيخ، أراد السفر إلى جدة، ولكنه قُبض عليه وأُودع السجن، وظل تحت التعذيب شهوراً، دون أن يكشف اسم الشيخ الذي آواه، وقد فارق «الصوابي» الحياة تحت سياط الجلادين، ولقي ربه شهيداً إن شاء الله، ولم ينبس ببنت شفة عن مكان اختبائه وعن الذي آواه.

من أهم مؤلفاته:

أسماء الله الحسنى والآيات الكريمة الواردة فيها.

أضواء من القرآن الكريم في فضل الطاعات وثمراتها وخطر المعاصي وعقوباتها.

أضواء من القرآن والسنَّة في وجوب مجاهدة جميع الأعداء.

بلوغ المسؤول في مدخل علوم الأصول.

تفسير سورة يس.
جزء عم وبهامشه كلمات القرآن، تفسير وبيان.
الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثقى في علم الشريعة والطريقة والحقيقة (تحقيق وتعليق).
من وحي القرآن والسنَّة.
حكم الشريعة في مأتم ليلة الأربعين.
الدعوة التامة والتذكرة العامة.
الرفق بالحيوان في الشريعة الإسلامية.
شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا «تحقيق».
صفوة البيان لمعاني القرآن.
عدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين «شرح».
فضائل القرآن العظيم وتلاوته.
فتاوى شرعية وبحوث إسلامية.
كلمات القرآن تفسير وبيان وبهامشها لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.
المواريث في الشريعة الإسلامية.
النصائح الدينية والوصايا الإيمانية.
هداية الراغب بشرح عمدة الطالب (تحقيق).
أخطار المعاصي والآثام ووجوب التوبة منها إلى الملك العلام.
دعاء يوم عرفة.
رسالة في ختم القرآن ووجوب بر الوالدين.
تفسير آية الكرسي وسورة الإخلاص وسورة الضحى.
تفسير سورة القدر.
أدعية من وحي القرآن والسنة.

نفحات زكية من السيرة النبوية.
شرح الوصايا النبوية... إلخ.

معرفتي به:

في فترة الدراسة الجامعية بمصر، كنا نحن طلبة الأزهر وبخاصة طلبة البعوث الإسلامية القادمين من خارج مصر، نحرص على لقاء العلماء الأزهريين والدعاة العاملين، ونرتاد مجالسهم وبيوتهم، وأماكن دروسهم ووعظهم، وكان في مقدمة هؤلاء، شيخنا الجليل العلامة الشيخ حسنين محمد مخلوف، الذي كان يُزينه التواضع، وتُحيط به المهابة، ويأسرك بحلو حديثه، وحسن عرضه للمادة العلمية بأسلوب سهل، يقرّبها إلى أذهان الطلبة وجمهور السامعين من عوام الناس.

وكانت فتاواه لمختلف القضايا والمسائل التي تعرض عليه مما يجدّ في واقع المسلمين من العلوم النافعة التي نحرص عليها ونستفيد منها نحن الطلبة الأزهريين.

فضلاً عن أنه من العلماء العاملين الذين يعيشون مشكلات الناس، ويتفاعلون مع مشاعرهم، ويسهمون في علاجها، وتقديم الحلول الناجعة لها.

وبعد تخرجي لم تنقطع صلتي به، بل ظللت ذلك الطالب الذي يتابع نتاج أستاذه، ويحرص على اقتناء كل جديد من كتبه وفتاواه.

ثم بعد أن عملت في الكويت، مديراً للشؤون الإسلامية، أكرمني الله بأن ألتقي به في المؤتمرات الإسلامية، وبخاصة في المملكة العربية السعودية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والرياض، وغيرها.

ولقد كنت وإياه ومجموعة من العلماء، منهم سماحة الحاج محمد أمين الحسيني، والشيخ محمد محمود الصواف، والأستاذ عمر بهاء الدين الأميري وغيرهم من علماء العالم الإسلامي، قد تشرفنا بمقابلة جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، الذي أحسن لقاءنا، وأشاد بدور العلماء، وضرورة

اضطلاعهم بقيادة الأمة، وإعلاء شأنها، وتوجيهها للالتزام بمنهج الإسلام، والعمل على تطبيقه في كل شؤون الحياة، وكلما كان العلماء صورة صادقة للإسلام، وآزرهم ولاة الأمر، التف الناس حولهم، وساروا على نهجهم، واقتفوا أثرهم.

من أقواله:

«في طفولتي لم أعرف اللعب، كان والدي يصطحبني معه إلى المسجد، وأنا طفل أتابع دروسه، وأرقب طريقته في الإلقاء، أرى سماحة صدره وهو يناقش، ويصل بالمفاهيم الدينية إلى أبسط فلاح في قريتنا.. متواضع مع الناس كلهم، ويحبب إليهم دروس العلم، وعدم الخجل من السؤال عن حكم الدين فيما يعترضهم من المشاكل.

وقد بدأت في تلك الفترة المبكرة من حياتي، أسمع كلاماً حول مستقبلي، كما حدده الوالد، بأن يكون في طلب العلم، وأن أخلفه في مجلسه ودروسه.

ويبدو أن الوالد كان يُعدّني منذ طفولتي لهذه المهمة، وهذا ليس غريباً عني، وأنا من بيت علم، لم أعرف اللهو، ولم أعرف إلا العلم والتحصيل».

وعندما وجه رئيس نيابة أمن الدولة سؤالاً له حول الشيوعية ومدى علاقتها بالإسلام، أجاب بكل جرأة:

«إن من أخطر المبادئ التي قامت عليها الشيوعية، إحلال الإلحاد واللادينية محل الأديان السماوية، وإشاعة الإباحية الفاحشة في المجتمع، وإلغاء الملكيات الفردية للعقار إلغاء تاماً، وانتزاع جميع الأراضي من ملاكها، وجعلها ملكاً للدولة، وتطبيق ذلك بالقهر والجبروت، فكانت الشيوعية هادمة لا بانية، باغية لا عادلة، والشريعة الحنيفة السمحة التي من أصولها: وجوب المحافظة على الدين، والعقل، والنفس، والمال، والعرض، ومن مبادئها: احترام الحقوق، وتقدير الحريات العامة للإنسان، تنكر ذلك أشد الإنكار، وترى اعتقاده كفراً بواحاً، لتكذيبه ما أجمعت عليه الرسالات السماوية».

وعندما نشرت مجلة «الجيل الجديد» فتوى لوزير الأوقاف المصري عام ١٩٥٧م قال فيها: «يجوز للعريس أن يختلط بعروسه، ويتمتع بها أي يقبلها ويعانقها قبل عقد الزواج، ليتأكد من صلاحيتها له، وليأمن العيوب الخفية فيها»، انبرى له الشيخ حسنين قائلاً:

«وأما ما نشر في بعض الصحف على لسان السيد وزير الأوقاف من إباحة التقبيل والعناق للمخطوبة قبل العقد، فهو قول باطل، يرده كتاب الله وسنة رسوله، ومذاهب الأئمة قاطبة، ولم ينقل عن أحد من المسلمين لا الفقيه ابن حزم ولا غيره إجازته من الأجنبي للأجنبية في أي حال، فضلاً عن أنه إباحية فاحشة تنكرها الأخلاق والعادات الفاضلة».

قالوا عنه:

قال عنه الدكتور محمد رجب البيومي: «والحق أن الشيخ حسنين مخلوف قد كان ثبتاً مكيناً في كل ما أفتى به، كما كان جريئاً لا تأخذه في الحق لومة لائم، فحين اتسع الحديث عن الشيوعية عقب قيام الثورة، وكتب المغالون في تمجيدها، وكأنها معجزة الإنقاذ مما يتهدد العالم من أهوال، وتحرشوا في صحفهم المأجورة بكل من يبدي رأياً معارضاً، بل إن أحد المنتسبين للعلم قد جاهر بأن الشيوعية من صميم مبادئ الإسلام..

حين انتشر هذا اللغط، ووجه الشيخ مخلوف بسؤال عن حقيقة الشيوعية، ومدى صلتها بالإسلام، لم يتوان لحظة عن أداء واجبه الديني، وأعلن فتواه في الأهرام صريحة مجلجلة.. وهنا تدفقت البذاءات الجاهلية تنوش الشيخ في غير تحشم، بل إن أحد المهاجمين أكثر من ذكر الشيخ «متلوف» وهو البطل المسرحي لمسرحية مترجمة عن موليير، معرضاً بالشيخ الفاضل، فلم يأبه الشيخ بما يرى ويقرأ».

وقال عنه الأستاذ عبدالله الطنطاوي: «فضيلة الشيخ حسنين مخلوف من

بقايا السلف الصالح الذين تحدث عنهم الرسول القائد ﷺ، عاش مئة عام حافلة بجلائل الأعمال، ملأها علماً، وعبادة، ودعوة إلى الله على بصيرة، وتصدياً لأصحاب الأهواء والمذاهب الهدامة، ولأدعياء العلم والفتوى، وللسائرين في ركاب الطغيان، ولم يأبه لما أصابه، ولما قد يصيبه جراء مواقفه الجريئة الصادعة بالحق، وكان بذلك كالإمام أحمد في تصديه للمبتدعة، وللسائرين في ركاب ذوي الأهواء من أدعياء العلم.. وهكذا كان شيخنا الجليل في عصرنا الذي اضطربت فيه العقائد، وزلزلت النفوس، وطأطأت الهامات للجبارين، فبقي شامخاً معبراً عن الإسلام الحق، الإسلام المصفى من كل ألوان البدع الفكرية، والسياسية، والاقتصادية، والاجتماعية».

وفاته:

توفي العلاَّمة الشيخ حسنين محمد مخلوف في العشرين من شهر رمضان ١٤١٠هـ وهو الشهر نفسه الذي ولد فيه وكان عمره قد جاوز المئة عام، ودفن في القاهرة.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



الداعية المهندس

د. حسين كمال الدين

(١٣٣٢ ـ ١٤٠٧هـ = ١٩١٣ ـ ١٩٨٧م)

مولده ونشأته:

هو العالم المجاهد الداعية الفلكي الطبوغرافي المسَّاح المهندس الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين أحمد الحسيني، ولد في مدينة القاهرة عام ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٣م، وتنحدر أسرته من نسل الحسين بن علي رضي الله عنهما وكانت في الأصل في الحجاز، ثم نزحت إلى مصر وصارت إلى مدينة بلبيس، وهاجر جده إلى القاهرة وسكن في جوار الأزهر الشريف.

عاش حسين كمال الدين في كنف والده العلامة الشيخ أحمد إبراهيم، وتلقى على يديه مبادئ الإسلام، ثم درس في المدارس الابتدائية والثانوية، ثم التحق بكلية الهندسة بجامعة القاهرة، وتخرج فيها سنة ١٩٣٨م بدرجة البكالوريوس، ثم تابع دراسته العليا، فحصل على الماجستير في المساحة التصويرية سنة ١٩٤٣م.

ذهابه إلى العراق:

ثم ذهب إلى العراق أوائل الأربعينيات، حيث شارك في إنشاء كلية الهندسة ببغداد، وكان ذهابه إلى العراق ومن قبله إخوانه محمد عبدالحميد أحمد، ومحمود يوسف بتكليف من الإمام الشهيد حسن البنا لنشر الدعوة في العراق، وإيجاد اللبنات لتأسيس جماعة الإخوان المسلمين، وقد كان ذلك حيث وفقهم الله لتربية مجموعة من شباب الكليات الجامعية كانوا نواة العمل الإخواني الذي استمر في النماء والزيادة وبخاصة بعد تخرج الأستاذ محمد محمود الصواف من الأزهر، وعودته إلى العراق ١٩٤٦م حيث تعاون مع تلامذة الأساتذة المصريين من الإخوان المسلمين، فانتشرت الدعوة في معظم أنحاء العراق وبخاصة بغداد والبصرة وكركوك وأربيل والموصل وغيرها، حيث تكونت نواة الإخوان المسلمين في تلك المدن من الطلاب الجامعيين وغيرهم من الشباب الذين كانوا طلائع الحركة الإسلامية، وقد عرفت منهم الكثيرين، فقد كان الإخوان صالح مهدي الدباغ، وكمال القيسي، وعبدالحكيم المختار، وإبراهيم منير المدرس، ونعمان عبدالرزاق السامرائي، ووليد الأعظمي، وغيرهم ببغداد، وكان الأخوان نور الدين الواعظ وسليمان محمد القابلي وإخوانهما في كركوك، وعبدالوهاب الحاج حسن وإخوانه في أربيل، وكان عبدالرحمن السيد محمود وإخوانه في الموصل، وكان عبدالهادي وأخوه يعقوب الباحسين، وتوفيق الصانع ، وعبدالواحد أمان، وخليل العقرب، وعبدالقادر الأبرشي، وعبدالرزاق المال الله، وعبدالرحمن الخزيم، وعمر الدايل في البصرة وغيرهم من الإخوان في سائر القطر العراقي الذين فتحوا مكتبات الإخوان وأصدروا الكتيبات الدعوية، وأقاموا المهرجانات الإسلامية والأندية الرياضية والرحلات الكشفية بإشراف أساتذتهم المصريين وتوجيهات الأستاذ محمد محمود الصواف.

وفي سنة ١٩٥٠م نال الأستاذ المهندس حسين كمال الدين شهادة الدكتوراه

في المساحة التصويرية، وقام برحلات علمية أمدته بكثير من المعلومات والمعرفة في عدد من البلاد العربية والأوروبية والأمريكية.

انتظم الأستاذ حسين كمال الدين في صفوف حركة الإخوان المسلمين في وقت مبكر وعمل بنشاط وحيوية في نشر الفكرة الإسلامية، وأدخل العديد من الجماهير في التنظيم الإخواني، وقد أدرك الأستاذ الإمام حسن البنا مؤسس الحركة مواهب الأستاذ حسين كمال الدين فأدناه منه وعهد إليه بالكثير من المهمات والمسؤوليات داخل الحركة، فكان عضواً بمكتب الإرشاد العام، وهو المجلس القيادي الأعلى لجماعة الإخوان المسلمين، حيث يقود الألوف منهم في الاستعراضات الكشفية الإسلامية حيث كانوا يسيرون في صفوف متراصة منتظمة تردد الهتافات الإسلامية والأناشيد والتكبيرات التي تثير حماس الجماهير وتشدهم إلى هذه المظاهر الرائعة للشباب الذين يمثلون الرجولة الإسلامية بأبهى صورها. كما كان أحد مستشاري النظام الخاص الذي أُنشئ لمحاربة الإنكليز بمصر والصهاينة في فلسطين.

وقد عمل مدرساً في جامعة القاهرة ومازال يترقى في الدرجات العلمية حتى بلغ مرتبة الأستاذ، وكان من أنصار تدريس العلوم التجريبية والتطبيقية باللغة العربية، وقد نادى بضرورة التعريب في كل مناسبة، وألف عدداً من الكتب العلمية الرصينة في موضوع تخصصه باللغة العربية.

ذهب إلى العراق وأسهم في إنشاء كلية الهندسة ودرس هناك، وعمل في جامعة أسيوط أستاذاً لمادة المساحة، ورئيساً لقسم المساحة، وكان في الوقت نفسه وكيلاً لكلية الهندسة في أسيوط وعمل أستاذاً منتدباً في المعهد العالي للمساحة بالقاهرة وفي جامعة الأزهر، ثم تعاقدت معه جامعة الرباط، فكان رئيساً لقسم المساحة في كلية الهندسة، ثم انتقل إلى كلية الهندسة، في جامعة الرياض (جامعة الملك سعود حالياً) وكان عضواً في هيئة مشروع جامعة الإمام محمد الإسلامية بالرياض، وعُين عضواً في هيئة مشروع المدينة الجامعية، ثم عُيِّن

أستاذاً مشرفاً على مراكز البحوث الفلكية، وظل يعمل في جامعة الإمام إلى ما قبل وفاته بسنتين.

يقول زميله الدكتور حامد: «أتمّ في كلية الهندسة جامعة الملك سعود، وفي مركز الحاسب وبمساعدة الأخ الأستاذ الدكتور أحمد شرف الدين، خبير الحاسب والبرمجة، إثبات أن مكة أم القرى، هي مركز اليابسة، فإذا ركزت في مكة بالفرجار، كانت اليابسة تحيط بمكة المكرمة.

كذلك أتم استنتاج وتحديد المعادلات التي يمكن بها تحديد اتجاه القبلة، ومواعيد الصلاة في أي مكان في العالم، بمجرد تحديد قيمة خط الطول وخط العرض.

بعد إتمام ذلك السياق الرياضي، والتأكد من المعادلات اقترح اختراع ساعة تستوعب تلك المعادلات، وبالتالي تحدد مواعيد الصلاة وتنبه لدخول وقتها، وكذلك اتجاه القبلة.

حاول تصنيع هذا الاختراع، ولكن من أعانه في ذلك، استولى على الفكرة وصنع الساعة تحت اسم "space tronik" ولما علمت ذلك طلبت منه، عليه رحمة الله الواسعة، أن يقاضي الرجل، ولكنه قال: يا حامد، المهم أن الفكرة وصلت للمسلمين، وتمكن المؤمنون من الاستفادة منها، والأجر عند الله جزيل ولا يضيع !!

أما اللجان والهيئات العلمية التي شارك بها فكثيرة، فقد كان عضواً في لجنة المساحة التصويرية، وفي لجنة إنشاء كلية الهندسة بالجامعة الأزهرية ووضع المناهج الخاصة بها، وفي لجنة إنشاء المعهد العالي للمساحة في مصر، وفي لجنة الترقيات العلمية لدرجة الأستاذية بالجامعات المصرية، وفي لجنة دراسة المساحة الجوية بمصلحة المساحة المصرية، وفي لجنة التحضير والمتابعة لمؤتمر الفقه الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٩٧٦م، وحصل على جائزة الدولة التشجيعية ١٣٩٨هـ، وقد وضع الخطوط

الأساسية لإنشاء أطلس جديد يسمى الأطلس المكي، ويمتاز بإظهار موقع مكة المكرمة بالنسبة إلى القارات الأرضية واستعمال الإسقاط المكي للعالم في إنشاء خرائط هذا الأطلس وبيان خطوط اتجاهات الصلاة على هذه الخرائط، وأثبت أن مكة المكرمة تتوسط الكرة الأرضية، واستطاع أن يتوصل إلى معادلات وبرامج تمت الاستفادة منها في تصنيع ساعة تضبط مواقيت الصلاة وتعطي إشارة صوتية عند حلول وقت الصلاة حسب البلد الذي يُحدد في الساعة، وهي في الوقت ذاته تحدد اتجاه القبلة في أي مكان من الأرض، وقد صنعت وأصبحت في متناول أيدي الناس، كما أسهم بدور كبير في بناء السد العالي، وكان مضرب المثل في خلقه وتواضعه ومعاملته الطيبة التي كانت سبباً في حب طلابه له بدرجة كبيرة، وقد سجن عدة مرات في أيام فاروق وجمال عبدالناصر، ولكن أشد ما لاقاه كان في عهد عبدالناصر.

مؤلفاته:

أما البحوث التي نشرها في المجلات العلمية فكثيرة جداً، وكذلك الكتب التي ألفها ونشرها وكان أكثرها باللغة العربية وبعضها باللغة الإنجليزية، وكل ما في هذه الكتب والبحوث أصيل مفيد وجديد عميق، ويقع بعض هذه المؤلفات في مجلدات، منها:

المساحة المستوية.

المساحة الطبوغرافية.

المساحة الجيودبسية.

جداول مواقيت الصلاة.

جداول اتجاه القبلة.

تعيين أوائل الشهور العربية.

بحث في مواقيت الصلاة والصوم.

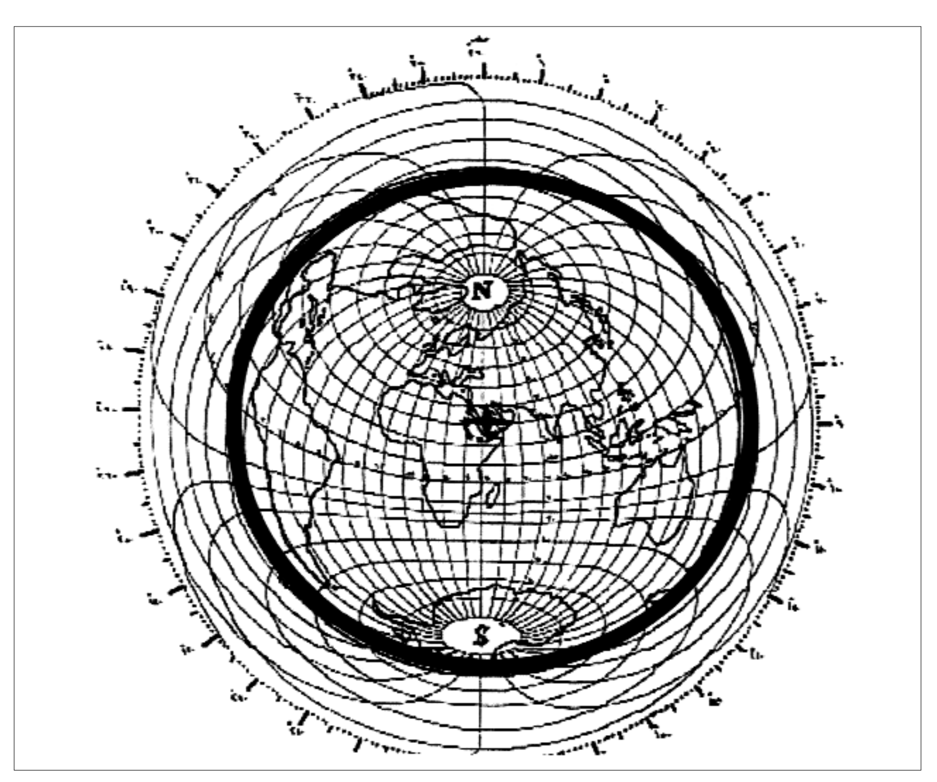
بحث في وقت العشاء بالنسبة لوقت المغرب.

بحث في بيان فرق الارتفاع بين مكان المصلى ومكان شروق الشمس أو مغربها.

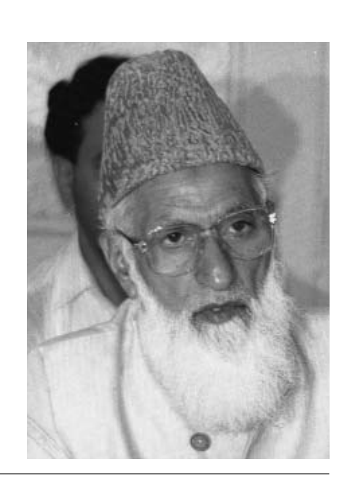
وفاته:

أصيب الدكتور المهندس حسين كمال الدين بمرض الربو أواخر حياته وكان صابراً محتسباً حتى توفاه الله يوم الخميس ١٢ / ١٢ / ١٤٠٧هـ بمصر، ودفن بالقاهرة بعد تشييع مهيب من إخوانه وتلامذته.

رحم الله أستاذنا رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.



هذه الخريطة من رسم الأستاذ الدكتور حسين كمال الدين





سفير الإسلام المتجول

خليل أحمد الحامدي

(١٣٥٠ - ١٤١٥هـ = ١٩٢٩ - ١٩٩٤م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ خليل بن أحمد الحامدي، ولد في ٢٣ / ٦ / ١٩٢٩م بقرية (حامد) الواقعة في محافظة (فيروزبور) الهندية، وحفظ القرآن الكريم في طفولته، ثم التحق بالمدرسة الأعظمية في مدينة (كرنال) وتخرج فيها سنة ١٩٤٥م، وكان من مشايخه والده مولانا فتح محمد، والمحدث الكبير الشيخ مولانا أنور شاه كشميري..

توفي والده وعمره ثماني سنوات. وكان التحاقه بالجماعة الإسلامية بالهند مبكراً جداً، حيث كان طالباً لم يتجاوز الرابعة عشرة، ومع هذا كانت له إسهاماته في أنشطتها المختلفة من سنة ١٩٤٣م ثم ازداد نشاطه وكثرت مشاركاته لاجتماعات الجماعة الإسلامية سنة ١٩٤٥م، وبعد أربع سنوات، أي في عام ١٩٤٩م أصبح عضواً عاملاً في الجماعة، ولازم منذ ذلك الحين الشيخ أمين

أحسن إصلاحي، أحد رموز الجماعة الإسلامية ومن قبله الشيخ محمد علي، أمير الجماعة الإسلامية بمدينة «فيروزبور» وفي سنة ١٩٥٥م اختير الأستاذ الحامدي مساعداً لمدير دار العروبة للدعوة الإسلامية، ثم صار مديراً لها بعد ثمانية أعوام.

وكان يخطب الجمعة بالمساجد ومعظم خُطبه مقتبسة من كتاب المودودي (خطب الجمعة)، حيث كان يحفظ الكثير منها عن ظهر قلب في شبابه، كما أنه عمل واعظاً بالسجن المركزي بمدينة لاهور لمدة عام، وهدى الله على يديه كثيراً من السجناء، وكان يصلي بهم صلاة الجماعة ومعهم مدير السجن الذي كان يحب تلاوة القرآن الكريم.

مشايخه:

إن العلماء والمشايخ الذين أخذ منهم العلوم كثيرون، منهم: مولانا فتح محمد، الشيخ أمين الدين، الشيخ مظهر الدين، الشيخ ظريف أحمد، الشيخ محمد علي، الشيخ عبدالعليم القاسمي، الشيخ عبدالحليم القاسمي، السيد أبوالأعلى المودودي، الشيخ محمد أمين المصري، الشيخ محمد عاصم حداد وغيرهم.

معرفتي به:

بدأت معرفتي بالأخ الداعية خليل أحمد الحامدي في الستينيات الميلادية، حين تولى إدارة دار العروبة للدعوة الإسلامية بمقر الجماعة الإسلامية بباكستان، خلفاً للأخ محمد عاصم حداد الذي التحق بالعمل في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. ثم التقيته مرات عدة بالسعودية والكويت، وكذلك بباكستان حين لقاءاتنا المتكررة مع الإمام أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية ثم خليفته من بعده الشيخ ميان طفيل محمد ثم الأمير الحالي للجماعة الأستاذ قاضي حسين أحمد.

كما جمعتني به رحلات مشتركة سافرنا فيها إلى أوروبا وأمريكا وإيران والفلبين وغيرها، كما زارنا بالكويت أكثر من مرة وشرّفني في منزلي، وحضر الندوة الأسبوعية مساء الجمعة، وشارك في موضوعاتها. وألقى العديد من المحاضرات والكلمات في جمعية الإصلاح الاجتماعي والتجمعات الإخوانية في الكويت.

وقال لي: إنني أعرفك يا أبا مصطفى من خلال قراءتي لكتاب شيخنا مسعود عالم الندوي «شهور في ديار العرب»، الذي نشره بالأوردية سنة ١٩٤٩م ثم ترجم إلى العربية، حيث ذكر أنكم استقبلتموه بالبصرة والزبير بحفاوة بالغة، وحدثكم عن الجماعة الإسلامية بباكستان، وحدثتموه عن الإخوان المسلمين في العالم العربي، وزودكم بمؤلفات المودودي وزودتموه بمؤلفات الإمام الشهيد حسن البنا وإخوانه وتلامذته، وكان هذا أول اتصال للإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية بباكستان.

وظلت صلتي بالأخ الحامدي وثيقة جداً، ففي جميع رحلاتي إلى باكستان كان يرافقني ويترجم كلماتي ومحاضراتي في الندوات والمؤتمرات إلى جمهور السامعين باللغة الأوردية ويترجم لي ما يقال بالأوردية.

ومن أمتع الرحلات التي رافقته بها، رحلتنا إلى جنوب الفلبين، حيث زرنا مناطق المسلمين واطلعنا على أحوالهم كما زرنا معسكرات تدريب المجاهدين من حركة تحرير مورو الإسلامية، والتقينا رئيسها المرحوم سلامات هاشم وهو قائد فذ وداعية موفق وفقيه متمكن.

كما ترافقنا في رحلة إلى إيران بعد سقوط نظام الشاه، حيث التقينا المسؤولين وعلى رأسهم الخميني، وكان معنا في تلك الرحلة الأخ سعيد حوى رحمه الله والأخ جابر رزق رحمه الله والأستاذ محمد عبدالرحمن خليفة وآخرون.

وقد تحدثنا جميعاً عن ضرورة العمل على وحدة المسلمين، والبعد عن النزاع والشقاق ومواجهة أعداء الإسلام كأمة واحدة تحت راية واحدة، لا إله إلا الله

محمد رسول الله، ونبذ التعصب المذهبي والطائفي، ووقف التسلط الذي تمارسه بعض الحكومات على المسلمين والدعاة والحركات الإسلامية المعاصرة.

نشاطه العلمي والدعوي:

لقد كان الأستاذ خليل الحامدي همزة الوصل بين الجماعة الإسلامية بباكستان والحركات الإسلامية في البلاد العربية والإسلامية، وسافر إلى السعودية برفقة الإمام المودودي وقابل الملك سعود سنة ١٩٦٠م بناءً على طلبه لتقديم مشروع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد رحب الملك سعود بالمودودي ترحيباً كبيراً جداً، وكان مع المودودي بالإضافة للشيخ الحامدي السيد غلام محمد، فقدم المودودي خطته المقترحة للجامعة إلى الملك سعود الذي شكل لجنة لمناقشتها مؤلفة من الإمام المودودي والشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم، وأبي الحسن الندوي، ومحمد علي الحركان، فوافقوا على الخطة بعد إدخال تعديلات بسيطة عليها.

وقد بقي المودودي وغلام محمد وخليل الحامدي عشرة أيام بمدينة الرياض، حيث ألقى الإمام المودودي كلمة قيمة في قصر الملك بالناصرية، وكذا في معهد العاصمة النموذجي للأنجال، ثم سافر الحامدي مع المودودي إلى مكة المكرمة للعمرة، ثم إلى المدينة المنورة لزيارة مسجد الرسول، وزاروا المكان المخصص للجامعة، حيث تم إنشاؤها في وادي العقيق قرب قصر سلطانة.

وفي سنة ١٩٦٢م سافر الحامدي مع المودودي للحج وكان الملك سعود دعا لمؤتمر إسلامي في موسم الحج لمواجهة فتنة الإلحاد والفساد في صورة الشيوعية والاشتراكية التي كان يتبناها بعض الحكام العسكريين العرب.

وقد تمَّ عقد هذا المؤتمر وانبثق عنه تأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وكان من أبرز مؤسيسها: أبوالأعلى المودودي، أبوالحسن الندوي، محمد أمين الحسيني، مكي الكتاني، عبدالله القلقيلي، عبدالرحمن الأرياني، البشير الإبراهيمي، حسنين مخلوف، علال الفاسي، عبدالله كنون، الطاهر بن عاشور، محمد ناصر، مفتي محمود، الشيخ إبراهيم السنغالي، محمد فال الموريتاني، أبوبكر جومي، محمد بن إبراهيم، عبدالله بن حميد، عبدالعزيز بن باز، محمد علي الحركان وسعيد رمضان وغيرهم.

كما أن الحامدي كان المترجم لكلمات ومحاضرات ودروس وكتب الإمام المودودي مؤسس الجماعة وأميرها الأول. وقد أسهم الحامدي في ترجمة مؤلفات الإمام المودودي مقتفياً أثر الأخوين قبله: مسعود عالم الندوي، ومحمد عاصم حداد.

كما قام بترجمة الكثير من مؤلفات الإمام الشهيد حسن البنا والشهيد سيد قطب والسيدة زينب الغزالي وغيرهم، بالإضافة إلى بعض الكتب الأخرى مثل: البوابة السوداء، دور الدول الاشتراكية في بناء إسرائيل، الوابل الصيب من الكلم الطيب، معالم في الطريق، أيام من حياتي... إلخ.

وقد تولى الأستاذ الحامدي مهمة الإشراف على معهد الإمام المودودي لطلبة البعوث الإسلامية بباكستان، والإشراف على دار العروبة للدعوة الإسلامية، والمجلس التعليمي الإسلامي، ومجمع المعارف الإسلامية، كما كان عضواً في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن.

والأستاذ خليل الحامدي متمكن من اللغة العربية، يملك ناصية بيانها، متحدثاً وكاتباً، كما أنه صاحب قلم سلس، وأسلوب مشرق الديباجة وتعبير عذب أنيق كأنه عربي الجذور.

مؤلفاته:

بالإضافة إلى الكم الكبير من الكتب التي ترجمها من العربية إلى الأوردية، ومن الأوردية إلى العربية، فإن له مؤلفات كثيرة نذكر بعضها:

الإمام أبوالأعلى المودودي.

الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة.

بر الأمان.

حول تطبيق الشريعة الإسلامية في العصر الحاضر.

ختم النبوة في ضوء القرآن والسنَّة.

المبادئ الأساسية لفهم القرآن.

وغيرها كثير لا تحضرني أسماؤها.

ويروى أنه حين سافر إلى السعودية لتسلم جائزة الملك فيصل نيابة عن الإمام المودودي، ألقى كلمة قصيرة جداً على لسان المودودي قال فيها: «... لا أريد الجائزة على الخدمات التي قمت بها في سبيل الله وسبيل الإسلام، لا أريد الجائزة عليها من الملوك في هذه الدنيا، وإنما أريد وأتمنى أن أنال الجائزة من الله عز وجل يوم لا ينفع مال ولا بنون، وإن كنتم مصرّين على أن آخذ هذه الجائزة فتسلم عن طريق مندوبي الحامدي لصرفها في سبيل الله ولا أصرفها في مصلحة شخصية».

قالوا عنه:

يقول الشيخ ميان طفيل محمد: «إن الشيخ خليل أحمد الحامدي كان من الذين قام الإمام المودودي بتربيتهم بنفسه وجعلهم شخصيات لا تموت بسبب أعمالهم، وكان نموذجاً تركه المودودي بعد وفاته للناس، كان مخلصاً ونشيطاً في أداء واجباته نحو الأمة الإسلامية، وكان يعمل كخلية النحل من الصباح إلى الليل، وإن وفاته خسارة للجماعة الإسلامية والمسلمين جميعاً».

يقول الشيخ قاضي حسين أحمد: «من أوصاف الشيخ الحامدي أنه لا ييأس مهما كانت الظروف، وكان يرشد الشباب بأن المستقبل للإسلام. وكان لجولاته في الدول العربية والإسلامية طيلة ثلاثين عاماً الأثر الكبير لمعرفة أحوال الشعوب الإسلامية والدعاة العاملين للإسلام».

يقول الدكتور عبدالغفار عزيز: «إن الشيخ خليل أحمد الحامدي كان اليد اليمنى للإمام الراحل السيد أبي الأعلى المودودي، كما كان الحامدي درة في تاج الحركات الإسلامية في العالم كله وليس الجماعة الإسلامية بباكستان وحدها...».

يقول العلاَّمة يوسف القرضاوي: «... لقد كان الأخ الكريم العالم الجليل والداعية الصادق الشيخ خليل أحمد الحامدي عزيزاً على نفوسنا وحبيباً إلى قلوبنا، وكان خير سفير للجماعة الإسلامية في المجامع والمجتمعات العربية والإسلامية، لما يتحلى به من علم نافع وعقل ناضج، وخلق فاضل، وإخلاص نادر، وبصيرة نيّرة، ونشاط دائب، ومعرفة في الدعوة الإسلامية في العالم ورجالاتها، وإجادة اللغة العربية كأنه أحد أبنائها الخُلص...».

وفاته:

ولقد وافته المنية يوم ٢١ / ٥ / ١٤١٥هـ ـ الموافق ٢٥ / ١١ / ١٩٩٤م، إثر حادث مروري بباكستان، وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، حيث انتشر الخبر بسرعة مذهلة، ومن ثم بدأت وفود التعزية ورسائل المواساة، تتقاطر، وحضر الجنازة آلاف المشيعين، ومنهم عدد كبير من رجالات الفكر وزعماء السياسة وممثلي الحركات الإسلامية في العالم كالدكتور أحمد العسال من إخوان مصر، والأستاذ علي شفق من حزب الرفاه بتركيا، والسفير عبدالملك الطيب من اليمن، والدكتور الطيب زين العابدين من السودان، والأستاذ عنصر علي من بنجلاديش وغيرهم كثيرون.

هذا هو الأخ الكريم والداعية الكبير الشيخ خليل أحمد الحامدي، وهذا غيض من فيض من جهوده المباركة في سبيل الله، نسأل الله أن يتقبله في الصالحين من عباده وأن يحشرنا وإياهم مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





مقيل العثرات

الحاج رسلان علي الخالد (أبو علي)

(١٣٣٧ ـ ١٤٠٤هـ = ١٩١٩ ـ ١٩٨٤م)

توطئة:

إن هذا الوصف الذي أُطلق على الحاج رسلان الخالد، ليس فيه تكلّف أو مجاملة أو تزلّف، بل هو التعبير الصحيح لوصف الرجل بأخص خصائصه، ألا وهي نجدة الملهوف، وإغاثة المحتاج، والقيام على شؤون الفقراء، والأُسر المستورة، والأرامل، والأيتام، والسعي لتشغيل العاطلين عن العمل، وتقديم المال لسداد ديون الغارمين، والمشي بحاجة إخوانه المسلمين أينما كانوا، ومن أي بلدٍ قدموا.

يتحرك بالليل والناس نيام، ويتلمس حوائج الناس، ويُقدِّم العون في الخفاء، بعيداً عن الرياء، ويسعى للصغير والكبير على حد سواء، وهذا كان شأنه في بلدته «سلمية» في سورية، قبل مغادرته إلى الكويت.

معرفتي به:

ولقد عرفته في الكويت بعد قدومي إليها واستقراري بها عام ١٩٥٩م، حيث قدم هو في نفس العام، وعرفت معه مجموعة خيِّرة تسعى مثلما يسعى، وتعمل متطوعة في مجال خدمة المسلمين، دون كلل أو ملل، ومن هؤلاء الدكتور سعيد النجار، والأستاذ محمد عبد الحليم الشيخ، والمهندس محمد حلمي الكاشف وغيرهم.

إن الحاج رسلان الخالد من بلاد الشام، ومن مواليد بلدة «سلمية» عام ١٩١٩م، عرفته مع الحاج محمد الطحان «أبو إبراهيم»، والحاج بكور، والشيخ علي القطان، الذين سعدنا بهم في الكويت، ورأينا من أفعالهم الخيِّرة وجهودهم المباركة ما يشرح الصدر، بأن أمة الإسلام ما زالت بخير والحمد لله.

إن الحاج رسلان الخالد، واسع الاتصالات مع معظم الشخصيات في الكويت، ومعروف لديهم بالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء والشهامة والرجولة، وهو محل الثناء لدى الجميع، وموضع الثقة لدى المسؤولين، لأنه لا يعمل لنفسه قط، وما سأل أحداً حاجة لشخصه.

صفاته:

رجل بسيط في مظهره، نظيف في ملبسه، عليه الوقار، وفيه الصفاء، يغشى مجالس العلم، ويحب العلماء والدعاة، ويساعد طلبة العلم، والراغبين في الزواج، والباحثين عن العمل، ويسعف المرضى، ويحضر الجنازات، ويقدِّم المعونات، وكان ـ يرحمه الله ـ يُسمي المجموعة التي تتعاون معه «جماعة إقلاق الراحة» لأنه يطرق الأبواب في الليل أو القيلولة، وهو وقت الراحة للاستعانة بالمطروقين، لإنجاد ملهوف، أو مساعدة محتاج، أو حلِّ مشكلة عويصة، أو معضلة من المعضلات.

وكان من المترددين على (ندوتنا الأسبوعية) مساء الجمعة، حيث يطرح ـ بعد

الدرس ـ ما يطلب المساهمة في دعمه من الأمور الإنسانية والحاجات الضرورية للمسلمين والعوائل المستورة، فينطلق مع المتطوعين من الإخوان الراغبين في الأجر والثواب، يحملون الطعام والكساء والمال إلى ذوي الحاجة من المسلمين الفقراء والمعوزين، الذين يحسبهم الناس أغنياء من التعفف، مع أن بعضهم لا يجد قوت يومه.

إن الحاج رسلان الخالد مثلٌ من الأمثلة الرائعة، ونموذج من النماذج الصادقة، التي تدل دلالة واضحة على أن الخير باق في أمة الإسلام إلى يوم القيامة، وأن المسلمين ـ رغم ما فيهم وما يحيط بهم، وما يُدبَّر لهم ـ لا تخلو مجتمعاتهم من أمثال الحاج رسلان، المسلم الصادق، والعامل الزاهد، والمجاهد الصابر، الذي ضرب أروع الأمثلة في عمله الصامت وجهده المبارك، فهو لم يكن من كبار العلماء ولا من ذوي الجاه، وليس من أصحاب المال، أو النفوذ، أو التجارة، بل كان رجلاً يعيش على الكفاف، ولم يتزوج، لأن عمل الخير شغله عن أي شيء آخر، وآثر أن يكون مِلكاً للمسلمين، فهم إخوانه وأولاده، وخدمتهم هي أمله ومبتغاه، وما يرجوه عند الله.

خصال نادرة:

لقد كنتُ قريباً منه، وكان قريباً مني، وعرفتُ فيه من الخصال والصفات ما تمنيتُ أن يكون بعضها عندي، فهو متوكل على الله غاية التوكل، لا يرد يد سائل، ولا يتأخر عن قضاء حاجة مسلم، جاءني مرة طالباً شفاعتي لدى مسؤول كبير، لحل مشكلة مجموعة من ذوي الحاجات، وكان وقت الدوام الرسمي موشكاً على الانتهاء، فطلبتُ منه تأجيله إلى الغد، فقال بأن الأمر لا يحتمل الإرجاء، وتأخيره قد يؤدي إلى ضرر بالغ بهم، فقلتُ إن المسؤول صاحب مزاج، وكان بالأمس على غير ما يرام، وأخشى إن أعطيتُك التوصية ألاّ يستجيب. فقال

ـ رحمه الله ـ: اكتبها وعجِّل بالأمر، وسأذهب إليه بها، والله يفعل ما يريد، فاستجبتُ وكتبتُ التوصية، فأخذها مسرعاً وأدركه قبل خروجه من مكتبه، وببركة دعاء الحاج رسلان استجاب المسؤول لطلبهم جميعاً دون استثناء أحد، وهذا على غير عادته، ولكنه فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

لقاؤنا في موسم الحج:

وأذكر أنني كنتُ مرة في أحد مواسم الحج مع الأخ الكريم الشيخ إبراهيم الناصر، وبينما نحن في رمي الجمار، أضاع كل منا صاحبه، وكان معنا الحاج رسلان الخالد، وهو رجل طويل القامة، تعلو قامته الرؤوس، فما كان منه إلا أن صوَّب نظره في الحجاج الذين يرجمون الجمار، ثم التفت إلى الشيخ الناصر، وقال: انتظر يا أبا عبد العزيز، فسوف آتي لك بصاحبك أبي مصطفى، وبالفعل ما شعرتُ إلا ويد الحاج رسلان تهبط عليَّ بين الجموع، وتمسك بعضدي، ويصحبني إلى حيث يقف الشيخ الناصر، ونذهب جميعاً ونحن في فرحٍ وسرور، ونقول للحاج رسلان مازحين: وهذه من فوائد طول القامة بعد طولٍ يدك في أعمال الخير يا أبا علي.

كان الدكتور عيسى عبده إبراهيم أقام فترة طويلة في الكويت، للتحضير لإنشاء بنك إسلامي غير ربوي، وكان طيلة بقائه في الكويت يحضر «ندوة الجمعة» ويشارك في موضوعاتها، ويتحدث إلى روادها، وكان من عادتنا بعد الدرس أو المحاضرة أو الندوة، أن نسأل الحضور عن أخبارهم ومشكلاتهم، لنتعاون في تقديم الحل المناسب لها، ثم يتلو ذلك تبادل النكت والطرائف، وكان من البارزين في هذا الميدان د. عيسى عبده، والأستاذ عبد الحليم خفاجي والحاج رسلان في بعض الأحيان وهكذا نعيش في أجواء العلم والعمل والسرور والأخوَّة الإسلامية.

في إحدى ديوانيات الجمعة تركنا للشيخ الحاج بكور، أن يُحدثنا عن جهوده

في الدعوة إلى الله وبخاصة في سورية، فتكلم بإفاضة عن جهوده المباركة، حتى إنه كان يذهب للوعظ والإرشاد في بيوت الخنا، حيث يتحدث إلى النساء المنحرفات بأسلوب يأسرهن ويستولي على قلوبهن، ويخاطب الفطرة في نفوسهن، فلا يلبثن أن ينخرطن في البكاء والنحيب والندم، فيُرغِّبهُن الشيخ بالتوبة، وأن بابها مفتوح، وأنه سيأخذ التائبة منهن إلى طريق الخير، ويؤمِّن لها مستقبلها، وقد هدى الله على يديه الكثير من العاصيات، فَعُدن إلى جادة الصواب، وقد أكد الأمر وثنَّى عليه الحاج رسلان لمعرفته بالشيخ بكور.

أما قصص الشيخ الحاج رسلان مع الأَخوين الكريمين الأستاذ محمد عبد الحليم الشيخ الموجِّه العام بوزارة التربية، والمهندس محمد حلمي الكاشف فهي كثيرة وكلها في السعي لقضاء حوائج الناس، وكذا الشأن مع الدكتور سعيد النجار، رحم الله الجميع وجزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

قالوا عنه:

يقول عنه الأستاذ عبدالله شبيب ـ المحرر بمجلة «البلاغ» الكويتية ـ: «... لقد هجر الحاج رسلان الخالد موطنه الأصلي فكانت هجرته لله، وعرفته الكويت وأهل الخير فيها، مناراً للخير والبر، يعيش لغيره أكثر مما يعيش لنفسه، ولم يعتن بجمع الحطام، ولا بالعمران والمال، وحين انتقل إلى جوار ربه، وُجدت في سجله مئات الأسر الفقيرة التي كان يَسُدُّ حاجتها».

القيامة قد قامت:

ويقول عنه د. عادل حسون ـ وهو من بلدة الحاج رسلان: «... قضى الحاج رسلان الخالد جزءاً مهماً من حياته في مسقط رأسه «سلمية» يدعو إلى الله، ويجاهد الإسماعيلية الآغاخانية، الذين حاربوه، حتى رموه بالحجارة وأدموه، وقد رأيتُ بأم عيني الحجارة الكثيفة المركزة على محله التجاري، حتى ليخيل

إليك أن القيامة قد قامت، وهو رابط الجأش، واثق بالله، صابر محتسب، وقد دفعه هذا الظلم والعدوان إلى الهجرة في سبيل الله إلى الكويت يوم ٢٧ / ٣ / ١٩٥٩م، داعياً ومجاهداً، وساعياً في الخير لكل الناس، فالتف حوله الكثيرون من أهل الخير من الكويتيين وغيرهم، واستجابوا لدعوته، وآزروه بالمال الكثير، لتوزيعه على ذوي الحاجات من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والمعوزين في الكويت وخارجها».

ويحدثنا الدكتور زهير الخالد فيقول: «... جاء الشيخ حسين الخالد جَدُّ الحاج رسلان إلى (سلمية) وفتح مدرسة لتعليم القرآن الكريم وزاوية للصلاة لمقاومة الدعوة الإسماعيلية الآغاخانية المدعومة من الهند، حتى إنه لم يكن يصلي خلفه في البداية سوى أربعة من أهل السُّنَّة في الوقت الذي تحوَّل فيه الكثيرون عن دينهم، وتعرَّض الشيخ حسين للقتل أكثر من مرة، وقتلوا أحد أولاده، وهو عمُّ الحاج رسلان الخالد، وبعد وفاة الشيخ حسين تعاون ابنه الحاج رسلان مع الحاج رضا المعصراني، والشيخ عبد الفتاح الدروبي، حيث بنوا مسجداً جامعاً في سلمية بدل الزاوية الصغيرة التي كان يصلي فيها جدُّه، كما تعاون مع الدكتور مصطفى السباعي، ومحمد المبارك وكانا عضوين في المجلس النيابي السوري في اختيار المعلمين والمعلمات من أهل السُّنَّة والجماعة للتدريس في مدارس (سلمية)، مما كان له الأثر في تبصير التلاميذ بحقيقة الإسلام، وكشف ضلال الإسماعيلية، مما أغاظ رؤوس الطائفة التي كانت تتربص به لاغتياله حتى هاجر إلى الكويت» انتهى.

موقف:

أذكر مرة أن الحاج رسلان الخالد اتصل بي، وطلب مساهمة شقيقي الأخ يوسف العقيل ـ رحمه الله ـ في التنازل عن حق له لدى شخص ضعيف، فكلمتُ أخي فاستجاب للرجاء لما يعرفه في الحاج رسلان من المروءة والنجدة.

دعم الكويتيين له:

لقد كان الكرام من أهل الكويت في تعاون مع الحاج رسلان، بل يدعمونه ويشدّون من أزره لأنهم قد جرَّبوه، فوجدوا فيه الصدق والإخلاص والجدّ والمثابرة، فكانوا يبذلون بسخاء ويرفدون أعمال الخير التي يقوم بها لأنهم لمسوا آثارها الطيبة المباركة، ومن هؤلاء الكرام نذكر الإخوة: عبد العزيز علي المطوع، ويوسف جاسم الحجي، وحسن الجار الله، وأحمد بزيع الياسين، وعلي عبد العزيز الخضيري، والسيد يوسف الرفاعي، وعبدالله العلي المطوع، ومحمد العدساني، ومحمد بودي، وعبدالله سلطان الكليب، وغيرهم كثير ممن لا أذكرهم ولكن الله يعلمهم.

إن الجهود المباركة التي قام بها الحاج رسلان بالكويت، هي التي شاهدناها وعشناها، أما جهوده في سورية فحدّث ولا حرج، فقد حدثني زملاؤه والثقات من إخواننا بأنه أفنى عمره في الدعوة إلى الله وعمل الخير، في مجالاته المختلفة، وقد هدى الله على يديه خلقاً كثيراً من الناس لأن بلدته «سلمية» كان فيها عدد كبير من الإسماعيلية وهم فئة خارجة عن الإسلام، وإن ادعت انتسابها إليه، فكانت جهوده مع الدعاة إلى الله جهوداً مكثفة أثمرت نتائج طيبة، حيث دخل الإسلام وعاد إليه أفراد وأسر كثيرة والحمد لله.

حرب... وتربص:

كما أن بناء المساجد شمل معظم المناطق التي تسكنها طائفة الإسماعيلية، وانتشر العلم الديني، وحفظ القرآن الكريم والالتزام بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة، وقد حاربه المتطرفون من الطائفة وتربَّصوا به أكثر من مرة لاغتياله، ولكن الله نسأ في أجله وحفظه ورعاه، وكانت هجرته إلى الكويت خيراً وبركة، حيث وَجَدَ من الإخوان المسلمين كل الحب والتقدير، والمؤازرة والمناصرة، والدعم والتأييد، واجتمعت القلوب، وتضافرت الجهود، وتحقّقتْ الأخوَّة

الإسلامية بأجلى معانيها، وذابت الجنسيات والأعراق، وارتفعت راية الدين على راية الطين، وأخوَّة العقيدة على رابطة النسب، فكان العمل لله وفي سبيل الله والمستضعفين من المسلمين رجالاً ونساءً وولداناً.

وفاته:

وقد توفي في الكويت يوم ٢٥ / ١٢ / ١٩٨٤م، حيث خرج في جنازته جموع من المشيعين لم تشهد الكويت مثل أعدادهم، يمثلون أهل الكويت والمقيمين فيها من كل الطبقات ومختلف الأقطار، مما يعتبر شهادة بصلاحه، وتزكية لجهوده، وعرفاناً بفضله، وتلك ولا شك بركة العمل الصالح والمشي في حوائج الناس والمستضعفين من المسلمين.


الحاج رسلان الخالد مع الأخ محمد دقماق وآخرين بالكويت

نسأل المولى الكريم أن يتقبل شيخنا الحاج رسلان في عباده الصالحين، وأن يغفر لنا وله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.


إبراهيم المهنا ـ محمود شاكر ـ عبدالعزيز كامل ـ عبدالله العقيل ـ جمعة ياسين، الكويت سنة ١٩٧٠م





العالم الداعية سعيد حوَّى

(١٣٥٤ ـ ١٤١٠هـ = ١٩٣٥ ـ ١٩٨٩م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ سعيد بن محمد ديب حوَّى، ولد في مدينة حماة بسوريا سنة ١٩٣٥م، توفيت والدته وعمره سنتان فتربى في كنف جدته، برعاية والده الذي كان من المجاهدين الشجعان ضد الفرنسيين، عاصر في شبابه أفكار الاشتراكيين والقوميين والبعثيين والإخوان المسلمين واختار الله له الخير بالانضمام إلى الإخوان المسلمين سنة ١٩٥٢م، وهو في الصف الأول الثانوي.

وقد درس على يد عدد من المشايخ في سوريا في مقدمتهم: شيخ حماة وعالمها الشيخ محمد الحامد، والشيخ محمد الهاشمي، والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، والشيخ عبد الكريم الرفاعي، والشيخ أحمد المراد، والشيخ محمد علي المراد، كما درس على يد الأساتذة: مصطفى السباعي، ومصطفى الزرقا، وفوزي فيض الله وغيرهم. وقد تخرج في الجامعة السورية سنة ١٩٦١م وأدَّى

الخدمة العسكرية الإلزامية سنة ١٩٦٣م ضابطاً مجنداً وتزوج سنة ١٩٦٤م ورزقه الله أربعة أولاد.

نشاطه الدعوي:

حاضر وخطب ودرّس في سوريا والسعودية والكويت والإمارات والعراق والأردن ومصر وقطر والباكستان وأمريكا وألمانيا، كما شارك في أحداث الدستور في سوريا سنة ١٩٧٣م مشاركة رئيسة، حيث سجن لمدة خمس سنوات من (٥ / ٣ / ١٩٧٣م ـ ٢٩ / ١ / ١٩٧٨م)، وقد ألّف وهو في السجن عدداً من الكتب الدعوية.

تولى مناصب قيادية في تنظيم الإخوان المسلمين على المستوى القطري والعالمي وشارك في عدة أعمال دعوية وسياسية وجهادية.

شهادة بحقه:

يقول عنه الأستاذ زهير الشاويش في جريدة اللواء الأردنية بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٩٨٩م: «قدر الله ولا راد لقضائه وانقضت حياة سعيد بن محمد ديب حوَّى في المستشفى الإسلامي بعمّان ضحى الخميس غرة شعبان المعظم ١٤٠٩هـ الموافق ٩ / ٣ / ١٩٨٩م، وصُلِّي عليه بعد الجمعة في مسجد الفيحاء بالشميساني، ودفن في مقبرة سحاب جنوبي عمّان، وحضر الجنازة جموع غفيرة، وأبّنه كثيرون منهم الأستاذ يوسف العظم، والشيخ علي الفقير، والشاعر أبو الحسن، والشيخ عبد الجليل رزق، والأستاذ فاروق المشوح، والأديب الأستاذ عبدالله الطنطاوي، وكان تعاطف أهل الأردن الكرام، مع أخ غريب مات في بلدهم، مثل كرمهم مع الأحياء المقيمين عندهم؛ كرم في اليد وطيب في الكلام، وعفوية في المبادرة.

إن سعيد حوَّى كان من أنجح الدعاة الذين عرفتهم، أو قرأت عنهم، حيث

استطاع إيصال ما عنده من رأي ومعرفة، إلى العدد الكبير من الناس، وقد مات وعمره لم يتجاوز الثالثة والخمسين وهو عمر قصير، وترك من المؤلفات العدد الكبير، مما يلحقه بالمكثرين من المؤلفين في عصرنا الحاضر.. والاختلاف في تقييم كتبه، لا يغير من هذه الحقيقة شيئاً، وكانت لي معه جولات في كتبه وما حوت، ومع أن بعض رأيي كان ذابحاً ولفظي كان جارحاً، إلا أنه تلقاه دائماً برحابة صدر لم أجدها عند صحبي.

زرته في الأحساء وكان في حينها مدرساً في المعهد العلمي، فلم أجد في بيته من الفرش إلا ما يسد حاجة المتقلل، ومن الثياب ما لا يصلح لأمثاله من العلماء والمدرسين في تلك البلاد الحارة، كانت جلابيبه من النوع الحموي السميك، وما زلت به حتى اقتنع بلبس أثواب بيضاء وعباءة تليق بأمثاله، ولكنه اشترط ألا تكون فضفاضة، وأما الطعام فلم يكن أحسن حالاً من الفرش والثياب، ومما يدخل في هذا الباب تساهله مع الذين تولوا طبع كتبه سواء ممن أذن لهم أو لم يأذن، فقد توالت الطبعات الكثيرة لكتبه ـ بالحلال والحرام ـ فما بلغني أنه جعل من ذلك مشكلة مع أحد، وهذا من زهده، إن هذا الخلق وهذا التسامح من سعيد حوَّى مفخرة، وتذكر أمثولة للناس وهذه شهادتي» انتهى.

معرفتي به:

لقد عرفته من خلال كتبه، ونشاطه الدعوي في سوريا، ومن تلامذته في المدينة المنورة، والتقيته بعد ذلك في الأردن والكويت وأوروبا وباكستان فوجدت فيه الخلق الفاضل والأدب الجم، والتواضع والزهد، والبساطة في المظهر، والإقبال على الطاعة وكثرة التلاوة والذكر وإدمان القراءة والكتابة في الموضوعات الدعوية والحركية والفقهية والروحية والانشغال الكامل بقضايا الإسلام والمسلمين، والتصدي لطواغيت الأرض الذين خربوا البلاد وأذلوا العباد وسعوا في الأرض بالفساد.

لقد كان سعيد حوَّى طاقة هائلة، وحيوية متدفقة لا يكل ولا يمل، وله باع طويل في التأليف، بحيث يفرغ من الكتاب خلال أيام يكون بعدها بأيدي القراء، وهو ذو نزعة صوفية تغلبه بعض الأحيان، كما أن رقته وطيبة قلبه وحياءه يجعله يؤثر الصمت في بعض المواقف.

زيارته لنا بالكويت:

لقد سعدنا بزيارته في الكويت أكثر من مرة، وحضر ندوتنا الأسبوعية مساء الجمعة، وتحدث فيها حديثاً شائقاً أخذ بمجامع القلوب، وكان محور حديثه عن منهج الإمام البنا في الاستفادة من الخيرية في كل إنسان، وأن على الدعاة أن يزيدوا الخير في نفوس الناس، وأن يباشروا مخاطبة القلوب التي هي مفتاح الهداية، ونفوس البشر جميعاً فيها الخير وفيها الشر ولكن بنسب متفاوتة، فإذا وفقنا الله لزيادة الخير في النفس البشرية، فمعنى هذا أننا قللنا نسبة الشر فيها، لأن تزكية النفوس هي المفتاح لتقويم السلوك: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

مؤلفاته وآثاره:

كما كانت له دروس وأحاديث ومحاضرات في جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، ومدرسة النجاة الخاصة فيها، لقيت القبول من شباب الصحوة الإسلامية.

كما كان لمؤلفاته الدعوية والحركية رواجها لدى الشباب المسلم في البلاد العربية والإسلامية وبخاصة في اليمن وبلدان الخليج وبلاد الشام وقد ترجم بعضها إلى لغات أخرى.

ومن أهم مؤلفاته المطبوعة:

الله جل جلاله.

الرسول ﷺ.
الإسلام.
الأساس في التفسير.
الأساس في السُّنَّة وفقهها: السيرة ـ العقائد ـ العبادات.
تربيتنا الروحية.
المستخلص في تزكية الأنفس.
مذكرات في منازل الصديقين والربانيين.
جند الله ثقافة وأخلاقاً.
من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك.
الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص.
بطلا الحروب الصليبية في المشرق والمغرب يوسف بن تاشفين وصلاح الدين الأيوبي.
كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر.
المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين.
جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما.
في آفاق التعاليم.
دروس في العمل الإسلامي المعاصر.
فصول في الإمرة والأمير.
رسالة: منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة.
فلنتذكر في عصرنا ثلاثاً: فروض العين، فروض الكفاية، لمن تدفع صدقتك.
عقد القرن الخامس عشر الهجري.
إحياء الربانية.
إجازة تخصص الدعاة.
غذاء العبودية.

أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر الهجري.

قوانين البيت المسلم.

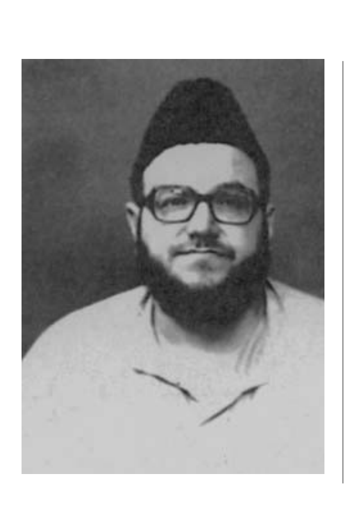
السيرة بلغة الحب.

الإجابات.

هذه تجربتي وهذه شهادتي.

جند الله تخطيطاً وتنظيماً.. إلخ.

مذكراته:



لقد كان الشيخ سعيد حوَّى قارئاً جيداً، حيث قال عن نفسه في كتابه (هذه تجربتي): «...كان معدل قراءتي في الساعة ستين صفحة، وكان موجهي في الأُسرة الإخوانية هو الأستاذ مصطفى الصيرفي، وتأكدت تلمذتي على يد الشيخ محمد الحامد في هذه المرحلة ثم أصبحت مسؤولاً عن الطلاب في مدينة حماة، وكان لي دور رئيسي في ثلاث مظاهرات طلابية:

الأولى: حين طالب الإخوان المسلمون في سوريا بإدخال نظام الفتوة في المدارس الثانوية.

والثانية: احتجاجاً على إعدام الإخوان المسلمين في مصر.

والثالثة: في الذكرى المشؤومة لوعد بلفور، وكنت المتحدث الرسمي في هذه المظاهرات عن الإخوان المسلمين.

وقد التحقت بكلية الشريعة بدمشق وحضرت خلال ذلك محاضرة الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين بسوريا في مدرج جامعة دمشق، فكانت محاضرة رائعة شعرت أثناءها وكأني منوم مغناطيسياً.

كما حضرت حفل الاستقبال الذي أُقيم للأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين في جامع السلطان بمدينة حماة، وتكلم فيه الدكتور مصطفى السباعي والدكتور سعيد رمضان، وخُتم الحفل بكلمة قصيرة للأستاذ الهضيبي» انتهى.

ولقد كان للشيخ سعيد حوَّى إسهامه في الحقل التعليمي حيث مارس التدريس داخل سوريا وخارجها، وعمل في السعودية خمس سنوات، سنتين في مدينة (الهفوف) بمنطقة الأحساء وثلاث سنوات بالمدينة المنورة.

زياراته ورحلاته:

كما كانت له زيارات متعددة إلى كثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية والأمريكية، وقد زار باكستان أكثر من مرة حيث قابل الإمام أبا الأعلى المودودي في الزيارة الأولى واستفاد من توجيهاته وإرشاداته في مجال الدعوة الإسلامية والعمل الجماعي.

وفي الزيارة الثانية لباكستان حضر تشييع جنازة المودودي، حيث كنت والعلاّمة القرضاوي وسيف الإسلام البنا، وعبد العزيز المطوع وغيرهم، واجتمع بقادة الجماعة الإسلامية بباكستان، ثم ذهب إلى لاهور حيث التقى قادة المجاهدين الأفغان وحثّهم على التعاون والعمل المشترك ونكران الذات وإخلاص النية لله تعالى وجعل الجهاد خالصاً لوجه الله وفي سبيله وألا يكون للنفس فيه حظ.

وفي أواخر شهر مايو سنة ١٩٧٩م سافر إلى إيران ضمن وفد إسلامي، حيث التقى الخميني ووزير الخارجية آنذاك إبراهيم يزدي وكمال خرازي وقام بشرح حقيقة ما يجري في سوريا، وناشدهم حق الأخوة الإسلامية نحو إخوانهم المسلمين في سوريا.

يقول الشيخ سعيد حوَّى في كتابه (هذه تجربتي): «إن من ثمار الانقلاب

العسكري الأمريكي بسوريا بقيادة حسني الزعيم ـ والذي أعلنت المخابرات الأمريكية في أكثر من كتاب أنها وراءه ـ هو:

ـ تسليم مستعمرة (مشمار هايردن) لليهود.

ـ وتوقيع اتفاق مد خط أنابيب التابلاين كما أرادتها الشركة الأمريكية.

ـ وإلغاء مجلة الأحكام العدلية التي كانت القانون المدني الإسلامي لسوريا» انتهى.

ومن سنة ١٩٨٤م كثرت لقاءاتي بالشيخ سعيد حوَّى بحكم ترددي على الأردن، حيث يقيم، ومن خلالها ازددت به معرفة واشتركت معه في تقويم كثير من الأحداث والوقائع، وكتابة بعض الدراسات والبرامج والمناهج، التي تحتاج إليها الحركة الإسلامية المعاصرة، وكنا نتفق في الكثير من الأمور ونختلف في القليل منها ولا يؤثر هذا على موقف أي منا نحو أخيه.

وحين أصدر كتابه (في آفاق التعاليم) أثنيت عليه وشكرته على هذا الجهد؛ لأن شباب الدعوة الإسلامية في أمس الحاجة إلى فهم الأصول العشرين التي وردت برسالة التعاليم للإمام الشهيد حسن البنا والتي تناولها بالشرح كثير من الإخوان أمثال: محمد الغزالي، عبد المنعم تعيلب، عبد البديع صقر، يوسف القرضاوي، علي عبد الحليم، جمعة أمين، محمد عبدالله الخطيب وغيرهم وهي رسالة قيّمة في حاجة إلى المزيد من الشرح.

وقد قام الأخ مصطفى الطحان بإدراجها في سلسلة مطبوعات الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، وتمت ترجمتها إلى بعض اللغات وراجت رواجاً كبيراً وطبعت عدة طبعات بالعربية وغيرها، والحمد لله.

ثناؤه على الإخوان:

لقد كان الشيخ سعيد حوَّى يرى في ثبات الإخوان المسلمين بمصر، هذه السنين الطويلة رهن السجون والمعتقلات وسط الزنازين وتحت سياط

الجلادين، دون أن يتنازلوا قيد شعرة عن مبادئهم رغم طول السنين وقساوة التعذيب ومرارة الحرمان، يرى أنهم القدوة للدعاة في هذا العصر وللإخوان في العالم.

وهو في هذا يوافق ما قاله الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا في كتابه (أخلاقنا الاجتماعية) حيث يقول: «إن في سجون مصر علماء يقطعون الأحجار، ويلبسون ثياب المجرمين، ويعاملون بالزراية والمهانة، لأنهم فهموا العلم، جهاداً ونصيحة وتعباً ومعاملة مع الله عز وجل، فإذا رأوا المنكر أنكروه، وإذا التقوا مع الجاهل نصحوه، وإذا ابتُلوا بالظالم وقفوا في وجهه، ليردوه ويهدوه، وإذا كانوا مع مستغلّي الشعب من أغنياء وزعماء ورجال أحزاب، واجهوهم بالحق الذي جعله الله أمانة في أعناق الذين أوتوا العلم، هذه جريمتهم التي زُجوا من أجلها بالسجون، وقيدت أرجلهم بالحديد، وسيقوا إلى مقالع الأحجار كما يساق القتلة واللصوص والأشرار والمجرمون!

ويا ليتهم سلموا من ألسنة إخوانهم من علماء الدنيا، الذين سخَّرهم الطغيان ليخدعوا الناس باسم الدين، فإذا هم أداة تخدير للشعب، وزراية بالعلماء المصلحين وتمجيد للفسقة والمغتصبين!

هؤلاء العلماء المصلحون على قلتهم ومحنتهم والعداوات التي تحيط بهم، هم وحدهم الأمل المرتجى لنهضة الأمة وتحررها وانعتاقها» انتهى.

يقول علامة الجزيرة الشيخ عبد العزيز بن باز:

«أيها العرب في كل مكان.. أيها القادة والزعماء. إن المعركة الحالية بين العرب واليهود ليست معركة عربية فحسب، بل هي معركة إسلامية عربية، معركة بين الكفر والإيمان بين الحق والباطل بين المسلمين واليهود.

وعدوان اليهود على المسلمين في بلادهم وعقر دارهم أمر معلوم مشهور، والواجب على المسلمين في كل مكان مناصرة إخوانهم المُعتدى عليهم، والقيام في صفهم ومساعدتهم على استرجاع حقهم ممن ظلمهم وتعدّى عليهم، بكل ما

يستطيعون من نفس وجاه وعتاد ومال، كلٌ بحسب وسعه وطاقته. كما قال عز وجل: ﴿**وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قومٍ بينكم وبينهم ميثاق**﴾ وقال تعالى: ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يُحرِّمون مَا حرَّم الله ورسوله ولا يَدِينُون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**﴾ [التوبة: ٢٩].

ومواقف اليهود ضد الإسلام وضد نبي الإسلام معلومة مشهورة قد سجلها التاريخ، وتناقلتها رواة الأخبار، بل قد شهد بها أعظم كتاب وأصدق كتاب، ألا وهو كتاب الله الذي ﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد**﴾ [فصلت: ٤٢].

فيا معشر المسلمين من العرب وغيرهم في كل مكان، بادروا إلى قتال أعداء الله من اليهود وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون.

بادروا إلى جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين والمجاهدين والصابرين.

وأخلصوا النية لله واصبروا وصابروا واتقوا الله عز وجل تفوزوا بالنصر المُؤزر أو شرف الشهادة في سبيل الحق ودحر الباطل».

(ابن باز ـ من كتاب: موقف اليهود من الإسلام وفضل الجهاد في سبيل الله)

مرضه ووفاته:

وفي سنة ١٩٨٧م أُصيب الشيخ سعيد حوَّى بشلل جزئي إضافة لأمراضه الأخرى الكثيرة: السكر.. الضغط.. تصلب الشرايين.. الكلى.. مرض العيون.. فلجأ للعزلة الاضطرارية وانقطع عن الناس ثم أُدخل المستشفى.

وفي يوم ١٤ / ١٢ / ١٩٨٨م دخل في غيبوبة لم يصحُ منها، حتى توفاه الله

ظهر يوم الخميس ٩ / ٣ / ١٩٨٩م في المستشفى الإسلامي بعمّان في الأردن.

رحم الله أخانا سعيد حوَّى، فكم صبر على الأمراض الكثيرة وعلى البلاء في السجون وعلى الألسنة الطويلة التي امتدت إليه بالإساءة، جعل الله ذلك كله في ميزان حسناته وغفر الله لنا وله وحشرنا وإياه مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

رثاؤه:

وقد رثاه الشاعر الإسلامي الكبير وليد الأعظمي بقصيدة عنوانها (سكت الهزار) جاء فيها:

سكت الهزار الصادح الغرّيد ... فاستوحش الوادي وغاب العيدُ
يا راحلاً عنا وفي أعماقنا ... شوق إليكم ما عليه مزيدُ
فارقتنا وتركت فينا لوعة ... في القلب يلذع جمرها الموقودُ
دين لكم في عنق كل مجاهد ... يجب الوفاء بذاك والتسديدُ
ذكراكَ في قلبي وذكرك في فمي ... أشدو به بين الورى وأشيدُ
بالأمس كان لقاؤنا في طيبة ... طاب الحديث بها وطاب نشيدُ
بجوار خير المرسلين سمت بنا ... سبحاتُ فكرٍ زانها التوحيدُ
والروضة الزهراء في جنباتها ... يتناغم التسبيح والتحميدُ
وصلاتنا فيها عروج للسما ... يسمو ركوع عندها وسجودُ
وتحلقت للعلم في أفيائها ... حلقات هدي نفعها مقصودُ
وأبو محمد (السعيد) كأنه ... قمر تألق نوره المشهودُ
يحيي القلوب بوعظه وبيانه ... لكأنما هو لؤلؤ منضودُ
فيه من الذكر الحكيم لآلئ ... ومن الحديث أزاهر وورودُ
والناس يستافون شهد بيانه ... منهم قيام حوله وقعودُ

يـا رافـعـاً لـلـحـق رايـة نصـره ... والـحـق تـحـرسـه ظُـبَـاً وبـنـودُ

أفـنيت عـمرك بالـجهاد مصابراً ... لله فـيـمـا تـبـتـغـي وتـريـدُ

لك فـي الـجهاد عزيمة مشبوبة ... لا تـعـتـريـهـا فـتـرة وخـمـودُ

كـالـلـيث فـي وَثْـبـاتـه وَثَـبَـاتـه ... شـهـدت بـذاك خـنـادق وجـنـودُ

والشـام تـذكـر إذ نـهضت مـكبراً ... تـحدو بـهـا نـحـو الـعلى وتقودُ

و(المسجد الأموي) يشهد أنك الـ ... بطل الـهـمـام الـقـائد الصـنـديـدُ

و(حماة) لا تنسى نداك محذراً ... مـمـا تـخـبـئـه الـلـيـالـي السـودُ

وتـرد كـيـد الـمـعـتـدين بنحرهم ... وتـذب عـن أحسـابـهـا وتـذودُ

أبـناؤهـا الصيد الكـرام تـحملوا ... فـوق الـذي حمل الكرام الصيدُ

فنساؤها اللبوات في ساح الوغى ... ورجـالـهـا عـنـد الـلـقـاء أسـودُ

عـانـوا مـن الأهـوال كـل فـظـيـعـة ... مـنـهـا تـكـاد الـراسـيـاتُ تـمـيـدُ

فـي كـل نـاحـيـة جـريـح يـلـتـوي ... وشـهـيـدة مـبـرورة وشـهـيـدُ

وإذا تخطى القتل بعض رجالهم ... فـالسـجـن والـتـعذيب والـتشريـدُ

في (القدس) قد عاث اليهود وفي (حما) ... عـاثتْ (قـرامـطـة) بـهـا و(يـهـودُ)

جـاؤوا بـكـل كـبـيـرة وكـريـهـة ... لـم يـأت أمس بـمـثـلـهـا (نمرودُ)

عـادت بـهـا (عـاد) وعـادت (تُـبّع) ... و(الرسُّ) و(الأحقافُ) و(الأخدودُ)

هـدمـوا بـيـوت الله حـقـداً مـنـهـم ... هـيـهـات يُـفـلـح آثـمٌ وحـقـودُ

تـبكي مـحاريب الـهدى إذ حـلها ... بـعـد الـهـداة الصـالـحـيـن قـرودُ

شـاقتك جنات الـخلود ورفقة الـ ... هـادي الـبشير وحـوضهُ الموروُدُ

ببشـائر الـرضوان من ربِّ السما ... والـذكـر لـلـرحـمـن والـتـمـجـيـدُ

كسب الـفتى من سعيه بحياته ... طـيب الـثـنـاء وذكـرُه الـمـحـمـودُ

أنت السـعـيـد بـكـل مـا قـدمـتـه ... تـلقـى الـرسول بهِ وأنتَ (سعيدُ)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الداعية الموفق

د. سعيد رمضان (أبو أيمن)

١٣٤٥ ـ ١٤١٦هـ = ١٩٢٦ ـ ١٩٩٥م

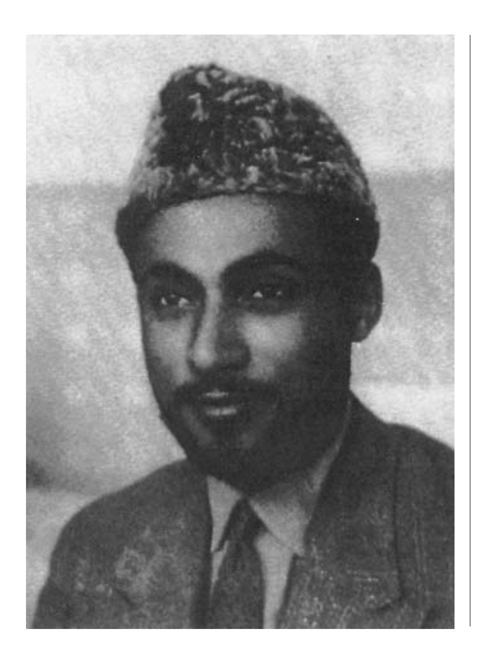
ميلاده ونشأته:

الأستاذ سعيد رمضان من مواليد طنطا عام ١٩٢٦م ومن تلامذة البهي الخولي، ومن المقرّبين للإمام الشهيد حسن البنا، حيث زوَّجه كبرى بناته، وهو داعية موفّق، وخطيب مفوَّه، وسياسي محنك، يشد قلوب الجماهير وهو يخطب، ويأخذ بمجامع القلوب في أحاديثه الروحية بالكتائب والأُسر، كما كان له دور فاعل ومؤثر في أوساط الفلسطينيين، الذين وجدوا فيه الصورة الصادقة للأخ المسلم، الذي تسمو عنده رابطة العقيدة والدين على رابطة الجنس والطين، ويعيش للإسلام جندياً من الجنود في أي موقع كان.

معرفتي به:

أول معرفتي به من خلال قراءاتي في مجلة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية

أوائل الأربعينيات ومن خلال جولاته في القطر المصري، وإلقاء الخطب والمحاضرات، حيث كان من شباب الإخوان المسلمين النشطين في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ثم تولى إدارة مجلة «الشهاب» الشهرية التي أصدرها الإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمه الله ـ عام ١٩٤٨م، وقد شارك في حرب فلسطين مع كتائب الإخوان المسلمين، وكان من قادتها في منطقة صور باهر والقدس، ثم غادرها بعد الهدنة حين أجبرت الدول الغربية وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا وفرنسا الجيوش العربية على إلقاء السلاح وإيقاف الحرب والانسحاب من فلسطين، وتركها لقمة سائغة لليهود، يعيثون فيها فساداً، يقتلون أهاليها ويخربون بيوتهم، ويقيمون المجازر الدموية لشعب فلسطين، الذي خذله الحكام العرب، ومُنعت الشعوب الإسلامية من الوقوف بجانبه والمساهمة في الدفاع معه عن أرض المقدسات، أرض الإسراء والمعراج، حيث قام الجيش المصري بأوامر من فاروق باعتقال المجاهدين من الإخوان المسلمين المصريين في فلسطين وإرسالهم إلى معتقل الطور بمصر، تنفيذاً لأوامر المستعمرين واليهود، الذين ذاقوا الأمرّين من الجهاد البطولي للإخوان المسلمين الذين كانوا يقتحمون على اليهود حصونهم ويلقون بأنفسهم في خنادقهم ويقتلونـــهم بالسلاح الأبيض، حتى فرّ اليهود من كل موقع للإخوان فيه وجود، واستغاثـوا بالإنجليز ليحموهم من هؤلاء المجاهدين الذين لا يخافون الموت ولا يُبالون باليهـود ولا بأسلحتـهم الفتاكة، بل يتسابقون إلى الشهادة، وكم من معاقل لليهود سقطت بأيدي الإخوان المسلمين، وكم من معارك فرّ منها اليهـــود كالأرانب أمام كتائب الإخوان المسلمين الفدائية، وكم من معركة شرسة خسر فيها اليهود المئات من قواتهم، بل كان الإخوان المسلمون يحرّرون الجيوش العربية التي تقع في أسر اليهود، وما موقعة (التبة ٨٦) والفالوجة التي خسر فيها الجيش المصري، ووقع ضباطه فيها أسرى بين أيدي اليهود إلا مأثرة من مآثر الإخوان المسلمين.



ولقد سعدتُ بلقائه في بغداد عام ١٩٤٩م حين توجه إليها عائداً من فلسطين، حيث كانت الحكومة العميلة بمصر تطالب باعتقاله، وقد استقبله الإخوان المسلمون في العراق أحسن استقبال بما يجب نحوه، كأخ مسلم مجاهد، وداعية من دعاة الإخوان المسلمين، حيث تصدوا للحكومة العراقية التي كانت تريد تسليمه لمصر بناء على طلب حكومتها، واستقر الرأي على أن يُغادر العراق إلى باكستان، حيث وافقت حكومة العراق على عدم تسليمه لمصر، على أن يغادرها بأقرب وقت فقرر الإخوان المسلمون في العراق تأمين سفره، وسافرتُ معه من بغداد إلى البصرة بالقطار، وكان السفر إلى باكستان من مطار البصرة الدولي آنذاك، وكان برفقتنا حارس ليضمن مغادرته العراق وعدم تخلفه، وكانت رحلة ممتعة عرفتُ فيها سعيد رمضان جيداً، وحدثني عن الإخوان المسلمين حديث العارف البصير.

كما التقينا الكثير من إخواننا في البصرة ومنهم عمر الدايل وعبد الواحد أمان وعبد الرزاق المال الله الذين سعدوا بزيارته، وإن كان مخفوراً بحراسة الدولة، وبعد أن بات ليلة أو ليلتين في فندق المطار بالبصرة، غادَرنا إلى باكستان، مودعاً من جماهير غفيرة من الإخوان المسلمين احتشدت بالمطار.

ثم تكررت لقاءاتي به في مصر كثيراً حتى غادرها بعد حكم الطاغية عبد الناصر عليه بالإعدام، حيث تنقل في بلاد عربية كثيرة، وكان للمغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود موقف كريم نبيل، حيث رحب به وآواه وأصدر له

جواز سفر خاصاً يتنقل به حيث شاء بعد إسقاط الجنسية المصرية عنه ومحاولة خطفه واغتياله من قِبَلِ المخابرات.

تأسيس رابطة العالم الإسلامي:

وقد ساهم د. سعيد رمضان في تأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، كما كان الأمين العام للمؤتمر الإسلامي للقدس، وأسّس المركز الإسلامي في جنيف، وواصل إصدار مجلة «المسلمون» كبديل لمجلة «الشهاب» واستمراراً لها، وشارك في العمل الإسلامي على الساحة الإسلامية الواسعة، واستقطب الكثير من العلماء والمفكرين من أنحاء العالم أمثال د. محمد ناصر، والسيد أبي الحسن الندوي، والسيد أبي الأعلى المودودي، ود. محمد حميد الله، ود. مصطفى السباعي، ومصطفى الزرقا، ومحمد المبارك، ومعروف الدواليبي، ومحمد أسد، وحيدر بامات، وعليم الله الصديقي، ود. زكي علي، ومحمود



د. سعيد رمضان مع المستشار حسن الهضيبي ود. مصطفى السباعي وأبو رقيق في سورية



بوزوزو، وعلال الفاسي، وكامل الشريف، وعبدالله كنون، ومحمد أبي زهرة، ومحمد يوسف موسى، وغيرهم.

حتى كانت مجلة «المسلمون» أرقى مجلة إسلامية شهرية في الخمسينيات والستينيات، تستقطب جماهير المسلمين في جميع أنحاء العالم، ويكتب فيها أساطين العلم وقادة الفكر، وكبار الدعاة والزعماء المصلحين، وينتظر المسلمون صدورها بفارغ الصبر، وقد صدرت بسورية فترة من الزمن بإشراف الدكتور مصطفى السباعي ـ المراقب العام للإخوان المسلمين بسورية ـ ثم في جنيف بإشراف د. سعيد رمضان.

إن الأستاذ د. سعيد رمضان داعية مرهف الإحساس، كريم الطباع، جياش العاطفة، غزير الدمعة، تغلب عليه الروحانية، وتأسره الكلمة الطيبة، ويتفانى في الأخوَّة الروحية، يبكي ويُبكي إذا تحدَّث أو خطب، أو حاضر، أو ناظر، ويرجع عن الخطأ إذا عوتب، ويستسمح إخوانه، ولا يحمل الحقد ولا الضغينة لمسلم، بل يُؤثر الاعتزال إذا ما أخطأ معه أحد ولا يعاتبه أو يحاسبه على إساءته له.

حياة المهجر:

عاش معظم حياته في المهجر، وأبى العودة إلى وطنه مصر، لأنه وجد في الحكام المتعاقبين نسخاً مكرورة للطغاة، وإن تفاوتت مراتب طغيانهم، وآثر العيش في ديار الغرب أواخر أيامه مع زوجه وأولاده، وتفرَّغ للقراءة والكتابة، ووجد من زوجته (أم أيمن) ابنة الإمام الشهيد حسن البنا، خير سند ومعين ـ بعد الله ـ مما خفّف عنه غربته، وأعانته على تنشئة أولاده، وواجه فيها محنة الجحود والنكران من بعض من أحسن إليهم، ووقف إلى جانبهم وساعدهم.

وكان إلى جانب كونه داعية موفقاً وخطيباً مصقعاً، ومحاضراً ناجحاً، يغوص في أمهات المسائل العلمية السامية للكون والإنسان والحياة، لقد كان الأستاذ (أبو أيمن) رحمه الله محبوباً من جماهير الإخوان المسلمين، وبخاصة الشباب، وله في كل قطر إخوان وخلان يذكرونه بخير، ويحبونه غاية الحب، ويدعون له لأنه من أسباب هدايتهم إلى طريق الحق والخير.

مذكرات الندوي:

يقول العلاّمة السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي في كتابه القيم: (مذكرات سائح في الشرق العربي):

«وكان الإخوان أخبروني بوجود سعيد رمضان في القاهرة وأخبروني بنشاطه في العاصمة والأرياف، وتنقلاته واتصالاته بزملائه أعضاء جماعة الإخوان المسلمين، وكنت حريصاً على الاجتماع به وبإخوانه، لأنني أعتبر الاجتماع برجال الدعوة والحركة الإسلامية من أكبر حسنات هذه الرحلة وأطيب ثمراتها، ولما طالت إقامتي في الحجاز، درست أحوال البلاد العربية عن كثب، وعرفت ما هنالك في العالم العربي من تفسخ في الأخلاق، واستبداد في الحكومات، وتحزب في السياسة، وانصراف بالكلية عن الدين وعبادة للمادة، وضياع

الشعوب العربية بين حكومات مستبدة، ورجال يعبثون بأموال الدولة والأمة عبث الأطفال بالحصى والخزف، وأحزاب سياسية تتلهى بالشعب، وتسخر منه وتضرب بعضه ببعض لمصلحتها وسياستها، ورجال لم تنشرح صدورهم للإسلام، ولكن يصرّون على أن يحكموا شعباً يؤمن بهذا الدين، وعرفت أنه لا يغيّر هذا الواقع ولا ينقذ العالم العربي من الانهيار الذي يتهدده، إلا حركة شعبية قوية أساسها الدين والإيمان، والتقوى والجهاد، لإعلاء كلمة الله، ومن أهدافها تطهير المجتمع من الأدواء الخلقية والاجتماعية وتطبيق نظام الحياة الإسلامية في الأقطار الإسلامية، ورأيتُ الشر قد تفاقم، وأن الأمر أعظم من أن يُتدارك بجهود فردية ودروس دينية وإلقاء مواعظ وخطب أو نشر مؤلفات وكتب، إن السيل لا يمسكه إلا سيل مثله، والتيار لا يدفعه إلا تيار أقوى منه.

وقد سمعتُ ممن اتصلت بهم من أدباء الحجاز ومَنْ قابلتهم من الإخوان في الحج، أن حركة الإخوان المسلمين كادت تحقق هذه الأمنية، فقد أثَّرت في حياة البلاد تأثيراً قوياً، واجتمع عندها من قوة وإيمان، وعمل وعلم، وحماسة وتنظيم، ودعوة ما يستطيعون به ـ لو أذن الله بذلك ـ أن يُغيِّروا اتجاه البلاد، من اللادينية إلى الدين، ومن الاستهزاء بالدين إلى التمسك والتفاخر به.

وقد كتبتُ للأستاذ صالح عشماوي أخبره بسفري إلى مصر، ورغبتي بالاجتماع به وبإخوانه، وحين علمت بوجود الأستاذ سعيد رمضان، أبديتُ رغبتي بالاتصال به، حيث شرَّفني بزيارته مع رهط من الإخوان الشبان من طلبة الكليات، وأعجبني نشاطه وخفة روحه التي كانت تبدو في حركات يده وأسارير وجهه وإقباله على الجالسين كلهم بالفكاهة والخطاب، وأعجبني ذهنه المتوقد، وقلبه المتفتح، ثم غادرنا على أن نجتمع غداً بعد زيارتنا للأستاذ صالح عشماوي، وفي الصباح جاءنا الأخ يوسف القرضاوي والأخ محمد الدمرداش، ثم جاء بعدهما الأخ عبدالله العقيل ليأخذنا إلى مكتب الأستاذ صالح عشماوي الذي قابلنا بعناق حار، فكلانا مشتاق إلى صاحبه، ثم خرجنا منه إلى منزل الأستاذ سعيد

رمضان الذي كان في انتظارنا، حيث كان الحديث عن الهند وحركة الدعوة الدينية والجماعة الإسلامية فيها.

وفي مساء الغد حضرنا محاضرة للأستاذ سعيد رمضان في قاعة عبد الحميد سعيد بدار الشبان المسلمين بالقاهرة.. وكانت محاضرة طويلة استغرقت ساعتين وكان موضوعها «الجامعة الإسلامية» وكان الحضور كبيراً ومعظمهم وقوف رغم سعة القاعة، وكانت الخطبة تُقاطع بالهتاف والتكبير والتحميد من الجماهير الغفيرة المتحمسة.

وفي يوم الأحد ٢٧ / ٤ / ١٣٧٠هـ ـ الموافق ٤ / ٢ / ١٩٥١م، حضر إلينا الأخ عبدالله العقيل للذهاب إلى محكمة الجنايات لحضور مرافعة الأستاذ المحامي سعيد رمضان عن المتهمين من الإخوان المسلمين في قضية السيارة الجيب، وحين وصلنا المحكمة فتش الحراس جيوبنا، وأذنوا لنا بالدخول، ووقف الأستاذ سعيد رمضان المحامي موقف المرافع، وأدلى بقضيته في خطابة مؤثرة، وشجاعة نادرة، وذكر قصة استخلاف آدم وخروجه من الجنة، والصراع القديم بين الحق والباطل، والخير والشر، وتعاليم النبوة، ونزغات الشياطين، ثم ذكر الخلافة الإسلامية وشبابها، ثم وهنها وشيبها، والزحف التتاري والغارة الصليبية، ثم ذكر الصليبية الأوروبية في القرن التاسع عشر والاحتلال الأوروبي، ثم تدرج إلى ذكر الصليبية اليهودية ونواياها وخطرها على العالم الإسلامي، وأشار إلى نهضة الإخوان المسلمين ورباطهم أمام هذا الخطر الداهم ووقوفهم موقف المجاهدين، معززاً ذلك كله بالآيات والأحاديث الكثيرة، التي كان يستشهد بها، فيتحول الجو القضائي إلى الجو الديني، وترق القلوب، وتخشع وينسى الخطيب وينسى الناس أنهم في محكمة، ويتصورون وكأنهم في وعظ ديني، أو حفلة سياسية، وذلك يدل على قوة المحامي وإيمانه، وتقلب الجو، وتأثره بحركة الإخوان المسلمين، ولما خاطب المحامي العدل والرحمة في نفوس حضرات المستشارين وأراد أن يحرّك الإيمان والشعور الديني فيهم ـ وهم طبعاً مسلمون

ـ تأثر الناس وتحركت النفوس، حتى إذا وجه خطابه إلى المتهمين وأوصاهم بالاستقامة والصبر وتلا عليهم الآيات والأحاديث في هذا المعنى، فاضت العيون، وعلا النشيج في بعض الجوانب، خصوصاً السيدات، وقد خرجنا من المحكمة متأثرين مما رأينا وسمعنا.

وحين زرنا الأستاذ البهي الخولي في يوم آخر وجدنا عنده الأستاذ سعيد رمضان مع الأخوين: فريد عبد الخالق، ومنير دله، وغيرهم، وكان الأستاذ سعيد رمضان يستعد للسفر إلى مراكش مروراً بإسبانيا، وفرنسا، وبريطانيا، فودعناه على أمل اللقاء ثانية.

ولما توجهنا إلى سورية بعد فترة شاء الله أن نلتقي بالأستاذ سعيد رمضان بفندق «أميّة» بدمشق، حيث وجدنا عنده الدكتور مصطفى السباعي ـ المراقب العام للإخوان المسلمين بسورية ـ الذي وضع لنا برنامج الزيارة إلى حلب، وحمص، وحماة، حيث كان الإخوان المسلمون برفقتنا»، انتهى.

بهذا الوصف الدقيق تحدث السيد العلاّمة أبو الحسن الندوي عن الأستاذ د. سعيد رمضان حديث العارف البصير والداعية الحكيم.

حديث كامل الشريف:

وعن دور الأستاذ سعيد رمضان في القضية الفلسطينية وجهاد الإخوان المسلمين البطولي فيها منذ سنوات طويلة، يقول الأستاذ كامل الشريف في كتابه القيم (الإخوان المسلمون في حرب فلسطين):

«... حين وضحت نيات الحكومة البريطانية وسياساتها في فلسطين، أخذ الإخوان المسلمون يعقدون المؤتمرات تباعاً، ويبيّنون للشعوب والحكومات حقيقة هذا الخطر الذي يهدد كيانهم ومستقبلهم، حتى نجحوا في إشراك العالم الإسلامي كله في هذه القضية، وباتت قضية فلسطين والعرب لا قضية أهل

فلسطين وحدهم، وحين قامت القلاقل في فلسطين أخذوا يمدون المجاهدين الفلسطينيين بما يقع تحت أيديهم من مال أو سلاح، حتى نجح الإخوان في تسلل عدد من شبابهم للالتحاق بثورة الشيخ عز الدين القسّام عام ١٩٣٥م، وثورة ١٩٣٦م، وبخاصة في المناطق الشمالية، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، أخذ الإخوان المسلمون يعملون للقضية الفلسطينية عملاً إيجابياً فأرسلوا وفوداً لتدريب الفلسطينيين تدريباً سرياً، ولقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد، حتى أصبحت شُعب الإخوان ومراكزهم ودورهم هي مراكز القيادة وساحات التدريب، ولا يزال أهل فلسطين الأوفياء يحمدون للداعية الإسلامي سعيد رمضان مواقفه الكريمة وأثره البالغ في توجيه الشباب العربي وجهة صالحة، ويذكرون بالفخار والإكبار جهوده وجهود إخوانه الأساتذة عبد الرحمن الساعاتي، وعبد المعز عبد الستار، وعبدالعزيز أحمد، وغيرهم من كرام دعاة الإخوان المسلمين ومدربيهم»، انتهى.

لقاءاتي المتكررة:

ذلكم هو الأستاذ الداعية د. سعيد رمضان، وهذا قول الرجال فيه، وتلك بعض صفاته ومواقفه وجهوده وجهاده، إنه ثمرة من ثمار هذه الشجرة الباسقة شجرة الإخوان المسلمين التي غرسها الإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمه الله.

ولقد بقيت صلتي به في كل الأحوال وجميع الأماكن وكانت لقاءاتي به متكررة في أكثر من مكان، وأكثر من قطر، ففي بلاد الشام، وفي الكويت، وفي السعودية، وفي العراق، وفي سويسرا، وإسبانيا، والأردن، وفلسطين، كانت أحاديث وحوارات ودروس ومناقشات وخواطر ومناجاة.

وآخر مؤتمر حضرته معه في إسبانيا عام ١٩٨٤م في غرناطة مع الحاجة زينب الغزالي، ثم تتابعت زياراتي له في سويسرا، حيث يقيم مع أُسرته وأولاده في

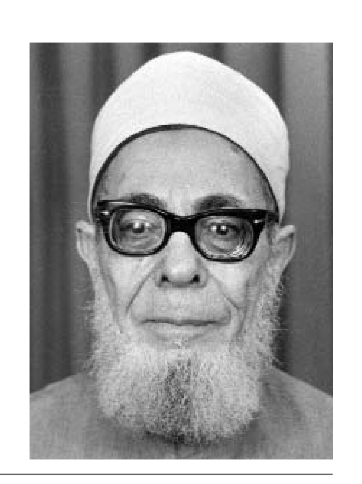
جنيف، وكانت آخر زياراتي له قبل خمس سنوات مع الأخ الكريم يحيى باسلامة في منزله، وكان مريضاً.

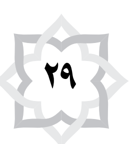
وفاته:

وقد اختاره الله إلى جواره يوم ٥ / ٨ / ١٩٩٥م، وكان يتمنى أن يُدفن بالبقيع بالمدينة المنورة، ولكنه دفن بمصر التي لم يدخلها منذ خرج منها عام ١٩٥٤م هروباً من الفرعون الهالك الذي أهدر دمه بإصدار حكم الإعدام عليه غيابياً:

﴿وَمَا نَقَمُوْا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوْا بِالله الْعَزِيزِ الْحَمِيد﴾ [البروج: ٨]، وقد رُزِقَ بذرية خمسة ذكور وأنثى واحدة هم (أيمن ـ هاني ـ طارق ـ بلال ـ ياسر ـ أروى).

رحم الله أخانا وأستاذنا أبا أيمن، وغفر الله لنا وله، وبارك في ذريته وإخوانه السائرين على الدرب لمرضاة الرب، وألحقنا الله به مع النبيين، والشهداء، والصالحين، والصديقين في الجنة.. آمين.





فقيه السنَّة المجتهد الميسّر الشيخ سيد سابق

(١٣٣٥هـ - ١٤٢٠هـ = ١٩١٥م - ٢٠٠٠م)

مولده ونشأته:

ولد الشيخ سيد سابق في شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٥م بقرية (إسطنها) من مركز (الباجور) بمحافظة المنوفية، وقد أتم حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز عمره تسع سنوات، ثم التحق بالأزهر في القاهرة في كل مراحله الدراسية حيث حصل على العالمية في الشريعة الإسلامية سنة ١٩٤٧م، ثم حصل بعدها على درجة علمية أعلى.

وعقب ذلك، عمل في حقل التدريس في المعاهد الأزهرية، ثم بالوعظ والإرشاد في الأزهر، ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف بإدارة المساجد، وبعد أن شعر بالتضييق عليه، غادر مصر إلى المملكة العربية السعودية، حيث عمل أستاذاً بجامعة الملك عبدالعزيز في جدّة، ثم جامعة أم القرى بمكة المكرمة، حيث تولى رئاسة قسم القضاء بكلية الشريعة، ثم رئاسة قسم الدراسات العليا ثم عمل أستاذاً

غير متفرغ، وقد حاضر خلال هذه الفترة ودرَّس الفقه وأصوله، وأشرف على أكثر من مئة رسالة علمية، وتخرج على يديه كوكبة من الأساتذة والعلماء، وقبل وفاته بثلاث سنوات عاد إلى مصر وبقي فيها حتى وافاه الأجل.

سيرته العملية:

وكان في مقتبل حياته متأثراً بالجمعية الشرعية بمصر، على يد مؤسسها الشيخ محمود خطاب السبكي، وكان من زملائه الشيخ عبداللطيف مشتهري، ثم تعرّف بعد ذلك على الإمام الشهيد حسن البنا، والتحق بجماعة الإخوان المسلمين، وكان من أنشط العاملين فيها، وكان له دور كبير في التوجيه والتربية، من خلال الأسر والكتائب، والرحلات والمخيمات، والدروس والخطب، والمحاضرات والندوات، وحين انتقل في أواخر عمره إلى مكة المكرمة حيث عمل أستاذاً بجامعة «أم القرى»، سعدتُ بزيارته، حيث كنت أقيم بمكة المكرمة أثناء عملي برابطة العالم الإسلامي، وكثيراً ما كان يصحبني لزيارته الأخ الدكتور عبدالحميد البس، وكنا نستفيد من علمه وتوجيهاته، ونأنس بحلو حديثه وطرائفه، ويروي لنا تاريخه في الجماعة، وأستذكر أيام دراستي بمصر، وتتلمذي على يديه في الرحلات والكتائب والدروس. كما حصل على جائزة الملك فيصل في الفقه الإسلامي بمشاركة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي سنة ١٤١٣هـ.

والأستاذ الشيخ سيد سابق، كان مع علمه وعبادته وكثرة صومه، يتوق إلى الجهاد ويمنِّي نفسه بالمشاركة مع المجاهدين، ولما سنحت له الفرصة سنة ١٩٤٨م كان في أول كتيبة للإخوان المسلمين، مفتياً ومعلماً للأحكام الشرعية ومربياً للمجاهدين للقيام بدورهم في نصرة دين الله والدفاع عن بلاد المسلمين، ومحرضاً للمجاهدين على الثبات والإثخان في العدو، ومشاركاً لهم في التدرب على السلاح واستعماله في وجه أعداء الله اليهود المحتلين لفلسطين أرض الإسراء والمعراج.

شخصيته وصفاته:

كان فقيهاً متمكناً ذا علم غزير وذهن وقاد وذكاء حاد وخلق رفيع وتواضع جم، ولسان عف، وبديهة حاضرة، ومنطق حسن، وروح مرحة، كما كان على اطلاع واسع ومتابعة للأحداث والمتغيرات، يعيش قضايا المسلمين في كل مكان، وكان علماء الأزهر يجلونه ويحترمونه لمعرفتهم بواسع علمه، وعمق فهمه وسعة أفقه، وجرأته في قول كلمة الحق. وكان موضع الإجلال والاحترام والتقدير من كبار علماء الأزهر أمثال: الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد أبوزهرة، والشيخ عبدالجليل عيسى، وغيرهم.

كما كان له العديد من التلامذة الذين يذكرون فضله ويقدرون مكانته أمثال: الشيخ مناع القطان، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور محمد الراوي، والدكتور أحمد العسال، والدكتور عبدالستار فتح الله سعيد، والدكتور صالح ابن حميد وغيرهم.

ويُروى أنه بعد إبعاد زميله الشيخ محمد الغزالي عن الخطابة في مسجد عمرو ابن العاص بمصر القديمة وتعيينه خلفاً للشيخ الغزالي، ظنَّ الناس أن الشيخ سيد سابق سيداهن في خطبه، بعد أن غضب الحاكم على سلفه الشيخ الغزالي، فما كان من الشيخ سيد سابق، إلا أن جعل الخطبة عن شروط الحاكم المسلم، وذكر فيها ثلاثة عشر شرطاً بأدلتها الشرعية وشواهدها التاريخية، فكانت خطبة جامعة مانعة، عقَّب عليها أحد المشايخ الحاضرين بقوله: لقد قال الشيخ سيد سابق في خطبته كل شيء ولم يؤخذ عليه شيء.

وحين ساءت الأوضاع بمصر في السبعينيات سُئل عن رؤيته للأوضاع فقال: «إن علة مصر سؤالان وجيهان»!

أهم مؤلفاته:

للشيخ سيد سابق الكثير من المؤلفات ومنها:

فقه السنّة (ثلاثة أجزاء).

مصادر القوة في الإسلام.
الربا والبديل.
رسالة في الحج.
رسالة في الصيام.
تقاليد وعادات يجب أن تزول في الأفراح والمناسبات.
تقاليد وعادات يجب أن تزول في المآتم.
العقائد الإسلامية.
إسلامنا.
وغير ذلك من الكتب والمحاضرات والأبحاث والمقالات.

معرفتي به:

عرفتُ أستاذي الشيخ سيد سابق، من صورة نشرت له على غلاف مجلة الإخوان المسلمين سنة ١٩٤٨م، وهو يصوِّب الرشاش في عملية التدريب مع مجاهدي الإخوان المسلمين، الذاهبين إلى فلسطين لمحاربة اليهود وطردهم من أرض الله المباركة، ولقد حققوا انتصارات باهرة، لولا مؤامرات الحكام الخونة الذين تآمروا مع اليهود لتسليم فلسطين الغالية إلى العصابات اليهودية استجابة لأوامر أسيادهم الأمريكان والإنجليز وغيرهم، ومازالوا يحولون دون تحريرها من دنس اليهود.

وقد أدهشني هذا المنظر لهذا العالم الفقيه الذي يحرر الصفحة الفقهية في المجلة، وقلت في نفسي: هكذا كان علماء السلف يحملون القرآن بيد للدعوة والهداية، ويحملون السلاح باليد الأخرى للدفاع عن حوزة الإسلام وكرامة المسلمين.

ودارت الأيام وكان مصير المجاهدين المعتقلات والسجون والتعذيب والقتل؛ تحقيقاً لمآرب بني صهيون الذين يعيشون على الدماء ولا يأكلون الفطير إلا وهو مغموس بدم المسلمين.

ثم شاء الله لي اللقاء معه مرات كثيرة، حين ذهبت إلى مصر للدراسة الجامعية سنة ١٩٤٩م، من خلال الكتائب والرحلات والدروس والمحاضرات، وكان يخصنا نحن طلاب البعوث الإسلامية من خارج مصر بمزيد من الرعاية والاهتمام، لنكون حملة راية الإسلام في بلادنا، مزودين بالفقه الشرعي والفقه الدعوي، والعمل الحركي لنصرة دعوة الحق والقوة والحرية، دعوة الإسلام العظيم، وكان حلو الحديث طيِّب المعشر، بشوش الوجه، لا ترى فيه إلا الابتسامة المشرقة، والدعابة الظريفة لإدخال السرور على محدثيه وسامعيه، وهو يعرض الحقائق العلمية، والمسائل الفقهية بروح مشربة بحب العلم حريصة على إيصاله بأسلوب سهل يبعد فيه عن الخلافيات والألفاظ الجافة والعبارات الغامضة، فسرعان ما يخرج السامعون وقد فقهوا الدرس، وترسخت المعلومة في أذهانهم بكل يسر وسهولة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وحين صدر الجزء الأول من كتابه القيم: (فقه السنَّة)، وكتب مقدمته الإمام الشهيد حسن البنا، ووصل إلينا عن طريق مكتبة الإخوان المسلمين في الزبير، عكفنا على دراسته مع إخواننا في دروس الكتائب، فكان هو كتاب الفقه المعتمد الذي يدرسه الإخوان في البرنامج الأسري مع التفسير والحديث ورسائل الإمام حسن البنا وغيرها.

وقد شاركنا الشيخ سيد سابق في رحلات دعوية كثيرة في «حلوان» وجبل المقطم والقناطر الخيرية والإسكندرية، وكان له الدور الكبير في التوجيه التربوي والدعوي والفقهي وتعليمنا منهج الدعوة وأسلوب الحوار.

إن الشيخ سيد سابق مدرسة قائمة بذاتها، فهو قدوة عملية للدعاة وإمام من أئمة الفقه المعاصرين، الذين يعيشون الواقع ومشكلاته، ويطرحون الحلول الإسلامية لكل معضلاته، ولا يهربون من مجابهة الباطل، بل يقودون المعركة بكل أبعادها، متسلحين بفقه الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة. وبعد تخرجي في الجامعة ومغادرتي مصر، بقيت الصلة بأستاذنا من خلال قراءتنا لكتبه

ومؤلفاته وبخاصة «فقه السنة» الذي أُكثر الرجوع إليه والتعمّق في دراسته واستمداد الأحكام الفقهية منه وبخاصة للقضايا المعاصرة التي نعيشها.

وفي زياراتي لدولة قطر أوائل الستينيات، سمعتُ من الأخوين القرضاوي والعسال، الكثير من أخبار الشيخ سيد سابق وإخوانه بمصر: الغزالي، والبهي الخولي، وعبدالمعز عبدالستار، وزكريا الزوكة وغيرهم.

ثم شاء الله أن تتكرر لقاءاتي به في مكة المكرمة حين عملت برابطة العالم الإسلامي، وكان هو في جامعة أم القرى، ورغم كبر السن فما زال على طبيعته التي عرفتها بمصر، من الدماثة وحسن الخلق، وبشاشة الوجه، وعذوبة الأسلوب، وإيراد الطرائف والنكت، مع علم غزير، وفقه عميق، وطرح للموضوعات العلمية بأسلوب مبسط سهل ميسور، وكنتُ في مكة المكرمة أجد المتعة والراحة القلبية حين أزوره وأزور الأستاذ محمد عبدالحميد أحمد بصحبة الأخ الدكتور عبد الحميد البس وغيره.

وإنني وإخواني مناع القطان ويوسف القرضاوي ومحمد الراوي وأحمد العسال ومحمد الدمرداش وأحمد حمد ومحمد الصفطاوي وغيرهم من الطلبة الأزهريين مدينون بالفضل بعد الله له ولإخوانه، فنحن من ثمار جهودهم ومن بركات جهادهم في سبيل الله.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ مصطفى مشهور المرشد الخامس للإخوان المسلمين:

«إن الشيخ سيد سابق له مكانته بين الإخوان المسلمين، ومؤلفاته أثّرت في الإخوان وأثرتهم وأفادتهم وخاصة مؤلفه (فقه السنَّة) الذي كان ولا يزال من المصادر التي يرجع إليها الإخوان، وله أثر طيّب في تربية وتكوين ثقافة الإخوان الفقهية، حيث إن الإمام الشهيد حسن البنا قد اعتمد هذا الكتاب واعتبره مرجعاً من مراجع السنَّة.

والشيخ سيد سابق كان من المجاهدين على أرض فلسطين، وقد دخل السجن في قضية النقراشي سنتين، ثم أفرج عنه ليكمل مسيرته حتى لقي ربه بعد ٨٥ عاماً من الجهاد في سبيل الله والاجتهاد الفقهي والعمل لخدمة دين الله، والله نسأل أن يتغمده برحمته ويسكنه فسيح جناته».

ويقول الشيخ د. يوسف القرضاوي: «كان الشيخ سيد سابق أحد علماء الأزهر الذين تخرجوا في كلية الشريعة، وقد اتصل بالإمام الشهيد حسن البنا، وبايعه على العمل للإسلام ونشر دعوته، وجمع الأمة على كلمته، وتفقيهها في شريعته، وأصبح عضواً في جماعة «الإخوان المسلمين» منذ كان طالباً، وكان معاصراً لإخوانه من أبناء الأزهر النابهين الذين انضموا إلى قافلة الإخوان المسلمين من أمثال الشيخ محمد الغزالي، والشيخ عبدالمعز عبدالستار وغيرهما.

واشتغل الشيخ سيد سابق بالفقه لأنه الأليق بتخصصه في كلية الشريعة الإسلامية، وقد بدأ يكتب في مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية مقالة مختصرة في فقه الطهارة، معتمداً على كتب الفقه والحديث وهي التي تُعنى بالأحكام مثل: سبل السلام، وبلوغ المرام، ونيل الأوطار، ومنتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، والمغني، وزاد المعاد، وغيرها.

وقد اعتمد السيد سابق منهجاً يقوم على طرح التعصب للمذاهب، مع عدم تجريحها، والاستناد إلى أدلة الكتاب والسنة والإجماع، وتبسيط العبارة للقارئ بعيداً عن تعقيد المصطلحات، وعمق التعليلات، والميل إلى التسهيل والتيسير على الناس، والترخيص لهم فيما يقبل الترخيص، فإن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه، وكما يكره أن تؤتى معصيته، وحتى يحبّ الناس الدين ويقبلوا عليه، كما يحرص على بيان الحكمة من التكليف، اقتداء بالقرآن في تعليل الأحكام. وكان من التسهيل الذي اتبعه الشيخ في منهجه الذي ارتضاه في كتابة الفقه، البعد عن ذكر الخلاف إلا ما لا بد منه، فيذكر الأقوال في المسألة، ويختار الراجح أو الأرجح في الغالب، وأحياناً يترك الأمر دون أن يرجّح رأياً،

حيث لم يتضح له الراجح، أو تكافأت عنده الأقوال والأدلة، فرأى من الأمانة أن يدع الأمر للقارئ يتحمل مسؤولية اختياره، أو يسأل عالماً آخر، وهذا ما لا يسع العالم غيره.

وحين أصدر الشيخ سيد سابق الجزء الأول من كتابه (فقه السنة) صدَّره بمقدمة للمرشد العام للإخوان المسلمين الإمام الشهيد حسن البنا، تنوّه بمنهج الشيخ سيد سابق في الكتابة وحسن طريقته في عرض الفقه وتحبيبه إلى الناس، ومما جاء في هذه المقدمة قول الإمام البنا رحمه الله:

«أما بعد.. فإن من أعظم القربات إلى الله تبارك وتعالى نشر الدعوة الإسلامية وبث الأحكام الدينية، وبخاصة ما يتصل منها بهذه النواحي الفقهية حتى يكون الناس على بيّنة من أمرهم في عباداتهم وأعمالهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما العلم بالتعلم، وإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورَّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر». وإن من ألطف الأساليب وأنفعها وأقربها إلى القلوب والعقول في دراسة الفقه الإسلامي وبخاصة في أحكام العبادات وفي الدراسات العامة التي تقدم لجمهور الأمة: البعد عن المصطلحات الفنية والتفريعات الكثيرة الفرضية، ووصله ما أمكن ذلك بمآخذ الأدلة من الكتاب والسنَّة في سهولة ويسر، والتنبيه على الحِكم والفوائد ما أتيحت لذلك الفرصة حتى يشعر القارئون المتفقهون بأنهم موصولون بالله ورسوله، مستفيدون في الآخرة والأولى، وفي ذلك أكبر حافز لهم على الاستزادة من المعرفة والإقبال على العلم. وقد وفق الله الأخ الفاضل الأستاذ الشيخ السيد سابق إلى سلوك هذا السبيل فوضع هذه الرسالة السهلة المأخذ الجمة الفائدة، وأوضح فيها الأحكام الفقهية بهذا الأسلوب الجميل فاستحق بذلك مثوبة الله إن شاء الله، وإعجاب الغيورين على هذا الدين. فجزاه الله عن دينه وأمته ودعوته خير الجزاء ونفع به وأجرى على يديه الخير لنفسه وللناس آمين».

ويقول الشيخ الدكتور نصر فريد واصل مفتي الديار المصرية السابق:

«جزى الله الشيخ سيد سابق عن أبناء الأزهر الشريف وشباب هذه الأمة خير الجزاء، فهو بحق فقيه الأمة الذي أكد وسطية هذا الدين، وفك طلاسم الفقه التي كان يصعب على العوام أن يفهموها، فقد قرأنا ونحن في شبابنا كتابه العظيم «فقه السنة» الذي أثرى المكتبة الإسلامية ويسّر الفقه لأبناء الأمة الإسلامية في مصر والعالم العربي والإسلامي، وتُرجم إلى عدد كبير من اللغات التي ينطق بها المسلمون في العالم الإسلامي، فجزاه الله عن الجميع خير الجزاء ورزق أبناءه وذويه الصبر والسلوان، وأسكنه فسيح جناته».

من أقواله:

يقول في مقدمة كتابه (فقه السنَّة):

«هذا الكتاب يتناول مسائل من الفقه الإسلامي مقرونة بأدلتها من صريح الكتاب وصحيح السنة، ومما أجمعت عليه الأمة. وقد عرضت في يسر وسهولة وبسط واستيعاب لكثير مما يحتاج إليه المسلم، مع تجنب ذكر الخلاف إلا إذا وُجد ما يسوغ ذكره فنشير إليه، والكتاب يعطي صورة صحيحة للفقه الإسلامي الذي بعث الله به محمداً ﷺ، ويفتح للناس باب الفهم عن الله ورسوله ويجمعهم على الكتاب والسنَّة ويقضي على الخلاف وبدعة التعصب للمذاهب كما يقضي على الخرافة القائلة: بأن باب الاجتهاد قد سُد».

«إن هذه الأمة تقوم مقام النبوة وأنتم معشر المسلمين والمؤمنين تمثلون الأنبياء في تبليغ الرسالة. قال الرسول ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين من بعدي»، ولكي نصل إلى هذا المستوى لابد من مجاهدة النقائص داخل المجتمع في جميع الأوساط وعلى كل المستويات حتى تصبح الدولة مثلاً أعلى، ويجب ألا يصدر عنها إلا الكمال والفضائل، ولن يتحقق الأدب الرفيع والخلق المنيع إلا بجهاد النقائص بجانب جهاد النفس الذي يبدأ من الفرد، حيث إنه

محور وأساس التوجيه. ثم يأتي دور الأمة كأمة مسلمة يجب أن تبقى حرة مستقلة لأن لها عقائدها ولها مُثُلها ولها القيادة والريادة والسيادة، فهي أمة محمد ﷺ، وعليها أن تعد نفسها للجهاد لأن الباطل لن يكف عن مناوأة الحق، والصراع بين الحق والباطل قائم منذ قابيل وهابيل، بل منذ أن دخل إبليس على أبينا آدم وأخرجه من الجنة».

ومن أقواله أيضاً: «الأب الشرعي للضعف والضياع والذهاب هو تفرق الأمة الذي نهانا الله تعالى عنه بقوله: ﴿**ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون**﴾ [الروم:٣١، ٣٢]، ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين**﴾ [الأنفال:٤٦]، والرسول يكشف لهذه الأمة عن هذه السنَّة الاجتماعية، ويبين أن الهلاك الطبيعي نتيجة حتمية للتفرق، والإسلام يحاول ما استطاع أن يعالج الصلات حين تتعرض للوهن. ومن بداية الأمر فلا ينبغي أن يترك أمر الأمة حتى يستفحل الخلاف، بل لا بد من علاج أسبابه. وقد دعانا القرآن الكريم إلى ذلك، قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً**﴾ [النساء: ٥٩]، وقد حذرنا القرآن الكريم من الأساليب التي يلجأ إليها الأعداء ولعل أمضى الأسلحة في يدهم هو إيجاد الخلاف بين الأمة الإسلامية».

«إن (إسرائيل) عدو المسلمين اللدود الذي يناصبنا ونناصبه العداء المستمر، تعد الآن دعاتها لبث سمومها بين الشباب المسلم، فقد قابلت مرة أحد الإخوة الفلسطينيين الذين يعملون في حقل التعليم فقال لي: لقد لقيت مرة يهودياً منكباً على حفظ كتاب الله وأحاديث الرسول ﷺ فسألته: لِمَ تقوم بهذا العمل؟ فقال لي: لكي نحاججكم به، فأنتم عاطفيون تتحكم فيكم عواطفكم، فعندما نجادلكم سنلجأ إلى الاستشهاد بما جاء في القرآن وبما قال نبيكم ونذكر لكم بعض الأمثال العربية التي تؤيد قضيتنا، فتستسلمون عندئذ لدعوانا وتؤمنون بصحتها».

حكايات تروى:

يروى أنه أُوفد رسمياً إلى الاتحاد السوفييتي في الستينيات لحضور أحد المؤتمرات للحديث عن الإسلام، وما إن خرج من المطار بصحبة المسؤول الرسمي الذي جاء لاستقباله، حتى فوجئ بحشد ضخم جاء لاستقباله في موسكو بين مقبل يديه أو رأسه، وبين هاتف باسمه، فتعجب الشيخ سيد وقال متسائلاً: كيف عرفتموني؟ فكان الرد: لقد عرفناك من كتابك «فقه السنة» الذي ترجم إلينا، وقد أخذ جمهور المستقبلين يلوحون بالكتاب المترجم.. يقول الشيخ سيد سابق: فلم أتمالك نفسي من البكاء، إذ لم أكن أتصور أن فضل الله علي سيبلغ بي إلى هذا الحد.

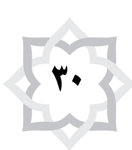
ومما يحكى عنه أنهم حين قبضوا عليه في قضية مقتل النقراشي، وسألوه عن «محمد مالك» الذي ضخمت الصحافة دوره واعتبروه أكبر إرهابي، وقد اختفى ولم يعثروا عليه، فلما سألوا الشيخ سيد سابق: هل تعرف شيئاً عن مالك؟ قال: كيف لا أعرفه وهو إمام من أئمة المسلمين، وهو إمام دار الهجرة رضي الله عنه؟ قالوا: نحن لا نسألك عن الإمام مالك، بل عن مالك الإرهابي قال: أنا رجل فقه أعرف الفقهاء ولا أعرف الإرهابيين.

وفاته:

توفي الشيخ سيد سابق مساء يوم الأحد ٢٣ من ذي القعدة ١٤٢٠هـ ـ ٢٧ / ٢ / ٢٠٠٠م، عن عمر يناهز ٨٥ سنة، وفي يوم الاثنين تم تشييع الفقيد بعد الصلاة عليه ودفنه، دون أن يقام سرادق للعزاء كما جرت العادة في مصر وذلك بناء على وصيته بالاكتفاء بالصلاة والتشييع فقط.

رحم الله أستاذنا الكبير وشيخنا الجليل مؤلف (فقه السُنَّة) الفقيه المجتهد خادم السنة الشيخ سيد سابق، وأسكنه الله فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحشرنا معهم برحمته.. والحمد لله رب العالمين.





الأديب الشهيد سيد قطب

(١٣٢٤ ـ ١٣٨٦هـ = ١٩٠٦ ـ ١٩٦٦م)

مولده ونشأته:

وُلِدَ صاحب (الظلال) الأستاذ الأديب الناقد الكبير سيد قطب إبراهيم في قرية (موشه) التابعة لمحافظة أسيوط في صعيد مصر عام ١٣٢٤هـ الموافق ٩ / ١٠ / ١٩٠٦م، ودخل المدرسة الابتدائية في القرية عام ١٩١٢م، حيث تخرج فيها عام ١٩١٨م، ثم انقطع عن الدراسة لمدة عامين بسبب ثورة ١٩١٩م.

وفي عام ١٩٢٠م سافر إلى القاهرة للدراسة، حيث التحق بمدرسة المعلمين الأولية عام ١٩٢٢م، ثم التحق بمدرسة (تجهيزية دار العلوم عام ١٩٢٥م) وبعدها التحق بكلية دار العلوم عام ١٩٢٩م، حيث تخرج فيها عام ١٩٣٣م ـ ١٣٥٢هـ، حاملاً شهادة الليسانس في الآداب.

عُين بعد تخرجه مدرساً في وزارة المعارف بمدرسة الداودية، ثم انتقل إلى مدرسة دمياط عام ١٩٣٥م، ثم إلى حلوان عام ١٩٣٦م، وفي عام ١٩٤٠م نقل

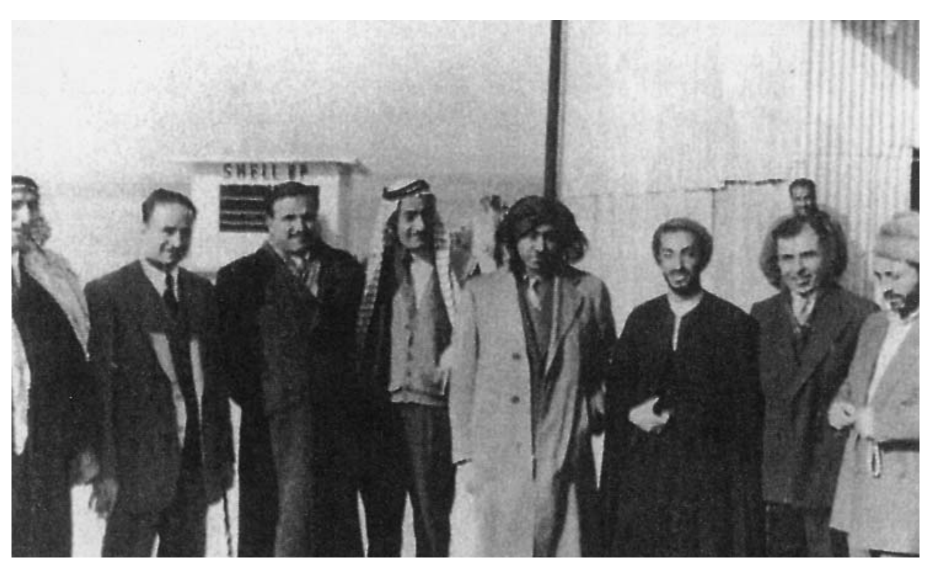
إلى وزارة المعارف، ثم مفتشاً في التعليم الابتدائي، ثم عاد إلى الإدارة العامة للثقافة بالوزارة عام ١٩٤٥م، وفي هذا العام ألّف أول كتاب إسلامي هو (التصوير الفني في القرآن) وابتعد عن مدرسة العقاد الأدبية.

وفي عام ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م أوفدته وزارة المعارف إلى أمريكا للاطلاع على مناهج التعليم ونظمه، وبقي فيها حوالي السنتين، حيث عاد إلى مصر في ٢٠ / ٨ / ١٩٥٠م ـ ١٣٧٠هـ، وعُين في مكتب وزير المعارف بوظيفة مراقب مساعد للبحوث الفنية واستمر حتى ١٨ / ١٠ / ١٩٥٢م حيث قدم استقالته.

دعوته للإصلاح:

عمل سيد قطب في الصحافة منذ شبابه ونشر مئات المقالات في الصحف والمجلات المصرية، كالأهرام والرسالة والثقافة، وأصدر مجلتي «العالم العربي»، و«الفكر الجديد»، ثم ترأس جريدة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية عام ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م، وهي السنة التي انتسب فيها إلى الإخوان المسلمين رسمياً، وكان قبل ذلك قريباً من الإخوان متعاوناً معهم، وقد حارب في مقالاته مظاهر الفساد والانحراف في حياة مصر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهاجم المسؤولين عن ذلك الفساد، ودعا إلى الإصلاح على أساس الإسلام، فكان ـ بهذا وغيره ـ رجلاً اجتماعياً ذا حضور دائم في حياة مصر الثقافية والاجتماعية والسياسية والإصلاحية، وكان يعد الإنجليز وعملاءهم وأعوانهم من رجال القصر والحكومات المتعاقبة ورجال الأحزاب والإقطاع وكبار التجار السبب في تخلف مصر.

وصل سيد قطب في النقد والأدب إلى القمة، وبشّر بنظرية نقدية جديدة في النقد الأدبي، أطلق عليها «نظرية الصور والظلال» كما دعا إلى (المنهج المتكامل في النقد الأدبي)، وذلك بالجمع بين المنهج الفني والمنهج التاريخي والمنهج اللغوي والمنهج النفسي.



الشهيد سيد قطب مع بعض إخوانه من الدول الإسلامية في مؤتمر القدس عام ١٩٥٣م

وفي عام ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م اتجه سيد قطب إلى الإسلام، وغدا مصلحاً إسلامياً ثم صار أحد أبرز رواد الفكر الإسلامي المعاصر، ودعا إلى بعث إسلامي طليعي، وإلى استئناف الحياة على أساس الإسلام، ولهذا فسّر القرآن الكريم تفسيراً جديداً في كتابه الضخم «في ظلال القرآن» وكان فيه صاحب مدرسة جديدة في التفسير، هي مدرسة التفسير الحركي لما أضافه من معانٍ وأفكار حركية وتربوية على تفسيره.

دعا سيد قطب إلى العزلة الشعورية المتعلقة بإحساس المسلم ومشاعره، لا العزلة المادية الحسية المتعلقة بالأعضاء والجوارح، في حدود ما أحلّ الله من حلال وما حرم من حرام، وكان يرى أن هذه العزلة الشعورية تنشأ تلقائياً في حس المسلم الملتزم تجاه من لا يلتزمون بأوامر الإسلام.

لم يصدر سيد قطب أحكاماً شرعية على الناس، ولم يقل بتكفير الناس، ولذلك نجده يؤكد ذلك بقوله: «إن مهمتنا ليست إصدار الأحكام على الناس،

ولكن مهمتنا تعريفهم بحقيقة «لا إله إلا الله» لأن الناس لا يعرفون مقتضاها الحقيقي وهو التحاكم إلى شريعة الله».

عقيدة سيد قطب عقيدة السلف الصالح، وفكره فكر سلفي خال من الشوائب، تركز حول موضوع التوحيد الخالص، وبيان المعنى الحقيقي لـ «لا إله إلا الله»، وبيان المواصفات الحقيقية للإيمان، كما وردت في الكتاب والسُّنَّة، كما ركّز في كتاباته حول مسألة الحاكمية والولاء ليكون خالصاً لوجه الله تعالى وحده.

واجه سيد قطب الجاهلية المعاصرة فيما كتب، وأظهر حقيقتها، وبيّن أنها ليست حالة فردية بل يتحرك أفرادها ككائن عضوي بعضهم أولياء بعض، وطالب المجتمع المسلم بأن يواجه هذه الجاهلية بذات الخصائص، ولكن بدرجة أقوى وأعمق، حتى لا تقع الفتنة بظهور الفساد في البر والبحر.

عرّف سيد قطب المجتمع الجاهلي بأنه: «كل مجتمع لا يخلص عبوديته لله وحده، متمثلة هذه العبودية في التصور الاعتقادي وفي الشعائر التقليدية وفي الشرائع القانونية».

ألّف الشهيد سيد قطب عدداً كبيراً من المؤلفات غلبت عليها الوجهة الأدبية من نقد وأدب وشعر وقصص في بداية حياته العلمية، ثم تحول بشكل جذري إلى العطاء الفكري الإسلامي، وهذا التطور يمثل التحول العميق في حياته المستمرة وسيرته العطرة، وكان لمحاضراته الإسلامية في بلاد الشام حين حضوره المؤتمر الإسلامي للقدس، أكبر الأثر في نفوس الجماهير خاصة شباب الجامعات، الذين هللوا لهذا التوجه الإسلامي عند الأديب الكبير.

يقول الأستاذ أحمد حسن في مقدمة لكتاب (فقه الدعوة) لسيّد قطب: ـ.

«... ويُسجل التاريخ أن سيِّد قطب سقى تربة الدعوة بدمه وغذّاها بفكره وأطعمها من وقته وأعصابه وراحته، لقد مات سيِّد قطب ولكن آثاره لم تمت، فقد خلّف من بعده كتباً وآثاراً ستبقى خالدة على مر التاريخ لأنه كتبها مرتين: مرة بمداد العالم، ومرة بدم الشهيد».



سيد قطب. . . ويرى في الصورة د. مصطفى السباعي وفهيم أبو عبية وفؤاد المسلماني

وكان يرمي من وراء هذه الكتب أن ينقل الناس إلى جو القرآن من جديد بحيث يتذوقونه غضاً طرياً كما أنزل؛ واستطاع الرجل بأسلوبه العذب، وإدراكه العميق لما وراء الكلمات والحروف أن يكشف للناس أسراراً ومعاني لم يُسبق إليها، وأن يضع المسلم في مناخ قرآني يشمُّ عبيره ويستروح نسماته ويعيش ـ وهو في القرن العشرين ـ في ظلال القرآن حيث كان يكتب في مشكلات الساعة وقضاياها الملحّة التي يعيشها الناس ويعانون من شرورها وآثامها ووضع الحلول الصالحة التي يعتقد صوابها وجدواها.

ففي مواجهة شرور الشيوعية والرأسمالية كتب (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(السلام العالمي والإسلام) و(ومعركة الإسلام والرأسمالية) وفي مواجهة انحرافات الحضارة وأخطائها كتب (الإسلام ومشكلات الحضارة) وفي مواجهة العقائد والتصورات والمناهج الضالة كتب (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته) و(هذا الدين) و(المستقبل لهذا الدين) وفي منطلقات العمل وخطواته الحركية كتب (معالم في الطريق).

أهم مؤلفاته:

ومن أهم مؤلفاته: في ظلال القرآن ـ هذا الدين ـ المستقبل لهذا الدين ـ خصائص التصور الإسلامي ـ مقومات التصوّر الإسلامي ـ معالم في الطريق ـ التصوير الفني في القرآن ـ مشاهد القيامة في القرآن ـ الإسلام ومشكلات الحضارة ـ العدالة الاجتماعية في الإسلام ـ السلام العالمي والإسلام ـ كتب وشخصيات ـ أشواك ـ النقد الأدبي.. أصوله ومناهجه ـ نحو مجتمع إسلامي ـ طفل من القرية ـ الأطياف الأربعة ـ مهمة الشاعر في الحياة ـ معركة الإسلام والرأسمالية ـ تفسير آيات الربا ـ تفسير سورة الشورى ـ دراسات إسلامية ـ نحو مجتمع إسلامي ـ معركتنا مع اليهود ـ في التاريخ فكرة ومنهاج ـ وقد أصدرت مجلة «عالم الكتب» التي تصدر بالمملكة العربية السعودية فهرساً جيداً لمؤلفاته ومقالاته.

وقد كتب بعض هذه الكتب قبل أن يتوجه التوجه الإسلامي الملتزم الذي لقي الله عليه، ولكنها على كل حال تمثل مرحلة من مراحل حياته.

معرفتي به:

لقد سعدتُ بمعرفته أوائل الخمسينيات، بعد عودته من أمريكا، حيث زرته مع مجموعة من الإخوة الزملاء في بيته في حلوان، وكنا قبل لقائه قد قرأنا كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»، الذي صدر عام ١٩٤٦م، ودارت أحاديث معه حول توجهه الإسلامي، وكانت الندوات في بيته تضم مجموعة من الإخوة السودانيين والسوريين والعراقيين والأردنيين، وإخوة من البحرين، ودول الخليج والجزيرة، بالإضافة للإخوة المصريين، وكان التركيز على ضرورة قيام الطليعة المؤمنة بدورها في تغيير المجتمع، بعد أن تكون قد تربت على منهج الإسلام، وصاغت نفسها وفق تعاليم القرآن الكريم، الذي صاغ من قبل الجيل القرآني الفريد، فكانوا نماذج صادقة عن الإسلام، قولاً وعملاً واعتقاداً وسلوكاً.

وكان يروي كيف أنه لاحظ الفرحة التي عمّت الولايات المتحدة حين سماعهم بمقتل الإمام البنا، حيث خرجوا يرقصون ويغنون ويتبادلون التهاني!

وحين تساءل عن الأمر قيل له: إن أخطر عدو للغرب وأمريكا قد قتل بمصر وهو حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين.

واستغرب سيد قطب أن يكون هذا شأن البنا وهو لم يعرفه بهذه المكانة الخطيرة حين كان بمصر.

فقرر أنه إذا عاد إلى مصر فسيبادر للاتصال بجماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا ويتعاون معها، وقد كان ذلك والحمد لله.

لقد كان الأخ عيسى آل خليفة وإخوانه من البحرين، والأخ محمد مدني وإخوانه من السودان يكثرون من زيارة سيد قطب، بحكم أنهم يسكنون في حلوان، أما نحن فكنا نزوره بين الفينة والأخرى، ولكن كنا نحرص على قراءة كتبه الأخيرة ذات التوجه الإسلامي، وحين كنتُ طالباً في الثانوية لم أكن أميل إلى سيد قطب بحكم أنه من مدرسة العقاد، بل أميل إلى مدرسة الرافعي وتلامذته سعيد العريان، وعلي الطنطاوي، ومحمود شاكر، وبعد وصولي لمصر وقراءاتي لكتاباته في مجلة «الفكر الجديد» ومقالاته عن حسن البنا وعن الإخوان المسلمين في مجلة «الدعوة» وحضوري لندواته في بيته، ومحاضراته الرائعة في جمعية الشبان المسلمين ضد فرنسا، ومطالبته بخلع الألقاب والشهادات الفرنسية انتصاراً لإخواننا في شمال إفريقيا، وكذا مقالاته عن مواكب الفارغات، كل هذه الأشياء قربتني كثيراً منه وصارت له مكانة عظيمة في نفسي، فصرت أقبل على كل ما يكتب من مقالات أو يصدر من كتب وأقرؤها بنهم وشغف، حتى إذا التحق بالإخوان المسلمين وتولى الجوانب الثقافية والدعوية ورئاسة تحرير جريدة «الإخوان المسلمون» أصبحت الصلة به أقوى وأوثق وأعمق.


الشهيد سيد قطب خلف القضبان

الإسلام الأمريكاني:

يقول الشهيد سيد قطب: «الإسلام الذي يريده الأمريكان وحلفاؤهم في الشرق الأوسط، ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار، وليس هو الإسلام الذي يقاوم الطغيان، ولكنه الإسلام الذي يقاوم الشيوعية، إنهم لا يريدون للإسلام أن يحكم.

إنهم يريدون إسلاماً أمريكانياً، إنهم يريدون الإسلام الذي يُستفتى في نواقض الوضوء، ولكنه لا يُستفتى في أوضاع المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والمالية، إنها لمهزلة بل إنها لمأساة.

إن هذا المجتمع لا يقوم حتى تنشأ جماعة من الناس تقرر أن عبوديتها الكاملة لله وحده، وأنها لا تدين بالعبودية لغير الله، ثم تأخذ بالفعل في تنظيم حياتها كلها، على أساس هذه العبودية الخالصة».

الخلاف مع الثورة:

اختلفَ سيد قطب مع رجال الثورة المصرية بعد أن انقلب عبد الناصر على



الشهيد سيد قطب ومن خلفه الشهيد يوسف هواش

الرئيس محمد نجيب وتفرد بالسلطة وأقام الحكم الدكتاتوري بدل النظام الشوري، وتعدى على رجال القانون والدعاة وأساتذة الفكر والعلماء، فاعتقل سيد قطب لأول مرة مطلع عام ١٩٥٤م، وبقي لمدة شهرين في المعتقل مع قيادات الإخوان المسلمين، ثم اعتُقِلَ مرة أخرى بعد مسرحية (حادث المنشية) التي اتهم عبد الناصر فيها الإخوان بمحاولة اغتياله يوم ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٤م، حيث قُدِّم سيد قطب للمحاكمة يوم ٢٢ / ١١ / ١٩٥٤م وكانت المحكمة برئاسة جمال سالم، وعضوية أنور السادات وحسين الشافعي، وحكمت عليه المحكمة بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً، ثم توسط الرئيس العراقي عبد السلام عارف فأفرج عنه بعفو صحي عام ١٩٦٤م.

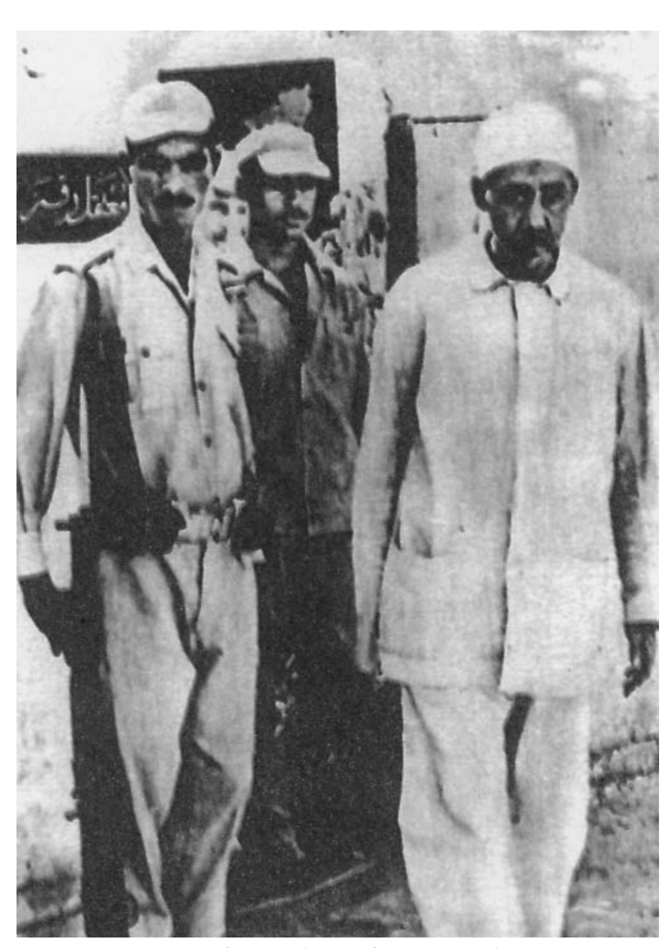
وفي عام ١٩٦٥م، أعلن عبد الناصر من موسكو وكان في زيارة لها عن اكتشاف مؤامرة دبرها الإخوان المسلمون بقيادة سيد قطب لاغتياله وقلب نظام الحكم!! فاعتقل سيد قطب للمرة الثالثة يوم ٩ / ٨ / ١٩٦٥م، وبدأ التحقيق معه في السجن الحربي في ١٩ / ١٢ / ١٩٦٥م، واستمر ثلاثة أيام، حيث بدأت محاكمته أمام محكمة برئاسة فؤاد الدجوي يوم ١٢ / ٤ / ١٩٦٦م، وأصدرت المحكمة حكم الإعدام على سيد قطب يوم ٢١ / ٨ / ١٩٦٦م، وقد وصلت برقيات كثيرة من أنحاء العالم العربي والإسلامي تطالب عبد الناصر بعدم تنفيذ حكم الإعدام في سيد قطب.

وكان الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود قد أرسل برقية لعبد الناصر وصلت يوم ٢٨ / ٨ / ١٩٦٦م، يرجوه فيها عدم إعدام سيد قطب، وأوصل سامي شرف البرقية لعبد الناصر في ذلك المساء، فقال عبد الناصر لسامي شرف: «أعدموه في الفجر.. بكرة، واعرض عليَّ البرقية بعد الإعدام!»، ثم أرسل عبد الناصر برقية اعتذار للملك فيصل بأن البرقية وصلت بعد تنفيذ الإعدام!!.

وكان تنفيذ الحكم قد تم قبل بزوغ فجر يوم الاثنين ١٣ / ٥ / ١٣٨٦هـ ـ ٢٩ / ٨ / ١٩٦٦م.

المودودي يوم الإعدام:

روى الشيخ خليل أحمد الحامدي ـ سكرتير المودودي ـ قائلاً: غداة تنفيذ حكم الإعدام بالشهيد سيد قطب، دخلنا على المودودي في غرفته وكانت الصحافة الباكستانية قد أبرزت الخبر على صفحاتها الأولى، وقصّ علينا أمير الجماعة المودودي هذه القصة، فقال: «فجأة أحسست باختناق حقيقي.. ولم أدرك لذلك سبباً.. فلما عرفت وقت إعدام الشهيد سيد قطب في الصحافة أدركت أن لحظة اختناقي هي نفس اللحظة التي شنق فيها سيد قطب»!.



الشهيد سيد قطب... إلى غرفة الإعدام

ويضيف الشيخ خليل الحامدي: وفي عام ١٩٦٦م بمكة المكرمة وفي فندق شبرا، دخل شاب عربي مسلم على الأستاذ المودودي وقدّم له كتاب «معالم في الطريق» لمؤلفه سيد قطب، وقرأه الأستاذ المودودي في ليلة واحدة، وفي الصباح قال: «كأني أنا الذي ألّفت هذا الكتاب!!» وأبدى دهشته من التقارب الفكري بينه وبين سيد قطب، ثم استدرك يقول: «لا عجب، فمصدر أفكاره وأفكاري واحد، وهو كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ».

يقول الشهيد سيد قطب: «إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة، تأبى أن تكتب كلمة واحدة تقر بها لحاكم طاغية، فإن كنتُ مسجوناً بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنتُ مسجوناً بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل».

ويقول الدكتور أحمد عبد الحميد غراب: «لا ندعي العصمة للشهيد سيد قطب، ولا لغيره من العلماء والدعاة المسلمين، فكلٌ يُؤخذ من كلامه ويُترك إلا المعصوم ﷺ، ونحن لا نقدس الشهيد، ولكن نقدره ونوفيه حقه، ولا نتجنى عليه ولا نطعن فيه، وما أضيع أمة لا تعرف حق علمائها العاملين وشهدائها المجاهدين وهم الذين قال الله فيهم: ﴿**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُم**﴾ [محمد: ٤].. انتهى.

لقد كان إعدام الشهيد سيد قطب حدثاً أليماً، هز العالم العربي والإسلامي، وأثار العلماء والدعاة وجماهير الإسلام، ولكنه في الوقت نفسه أثلج صدور اليهود والصليبيين والملاحدة والشيوعيين أعداء الإسلام!.

ولقد استنكر المسلمون هذه الجريمة الشنعاء، وأُقيمت صلاة الغائب عليه في المشرق والمغرب، وأصدر الكثير من الصحف الإسلامية بالعربية وغيرها أعداداً خاصة عن الشهيد سيد قطب وإخوانه، وتوقع الكثيرون من العلماء والدعاة أن تصيب المجرمين قارعة فلم تمض سوى بضعة أشهر حتى حصلت نكبة عام ١٩٦٧م، هُزِم عبد الناصر شر هزيمة **وكتب علال الفاسي الزعيم المغربي وخطب قائلاً: «ما كان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيد قطب»**.

يقول الشاعر أحمد محمد الصديق:

أقبلتَ نحو الله تدعو للهدى والناسُ في لهوٍ وفي إدبارِ
يتهافتون على السفاسفِ بينما ترنو إليهم مشفق الأنظارِ
وتجرّد القلم الذكيّ مذكراً بالله ترفض غير حكم الباري
حتى نسجتَ من الحقائق راية خفاقة في عالم الأفكارِ
وأنرت للأجيال خير «معالم» تجلو سبيل الحق للأبرارِ
وجعلت وارفة «الظلال» معارجاً نحو الخلود ومرتقى الأطهارِ

لقد ظنّ الطغاة أنهم إذا قتلوا الدعاة قضوا على الإسلام، ولكن شاء الله غير ذلك، فلقد انتشرت مؤلفات سيد قطب في جميع أنحاء العالم، وطُبعت معظم كتبه أكثر من ثلاثين طبعة، كما تُرجمت إلى لغات كثيرة، ولم يبق مكان في العالم إلا وعرف الشهيد سيد قطب وأفكاره، ولماذا أُعدم؟ ومن وراء إعدامه؟ ولمصلحة مَنْ أُعدم؟

لقد انطلق الكتّاب والمؤلفون والشعراء والنقاد في تعريف فكر سيد قطب، والحديث عن ترجمته وسيرته، وصدرت عشرات المؤلفات، وكُتبت مئات الدراسات، وقدّمت كثير من الرسائل الجامعية والبحوث الأكاديمية عنه وعن فكره ومؤلفاته بمختلف اللغات، وصارت دور النشر تتنافس في طباعة كتبه، وكان كتاب «في ظلال القرآن» أروج كتاب في جميع معارض الكتب، وأقبل الناس والشباب المسلم ينهلون من هذا المورد العذب والماء الزلال.

ولعل الأخ الكريم الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي من أكثر تلامذة سيد قطب الذين عنوا بالكتابة عنه وعن تراثه الفكري، وقد استفدتُ منه كثيراً فيما كتبتُ.

يذكر العلاّمة الدكتور يوسف القرضاوي الشهيد الأديب سيد قطب وفضله وأثره في الحركة والفكر الإسلامي رغم مخالفته له في بعض آرائه فيقول: «الرجل الصلب، الذي أوذي في الله فما وهن وما ضعف وما استكان وقدَّم عنقه فداءً

لفكرته.. صاحب القلم البليغ، والأدب الرفيع، والروح المحلِّق، والبيان المشرق، والمنهج الواضح، والفكر الثائر،.. صاحب (التصوير الفني) و(العدالة) و(الظلال) و(المعالم) وغيرها من الكتب التي انتشرت في لغات العالم الإسلامي شرقاً وغرباً.. الأديب الكبير، الداعية الشهيد: سيد قطب».

ولقد اطلعت قبل أكثر من ربع قرن على دراسة للباحث السعودي الأستاذ إبراهيم بن عبد الرحمن البليهي بعنوان: «سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري»، كَتَبْتُ عنها في مجلة المجتمع في وقتها.

كما أن الإخوة الأساتذة: يوسف العظم، وعبدالله عزام، ومحمد علي قطب، وصلاح الخالدي وأحمد عبد الغفور عطار، وأبو الحسن الندوي، ومحمد الحسني، وأحمد حسن فرحات، وأحمد فائز، وسالم البهنساوي، وتوفيق بركات وغيرهم، قد أسهموا إسهاماً جيداً في التعريف بتراث الشهيد سيد قطب، وهذا بعض حقه علينا.

مواقف الإنصاف:

ولن ننسى مواقف الإنصاف التي وقفها المشايخ: عبد العزيز بن باز، وعبدالله الجبرين، وبكر أبو زيد، وعبد الرحمن الدوسري وغيرهم.. جزى الله الجميع كل خير، على إنصافهم ومناصرتهم الشهيد العظيم سيد قطب.

يقول سيّد قطب: «إن دعوة الإخوان المسلمين، دعوة مجردة من التعصب، وإن الذين يقاومونها هم المتعصبون، أو هم الجهلاء الذين لا يعرفون ماذا يقولون».

ويقول: «الحقيقة الكبرى لحسن البنا هي البناء وإحسان البناء بل عبقرية البناء».

ويقول: «لقد عرفت العقيدة الإسلامية كثيراً من الدعاة، ولكن الدعاية غير البناء، وما كل داعية يملك أن يكون بناءً، وما كل بناء يوهب هذه العبقرية

الضخمة في البناء: هذا البناء الضخم «الإخوان المسلمون» إنه مظهر هذه العبقرية الضخمة في بناء الجماعات، ويمضي حسن البنا إلى جوار ربه، وقد استكمل البناء أسسه، يمضي فيكون استشهاده على النحو الذي أريد له، عملية جديدة من عمليات البناء، عملية تعميق للأساس، وتقوية للجدران، وما كانت ألف خطبة وخطبة، ولا ألف رسالة للفقيد الشهيد لتلهب الدعوة في نفوس الإخوان، كما ألهبتها قطرات الدم الزكي المهراق».

وقال: «إن كلماتنا تظل عرائس من الشمع، حتى إذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح، وكُتبت لها الحياة».

وقال: «إن الكلمات التي ولدت في الأفواه وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بالنبع الإلهي الحيّ قد ولدت ميتة».

وقال: «إن هذا القرآن لا يعطي سرّه إلا للذين يخوضون به المعركة ويجاهدون به جهاداً كبيراً».

ولقد نظم سيّد قطب وهو خلف بوابات السجن قصيدته الرائعة: (أخي) التي تُعتبر من عيون الشعر الإسلامي عَبَّرَ فيها عن نبض قلبه ووعيه ووجدانه، ومنها قوله:

أخي أنتَ حُرٌّ وراءَ السُدودْ ... أخي أنتَ حُرٌّ وراءَ القيودْ
إذا كنتَ بالله مستعصماً ... فماذا يَضيرك كَيدُ العبيدْ
أخي ستبيدُ جيوش الظلامِ ... ويُشرقُ في الكونِ فجرٌ جديدْ
فأَطْلِق لروحِكَ أشواقها ... تر الفجر يرمقنا من بعيدْ
أخي إن ذرفت عليَّ الدموع ... وبللت قبري بها في خشوع
فأوقد لها من رفاتي الشموع ... وسيروا بها نحو مجد تليد
أخي إن نمتْ نلق أحبابنا ... فروضات ربي أعدت لنا
وأطيارها رفرفت حولنا ... فطوبى لنا في ديار الخلود

وقد أرسل الأخ الشاعر محيي الدين عطية نزيل السجن إلى الشهيد

سيد قطب نزيل مستشفى السجن ببيتين من الشعر رداً على أبياته الأولى بعنوان (أخي) فقال محيي الدين عطية مخاطباً سيد قطب:

أخي هل تُراكَ سئمتَ الكفاحْ وألقيتَ عن كاهليكَ السلاحْ؟
فمن للضحايا يواسي الجراحْ ويرفعُ رايتها من جديدْ؟

وقد ردّ الشهيد سيّد قطب على هذين البيتين بقوله : ـ

أخي إنني ما سئمت الكفاح ولا أنا ألقيت عني السلاح
وإن حاصرتني جيوش الظلام فإني على ثقة بالصباح
وإني على ثقة من طريقي إلى الله رب السنا والشروق
وإن عَضَّبني الشوك أو عاقني فإني أمين لعهدي الوثيق

وقد كان لهذه القصيدة صداها في العالم العربي ردّده في الأردن شاعر الأقصى الأستاذ يوسف العظم بقوله:

أخي من رُبى الأردنِ الصابرِ ومن حَرَمِ المقدسِ الطاهرِ
أبثُّك شوقاً وبشرى غدٍ كريمٍ من الخالقِ القادرِ

كما ردّده في العراق الشاعر الإسلامي وليد الأعظمي بقوله:

أخي يا مقيماً وراء السدود تلوح بوجهك سيما السجودْ
فمهما أعدّ العِدى من قيود فلنْ تستكينَ لحكمِ العبيدْ

رحم الله أستاذنا الشهيد سيد قطب، وحشرنا الله وإياه مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

عملاء أمريكا في العالم العربي في شعر سيد قطب.

هُبَلٌ .. هُبَلْ

رمز السخافة والجهالة والدجل
لا تسألَنْ يا صاحبي تلك الجموع
لمن التَّعبُّدُ والمثوبة.... والخضوع

دعها فما هي غير خرفان القطيع
معبودها صنمٌ يراه العَمُّ سام
وتكفل الدولار كي يضفي عليه الاحترام
وسعى القطيع غباوة.. يا للبطل
هُبَلٌ .. هُبَلْ
رمز الخيانة والجهالة والسخافة والدجل
هتافه التهريج ما ملوا الثناء
زعموا له ما ليس عند الأنبياء
مَلَكٌ تجلبب بالضياء وجاء من كبد السماء
هو فاتحٌ.. هو عبقريٌ ملهم
هو مرسَلٌ.. هو عالمٌ ومعلِّم
ومن الجهالة ما قتل
رمز الخيانة والعمالة والدجل
هُبَلٌ .. هُبَلْ
صيغت له الأمجاد زائفة فصدقها الغبيّ
واستنكر الكذب الصراح ورده الحر الأَبيّ
لكنما الأحرار في هذا الزمان هم القليل
فليدخلوا السجن الرهيب ويصبروا الصبر الجميل
وليشهدوا أقسى روايةْ
فلكلِّ طاغية نهايةْ
ولكل مخلوقٍ أجل هُبلٌ.. هُبَلْ.. هُبَلْ.. هُبَلْ

(سيد قطب ـ مجموعة «لحن الكفاح»)





صالح عشماوي
رائد الصحافة الإسلامية

(١٣٣٠ ـ ١٤٠٤هـ = ١٩١١ ـ ١٩٨٣م)

معرفتي به :

أول ما عرفتُ الأستاذ الكبير صالح عشماوي من خلال قراءاتي لمجلة (الإخوان المسلمون) التي تصدر بمصر، وذلك في سنة ١٩٤٤م فقد كانت تصل إلى البصرة لبعض المشتركين، ثم توالى وصولها بكميات كبيرة سنة ١٩٤٦م عن طريق مكتبة الإخوان المسلمين بالبصرة لصاحبها يعقوب عبد الوهاب الباحسين، ولمكتبة الإخوان المسلمين في الزبير لصاحبها عبد الرزاق الصانع .

وكنت أحرص على قراءة مقالات الأستاذ صالح التي تتميز بالقوة والجرأة والصراحة، وبخاصة ما كان منها ضد الظلم والطغيان والاستبداد السياسي، الذي كانت تمارسه الحكومات العميلة المدعومة من الاستعمار الأجنبي وبخاصة الإنجليزي والفرنسي آنذاك، ثم كان لقائي به أول وصولي إلى مصر سنة ١٩٤٩م، للدراسة، وكان يتولى مسؤولية الإخوان المسلمين بعد استشهاد الإمام

حسن البنا وقبل اختيار الأستاذ حسن الهضيبي مرشداً عاماً للإخوان المسلمين، وقد تكررت لقاءاتي به كثيراً جداً بحيث لا يمر أسبوع دون زيارته لتلقي التوجيهات والتعليمات والأخبار التي تهم الإسلام والمسلمين.

اهتمام الإخوان بطلبة البعوث:

وكانت أعداد الطلبة الوافدين من خارج مصر كبيرة جداً وبخاصة من إفريقيا والعالم العربي وآسيا، ومعظم هؤلاء الطلبة كانت صلتهم بالإخوان المسلمين جيدة وعلاقتهم بهم وثيقة، لأن طلاب الإخوان المصريين يهتمون بطلبة البعوث الإسلامية الوافدين من خارج مصر، ويقدِّمون لهم العون للالتحاق بالمعاهد والجامعات ويساعدونهم في الدراسة وتهيئة السكن ولوازم الدراسة وكل الخدمات التي يحتاجها الطالب المغترب، وذلك بدون مقابل، مما كان له أعظم الأثر في نفوس المغتربين، الذين وجدوا في الإخوان المسلمين ضالتهم، وعوضوهم في غربتهم عن أهاليهم وبلدانهم، وأصبح شيئاً مألوفاً أن ترى مجموعات من الطلبة الوافدين في الجامعات والمعاهد المصرية، تحيط بهم مجموعات من طلبة الإخوان المسلمين المصريين يقدمون لهم التسهيلات.

صحافي بارع:

إن الأستاذ صالح عشماوي صاحب قلم متمرِّس بالكتابة لأنه الصحفي الإخواني الذي تولى التحرير لصحافة الإخوان المسلمين منذ صدورها إلى توقفها في عهود الظلم والطغيان، وكم من مرة عطلت الصحيفة وأودع الأستاذ صالح في السجن، ولكن لم يضعف ولم يتوقف عن قول كلمة الحق ابتغاء مرضاة الله تعالى.

وهو رجل ضعيف البنية يعيش بكلية واحدة، ولكنه قوي الإيمان، ثابت الجنان، فيه سمات الزاهدين والعارفين بالله، مع الحزم والصلابة والشجاعة والصبر والثبات.



جانب من الصحافة الإسلامية التي شارك الأستاذ صالح العشماوي في تحريرها

مولده ونشأته ومواقفه:

وهو من مواليد ١٩١١م التحق بالإخوان المسلمين سنة ١٩٣١م وتخرج في كلية التجارة سنة ١٩٣٢م واختير وكيلاً للإخوان المسلمين سنة ١٩٣٦م ورأس تحرير مجلة (النذير) سنة ١٩٣٧م وتولى رئاسة تحرير مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية سنة ١٩٤٣م ورئاسة تحرير الجريدة اليومية سنة ١٩٤٦م وعين وكيلاً عاماً لجماعة الإخوان المسلمين خلفاً لأحمد السكري، ورأس تحرير مجلة المباحث القضائية ومجلة الدعوة سنة ١٩٥١م، وفي العام نفسه (١٨ أبريل) قاد مظاهرة كبرى إلى البرلمان المصري، تطالب بإسقاط قانون نظام الجمعيات، الذي يراد من ورائه تكبيل حركة الإخوان المسلمين، وقد تم بالفعل سقوط هذا القانون، الذي رفضه مجلس النواب، وكنتُ مع الطلبة الأزهريين الذين شاركوا في هذه المظاهرة الإخوانية التي كانت هتافاتها: الله أكبر ولله

الحمد، الله غايتنا، والقرآن دستورنا، والرسول قدوتنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا، الإسلام نظام لا يحده نظام.

ولقد زرته مع الشيخ أبي الحسن الندوي أكثر من مرة في بيته ومكتبه بالقاهرة سنة ١٩٥١م.

والأستاذ صالح عشماوي كان رئيس النظام الخاص سنة ١٩٤١م ثم تركه وتولاّه عبد الرحمن السندي، وكان في مقدمة المعتقلين بعد حل الإخوان المسلمين في ٨/ ١٢/ ١٩٤٨م أيام حكم محمود النقراشي.

وفي سنة ١٩٥٤م حين أعلن الطاغية عبد الناصر حربه على الإخوان المسلمين باعتقالهم ومصادرة مؤسساتهم، وتعطيل نشاطهم، حافظ الأستاذ صالح عشماوي على رخصة مجلة (الدعوة) والتي كان يُصدر بعض الأعداد منها، حتى لا تسقط الرخصة، وقد حاولت الدولة احتواءه، ولكنه صمد أمام كل المغريات، ورفض إغراءات المناصب بكل شمم وإباء، وظلَّ على وفائه لدعوته، رغم ما وقع من خلاف بين الإخوان، بشأن الموقف من انقلاب عبد الناصر وزمرته.

وحين منَّ الله على الإخوان المسلمين بالخروج من السجون سنة ١٩٧٤م ذهب الأستاذ صالح عشماوي إلى الأستاذ عمر التلمساني، المرشد الثالث للإخوان المسلمين، ووضع نفسه ومجلته في تصرّف الإخوان الذين أعادوا إصدارها سنة ١٩٧٦م وظلت مجلة (الدعوة) لسان حال الإخوان المسلمين، إلى أن عُطلت سنة ١٩٨١م بعد الصدام مع السادات الذي ارتمى بأحضان اليهود واستجاب لمطالبهم بمحاربة أعداء التطبيع ومعاهدة (كامب ديفيد) وفي مقدمتهم جماعة الإخوان المسلمين الذين أودعهم السجون وفي مقدمتهم المرشد عمر التلمساني وصالح عشماوي وكمال الدين السنانيري وغيرهم.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ صلاح عبد المقصود في مجلة «الإرشاد» اليمنية بعددها

الخامس للسنة السادسة سنة ١٤٠٤هـ: «انتقل صالح عشماوي ـ رائد الصحافة الإسلامية عن عمر (٧٢) عاماً ـ إلى جوار ربه بعد حياة حافلة بالجهاد والتضحية في سبيل الله في يوم الأحد في السادس من ربيع الأول سنة ١٤٠٤هـ، الموافق ١١ / ١٢ / ١٩٨٣م.

مضى بعد حياة كلها معاناة وتعب وجهاد... اضطُهد وسجن وعُذِّب وحُورب، فما وهن لما أصابه في سبيل الله، وما ضعف وما استكان وظل ثابتاً على العهد إلى أن لقي ربه... رافق الإمام الشهيد حسن البنا،وكان عضواً في مكتب الإرشاد العام، ثم وكيلاً عاماً لجماعة الإخوان المسلمين... تولى قيادة الجماعة مدة عامين ونصف العام بعد استشهاد الإمام حسن البنا في ١٢ من شباط / فبراير ١٩٤٩م إذ إنه ـ طبقاً لقانون الجماعة ـ عند غياب أو وفاة المرشد العام ينوب مكانه الوكيل العام للجماعة، وكان الأستاذ صالح عشماوي الوكيل العام للجماعة وقتئذ، وكانت هذه الفترة (٣٠ شهراً) من أصعب الفترات في حياة الجماعة، إذ إنها كانت مليئة بالامتحانات، فبعد صدور الأمر العسكري، وحلِّ جماعة (الإخوان المسلمون) في ٨ / ١٢ / ١٩٤٨م، ومصادرة أملاكها ومؤسساتها وإلغاء صحفها وبعد اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا في ١٢ / ٢ / ١٩٤٩م رأى حكام ذلك العهد، أن الإخوان المسلمين حقيقة قائمة، وأمر واقع، لا مجال لإنكاره، ومن ينكره كان كمن ينكر ضوء الشمس في وسط النهار، فحاولوا أن يتخلصوا من هذا الموقف، بإعادة الإخوان بغير اسمهم، فكتب الأستاذ صالح عشماوي مقالة قوية بعنوان «ثبات» جاء فيها: «إن الذين ملّوا الكفاح، وضعفوا عن أعباء الجهاد، ويريدون أن يستريحوا باسم غير اسمهم، وبوجوه غير وجوههم ولأهداف غير أهدافهم، أمرهم إلى الله ونسأل لهم الهداية، ولهم أن يعتكفوا في صمت وهدوء، ولكن ليس لهم أن يحاولوا خداع أحد، أو يشقوا طريق المؤمنين الثابتين، أما المؤمنون الصادقون، فلن يعملوا باسم غير اسمهم، ولن يظهروا للناس بوجوه غير وجوههم، ولن يجاهدوا

من أجل أهداف غير الأهداف التي قاتلوا في سبيلها، وسيفشل معهم كل إغراء ووعد، كما فشل من قبل كل بطش ووعيد: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُون**﴾ [الروم: ٦٠].

لقد ظل ـ رحمه الله ـ طوال نصف قرن يدافع بلسانه وقلمه عن دعوته.... دعوة الإسلام... يقول الحق ولم يخشَ في الله لومة لائم حتى لقي ربه».

رائد الصحافة الإسلامية:



لقد كان الأستاذ صالح عشماوي بحق رائد الصحافة الإسلامية، فقد قام بتطويرها وبذل كل جهد مستطاع، لتحويلها من صحافة تقليدية، إلى صحافة حديثة، ملتزمة بمنهج الإسلام ومستفيدة من الفن الصحافي المعاصر، الذي يُعنى بالإخراج والخبر والتحقيق الصحافي ويتابع الأحداث ويحللها ويعلِّق عليها، مع الأَبواب المتنوعة التي تُغطي جوانب المعرفة وتقدِّم للقراء أحدث الأخبار وأدق التعليقات، وأعمق التحليلات، مع الصورة المشرقة، والفن الرفيع، والعرض الشيِّق، الذي يجذب القارئ ويشوِّقه لقراءة موضوعاتها في صفحاتها المتنوعة، ذات الطابع الإسلامي المعاصر، في عرض الخبر الصادق، بعيداً عن التهويل والمبالغة والتشويش والإثارة التي تلجأ إليها بعض الصحف متخذة الوسائل غير المشروعة للتسويق.

إشادة الندوي به:

يذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه القيِّم (مذكرات سائح في

الـشرق العربي) عن الأستاذ الكبير صالح عشماوي فيقول:

«... كتبت من مكة المكرمة إلى الأستاذ صالح عشماوي أخبره بسفري إلى مصر، ورغبتي في الاجتماع به، وقد جاء الأخ عبدالله العقيل لزيارتي في السكن بالقاهرة وأخبرني بأنه سيصحبني إلى مكتب الأستاذ صالح عشماوي فخرجت معه وظل طول الطريق يتحدث عن حركة الإخوان المسلمين ورجالها البارزين. وقد جاء ببعض مؤلفات الأستاذ الغزالي هدية لي.

وقابلت الأستاذ صالح عشماوي وكلانا مشتاق إلى صاحبه، وتعانقنا وتعانقت القلوب الخفاقة مع الأجسام وكأننا أصدقاء من زمن طويل.

وفي يوم آخر اجتمعت مع الأستاذ صالح عشماوي في إدارة مجلة الدعوة وأطلعته على الكلمة التي أريد أن أوجهها إلى الإخوان المسلمين فاستحسنها واتفقنا على أن أُلقيها أولاً في حفلة خاصة للإخوان، ثم تنشر بعد ذلك في مجلة



الأستاذ صالح العشماوي وعن يمينه الشيخ محمد عبدالله الخطيب وعن يساره الأستاذ جابر رزق

الدعوة وهي بعنوان «أريد أن أتحدث إلى الإخوان» وفي الغد زارنا الأستاذ صالح عشماوي والأستاذ سعد الدين الوليلي، ثم كان اجتماعي بعد ذلك مع أعضاء مكتب الإرشاد العام، أذكر منهم الأستاذ صالح عشماوي والأستاذ عبد الحكيم عابدين والأستاذ فريد عبد الخالق والشيخ أحمد حسن الباقوري والصاغ محمود لبيب والأستاذ منير دلة والأستاذ عبد الحفيظ الصيفي وآخرين.

وقدَّمني الأستاذ صالح عشماوي إلى الأساتذة وذكر أني قدّمت كلمة لهذه الجلسة ورحَّب الإخوان بها وقرأت هذه الكلمة «أريد أن أتحدث إلى الإخوان» فسمعوها بإصغاء تام، وإقبال عظيم، والأثر يبدو في وجوههم وعيون بعضهم، وبعدما انتهيتُ منها، تكلم الأستاذ عبد الحكيم عابدين، وألقى كلمة لطيفة في الترحيب بهذه الكلمة وأنه وجد فيها صورة صادقة لفكرة الأستاذ المرشد حسن البنا، ونفحة من نفحات تفكيره رحمه الله تعالى، وأنه وأصحابه مغتبطون جداً بهذا التوجيه الأخوي ومقدِّرون له، واستأذنني في نشر هذه الكلمة فقبلتُ ذلك بكل سرور» انتهى.

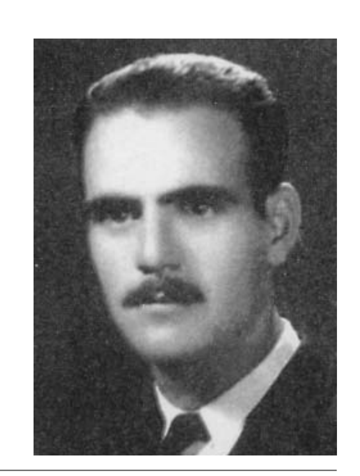
هذه لمحة عن أستاذنا الجليل الأستاذ صالح عشماوي شيخ الصحافة الإسلامية ورائدها عسى الجيل الجديد من أبناء الصحوة الإسلامية أن يعرف دور هؤلاء الرواد الأوائل الذين شقوا الطريق بكل عزم وإصرار وجرأة وثبات وإيمان ويقين فكانوا النماذج العملية للإسلام الحي المتحرك.

من أقواله:

في سنة ١٩٣٨م كتب الأستاذ صالح عشماوي في مجلة «النذير» لسان الإخوان المسلمين وكان رئيس تحريرها آنذاك كلمة بعنوان: «كيف غيَّرتني دعوة الإخوان؟»، فقال: «وأخلو إلى نفسي وأسألها عن غايتها، فأراها كعهدي بها منذ عرفت الإخوان، حافظة للعهد، راسخة الإيمان، اتخذت من الله غايتها، وأسألها عن آمالها، فأجدها وجدت آمالها بعد أن حددت غايتها، فلم يبق لها إلا أمل

واحد، وإنه كل أملي في الحياة، ولعلك تدهش ـ سيدي القارئ ـ إذا علمت أن هذا الأمل هو الموت في سبيل الله... نعم هو فناء ولكن في الحق.... لعمري إنه عين البقاء... ولست أدري هل قدّر لي الموت على فراشي كما يموت الجبناء؟! أم سيتم الله نعمته عليَّ فيلحقني بالشهداء... ذلك علمه عند ربي وما كنا للغيب حافظين...».

رحم الله أستاذنا المجاهد وبارك في جهوده، وحشرنا الله وإياه مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحَسُن أولئك رفيقاً.





الداعية المربي صالح مهدي الدباغ (أبو صفوان)

(١٣٣٩ ـ ١٣٧١هـ = ١٩٢٠ ـ ١٩٥١م)

بداية معرفتي به:

كان ذلك في عام ١٩٤٧م حين تعرفت إليه ببغداد أثناء دراستي في الثانوية الشرعية بالأعظمية وهو الشاب التقي الورع الأخ صالح مهدي الدباغ (أبو صفوان)، معلم الناشئة ومربيهم، والباذل جل اهتمامه في توجيه البراعم المؤمنة إلى هدي الكتاب والسُّنَّة وإعدادهم ليكونوا حملة الدين ودعاته، المجاهدين في سبيله والذائدين عن حياضه، أمام كيد الكائدين ومكر الماكرين، الذين طغى شرهم وعم ظلمهم وانتشر فسادهم، فصارت بغداد «بلد الرشيد» تعجّ بدعوات الملاحدة الشيوعيين والزنادقة العلمانيين، والأذناب والعملاء من المتغربين والمأجورين، يمثّلهم سيل من الكتب والمطبوعات والصحف والمجلات والأحزاب والجمعيات المدعومة من اليهود والسفارات وبخاصة السفارة البريطانية التي كانت ضدّ التوجه العربي والإسلامي باعتباره مؤيداً

لحركة رشيد عالي الكيلاني المناوئة للحلفاء والمتعاونة مع المحور أثناء الحرب العالمية الثانية فرأت في اليسار فرصتها لضرب اليمين فكان الحزب الشيوعي وجريدته (الشرارة) والحزب الشيوعي وجريدته (القاعدة)؛ والحزب الشيوعي وجريدته (الشعلة) والحزب الوطني الديمقراطي وجريدته (الأهالي) والجناح التقدمي الديمقراطي وجريدته (صوت الأهالي) وحزب الاتحاد الوطني وجريدته (السياسة) وكلها أحزاب يسارية مضافاً إليها: الأحزاب التي يقودها اليهود مباشرة مثل حزب «التحرر الوطني» وحزب «الاتحاد الوطني» وحزب (العصبة الصهيونية).. إلخ.

وأمام هذه الهجمة الشرسة على الإسلام وعلى المسلمين، كان لا بد من التصدي بحزم وقوة لهؤلاء المفسدين في الأرض، ومن هنا برز دور الدعاة إلى الله ليقدّموا الإسلام حلاً بديلاً عن الدعوات الشيوعية والعلمانية فكانت الحركة الإسلامية التي من أبنائها الأخ صالح الدباغ.

نشأته:

لقد نشأ الأستاذ الدباغ ـ رحمه الله ـ في منطقة الأعظمية، حيث جامع الإمام أبي حنيفة النعمان الذي يزخر بالعلماء والدعاة والوعاظ والمرشدين، الذين يتصدّرون للوعظ والتدريس والتعليم والتربية والندوات والمحاضرات في جماهير المسلمين وبخاصة الشباب الذين يشكلون الحلقات في المسجد الجامع وينهلون من علوم الإسلام النافعة على أيدي الأساتذة المربين، وفي مقدمتهم الأخ المربي أبو صفوان الذي يشحذ هممهم ويستجيش مشاعرهم ويثير غيرتهم على الدين، ويستنهضهم لحمل رايته، والوقوف في وجه أعدائه، متسلحين بالعلم النافع والتربية الصلبة، التي يتهاوى أمام صمودها دعاة الباطل والأقزام المهازيل من رموزه.

جهوده الدعوية:

ولقد أصدر الأستاذ الدباغ سلسلة (مع الناشئة) لتكون زاداً للشباب المسلم مكملة سلسلة (قصص الدين والدنيا) لمحمد لبيب البوهي ورسالة «صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات» للأستاذ محمد محمود الصواف و«رسائل الصحابة» للأستاذ صابر عبده إبراهيم التي تولت (مكتبة الإخوان المسلمين) بشارع حسان بن ثابت في بغداد توزيعها في جميع أنحاء العراق، مما كان له أطيب الأثر في نشر الوعي الإسلامي والثقافة الإسلامية بين الشباب وجماهير الأمة.

وكنت أعرف الأخ الدباغ عن قرب، ومن خلال معايشته بحكم وجودي بالثانوية الشرعية بالأعظمية حيث مسكنه قريب من سكن طلاب الثانوية، فكنا نلتقي به كثيراً ونجد منه كل الحفاوة والرعاية وطيب المعشر وحسن الخلق، وقد استضافنا في بيته أكثر من مرة، وكان بسيطاً متواضعاً لا يحب التكلّف، يلقاك ببشاشة الوجه وطيب الكلام وحسن الحوار، ويضفي على إخوانه وزائريه كل مظاهر الحب والتكريم والترحيب والتقدير ويشعرهم بأنهم أصحاب المنزل وأهل الدار.

وكم كان ـ رحمه الله ـ يؤكّد على ضرورة الاهتمام بأبناء الجيل الجديد لأنهم أمل الأمة في مستقبلها، ويبذل قصارى جهده في تنشئتهم النشأة الصالحة وتربيتهم التربية القويمة ليكونوا رجالاً بحق ينصرون دين الله ويشدون أزر المجاهدين في فلسطين ويقاومون الاستعمار وأذنابه الذين يريدون فرض معاهدة (بورت سموث) البريطانية على الشعب العراقي المسلم، وقد كان لجهاد الأستاذ الصواف وإخوانه وتلامذته الدور الكبير في التصدي لها حتى تمّ إسقاط هذه المعاهدة المشؤومة على أيدي شباب الحركة الإسلامية.

أخلاقه وصفاته:

لقد ضرب الأخ الدباغ المثل الصادق للأخ المسلم في صدقه ووفائه ونبله

وكرمه وحبه لإخوانه وإيثارهم على نفسه وقيامه بخدمتهم ورعايتهم، فقد وجدنا نحن الطلبة المغتربين النصيب الأوفر من هذه العناية والرعاية التي أفاضها علينا وغمرنا بها وهي ما زالت في ذاكرتنا رغم تقادم السنين ونتحدث عنها في كل حين.

لقد تميّز الأخ (أبو صفوان) بالزهد والورع وكثرة التلاوة للقرآن الكريم والحرص على المأثورات من الأذكار وأدعية اليوم والليلة، كما كان ـ رحمه الله ـ موفقاً في حسن عرض الإسلام بأسلوب محبب وطريقة جذابة تبشِّر ولا تنفر وتسلك المنهج الوسط وتتخذ الحكمة والموعظة الحسنة طريقها إلى النفوس والقلوب، فأقبل الناشئة والشباب زرافات ووحداناً ينهلون من نبع الإسلام الصافي وينتظمون في صفوف الدعاة العاملين والمجاهدين الصادقين، فكانوا ثمرة يانعة من ثمار جهود أبي صفوان المباركة نتيجة عمله الدؤوب مع شبان الرافدين وتوفيق الله له ولإخوانه.

أثر المكتبات والمعسكرات:

كما كان للكتب الإسلامية الدعوية التي تنشرها مكتبات الإخوان المسلمين الأثر البالغ في تعريف الشباب بحقيقة الإسلام ودوره في تأسيس المجتمع المسلم الذي يقيم منهج الله في الأرض ويخرج الناس من عبادة الطواغيت إلى عبادة الله، ومن فوضى المناهج الوضعية المستوردة إلى عدل الإسلام وكرامة المسلم وأمن المجتمع.

وقد كان للمخيمات الكشفية والمخيمات الصيفية ـ على شواطئ دجلة وفي غابات الشمال التي تضم العشرات، بل المئات من الشباب ـ أكبر الأثر في تربيتهم على الرجولة والشجاعة والتضحية والبذل والاعتماد على النفس من خلال الدروس وقيام الليل وتلاوة القرآن والذكر والدعاء والصيام والرياضة الكشفية، حيث التكامل في المنهج التربوي الذي يعنى بالجسم والعقل والروح على حد سواء.

وعلى ضوء هذا المنهج وبمثل هذا الأسلوب انطلق العلماء أمثال أمجد الزهاوي وقاسم القيسي ونجم الدين الواعظ ومحمد الصواف وصالح الدباغ وعبد الكريم زيدان وغيرهم يتحركون بالإسلام من خلال المساجد ورابطة العلماء وجمعية الآداب الإسلامية وجمعية إنقاذ فلسطين ثم جمعية التربية الإسلامية وجمعية الأخوة الإسلامية فيما بعد.

إن الأخ صالح مهدي الدباغ كان صالحاً كاسمه في سمته ومظهره وفي قوله وعمله، فهو مجاهد صامت يؤثر العمل على القول ويتوارى عن الظهور ويعتبر الإمام الشهيد حسن البنا مجدد العصر والقائد الفذ الذي قل أن يجود الزمان بمثله، ويرى أسلوبه في الدعوة المعاصرة أمثل الأساليب لأنه مستقى من منهج الرسول ﷺ، وهو يرى أن الأستاذ الصواف ثمرة من ثمار البنا أهديت للعراق، كما كان الشيخ محمد الحامد والأستاذ مصطفى السباعي من ثمار البنا التي أهديت لسورية.

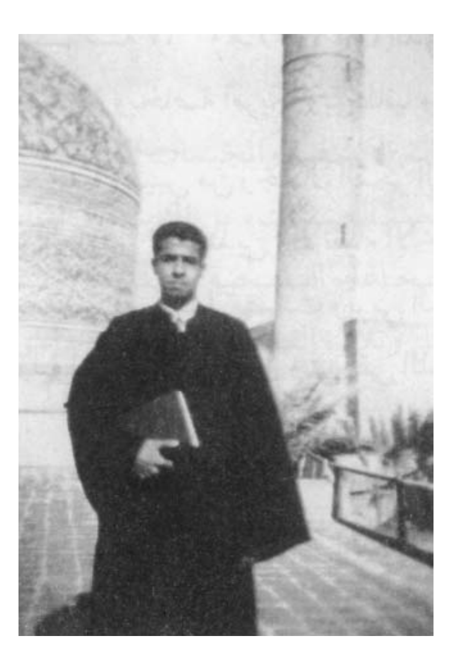
وكان يكرر القول بأن الأمل معقود على حركة الإخوان المسلمين لتعيد للأمة مجدها وتحررها من ربقة الاستعمار بكل أشكاله ومسمياته وبخاصة البريطاني الذي يسعى ليمكن اليهود في بلاد المسلمين، ومن ثم كان انطلاق كتائب الإخوان المسلمين من مصر وسورية والأردن والعراق للتصدي لليهود في فلسطين بعد قرار التقسيم سنة (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م) الذي تواطأت على تأييده كل الدول الكافرة شرقية وغربية وبخاصة أمريكا وبريطانيا وروسيا.

إن الأخ صالح الدباغ ليس من رجال الفكر البارزين ولا من الدعاة المشهورين، ولكنه من العاملين المجاهدين والأتقياء الأخفياء الذين إذا حضروا لم يُعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا فهو يعمل بصمت ويربي الشباب على منهج الإسلام الموضح بالبرامج العملية للإخوان المسلمين حتى لقي الله سنة ١٩٥١م ببغداد.

عـرفـتُـكَ صـالـحـاً خـلاً وفـيّـاً أبــيَّ الــنـفسِ ذا خـلـقٍ كـريـمِ
عــرفــتك داعــيــاً لله حــقــاً بـمـا آتـاك مـن قـلب سـلـيـم
فـكـم أسـديت مـن نصـح إلـيـنا وسرت بنا على النهج القويمِ
عـليك سـلام ربك حيـن تـمسي وتصـبـح فـي فـراديس الـنـعيـم

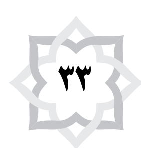
هكذا عاش معنا وهكذا رحل عن دنيانا وقليل من الناس من يعرفه ولكن الله يعلم من هو، وهو حسيبه: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

نسأل الله أن يتغمده برحمته وأن يلحقنا وإياه بالأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



المؤلف في الثانوية الشرعية
بجامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان
بغداد ١٩٤٧





الناطق بكلمة الحق

الشيخ صلاح أبو إسماعيل

(١٣٤٦ ـ ١٤١٠هـ = ١٩٢٧ ـ ١٩٩٠م)

مولده ونشأته:

ولد في قرية (بهرمس) مركز إمبابة محافظة الجيزة بمصر، يوم ١٧ / ٣ / ١٩٢٧م، في بيت معروف بحفاوته بالعلم والعلماء، فجده الأعلى كان إماماً للخديوي إسماعيل، وأنجب ولدين تخرجا في الأزهر، توفي والده في ريعان الشباب، فتولَّت أمه رعايته أحسن رعاية، وكان في البيت مكتبة حافلة بنوادر المطبوعات والمخطوطات، درس الابتدائية بمدرسة محمد علي، ثم تحول إلى الدراسة الأزهرية بعد حفظه للقرآن الكريم، وبعد الثانوية الأزهرية، التحق بكلية اللغة العربية، وتخرج سنة ١٩٥٤م.

سيرته العلمية والعملية:

في سنة التخرج واجه الاعتقال الذي شنّه الطاغية عبدالناصر على

الإخوان المسلمين، والذي ترك أثره النفسي على نتيجة الامتحان، فحصل على درجة (مقبول) وهو الطالب المتفوق في مراحله الدراسية السابقة.

عمل في التدريس فترة، ثم نقل مديراً لمكتب شيخ الأزهر محمد الفحام، وكان داعية في المحافل والمساجد ووسائل الإعلام، حيث كانت له حلقات إذاعية في تفسير القرآن في تلفاز «أبو ظبي» قرابة خمسمئة حلقة، وتفسير سورة يوسف لتلفاز دولة البحرين قرابة الثلاثين حلقة، والمصحف المفسر لتلفاز المملكة العربية السعودية قرابة الثلاثين حلقة، ومئات الحلقات من البرامج الدينية لتلفاز قطر، وعشرات الحلقات الدينية لتلفاز سلطنة عمان، وثلاثين حلقة لتلفاز دولة الكويت... إلخ، وكان من أهم تلك الحلقات حلقات «أسلوب الإسلام في بناء الإنسان» و«العدل في الإسلام» و«الإسلام والقتال» و«اليهود في القرآن»، وهذه الأخيرة قامت «جمعية عبدالله النوري» بالكويت بطباعتها وتوزيعها على نطاق واسع، كما أسهم الشيخ صلاح أبوإسماعيل بالكتابة في الصحف والمجلات العربية، وشارك في إلقاء محاضرات في كل من مصر والسودان وقطر والبحرين والإمارات والكويت والهند وإندونيسيا وسنغافورة وبريطانيا وأمريكا وغيرها.

لقد كان صلاح أبو إسماعيل داعية إسلامياً كبيراً، كثير الاختلاط بالناس، يخطب فيهم منذ كان في سن الخامسة عشرة، فكانت فصاحته تأخذ بالألباب، وكلماته تنمّ عن عقل راجح، وذكاء متوقّد، حتى صار محطّ احترام وتوقير من حوله، يلجؤون إليه للإصلاح بين المتخاصمين، وحلّ مشكلات المحيطين به، وقد نمت هذه الخاصية عنده، فكان نجم فضّ المنازعات واستئصال نوازع الشر من قلوب العائلات في بلده «بهرمس» وفي غيرها من القرى والمدن المصرية.

خاض الحياة النيابية مناضلاً في سبيل مبادئه.. ولم يثنه حظر العمل الإسلامي رسمياً عن التماس السبل للصدع بكلمة الحق، رفع شعار: «أعطني صوتك

لنصلح الدنيا بالدين»، وقد دخل البرلمان المصري منذ سنة ١٩٧٦م وحتى وفاته سنة ١٩٩٠م، وضرب المثل لإنفاق المال في خدمة الدين، فأنشأ في بلدته مجمعاً ضخماً للمعاهد الأزهرية، يضم مختلف مراحل التعليم، وشيّد مسجداً كبيراً، وساهم بالمال وبالجهود في إنشاء حوالي خمسين معهداً دينياً.

ولقد كان من ألمع قادة الصحوة الإسلامية كما يقول الشيخ محمد الغزالي ومن أنصعهم بياناً، وأعمقهم إيماناً، وكان يعتمد في دعوته إلى الإسلام على تفسير القرآن الكريم.

واحتلت مقاومة العلمانيين والشيوعيين جانباً بارزاً من حياته، وقد جاهد مع زملائه في البرلمان لإصدار قوانين الشريعة الإسلامية، وقد جمع هذه القوانين وأعدّها لتكون تحت مسؤولية المجلس، ولم يترك فرصة إلا وتكلم في المجلس منادياً بتطبيق الشريعة الإسلامية، ومنتقداً القوانين الوضعية التي تتعارض معها، ومطالباً بتعديلها.

من مؤلفاته:

اليهود في القرآن الكريم.
شهادة حق في قضية العصر.
في تفسير القرآن الكريم.
تفسير سورة يوسف.
أسلوب الإسلام في بناء الإنسان.
العدل في الإسلام.
الإسلام والقتال.

من أقواله:

«الدنيا دار ممر.. لا دار مقر.. فنحن نمر بها مروراً، مهما طال بنا الأجل.. ولن

نخلّد فيها أبداً.. وما دام الحال هكذا في هذه الحياة الدنيا.. لماذا الحقد والغلّ والحسد؟ لماذا التطاحن والتناحر؟ إن النفس الصافية تريح صاحبها، ويستريح لها من هم حوله.. والقلب الذي لا يحمل غلاً لأحد.. يعيش صاحبه حياة هادئة مطمئنة، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

ويقول: «إن أهم الأحداث تأثيراً في نفسي وتفكيري ما أراه من شعارات إسلامية ترفعها بعض الدول في حين ترى واقعاً حافلاً بشتى المتناقضات مع تلك الشعارات.

ولقد عرفت طريقي إلى مركز جماعة الإخوان المسلمين أيام الدراسة الابتدائية، إذ كان مسكن أسرتي في «الحلمية» نفس الحي الذي يقوم فيه المركز العام للإخوان المسلمين، وقد اجتذبتني أحاديث المرشد العام الإمام حسن البنا مساء كل ثلاثاء، فثابرت على حضورها، دون أن أسجل انتمائي إلى الجماعة، على الرغم من وثيق ارتباطي بأفكارها، وتقديري لإمامها. وحين استشهد الإمام البنا، واحتجبت الجماعة رسمياً عن الساحة، جاء دور البلاء، فكان النكال الرهيب الذي صُب على أقطاب الجماعة وشبابها، وقد رأيت ما يحير الألباب، ويثير الدهشة، إذ كيف يلقى هؤلاء الرجال الذين يستحقون كل تكريم، هذا العذاب الأليم؟ وأدركت أن وراء المحن أعداء الإسلام ومخالب الاستعمار، الذي لم يزل جاثماً على صدر الكنانة، ولقد كان لتلك الأحداث أثر بعيد في إعداد النفوس لقبول ثورة الضباط سنة ١٩٥٢م، فلما استوت على سوقها، وقضت على جميع الأحزاب السياسية، إلا جماعة الإخوان المسلمين، الذين فسحت لهم مجال العودة إلى نشاطهم الدعوي، بادرتُ إلى تجديد اتصالي بهم، وفي صدري أمل قوي بأن العهد الجديد سيفضي إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، وتحقيق المجتمع المثالي الذي يحلم به الإخوان، وذات مساء وفي أعقاب الحديث الأسبوعي «درس الثلاثاء»، أعلن عن حديث خاص للقاضي عبدالقادر

عودة وكيل الجماعة آنذاك، يلقيه يوم الخميس في المركز العام للإخوان المسلمين.. وقد استهواني حديثه، وترك في نفسي من التأثير ما جعلني أعتقد أن تغيير الفكر أساس لتغيير السلوك.. وكان مما قاله الأستاذ عودة يومئذ: «نحن في بلد يحكمه نظام دستوري، أساسه سلطة الأغلبية، فإذا استطعنا أن نحشد الأكثرية تحت شعار «لا حكم إلا بالقرآن»، فذلك هو السبيل الدستوري لتطبيق الشريعة الإسلامية». في هذه الليلة فقط، أحسست أن ما مضى من عمر اتصالي بجماعة الإخوان المسلمين لم أكن فيه إلا سلبياً أسمع ولا أرى داعياً للانتماء إلى هذه الجماعة، على الرغم من إعجابي بروحانية الإمام الشهيد حسن البنا. أما الآن فقد تحولت طاقتي كلها للعمل على دعوة الناس للانتظام في سلك الجماعة. ووفقني الله، فأحدثتُ في مركز الجماعة بإمبابة الجيزة أكثر من عشرين شعبة للإخوان، وانتخبني إخواني رئيساً بمركز الجهاد في (بهرمس) واختارني إخواني في كلية اللغة العربية بالأزهر مسؤولاً عن نشاط جماعة الإخوان فيها».

قالوا عنه:

يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم»:

«كثيرون جداً أولئك الذين يريدون أن يقرؤوا سيرة الشيخ صلاح أبو إسماعيل، لأنه بات في أيامهم هذه من التحف النادرة التي قل أن يقعوا عليها في واقعهم، ولعل معظم هؤلاء قد فوجئوا لأول مرة باسم هذا الرجل يوم ألقى بقذيفته المدوية أمام المحكمة المنعقدة لمحاكمة من يسمونهم «جماعة الجهاد» في القاهرة، فانطلق صداها يتردد في الصحف والإذاعات العالمية، ثم لم يتوقف دويها حتى اليوم.. وحق لهم أن يفاجؤوا، وحق لوسائل الإعلام العالمية أن تردد ذلك الصدى، لأنه كان نذيراً بأنه لا يزال بين علماء الإسلام من يؤثر مرضاة الله على النفس والحياة والمنصب، فيعلن شهادة الحق في أحرج المواقف، يرسلها

مجلجلة ناصعة لا تخاف في الله لومة لائم، حفاظاً على قلبه من أن يخالطه الإثم الذي أوعد الله به كاتمي الشهادة.

وإنها، لعمر الحق، لبطولة تفوق سائر البطولات، التي ألف الناس أن يروها ويقيموا لها الأنصاب والمعالم.. وبخاصة بعد أن خرست أصوات الصادقين، وطغت ضوضاء المنافقين، وأصبحت فنون البلاء موكلة بالألسن، فهي تتهيب أن تهمس بكلمة الحق، خشية أن تقطع أو تنزع.. وبهذه الروح، وبهذه النظرة إلى موقف الرجل في ذلك اليوم التاريخي، قصدت إلى زيارته في داره بحي الدقي من القاهرة، وكان الحوار».

ويقول عنه ابنه الأستاذ حازم صلاح أبو إسماعيل:

«رباني والدي من خلال الصحبة والتفاعل، فلم يكن يأمر أو ينهى، ولم يكن أيضاً مجرد ناقل خبرات، أو مصدر تعليمات، بل كان لي صاحباً وشريكاً في شؤوني، كما كنت شريكه في كل أموره، حتى وأنا طفل صغير كنت ألازمه في كثير من اللقاءات والأسفار، عندما كان يعد بحثاً أو خطبة أو محاضرة، كان يناديني ويقول لي: مطلوب منا أن نعد بحثاً لتقديمه حول موضوع كذا، وعندما أجد نفسي لا أعرف من أين أبدأ، يوجهني ويقترح علي الكتب، ويناقش معي جوانب الموضوع ومصادره. كان وقته محدوداً، ولكنه يحسن استغلاله، وبهذه الطريقة كان التدريب العقلي والتربوي والخلقي يأتي من خلال الصحبة والتفاعل، كان يسمح لي بإبداء الرأي في كل الأمور، لدرجة أنني كنت أقترح عليه أن يكتب رداً معيناً إجابة عن موضوع من الموضوعات فيقول لي: طيّب اكتب لي المشروع ونرى».

معرفتي به:

بدأت معرفتي بالشيخ صلاح أبوإسماعيل، حين كنا ندرس في الأزهر، وهو في كلية اللغة العربية، وأنا في كلية الشريعة، وكنا نعتبره من محبي الإخوان

ومؤيديهم، ثم زاد ارتباطه بالجماعة من خلال النشاط في الكلية، وقد تخرج في نفس السنة التي تخرجت فيها، حيث غادرت مصر قبيل اشتداد الطغيان الناصري، ولم ألتقه بعدها حتى أوائل السبعينيات، حين زرت مصر بعد هلاك الطاغية عبدالناصر، والتقيت إخواني وأساتذتي الذين حدثوني عن نشاط الشيخ، فزرته في بيته، وتوثقت الصلة به، ثم زارنا في الكويت، كما سعدت به في موسم الحج، حيث شاركنا في مخيم الرابطة، وأكبرتُ فيه هذه الحيوية والنشاط، رغم ما كان يعانيه من السمنة الزائدة، والأمراض التي يتعاطى الأدوية لعلاجها.

وكان ذا عزيمة وبأس، واستخفاف بأصوات الناعقين من العلمانيين والمنافقين، الذين يتصدرون وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، ويرى أنهم من التفاهة بمكان، لأنهم يغيّرون جلودهم، ويتلونون مع الأحداث، ويلبسون لكل حال لبوسها، ويسيرون في ركاب السلطة لتحقيق مطامعهم ومآربهم الشخصية ويتزلفون للطغاة، ويزينون لهم أعمالهم ويحرضونهم على الدعاة الصادقين، الذين يقولون كلمة الحق أمام جور السلاطين.

وكان يستبشر خيراً بمستقبل الأمة في شبابها، من أبناء الصحوة الإسلامية والتيار الإسلامي، الذين جاءت هزائم الحكام أمام عصابات اليهود، لتوقظ مشاعرهم، وتستنهض هممهم، وتدفع بهم إلى طريق الإسلام، دين العزة والكرامة، والمنهج الحق الذي يصلح ما أفسده الطغاة، ويجمع جماهير الأمة لتحمّل المسؤولية في إرساء قواعد الحق والعدل، وإشاعة الأمن والأمان، والسير قدماً في طريق تحقيق سيادة الأمة، ونصرة الدين.

وكان يقول: إن أعمق الرجال تأثيراً في تكويني الروحي بعد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين هم ثلاثة من الرجال الأفذاذ وهم: الإمام الشهيد حسن البنا، ثم خليفته الأستاذ حسن الهضيبي، ذو الشخصية الصلبة الباهرة، والنظرة العميقة، والإخلاص الذي جعله خير عوض عن الفقيد الشهيد حسن البنا، ثم المفكر العالم القاضي الفقيه عبدالقادر عودة.

وكان في مجلس النواب يلجأ كثيراً لاستجواب الوزراء والمسؤولين، فقد استجوب وزير السياحة، ووزير الأوقاف، ووزير الإعلام، كما استجوب رئيس الوزراء عن تصريح السادات بـ: «ألا سياسة في الدين ولا دين في السياسة» وعن قول السادات: إن قدوته مصطفى كمال أتاتورك الماسوني العلماني.

وفاته:

أدركه الأجل يوم الاثنين ٤ / ١١ / ١٤١٠هـ ـ ٢٨ / ٥ / ١٩٩٠م في مطار «أبوظبي» وهو يستعد للعودة إلى مصر، بعد جولة علمية في دول الخليج.

ونقل جثمانه إلى القاهرة، وصلي عليه في مسجد عمر مكرم بميدان التحرير يوم الأربعاء ٣٠ / ٥ / ١٩٩٠م، ودفن في مقابر القاهرة.

وقد أثنى عليه الشيخ علي الطنطاوي، واعتبره من عباقرة المسلمين في هذا العصر، لما كان له من أثر في السياسة الإسلامية وما أحدثه من تغييرات.

رحم الله أخانا الداعية صلاح أبوإسماعيل رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





٣٣

المجاهد الشهيد
صلاح حسن (أبو عمرو)

(١٣٤٣ ـ ١٣٩٠هـ = ١٩٢٥ ـ ١٩٧٠م)

معرفتي به:

عرفته بمصر أثناء الدراسة الجامعية، فعرفت فيه الرجولة والصلابة، والفداء والتضحية، والعزم والثبات، فقد كان من القلائل الذين فقهوا الإسلام جهاداً، وبذلاً، وصبراً، وعبادةً، ودعوةً، وخلقاً، وحباً، وأخوةً وإيثاراً. كان يدرس في «معهد التربية العالي» ويشارك في تدريب الشباب المسلم والطلبة الجامعيين على الرياضة البدنية والتدريب العنيف الذي يصنع الرجال، ويحارب الميوعة لدى الشباب، فكان معلماً، ومربياً، وداعية، ومجاهداً، أحبه زملاؤه وتلامذته وإخوانه، فكان مثال الأخ المسلم في الخلق الفاضل، والأدب الجمّ والتواضع ولين الجانب.

نشاطه وجهاده:

لقد أسهم في تدريب طلبة الجامعة بالأزهر، وعين شمس، وغرس فيهم روح

الجهاد والتضحية في سبيل الله والمستضعفين، والدفاع عن أرض الكنانة بمحاربة الإنكليز في منطقة قناة السويس سنة ١٩٥١م.

وحين قام الانقلاب العسكري سنة ١٩٥٢م، غادر صلاح حسن أرض الكنانة بعد أن اجتاحتها نذر الشر، وعواصف الطغيان، مهاجراً إلى جنوب السودان للتبشير بالإسلام في مدينة (جوبا) وما حولها، وظل يكافح ويجاهد متصدياً لحملات التبشير الصليبي، المزودة بالإمكانات الضخمة، والدعم الدولي والإسناد المالي، حتى ضاق به المبشرون، فأغروا عملاءهم من أصحاب السلطة بإخراجه من السودان بكاملها، لا من الجنوب وحده، فتوجَّه إلى الكويت ليعمل فيها مدرّساً للتربية البدنية في ثانوية الشويخ، التي هي مجال اختصاصه، ثم تفرّغ للعمل الحر الذي يكسب منه رزقه ويمارس من خلاله دعوته في حرية وانطلاق.

ولقد سعدنا به في الكويت كثيراً بعد هذه الغربة في السودان الشقيق، وكانت لنا معه جلسات وحوارات، وأحاديث ومساجلات، تدور كلها عن وضع المسلمين في العالم، وحاجة الأمة الإسلامية إلى إحياء روح الجهاد، الذي هو ذروة سنام الإسلام، وشعار عزته، وكان ـ رحمه الله ـ يكرر القول بأن مصائب العالم الإسلامي في القديم والحديث إنما هي من جرثومة الفساد اليهودي الذي حارب الإسلام منذ البعثة النبوية وما زال يسعى ليل نهار لئلا تقوم للإسلام قائمة أو يعود المسلمون إلى دينهم، ويقول: إن العلاج الوحيد لحسم مادة الشر هو التصدي لرأس الأفعى، ففي القضاء عليها شفاء لصدور المؤمنين.

صفات اليهود:

وإن اليهود، وإن ظاهرهم الشرق والغرب، وإن ملكوا زمام الدول وحازوا المال الحرام وسيطروا على الإعلام، فهم بحكم طبعهم جبناء أذلاء، حريصون على أي حياة ولو كانت في الوحل أو الدنس، وإن غضب الله عليهم يوجب على المسلمين أن يحذروهم، فهم لا يؤمن لهم جانب، ولا يعرفون الوفاء بالعهود، أو

الالتزام بالمعاهدات، لأن من شأنهم الكذب والنكث والنفاق والتلون، ولن يقف في وجوههم ويتصدى لمكرهم غير عباد الله المجاهدين في سبيله والذين يرخصون أرواحهم ابتغاء مرضاته.

الخير في الشعوب:

وإذا كانت الحكومات الهزيلة مهزومة من داخلها مستكينة راضية بالذل والمهانة، فإن الشعوب الإسلامية لا زال فيها الخير، ولا زالت روح التضحية والفداء كامنة فيها تحتاج إلى من يثيرها، ويستجيش مشاعرها، ويلهب حماسها، وإن الواجب علينا كدعاة إلى الله، أن نوجهها ونربيها على منهج الإسلام وندرّبها ونعدّها الإعداد الحسن لمواجهة اليهود وأعوانهم في كل وقت وحين.

تدريب الشباب:

ولذا شرع الأخ المجاهد (أبو عمرو) مع إخوانه (أبي أسامة) و(أبي خليل) و(أبي طارق) وغيرهم، في الدراسات المعمقة والتدريبات الكثيفة، والدروس الإيمانية، والتحرك على مستوى العالم الإسلامي، لاستقطاب الشباب الراغبين في الجهاد، لإعلاء كلمة الله، والتصدي لليهود الجاثمين على أرض المسلمين ومقدساتهم، وقد أثمرت هذه الجهود المباركة نواة طيبة من شباب العالم الإسلامي، هجرت حياة الدعة وسارعت إلى ساحة الجهاد وميدان الإعداد، وتوجهت إلى أرض الرباط قريباً من أعداء الإسلام اليهود لمناجزتهم ومحاربتهم.

وقد قام البطل الشهيد صلاح حسن وإخوانه الكرام بتدريب الشباب على فنون القتال وأساليب الكر والفر والهجوم والدفاع وفق المنهج الإسلامي في القتال المشروع.

يقول الأخ د. محمد أبو فارس في كتابه (شهداء فلسطين):

«... إن شهيدنا صلاح حسن كاتب معروف له أكثر من كتاب في القصة والسيرة والتربية، وهو واسع الاطلاع، متين الثقافة، سيّال القلم، خصب الفكر، ذو قدرة على الإبداع، وكان محبوباً عند إخوانه من المجاهدين، وكل من يتعرف عليه من الناس لتواضعه ومرحه وحلمه وصدق إيمانه، وكان يتنافس مع أخيه أبي خليل في الجهاد والاستشهاد، حيث قال له: «لئن سبقتني إلى الجهاد فسأسبقك إلى الشهادة والجنة».

ومما يجدر ذكره أنه رحمه الله كان يتوقع الشهادة، بل لقد رأى في المنام ما يشعر بدنو أجله وأنه سيرزق الشهادة فحَدَّثَ إخوانه: (رأيت في المنام أني أركب قطاراً ويقود هذا القطار الشهيد سيّد قطب ـ رحمه الله ـ) فأوّلها هو وإخوانه بأنه سيرزق الشهادة ولقد اتخذه الله شهيداً في ذكرى اليوم الذي رزق الله الشهيد سيّد قطب الشهادة» انتهى.

التخطيط للعملية:

لقد خطط الأخ (صلاح حسن) وإخوانه أبو أسامة وأبو خليل وغيرهم من المجاهدين المرابطين قبالة اليهود للقيام بعملية جهادية ضد اليهود تكون في نفس اليوم الذي هُزمت فيه الحكومات العربية عام ١٩٦٧م (أي يوم ٥ / ٦) وبالفعل كان يوم ٥ / ٦ / ١٩٧٠م موعد العملية الجهادية حيث دمّر المجاهدون دبابات للعدو كانت مرابطة في مستعمرة «كفار روبين» في سهل بيسان.

وبعدها بأكثر من شهرين خطط (أبو عمرو) وإخوانه لمعركة أخرى مع اليهود، واصطدموا بهم وتبادلوا معهم إطلاق النيران وسقط من المجاهدين ثلاثة شهداء من بينهم القائد صلاح حسن (أبو عمرو) وإخوانه زهير سعدو من سورية، ومحمود البرقاوي من الأردن، الذين سطّروا بدمائهم الزكيّة طريق المجد لتحرير المقدسات الإسلامية، مكملين بذلك ما بدأه الإخوان المسلمون بمصر وسوريا والأردن حين انطلقت كتائبهم لقتال اليهود بفلسطين عام ١٩٤٨م، وقدموا مئات

الشهداء على ثرى القدس وفلسطين دفاعاً عن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشد إليها الرحال.

ومن توفيق الله وعجائب قدرته أن يكون يوم استشهاد صلاح حسن موافقاً اليوم الذي أُعدم فيه الشهيد سيّد قطب من قبل طاغية مصر وصنيعة اليهود والأمريكان وهو يوم ٢٨ / ٨/ ١٩٧٠م أي بعد استشهاد سيّد قطب بأربع سنوات.

وحين توجه المجاهدون لحمل جثث الشهداء الثلاثة وجدوا جثة الشهيد صلاح حسن قد مثِّل بها تمثيلاً شنيعاً، فقد فُقئتْ عيناه واخترقت عشرات الطلقات جسمه الطاهر، بعد أن قتل من اليهود أكثر من اثني عشر جندياً، وكان شقيقه (أبو خليل) معه في نفس المعركة، ولكنه نجا من الموت.

قصة استشهاده:

وهذه قصة استشهاده يرويها أحد رفاقه في ميدان الجهاد:

«الظلام دامس.. والأصوات هادئة بل معدومة، بعدما ترك معظم السكان قراهم فهي خاوية لم تسكن من بعدهم. واخترقنا هذه القرى المهجورة وخرجنا إلى الحقول والمراعي والبساتين، والركب الصغير يغذ السير إلى هدفه، ووصلنا بعد حوالي ساعتين من السير الحثيث إلى شاطئ النهر.

وتوقفنا عن السير فترة قصيرة ـ حوالي نصف ساعة ـ إلى أن ارتاحت قليلاً الأجسام المنهكة من ثقل ما حملت.

كان لساننا دائماً يلهج بالاستغفار والذكر. وكانت تخطر دائماً على أفكارنا كثير من الآيات وصيغ الاستغفار. وتدور حول أذهاننا وفي عقولنا أشرطة معينة لمواقف معينة، منها ما يضحك ومنها ما يبكي، ومنها ما يملأ النفس حماسة ومنها ييئس.. وهكذا أشياء لا ندري كيف تخطر على ذهن الإنسان في ثوان معدودة دون رابط بينها؛ ولكنها تشبه شريطاً من الأخبار الخاصة تعرض على ذهنك وكأن لا شأن لك بها.

بدأنا في حذر شديد في ترتيب عبور النهر، وأخذنا وضعاً مناسباً للقتال، تحسباً لأي مفاجأة، وقامت مجموعة صغيرة بعبور النهر والتمركز في الضفة الأخرى، ثم بعد قليل بدأت المجموعة الأخرى في العبور وهكذا إلى أن انتهينا جميعاً من العبور، ثم أخذنا نقطع النهر ذهاباً وإياباً إلى أن قمنا بنقل كل المعدات وبدأنا في الاستعداد، ولكنا شعرنا أن الوقت قد غلبنا ولم يبق على الفجر إلا القليل. ومع بعض الحسابات الخفيفة أدركنا أنه من الصعب أن يسعفنا الوقت في عمل كل التجهيزات، فقررنا تأجيل موعد التنفيذ لليوم الثاني وكان لا بد من العودة قبل طلوع النهار.

قمنا بعبور النهر إلى الضفة الشرقية واسترحنا قليلاً بعد أن أرسلنا أحدنا لإخبار مجموعة (التغطية) بتأجيل العملية لليوم الثاني؛ وأثناء الانتظار ألَحّ النوم على جفوننا، وكنت ضمن مجموعة كتب الله الشهادة لمعظم أفرادها.

وقعت عيناي على أبي عمرو (أي الشهيد صلاح) وهو يغط في نوم عميق وكأنه ينام في بيته. وظللت أنقل عيني بين رجلين: زهير سعدو وصلاح حسن، وهما يغطان في النوم وعيناي تراقبان الطريق. وما لبث أن عاد محمود برقاوي يخبرنا بنبأ التقائه بمجموعة التغطية وإبلاغها بتأجيل العملية. وبدأنا السير في طريق العودة، لم نتكلم كثيراً. لم نكن نعرف أن أبواب الجنة قد فتحت استعداداً لاستقبال شهداء سوف ينتقلون بعد لحظات، وأننا كلما قطعنا خطوة إلى الأمام، قطعنا خطوة إلى الجنة.

ووقفت أنادي محمود البرقاوي الذي كان سريعاً في خطوه: يا محمود لا تسرع حتى لا تختفي عن أعيننا في الظلام الحالك. وللمرة الثانية حدث أن توقفنا وتكرر النداء لمحمود أن يبطئ في سيره. وبدأ محمود يبطئ فعلاً في سيره. ولكن كانت مرحلة الصعود (أي صعود الشهداء) قد بدأت، وكان أبو عمرو يسير خلفي وكذلك شرحبيل (زهير سعدو)، وانتقلت من جانب الطريق الأيمن إلى الجانب الأيسر حتى أظلّ ملاحقاً لمحمود أثناء سيره.

وفجأة رأيت ناراً حامية تخرج من الأرض باتجاه محمود برقاوي وذلك من بعد حوالي خمسة عشر متراً وتابعت النار الحامية وهي تصيب محموداً وأدركت في الحال أن محموداً كان أول الصاعدين.. وهوى الجسد الطاهر على الأرض وصعدت الروح الكريمة إلى بارئها.. هوت المادة إلى المادة أصلها، وصعد السر الذي هو من علم ربه إلى خالقه.. وظلت المدافع تقصف في اتجاه محمود قصفاً عنيفاً متواصلاً. وأخذنا وضع الاستعداد للالتحام. ولم يخطر ببالنا أن إخلاء الأهالي لقراهم يمكن أن يغري اليهود بالتعمق إلى هذا الحد داخل أرض الضفة الشرقية وكأنها بلا صاحب.

فصحت بأعلى صوتي: انتبه.. ماذا تفعل؟

وذلك ظناً مني أنها مجموعة من الفدائيين حسبتنا يهوداً ففتحت نيرانها علينا؛ ولكن بضع كلمات عبرية بلغت آذاننا جعلتنا ندرك الوضع تماماً.. إنه كمين يهودي وإنه لا يقل عن فصيلة كاملة.

ولكن من أدرى اليهود أننا سوف نعود من هذا الطريق؟ هل هي (إخبارية) من بعض عيونهم؟ هل المسألة صدفة؟ لا نستطيع الجزم وإن كانت الشواهد تنبئ أن لليهود في هذه المنطقة بعض العيون التي تنبئهم بالتحركات في المنطقة.. ظللت حوالي ثلاث دقائق وأنا أراقب الموقف للتصرف حسب التقدير السليم. نظرت خلفي نظرة خاطفة فوجدت أبا عمرو قد جلس القرفصاء وأخذ وضع الاستعداد. ولم نحاول الالتحام أو الرد حتى نخفي مواقعنا، ونخفي أيضاً عددنا بفضل الظلام الدامس. وظلّ اليهود يضربون على غير هدى. وقررنا الانتقال من أماكننا إلى أماكن أكثر أمناً. ومع الانتقال بدأت القنابل اليهودية تنهال علينا من اليهود. كل هذا ونحن ساكتون تماماً. ثم بدأ اليهود إرسال طلقات كاشفة من مدفع هاون لمحاولة معرفة مكاننا، وأثناء انتقال أبي عمرو وزهير سعدو من مكان إلى مكان أصيب أحدهما في قدمه ووقف الآخر لمساعدته وظلا في أماكنهما إلى أن أراد اليهود أن يأخذوهما فأمسك كل منهما بسلاحه وكانت مواجهة عنيفة بين

المجاهدين وبين اليهود، وكانت كارثة مفاجئة لليهود فقد سقط في الحال أكثر من ثلاثة عشر قتيلاً غير الجرحى، مما حمل اليهود على الانسحاب بسرعة، هذا مقابل استشهاد البطلين صلاح حسن وزهير سعدو، وقد تمكنا مساءً من سحب الجثث حيث دفن الشهيد محمود برقاوي في بلدة النواجع في الأردن ودفن زهير سعدو في حماة في سوريا ودفن أبو عمرو في أرض الكويت» انتهى.

صفاته:

رحم الله شهيدنا الذي تعلّمنا منه الكثير من دروس التضحية والجهاد، والصبر، والمصابرة، والعزم، والتصميم، والاستعلاء على زخارف الدنيا، والزهد بما في أيدي الناس، والسعي الدؤوب للعمل الجاد الذي يرضي الله عز وجل وينفع المسلمين، والاعتزاز بالإسلام الدين الحق، والتمسك بحبل الله المتين، وتقديم الغالي والنفيس في سبيل الله عز وجل والمستضعفين من المسلمين، والذود عن ديار المسلمين ومقدساتهم ونصرة المسلمين في كل مكان، والتبشير بالدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وابتغاء مرضاته.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ حسن دوح في كتابه (شهداء على الطريق):

«... ويتحلق الرجال حول جثة الشهيد صلاح حسن ويقف ابنه «عمرو» صامتاً يغالب دموعه ويذكر أن أباه أوصاه بأن يخلفه في أداء رسالته، وأن يستمر على طريق الإسلام الحق، طريق الجهاد في سبيل الله، وإعلاء لكلمة الله» انتهى.

وكتب الأستاذ زين العابدين الركابي في مقدمته لكتاب الشهيد صلاح حسن (ثمانون عاماً بحثاً عن مخرج):

«كنت معه وهو يكتب القصة ويحيا معانيها وقيمها.. وكان كلما كتب صفحة منها جلسنا لنقرأها معاً.. ونتابع سيرها في طريق الحق والخير والجمال.. وكان

الهدف واضحاً أمام الشهيد صلاح حسن ـ عليه الرحمة والرضوان ـ وهو يكتب قصته الهادفة. إن الأجيال المسلمة الناشئة تعرضت لغزو تربوي واسع النطاق تناول ـ عمقاً ـ جذور النفس والفكرة والعقيدة.. وشمل ـ امتداداً ـ العالم الإسلامي كله. وهذا الغزو يستهدف عزل الجيل الحاضر والأجيال القادمة عن الإسلام، ويخرج شباباً غريب الفكر والعقيدة والنفس، غربي الوجهة والمسلك. كان ذلك واضحاً في ذهنه وتفكيره.. وكان لا يفتأ يذكر هذا الغزو لفرط إحساسه بمخاطره وعواقبه.. ولا عجب فالشهيد رجل يعيش بالإسلام وله ويحيا واقعه وقضاياه.. وهو كذلك رجل اشتغل بتربية الشباب زمناً طويلاً وعرف ـ بالممارسة العملية ـ مشكلات الشباب والآثار النفسية والعقلية التي تركها الغزو الأجنبي في نفسه وتفكيره وثقافته.

مقوّمات خاصة مكنت الشهيد صلاح حسن من إدراك مدى التخريب والمسخ الذي يحدثه الاحتلال التربوي والثقافي والفكري في أجيالنا.. وأورثته رؤية ـ تميزت بالعمق والجلاء والبعد ـ أبصر بها ما لم يبصره غيره.

انبعاثاً من هذه الخصائص الفاضلة الأصيلة بذل الشهيد من وقته ومن نفسه ومن عقله ومن كل ما يملك، الجهود المتواصلة في سبيل نهضة جيل إسلامي يأخذ نفسه بالإسلام، ويهدي الآخرين إلى سعة الإسلام ورحمته.

ومن فضائل الشهيد صلاح حسن أنه كان يقرن القول بالعمل، والأمنية بالتطبيق، ومن ثم شرع ـ وهو يتحدث عن مخاطر الغزو التربوي ـ في كتابة هذه القصة التي تغرس في نفوس الناشئة وعقولهم ـ بأسلوب عصري جذاب ـ قيم الإسلام ومثله.

وهنا ينبغي توضيح حقيقة أخرى تربط بين القصة.. وبين استشهاد صاحبها الشهيد صلاح حسن.

كان يعتقد أن اليهود هم وراء إفساد أجيالنا، وهم الذين خططوا لهذا الهجوم التربوي والعقائدي والثقافي والفكري على عالمنا الإسلامي لكي يجردوا أمتنا

من أقوى حصانات الثبات والدفاع.. من عقيدتها وفكرها.. ومن استعدادها النفسي للتضحية والبذل الغالي.. تمهيداً للغزو العسكري والسيطرة السياسية والاقتصادية من بعد.

اقتناعه الحقيقي بهذه الحقيقة كان من أقوى الدوافع على كتابة القصة. واقتناعه اليقيني بهذه الحقيقة دفعه إلى حمل السلاح ضد العدو اليهودي.

كتب القصة بقلمه ليدفع عن أمته الهجوم اليهودي في التربية والثقافة والفكر.. وحمل السلاح بيده ليجاهد اليهود الذين يمثلون أكبر خطر في تاريخ أمتنا» انتهى.

يقول جمال النهري مدير تحرير المجتمع:

«... ثار التراب من الحفرة البسيطة التي كانت ساكنة قبل ساعات. كنا أودعنا جثمان الشهيد الطاهر صلاح حسن في أرض الكويت. حكم الصمت فلم نسمع سوى صوت المعاول وهي تهيل التراب، تابعت العيون النعش الذي حمل الشهيد من أرض فلسطين وتسابقت الأيدي لحمله ومواراته ليدفن قرب جندي كويتي من لواء اليرموك استشهد في مصر، وهذا صلاح حسن شهيد مصري مغترب لم تطأ قدمه أرض بلاده منذ ستة عشر عاماً يستشهد في فلسطين على مشارف (كفار روبين) ويدفن في مقابر الكويت في أغسطس سنة ١٩٧٠م فسبحانك ربي.

وقد وقف ابن الشهيد عمرو صلاح حسن وعمره اثنا عشر عاماً فوق كثيب من الرمال تتساقط دموعه وهو يودع أباه الشهيد.

وألقى عبدالله العقيل كلمة وهو مستند إلى سيارة مستشفى الصباح التي حملت جثمان الشهيد إلى المقبرة وفي كلمته يحكي ما رآه الشهيد في المنام قبل استشهاده من أنه كان يركب قطاراً كان يقوده الشهيد سيّد قطب ورأى أخاه محمود حسن متعلقاً في إحدى عرباته فكانت هذه الرؤيا بشارة له بالشهادة التي نالها.

وألقى الأستاذ علي الحسن ممثل فتح كلمة بالمقبرة **وكذلك تكلم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق** وكذا شقيق الشهيد الأخ محمود حسن ألقى كلمة قال فيها: إنني شاركت في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م وحرب قناة السويس سنة ١٩٥١م وفي نفس المعركة مع شقيقي ولكن الله أكرم أخي بالشهادة ولازلت انتظر» انتهى.

ويقول الشقيق الأصغر للشهيد وهو ماجد حسن:

«... لقد أخرجتنا يا أخي من طبيعة الطين التي خلقنا منها والتي ظلت تأسرنا سنين طويلة فنتثاقل في الأرض ويقعدنا عن الجهاد أرزاقنا.. أهلونا.. أبناؤنا.. أزواجنا.. كانت ظلمة ظللنا نتخبط فيها.. ونحن نجتر ألفاظ الجهاد دون أن نحولها إلى عمل فإذا بك يا صلاح تصفعنا جميعاً وتخرج بنا من أسر وذل الرزق والأهل والأبناء والأزواج وتسبقنا للقاء الله فهنيئاً لك فوزك في ذلك السبق إلى الله. وطوبى لمن لحقك على الدرب وهنيئاً لمن أخلص وعاهد الرحمن في صدق» انتهى.

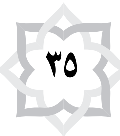
وقد رثاه الشاعر محيي الدين عطية بهذه الأبيات:

صَمُوتٌ عَلى وَجْهه بَسْمَةٌ ... تُحدِّثُ قَارئها بالخَبَرْ
وفي خَطْوِه عَزْمة الواثقين ... وفي صَدْرِه هَمَسَاتُ وَتَرْ
وَفِي العَيْن طَيفٌ شَفيفٌ عَمِيقٌ ... وَشَوْقٌ لِعَالَمِه المُنتَظَرْ
ذَرَفْنَا عَلى قَبْرِه دَمْعَةً ... وَعُدْنَا نَجُرُّ بَقَايَا العُمُرْ
فَكنَّا نَسِيرُ كَألفِ رُفاة ... تُشيِّعُ حَيَّاً حَبَاهُ القَدَرْ
تُرَى هَل سَنَمْضِي عَلى حَالِنا ... تُحَاصِرُنَا سُخْريات أُخَرْ؟
تَدقُّ الحَوَادثُ أبوابَنَا ... ونَغْمسُ آذَانَنَا فِي الدُّثُر
وتَلْوي المَصَائِبُ أعْنَاقَنَا ... فَيَخْبُوْ مَعَ الدَّمْعِ ومْضُ الشَّرَرْ
وَيَقْذِفُنَا الْدَهْرُ بِالْنَائِبَاتِ ... فَنَزْوِي وَيَعْطُبُ فِينَا الْثَمَرْ

إلاَمَ وَهَـذَا شَـهِـيـدٌ أَتَـى	لِيكْشِفَ عَنَ زَيْفِنَا الْمُسْتَتِرْ
أَتى يُشْعِلُ الْدِّفءَ في ثَلجِنَا	يَشُقُّ الْسُّدُودَ لِكَي نَنهمِرْ
أتَى كَيْ يُمَزِّق عَنا القِنَاع	ويَنْزِع عَن نَاظِرِينَا الْسُترْ
لِنُبْصِرَ دَرْبَ الذِينَ خَلَوْا	وكُنَّا ظَنَنَّاهُ فِينَا انْدَثَرْ
وكُنَّا ظَنَنَّا دِمَانَا تَجِفُّ	عَلَى شَاطِئِ اليَأس أو تَنْحَسِرْ
فَيَا أَيُّهَا الْواقِفُونْ عَلى	شَفَا قَبْرِهِ تُمْعِنُونَ النَّظَرْ
إذَا لَمْ يَكُنْ جَمْعُنَا وَاعِيَاً	ذَكِيّاً حَصِيفَاً عَظِيمَ الخَطَرْ
وَمَا لَمْ يَكُنْ سَيْفُنَا قَاطِعَاً	يفلُّ الْحَدِيدَ وَيَفْرِىْ الْحَجَرْ
فَلَنْ يَرْويَ الأرْضَ بَعْضُ الدِّمَاء	ولَنْ يَنْشُرَ الظلَّ بَعْضُ الشَّجَرْ
ولَـنْ يُظْهِر الله أَعْلامَنَا	ونَحْنُ وُقُوف عَلَى الْمُنْحَدَرْ
نَرُوحُ وَنَغْدُو حَيَارَى سُكَارَى	تَهِيمُ خُطَانَا وَلا نَعْتَبِرْ
ونَنْدَمُ أَنَّا أَضَعْنَا الْجِهَادَ	فَحَلَّتْ بِنَا عَاقِبَاتُ النُّذُرْ

نسأل الله عز وجل أن يتغمد شهيدنا الغالي صلاح حسن وإخوانه الشهداء معه وقبله وبعده برحمته، وأن يوفق شباب الإسلام للالتزام بمنهج الإسلام الحق كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وأن يكتب لنا حسن الختام، ويلحقنا بالصالحين من عباده، وأن ينزلنا وإياهم منازل من أحب من عباده، فرضي عنهم ورضوا عنه، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، والحمد لله رب العالمين.







المجاهد.. اللواء صلاح شادي

(١٣٤٠ ـ ١٤٠٩هـ = ١٩٢١ ـ ١٩٨٩م)

مولده ونشأته:

هو المجاهد الكبير لواء شرطة، الأستاذ صلاح شادي، ولد في مدينة القاهرة سنة ١٩٢١م، ونشأ في أسرة ثريّة، وتابع دراسته العسكرية، بعد أن أنهى مراحل التعليم الابتدائي والثانوي، وتخرّج ضابط شرطة، وكان مثال المسلم الملتزم بتعاليم دينه، يسعى بخدمة الناس، ويقدّم كل ما يستطيع في حل مشكلاتهم، وإصلاح ذات البين بين الأفراد والعوائل في كل مكان يحلّ فيه، ولم تكن رتبته العسكرية لتميّزه عن الناس، بل كان كسائرهم، يتّصف بالأخلاق العالية، والحياء، والنفس الطيّبة، واليد السخيّة.

التحق بجماعة الإخوان المسلمين سنة ١٩٤٢م، وتربى على يد مرشدها الأول الإمام الشهيد حسن البنا، وظل يعمل في صفوفها وهو ضابط في الشرطة، يدعو

الناس إلى الخير، ويؤلِّف بين قلوبهم، ويوقظ فيهم الهمم، ويستحثهم على العمل لدين الله، وابتغاء مرضاته.

وفي محنة سنة ١٩٤٨م، لم يعتقل مع الإخوان الذين اعتقلوا، بل اكتفت السلطات بإبعاده عن القاهرة إلى أقاصي الصعيد، ضابطاً في مصنع السكر في «نجع حمادي»، ولم يمنعه ذلك من الاستمرار في الدعوة إلى الله، وفي سنة ١٩٥٤م اعتقل إثر حادثة المنشية المفتعلة، فعُذِّب عذاباً شديداً، فصبر ولم يهن عزمه، ولم تلن قناته، وحكم عليه بالإعدام بتهمة محاولة قلب نظام الحكم بالقوة، فأرسل خطاباً إلى زوجته يُسرِّي عنها، ويخفف من وقع الصدمة، ويبشِّرها برؤيا منامية رأى فيها أنه شعر وكأنه أُلقي به في بئر مظلمة، فامتدت إليه يد تنتشله، ثم علم بعد استيقاظه بأن حكم الإعدام قد خفف إلى المؤبد، فبكى وقال: أراد عبدالناصر أن يقتلني، وأراد الله عز وجل غير ذلك.

من أقواله:

«إن طبيعة الإسلام تحمل قوته في ذاته، وانتشاره إنما ينطلق من معنى الربانية الذي يحييه في قلوب الناس ويركّزه في عقولهم.

وإن القوة في النظام الإسلامي مطلب مقصود لذاته، مهما تحقق للأمة استقلالها، وحتى لو أظلها حكم الإسلام، لظلَّت قوة الأمة العسكرية والتجمع لبذل المعروف، وإنكار المنكر بشرائطه الشرعية، واجباً تنهض به وله همم المسلمين، ويسعى كل مسلم صادق لتحقيقه في نفسه، ودعوة الناس إليه، وحضّهم عليه، والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ولا يزال رسول الله ﷺ يشرح للناس معنى القوة الواردة في الآية: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ [الأنفال:٦٠]، فيقول: «ألا إن القوة الرمي»، ويكررها ثلاث مرات، ثم لا يلبث أن يجعل الرمي عبادة فيقول: «من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني».

وهكذا تصبح القوة العسكرية للأمة، وتنشئة النفس على مشاق الحياة، بالرحلات ونحوها، هدفاً يطلب لذاته، ويظل الفرد عاكفاً عليه لحفظ معنى الرجولة فيه، وعدم عصيان الله بنسيانه، وإن من خصائص دعوة الإخوان المسلمين أنها منذ نشأت، وقد عاصرت مختلف الهيئات والحكومات، لم تنحدر يوماً من الأيام إلى المزالق السياسية، ولم تتلون بالألوان الحزبية، ولم تتورط في المنافع الشخصية ولم تخضع لهيمنة عظيم من العظماء، أو سلطان وجيه من الوجهاء، ولم تعمل ساعة من نهار لحساب شخص أو هيئة أو حزب أو دولة».

معرفتي به:

عرفته حين ذهبت للدراسة بمصر، حيث كان مع مجموعة من إخوانه: حسن عشماوي، وعبد القادر حلمي، ومنير الدلة، وصالح أبورقيق وغيرهم يشكِّلون مجموعة من الإخوة المسؤولين الذين يتولون الاتصالات مع ضباط الثورة قبل قيامها، وبعد نجاحها بتكليف من المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبي، ثم انقطعت الصلة بعد تخرجي ومغادرتي مصر، حيث شنَّ الطاغية عبدالناصر حملته المسعورة على الإخوان المسلمين، واعتقل الآلاف منهم، وعلى رأسهم قيادات الإخوان وفيهم الأخ صلاح شادي مسؤول قسم الوحدات والبوليس.

وبعد هلاك الطاغية، ذهبت إلى مصر، والتقيت إخواني وأساتذتي بعد خروجهم من السجن، ومنهم الأخ صلاح شادي الذي تكررت لقاءاتي به في مكتب المرشد العام الثالث عمر التلمساني، ومنازل الإخوان بمصر، ثم أكرمنا الله بمجيئه إلى الكويت، حيث كثرت لقاءاتي به في منزلي ومنازل الإخوان، فوجدت فيه الأخ الصابر، والداعية العامل الذي لا يفتر عن الدعوة إلى الله حيثما وجد، وأينما كان، ولقد سعدت بقراءة ردوده على الوفدي اليساري عبدالعظيم رمضان، الذي نشر حلقات في الجرائد الكويتية لتشويه فكرة جماعة الإخوان، مستدلاً بأقوال المحاكمات المزيّفة التي تولى كِبْرَها الضابط جمال سالم، عليه

من الله ما يستحق، وقد قام الأخ المهندس مصطفى محمد الطحان، بطبع ردود الأخ اللواء صلاح شادي على عبدالعظيم رمضان.

لقد كانت هذه الردود ردوداً علمية موثَّقة تستند إلى الحقائق والأدلة وبأسلوب عف نظيف بعيد عن المهاترات والأكاذيب وطمس الحقائق، وهو أسلوب اليساريين تجاه الإسلام ودعاته في كل عصر ومصر، فسلاحهم الكذب دائماً، ولقد زوّدت الأخ صلاح شادي من مكتبتي الخاصة ببعض الوثائق النادرة كمجلات الإخوان الأسبوعية المجلدة من سنة ١٩٤٦م، وكذا بجريدة الإخوان المسلمين اليومية كاملة (ميكروفيلم) التي حصلنا عليها من الجامعة الأمريكية في بيروت عن طريق إخواننا الدارسين هناك، فكانت خير عون له في ردوده على دعاة التشويه من حملة الأقلام وأدعياء التاريخ الحاقدين على الإسلام ودعاته.

وبهذا، فقد كان كتابه «صفحات من التاريخ» الذي هو مجموع الردود على عبدالعظيم رمضان وثيقة مهمة تبرز الحقائق، وتكشف زيف الأباطيل، وتخرس ألسنة الكذابين، كما كانت مذكراته «حصاد العمر» تصويراً لتجربة الحياة، كما أن كتابه عن الشهيدين: «حسن البنا وسيد قطب» قمة الوفاء لقادة الدعوة الإسلامية.

قالوا عنه:

يقول عنه الأخ عبدالعزيز حسنين:

«في يوم ٦ رجب سنة ١٤٠٩هـ ـ ١٢ / ٢ / ١٩٨٩م سكت قلب طالما خفق خاشعاً لربه، ووقف لسان طالما نطق ذاكراً لربه، وتعطلت حركة طالما سعت عبودية لربها، وجمد عقل طالما سبح فكراً لربه، بل طويت صفحة طالما بيَّضها صاحبها بما سطره فيها من أقوال وأفعال، وانتهى شريط حياة حفل بكثير من التطورات والتصرفات، وكأن صاحبه كان يشعر أثناء دوران الشريط في تسجيله أنه سوف يعرض عليه أمام الله وأمام خلقه، فعمل وجهد حتى لا يقول مع من يقول: ﴿**يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا**

أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ [الكهف: ٤٩].

لله درك يا أخ صلاح في اليوم الذي استشهد فيه إمامك حسن البنا ترحل فيه، وفي الشهر الذي اغتيل فيه حبيبك تموت فيه، وكأنها أمنية عندك ورجاء منك أن تلحق به وأنت على عهده، فيتقبل الله منك، فتكون الوفاة في يومه وشهره، هكذا كان شأن الصدق مع المحبين.

لله درك يا أستاذنا الجليل فقد قالوا قديماً: «إن ترسُّم الخطى يقضي لا محالة بتماثل النتائج، وإن شبيه الشيء منجذب إليه، ويحشر المرء مع من أحب...»

لقد كان مدرسة في رحلته الطويلة في الحياة وبين الأحياء، كما كان موسوعة في سجنه وراء القضبان، فقد كنا نرى فيه حزماً في أناة، وبذلاً في اتزان، وعلماً في حلم، وسلوكاً في اعتدال، وكانت الصفة التي امتاز بها بين أحبابه هي الحياء، وهي التي كانت الطابع الغالب عليه في حياته مع ربه وأهله وأبناء جلدته وبني جنسه على اختلاف أنماطهم واتجاهاتهم».

ويقول الأستاذ أحمد السيوفي:

«كان صلاح شادي علماً من أعلام الحركة الإسلامية البارزين، ورائداً من روادها الأفذاذ، لقد كان في شجاعته صلباً كالجبل الأشم، وكان يمتلك أعصاباً هادئة، فلا يضايقه شيء، ولا يتبرم من شيء، ويصبر على أي شيء، ولا يتسرب اليأس إلى نفسه.

لقد جرت عدة محاولات لقتله في العهد الملكي، ففي صحراء حلوان كانت هناك محاولة لقتله من رجل يهودي وفتاتين يهوديتين أيضاً.. فبعد أن رفع اليهودي مسدسه في وجه صلاح شادي، استطاع شادي أن يضم الفتاتين على بعضهما فينطلق الرصاص إلى الفتاتين، ويخرج هو مسدسه، فيطلقه على اليهودي.

أما المرة الثانية: فكانت في نفق شبرا بالقاهرة، فقد أراد رجال الملك السابق قتله بوساطة الحرس الحديدي، فأطلقوا عليه الرصاص، لتستقر الطلقة في

المصحف الذي يحمله شادي، وما زال المصحف موجوداً حتى الآن بآثار الرصاص، يشهد على المجرمين، ويفضح جرائمهم وآثامهم.

أما في السجن، فعندما أصيب بغيبوبة، سمعوا معها طقطقة عظام الجمجمة، حتى ظنوا أنه قد فارق الحياة، على إثر جولة من جولات التعذيب التي تعرّض لها صلاح شادي، حيث شارك في تعذيبه كل من: علي صبري، وزكريا محيي الدين، وكمال رفعت، بتعليمات خاصة من جمال عبدالناصر الذي كان يشعر بقصر قامته الطويلة أمام صلاح شادي الذي رفض استمالته وكل إغراءاته العديدة».

وقال عنه المهندس مصطفى الطحان:

«لقد عاش الأستاذ الكبير صلاح شادي رحمه الله حياته كلها في ركب جماعة الإخوان المسلمين، فكراً، وشعوراً، وسلوكاً.. وعايش الدعوة من بدايتها الأولى، وكان هو الضابط الشاب المترف الثري، من أطوع التلاميذ النجباء لأستاذه الشهيد الإمام حسن البنا.. كان قبل تعرّفه على هذه الدعوة وصاحبها كأي شاب عادي.. لم يكن محافظاً على دينه بالشكل الصحيح، وإن نشأ في أسرة تفرض على أبنائها الصلاة كنوع من التقاليد الموروثة.. ظن أنه ملك الدنيا بعد أن حقق طموحه، وأصبح ضابط بوليس، وهو ما كان يرنو إليه، ولكن أحداث تلك الفترة من التاريخ القريب جعلته في حيرة.. كان يسمع من رؤسائه الضباط الكبار، الشيء الكثير عن جماعة الإخوان المسلمين، من أنهم إرهابيون، ومناهضون للحكومة، وللملك، وينبغي معاملة شبابها بحذر بالغ... إلخ

ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، فحين أمره أحد رؤسائه بالتحفظ على أحد كبار الإخوان المقبوض عليهم لتوصيله للمركز، رأى آيات الصمود والثقة بالنفس، والصدق والإيمان يتحلى بها هذا الرجل، فزاده عجباً وحباً له ولجماعته، وعندما دعاه صديقه صالح أبورقيق لحضور درس من دروس الثلاثاء للأستاذ حسن البنا، رفض في البداية قائلاً: لا أريد سماع المزيد من الأحاديث حول نواقض

الوضوء، أو فرائض الصلاة، ولكنه إزاء إصرار صديقه، ذهب وسمع الرجل يتحدث لا عن نواقض الوضوء، ولا عن فرائض الزكاة، وإنما عن جوهر الإسلام، هذا الدين الذي يحل مشاكل العصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن مشاكل النفوس التي يعانيها الشباب، وما هي إلا أيام قلائل ويبايع الضابط الشاب الإمام وتكون البداية، ويكون الصراع، خاصة وهو في مكان حساس، ويخوض رحمه الله معارك عدة ضد النظام الفاسد، وضد الإنجليز».

ويقول عنه الأستاذ عبدالله الطنطاوي:

«التقيته مرتين، كانت الثانية قبيل وفاته رحمه الله وترك اللقاءان في نفسي آثاراً عميقة لا يمحوها الزمان.. رأيت في الأستاذ العظيم صلاح شادي ما لم أره في كثير ممن عرفت من الرجال.. رأيت أخلاقاً عالية تمشي على قدمين، متجسّدة في شخصه الكريم.. رأيت التواضع، والدماثة، والحياء، والرجولة، والوعي، والإخلاص، والحركة، على كبر سنه، رحمه الله تعالى، يناقش بهدوء، ويحترم محاوره، حتى لو كان فيه شيء غير قليل من الادعاء والسّفه.. يغضّ طرفه، كما يغضّ من صوته الرخيم، وينصت ولا يقاطع محاوره أو محدّثه، ويبادر للسلام على إخوانه عندما يعلم أنهم في القاهرة، ويعرض خدماته عليهم في صدق وأريحية.

سألته، وأنا أودّعه في شيراتون المطار: هل طبع الجزء الثالث من كتاب الأستاذ محمود عبدالحليم: «الإخوان المسلمون.. أحداث صنعت التاريخ»؟

قال: نعم، وسوف آتيك بنسختي الخاصة بعد قليل.

قلت: أستغفر الله.. سوف أذهب إلى المكتبات لشراء بعض الكتب، ومنها هذا الكتاب القيّم.

قال مودّعاً: أعود إليك بعد ساعة.

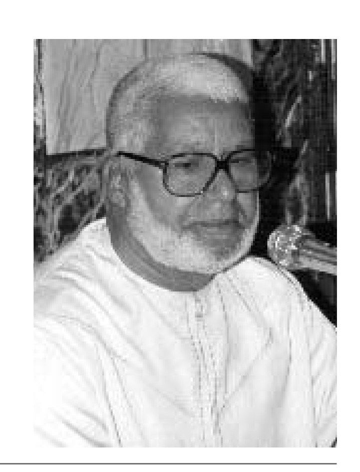
وعاد بعد ساعة في حرّ آب (أغسطس) ومعه الكتاب.

لن أنسى كلماته، ونصحه، وابتسامته الآسرة.. إنه قائد ومعلم بكل ما تعنيه هاتان الكلمتان.. وهذه الكلمات لا تفيه بعض حقه على إخوانه وأصدقائه وتلاميذه.. سيرته تحتاج إلى مجلد ضخم، فهو الرجل إن عز الرجال، وهو الرجل الذي أعطى ولم يأخذ.. فمن طبعه البذل والعطاء...».

وفاته:

توفي اللواء شرطة صلاح شادي يوم ١٢ / ٢ / ١٩٨٩م وهو اليوم الذي استشهد فيه أستاذه الإمام حسن البنا قبل أربعين عاماً بالتمام والكمال، فقد كان استشهاد البنا يوم ١٢ / ٢ / ١٩٤٩م.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. والحمد لله رب العالمين.





الحاج عباس حسن السيسي

داعية الحب في الله

(١٣٣٧ ـ ١٤٢٥هـ = ١٩١٨ ـ ٢٠٠٤م)

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عباس بن حسن السيسي يوم ٢٨ / ١١ / ١٩١٨م في مدينة رشيد بالبحيرة، وحصل على دبلوم المدارس الثانوية الصناعية، وتطوَّع بمدرسة الصناعات الحربية، بتوجيه من فضيلة المرشد العام الإمام حسن البنا، والتحق بورش سلاح الصيانة بعد التخرج.

تعرَّف على دعوة الإخوان المسلمين سنة ١٩٣٦م، وبايع الإمام البنا على الالتزام بمنهج الدعوة والجهاد في سبيل الله.

نشاطه الدعوي:

اعتقل سنة ١٩٤٨م مدة ستة أشهر، ثم في سنة ١٩٥٤م مدة عامين، وفُصل من الخدمة سنة ١٩٥٦م، ثم اعتقل مجدداً سنة ١٩٦٥م، وخرج بعد تسع سنوات عام ١٩٧٤م.

كان الأستاذ السيسي من دعاة الإخوان الأفذاذ، فقد كان يصل إلى قلوب الناس بحسن خلقه، وبشاشة وجهه، وجمال أسلوبه الدعوي، بالترفق بالناس، وإدخال السرور إلى قلوبهم، ومشاركتهم في مشكلاتهم، وتعميق العلاقة بهم، وإقامة أواصر الحب معهم، والتلطف بالصغير، والصبر على الجاهل، وتمتين الصلات الاجتماعية معهم، عن طريق التزاور، ومشاركة الناس في أفراحهم وأتراحهم.

وهو بسيط في مظهره، باسم الثغر، واسع الصدر، حليم على من يسيء إليه، ودود لإخوانه، رفيق بجيرانه وزملائه، وكان خفيف الظل، لا يُرى إلا مبتسماً، كثير الدعابة لإدخال السرور على من حوله، ولكن بأدب الإسلام، يروي القصص بأسلوب مشوق جميل، ويهدف من كل ذلك إلى استمالة قلوب المدعوين إلى دعوة الحق، ومنهج الحق، ودين الحق، صبَرَ في كل المحن التي تعرض لها.

له إسهام كبير في نشر الدعوة داخل مصر وخارجها، وله محبون وتلامذة في أكثر أنحاء العالم العربي، وفي الغرب.

والأستاذ السيسي من الرعيل الأول لجماعة الإخوان المسلمين الذين حملوا رسالة الدعوة، وثبتوا على حملها، والتصدي لكل قوى الظلم والجور التي سعت لتعطيل المسيرة، أو إيقاف القافلة.

كان يستوعب الشباب وحماسهم، ويوجه هذا الحماس لخير الأمة والدعوة، وكان يعالج تطرف أفكارهم بالحب واللين، ويقول: سنقاتل أعداءنا بالحب.

ومن طرائفه التي سمعتها منه: أنه كان يركب «الترام» مرة، فداس على قدم رجل من الركاب، فقال له الرجل: أنت حمار؟ فكان جواب الحاج عباس بمنتهى اللطف: لا أنا سيسي، فضحك الرجل، وكانت أحاديث دعوية بينهما.

ويُجمع الذين زاملوه في السجن، أو شاهدوه في حال المرض، أنه كان دائم الابتسام مع القريب والبعيد، والعدو والصديق، حتى مع السجانين الذين كانوا يعذّبونه وإخوانه في السجون، وكانوا يطلقون عليه: معلم الحب والذوق،

ويعتبرون مدرسته الدعوية، مدرسة الحب في الله، لأنه صاحب البسمة والقلب الكبير، ولأنه لا يؤمن بالعنف.

وكان له دور كبير في سبعينيات القرن الماضي، في التأثير على شباب الجامعات، في الابتعاد عن العنف ونبذه منهجاً وطريقاً في الدعوة إلى الله.

وكان له أكبر الأثر في اعتدال المزاج والسلوك الإسلامي، خاصة في مدينة الإسكندرية، فقد كان يحرص على التواصل مع الشباب، ويكثر من اللقاءات بهم، من خلال الندوات والمحاضرات، فكانت جهوده هذه فتحاً كبيراً للدعوة الإسلامية في أوساط الشباب وغيرهم.

ولقد أكرم الله الكثير من شباب الجامعات المصرية في الإسكندرية والقاهرة وغيرها، بالالتزام بهذا المنهج الوسط، والبعد عن التشدد والتزمت، والانخراط في صفوف الإخوان المسلمين، باعتبارهم الجماعة التي تلتزم بمنهج الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة، بعيداً عن التزمت أو التفلت، ومن غير إفراط ولا تفريط، ولا جمود ولا تطرف: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**﴾ [البقرة:١٤٣].

معرفتي به:

لم تُتح لي فترة الدراسة بمصر من سنة ١٩٤٩م ـ ١٩٥٤م كثرة اللقاءات مع الأستاذ عباس السيسي، فكنتُ أراه على بعد، ولكن الصلة توثّقت بيني وبينه بعد أن زارنا في الكويت، وشرَّفني بداري، وحضر الندوة الأسبوعية يوم الجمعة، وتحدّث فيها إلى الإخوة الحضور حديثاً شيقاً ممتعاً، جعلهم يتعلقون بهذا الداعية، وتنشرح صدورهم لهذا الأسلوب الدعوي الفريد، الذي يأسر القلوب، ويستثير مكامن الخير في النفوس، ويبعث فيها الحيوية للانطلاق في الدعوة إلى الله دونما تأخير، وتكررت اللقاءات معه، فلم يكن يُدعى إلى ندوة أو حديث في أسرة أو كتيبة أو رحلة، إلا استجاب لها، في أي منطقة في الكويت، ومع أي مجموعة.

وترتب على هذا، بفضل الله، دخول مجموعات كبيرة من الشباب والكبار من الكويتيين أو المقيمين على حد سواء في دعوة الإخوان، وكانت تلك النشاطات المباركة من الأشياء التي ما زال يذكرها شباب الإخوان في الكويت، ويدعون لأستاذنا الحاج عباس السيسي بالمغفرة والرحمة والرضوان عند الملك الديَّان.

وحين استقر به المقام في ألمانيا، كنتُ أزوره كثيراً مع إخواني من سائر الأقطار العربية والإسلامية في كل عام تقريباً، لنتدارس أوضاع المسلمين ومشكلاتهم، وهموم الدعوة الإسلامية في أنحاء العالم، ونبحث في الوسائل الناجعة لتحقيق أهداف الإسلام، والارتقاء بمستوى المسلمين، وكسب المزيد من الشباب إلى الصف الإسلامي والإعداد التربوي للدعاة، والتحرك على المستوى الفردي والجماعي لتكثير سواد العاملين للإسلام، ودعم صمودهم، والارتقاء بوسائل الدعوة لتناسب العصر والقطر، مع الحفاظ على الثوابت والأصول، وآخر زياراتي له بألمانيا كانت بصحبة أم مصطفى حين زارت أختها أم معاذ سنة ١٩٨٥م.

وبعد عودته إلى مصر، زرته أكثر من مرة في الإسكندرية ورشيد، وتناولت في بيته الطعام المتعارف عليه عندهم، وكان من الأسماك بأنواعها وبمختلف أنواع طبخها.

وزرتُ مكتبة القبس التي أنشأها، وسافرت معه إلى القاهرة لحضور لقاءات الإخوان ومكتب الإرشاد.

كما سعدت به في زيارته لنا بمكة المكرمة، ثم شاء الله أن يبتليه بالمرض الذي أقعده في الدار بالإسكندرية، فكنت أهاتفه بين فترة وأخرى للاطمئنان على صحته، ولإبلاغه سلام إخوانه خارج مصر، وكان كلانا يسرّ بسماع صوت أخيه ولو عبر الهاتف، ونحمد الله على نعمة الأخوة في الله التي جمعت بيننا على غير أرحام ولا أنساب ولا مطامع أو مصالح، بل أخوة في الله، لإعلاء كلمة الله، نبتغي بها وجه الله، ونرجو بها رحمته، ونسأله جنته.

من أقواله:

«الدعوة إلى الله فن، والصبر عليها جهاد.

والدعوة إلى الله حب، والحياة في سبيل الله أشق من الموت في سبيل الله ألف مرة.

إن الجهاد بالحب في الله، هو الفرصة المتاحة، والسياسة المباحة، التي لا تعوقها حدود ولا يصادرها قانون، لأنها نبض وهواتف ومشاعر وأحاسيس.. والحب في الله هو السبيل الذي ليس له نظير ولا مثيل.

الإسلام ذوق، والإسلام لطائف، والإسلام أحاسيس ومشاعر، هذا الدين يتعامل مع النفس البشرية، يتعامل مع القلوب والأرواح.

هذا الدين لم يبدأ باستعمال العضلات، ولا خشونة الكلمات، ولا بالتصدي والتحدي، ولكن بالكلمة الطيبة، والنظرة الحانية، قال تعالى: ﴿**وقولوا للناس حسناً**﴾ [البقرة:٨٣].

لما كانت رسالة الإسلام موجهة إلى عامة الناس على الأرض، كان من الضروري أن يتصدر لهذا المجتمع الواسع دعاة على مستوى من العلم والقدرة والقدوة، والدراية بأسرار النفس البشرية، يتحلون بالصبر، وانشراح الصدر، والفراسة، والبصيرة: ﴿**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين**﴾ [يوسف: ١٠٨]، ولا بد من استنهاض إمكانات الحواس الربانية في جذب القلوب، وتآلف الأرواح والمعايشة في رحاب حركة الدعوة ومجالاتها الواسعة، وهذا يكون بالكلمة الطيبة، والدعوة بالحسنى، والجدل ـ إن اقتضى الأمر ـ بالتي هي أحسن، والقدوة الصالحة، ذلك أن طهارة الهدف تستلزم في عرفنا طهارة الأسلوب في تحقيقها، ونبل الغاية يقتضي نبل الوسيلة حتماً، فالدعوة تقتضي فهماً دقيقاً لكل مراحلها، وأهدافها، وما تريد في المستقبل، وما طريقها في تحقيق أهدافها.

لقد ظلت العبادات عند كثير من المسلمين محصورة في شكل دون روح،

فالمسلم يؤدي عبادته، ويتقوقع في ذاته وخصوصيته، دون الاهتمام بأن الإسلام رسالة ودعوة، وبهذا انكمش دور المسلم الاجتماعي والحركي، فلم يمتد إلى جميع قطاعات المجتمع ، لينقله ويصبغه بصبغة الإسلام حقيقة وعملاً، مشاعر وشعائر، لبناء الأمة الإسلامية، وتحقيق الآمال».

وقد وفقه الله إلى إصدار العديد من الكتب والرسائل التي تؤرخ للدعوة، وتتحدث عن أحداثها وشخصية قائدها الإمام الشهيد حسن البنا، ووسائل التربية والدعوة إلى الله، وكيفية مخاطبة القلوب، ودعوة الناس إلى الخير، وقد أسس «دار القبس» للنشر بمدينة الإسكندرية.

من أهم مؤلفاته:

رشيد المدينة الباسلة.
من المذبحة إلى ساحة الدعوة.
الدعوة إلى الله حب.
حسن البنا: مواقف في الدعوة والتربية.
الطريق إلى القلوب.
جمال عبدالناصر وحادثة المنشية.
في قافلة الإخوان المسلمين.
حكايات الإخوان.
الحب في الله.
دعوة الإخوان حب.
الذوق سلوك الروح.

وبالإضافة إلى هذه المؤلفات، كانت له اهتمامات بتسجيل تاريخ الجماعة عن طريق إجراء الحوارات والمقابلات مع الإخوان القدامى، بالصوت والصورة في دار القبس بالإسكندرية، ونرجو إخواننا في الإسكندرية وأبناء الفقيد أن يحرصوا

على أن تخرج هذه المقابلات المسجلة، ليستفيد منها جمهور الإخوان الدعاة في كل مكان، فهي علم ينتفع به.

قالوا عنه:

يقول فضيلة المرشد العام للإخوان المسلمين الأستاذ محمد مهدي عاكف:

«إن الجماعة فقدت برحيل الأستاذ عباس السيسي واحداً من القلوب التي كانت تنبض بحب الدعوة، وتحيا لها، مسخرة كل طاقاتها لله عز وجل.

عزاؤنا أن الله اختاره إلى جواره في أيام الشهر الكريم شهر رمضان المبارك، واختصَّه بيوم عيد للمسلمين هو يوم الجمعة، ولئن كان قد رحل عن دنيانا، فإن سيرته تحيا ما بقيت دعوة الله، وتنبض حياته في قلب كل قارئ لكتبه التي أثرت مكتبة الدعوة، فاللهم تقبّله في الصالحين، وأنزله منازل الشهداء والصديقين، وأكرم ضيافته يا أكرم الأكرمين».

ويقول د. محمد حبيب النائب الأول للمرشد العام:

«لقد غاب عنا الحاج عباس السيسي بجسده، ولكنه لم يغب عنا بروحه وخفة ظله، فقد ألف الكثير من الكتابات، ومنها: «الذوق سلوك الروح» فكان رحمه الله روحاً متألقة.

طلبتُ منه مرة أن يصف لنا الأستاذ الإمام حسن البنا بكلمة واحدة، فقال: أقول كلمة قالها الكاتب الصحفي أحمد بهجت، واصفاً الإمام الشهيد: «إنه الرجل المتوهج».

ومن وهج الإمام البنا، استمد الحاج عباس السيسي تألقه وتوهجه، وما أحوجنا إلى هذا الصنف الفذ من الرجال الذي لم تفارقه البسمة أبداً حتى في أوقات الشدة، فكان رحمه الله يحن علينا، ويضعنا تحت جناحيه، ويملؤنا بعطفه، رغم ما عاناه في السجون والمحن التي لم تزده إلا صلابة وقوة وعمقاً ورسوخاً،

ثم جاءه المرض في هذا السن، فصبر صبراً جميلاً، ما وهن وما فتر، وكان حزنه الشديد وألمه أنه لا يستطيع الحركة حتى يطل بنظراته على الإخوان المسلمين.

لقد كان نقطة مضيئة في دعوة الإخوان المسلمين، وهب حياته للإخوان ولدعوة الإخوان، وكان كريماً معها».

ويقول المهندس خيرت الشاطر النائب الثاني للمرشد العام:

«ودعنا رجلاً من رجالات دعوة الإخوان المسلمين البارزين، الذي كان وسيظل معلماً بارزاً في مسيرة دعوتنا، حيث كان له دور متميز في داخل هذه الدعوة المباركة، سواء في مرحلة التأسيس، وحتى مطلع الخمسينيات، أو في مرحلة المحن والسجون من الخمسينيات وحتى مطلع السبعينيات، ثم في مرحلة استئناف وإعادة التأسيس منذ السبعينيات وحتى مرضه في السنوات الأخيرة، وليس فقط على مستوى الإسكندرية، ولا على مستوى مصر بأسرها، بل على مستوى العالم العربي والعالم كله، ولقد ترك آثاراً واضحة وبصمات في كل مكان ذهب إليه وارتبط اسمه بالحب والبشر».

ويقول الأستاذ جمعة أمين عبدالعزيز:

«ننعى اليوم رجلاً من رجالات الدعوة، ربى رجالاً عدة، ولو أردنا أن نكتب تاريخه، ما وسعنا سفر من الأسفار، عشنا معه عمراً، فلم نر فيه حقيقة إلا قول الله عز وجل:

﴿**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً**﴾ [الأحزاب:٢٣]. فكان نعم الرجل، ونعم المربي، ونعم المجاهد، تعرفه مجالس الإخوان في مصر، ويعرفه من عاش معه في أوروبا وأمريكا، ويشهد له رجال وشباب قابلهم من كل بقاع الدنيا، وله بصمة في نفوسهم.

لقد رحل عنَّا أخ حبيب، ومعلم وأستاذ، عشت معه، وكنا معاً كما قال ربنا: ﴿**أشدد به أزري * وأشركه في أمري**﴾ [طه: ٣١، ٣٢]، فكان نعم الرجل والأستاذ

والمربي، إنه رجل لا يموت، لأن تاريخه باق فينا وأثره. لقد صُبَّ عليه البلاء صباً، وأصابه المرض فترة طويلة، ولكنه كان نعم الرجل الصابر المحتسب، كنا نزوره في مرضه، فنجد لسانه قد أثقل عليه في الكلام، ولكنه بمجرد لقاء إخوانه وجلوسهم معه فترة، نجد لسانه وقد انطلق لمجرد رؤيته لإخوانه، كان يفيض حباً، وكان بمثابة الماء الذي يروي نبت الدعوة وزرعها، لقد كان كتاباً صفحاته مضيئة.. علمنا فيها أن الدعوة حب، وعلمنا أنه لا عنف في دعوتنا، كتبها في كتبه، وبثَّها إلينا، وربَّانا عليها، وعلقها في بيته ليراها كل زائر، لقد ترك لبنات ولبنات يشتد بها البناء ويعلو بإذن الله.

لا نملك إلا أن نرفع أكف الضراعة إلى الله في هذه المصيبة، كما وصفها الله تعالى، مصيبة الموت، مؤكدين ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ وإن كان غاب عنَّا الأستاذ عباس السيسي، فقد ترك خلفه تلاميذ ملء السمع والبصر، نسأل الله أن يتقبله في الصالحين، وأن يثبتنا على الحق ويلحقنا به على خير».

ويقول عنه الشيخ سعيد حوَّى:

«الأخ عباس السيسي ممن عايش الأستاذ البنا، ونهل من معينه العذب، فتجسدت فيه معاني هذه الدعوة في صفاء ورواء، ومن أعلى ما تجسد فيه: خُلق الإخاء، فهو صافي المودة، كثير العطاء، حيثما توجه نشر من عبير روحه الحب، فلا يكاد يجتمع مع أخ حتى يشعل في قلبه نور الإخاء في الله حاراً متوقداً منيراً، لأنه هو كذلك، فتراه يغرف منه الصغير، ويرتشف منه الكبير، وهو بطبيعته شفاف النفس، حسّاس الوجدان، مع تأمل عميق، وفراسة صادقة، وفطرة صافية، وقدرة كبيرة على أن يحيط الكبار والصغار بعطفه، وأن يتجاوز عن الأخطاء، ويغضّ الطرف عن الزلات، ويتحمّل في الله المصيبات، مما جعل الكثيرين من شبابنا يتعلقون به بمجرد أن يعرفوه، لأنهم يجدون عنده حباً بلا مصلحة، وأبوّة بلا مطالب شخصية، وأخوة تتقارب في أجوائها فوارق السن والقدر، بسبب من تواضع لا يعرف إلا الحدود الشرعية».

وفاته:

توفي يوم الثامن من شهر رمضان سنة ١٤٢٥هـ الموافق ٢٢ / ١٠ / ٢٠٠٤م، بعد مرض طويل، ولكنه كان الصابر المحتسب حتى لقي ربه وقد صُلِّي عليه في «مسجد الحق» بمدينة رشيد عقب صلاة العصر، وحضر تشييع الجنازة أكثر من خمسة وعشرين ألفاً، في مقدمتهم المرشد العام محمد مهدي عاكف الذي أمّ المصلين في صلاة الجنازة، ودُفن في مقابر مدينة رشيد.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الأخ الداعية عبدالبديع صقر (أبو إبراهيم)

(١٣٣٤ ـ ١٤٠٧هـ = ١٩١٥ ـ ١٩٨٦م)

مولده ونشأته:

وُلد سنة (١٣٣٤هـ ـ ١٩١٥م) في بلدة (كفر صقر) التابعة لمركز (أبو كبير) في محافظة الشرقية بمصر ونشأ في قرية (بني عياض) من عائلة عربية معروفة، وكان متأثراً بوالده ورجال قريته من الفلاحين الذين عركتهم التجارب.

ثم انتقل إلى القاهرة والتحق بكلية الآداب وكان يقول: إنه لم يستفد منها سوى ورقة الشهادة الرسمية. وقد استفاد من كتب السيد محمد رشيد رضا والأستاذ محب الدين الخطيب، إضافة إلى التزامه الإمام الشهيد حسن البنا الذي عمل معه مدّة طويلة في المركز العام للإخوان المسلمين وكان قريباً منه.

لقائي به:

وكان من أوائل من التقيت بهم في مصر أواخر عام ١٩٤٩م، فقد اجتمعت معه

في منزل أحد الإخوان، وحين حان وقت الصلاة، قدموه للإمامة، ولفت نظره وجود صورة على الحائط، فما كان منه - رحمه الله - إلا أن سترها، ثم أدينا الصلاة، فأدركت من وقتها أن الأستاذ عبد البديع صقر ذو نزعة سلفية، يحرص على الالتزام بما صح عن رسول الله ﷺ، وما سار عليه السلف الصالح.

ثم تكررت لقاءاتي به في مصر طيلة فترة دراستي الجامعية، وتجددت بعدها في أماكن، وأقطار عدّة، كالكويت والإمارات وقطر ولبنان والسعودية، واستمعت إليه متحدثاً في اجتماعات كثيرة مصغرة وأخرى موسعة، وقرأت كتابه القيّم (كيف ندعو الناس؟) الذي أَلَّفه سنة ١٩٤٠م وأهداني نسخة منه بخط يده ذيلها بتوقيعه وكتب التاريخ الهجري والنصراني «بدل الميلادي».

مواقفه وخدماته:

ولقد سمعت من كثير من الإخوان المسلمين عن مواقفه الكريمة مع إخوانه المعتقلين في معتقل الطور سنة ١٩٤٨م، حيث كان يتولى حلاقة رؤوسهم والقيام بخدمة كبار السن والمرضى، بل يقوم بالكثير من مهمات التنظيف التي يأنف منها البعض، وهذا لفرط تواضعه وحرصه على الأجر والثواب.

من الرعيل الأول:

والأستاذ عبد البديع صقر من الرعيل الأول الذي التحق بالإخوان المسلمين عام ١٩٣٦م وتربى على يد الإمام الشهيد حسن البنا، وعمل معاوناً لدار الإخوان المسلمين في القاهرة، وهو شديد التواضع تغلب عليه النشأة الريفية التي لم تفارقه طيلة حياته، فهو لا يحب التكلف لا بالقول ولا بالعمل، وميَّال إلى الصراحة والنصح بكلمة الحق دونما تهيب أو وجل، كل ذلك بأدب الإسلام وبالأسلوب الحكيم وضوابط التوجيه الإسلامي في بذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان - رحمه الله - داعية موفقاً يحسن التودد إلى المدعو ويحاول

بأسلوبه الحكيم وعباراته الرقيقة وطريقته المقنعة الوصول إلى قلب من يحدثه وعقله، ويورد أثناء الحوار معه بعض النكات والطرائف التي تزيل الوحشة، ويتدرج معه حتى يأخذ بمجامع مسامعه ويشده إليه فيتقبل المنصوح نصيحته وتوجيهه ويشاركه هموم المسلمين ويبدي استعداده للسير معه في طريق الدعوة إلى الله لإنقاذ الأمة الإسلامية مما هي فيه من حالة الضياع والشتات والانحطاط والتردي.

التحاقه بالإخوان المسلمين:

يصف التحاقه بالإخوان المسلمين فيقول:

«حين دخلتُ دار الإخوان المسلمين بميدان العتبة بالقاهرة سنة (١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٦م)، وجدتُ الإمام البنا يخطب في الحاضرين فيقول: لقد نجح المستعمرون في تثبيت الفصل بين الدين والدنيا، وهو أمر إذا صح في دينهم فلا يصح في ديننا فلماذا يكون رجل الدين بعيداً عن السياسة، ورجل السياسة بعيداً عن الدين؟! ثم ما هي السياسة؟ أليست هي التعليم والتربية وتوزيع الأرزاق وتوفير الأمن والعدل للأمة في الداخل والخارج؟ وإذا كانت الوزارات تمثل السياسة فقد نجد اختصاص ست وزارات داخلاً في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الله يَأْمُر بِالْعَدل وَالإِحْسَانِ وَإِيتاءِ ذِي القُربى وينْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمَنْكَر وَالبَغْي**﴾ [النحل:٩٠]». انتهى.

ومن وقتها توثّقت صلة الأستاذ عبد البديع صقر بالإخوان المسلمين وصار من دعاتهم البارزين وعضواً من أعضاء الهيئة التأسيسية وقد صاحب الإمام البنا ولازمه مدة اثني عشر عاماً.

رواياته عن الإمام البنا:

يروي الأستاذ عبد البديع صقر عن مواقف حصلت مع الإمام الشهيد حسن

البنا فيقول: «..سألناه يوماً: لماذا لا توجد لك مؤلفات كبيرة؟ فقال: أنا مشغول بتأليف الرجال.. ثم هم يؤلفون الكتب.

إنه لا يستطيع أحد ممن عاشروا الأستاذ البنا أو اتصلوا به؛ أن يذكر أنه كذب في قول أو خان أمانة أو نقض عهداً طيلة حياته.

والأهم من ذلك، هو صدقه مع نفسه، ومع ربه عزّ وجلّ، فعندما شرع في بناء مسجد للإخوان ودار للشعبة والمؤسسات التابعة لها في الإسماعيلية، كتب على نفسه كل الدّيون المستحقة للمقاولين. وعندما عزم الإخوان على شراء القصر الذي بالحلمية ليكون المركز العام للإخوان المسلمين؛ كتب على نفسه كل الدّيون.

وكنت معه ذات مساء، وكان متوجهاً لمقابلة عبد الرحمن عزام (أمين عام جامعة الدول العربية) فقلت له: إن عباءتك البيضاء فيها بقعة. فقال: بقعة خير من رقعة، لقد كان في ثياب مشايخنا ومن هم خير منا أكثر من رقعة.

لقد استطاع الأستاذ البنا ـ مع شدة الأحداث أيام حرب فلسطين ـ أن ينقل استعداد أعضاء الجماعة للتضحية من القروش العشرة والعشرين إلى (خمس الإيراد) فقدّم للهيئة التأسيسية مشروع (سهم الدعوة) وبدأ بنفسه رحمه الله ثم تتابع الإخوان.

قال له أحد الإخوان: نريد أن تعلّمنا الخطابة وفنون الدعوة. فأجاب: سيروا في القرى وطرقات الأرياف، مرة في اليابس ومرة في الطين، وخالطوا هذا الشعب المؤمن؛ وعندها يفتح الله عليكم وهو الفتاح العليم.

وجاء مرة مؤلف يطلب منه أن يكتب تقريظاً لكتاب أسماه (لماذا أنا مسلم؟) وكان الأستاذ البنا يعرف المؤلف شخصياً فسأله: قل يا فلان هل تقيم الصلاة؟ قال: بصراحة لا.. قال الأستاذ البنا: إذن لماذا أنت مسلم؟. أعفني من هذا الأمر.

وما زال المؤلف يُلحُّ عليه، حتى كتب مقدمة للكتاب ليست فيها إشارة للكتاب ولا للمؤلف إنما كانت المقدمة عن جمال الإسلام وتعاليمه.

دُعيَ مرة إلى حفل عزاء أُقيم لوالد أحد الإخوان ـ وقيل له إن المتوفى كان سكّيراً ولا يصلي ولا يصوم ـ فتحرّج الأستاذ البنا عن إطرائه وتأبينه فكان مما قاله: كان المتوفى ـ رحمه الله ـ لا يجاهر بمعصية الله، وكان إذا خوّف من الله خاف.

ومرة سأل الإمام البنا أحد الإخوة عن اسمه فقال: عبد الرسول.

فقال الإمام البنا: سمّ نفسك عبد الصبور؛ فليس للرسول عباد.

كان أحمد حسنين باشا رئيساً للكشافة المصرية وقد حضر استعراضاً لكشافة الإخوان المسلمين فلاحظ وجود تشكيلة من الشباب والعجائز وذوي اللحى، وكان جمعاً كثيفاً، يتقدّمهم حملة المصاحف الكبيرة. فقال حسنين للمرشد البنا: كيف جمعتم هؤلاء من أقصى البلاد؟. إننا في الكشافة المصرية نقدّم لهم كل التسهيلات والملابس والنفقات، ولا يجتمعون علينا إلاّ بشقّ الأنفس.. فماذا فعلت مع هؤلاء؟ فضحك الإمام البنا وقال: شيء يسير جداً.. قلنا لهم: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فجاؤوا وعلى نفقتهم الخاصة». انتهى.

نشاطه في الخليج:

إن الداعية عبد البديع صقر عَلَم من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة شاع



ذكره في العالم العربي والإسلامي، وأحبه كل من عرفه، لصفائه ونقائه وصدقه ووضوحه وإخلاصه وعمله وجهاده وتضحيته، وكانت آثاره واضحة جلية في منطقة الخليج بعامة وفي قطر بخاصة منذ قدم إليها من مصر عام (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م).

يقول عنه الأستاذ حيدر قفة في كتابه القيّم (وفقيد آخر):

«كان الأستاذ عبد البديع صقر إذا نزل (دبي) أقام في قصر حاكم قطر (السابق) وأردت دعوته إلى بيتي للمبيت في ضيافتي ليلة واحدة، وكنت متخوفاً من رفضه لكثرة مشاغله وكثرة المحبين الراغبين في استضافته، ولكنه لبى دعوتي ووافق على أن يترك غرفته في القصر المنيف ذي الأثاث والرياش لينام عندي في بيتي المتواضع في (عجمان)، ولما أصبح الصباح ذهبت لأطرق عليه باب الغرفة التي ينام فيها، وإذا به قد استيقظ قبل الفجر يتهجد ويقرأ القرآن، ولما صلينا الفجر وبعدها تناولنا طعام الإفطار ذهب ليغسل يديه ويجدد وضوءه، ولما فرغ أخذ يغسل حوض المغسلة، فقلت له: يرحمك الله دعها، فقال: تعودت بعد الفراغ من الوضوء أن أغسل حوض المغسلة لتبقى نظيفة دائماً» انتهى.

لقد عمل الأستاذ عبد البديع صقر فترة طويلة في قطر والإمارات، فكان مديراً للمعارف بقطر، ثم مديراً لدار الكتب القطرية، ثم مستشاراً ثقافياً لحاكم قطر، وقد بذل قصارى جهده لنشر التراث الإسلامي وأمهات الكتب الفقهية وغيرها، وكان يشير على حاكم قطر السابق علي بن عبدالله آل ثاني، ثم من بعده ابنه أحمد ابن علي آل ثاني، بطباعة تلك الكتب القيّمة التي عزّ وجودها بين أيدي الناس فيستجيب الحاكم لطباعتها على نفقته حسبة لله تعالى.

احترام أمراء الخليج له:

وكان معظم أمراء الخليج يجلّون الأستاذ عبد البديع صقر ويقدرونه ويحترمونه، فضلاً عن محبة العامة وجماهير الناس له، لحسن خلقه وتواضعه

وخدماته الكثيرة، وقد عرفوه متحدثاً ومحاضراً وخطيباً وواعظاً وكاتباً ومفكراً ومصلحاً وداعية، ومن أجمل صفاته أنه يحب التعارف مع المسلمين وإن لم يكن له سابق معرفة بهم، كان يقدِّم نفسه لهم ويتعرف إليهم لأن أساس دعوة الإخوان المسلمين هو الحب والتعارف، كما ذكر ذلك الإمام الشهيد حسن البنا في رسائله.

أذكر أنني حين كنت في الكويت دُعيت إلى الإمارات لإلقاء محاضرة في جمعية الإصلاح في (دبي) وعقب المحاضرة أمطرني الجمهور بسيل من الأسئلة الكثيرة قاربت مدتها مدة المحاضرة، وحين توقفت عند أحد الأسئلة بادر ـ رحمه الله ـ بالجواب عني.

يذكر بعض العارفين لأحواله أنه حين كان مديراً للمعارف في قطر، كان يشرح على طلب الإجازة للوفاة بعبارة: «مع الموافقة على منحه ثلاثة أيام وعظم الله أجره وأحسن عزاءه وغفر لميته» ويشرح على طلب الإجازة للزواج «مع الموافقة بارك الله في عروسه وبارك لها فيه وجمع بينهما في خير».

ويُروى عنه ـ رحمه الله ـ أن أحد ضباط المباحث الذين منّ الله عليهم بالهداية قال للإخوان: «كنا نرسل بعض المخبرين للتجسس على الإخوان، إلا أننا لا نلبث حتى نفقد الثقة فيمن نرسلهم لإحساسنا بتحولهم وتبدلهم لاحتكاكهم بالإخوان المسلمين حتى تعبنا وأعيانا الأمر، فاخترنا رجلاً شريراً وقلنا هذا سهم نضرب به الإخوان يستعصي على الكسر، ومضت الأيام وبعد أسبوع واحد فقط، وإذا بهذا المخبر يدخل مكتبي وطلب نقله من عند الإخوان قائلاً: «ودُّوني عند الشيوعيين، عند اليهود، عند الكفرة، أما أولاد... «دول لأ» فعجبت من أمره وسألته: لماذا؟ قال: «كل ليلة يقومون ويصلون، وشيخهم يقرأ القرآن لهم، الركعة تجي ساعة، معدتش قادر أصلب طولي» انتهى.

ونشر الصحفي الروائي إحسان عبد القدوس في مجلة روزاليوسف يقول: «لو عطس حسن البنا في أسوان، لقال له الإخوان في الإسكندرية: يرحمك الله».

وفاءً للزملاء:

إن الأستاذ عبد البديع صقر من الأوفياء لإخوانه، البار بزملائه، وكان يتفقدهم ويتعهدهم بالزيارة والسؤال عنهم أو مراسلتهم مهما شتَّتْ بهم الأقطار، ومن هؤلاء الدكتور سعيد رمضان ـ رحمه الله ـ زوج ابنة الشهيد حسن البنا الذي يقيم في جنيف مُطارداً من طاغوت مصر الذي أسقط عنه الجنسية وحكم عليه بالإعدام غيابيّاً، فكان الأستاذ عبد البديع صقر يتعهده بالزيارة والسؤال عنه.

قالوا عنه:

يروي الأستاذ حيدر قفة عن بساطة عبد البديع صقر وعدم تكلفه أن الأستاذ زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي بدمشق وبيروت دخل مرة على عبد البديع في منزله في الدوحة بعد العشاء، وبعد إلقاء السلام على الحاضرين بالمجلس قال: يا أبا إبراهيم أقرضني مئة ريال فقد خلا الجيب، فما قام عبد البديع من مكانه ولكنه قال لزهير ببساطته المتناهية: الدرج بجوارك خذ ما تشاء، فأخذها زهير وخرج دون أن يجلس.

يقول الشيخ معوض عوض إبراهيم: «قضاء الله ـ ولا راد لقضائه ـ أن يلحق بركب الشهداء الأستاذ عبد البديع صقر، وهو في طريقه إلى بيته بعد محاضرة أدى فيها واجب الدعوة التي كانت أحب الأعمال إليه؛ والفقيد الكريم عاش لدينه، وفياً أصدق الوفاء للدعوة التي خالطت بشاشة قلبه، ومنحها كل نشاطه في مجال التربية والتعليم وفي مجالات الترغيب بالإسلام والدعوة إليه؛ حتى اضطرته الظروف أن يهاجر كمن هاجر من إخوانه إلى مواقع أملاً أن يؤدوا فيها الواجب، ويكسبوا فيها للحق أنصاراً أبراراً وإخواناً أعواناً ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم. ووجد الأستاذ عبد البديع صقر رحمه الله في قطر مناخاً صالحاً وترددت أصداء جهوده وجهاده في منطقة الخليج.

ولا زلت أذكر يوماً من أيام بعثتي في لبنان ١٩٥٦ ـ ١٩٦٢م حين لقيني الأستاذ

عبدالله المشنوق صاحب جريدة (بيروت المساء) وأخبرني بأن الأستاذ عبدالبديع صقر في لبنان وهو عاكف على تسجيل القرآن المرتل. ومرّت أعوام عدت بعدها من لبنان إلى مصر، وشاء الله أن أكتب من خلال بعثتي في الأردن ١٩٦٥ ـ ١٩٦٩م إلى الأستاذ عبد البديع بقطر وجاءني جوابه ذاكراً نهاية الشهيد سيّد قطب وكانت كلماته تقطر أسى ولوعة على الفقيد الكبير. فكتبت إليه: إن الفقيد سيّد قطب قد اختار الله له هذه النهاية، وأية نهاية تعدل درجة الشهادة؟ أو أيّ شرف يمكن أن يوضع في كفة ميزان أمام شرف استشهاد في سبيل الله؟!» انتهى.

وكتب الأستاذ زهير الشاويش في مجلة (المجتمع الكويتية) عدد ديسمبر ١٩٨٧م بعد وفاة عبد البديع صقر يقول: «أرى لزاماً عليَّ أن أؤدّي الشهادة فيما تيقنته عنه بعد خبرة وتجربة، فقد عرفت في الأخ عبد البديع نزاهة اليد والتعفف عن جر المنفعة لنفسه أو أخذ قرش مما كان يوكل إليه إنفاقه على طبع الكتب، بل زهد في أموال الأغنياء فعوضه الله عن ذلك بالحلال الطيب، وأشهد أنه طالما أنفق من ماله الخاص ـ على قلّته ـ كلما رأى حاجة للإنفاق في موطن شحت عن البذل فيه أيدي الأغنياء» انتهى.

هذا هو الداعية عبد البديع صقر، وتلك بعض صفاته وأخلاقه وسيرته وأعماله وأقوال الناس العارفين عنه، وهذا هو النموذج المتكرر لثمار التربية في مدرسة الإمام حسن البنا، التي اضطلعت بمسؤولية الدعوة إلى الله عزّ وجلّ في هذا العصر، على هدى وبصيرة من الله، لأن مرضاته غايتها، وسنَّة رسوله ﷺ قدوتها، وكتابه منهجها، والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله أسمى أمانيها، والجنة غاية مبتغاها.

لقد كانت السنوات العشر من حركة الإخوان المسلمين التي بدأت في (ذي القعدة ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م) في مدينة الإسماعيلية، ثم انتقلت بعد أربع سنوات إلى القاهرة، هي سنوات التأسيس، وإن السنوات العشر التالية كانت سنوات

الانتشار في مصر والعالمين العربي والإسلامي، ثم أعقب ذلك سنوات الابتلاء والمحن والصبر على ظلم الطواغيت المتعاقبين والفراعنة الصغار تلامذة الشرق والغرب وعبيد اليهود والصليبيين.

يقول د. **علي عبد الحليم محمود** في كتابه القيم (وسائل التربية عند الإخوان المسلمين): «لقد كانت الفترة من ١٩٤٨م وإلى الآن فترة إصرار الإخوان المسلمين على مواصلة العمل في الداخل، على الرغم من الحظر والتحدي السافر، وفترة مد للدعوة وانتشار لها في الخارج، وتوريث لمبادئها عبر الأجيال هنا وهناك، وإن النشاط التربوي للإخوان المسلمين لم يتوقف على الرغم مما لاقت الحركة من الحظر والتحدي، ولا غرو فإن التربية الإخوانية أشبه ما تكون بقطرة الماء التي تسيل أبداً من منبعها، فهي لا بد ملاقية أرضاً صالحة ومنبتة نباتاً صالحاً، على الرغم من كل العقبات والعراقيل، وماذا يمنع القطرة ـ في هدوئها واستمرارها وإصرارها على أن تغادر منبعها ـ من أن تمضي في طريقها وتجرف بنفس الهدوء والإصرار والثبات أعتى العقبات وأشد الحواجز؟.

إن التربية الإخوانية تنبع من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وتستعين بسير الصحابة والتابعين، وتستهدي بالقدوة المعصوم، وسير المجددين من أئمة الهدى على مر التاريخ الإسلامي كله، وتتخذ من أولئك الرجال الذين بايعوا على العمل للإسلام في ظل أركان البيعة المحفوظة لديهم، المحفورة في نفوسهم وسلوكهم: فهماً وإخلاصاً وعملاً وتضحية وجهاداً وطاعة وثباتاً وتجرداً وأخوة وثقة.

تتخذ من أولئك الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى في هذه الدعوة نحبه، ومنهم من لا يزال فيها ينتظر وما بدلوا تبديلاً» انتهى.

وكتب الأخ الفاضل عبدالله العلي المطوع في مجلة (المجتمع الكويتية)

بتاريخ ١١ / ٣ / ١٤١٦هـ ـ الموافق ٨ / ٨ / ١٩٩٥م: «عرفت الإخوان المسلمين عن قرب والتقيت بقيادتهم وعلى رأسهم الإمام المؤسس لدعوتهم الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ فعرفتهم جماعة إسلامية أصيلة مخلصة داعية بنشاط إلى التوحيد وإلى العقيدة الصحيحة والشريعة السليمة على منهج أهل السُّنَّة والجماعة، كما عرفتهم أهل جهاد صادق لرفعة كلمة «لا إله إلا الله» يتميزون بالحكمة ويحرصون على السنة وينبذون البدعة والضلالة، معتدلين متوازنين، فلا تفريط ولا إفراط، وهذا دأبهم في كل أمر» انتهى.

وفي تقديمه لكتاب (كيف ندعو الناس؟) لعبد البديع صقر كتب الإمام الشهيد حسن البنا يقول: «كنت وضعتُ ملاحظات للإخوة وعزمت على العودة إليها لتكميلها ونشرها، وقد طالعت هذه الرسالة للأخ عبد البديع صقر، فرأيت فيها ما كفى وأغنى، فسررت وفرحت وسألت الله له دوام التوفيق وأن يحسن عن الدعوة مثوبته، وأوصي الإخوة بدراسة هذه الملاحظة الحية المشرقة بنور إيمان كاتبها دراسة عميقة مثمرة وأن يأخذوا بها ويسيروا على ضوئها» انتهى.

ويقول الشيخ محمد بن علي المحمود: «بدأ الشيخ محب الدين الخطيب صاحب الفتح البحث عن مدير لمعارف قطر. وقد اتصل أولاً بوكيل الحكومة السعودية في القاهرة الذي كان يتعاقد مع المدرسين للسعودية.

ولما تشاوروا وقع نظرهما على الأستاذ عبد البديع صقر وما إن تم الاختيار حتى بعثا به إلى قطر وبيده رسالة من محب الدين الخطيب إلى الشيخ جاسم الدرويش يقول فيها: إن هذا الأستاذ (يعني عبد البديع صقر) رجل فاضل ومُربّ، وهو الذي يصلح لقطر ونفضله على غيره.

ووصل عبد البديع صقر إلى قطر واستلم الإدارة في المدرسة الابتدائية على أن يتولى بعد ذلك وظيفة مدير التربية والتعليم بقطر ويسعى إلى فتح المدارس في القرى وينظمها تنظيماً حديثاً. وفعلاً قام عبد البديع صقر بنشاط كبير وبذل ما

في وسعه وجال في سيارته من قرية إلى قرية ومن بر إلى بر، وبدأ بافتتاح المدارس ثم أحضر إلى قطر رجلين من أكفأ أهل العلم والأدب وهما د. عز الدين إبراهيم والأستاذ كمال ناجي، وتوالت الدفعات بعد ذلك حيث كثر عدد المدرسين من مصر وفلسطين» انتهى.

وهكذا وفق الله عز وجل الأستاذ عبد البديع صقر لينهض بدوره الرائد في مجال التربية والتعليم، حيث ببركة جهوده انتشرت المدارس في قطر، وشاعت الثقافة وتطورت بشكل ملحوظ بجهوده وجهود إخوانه الذين اختارهم لهذه المهمة وقاموا بها خير قيام.

كتب ورسائل:

والأستاذ عبد البديع صقر له كتب ورسائل أخرى منها: الأخلاق للبنات، التجويد وعلوم القرآن، رحلة الحج، الوصايا الخالدة، شاعرات العرب، مختارات الحسن والصحيح من الحديث الشريف، رسالة الإيمان، نقد البردة، نساء فاضلات، التربية الأساسية للفرد المسلم، حديث إلى دعاة الإسلام، الخطب والمواعظ، كيف ندعو الناس، دليل جغرافية قطر، حاشية على رسالة الخطوط العريضة، ١٢ عاماً مع الأستاذ البنا، مختصر مشكاة المصابيح (تعليق)، مختصر التوسل والوسيلة لابن تيمية (مشاركة مع زهير الشاويش).. وغيرها من المؤلفات التي لم تطبع وما زالت مخطوطة، عسى الله أن يوفق ورثته لطباعتها للانتفاع بها.

وفاته:

وقد انتقل ـ رحمه الله ـ إلى جوار ربه مساء يوم السبت (١٢ من ربيع الأول ١٤٠٧هـ ـ الموافق ١٣ / ١٢ / ١٩٨٦م)، في مصر حيث توجه إلى مدينة بلبيس بالقرب من مدينة الزقازيق بعد إلقائه محاضرة دعوية، فمات وهو يقود السيارة،

فانحرفت به إلى جانب الطريق وسقط في مجرى مائي، ولم يدركه الناس إلا في وقت متأخر، حيث حُمل إلى المستشفى وغُسِّل ودُفن إلى جوار زوجته (أم إبراهيم) التي سبقته إلى الدار الآخرة قبل أكثر من عام.

نسأل المولى الكريم أن يتغمده بواسع رحمته وأن يغفر لنا وله وأن يجمعنا به في مستقر رحمته.


عبد الحكيم عابدين مع الإمام الهضيبي



الداعية الأديب عبدالحكيم عابدين

(١٣٣٢ ـ ١٣٩٦هـ = ١٩١٤ ـ ١٩٧٦م)

مولده ونشأته:

وُلد الأستاذ عبد الحكيم عابدين سنة ١٩١٤م في قرية «فيدمين» مركز طامية بمحافظة الفيوم، وكان من أوائل المنتظمين في صفوف الحركة الإسلامية ويعتبر هو والشيخ الباقوري من شعراء الإخوان المسلمين الأوائل.

وقد تخرج في كلية الآداب بالجامعة المصرية بالقاهرة، وكان وثيق الصلة بالطلاب والأساتذة محبوباً من الجميع، عمل أميناً لمكتبة جامعة القاهرة، وقد اختاره الإمام الشهيد حسن البنا ليكون زوجاً لشقيقته باعتباره أوَّل من تخرَّج في الجامعة وبايع على أن يجعل مستقبله رهناً بمطالب الدعوة الإسلامية.

يقول الأستاذ الكبير محمود عبد الحليم في كتابه القيم: (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ) في حديثه عن الأستاذ عبد الحكيم عابدين: «.... إن ذكر الباقوري يقتضي ذكر عبد الحكيم عابدين، لأنهما فرسا رهان، ورضيعا لبان،

نهلا من منبع واحد، وصدرا بعد ارتواء، تجمعهما سجية أدبية وسليقة عربية، وقلب شاعر يفيض بالعواطف الدفاقة والأحاسيس المرهفة، وكانت كلية الآداب تقوم على الثلاثي الإخواني من الطلاب: محمد عبد الحميد أحمد، وعبد المحسن الحسيني، وعبد الحكيم عابدين، حيث كان الثلاثة عُمُد الدعوة وركائزها، وكانوا في صف دراسي واحد وفي قسم اللغة العربية وفي مقدمة صفهم، وكان مدير الجامعة أحمد لطفي السيد، وعميد كلية الآداب طه حسين، وكلاهما يأنس للطالب عبد الحكيم عابدين بحكم نضجه الأدبي وسرعة بديهته ونزعته الشعرية الأصيلة، حتى إن طه حسين كان يطارحه الشعر، وكان أحمد لطفي السيد يسأل الطالب عبد الحكيم عابدين عن دعوة الإخوان المسلمين، وعابدين يشرح له، ثم تدخَّلَ طه حسين وقال لمدير الجامعة:

إن الإخوان المسلمين يريدون أن يستردوا الأندلس.

إن السنوات التي مرَّت على الأستاذ عبد الحكيم عابدين بعد تخرّجه في الجامعة، قد جلَّتْ مواهبه، وصقلت قريحته، وكشفت عن قدراته، مما جعله أهلاً لأن يُشركه الأستاذ المرشد العام حسن البنا معه في التصدي لأعقد المشاكل وأخطر الأمور، التي تضاعفت بتشعب الدعوة واتساع رقعتها واقتحامها ميادين جديدة، وقد كان الأستاذ عابدين شخصاً مقبولاً ومحبباً إلى نفوس الكثيرين من الناس وبخاصة الأطباء وأساتذة الجامعة وعلية القوم والوجهاء الذين لم يعرفوا دعوة الإخوان المسلمين إلا عن طريق عبد الحكيم عابدين، وسرّ الأستاذ المرشد والإخوان لهذه الجهود المباركة التي يبذلها الأستاذ عابدين، وهذا العبء الذي يشارك في حمله مع الأستاذ المرشد العام» انتهى.

ولقد لقيتُ من كرم الأستاذ عابدين أنا وزملائي طلبة البعوث الإسلامية الشيء الكثير، حيث كان يهتم بأمورنا ويقدِّم لنا ما نحتاج إليه من مساعدة أو عون في مجال الخدمات وغيرها.

ولن أنسى له التوصية التي أعطاني إياها لأحد الأطباء الكبار ذوي الاختصاص



الجلوس من اليمين: مصطفى الزرقا ـ أحمد الخطيب ـ الدواليبي ـ عبدالحكيم عابدين ـ أبو اليسر عابدين ـ عبداللطيف أبو قورة
الوقوف من اليمين: شريف سعيد ـ عبدالرحمن القطيفاني ـ أحمد الصباغ ـ صالح الأخرس ـ صلاح رجب أكرم ـ أنور الحفار ـ صلاح دعدوش ـ عادل سودان ـ أديب الجهايني... ـ الشاش ـ الكواكبي
وقد التقطت هذه الصورة عام ١٩٤٧م

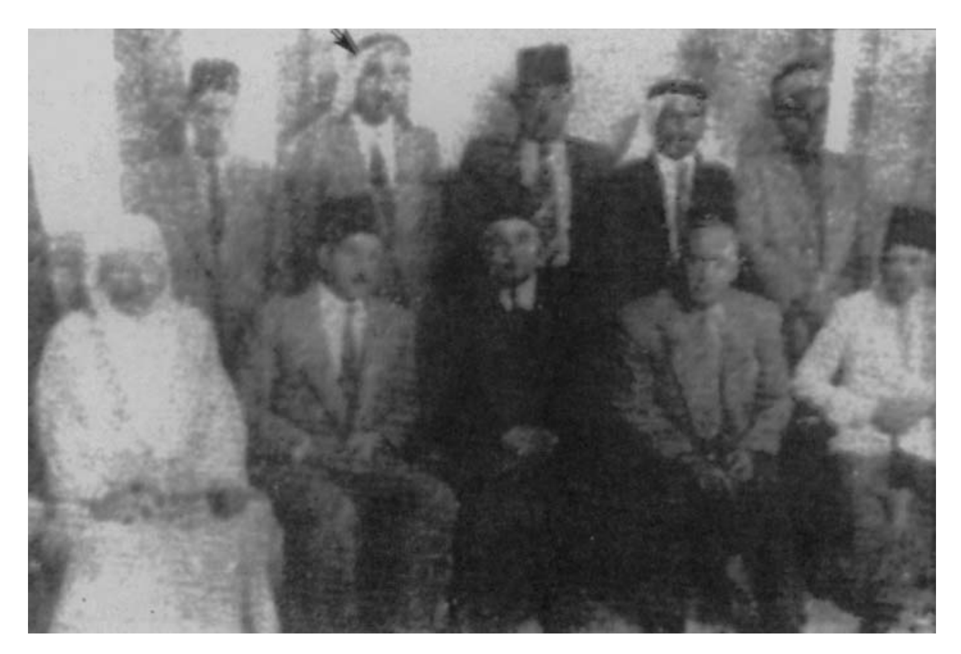
لعلاج ما كنت أشكوه في المعدة والأمعاء من مرض طال أمده، فكان اهتمام الطبيب بي كبيراً لأنه يحترم الأستاذ عابدين ويقدره ويقول عنه: إن الأستاذ عابدين من الدعاة الذين تفخر بهم مصر.

يقول الأستاذان حسني جرار وأحمد الجدع في كتابهما: (أناشيد الدعوة الإسلامية): «.... وممن أعجب بدعوة الإمام البنا وانضم إليها الشاعر عبد الحكيم عابدين، وعندما شاهد شاعرنا شباب الإخوان المسلمين وهم يتدربون في كتائبهم على العلم والعمل، أعجب بهم وأنشأ لهم سنة ١٩٣٧م نشيداً حماسياً بعنوان (نشيد الكتائب)، وقد بيَّن الشاعر أن هؤلاء الشباب المجاهدين العاملين، هم جنود الحق الذين احتشدوا لنصرته، وأنهم في انتظار المعركة الفاصلة حتى يدكوا بعزائم الإيمان دولة الباطل والبهتان، وهؤلاء الشباب هم كما

وصفهم ربهم: ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾ [المائدة: ٥٤] ، وهم كما وصفهم رسولهم ﷺ «كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وهم كما وصفهم قادتهم «رهبان في الليل فرسان في النهار»، هؤلاء الشباب الذين اتصفوا بهذه الصفات لن يثنيهم عن هدفهم العظيم، أمر مهما عظم، وظالم مهما تجبَّر، وظلام مهما ادلهم، إن هؤلاء الشباب الذين ربَّاهم الإمام الشهيد على حب الإسلام ودعوته، وعلى نصرة الحق وشريعته، سوف ينتصرون، وسوف يبنون صرح الدولة الإسلامية، فإنه وعد الله ولن يخلف الله وعده» انتهى.

نشاطه ومواقفه:

كان عبد الحكيم عابدين من القادة الذين يعتمد عليهم في المهمات الجسام،



الوقوف من اليمين: عبدالوهاب العرجا ـ أبو صلاح دمشقي ـ عبداللطيف أبو قورة ـ أحمد الخطيب ـ شفيق محمد الأشمر

أما الجلوس فهم: فوزي القاوقجي ـ عبد الحكيم عابدين ـ الشيخ محمد الأشمر

فحين قامت الثورة في اليمن في ١٥ / ١ / ١٩٤٨م ونودي بالقاضي عبدالله بن الوزير إماماً لليمن، تلقى الأستاذ عابـدين دعوة رسمية من حـكومة الثورة اليمنية لزيارة اليمن، وقد سبقه لزيارتها الزعيم الجزائري الكبير الفضيل الورتلاني.

كما تولى الأستاذ عابدين منصب السكرتير العام للإخوان المسلمين، وقد اعتقل مع إخوانه حين حلت الجماعة في ٨ / ١٢ / ١٩٤٨م بأمر من الإنجليز سارع النقراشي لتنفيذه، فحلَّ الجماعة واعتقل قادتها باستثناء الأستاذ البنا ليدبّروا أمر اغتياله فيما بعد وقد كان.

وحين ألغت حكومة الوفد سنة ١٩٥٠م الأحكام العرفية وسقط قرار الحل خرج الإخوان من السجون وعادوا إلى نشاطهم، انطلق الأستاذ عابدين مع إخوانه في همة ونشاط يجوبون القطر المصري، يذكرون الناس بدعوة الإسلام ويستنهضون الهمم للقيام بنصرة دين الله ومساندة رجال الدعوة والتصدي للظلم والطغيان والاهتمام بتربية الشباب على منهج الإسلام الحق المستقى من الكتاب والسنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة.

وهكذا قطعت الدعوة الإسلامية أشواطاً بعيدة في تنبيه الأمة من غفلتها وإعداد الشباب لمنازلة الإنجليز في قناة السويس بعد أن نازلوا اليهود في فلسطين، وكانت معارك ضارية وانتصارات عظيمة وشهداء لقوا ربهم دفاعاً عن دينهم وأمتهم، وكان لذلك أثره، فقد تململ الناس من الظلم والطغيان، وأصبحت الأوضاع على وشك الانفجار وانطلق الناس يجاهرون بالعداء للمستعمر وأعوانه ويتحدَّون رموزه وزبانيته، فحدث الانقلاب العسكري في يوليو ١٩٥٢م الذي قادته مجموعة من الضباط كان فيهم بعض الصالحين، فأمَّل الناس منهم الخير، ولكن البعض الآخر من الذين يرتبطون بالمخابرات الأمريكية كانت لهم الغلبة، فقلبوا ظهر المجن لمن آزرهم وساندهم وحوَّلوا البلاد إلى سجن كبير عمَّت فيه الفوضى والبطش والتنكيل بكل من يخالفهم الرأي أو يبدي لهم

النصح وذاق الشعب المصري بكل فئـاته مرارة الخيبة من هذا الانقلاب وكان نصيب الإخــوان المسلمين من البلاء عظيماً فكانت محنــة في يناير ١٩٥٤م حيث قُبض على مجموعات كبيرة منهم وفي مقدمتهم القادة ومنهم الأستاذ عبد الحكيم عابدين ثم أفرج عنهم في مارس سنة ١٩٥٤م.

معرفتي به:

معرفتي بالداعية الكبير الأديب الشاعر عبد الحكيم عابدين، كانت في الأربعينيات الميلادية من القرن العشرين، من خلال ما كانت تنشره مجلة الإخوان المسلمين من خطب وقصائد وأناشيد ومحاضرات وجولات وندوات، ولست أنسى قصيدته العصماء في ذكرى المولد النبوي الشريف التي ألقيت في أكثر مدن القطر المصري ونشرتها مجلة الإخوان المسلمين.

وكان الإخوان في بلدتي الزبير، يكررون إلقاءها في الدرس الأسبوعي يوم الجمعة بمدرسة «الدويحس الدينية» وكان مطلعها:

تـدلـى الـنـجمُ في أوج السمـاء ... ومـال الـطودُ فـي صـدق احتفـاء

يـــزفٌّ بـــكـــل إكـــبـــار وحبٍّ ... إلـــى ذكـــرى نـــبـــي الأنـــبـــيـــاء

كما كانت الأناشيد الإسلامية التي نظمها الأستاذ عابدين، يرددها الشباب المسلم في أنحاء الوطن العربي وفي مقدمتها «نشيد الكتائب» الذي اختارته جماعة الإخوان المسلمين في مصر والعالم العربي والإسلامي ليكون النشيد المقرر لكتائب الدعوة الإسلامية وفيه يقول:

هــو الــحــق يــحشــد أجــنــاده ... ويــعــتــدُّ لــلــمــوقــف الــفــاصــلِ

فصـــفُّـــوا الـــكـــتـــائب آســـادَهُ ... ودكُّـــوا بـــه دولـــة الـــبـــاطـــلِ

* * *

نـبـيَّ الـهـدى قـد جَـفَـوْنـا الـكَرى ... وعِـفْـنـا الشَّـهِـيَّ مـن الـمَـطْـعَـمِ

نهضْنا إلى الله نجلو السُّرى بروعة قرآنه المُحْكَمِ
ونُشْهِدُ مَنْ دَبَّ فوق الثَّرى وتحت السما عزَّة المسلمِ
دعاة إلى الحق لسنا نرى له فديةً دون بذلِ الدمِ

وحين سافرتُ إلى مصر سنة ١٩٤٩م للدراسة الجامعية، كان الأستاذ عابدين من أوائل من التقيتهم من قادة الإخوان المسلمين في مصر.

لقاؤه الندوي:

ولقد صحبت أستاذنا الشيخ الندوي سنة ١٩٥١م حين زار مصر، بزيارة الأستاذ عبد الحكيم عابدين أكثر من مرة في منزله وفي دور الإخوان، وكان الشيخ الندوي معجباً غاية الإعجاب بالأستاذ عابدين وبذكائه ونباهته وقوة حجته وبلاغة تعبيره وجزالة ألفاظه وعمق معانيه وسلاسة أحاديثه وعذوبة كلامه وحضور بديهته، وحين ألقى كلمته وسط الإخوان وكان عنوانها (أريد أن أتحدث إلى الإخوان) كان الأستاذ عابدين هو الذي عقَّب على كلمة الندوي بقوله: «لقد وجدتُ في كلمة الأستاذ الندوي صورة صادقة لفكرة الأستاذ الإمام الشهيد حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين، ونفحة من نفحات تفكيره ـ رحمه الله تعالى ـ وإنني وإخواني لمغتبطون جداً بهذا التوجيه الأخوي ومقدرون له ونرجو منه الإذن بنشرها وسط الإخوان».

دفاعه عن فلسطين:

حقاً لقد كان الأستاذ عبد الحكيم عابدين، صاحب سجية أدبية، وسليقة عربية، وقلب شاعر يفيض بالعواطف الدفاقة والأحاسيس المرهفة، وكان له دور بارز منذ كان طالباً في دعم المجاهدين بفلسطين، فقد قام مع مجموعة من إخوانه الشباب بالخطب في مساجد القاهرة والأقاليم، لحثِّ الناس على التبرع لإخوانهم أهل فلسطين، الذين يعانون من ظلم المستعمرين الإنجليز واليهود الغاصبين، وكانت

خطبه في مساجد مصر وبخاصة خطبته في مسجد البدوي بطنطا، ذات أثر كبير في نفوس الجماهير، وهي التي أشار إليها أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي في مقاله الرائع بمجلة (الرسالة) بعنوان: (قصة الأيدي المتوضئة)بقوله: «... ولما قضيت الصلاة ماج الناس، إذ انبعث فيهم جماعة من الشباب يصيحون بهم ويستوقفونهم ليخطبوهم ـ ثم قام أحدهم فخطب، فذكر فلسطين وما نزل بها، وتغير أحوال أهلها ونكبتهم وجهادهم واختلال أمرهم، ثم استنجد واستعان، ودعا الموسر والمخف إلى البذل والتبرع وإقراض الله تعالى، وتقدم أصحابه بصناديق مختومة، فطافوا بها على الناس يجمعون فيها القليل والأقل من دراهم هي في هذه الحال دراهم أصحابها وضمائرهم.... وأخرج القروي كيسه فعزل منه دراهم وقال: هذه لطعام أتبلغ به ولأَوبتي إلى البلد، ثم أفرغ الباقي في صناديق الجماعة، واقتديت أنا به فلم أخرج من المسجد حتى وضعت في صناديقهم كل ما معي، ولقد حسبت أنه لو بقي لي درهم واحد لمضى يسبني ما دام معي إلى أن يخرج عني.

قال أحد الشيوخ في المسجد للشاب: ممن أنت يا بني؟ قال: أنا من جماعة الإخوان المسلمين..» انتهى.

هذا النبوغ المبكر والحيوية الدافقة التي تميّز بها الشاب الطالب عبد الحكيم عابدين، كانت هي السمت العام، الذي ينتظم شباب الإخوان المسلمين في كل مكان، فقد كانوا الشامة في جبين مصر، والطليعة في أرض الكنانة التي انتصبت تدافع عن دين الله، وتنشر دعوته وتبلِّغ رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً، وتعود بالأمة إلى منهج الإسلام الأصيل المستقى من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة، وبهذه الطلائع المؤمنة خطتْ الدعوة الإسلامية المعاصرة خطواتها المباركة، وجاهدت في سبيل الله ومن أجل المستضعفين في الأرض وخاصة المسلمين في فلسطين فكانت كتائب الجهاد وقوافل الشهداء تتوالى كتيبة إثر كتيبة وقافلة إثر قافلة.

هجرته من مصر:

وفي هذه الفترة خرج الأستاذ عابدين، من مصر لحج بيت الله الحرام، ثم التحق بالأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام الذي كان يزور سورية ورافقه في رحلته إلى سورية ولبنان والأردن ولم يعد بعدها إلى مصر، حيث قامت الحكومة العسكرية باعتقال جميع الإخوان المسلمين بمصر بالألوف وزجَّت بهم بالسجون وأقامت لهم المحاكم الهزلية وأصدرت الأحكام بالإعدام والمؤبد على خيرة القادة ورجال الدعوة مما يعلمه القاصي والداني.

وفي تلك الأثناء كان الأستاذ عابدين ومن بقي من إخوانه في الخارج مثل د. سعيد رمضان والأستاذ كامل الشريف وسعد الدين الوليلي وغيرهم من الإخوان المصريين يبذلون جهودهم مع إخوانهم في سورية ولبنان والأردن والعراق والسودان والمغرب لنصرة إخوانهم بمصر واستمرار نشاط الدعوة في الأقطار العربية والإسلامية والأوروبية، ولقد بقي الأستاذ عابدين يتنقل من بلد إلى بلد وبخاصة سورية ولبنان والسعودية والأردن والعراق وغيرها، ويبذل قصارى جهده لنصرة دين الله وإعزاز كلمة الإسلام وجمع الدعاة المسلمين على كلمة سواء.

وقد اختاره سماحة الحاج محمد أمين الحسيني مفتي فلسطين ليكون مستشاراً للهيئة العربية العليا في بيروت تحت رئاسة سماحته، كما اختارته رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ليكون مستشاراً لها، ولقد التقيته مرات كثيرة استفدتُ فيها من علمه وخبرته وفقهه وأسلوبه الدعوي.

وفاته:

وقد بقي خارج مصر إلى سنة ١٩٧٥م، حيث عاد إليها ومارس العمل الدعوي مع إخوانه بقيادة المرشد الثالث الأستاذ عمر التلمساني ولم يطل به المقام، حيث انتقل إلى جوار ربه سنة ١٩٧٧م بعد عمر حافل بالنشاط الإسلامي داخل مصر وخارجها منذ شبابه حتى آخر مراحل شيخوخته.

رحم الله أستاذنا الكبير المجاهد الداعية عبد الحكيم عابدين شاعر الدعوة الإسلامية وخطيبها المفوَّه وسفيرها المتجول الذي ترك آثاراً كبيرة في كل مكان تشهد له بالخير والوفاء والالتزام لدعوة الحق والقوة والحرية، والذي أحبه كل من عرفه أو التقاه لدماثة خلقه وتواضعه وبشاشة وجهه ورقَّة حديثه وأخوَّته الصادقة وتفانيه في خدمة إخوانه المسلمين في كل مكان.

لقد كان الأستاذ عابدين خريج مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا التي تبني الرجال وتخرِّج الأبطال، وكان جهاده صورة مشرقة من جهود الدعاة الذين تربوا في هذه المدرسة المباركة.

نسأل الله تعالى أن يتغمَّده بواسع رحمته وأن يغفر لنا وله ويجمعنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



المركز العام للإخوان المسلمين (سابقاً)
حيث حُوِّل إلى مركز بوليس الدرب الأحمر



الحافظ العلاّمة الشيخ عبدالرحمن الدوسري

(١٣٣٢ ـ ١٣٩٩هـ = ١٩١٣ ـ ١٩٧٩م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن خلف بن عبدالله الدوسري، وُلد في البحرين سنة ١٣٣٢هـ، وكان أبواه يقيمان فيها بعد قدومهما من الكويت، التي نزح إليها والده من بلاد القصيم بنجد، وبعد ولادته بأشهر عاد به والده إلى الكويت، حيث نشأ وترعرع في حيٍّ «المرقاب» الذي كان معظم ساكنيه من أهالي نجد.

وقد تلقى العلم في «المدرسة المباركية»، التي درس فيها الفقه والحديث والتوحيد والفرائض والنحو، ومن العجيب أنه حفظ القرآن الكريم كله في أسابيع معدودة، كما يقول عن نفسه، وتلك ولا شك ملكة في الحفظ نادرة، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وقد مرن على الحفظ، حتى إنه كان يستظهر كل ما يعجبه من الكتب شعراً ونثراً، عن ظهر غيب وبكل يسر.

معرفتي به:

كنتُ سمعتُ من معالي الأخ عبد الرحمن سالم العتيقي عن حافظة الشيخ الدوسري القويَّة، أول قدومي للكويت، فلم أصدِّق أنه على هذا المستوى، حتى وقفتُ على الأمر بنفسي، ولمسته من خلال صلتي بالشيخ الدوسري وقربي منه، وعبر ما يطرحه إخواننا في الندوة الأسبوعية مساء الجمعة، من أسئلة يجيب عنها بإيراد النص بكامله من المرجع الذي يحفظ منه، بحيث لو فَتَحْتَ الكتاب وتَتَبَّعتَ جوابه، لوجدته بالنص دون تصرُّف، فسبحان الله الوهاب.

مشايخه:

لازم الشيخ الدوسري كبار المشايخ مثل: الشيخ عبدالله خلف الدحيان، والشيخ صالح عبد الرحمن الدويش في الكويت، والشيخ قاسم بن مهزع في البحرين، وغيرهم من الشيوخ الآخرين، وكان شغوفاً بالعلوم، حريصاً على نشرها وتوزيع الكتب على طلبة العلم والراغبين في القراءة بالمجان، حيث يشتريها من خالص ماله الحلال، الذي يكسبه من عمله التجاري، الذي يدرُّ عليه الربح الوفير، والخير الكثير، الذي يُغنيه عن الناس، ويحفظ عزّته وكرامته.

مواقفه ودروسه:

والشيخ الدوسري صريح في قول كلمة الحق، جريء في المواقف، لا يعرف التردد أو المداهنة، ولا يخضع لتهديد أو وعيد، بل يصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويُغلظ القول ويشدِّد النكير على الأدعياء المتاجرين بالدين، الساكتين عن الحق، الذين يُؤثرون السلامة، ويتهيَّبون من مواقف الرجولة وصلابة الدعاة.

وكانت له دروس وخطب ومواعظ في معظم مساجد الكويت وطيلة أيام الأسبوع، يشرح للناس فيها، حقيقة الإسلام، وواجب المسلم نحو دينه وأمته،

ويحذِّرهم من البدع والخرافات والمعاصي والمنكرات، ويدعوهم للتمسك بالكتاب والسُّنَّة، وما أجمع عليه سلف الأمة، كما يفتح أعينهم على مخططات أعداء الإسلام، ومكائدهم، ويحذِّرهم من حركات الهدم، كالشيوعية والماسونية والعلمانية والوجودية.

وكان جريئاً في تصديه لطواغيت العصر وفي مقدمتهم فرعون مصر عبد الناصر، الذي هجاه بقصيدة طويلة كشف فيها حقيقته، وهتك ستر من وراءه، من قوى الشرق والغرب، الذين اتخذوه أداة لحرب الإسلام ودعاته، والتمكين لليهود والمستعمرين في بلاد المسلمين، وقد نظم قصائد بعد النكبة في فلسطين، صوّر فيها أسبابها، وقال في إحداها:

مصابٌ دهى الأقوام في صفر الخير ... وذاك بقرن الرابع العشر الهجري

لسبع خلت فوق الثمانين حجة ... جرى غدر صهيون بها أوقح الغدرِ

وذلك باستفزاز كل مغرر ... نسي بغرور سوء عاقبة الأمرِ

وقد خدموا صهيون في سوء فعلهم ... على العمد أو دون الشعور بما يجري

لقد عطلوا شرع الإله وحللوا ... معاصيه من فعل الفواحش والخمرِ

فلم يتقاتل مع يهود سوى الذي ... تربى على أفكارها لا على الذكرِ

ولم ينهزم منها سوى متفرنج ... وفرخ شيوعي ومختلط الأمرِ

وذاقوا وبال الأمر عار هزيمة ... وقتل وتشريد وهتك مع الأسرِ

فنصرة رب العرش لسنا ننالها ... بلا طاعة مع حفظ حد ومع شكرِ

ولكن بإيمان يكون انتصارنا ... وإمدادنا بالروح والملك الطهرِ

وقال في أخرى:

لقد أكرم الله الورى بمحمد ... وعمّت به الرحمات دون تقيد

وأمته كانت خياراً فحررت ... قلوباً وأرضاً من كفور ومعتد

أقامت بها حكم الإله عدالة ... وطهرت الأخلاق من كل مفسد

فلسطين بالتكبير حررها الأُلى ... وقوة إيمان كسائر أبلُدِ
ولو صدقوا في الدين لله كبروا ... بألسنة لا تألف اللغو بالدَّدِ
فيسترجعوها مع سواها ويزحفوا ... كما زحف الأسلافُ في كل أنجدِ
فلسطين ضاعت إذ أضاعوا صلاتهم ... وأهملوا القرآن إهمال ملحدِ
على بعضهم بعضاً أُسود أشدة ... وحولك أقواهم نعامة فدفدِ
فلسطين لا ترجين منهم سوى الذي ... رأيت فذا طبع العصاة بموعد
فلا ترتجي غوث العصاة لربهم ... ولكن ترجي بعث دين محمد

وقد انتصب لنصرة الدعاة المجاهدين الذين يعملون لمرضاة الله، ويجاهدون في سبيله لإقامة شرع الله في أرضه، وكان يضرب بهم المثل، ويناشد الأمة وشبابها وشيوخها أن يكونوا رجالاً كهؤلاء الرجال الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم لنصرة دين الله وإعلاء كلمته، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، وكان يُكثر من الاستشهاد بكلام الإمام حسن البنا، والشهيد سيد قطب، والشهيد عبد القادر عودة، وغيرهم من الشهداء.

دفاعه عن سيد قطب:

روى لي أحد طلبة العلم، أنه كان أحد المستمعين لمحاضرة للشيخ الدوسري، ولما فرغ من المحاضرة انبرى أحد السائلين المتحذلقين معترضاً على الشيخ الدوسري في استشهاده بكلام الشهيد سيد قطب، مع أنه حليق لا لحية له!!

فكان جواب الشيخ الدوسري قوياً صاعقاً حيث قال: «إذا كان الشهيد سيد قطب بلا شعر في لحية، فهو صاحب إحساس وشعور، وإيمان ويقين، وعزة وكرامة، وغيرة على الإسلام والمسلمين، قدَّم روحه فداءً لدينه، واستشهد في سبيل الله طلباً لمرضاته، وطمعاً في جنته، وقال قولته المشهورة حين ساوموه

ليرجع عن موقفه: «لماذا أسترحم؟ إن سُجِنتُ بحقٍّ، فأنا أرضى حُكم الحق، وإن سُجِنتُ بباطل، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل، إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً تقر فيه حكم طاغية»، هذا هو سيد قطب، فأين أصحاب الشَّعْر بلا شعور من مواقف الرجال» انتهى.

هكذا كان الشيخ الدوسري، صادقاً مع ربه، ومع نفسه، ومع الناس، يقول الحق، ويُنصف الرجال، ويهيب بالأمة للسير في مواطن العزة والكرامة، والرفعة والسؤدد، فهذا هو طريق الدعاة إلى الله، والابتلاء هو سنة الله في عباده إلى يوم القيامة.

آراؤه:

يقول الشيخ الدوسري في كلمة سجلها بخط يده وأرسلها للأستاذ محمد المجذوب لتنشر في كتابه (علماء ومفكرون عرفتهم):

«من المؤسف أن كثيراً من الناس يرى أن القوة هي الحصول على العُدَّة الضخمة من العتاد الحربي والصناعات والمنتوجات والمعادن فحسب، ولكن الحقيقة بخلاف ذلك، لأن السؤدد والقوة التي لا تُغْلب تكون بالخُلق الصالح المتين المتماسك، والدين الصحيح الخالص، الذي تتجلى فيه العبودية لله بمعانيها ومبانيها، فيعشقون الشهادة في سبيل الله، ويكون حرصهم على الموت أشدَّ من حرص أعدائهم على الحياة».

وقد نظم الدوسري آلاف الأبيات من الشعر في مختلف الأغراض والمقاصد ومنها العلوم الشرعية، ليسهل حفظها على طلبة العلم، فضلاً عن المواعظ والحوار والجدل والدعوة إلى الحق، وإن كان في بعضها تهاون بقواعد اللغة والعروض، ولقد كان شديداً قاسياً على الشاعرين: إيليا أبي ماضي، وبدوي الجبل.

نشاطه الدعوي:

والشيخ الدوسري رجل دعوة، هَمُّه مخاطبة العقول والقلوب، وإيقاظ الضمائر، وتذكير الغافلين بالعبارة الميسّرة دونما تكلف أو تقعر.

وقد كان له مع إخوانه: الشيخ أحمد خميس الخلف، والحاج عبد الرزاق الصالح المطوع، والشيخ عبد الله النوري، دور كبير وجهد موفق في التصدي للقوانين الوضعية التي ينادي بها دعاة العلمانية والمستغربون من أبناء المسلمين في الكويت.

وكثيراً ما كان ينبري للتعليق على المحاضر والخطيب الذي يخرج عن المنهج الإسلامي ويُفنِّد أقواله، ويبطل مقولته بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي تجعله يتراجع عن قوله، ويعتذر عما وقع فيه من الخطأ، ويشكر للشيخ الدوسري توجيهه وإرشاده، ويعده بألا يعود لما قال بعد أن عرف الحق وأدركه.

وكان من المنادين بضرورة الاهتمام بإنشاء المدارس الإسلامية، ونشر التعليم الإسلامي، والاهتمام بالإعلام الإسلامي مقروءاً ومسموعاً ومشاهداً، ونشر الوعي الصحيح والعمل الجاد المتواصل، واطراح الجبن والشح اللذين هما أصل البلاء ومجمع الشرور، وسدِّ كل الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها العدو في كياننا الإسلامي ومجابهة خطط الأعداء بما يقابلها من الخطط ويبطل آثارها، والعمل على اختيار العناصر الصالحة، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، لأن كل ذلك من الوسائل التي تعين على تحقيق الأهداف والنصر على الأعداء.

رحلاتي معه:

ولقد سعدتُ برفقته في بعض الأسفار، فكان نعم الرفيق في الدرب، فقد استفدت من علمه وعمله، وكان من أمتع الرحلات وأبركها سفرنا إلى السعودية من الكويت سنة ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م، وزرنا الرياض ونزلنا بضيافة سماحة الشيخ

محمد بن إبراهيم آل الشيخ بضعة أيام، كانت كلها خيراً وبركة، واستفدنا من علم سماحة المفتي ودروسه وتوجيهاته في مجلسه، الذي يؤمه العلماء وطلبة العلم، وكان الشيخ ابن إبراهيم يُقدِّم الشيخ الدوسري للحضور، ويثني عليه، ويطلب منه المشاركة في الحوار ومناقشة المسائل العلمية المطروحة على بساط البحث، كما زرنا في الرياض سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، ومعالي وزير المعارف حسن آل الشيخ، وبعض المشايخ الآخرين، ثم سافرنا إلى الطائف، ونزلنا بضيافة الشيخ عبد الملك آل الشيخ الذي كان قمة في دماثة الخلق والتواضع والكرم.

إن الشيخ الدوسري بحرٌ من العلم لا ساحل له، فلم أر في حياتي حافظاً للنصوص مثله، ولا جريئاً في الحق كجرأته، ولا غيوراً على حرمات الدين كغيرته، ولا جسوراً على مقارعة الطغاة مثله، لقد كان فريد عصره، ووحيد دهره، ولم يعرف الكثير من الناس قدره إلا بعد وفاته، ورغم أن الله ابتلاه بالتأتأة وثقل اللسان في بعض الأحيان، غير أنه حين يقف خطيباً أو محاضراً ينطلق كالسيل المتدفق، يهدر بالعلم، وينثر الدرر، ويلهب الحماسة، ويستثير المشاعر، ويصدع بالحق.

مؤلفاته:

وفي التأليف له باع طويل، فقد بلغت مؤلفاته أكثر من ثلاثين مؤلفاً، نذكر منها: الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، والجواهر البهية في نظم المسائل الفقهية (وهي اثنا عشر ألف بيت)، وإيضاح الغوامض من علم الفرائض، والجواب المفيد في الفرق بين الغناء والتجويد، وإرشاد المسلمين إلى فهم حقيقة الدين، ومعارج الوصول إلى علم الأصول، ومشكاة التنوير على شرح الكوكب المنير، وصفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، والإنسان العامل الشريف والحيوان الناطق المخيف، والحق أحق أن يتبع، ومسلَّم الثبوت في الرد على شلتوت، والسيف المنكي في الرد على حسين مكي، ومن كنوز السنة، والإنسان

الكامل، وقمع المفتري على الله، وتأملات في أحسن القصص، وعروبة وعروبة، وكيف نحارب إسرائيل؟ والأسلحة التي انتصر بها اليهود، وقبسات من سورة النور، ومناظرات ومحاورات، وأضواء على الروايات والتاريخ، وفلسفة أركان الإسلام، وتمحيصات في التاريخ، ومركز النقص والهزيمة العقلية... إلخ.

وشأنه في التأليف الإسهاب والإطناب غالباً، كما نلحظ ذلك في تفسيره لسورة الفاتحة، التي استغرق تفسيرها ثلاث مئة صفحة، وكانت له دروس وأحاديث إذاعية في الرياض، والكويت، استفاد منها الكثير من المستمعين، كما كانت له جولات في الكثير من المدن العربية والجامعات والمعاهد، ألقى فيها المحاضرات، وشارك في الندوات، وقد استمر هذا شأنه وديدنه حتى بعد أن كبر سنه، وتكاثرت عليه الأمراض، فقد كان صابراً قليل الشكوى، لا يتردد في الاستجابة لإلقاء درس أو محاضرة، بل كثيراً ما يسعى بنفسه دونما حرج ليقوم بمهمة الدعوة والتبليغ لعامة الناس وخاصتهم.

إن الحديث عن الشيخ الدوسري ونشاطه في الدعوة إلى الله، ومقارعته لخصوم الإسلام في الداخل والخارج لا تحيط به هذه الكلمات القليلة المختصرة، ولا تفي بحقه هذه الصفحات، ولكنه جهد المقل، وبعض الوفاء لمن تعلمت منه الكثير.

يقول العلاّمة القرضاوي في كتابه (فتاوى معاصرة):

«لقد شنَّ القرآن الكريم حملة في غاية القسوة على الحكام المتألهين في الأرض، الذين يتخذون عباد الله عباداً لهم مثل «نمرود» الطاغية الذي زعم أنه يحيي ويميت، ومثل «فرعون»، الذي نادى في قومه ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾، وقال في تبجح: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾، [القصص: ٣٨]، وقد كشف القرآن الكريم عن تحالف دنس بين أطراف ثلاثة خبيثة:

الأول: الحاكم المتأله المتجبر في بلاد الله المتسلط على عباد الله ويمثله (فرعون).

والثاني: السياسي الوصولي الذي يسخِّر ذكاءه وخبرته في خدمة الطاغية وتثبيت حكمه، وترويض شعبه للخضوع له، ويمثله (هامان).

والثالث: الرأسمالي والإقطاعي المستفيد من حكم الطاغية، فهو يؤيده ويبذل بعض ماله ليكسب أموالاً أكثر من عرق الشعب ودمه ويمثله (قارون).

ولم يقصر القرآن حملته على الطغاة المتألهين وحدهم، بل أشرك معهم أقوامهم وشعوبهم الذين اتبعوا أمرهم وساروا في ركابهم وأسلموا لهم أزمَّتهم وحمَّلهم المسؤولية معهم لأن الشعوب هي التي تصنع الفراعنة والطغاة، وأكثر من يتحمل المسؤولية مع الطغاة هم أدوات السلطة الذين يسميهم القرآن الكريم «الجنود» ويقصد بهم القوة العسكرية التي هي أنياب القوة السياسية وأظفارها، وهي السياط التي ترهب بها الجماهير إن هي تمردت أو فكرت في أن تتمرد، يقول القرآن: **﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خاطِئِين﴾** [القصص: ٨]، **﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظالِمِين﴾** [القصص: ٤٠].

آثاره:

لقد ترك الشيخ عبد الرحمن الدوسري آثاراً طيبة في الكويت والمملكة العربية السعودية، وتتلمذ على دروسه ومحاضراته خلق كثير من الناس وطلبة العلم، كما خلّف هذه الثروة الضخمة من المؤلفات القيِّمة التي تنتظر طلاب الدراسات العليا للتأمل فيها واستخراج كنوزها وتقريبها إلى متناول الناس.

وفاته:

وقد توفي عام ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

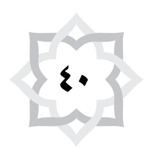
رحم الله أستاذنا الجليل وشيخنا الفاضل الشيخ عبد الرحمن الدوسري، وغفر

الله لنا وله وأدخلنا الله وإياه في عباده الصالحين، وبارك الله في جهود تلامذته ومحبيه وابنه البار إبراهيم عبدالرحمن الدوسري.



مسجد الدولة الكبير بالكويت





٤٠

الشيخ عبدالرحمن السعدي

علاّمة القصيم

(١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ = ١٨٩٠ - ١٩٥٦م)

مولده ونشأته:

وُلد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٩٠م في بلدة عنيزة من بلدات القصيم، في السعودية. توفيت أمه وله أربع سنواتٍ، ثم توفي والده وله سبع سنوات، فتربى يتيماً، حيث كفلته زوجة أبيه، ولما شبّ صار في بيت أخيه الأكبر حمد بن ناصر السعدي، وفيه نشأ نشأة صالحة، وحفظ القرآن الكريم وعمره إحدى عشرة سنة، وأخذ العلم من علماء البلدة، ومن قدم إليها من العلماء أمثال العلاّمة الموريتاني الكبير الشيخ محمد الشنقيطي، كما أخذ العلم من مشايخه في عنيزة كالشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، والشيخ عبد بن عائض، والشيخ إبراهيم بن جاسر، والشيخ صعب التويجري، والشيخ علي بن محمد السناني، والشيخ صالح بن عثمان القاضي، وغيرهم من العلماء الأفاضل، كما درس في الأزهر بمصر لفترة من الزمن واستفاد

من العلماء الأزهريين، وقد تولى التدريس وعمره ثلاث وعشرون سنة.

يقول العلاّمة الفقيه والمؤرخ المحقق الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام في كتابه القيم (علماء نجد خلال ثمانية قرون) (الطبعة الثانية) عن شيخه السعدي:

«ولما تفتحت أمامه آفاق العلم، خرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي فقط، إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، حيث فتقت ذهنه ووسعت مداركه فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد المقيد، فصار يرجِّح من الأقوال ما رجّحه الدليل وصدّقه التعليل...» انتهى.

إن شخصية أستاذنا السعدي كما عرفته عن قرب، تجمع بين وقار العلماء وبساطتهم. وغزارة علمهم وتواضعهم، وشجاعتهم وحكمتهم، وصبرهم ورباطة جأشهم والحلم وسعة الصدر والكرم وحسن الخلق.

لقد كان ـ يرحمه الله ـ من الخلف العدول الذين ينفون عن علم النبوة تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، لأن القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة مرجعه في معرفة أحكام الإسلام، فكان يفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السُّنَّة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات.

يقول الإمام حسن البنا في الأصول العشرين:

«وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه، ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شرٌّ منها، وكل مسألة لا ينبني عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذي نُهينا عنه شرعاً، وزيارة القبور سنَّة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أياً كانوا، ونداءهم لذلك، وطلب قضاء الحاجات منهم، عن قرب أو بُعدٍ والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها،

والحلف بغير الله، وما يلحق بذلك من المبتدعات، كبائر تجب محاربتها ولا نتأوّل لهذه الأعمال سداً للذريعة» انتهى.

معرفتي به:

بداية معرفتي بعلاَّمة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي كانت من خلال ما كنا نقرأ من مؤلفاته، التي تصل إلى الزبير بوساطة المشايخ وطلبة العلم، فكان علماء الزبير يتناولونها بالبحث والدراسة والمناظرة، وبخاصة أن جميع علماء الزبير هم من الحنابلة باستثناء الشيخ عبدالله الرابح الذي كان مالكيّ المذهب، والشيخ محمود المجموعي شافعيّ المذهب وكانت (مدرسة الدويحس الدينية)، ومجالس العلم لدى المشايخ مثل مجلس العلاّمة ناصر إبراهيم الأحمد مدير مدارس النجاة الأهلية، والشيخ محمد بن عبد الرحمن السند، والشيخ إبراهيم بن محمد المبيض وغيرهم تضم طلبة العلم والراغبين في الاستفادة والتفقه في الدين.

وكان للشيخ العلاّمة الموريتاني محمد الشنقيطي مؤسس مدرسة النجاة في الزبير، دوره في التعريف بتلامذته الذين تلقوا العلم على يديه، ومنهم الشيخ السعدي الذي ظل يحفظ الفضل لأهله ويذكر بالخير شيخه الشنقيطي، ويرحب بتلامذته من الزبير وغيرها.

تلامذته:

لقد كان الشيخ السعدي شغوفاً بطلب العلم، يحب العلماء ومجالستهم والاستفادة منهم، كما أنه يحرص على تعليم الناس أمور دينهم وبيان حكم الإسلام فيما يعرض لهم في واقع حياتهم ومجتمعهم، ويهتم ببعض طلبة العلم ويوليهم عنايته الخاصة، إذا توسّم فيهم النباهة والجد والاجتهاد في تحصيل الفقه بأدلته من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة، وأصبح له تلامذة كثيرون

قاربوا المئة وقد ذكر الأخ العلاّمة والمؤرخ المحقق الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام في كتابه القيم: (علماء نجد خلال ثمانية قرون) طائفة من أولئك التلاميذ وعددهم اثنان وأربعون، منهم على سبيل المثال: سليمان بن إبراهيم البسام، محمد بن عبد العزيز المطوع، عبدالله بن عبد الرحمن البسّام، علي بن محمد الزامل، عبد العزيز بن محمد السلمان، عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل، محمد بن صالح بن عثيمين، عبدالله المحمد العوهلي، عبدالله بن حسن آل بريكان وغيرهم، ولعل من أبرز هؤلاء الطلبة المعاصرين الذين سلكوا مسلك الشيخ السعدي واتبعوا منهجه هو الأخ الكريم الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية «فرع القصيم» الذي خلف شيخه السعدي، في إمامة الجامع الكبير بعنيزة وفي التدريس والوعظ والخطابة، ولقد حذا الشيخ ابن عثيمين حذو أستاذه الشيخ السعدي في الإفتاء، فهو يتبع قوة الدليل وصحته دون الالتزام الحرفي بالفقه المذهبي، لأن الشأن في الفقهاء المجتهدين البحث عن قوة الدليل وحجيته وإصدار الأحكام والفتاوى على ضوء ذلك.

عالم مجتهد متبحر:

إن أستاذنا الشيخ السعدي كان منقطعاً للعلم، مكباً على القراءة المتدبّرة التي تنظر في الأحكام وأدلتها، وتقارن بين الآراء والاجتهادات الفقهية المذهبية وتختار ما قام الدليل على صحته وسلم من المآخذ والمطاعن بغض النظر عن قائله، فكل واحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ.

والعلاّمة السعدي متفتِّح الذهن واسع الاطلاع، يملك أدوات الاجتهاد، ووسائل الترجيح، ويستوعب قضايا العصر، ويعيش مشكلات الناس، ويبيِّن راجح الأقوال والأعمال من مرجوحها، وفاضلها من مفضولها، وصحيحها من فاسدها، ومقبولها من مردودها، ومسنونها من مبتدعها، لأنه ـ بفضل الله ـ عميق

الفهم في الكتاب والسُّنَّة، وصاحب ملكة في فهم لغة العرب وتذوقها، متمرس بأقوال الفقهاء، يعرف مقاصد الأحكام، وطرائق الاستنباط ومواضع الإجماع، ومواقع الخلاف، فكانت معرفته تلك خير معوان له في محبة الناس، وإقبالهم عليه، وتلقي العلم منه، والتتلمذ على يديه، والرجوع إليه في استفتاءاتهم وأسئلتهم التي يريدون معرفة حكم الشرع فيها.

يقول زميله وتلميذه في الوقت نفسه الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز ابن زامل، في قصيدة نظمها في مدح الشيخ السعدي:

دعْ عنكَ ذكرَ الهوى واذكرْ أخا ثِقَةٍ ... يدعو إلى العلمِ لم يقعُدْ به الضجرُ

شمسُ العلومِ ومن بالفضلِ متصفٌ ... مفتاح خير إلى الطاعات مبتكرُ

بحرٌ من العلمِ نال العلمَ في صغرٍ ... مع التقى حيث ذاك الفوزُ والظفرُ

نال العلا يافعاً تعلو مراتبهُ ... ففضلهُ عند كل الناس مشتهرُ

بالفقه في الدين نال الخير أجمعه ... والفقه في الدين غصنٌ كله ثمرُ

لقاءاتي به:

وحين عزمنا الحج سنة ١٣٧٥هـ مع بعض مدرسي مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، حرصتُ كل الحرص على زيارة الشيخ السعدي في عنيزة، حيث استقبلنا في بيته وبالغ في إكرامنا والاحتفاء بنا، باعتبارنا أساتذة المدرسة التي أسسها شيخه الشنقيطي بالزبير، ورغم قصر المدة فقد استفدنا من علمه وأدبه وخلقه وكرمه وبشاشته الشيء الكثير، وترك في نفوسنا صورة مشرقة عن العالم الزاهد المتواضع البشوش الذي تُنسيك سيرته وأخلاقه سيرة النسب.

ولقد لاحظنا أن الشيخ السعدي على اطلاع واسع بأحوال العالم العربي والإسلامي وما يجري من صراع بين الحق والباطل، وبين الدعاة والبغاة، كما أنه مدرك تمام الإدراك للمؤامرات الكبرى التي تحاك ضد الإسلام والمسلمين، والتي يتولى كبرها المفسدون في الأرض، الذين يحاربون عقيدة الإسلام

وشريعته، وأخلاقه وشعائره، وعلماءه ودعاته، وقد أثنى الثناء الحسن على الدعاة إلى الله الـذين يتصدّون للـطواغيت ويصبرون على الأذى في سبيل الله.

مؤلفاته:

إن العلاّمة السعدي عالم متبحِّر ألَّف في معظم أبواب العلم، من التفسير وعلومه والحديث وشروحه، والفقه وأصوله،والتوحيد ومقاصده، وكانت معظم كتبه تصل إلى طلبة العلم في كل مكان وبالمجان إذ يتولى أبناؤه الأبرار وتلامذته الأخيار، نشرها وإشاعتها بين الناس احتساباً لوجه الله تعالى، وقد جاوزت مؤلفاته الأربعين كتاباً ومن أهمها:

تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن.
القواعد الحسان في تفسير القرآن.
طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول.
الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.
القواعد والأصول الجامعة في أصول الفقه.
التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.
الدرة البهية شرح القصيدة التائية لابن تيمية.
الخطب العصرية المنبرية.
الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.
توضيح الكافية الشافية لابن القيم.
إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب.
الرياض الناضرة في العقائد والفنون.
القول السديد في مقاصد التوحيد.
الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين.
تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله.

رسالة في القواعد الفقهية.
المختارات الجليّة في المسائل الفقهية.
المناظرات الفقهية.
الفتاوى السعدية.
بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار.
منظومة في القواعد الفقهية.
منظومة في أحكام الفقه.
منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة... إلخ.
والعلاّمة الشيخ السعدي هو أول من أنشأ مكتبة في بلدة (عنيزة) ١٣٥٨هـ.

وفاته ورثاؤه:

وقد توفَّى الله الشيخَ السعدي سنة ١٣٧٦هـ تاركاً خلفه ثلاثة من الأبناء هم: عبدالله ومحمد وأحمد، وكانت وفاته بعد زيارتنا له بعام واحد فكان هذا آخر العهد به، وقد رثاه د. عبدالله العثيمين بقصيدة طويلة نقتطف منها هذه الأبيات:

مُهجٌ تذوب وأنفسٌ تتحسرُ ... ولظى على كل القلوب تسعَّرُ
كيف التحدث عن مصابٍ فادحٍ ... أكبادنا من هوله تتفطّرُ
يا راحلاً ريعَ الثقاتُ لفقده ... وبكى تغيبه الحمى والمنبرُ
ما مات مَنْ نشر الفضيلة والتقى ... وأقام صرحاً أُسه لا يكسرُ
ما مات من غمر الأنام بعلمهِ ... الكتبُ تشهدُ والصحائفُ تخبرُ
يا ناصرَ الإسلامِ ضدَّ خصومه ... لك في الجهاد مواقف لا تحصرُ
قد كنتَ للدين الحنيف معضداً ... وبشرعة الهادي القويم تعبرُ
يا زاهداً عرف الحياة فما هوى ... في المغريات ولا سباه المظهرُ
نم في جنان الخلد يا علم التقى ... وانعم بظلٍ وارفٍ لا يحسرُ

نسأل الله المولى القدير أن يتقبَّل شيخنا السعدي في زمرة العلماء العاملين، وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يبارك في عمر من بقي من تلامذته أمثال العلاّمة المؤرخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام[1]، والفقيه المجتهد محمد بن صالح العثيمين[2] وينفع بهم الإسلام والمسلمين.

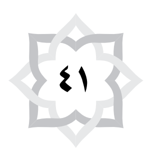


صورة نادرة للشيخ عبدالرحمن السعدي بين سمو الأمير مشعل بن عبدالعزيز أثناء زيارته للقصيم، والشيخ ابن عقيل عام ١٣٧٣هـ

(١) توفي سنة ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٢م.

(٢) توفي سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.





الأخ الداعية عبد الرحمن علي الجودر
(أبو أحمد)

(١٣٤٤ ـ ١٤١٠هـ = ١٩٢٤ ـ ١٩٨٩م)

مولده ونشأته:

هو الأخ الحبيب صاحب القلب الطيب، والخلق الدمث، والعمل الهادئ، الشاب الصالح الذي نشأ في طاعة الله، وتربى في حجر الإسلام، ونهل من معارفه، وتخلق بأخلاقه وُلد في البحرين سنة (١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٤م) وتلقى تعليمه الابتدائي فيها ثم رحل إلى مصر، وكان أول طالب بحريني يلتقي الإمامَ الشهيد حسن البنا بمصر حين ذهابه للدراسة في الكلية الصناعية عام ١٩٤٤م، وقد تأثر بالإمام البنا وبتلامذته وأعجب بمنهجه وأسلوبه في الدعوة إلى الله فانخرط في سلك العاملين من الإخوان المسلمين بأرض الكنانة.

صفاته وأخلاقه:

عاد بعد تخرجه يحمل فكرة الإخوان المسلمين إلى البحرين ينشرها في

أوساط الشباب، ويخاطب الجماهير بها، ويربي طلبة المدارس عليها باعتبارها الحركة الإسلامية الرشيدة في هذا العصر، الملتزمة بمنهج الإسلام المستقى من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة، وكان عمله في المدارس مدرِّساً ومديراً يتيح له التحرك بالدعوة إلى الله في أوساط المدرسين والطلبة وأولياء أمورهم، وكانت سيرته العملية وأخلاقه الفاضلة مما يحببه إلى الناس ويقربهم منه فيتقبلون نصحه وإرشاده ويتأثرون بأفكاره الإسلامية الرشيدة، وكان داعيةً مخلصاً في دعوته، سمحاً في معاملته يألف ويُؤلف، ويسعى في قضاء حوائج الناس وحل مشكلاتهم وتقديم العون المستطاع لمن يحتاج إلى العون، وينشر الكتاب الإسلامي ويتعهد الطلاب والناشئة بالتربية الإسلامية.

قالوا عنه:

يقول عنه الأستاذ عبدالله أبو عزة في كتابه (مع الحركة الإسلامية في الدول العربية):

«كان الأخ عبد الرحمن الجودر هو الأنشط والأكثر دأباً في العمل والدعوة رغم كثرة المسؤوليات. كان ناظر مدرسة ابتدائية في قرية (عراد)، بينما كان بيته وسكنه في مدينة (المحرق)، وكان من مظاهر نشاطه الفائق الجهد الذي صار يبذله في تجميع الإخوان للالتقاء، فكان يستعير سيارة يقودها ويجمع إخوانه بعد صلاة العشاء من بيوتهم المتناثرة في أربع من مدن البحرين وقراها، فإذا انتهى لقاؤهم أعاد كلاً إلى بيته وقليلاً ما كان يتركهم يعودون بأنفسهم» انتهى.

دور المدرسين المصريين:

وكان للمدرسين المصريين من الإخوان المسلمين الذين عملوا بالبحرين دورهم الأساس في نشر فكرة الإخوان المسلمين ومبادئهم، فقد تجاوب الناس معهم لما رأوا فيهم من الإخلاص في تدريس أبنائهم والحرص على مصلحتهم،

ولما كانوا يتمتعون به من أخلاق فاضلة ومعاملة طيبة فضلاً عن الوعي السياسي الناضج لما يحيط بالإسلام والمسلمين من أخطار نتيجة الاستعمار وأعوانه من المبشرين النصارى الذين كان لهم دور نشط مبكر في منطقة الخليج منذ زار البحرين (القس زويمر) المبشر الأمريكي المشهور عام ١٩٠٥م وأرسى قواعد التبشير في المنطقة وبخاصة البحرين من خلال المدارس والمستشفيات والخدمات الاجتماعية في ظل الحماية البريطانية التي كانت تبسط نفوذها على البحرين ودول الخليج.

ولقد كان لهذا العمل المبارك والجهاد الدؤوب من الأخ الجودر وإخوانه: جاسم الشيخ، عيسى الخليفة، جلال المير، وعبدالله جميل ـ الدور الأساس في توعية الشباب المسلم لينهض بدوره في الحياة.. أي عبادة الله على بصيرة والتصدي لأعداء الإسلام الذين يكيدون للإسلام والمسلمين ويبذلون جهودهم لإخراج المسلمين من دينهم وصرفهم عن طريق الحق والخير والهدى والرشاد.

حكمته في مواجهة الفتن:

ولقد مرَّت بالبحرين عواصف هُوْجٌ من الأفكار القومية والناصرية والعلمانية واليسارية فسقط في بؤرتها من سقط وغرق في حمأتها من غرق، وعافى الله أبناء الإسلام في البحرين من تلامذة الجودر وإخوانه، فصمدوا كالطود الشامخ أمام هذه الأعاصير الهوج، والقواصم المدمرة التي اجتاحت العالم العربي كله ومنه دول الخليج، وكانت البحرين في مقدمة من تعرض للفتن والاضطرابات والنزاع والمشاحنات، وعمل بعض المفسدين من دعاة الشرق والغرب على حد سواء على استدراج الإخوان المسلمين إلى أتون هذه الفتنة الخاسرة ولكن الله سلم بفضل الحكمة والسداد اللذين تحلى بهما الإخوان في البحرين وعلى رأسهم الأخ العامل المجاهد عبد الرحمن الجودر، وظلوا على منهجهم التربوي وأسلوبهم الدعوي والتزامهم الخلقي مما أفسد خطط تلامذة الاستعمار

وسماسرة السياسة وأصحاب المطامع والشهوات من دعاة الهدم والتخريب الذين أرادوا إغراق البلاد في بحر من الفوضى والاضطراب والتدمير والتخريب وهلاك الحرث والنسل.

واستمر الإخوان المسلمون في البحرين ينشرون دعوة الإسلام، ويربون الشباب عليها ويسلكون كل الوسائل المشروعة لبذل النصح والإرشاد والتقويم والإصلاح، ويقيمون المشاريع النافعة للأمة من المساجد والمدارس والمكتبات والأندية التي هي محاضن للجيل المسلم ومجال خصب لتعميق معنى الأخوة الإسلامية بينهم دون النظر إلى الجنس أو العرق أو اللون أو اللغة، لأن رابطة العقيدة هي أقوى الروابط كلها فهي تجمع المسلمين على كلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فيعيش المسلمون في بقاع الأرض كلها أمة واحدة، ربها واحد، وكتابها واحد، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة، فهي كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

معرفتي به:

ولقد شَرُفْتُ بالتعرف إليه بعد تخرجي في الأزهر أوائل الخمسينيات، كما سعدنا باللقاء به في أماكن شتى في البحرين وبلاد الشام والعراق والسعودية، وزارنا مرات ومرات في الكويت بمكتبة المنار وجمعية الإصلاح، وديوانية الجمعة، وجمعية النجاة، وكنت في كل لقاء أزداد حباً لهذا الرجل وإعجاباً بأخلاقه وعمله الصامت، وجهاده الدؤوب، وبساطته وتواضعه وحسن حديثه، وطريقته في الدعوة الفردية والجماعية، ومعايشته لمشكلات الناس، وبذل الجهد الحثيث لإصلاح ذات البين، والمشي في حاجات المسلمين وقضائها، والنصح لأولي الأمر بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة للمخالف في الرأي بالأسلوب الحكيم والمنهج السديد وضرب الأمثلة، وتقديم الإرشاد المصحوب بالدليل لإقناع المخالف، وكانت خطبه ومواعظه ودروسه ومحاضراته في

المساجد والمدارس والأندية والمؤتمرات تمثل المنهج الإسلامي الأصيل المستقى من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة.

إصلاح ذات البين:

ولست أنسى له مواقفه في إصلاح ذات البين بين المجاهدين الأفغان، فقد كان مع إخوانه من البلدان العربية والإسلامية يسلكون كل السبل لجمع الكلمة وتوحيد القلوب لقادة المجاهدين الذين ـ كانوا على جلالة قدرهم في الجهاد ومضاء عزيمتهم في الجلاد وصبرهم في القتال ـ تنقصهم اليقظة لمكائد الأعداء ومعرفة الدخيل من الأصيل في تلك الحرب الضروس.

كما كان الأخ الجودر عضواً برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة من خلال مجلسها التأسيسي والمجلس الأعلى العالمي للمساجد، وقد شارك في تأسيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت، وهو من مؤسسي نادي الإصلاح ومكتبة الثقافة بالبحرين.

كما كان كثير الرحلات والأسفار للبلاد العربية والإسلامية للالتقاء بإخوانه الدعاة العاملين في الحقل الإسلامي والمشاركة في كل ما من شأنه مصلحة الإسلام والمسلمين.

ولقد امتحنه الله فكان نعم العبد الصابر على البلاء في بدنه وماله، وظلّ على وفائه لدعوته ومحبته لإخوانه يكثر الدعاء لمشايخه وأساتذته الذين كان لهم الفضل ـ بعد الله ـ في دلالته على طريق الدعوة الإسلامية والسير في ركاب حركة الإخوان المسلمين.. كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة التي تعمل جاهدة لنشر الإسلام وإبلاغ دعوته للناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها متحملة كل المغارم في سبيل الله وابتغاء مرضاته متصدية للمستعمرين وأعوانهم وأذنابهم من الصهاينة والشيوعيين والعلمانيين، مرخصة الغالي والنفيس للذود عن حياض الإسلام والتصدي للطغاة والبغاة أينما كانوا وحيثما وجدوا.

لقد صمد الإخوان المسلمون أمام كل الدعوات الباطلة والمؤامرات الكبرى التي تريد تقطيع الوطن الإسلامي واحتلاله فجاهدوا اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨م وجاهدوا الإنجليز في قناة السويس عام ١٩٥١م واستشهد منهم المئات هنا وهناك، كما انتصبوا كالطود الأشم أمام الطاغوت الفرعوني الذي جاء به الغرب لحرب الإسلام وضرب الحركة الإسلامية المتنامية بمصر فما لانت لهم قناة ولا وهن لهم موقف بل صبروا ورابطوا وقدموا التضحيات الجسام في الزنازين وعلى أعواد المشانق وبذلوا مهجهم وأرواحهم في سبيل الله فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا ولم يقدموا التنازلات ولا استسلموا للمغريات، بل ثبتوا بتثبيت الله وصبروا بتصبير الله فكانت العاقبة خيراً، فقد لقي الله من اختارهم شهداء وبقي منهم من لا يزال يحمل أمانة الدعوة إلى الله ويهتف بالله غاية، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن دستوراً، وبالرسول قائداً، وبالجهاد سبيلاً، وبالشهادة أمنية، ومن هؤلاء الأخ الداعية عبد الرحمن الجودر ولا نزكيه على الله، لكن نحسبه كذلك والله حسيبه.

وفاته:

لقد غادر دنيانا الفانية إلى الآخرة، حيث رحمة الله التي وسعت كل شيء وكان ذلك يوم ٢٦ / ٤ / ١٤١٠هـ ـ الموافق ٢٤ / ١ / ١٩٨٩م) وهو اليوم نفسه الذي استشهد فيه البطل القائد عبدالله عزام. رحمهما الله رحمة واسعة.

رثاؤه:

وقد نعته الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية على لسان رئيسها الشيخ يوسف جاسم الحجي بقولها: «افتقدت الهيئة أحد الشخصيات الإسلامية البارزة، ممن عمل في حقل الدعوة الإسلامية ردحاً من الزمن وساهم بجهده ووقته لدعم أعمال الخير والبر. وكان إماماً وخطيباً وداعية؛ كما كان نائب رئيس جمعية الإصلاح

بالبحرين، بالإضافة إلى أنه أحد الأعضاء المؤسسين للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية التي شارك في العديد من اجتماعاتها وأنشطتها ذلكم هو الشيخ عبد الرحمن علي الجودر من البحرين الشقيق ونسأل الله العلي القدير أن يرحمه رحمة واسعة ويتقبله عنده قبولاً حسناً، وينزله منازل الشهداء والصالحين».

كما نعته جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت على لسان رئيسها الشيخ عبدالله علي المطوع وأشادت بتاريخه وسيرته ومواقفه.

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وبارك في ذريته وثبت تلامذته وإخوانه على دين الحق ودعوة الصدق.





الشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود (أبو الطيب)

(١٣٣٢ ـ ١٣٦٨هـ = ١٩١٣ ـ ١٩٤٨م)

أحاديث ذات شجون:

في ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، كنت في زيارة لدار الإخوان المسلمين في عمّان، والتقيت الأخ الدكتور محمد أبو فارس، ودارت أحاديث ذات شجون عن أوضاع المسلمين في العالم، وبخاصة في فلسطين، وكيف أن المخلصين من أبناء فلسطين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل الدفاع عنها، والتصدي للإنجليز واليهود على حد سواء، وأنهم كانوا مدركين لمخططات الأعداء في وقت مبكر وبخاصة بعد المؤتمر الصهيوني بسويسرا سنة ١٨٩٧م برئاسة هرتزل؛ وصدور وعد بلفور سنة ١٩١٧م الذي جاء فيه: «.. إن حكومة ملك بريطانيا تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وسوف تبذل أقصى جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية».

وفي سنة ١٩٢٠م وُضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني لتحقيق هذا

الهدف، وعيّن أول رئيس لحكومة الانتداب اليهودي الصهيوني (هربرت صموئيل). وقادة العرب كانوا في شغل عن فلسطين وأهلها.

وفيما نحن نتحدث عن المجاهدين من أهل فلسطين جرّنا الحديث إلى ذكر الشاعر المجاهد عبد الرحيم محمود، الذي كنت أحد تلامذته في المرحلة الابتدائية بمدرسة المقام بالبصرة، حيث كان مدرساً فيها آنذاك عام ١٩٤٠م، فقال لي د. أبو فارس: إن الشاعر عبد الرحيم محمود كان ذا وعي شديد، وبصر ثاقب بالقضية الفلسطينية، وأنشد بيتين من قصيدة ألقاها أمام الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود (الملك فيما بعد) الذي كان يزور فلسطين والقدس عام ١٩٣٥م جاء فيها:

يا ذا الأمير أمام عينك شاعر	ضمت على الشكوى المريرة أضلعه
المسجد الأقصى أجئتَ تزوره	أم جئت من قبل الضياع تودّعه

مولده ونشأته وسيرته:

وُلد شاعرنا الشهيد في بلدة «عنبتا» بقضاء طولكرم بفلسطين عام ١٩١٣م، وبعد حصوله على الثانوية عمل مدرساً بمدرسة النجاح بنابلس، ثم انخرط في كتائب الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦م تحت قيادة البطل عبد الرحيم الحاج محمد الذي قاوم الإنجليز واليهود حتى لقي ربه شهيداً عام ١٩٣٩م، فلاحقت القوات البريطانية رجاله فخرج عبد الرحيم محمود إلى العراق حيث عمل في مدرسة المقام بالبصرة، وكنت من طلاب الصف الرابع الابتدائي فيها في ذلك الوقت، مع مالك المنديل، ومحمد الشعيبي وعبد العزيز الذكير وغيرهم، وباعتباره المدرس المشرف على نظام الطابور الصباحي، فقد كان يقدّم الطلاب لإلقاء الخطب والقصائد الحماسية من نظمه أو نظم غيره، وكلها تحثّ على الثورة على الاستعمار البريطاني، وتحرير أوطان العروبة والإسلام من سيطرة النفوذ الأجنبي، وكان يكره الإنجليز واليهود كرهاً شديداً، فلا تخلو

قصائده وكلماته، ودروسه العربية وأمثلته النحوية، من غمزهم والسخرية منهم وإيغار القلوب ضدّهم، وكثيراً ما كان يقدّمني في طابور الصباح لإلقاء كلمة أو إنشاد قصيدة، وكنت أستعين بابن عمي سعود عبد العزيز العقيل الذي كان يقرض الشعر وهو طالب في المرحلة الثانوية، فألقي بعض قصائده بطابور الصباح ومنها:

نحن الرفيعون عند الله منزلة ... في كل يوم لنا نصر به ظفر

لسنا نذل إذا أعداؤنا اعتصبت ... ولا نهاب إذا أعداؤنا كثروا

بل سيفنا لاعب فيهم كما لعبت ... أيدي السباع بسرب كله بقر

والإنكليز وحوش البر ضاربة ... لكنما العرب أهل الحلم إن قدروا

فيعجب بها الشاعر عبد الرحيم محمود، ويطلب إعادتها لإثارة حماسة الطلبة، ويضيف عليها من شعره ما يلهب المشاعر ويؤجج النفوس لبغض الإنكليز واليهود.

يقول د. جابر قميحة عن الشاعر عبد الرحيم محمود: «عرفته شعراً قبل أن أعرفه شاعراً، فكنا نحن في الابتدائية نتغنى بتلك الكلمات الرنانة القارعة:

سأحمل روحي على راحتي ... وألقي بها في مهاوي الردى

فإما حياة تسر الصديق ... وإما ممات يغيظ العدا

ونفس الشريف لها غايتان ... ورود المنايا ونيل المنى

وكنت أتساءل: كيف (ممات) يغيظ العدا؟ ثم تمر الأيام وأكتشف المعنى الخالد في مثل هذا (الممات) الذي يغيظ الأعداء ويسوؤهم ويزلزل أركانهم، ويقوض بنيانهم» انتهى.

وللشاعر المجاهد عبد الرحيم محمود ديوان شعر طبع بعد استشهاده بإشراف د. كامل السوافيري عدة طبعات سرعان ما نفد من الأسواق لإقبال الناس عليها، ومن شعره قصيدة يقول فيها:

الـــحـــق لـــيس بـــراجـــع لـــذويـــه إلا بـــالـــحـــرابْ
والصـــرخـــة الـــنـــكـــراء تـــجـ ـدي لا الـتـلـطّـف والـعـتـابْ

ويقول في أخرى:

وأقم على الأشلاء صرحك إنما مـن فـوقـه تـبـنـى الـعـلا وتـقـامُ
واغصب حقوقك قط لا تستجدها إن الألى سلبوا الحقوق لئامُ

جهاده في العراق وفلسطين:

وحين أَعلنت ثورة رشيد عالي الكيلاني الحرب على الإنجليز في العراق عام ١٩٤١م، غادر أستاذنا عبد الرحيم محمود المدرسة وانضم إلى صفوف العراقيين الثائرين ضد الإنجليز الذين سلّموا فلسطين لليهود، فلما فشلت الثورة عاد إلى وطنه فلسطين مدرساً بمدرسة النجاح مرة أخرى.

ولقد ترك غيابه عن مدرستنا فراغاً كبيراً جداً، وتأثر الطلاب على فراقه غاية التأثر، فقد كان محبوباً من الطلاب والأساتذة لصراحته وصدقه وإخلاصه وتدينه وصلاحه وتقواه وشجاعته وغيرته ومروءته.

وبعد قرار تقسيم فلسطين سنة ١٩٤٧م واندلاع الجهاد مجدداً في فلسطين سنة ١٩٤٨م ترك أستاذنا مدرسة النجاح وانضم إلى ركب المجاهدين، وتولى قيادة سرية من سرايا فوج حطين، ودخل في معارك مع القوات الغازية، وبخاصة في منطقة بني عامر.

استشهاده:

وفي «معركة الشجرة» يوم ١٣ / ٧ / ١٩٤٨م ـ وهي آخر معركة يخوضها البطل المجاهد ـ أصابته شظية من شظايا القنابل اليهودية في عنقه فخر صريعاً مضرجاً بدمه، ولم يمكن إسعافه لتدحرج السيارة التي تحمله أسفل الوادي، فنال الشهادة ولم يبلغ من العمر سوى خمسة وثلاثين عاماً.

لقد ترك أستاذنا القائد الشهيد عبد الرحيم محمود تاريخاً مسطراً بالدماء، وشعراً يفيض بالحماسة، وسيرة عطرة مليئة بالوفاء والإخلاص لأرض الإسراء والمعراج، الأرض المباركة المقدسة التي دنستها أقدام يهود إخوان القردة والخنازير.

نماذج من شعره:

ولنستمع إليه وهو يقول:

كشِّري ما شئت يا سود الليالي ... فأبو الطيب لا يخشى العوالي
إن تقاعستُ عن الحرب فإني ... مجرم يقعد عن شأو المعالي
غايتي ألقى المنايا عاجلاً ... في مجال العلم أو ساح النضالِ
فابسمي يا أم عبد إنه ... زف للحور وولى وهو عالي

ويقول في أخرى:

وما العيش لا عشت إن لم أكن ... مخوف الجناب حرام الحمى
إذا قلت أصغى لي العالمون ... ودوى مقالي بين الورى
ونفس الأبي لها غايتان ... ورود المنايا ونيل المنى
لعمرك إني أرى مصرعي ... ولكن أغذُّ إليه الخطا
أرى مقتلي دون حقي السليب ... ودون بلادي هو المبتغى

ويقول محذراً شعبه من تقليد الأمور لذوي النفوس الضعيفة:

يا شعبُ يا مسكينُ لم ... تُنكَب بنكبتكَ الشعوبْ
قلّدت أمركَ من بهم ... لا يرجِعُ الحق الغصيبْ
لهفي عليك ألا ترى ... يا شعب حولكَ ما يريبْ؟

كتبوا عنه:

وقد كُتبت عنه أطروحة جامعية بعنوان «الشاعر عبد الرحيم محمود» كتبها

نافع عبدالله سنة ١٩٧٩م. كما كَتبَ عنه وليد صادق جرار كتاباً بعنوان (شاعران من جبل النار) سنة ١٩٨٥م. وكتب عنه رشيد جبر الأسعد (الشاعر عبد الرحيم محمود بطل معركة الشجرة) سنة ١٩٨٥م وكتب عنه د. جابر قميحة (الشاعر عبد الرحيم محمود) وكتب عنه حسني جرار في (أدباء من جبل النار) وغيرهم كثير من الكتَّاب والأدباء والدارسين الذين يعرفون قدره وجهاده.

هذا هو شاعرنا ومعلمنا القائد المجاهد والبطل الشهيد عبد الرحيم محمود، المثل الحيّ للشعب الفلسطيني الصابر وتلك بعض مواقفه: عزة نفس، واستعلاء على الزخارف، وإيمان قوي، وشجاعة نادرة، وإقدام جسور، لا يعرف المساومة، ولا يخضع للطغيان، ولا يستجيب للمغريات، ولا يبيع نفسه لقوى الشرق أو الغرب، ولا يستسلم للضغوط ولا تخدعه مواثيق اليهود ولا عهودهم، لأنهم هم المفسدون في الأرض، وقتلة الأنبياء، وكل من والاهم أو عاهدهم، هو منهم وعبد من عبيدهم.

إن الذين باعوا نفوسهم بثمن بخس لليهود، وفرَّطوا في الأرض والعرض وولغوا بدماء الأبطال من شباب فلسطين، وشايعوا اليهود في حرب المجاهدين، لن يرحمهم التاريخ، ولن تسكت عنهم الشعوب، وسيأتي القصاص منهم على أيدي حفدة الأبطال المجاهدين، أمثال عز الدين القسام، وعبد الرحيم حاج محمد، وعبد القادر الحسيني، وعبد الرحيم محمود وإخوانهم الشهداء الأبرار: ﴿**ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً**﴾ [الإسراء:٥١].

فهل يذكر الطيب عبد الرحيم سيرة أبيه البطل ويسير على دربه؟ وهل يذكر فيصل عبد القادر الحسيني سيرة أبيه البطل ويسير على نهجه[١]؟ وهل يعود الحق إلى نصابه، ويكون ورثة هؤلاء الأسود رجالاً يجددون سيرة الآباء الصناديد والأبطال المغاوير، والشهداء المؤمنين، الذين رووا بدمائهم ثرى الأرض

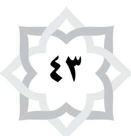
(١) توفي سنة ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م.

المباركة ودافعوا عن الأقصى، قِبلة المسلمين الأولى، وثالث المساجد التي تشدّ إليها الرحال.

أملنا بالله جدٌّ كبير في الجيل الجديد من أبناء فلسطين الذين آمنوا بأن الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة وأن المسلمين هم ورثة الأرض وأن لا بقاء لليهود والصليبيين وأعوانهم في ديار المسلمين إذا نحن صدقنا مع الله وأخلصنا النّية له وأخذنا بالأسباب فالنصر آت بإذن الله والله غالب على أمره.



المؤلف مع الدكتور مانع الجهني
الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي في الجزائر سنة ١٩٩٠م
في حديث عن فلسطين وجهادها المستمر



الأصولي الفقيه..
الشيخ عبدالرزاق عفيفي
(١٣٢٣ ـ ١٤١٥هـ = ١٩٠٤ ـ ١٩٩٤م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية، ولد في بلدة (شنشور) التابعة لمركز (أشمون) في محافظة (المنوفية) بمصر سنة ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٤م.. درس المرحلة التعليمية الابتدائية ثم المرحلة الثانوية ثم القسم العالي في الجامع الأزهر، وحصل على الشهادة العالمية سنة ١٣٥١هـ، ثم درس مرحلة التخصص في شعبة الفقه وأصوله، ونال شهادة التخصص وكان رئيساً لجماعة أنصار السُنَّة المحمدية بعد رحيل مؤسسها الشيخ محمد حامد الفقي، وكان من أبرز كتّاب مجلتها (الهدي النبوي) التي صدر أول عدد منها في شهر ربيع الآخر سنة ١٣٥٦هـ، وعيَّن مدرساً بالمعاهد العلمية التابعة للأزهر.

مسيرته العلمية والعملية:

انتُدب للتدريس بالمملكة العربية السعودية بترشيح من الشيخ محمد بن مانع، فعمل مدرساً في وزارة المعارف السعودية سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م، ثم عيّن مدرساً بمدرسة دار التوحيد بالطائف، ثم بمعهد عنيزة بالقصيم سنة ١٣٧٠هـ ثم في الرياض للتدريس بالمعاهد العلمية، ثم نقل للتدريس بكلية الشريعة، وكلية اللغة العربية، ثم كان مديراً للمعهد العالي للقضاء سنة ١٣٨٥هـ، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سنة ١٣٩١هـ وعين نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، كما كان عضواً في هيئة كبار العلماء، وساهم في وضع المناهج.

وقد تولى الإشراف العلمي على عدد من الرسائل العلمية العالية كالماجستير والدكتوراه، وكانت له حلقات علمية في تفسير كتاب الله، يلقيها في مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم في الرياض، وقد انتفع بعلمه خلق كثير، وتخرج على يديه الكثير من العلماء.

عني بعلوم اللغة والتفسير والأصول والعقائد والسنة والفقه حتى إنه إذا تحدث في علم من هذه العلوم، ظن السامع أنه تخصصه الذي شغل فيه كامل وقته، وقد كانت له عناية خاصة بدراسة أحوال الفرق.

صفاته: كان الشيخ عبدالرزاق عفيفي يرحمه الله غني النفس، بعيداً عن حب الظهور، وكان ينفق راتبه أول كل شهر على الفقراء من المسلمين، ولقد أسكن في بيته رجلاً منهم لمدة خمسة وعشرين عاماً دون أن يتقاضى منه أجراً.

وكان له أيام الملك عبدالعزيز درس كل يوم أربعاء، ويحضره الملك عبدالعزيز نفسه.

وعلى الرغم من كبر سن الشيخ عفيفي، فقد كان منظماً في عمله، محافظاً على وقته بين الدرس والتدريس، وكان قوي الحافظة والملاحظة، محكم الرأي، مناظراً قوي الحجة، واسع الصدر، حسن المناقشة، زاهداً في متاع الدنيا، فكان

ممن طال عمره وحسن عمله، وكان يرى أن لا ضرورة للتأليف في زماننا هذا إلا للضرورة القصوى، لأن العمل في نشر المؤلفات القديمة بإتقان وعناية، يغني عن هذا التخبط الذي نراه.

ابتلاؤه:

وقد ابتلاه الله ببلايا عظيمة، فكان صابراً محتسباً، من ذلك أن ولده أحمد مات في حرب رمضان ضد العدو الصهيوني، ثم مات ولده عبدالرحمن في حادث سيارة بالسعودية، ثم مات ولده عبدالله، كل ذلك والشيخ صابر محتسب، ولقد أصيب بمرض لازمه أكثر من ربع قرن، واشتد به المرض في السنوات الأخيرة من عمره، ولم يمنعه ذلك من ممارسة عمله، وانتقاله إلى مقر عمله ومكتبه في دار الإفتاء والبحوث، بل والصلاة مع الجماعة في المساجد.

ولقد وصفه من عايشه وخالطه بأنه موسوعي المعرفة، متنوع المدارك، متفنن في سائر العلوم، محارب للبدع والخرافات.

تلامذته:

تتلمذ على يديه الكثير من طلبة العلم الذين صاروا من كبار العلماء والقضاة والمستشارين والدكاترة والمدرسين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

الشيخ عبدالله الجبرين.

الشيخ عبدالله البسام.

الشيخ عبدالله بن قعود.

الشيخ صالح الفوزان.

الشيخ عبدالله بن منيع.

الشيخ عبدالله الغديان.

الشيخ محمد بن جبير.

الشيخ عبدالله التركي.
الشيخ صالح الحصين.
الشيخ راشد بن خنين.
الشيخ صالح سعود آل علي.
الشيخ صالح عبدالرحمن الأطرم.
وغيرهم كثيرون ممن لا يحصون من العلماء والمشايخ.

أهم مؤلفاته:

الإحكام في أصول الأحكام للآمدي «تعليق».
عقيدة أهل السنة والفرقة الناجية لابن تيمية «تعليق».
مذكرة التوحيد.
رسائل ودراسات في منهج أهل السنَّة.
شبهات حول السُّنَّة.
تفسير الجلالين (تعليق).
بالإضافة للكثير من الكتب والرسائل التي أشرف عليها، أو قدمها، أو علق عليها.

وكان أحب الكتب إليه كتاب (المستصفى) للغزالي، وكتاب «الموافقات» للشاطبي، وكتاب «القاموس المحيط» للفيروزابادي.

قالوا عنه:

يقول عنه الشيخ الألباني: «إن الشيخ عبدالرزاق عفيفي من أفاضل العلماء، ومن القلائل الذين نرى منهم سمت أهل العلم وأدبهم، ولطفهم وأناتهم، وفقههم.

وقد التقيته غير مرة في مواسم الحج، وكنت أستمع أحياناً إلى إجاباته العلمية على استفتاءات الحجاج المتنوعة، وكانت محكمة تدل على فقه دقيق، واتباع ظاهر لمنهج السلف».

ويقول د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي:

«لقد عرفت الشيخ عبدالرزاق عفيفي منذ نحو ثمانية وأربعين عاماً، وتوطدت صلتي به في أثناء طلب العلم والدراسة في كلية الشريعة في الرياض، ثم في المعهد العالي للقضاء، ثم في حلقات المساجد والمحاضرات في الجامعات، ومناقشة الرسائل الجامعية، وازدادت معرفتي به حينما لازمته فترة إعداد بحثي في الماجستير حيث كان مشرفاً عليه، فكان نعم الموجه والناصح يبذل وقته وجهده، ويحرص على إفادة طالب العلم.

ولا أبالغ إذا قلت: إن غالب منسوبي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من طلابه، أو طلاب طلابه، بل إن هذا الوصف ينطبق على غالب العلماء في المملكة العربية السعودية سواء أكانوا في القضاء أم التدريس أم الإفتاء والدعوة، لقد عاصر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية منذ سنواتها الأولى، واستمر عطاؤه لها إلى أن توفاه الله، وكان من أبرز الذين أفادوا الجامعة في كلياتها ومعاهدها، واستمر عطاؤه في تلك الكليات والمعاهد بعد وفاة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، ثم في مجال الإفتاء والدعوة في رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وكان فيهـا من المقربين لسماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في نشر العلم، والدعوة إلى الله، والدفاع عن دينه.

إن فضيلة الشيخ عبدالرزاق عفيفي يتصف بصفات يندر أن تجتمع في شخص، غزارة العلم، ورجاحة العقل، والزهد في الدنيا ومظاهرها، وحب الخير للآخرين، وبذل جاهه وماله في ذلك، ولقد امتاز عن غالب زملائه وأقرانه الذين درسوا في الأزهر وفي غيره من المؤسسات العلمية، بشدة متابعته لسلف الأمة الصالح، وتركيزه في آرائه وتدريسه على العقيدة الإسلامية الصافية المرتبطة بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

وكان يقوّم كل بحث أو رأي في ضوء الأسس والأصول الصحيحة التي

التزمها السلف الصالح والأئمة الكبار، حينما واجهوا الفلسفات المادية، والاختلافات في الأصول والفروع».

ويقول الدكتور صالح آل علي: «كان الشيخ عبدالرزاق عفيفي من ضمن مجموعة العلماء الذين عملوا في دار التوحيد، كما كان من أوائل من جاء للتدريس في المعاهد العلمية، وكان مع الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية آنذاك، ومع الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم خير معين على السير بهذه المعاهد والكليات من بعد ذلك، نحو تحقيق الرسالة المنوطة بها، لقد كان ذا باع طويل في علوم الشريعة، وله القدح المعلّى في التفسير وعلوم القرآن، وقل أن يوجد له نظير في التوحيد وعلم العقائد والمذاهب والملل والنحل، أما في علم أصول الفقه فهو علم من أعلامه، له في ميدانه اليد الطولى، أما الفقه فإليه فيه المنتهى، وقد شرفتُ أن أكون أحد تلاميذه، في كلية الشريعة، ثم في المعهد العالي للقضاء، وخبرته من قرب، ورأيت فيه ما كنت أقرأ عن علماء السلف من العلم الجمّ، والفقه في الدين، والتحلي بمبادئ هذا الدين، من تواضع، وتقى، وزهد، وورع، وصبر، وحب لهذه الأمة، وحرص على أن تظل كما هو مؤمّل منها، منارة هدى، ومصدر إشعاع، وموئل عز للإسلام والمسلمين».

ويقول الشيخ عبدالله الجبرين:

«إن الشيخ عبدالرزاق عفيفي عطية من علماء الأزهر الشريف قديماً، أدرك الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، ونحوهما، وكانت دراسته في العلوم الشرعية كالحديث واللغة والتفسير والأحكام، حتى تفوّق على زملائه وبعض مشايخه، وكان من زملائه الشيخ عبدالله بن يابس، وكان بينهما من المحبة والصحبة وقوة الأخوة ما لا يوجد مثله إلا نادراً، فكان زواجهما متقارباً في مصر من زوجتين صالحتين كالأختين، واستمر الودّ بينهما متصلاً حتى الوفاة.

أما علم الشيخ عبدالرزاق عفيفي فهو بحر لا ساحل له في أغلب العلوم التي يتناولها بالبحث والشرح.

ويضيف الشيخ عبدالله: لقد عرفته لأول مرة في العام ١٣٧٤هـ كان يزور بعض المشايخ كالشيخ عبدالعزيز محمد الشتري، ونقرأ عليه في المجلس حديثاً من صحيح البخاري، فيشرحه شرحاً موسعاً، بحيث يستغرق شرح الحديث الواحد أكثر الجلسة.

وشهدتُه في أحد الأعوام يفسر سورة (سبأ) في مسجد الشيخ محمد ابن إبراهيم، فكان يبقى في تفسير الآيتين نحو ساعة أو أكثر، ويستنبط من الآيات فوائد وأحكاماً وأقوالاً وترجيحات يظهر منها عظمة القرآن الكريم وما فيها من الاحتمالات والفوائد، مما يدل على توسع الشيخ، وسعة اطلاعه، وكثرة معلوماته. أما أخلاقه فقد عُرف عنه لين الجانب، وطلاقة الوجه، وحسن الملاحظة، فهو أمام الزوار والتلاميذ يظهر دائماً الفرح والسرور والانبساط في الكلام، والإجابة عن الأسئلة، دون غضب أو ملل أو تبرم أو رد شديد للسائل، فجليسه يلقى منه كل المؤانسة والتبسم بحيث لا يمل».

ويقول الدكتور صالح الأطرم:

«صفات الشيخ عبدالرزاق عفيفي صفات العلماء الأفذاذ الذين مضوا وسجَّل لهم التاريخ ما يبقى من المحاسن إلى يوم القيامة، والشيخ عبدالرزاق جمع العلم والعقل، وقد اشتهر بحبه للنفع ، وبذله للنصح، فهو المستشار الناصح لكل من استشاره من مسؤول أو من سائر الأفراد، وكان ثاقب النظر، عارفاً بطلابه واتجاهاتهم، من يصلح للقضاء أو للتدريس في حقول التعليم أو الوظائف الإدارية، وكان حريصاً على تأهيل من يتولون المسؤوليات من قضاء وتدريس وأعمال إدارية، وكان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يعتمد رأيه في المناهج وفي الكتب المقررة».

معرفتي به :

كانت أول معرفتي به سنة ١٣٧٥هـ عن طريق الشيخ مناع القطان الذي كان من

تلامذته، ومن قريته في مصر، فقد التقيناه في موسم الحج لذلك العام، وكنت مع زملائي مدرسي مدرسة النجاة الأهلية في الزبير في بعثة الحج، ولقد أثنى الشيخ مناع على أستاذه الثناء العاطر، وذكر الكثير من مواقفه في نصرة الحق وأهله، والتزامه المنهج السلفي المستقى من الكتاب والسنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة.

ثم تكررت اللقاءات معه كلما قدمت من الكويت لزيارة الرياض، سواء في منزله أو منزل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، أو منزل الشيخ عبدالعزيز بن باز، أو في مكتبه في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، أو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وهيئة كبار العلماء، أو في مواسم الحج بمكة المكرمة.

وكنت أوصي ابني الكبير مصطفى الذي يدرس بجامعة الرياض بزيارة الشيخ والتردد عليه وإبلاغه سلامي وتحياتي، وكان الشيخ يحمّله السلام إليَّ، ويدعو لي بالخير ويقول له: «إن أباك على ثغرة من ثغور الإسلام».

وحين استقر بي المقام بالرياض ومكة المكرمة، كنت أحرص على زيارته والاستفادة من علمه وتوجيهاته، فقد كان بركة من بركات العصر في العلم والصلاح والتقوى والزهد والصبر والقناعة.

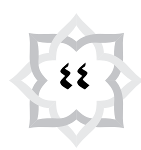
وكنت أسمع منه الثناء الحسن على الدعاة بمصر، وثباتهم على الحق، وعدم الركون إلى الظالمين من الطغاة، وكان يحب الشيخ مناع القطان ويثني عليه ويعلم صلتي به.

وفاته:

كانت وفاته يوم الخميس ٢٥ / ٣ / ١٤١٥هـ ـ ١ / ٩ / ١٩٩٤م، وقد صُلي عليه بعد صلاة الجمعة في الجامع الكبير بمدينة الرياض، وأمّ المصلين سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، ودُفن في مقابر الرياض.

رحم الله أستاذنا الشيخ رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين.





فقيه العصر وزينة الدهر

الإمام عبد العزيز بن باز

(١٣٣٠ ـ ١٤٢٠هـ = ١٩١٠ ـ ١٩٩٩م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ العلاّمة والإمام الرباني عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز، ولد في مدينة الرياض يوم ١٢ / ١٢ / ١٣٣٠هـ، ونشأ في أسرة متوسطة الحال، وكان بصيراً في صغره ثم أصيب بفقد البصر فيما بعد وعمره عشرون عاماً.

توفي والده وعمره ثلاث سنوات، فعاش يتيماً في حجر والدته، حفظ القرآن وهو دون سن البلوغ، وطلب العلم والتفقه في الدين على المشايخ، من أشهر شيوخه: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد عتيق، والشيخ صالح عبدالعزيز آل الشيخ، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سعيد وقاص البخاري وغيرهم.

حياته العملية: تولى القضاء من سنة ١٣٥٧هـ إلى سنة ١٣٧١هـ، ثم التدريس

بكلية الشريعة حتى سنة ١٣٨٠هـ، ثم منصب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم رئيساً لها من سنة ١٣٩٠هـ، ثم مفتي المملكة سنة ١٤١٤هـ، ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ورئيس المجمع الفقهي ورئيس المجلس العالمي للمساجد وغيرها من المهمات الكثيرة.
وقد حصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٢هـ.

كان صادقاً صابراً أميناً شجاعاً في كلمة الحق ملتزماً بالكتاب والسُّنة في كل شؤونه، حاضر البديهة قوي الذاكرة متواضعاً حليماً واسع الصدر صاحب فراسة، زاهداً ورعاً عفيفاً حسن الأخلاق في التعامل مع العامة والخاصة جواداً كريماً، قل أن يأكل طعامه بمفرده، يلتزم الشورى في كل أموره ويحب الخير لكل المسلمين ويشفع لهم في الملمات وقضاء الحوائج.

تلامذته:

له تلامذة كثيرون من داخل المملكة وخارجها ونذكر بعضهم من الداخل وهم:

محمد بن عثيمين، فهد الحمين، عبدالله بن جبرين، عبدالعزيز الراجحي، مفلح الشمري، عمر العيد، عبدالعزيز السدحان، عبدالعزيز القاسم، عبدالله العتيبي، سليمان الثنيان، عبدالله بن قعود، عبدالعزيز السالم، راشد بن خنين، عبداللطيف بن شديد، صالح بن هليل، عبدالعزيز المشعل وغيرهم كثيرون.

مؤلفاته:

بالإضافة إلى الدروس والمحاضرات والندوات والمذكرات، فله مؤلفات كثيرة نذكر بعضها وهي: مجموع الفتاوى، فتاوى الطلاق، فتاوى نور على الدرب، الأجوبة المفيدة عن بعض مسائل العقيدة، التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج، الرسائل والفتاوى النسائية، رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام، العقيدة الصحيحة وما يضادها، العلم وأخلاق أهله، فضل الجهاد والمجاهدين،

وجوب الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، أدلة تحريم الأغاني والملاهي والرد على من أباحها، أربع رسائل في التحذير من البدع، أسباب نصر الله للمؤمنين على أعدائهم، الإسلام هو دين الله ليس له دين سواه، إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله، التحذير من الإسراف والتبذير، تحفة الأخيار، التعليق على العقيدة الطحاوية، ثلاث رسائل في الصلاة، الدروس المهمة لعامة الأمة، رسائل في التوسل والتبرك بالقبور، رسالة في حكم السحر والكهانة وما يتعلق بهما، الركن الأول من أركان الإسلام، الشريعة الإسلامية ومحاسنها، عمل المسلم، فتاوى مهمة تتعلق بالعقيدة، كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وجوب الاعتصام بالكتاب والسُّنة، مسؤولية طالب العلم، واجب المسلمين تجاه دينهم ودنياهم، وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجوب التوبة إلى الله وشكر النعم، الأخلاق الإسلامية، توحيد المرسلين وما يضاده، الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، نقد القومية العربية، نقد الاشتراكية، ردود وتعقيبات، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حاشية مفيدة على فتح الباري، موقف اليهود من الإسلام وفضل الجهاد في سبيل الله.. إلى غيرها.

معرفتي به:

أول لقائي بالشيخ عبدالعزيز بن باز كان سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م في موسم الحج، حيث كان ثمة حفل للإخوان المسلمين في فندق مصر، تكلم فيه «الشيخ محمد محمود الصواف، د.سعيد رمضان، الشيخ ابن باز» وآخرون. وقد قام بعض رجال المخابرات المصرية الموفدين من الحكم العسكري بمصر بقطع الميكروفون عن المتحدثين، وأحدثوا بعض الشغب الذي سرعان ما أحبطه الإخوان ولله الحمد.

وقد أبرق الشيخ ابن باز إلى أمير مكة المكرمة طالباً منه اتخاذ اللازم تجاه أولئك المفسدين من العملاء المأجورين، ومشيداً بالإخوان المسلمين وجهادهم

في مقاومة الطغيان العسكري ووقوفهم في وجه الظلم والظالمين، وجهادهم في فلسطين وقناة السويس وصبرهم على المحن في السجون في سبيل الله، وعملهم الجاد في نشر الدعوة الإسلامية وإصلاح النشء الجديد ومقاومة الفساد والإلحاد والتصدي للدعوات القومية والاشتراكية والعلمانية التي يتبناها حاكم مصر العسكري الذي انتصب لحرب الإسلام ودعاته والعاملين في سبيله مقتفياً أثر كمال أتاتورك.

وقد التقيت في الحفل نفسه أحد قدامى الإخوان الذين خُدعوا بالطاغية عبدالناصر وساروا في ركابه، ودخلت معه في حوار عنيف كيف كان وكيف هو الآن وكيف سيلقى الله بعد أن علق الطاغية إخوانه وزملاءه على أعواد المشانق، وهم العلماء والدعاة والقضاة والشيوخ والمجاهدون الأبطال، فأخذ يسوّغ موقفه ويفلسف ضعفه وخوره، حتى إنه شكاني حين عاد إلى مصر إلى بعض زملائي في الدراسة بأن تلميذي العقيل قد قسا عليَّ بالكلام وأنا أستاذه وفي مثل سن أبيه!

لقد كان هذا الموقف من الشيخ ابن باز وفيه صلابة العلماء وغيرتهم على الدعاة سبباً أساسياً في تعلقي به وزيادة حبي له، ومن ذلك التاريخ لم تنقطع صلتي به، وحين كنت في الزبير، وبعد أن استقر بي المقام في الكويت ١٣٧٩هـ كنت أراسله وأزوره بين فترة وأخرى، وأحضر مجالسه.

ثم كانت عضويتي في المجلس الأعلى الاستشاري للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من سنة ١٣٩٠هـ إلى سنة ١٣٩٥هـ، وكذلك مشاركاتي في المؤتمرات التي تعقد بالرياض أو مكة المكرمة أو المدينة المنورة كمؤتمر الفقه الإسلامي ومؤتمر الدعوة والدعاة ومؤتمر الإمام محمد بن عبدالوهاب ومؤتمر التعليم ومجلس الرابطة التأسيسي والمساجد، وكنت ألتقيه فيها.

كما كانت زياراتي له في منزله بالمدينة المنورة والرياض ومكة المكرمة والطائف خير مجال للتزود من فيض علمه وسابق فضله.

ولقد كنت قريباً منه أثناء عملي كعضو في المجلس الأعلى الاستشاري

للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة قرابة خمس سنوات، حيث كانت لي معه لقاءات خاصة في منزله ومكتبه الخاص، فضلاً عن اللقاءات مع صحبه وتلامذته في بيوتهم وبخاصة في مزرعة الناصر للنخيل بالمدينة المنورة حيث كان له مكان مخصص يسمى «مجلس ابن باز».

وأذكر في سنة ١٣٩٥هـ أنني عقب اجتماعات المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية أصبت بالتهاب شديد في الحبال الصوتية أفقدني الصوت، فما كان من سماحة الشيخ ابن باز إلا المبادرة بالاتصال بجدة لحجز موعد لي مع الدكتور المصري الزائر والمتخصص بالحنجرة، وسافرت في الحال وتم العلاج سريعاً بعد عملية جراحية ناجحة بفضل الله تعالى.

وأثناء عملي بالرابطة أميناً عاماً مساعداً كنت أسعد به في حضوره لاجتماعات المجلس التأسيسي للرابطة والمجلس الأعلى العالمي للمساجد، والمجمع الفقهي الإسلامي بالرابطة، وكنت وغيري من طلبة العلم ومن العلماء المشاركين نستفيد الفائدة الجمة من آرائه وفتاواه ومداخلاته وأجوبته على المسائل وطرحه لحلول المشكلات، فقد كان متفتح الذهن حاضر البديهة مستجمعاً للأدلة، واقفاً على تفاصيل المسألة مستحضراً للشواهد السابقة، مقارناً بالواقع الحاضر، جاعلاً الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة المرجع الأساس لكل ما يعرض من قضايا وما يستجد من أحداث على مستوى الأفراد والجماعات والوقائع والبلدان.

وكان ـ رحمه الله ـ رجّاعاً للحق إذا استمع إلى وجهة نظر الطرف الآخر ووجد فيها الدليل القوي، بل كان أحياناً يُرجئ البتّ في موضوع ما حتى يوم الغد ليرجع إلى نفسه وإلى المراجع ويعود في اليوم التالي ليدلي بدلوه في المسألة على ضوء ما وصل إليه من بحث وتحقيق.

إن هذا النموذج الفذّ من العلماء هو الذي فرض احترامه على الجميع بفضل ما يتصف به من العلم الواسع والفهم الدقيق ومن التواضع الجم ولين

الجانب للمخالف والتبسط معه حتى يقفه على الحق بأدلته ويناشده الالتزام بها.

ولم يكن يحبُّ الجدل أو التعصب الإقليمي والمذهبي ولا رفع الصوت أكثر مما يُحتاج إليه ولا المجاملة على حساب الدين ولا كتمان الحق ولا غيبة الأشخاص أو الجماعات أو تلمس الأخطاء واصطياد الزلات، بل كان يسوق المعاذير للمخطئ ويحمله على المحمل الحسن ويعتبره مجتهداً لم يُصب الحق، وكان يسوّي بين روّاد مجلسه ويعطي كل واحد منهم حقه في الحديث وإبداء وجهة النظر، ويكثر من السؤال عن أحوال جلسائه وخاصة ضيوفه القادمين من خارج المملكة ويستفسر عن أحوال المسلمين في كل مكان وعن مشكلاتهم وحاجاتهم وسبل عونهم ويهيب بالقادرين للمسارعة إلى عونهم ونجدتهم.

لقد كان سماحة الشيخ ابن باز رجل المواقف الصلبة الذي ينتصب للتصدي للأفكار المنحرفة والمبادئ الهدامة مهما كان مصدرها وأياً كانت الجهة التي تقف وراءها، وأذكر أنه في سنوات المد القومي والناصري الذي اجتاح العالم العربي، والموجة العارمة التي تبنتها الأنظمة والأحزاب العلمانية التي كانت تنادي بالعروبة بديلاً عن الإسلام، وقف الإمام ابن باز بكل صلابة وقوة في دروسه ومحاضراته أمام هذه الموجة التي كادت تعم بلواها شرائح المجتمع وفيهم بعض طلبة العلوم الشرعية، وأصدر كتابه القيم في نقد القومية العربية وتسفيه دعاتها من العلمانيين والصليبيين وبيان خطأ آرائهم وبطلان دعاواهم، وكذا تصديه للحداثة والعلمنة ومناهج التغريب في الأدب والشعر والدعوات العنصرية والمذهبية والحزبية التي أخذت في الانتشار في المجتمعات العربية، ونجاحه وسط الشباب وعلى صفحات الجرائد والمجلات، تسبب بفضل الله في انكماشها وانحسار تأثيرها وارتفاع صوت الأدب الإسلامي الهادف والاعتزاز بالإسلام نظاماً شاملاً لكل شؤون الدين والدنيا والآخرة.

وحين اشتد الظلم على المسلمين وتواطأت قوى الاستعمار العالمي على

حربهم في فلسطين وأفغانستان والفلبين وكشمير وغيرها.. أصدر كتابه القيم عن ضرورة الجهاد للتصدي لهؤلاء البغاة والطغاة، وساق الأدلة من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، على أن الجهاد هو الفريضة الماضية إلى يوم القيامة وأن تركه يورث الذل والمهانة للأمة التي لن تقوم لها قائمة ما لم تعد إلى تطبيق هذه الفريضة، وهذه الشعيرة الإسلامية الواجبة.

ولم يكتف بالدروس والمحاضرات والكتب والنشرات، بل أهاب بالمسلمين عموماً أن يقفوا إلى جانب إخوانهم المجاهدين ودعمهم المادي والمعنوي وتوفير أسباب النصر من الدعاء الصادق لهم وشد أزرهم بالإسهام معهم في الجهاد وتقديم المال اللازم، وناشد المسؤولين وولاة الأمر النهوض بهذا الواجب فهو من أول واجباتهم وأولى مهماتهم لتكون الأمة كلها صفاً واحداً أمام من يريدون استهداف عقيدتها أو المساس بثوابتها أو الاستهانة بأرواح أبنائها وفلذات أكبادها. وكان لهذه المواقف الجليلة من شيخنا الجليل ابن باز أعظم الأثر وأفضل النتائج والحمد لله.

في الكويت:

ومن خلال عملي في الكويت حين كنت في رئاسة المحاكم أو إدارة الشؤون الإسلامية، كان سماحة الشيخ ابن باز يرسل إليَّ بعض القضايا التي تعرض عليه من أطراف النزاع والتي يكون بعض أفرادها في الكويت، لأقوم بتسجيل مقولاتهم وضبطها وأخذ البيانات التفصيلية عن واقعة الخلاف وأرسلها إليه في الرياض بمذكرة تفصيلية فيها بيان وجهة نظري في واقعة الخلاف وأطراف الخلاف بعد التحري اللازم عنهم، وكان رحمه الله يعتمد تصديقاتي وتصديقات الإخوة مثل: د. محمد الأشقر، ود. عمر الأشقر، ود. خالد المذكور، وغيرهم من إخواننا الثقات في الكويت.

كما كنت أكثر عليه من طلبات الكتب التي يحرص عليها طلبة العلم والدعاة،

وكنت أعطيهم التزكيات اللازمة لسماحته ويقوم بإمدادهم بها لنشر العلم والمعرفة في بلدانهم، كما كان سريع الاستجابة في قبول الطلبة من جميع أنحاء العالم الإسلامي الذين نزودهم بالتزكيات اللازمة لدخول الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أو لتفريغ الدعاة الذين تتوافر فيهم الشروط اللازمة للداعية المسلم، وكان يتكفل الشيخ ابن باز برواتبهم جزاه الله خيراً.

وكنا في إدارة الشؤون الإسلامية بالكويت نقوم بعملية التنسيق مع الرئاسة العامة للدعوة والإرشاد التي يرأسها سماحته بحيث نوافيهم بأسماء الدعاة المتفرغين من قبل إدارة الشؤون الإسلامية بالكويت وهم يوافوننا بدورهم بالدعاة المفرغين من قبل الرئاسة العامة وكذا الحال مع رابطة العالم الإسلامي.

وكان كثيراً ما يرسل إليَّ أسماء الجهات أو الأفراد الذين يطلبون المساعدة لأعطيه رأيي فيهم إن كنت أعرفهم فأوافيه بوجهة نظري من خلال معرفتي بهم على ضوء زياراتي الميدانية ولقاءاتهم والحوار معهم والوقوف على أحوالهم.

ومن خلال المؤتمرات التي عقدت بالمملكة وشاركت فيها بحضور سماحة الشيخ ابن باز كمؤتمر الإمام محمد بن عبدالوهاب بالرياض ومؤتمر المساجد ومؤتمرات رابطة العالم الإسلامي وغيرها، كان سماحة الشيخ يحثني على المشاركة في الرأي بل كنت أحياناً أعرض عليه وجهة نظري قبل أن أعلنها أمام الحضور لأسمع وجهة نظره فأصوب خطأها أو أستكمل نقصها أو أغير أسلوب عرضها، لمعرفتي بسداد رأيه وإخلاص نيته وحرصه على طلب الحق وتقديم النصح وهداية الخلق.

أما زياراتي الخاصة له في بيته ومكتبه والاستعانة به في طرق العلاج لما يواجه المسلمين من مشكلات خاصة وعامة في أقطارهم ومع حكامهم للأخذ بالحلول الحكيمة الناجحة في علاج هذه المشكلات فهي أكثر من أن تحصر، وكم أرشدنا للطرق السليمة التي يجب أن يسلكها الدعاة في تعاملهم مع الناس ومع ولاة الأمر، فقد كان ـ رحمه الله ـ لا يدع قضية قام الدليل على صحتها دون أن يواجه

صاحب العلاقة بها وينصحه فيما يجب عليه عمله تجاهها سواء أكان المنصوح من عامة الناس أم من طلبة العلم، أو العلماء أو ولاة الأمر فالكل أمامه سواء، ولكن أسلوبه في النصح هو في السر بينه وبين المنصوح دون التشهير بالخطأ أو التعريض بالشخص.

كما أذكر له يرحمه الله مساهماته الفاعلة في نشاط طلبة البعوث الإسلامية الذين يدرسون في الجامعة الإسلامية وعنايته الكبيرة بهم وحضور اجتماعاتهم ومشاركتهم في أفراحهم وتقديم المساعدات لهم وسماع مشكلاتهم وجواب استفساراتهم وتوجيههم للدور المنوط بهم أثناء دراستهم الجامعية والمهمات التي تنتظرهم في بلدانهم إذا عادوا إليها بعد تخرجهم لأنهم محط الآمال.

ولا يمكن أن أنسى له مواقفه المشرفة من مساعدة أسر المعتقلين بمصر وسورية وحثه الناس على الإسهام في عونهم وشد أزرهم لأن الظالمين قد شددوا التضييق على هذه العوائل وأصدروا الأحكام القاسية على من يقدم لهم العون، ولكن هذا لم يفت في عضد الشيخ ابن باز في الوقوف إلى جانبهم وتقديم العون لهم عن طريق الثقات، بل إنه سعى لدى الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود للتوسط لدى طاغية مصر لعدم تنفيذ الإعدام في الشهيد سيد قطب وللإفراج عن السيدات المسلمات المعتقلات زينب الغزالي وحميدة قطب وأم أحمد وأم معاذ وغيرهن. وقد بذل الملك الشهيد جهوده ولكن الظالم أصم أذنيه وتعلل بمعاذير لا صحة لها.

تلك مواقف الإمام ابن باز الذي كان يعيش مع قضايا المسلمين ويسهم في رفع المعاناة عنهم قدر طاقته ودون تردد، وتلك ولا شك وظيفة العلماء الربانيين في كل عصر وجيل.

من أقواله: «إذا صدق المسلمون وتكاتفوا وأعدوا لعدوهم ما استطاعوا من العدة ونصروا دين الله، فالله يعينهم وينصرهم ويجعلهم أمام العدو وفوق العدو لا تحت العدو.

أهل الفلاح والنصر والعاقبة الحميدة، هم الذين عملوا الصالحات وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ونصروا الله عز وجل».

«وصيتي لكل مؤمن ومؤمنة العناية بالقرآن والإكثار من تلاوته، والحرص على حفظه أو ما تيسر منه مع التدبر والتعقل، ففيه الهدى والنور، فعلينا أن نُعنى بكتاب الله تلاوة وحفظاً وتدبراً وتفقهاً وعملاً».

«التعاون على البر والتقوى هو تعاون على تحقيق ما أمر الله به ورسوله قولاً وعملاً وعقيدة وعلى ترك ما حرم الله ورسوله قولاً وعملاً وعقيدة، وكل إنسان محتاج إلى هذا التعاون للنجاة في الدنيا والآخرة والسلامة من جميع أنواع الهلاك والفساد، وعلى حسب تساهله في ذلك يكون نصيبه من الخسران، فالكل بالكل والحصة بالحصة».

«اتقوا الله يا معشر المسلمين والمجاهدين في ميادين الحروب وفي كل مكان واصبروا وصابروا في جهاد النفس على طاعة الله وكفها عن محارم الله وفي جهادها على قتال الأعداء ومنازلة الأقران وتحمل المشاق في تلك الميادين المهولة تحت أزيز الطائرات وأصوات المدافع، وتذكروا أسلافكم الصالحين، فقد صبروا كثيراً وجاهدوا طويلاً ففتح الله بهم البلاد وهدى بهم العباد ومكن لهم في الأرض ومنحهم السيادة والقيادة بإيمانهم العظيم وإخلاصهم لمولاهم الجليل وصبرهم في مواطن اللقاء وإيثارهم الله والدار الآخرة على الدنيا وزهرتها ومتاعها الزائل».

قالوا عنه:

قال عنه مصطفى مشهور المرشد العام للإخوان المسلمين: كان لوفاة العالم الجليل الداعية العظيم عبدالعزيز بن باز أثره البالغ في نفوسنا، فهو عالم فذ حرص طوال حياته على قول كلمة الحق وبيان جوانب الإسلام العظيم، كما عمل على نصرة السنة والدفاع عنها والذود عن دعوة الإسلام والرد على شبهات

المغرضين والكائدين للإسلام، كما وقف طوال حياته أمام الإلحاد والملحدين وقفات جادة صادقة. إن فقد هذا العالم الجليل لهو خطب جلل وخسارة كبيرة لا على المملكة العربية السعودية بعينها، ولكن على جميع المسلمين في شتى بقاع الأرض.

قال عنه الشيخ د. يوسف القرضاوي: ودعت الأمة الإسلامية علماً من أعلامها الأفذاذ ونجماً من نجومها الساطعة في سماء العلم، علامة الجزيرة عبدالعزيز بن باز، الذي كان جبلاً من جبال العلم، وبحراً من بحور الفقه، وإماماً من أئمة الهدى، وعماداً من أعمدة الدين، وركناً من أركان الأمة؛ طالما استفاد من علمه المسلمون في الجزيرة والخليج وفي شتى بقاع الأرض، عن طريق اللقاء والمشافهة وعن طريق الكتاب والمراسلة، وعن طريق الهواتف والإذاعة وعن طريق الكتابة والصحافة وعن طريق الرسائل والشريط المسموع.

كان بيته مفتوحاً، ومكتبه مفتوحاً، وقلبه مفتوحاً، لكل ذي حاجة من أبناء المسلمين، مادية أو علمية، لا يغلق بابه في وجه أحد، ولا يضيق صدره بلقاء أحد ولا يدخر جهده في مساعدة أحد.

قال عنه الشيخ عبدالله بن منيع: إن الحديث عنه تنشرح له الصدور، وتتفتح له النفوس، ويحلو ذكره باللسان، أخذنا عنه العناية والدقة في إصدار القرار بالحكم أو الفتوى أو بالرأي، وأخذنا منه المرونة في النقاش وتبادل الآراء والوقوف عند الحقيقة والبعد عن التعصب للرأي.

قال عنه د. عجيل النشمي: الإمام الثبت الحافظ، جبل السنة، قامع البدعة، الشيخ عبدالعزيز بن باز، من المجددين في هذا العصر، الحافظين للأمة دينها، فقدت الأمة الإسلامية فقيهاً محدثاً مفسراً لغوياً من طبقة السلف الأخيار، الأئمة الأعلام، ورعاً وعلماً، مع جرأة في الحق ماضية لا تلين.

قال عنه الشيخ أحمد ياسين: كان ابن باز علامة ومرجعاً إسلامياً على

النطاق العالمي، له باع طويل في الدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين، وهو على قدر كبير من العلم والتمسك بطريق السلف الصالح السائرين على منهج الكتاب والسُّنة في الدعوة الإسلامية.

ولن أنسى موقفه حين جاءه البعض يطلبون رأيه بالسلام مع إسرائيل، فأخرج لهؤلاء بياناً لحركة حماس جاء فيه: إن أرض فلسطين كلها أرض وقف إسلامي لا يمكن التفريط بها أو التنازل عنها. وهو عالم المرحلة الذي ترك بصمات واضحة في العصر الحاضر.

قال عنه عايض عبدالله القرني:

إن قام سوق العلم فهو كمالك ... أو مد باع الزهد فالشيباني
أو غاص في التفسير قلت مجاهد ... والفقه والتعليم كالنعمان
وإذا تزاحمت الوفود فحاتم ... وكأحنف في الحلم والغفران

ويقول عبدالرحمن العشماوي:

هو قلعة العلما التي بنيت على ... ثقة بعون الخالق المنان
وأمامها هزمت دعاوى ملحد ... وارتد موج البغي والبهتان
وتطايرت شُبه العقول لأنها ... وجدت بناءً ثابت الأركان
هو قلعة ظلت تحاط بروضة ... خضراء من ذكر ومن قرآن

ويقول ناصر سعد الرشيد:

إمام جليل لا يقوم بحقه ... من القول نثر أو يقوم به شعر
لقدجُمِّعت فيه الفضائل كلها ... ففي قلبه زهد وفي ثوبه طهر
وبالسنة البيضاء يرفع رأسها ... بكل مكان كي يكون لها نشر
تجافى عن الدنيا وهام بضدها ... ومن يعشق العلياء فالجنة المهر

ويقول سعود الشريم:

شيخ العلوم أبو الأشياخ مجتهد ... فذ أريب نجيب وصفه درر

قطب الحديث وطود يا أخا ثقة ... طب القلوب له قدر ومعتبر
ند الزمان ولا مين يكذبني ... في الحاضرين ولا ما أدعي هذر
لم يثنه ملل عن كل مكرمة ... يدعو بها وكذا لم يثنه كبر

ويقول أحمد محمد الصديق:

يا إماماً قاد السفينة حيناً ... في خضم الهدى يشق العبابا
كنت غوث الضعيف لا تتوانى ... تسعف الأقربين والأغرابا
باذلاً للعطاء غير ضنين ... عز من سار في خطاك جنابا
كنت سداً يحول دون الأعاصير ... كما كنت في الظلام شهابا

ويقول أحمد عثمان التويجري:

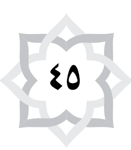
ترجلت يا شيخ الفوارس بعدما ... تسامت بك الأمجاد واستشرف الفخر
سيذكرك العلم الذي كنت نوره ... ويذكرك القول المسدد والفكر
سيذكرك الخير العميم نشرته ... ويذكرك الدرس المبارك والذكر
سيذكرك الأيتام كفكفت دمعهم ... وواسيتهم براً فطاب بك البر

وفاته:

انتقل إلى رحمة الله تعالى يوم الخميس ٢٧ من محرم الحرام ١٤٢٠هـ عن عمر يناهز التسعين عاماً، وصُلي عليه بالحرم المكي الشريف يوم الجمعة ٢٨ من المحرم، كما صلي عليه صلاة الغائب في جميع مساجد المملكة وبعض المساجد في الدول العربية والإسلامية، وقد تم دفنه في مقبرة العدل بمكة المكرمة.

رحم الله شيخنا الجليل وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الشيخ المجاهد عبدالعزيز البدري

(١٣٤٧ ـ ١٣٨٩هـ = ١٩٢٩ ـ ١٩٦٩م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف البدري، من مواليد مدينة (سامراء) بالعراق سنة ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م، نشأ في بيئة علمية، وتلقى دروسه الدينية على أيدي طائفة من علماء بغداد الأجلاء، أمثال: الشيخ أمجد الزهاوي، والشيخ محمد فؤاد الآلوسي، والشيخ عبد القادر الخطيب وغيرهم.

وقد تولى الوعظ والإرشاد والخطابة في مساجد بغداد وغيرها، وكان خطيباً مفوهاً، جريئاً في كلمة الحق، متحمساً لنصرة الإسلام، متصدياً للأفكار الوافدة، ودعاة المذاهب الهدّامة، يلاحقهم حيثما وجدوا، ويفنّد دعاواهم، ويبطل مقولاتهم، ويكشف زيف أفكارهم، ويفضح أساليبهم، فكانوا يهربون من مواجهته.

عرفته ببغداد أوائل الخمسينيات، شاباً متحمساً، يتردد على المشايخ، ويستفيد

من علومهم، ويقرأ الكثير من الكتب الإسلامية الحديثة، ومنها كتب الشيخ تقي النبهاني، وكان يكره الاستبداد والطغيان، ويتعرّض للمفسدين باليد واللسان.

وفي فبراير ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، زارنا بالكويت، والتقيته عند معالي الأخ يوسف هاشم الرفاعي، وأهداني كتابين من مؤلفاته هما: «الإسلام بين العلماء والحكام»، و«حكم الإسلام في الاشتراكية»، من منشورات المكتبة العلمية لصاحبها محمد نمنكاني بالمدينة المنورة.

وقد كتب الشيخ أمجد الزهاوي في مقدمته لكتاب «حكم الإسلام في الاشتراكية» يقول:

«... ولما شاع القول بوجود نوع من الاشتراكية في الإسلام، وذلك تقوُّل على الإسلام، ومدخل إلى المروق منه، ألّف فضيلة الأخ الشيخ عبد العزيز البدري هذا الكتاب ـ حكم الإسلام في الاشتراكية ـ في إبطال هذا القول، مبيِّناً ألا اشتراكية في الإسلام، وأنها مخالفة لأحكام الشرع الشريف، وأن قواعده تأباها بكل صراحة، وقد جاء البيان بأسلوب واضح، معززاً بالحجج القطعية التي لا تدع مجالاً للشك، لانطباقها على النصوص الشرعية القاطعة، وذلك نصحاً للأمة الإسلامية...» انتهى.

وقد انبرى الشيخ عبد العزيز البدري لعبد الكريم قاسم، الذي أطلق على نفسه لقب «الزعيم الأوحد»، وهاجمه في الخطب والمحاضرات، وكان يطلق عليه «عتل بعد ذلك زنيم»، وقد بلغ التحدي مداه، حين أصدر عبد الكريم قاسم أحكام الإعدام، على بعض قادة الجيش المخلصين أمثال: ناظم الطبقجلي، ورفعت الحاج سري وغيرهما، فأثار الشيخ البدري الجماهير، وقاد المظاهرات الكبرى، التي يقدّر عدد جمهورها بحوالي أربعين ألف متظاهر، كلهم يهتفون بسقوط عبد الكريم قاسم، كما أصدر الشيخ البدري الفتاوى بكفر الشيوعيين أنصار قاسم ومؤيديه، وطالب بمحاربتهم وقطع دابرهم.

فما كان من عبد الكريم قاسم، إلا أن أصدر أمره بفرض الإقامة الجبرية على

الشيخ البدري في منزله مدة عام كامل من ٢ / ١٢ / ١٩٥٩م إلى ٢ / ١٢ / ١٩٦٠م، ثم رفع الحظر عنه، فلم يهدأ ولم يتوقَّف عن الخطب، وتأليب الجماهير ضد قاسم وأعوانه، فأصدر أمره ثانية بتحديد إقامته في منزله ٧/ ٨/ ١٩٦١م إلى ٤ / ١٢ / ١٩٦١م، وأوقفه عن العمل الوظيفي، حيث كان إماماً وخطيباً بوزارة الأوقاف، ثم تكررتْ مرات سجنه واعتقاله أيام عبد الكريم قاسم، وبعده أكثر من عشر سنوات.

ولقد لقي من البلاء العظيم، والتعذيب الشديد داخل السجون، ما يشيب لهوله الولدان، ولكنَّه مع هذا ظلّ صامداً صابراً محتسباً، رافضاً لكل العروض المغرية، التي عُرضت عليه ليسير في ركاب الحكام، ولم تنفع معه كل الأساليب رغباً ورهباً، فاستمر زبانية الظالمين، وجلادو السجون، وجلاوزة السلطة البعثية في تعذيبهم له، حتى قطَّعوا جسمه إرباً إرباً، ولفظ أنفاسه الأخيرة، ولقي ربه ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، وهو لم يجاوز الأربعين من عمره، فضرب بذلك أروع المثل، لصبر العلماء الدعاة، أمام بطش الطغاة، وأخذ بالعزيمة، لأنه من أولي العزم، الذين لا يترخّصون حباً للسلامة والعافية، بل يقدِّمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله، ولإعزاز دين الله، ومن أجل المستضعفين في الأرض من المسلمين، فكان نعم المثل والقدوة، جرأة وصلابة وصبراً وثباتاً.

رده على علماء السلطة:

اتبع نظام قاسم أساليب متعددة مع الشيخ البدري، فكان يُرسل له في مكان إقامته الجبرية بعض المرتزقة، من المشايخ وأدعياء العلم، ليراودوه عن موقفه من الحاكم «الزعيم الأوحد»، مظهرين للشيخ البدري محبتهم وحرصهم عليه، وأنهم يريدون مصلحته ومصلحة أولاده، منكرين عليه تصديه للحاكم، وتدخله في السياسة، وأن الدين لا علاقة له بالسياسة!! وقد استاء الشيخ البدري من مواقف الجبن لدى هؤلاء، وعكف وهو في إقامته الجبرية على تأليف كتابه

«الإسلام بين العلماء والحكام»، مبيناً فيه سيرة السلف الصالح، من العلماء العاملين والفقهاء، والمجاهدين، الذين تصدوا لظلم الظالمين، وقدّموا التضحيات الجسام، لنصرة الإسلام والمسلمين، فكانت محنة سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، وجعفر الصادق، وأبي حنيفة ومالك بن أنس وابن حنبل، والشافعي، والبخاري، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية، وذكر جهاد العلماء أمثال عبدالله بن المبارك، وابن تيمية، وأسد بن الفــرات وغيرهم، كما ذكر مــواقف العلماء المتأخرين أمثال: أحمد السرهندي، وأحمد بن عرفــان الهندي، وعز الدين القسّام، وعبد القادر الجزائري، ومحمد المهدي، وأحمد السنوسي، وعمر المختار، وغيرهم من العلماء العاملين والمجاهدين الصــادقين.

يقول الأستاذ عبدالله الحسيني في مقدمته لكتاب الشيخ البدري (الإسلام بين العلماء والحكام)، الذي أصدرت الطبعة الثانية منه دار القلم الكويتية ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م:

«... في حرب ١٩٦٧م، التي اجتاح اليهود فيها القدس الشريف، والضفة الغربية، ومرتفعات الجولان، وسيناء، خلال ستة أيام، بل ست ساعات، ثارت ثائرة الشيخ البدري، وأرسل برقيات إلى جميع رؤساء الدول في العالم الإسلامي، يحمِّلهم المسؤولية ويتهم من وافقوا على وقف إطلاق النار بالخيانة، ثم قرر تشكيل وفد إسلامي شعبي، للسفر إلى أقطار العالم الإسلامي، لحثِّ القوى والشعوب الإسلامية، على النهوض بمسؤوليتها تجاه تلك الكارثة، وللتأكيد على أن الإسلام لم يكن السبب في الهزيمة، لأنه لم يكن في المعركة أساساً، وقد زار الوفد الهند وباكستان وإندونيسيا، وماليزيا، وإيران، وأفغانستان، وبعد عودة الوفد إلى بغداد، عقد الشيخ البدري مؤتمراً صحفياً، أوضح فيه ما شاهده في العالم الإسلامي، من طاقات مهدورة، كان يجب أن تُوجَّه لخدمة القضية الفلسطينية، مستنكراً حصرها في النطاق العربي، بدل النطاق الإسلامي

الواسع، ومتخوفاً من الاستمرار في التضييق عليها، لكي تكون في المستقبل قضية الفلسطينيين فقط.

العلمانيون يهربون من مواجهته:

وعندما اهتز التيار العلماني في البلاد العربية، وأصبح المتهم الأول في هزيمة ١٩٦٧م، بدأ التيار الإسلامي في العراق ينشط ويضغط، مطالباً بالعودة إلى الإسلام، ووضعه موضع التنفيذ منهج حياة، لكن التيار «المتغرب» المعادي للإسلام، اختار شخصاً عربياً يحمل الجنسية الأمريكية يدعى «نديم البيطار» لمواجهة الإسلاميين، وقد تم استدعاؤه من كندا، لإلقاء محاضرات تؤكد أن الأفكار الإسلامية التي يسميها بالغيبية، هي السبب في الهزيمة، وأنه لا نصر على الصهيونية إلا بالتخلي التام عن هذه الغيبيات!! ومن الغريب أن هذا المحاضر يقول في كتابه (الأيديولوجية العربية) كلاماً صريحاً في الكفر والتعدي على الذات الإلهية، فطلب الشيخ البدري من رئيس الجمهورية آنذاك «عبد الرحمن عارف» إما أن يُسمح له بإلقاء محاضرة في القاعة نفسها، وإما أن يسمح له بمناظرة المحاضر في القاعة نفسها، أو يمنع المحاضر من إلقاء محاضرته، ولما لم يُستجب لمطالب الشيخ البدري، قرر الخروج بمظاهرة يوم المحاضرة، وبعد صلاة العصر هتف الشيخ «الله أكبر»، وتوجّه راجلاً من مسجده إلى قاعة المحاضرات وتبعه الشباب المؤمن، وجماهير الناس، هاتفين «الله أكبر لا إله إلا الله»، ولما سمع أنصار المحاضر هدير الجماهير بالهتافات الإسلامية، انطلقوا هاربين مع محاضرهم إلى المطار، حيث غادر بغداد في أول طائرة.

في كربلاء والنجف:

رأس الشيخ البدري وفداً من أهل السُّنَّة، وذهب إلى كربلاء والنجف، وطلب من علمائهما التدخل لإيقاف تنفيذ حكم الإعدام في سيد قطب، وعندما اتصل

بالسيد محسن الحكيم المرجع الأعلى للشيعة، أبلغه السيد الحكيم، بأنه أبرق إلى جمال عبد الناصر، ألا يُقدم على إعدام العلماء، وسيّد قطب من أكبر علماء ومفكري العصر.

وفي سنة ١٩٦٨م، اختُطف الشيخ البدري ليلاً، وهو في طريقه إلى داره، وأخذوه إلى معتقل (قصر النهاية)، ومارسوا معه أشدَّ أنواع التعذيب، وقيل إنهم قطعوا لسانه وبعد مرور سبعة عشر يوماً، حمل الجلادون جثته، وتركوها أمام بيته، وأخبروا أهله، أنه مات بالسكتة القلبية، وأمروهم بدفنه دون الكشف عليه.. وانتشر الخبر، وحُمل نعش الشهيد إلى جامع الإمام أبي حنيفة في الأعظمية للصلاة عليه، وهناك قام شقيقه بالكشف عن جثته أمام جموع المشيعين بالمقبرة، ليشاهدوا آثار التعذيب على سائر بدنه، فضلاً عن نتف لحيته، وكان ذلك في شهر ربيع الأول ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، بعد حياة مليئة بالمعاناة، والجهاد المتواصل، والتضحية والفداء، لقد ترسّم الشيخ البدري خُطا الذين سبقوه بالسير في هذا الطريق المبارك، من المؤمنين الأفذاذ، أمثال الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن جبير، وفي العصر الحديث عز الدين القسَّام، وحسن البنا، وسيّد قطب، فاختاره الله شهيداً، كما اختارهم، ثم لحق به على درب الشهادة إخوانه محمد فرج، وعبد الغني شندالة، وعبد الرزاق العبودي، وغيرهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد» انتهى.

هذا هو الشيخ البدري، وهذا هو جهاده في سبيل الله، يخوضه في أكثر من ميدان، ويصاول فيه أكثر من عدو، فلا يضعف ولا يلين ولا يتردد، بل يتقدّم الصفوف بكل شجاعة وثبات، يثير الهمم، ويستنهض العزائم، ويتصدى للبغي بكل أشكاله، وفي مواقعه، ويدفع الضريبة غير هيّاب من الموت، ولا مدبر من المعركة، شأنه في ذلك شأن الرجال أولي العزم في القديم والحديث.

أصدر الشيخ البدري، الكثير من الكتب، نذكر منها: الإسلام بين العلماء والحكام، حكم الإسلام في الاشتراكية، الإسلام حرب على الاشتراكية

والرأسمالية، الإسلام ضامن للحاجات الأساسية لكل فرد، كتاب الله الخالد القرآن الكريم... إلخ.

يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه القيم (أصول الدعوة):

«... من الوسائل المهمة جداً في تبليغ الدعوة إلى الله، وجذب الناس إلى الإسلام، السيرة الطيِّبة للداعي، وأفعاله الحميدة، وصفاته العالية، وأخلاقه الزاكية، مما يجعله قدوة طيبة، وأسوة حسنة لغيره، ويكون بها كالكتاب المفتوح، يقرأ فيه الناس معاني الإسلام، فيقبلون عليها وينجذبون إليها، لأن التأثر بالأفعال والسلوك، أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام فقط، والإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا، بالسيرة الطيبة للمسلمين، التي كانت تجلب أنظار غير المسلمين، وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة، التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة، هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام، يستدل بها غير المسلم على أحقية الإسلام، وأنه من عند الله، ولاسيما إذا كان سليم الفطرة، سليم العقل» انتهى.

قصته مع الجلادين في السجون:

ويروي بعض المعتقلين مع الشيخ البدري، الذين أطلق سراحهم: «أن الشيخ البدري، قد عُذِّبَ عذاباً شديداً، وأنّه واجه ذلك التعذيب بصمود وثبات، تجاوز كل المقاييس والتوقعات، وأن الرجل كان شامخاً بإيمانه وثباته على الحق، متحدياً جلاديه، حتى آخر رمق من حياته، وأن هؤلاء المعتقلين كانوا يرجونه ويتوسلون إليه أن يلين بعض الشيء، وأن يسكت أو يجامل على سبيل المناورة، إلا أنه كان يزداد صلابة وشموخاً ـ بإيمانه ـ كلما اشتد الجلادون في تعذيبه.. فلم يطأطئ لهم رأسه، ولم يعترف لهم بشرعية، ولم يمنحهم تأييداً، بل كان يصر في التحقيق على أنهم عملاء وأذناب المستعمر وجواسيسه، بل الأكثر من ذلك، أنه في أحد الأيام الأولى للتحقيق معه، رفع الشيخ البدري يده، وضرب رئيس

التحقيق «ناظم كزار»، بعد أن شتمه، فانهالوا عليه بالضرب من كل مكان، وبمختلف الوسائل، إلى أن أغمي عليه، وعندها رموه في زنزانة لا تزيد مساحتها على متر واحد وبدون نوافذ.....» انتهى.

يقول الشيخ البدري في كتابه القيِّم «الإسلام بين العلماء والحكام»:

«... لقد جرت سُنَّة الله سبحانه وتعالى في خلقه، أن يفتنهم ويختبرهم، ليميز الخبيث من الطيب، ﴿**الم* أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُون * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِين**﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، وقد اعتاد الظالمون من الحكام، أن يضطهدوا الذين يخالفونهم في سلوكهم المنحرف، ويناهضونهم في أفكارهم الباطلة، ولم يسايروهم في أهوائهم، وينزلوا بهم أنواع المحن، بعد أن أعرضوا عن أشكال المنح التي قدّمها الحكام إليهم في ذلة وصغار، ولكن أنّى للنفوس الكريمة، ذات المعدن الطّيب، أن تُغرى بمال، أو يسيل لعابها على فتات الدنيا، أو تُستمال بعرض زائل من الحياة.

أما المحن، فقد استعدوا لها، وتحمَّلوا نارها بصبر وجلد، وصابروا شدة بأسها، بعزم واحتساب، لأنهم فقهوا قول الله تعالى: ﴿**قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون**﴾ [التوبة: ٨١] وآمنوا بقول الخالق العظيم: ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد**﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وكان أئمة المسلمين من السادة العلماء، الذين اشرأبت الأعناق إليهم، إجلالاً وتقديراً وولاء، في مقدمة الذين أصابتهم المحن ونزلت بهم الشدائد الصعاب، فخرجوا منها ظافرين ظاهرين» انتهى.


مسجد الملوية في سامراء في العراق

رحم الله أخانا الشهيد عبد العزيز عبد اللطيف البدري، وغفر الله لنا وله، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الأخ الداعية عبد العزيز سعد الربيعة

(١٣٤٩ ـ ١٤١٩هـ = ١٩٢٩ ـ ١٩٩٩م)

مولده ونشأته:

هو الأخ الحبيب والخلُّ الوفي رفيق الدرب في طريق دعوة الحق والقوة والحرية الشيخ عبد العزيز بن سعد بن أحمد الربيعة، وُلد في مدينة الزبير سنة ١٣٤٩هـ، ونشأ نشأة صالحة بتوجيه والديه الكريمين.. هاجر جدّه أحمد من بلدة (جلاجل) في منطقة سدير بنجد، إلى الزبير واستوطنها وتزوج فيها، وكان والده الحاج سعد من أعلام الزبير البارزين في ميدان الثقافة والفكر، تصل إليه المجلات والجرائد العربية والإسلامية كالأهرام والمقطم والهلال والمقتطف والمنار والفتح والرسالة وغيرها كما كان رئيس المكتبة الأهلية بالزبير.

وقد استفاد الابن عبد العزيز من ثقافة والده وزاد عليها باهتمامه بالتراث الإسلامي والفكر الإسلامي المعاصر والحرص على اقتناء المجلات الإسلامية،

كمجلة (الإخوان المسلمون) وما صدر بعدها من مجلات كـ(التربية الإسلامية)، و(المجتمع) وغيرهما.

نشأته وتعليمه:


عبدالعزيز الربيعة في شبابه

تلقى الأخ عبد العزيز تعليمه الابتدائي بمدرسة الزبير، والثانوي بمدرسة الدويحس الدينية العريقة التي أُسست سنة ١١٨٠هـ، وكانت مركزاً لطلبة العلم يأتون إليها من نجد والأحساء والكويت والخليج وقد تعاقب على التدريس فيها ثلة من علماء الزبير منهم: الشيخ عبدالله بن حمود، والشيخ محمد العسافي، والشيخ عبدالله الرابح الذي تولى الإشراف عليها والتدريس فيها في الفترة التي كان يَدرُسُ فيها الأخ الربيعة وزملاؤه: الشماس والفضيلي والبلالي وغيرهم.

وتعتبر دراسته في هذه المدرسة الفترة الذهبية من حياته العلمية، فقد حصل على العلوم الشرعية وعلوم اللغة فضلاً عن النشاط الدعوي.

وبعد تخرّجه، التحق بمدرسة النجاة الأهلية معلّماً قرابة العشرين عاماً، كما تولى الإمامة والخطابة بمسجد الرشيدية خلفاً لشيخه محمد الشهوان سنة ١٣٨٠هـ، وكانت خطبه يوم الجمعة تتناول مختلف الموضوعات وشتى الأمور من اجتماعية وخلقية ودينية وفقهية واقتصادية وسياسية وتوجيهات دعوية وبرامج تربوية، كما يتطرّق في خطبه للقضايا التي تهمُّ الإسلام والمسلمين ويعالج فيها المستجدات من الأحداث على الساحة الإسلامية، ويؤكد على معاني الأخوة الإسلامية والحب في الله والتعاون على البر والخير وإصلاح ذات البين ومساعدة المسلمين في كل مكان وتربية الناشئة وفق منهج الإسلام المستقى من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة، وكان هادئاً في خطبه يعرض القضايا



المستشار العقيل ـ والد المدهون ـ الرابح ـ الديحان ـ
عبدالعزيز الربيعة (حيث يشير السهم)
عمر الدايل ـ هاني بسيسو

بأسلوب محبب ويستثير عواطف الناس لعمل الخير وخير العمل، كما كان يتناول نماذج من علماء الزبير وتاريخ مساجد الزبير ويهيب بالناس وطلبة العلم أن يترسّموا خُطا العلماء العاملين والدعاة الصادقين، وبجانب استشهاده بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأقوال السلف الصالح، كان يُضمّن خطبه مقتطفات من كلمات العلماء القدامى والمحدثين وفي مقدمتهم الإمام الشهيد حسن البنا.

كما كانت له دروس وحلقات لكبار السن وللصغار والشباب يُعنى بتوجيههم التوجيه الإسلامي الصحيح وتحميلهم مسؤولية الدعوة إلى الله.

وفي سنة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م، تعرّض لأزمة قلبية اضطرته لإجراء عملية جراحية في لندن وظل بعدها يراجع الطبيب المختص بين فترة وأخرى وكان صابراً محتسباً، ولم يتوقف عن نشاطه الدعوي.

وفي سنة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. انتقل إلى الرياض حيث سكن في حيّ جبرة، وكان يحضر دروس الشيخ عبد العزيز بن باز ـ يرحمه الله ـ في جامع الإمام تركي في الديرة، ثم انتقل إلى حيّ النسيم، حيث عمل إماماً لمسجد عبد العزيز المفدي، وكان له دور مهم في توجيه المصلين والاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم لعدد منهم، كما كان حريصاً على حضور مجالس الشيخ عبد الرحمن آل فريان رئيس جماعات تحفيظ القرآن في مدينة الرياض، كما استفاد كثيراً من الشيخ عبد الرحمن الدوسري قبيل وفاته ـ يرحمه الله.


جاسم الجامع ـ عاشور الناصر ـ عبدالله العقيل ـ عبدالكريم المشرف ـ محمد الخضيري ـ عبدالعزيز الربيعة (حيث يشير السهم) عبدالجبار المال الله

وبعد سنوات انتقل من حيّ النسيم، إلى حيّ القدس، حيث عمل إماماً في المسجد المجاور لسكنه، وقد أحبّه المصلون لأخلاقه الفاضلة وتواضعه الجمّ وتعلقوا به، فقد كان اجتماعياً يخالط الناس ويزورهم في دورهم ومجالسهم، بل كان له برنامج منظّم للزيارات، بحيث لا يدع مجلساً إلا زاره وتكلّم فيه بخير من أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو تذكير بسنّة، أو تحذير من بدعة.

كانت مجلة (الإخوان المسلمون) تصل إلى المكتبة بالزبير، قبل سفره إلى الرياض، فيقوم الأخ الربيعة بكتابة أسماء المشتركين على نسخها، كما يقوم بإهداء نسخ أخرى إلى من يتوسّم فيهم الغيرة الدينية وبهذه الطريقة انتشرت الدعوة وكثر سواد المشتركين في المجلة.

كان الأخ عبد العزيز الربيعة نِعْمَ الوالد والمربي والمصلح لأهله وأولاده، كما كان طيِّب المعشر حلو الحديث يلقى الناس جميعاً بابتسامته المعهودة التي لم تفارقه طيلة حياته، يبدأ الناس بالسلام والمصافحة وتعريفهم بنفسه وسؤالهم عن أسمائهم وأعمالهم، ثم يدخل معهم في أحاديث وديّة وموضوعات شائقة تخالطها النكتة البريئة أحياناً، فتزول الوحشة والكلفة فيما بينه وبينهم، فيبدأ بالسؤال عن أمورهم الشخصية والأحوال العامة، ثم يعرّج على أحوال المسلمين وأوضاعهم وكيفية العلاج لمشكلاتهم، وأنه لا علاج غير الإسلام النظام الشامل الكامل لكل

شؤون الحياة والذي به سعادة الإنسانية ونجاحها وفلاحها، وأنه لا بد من العمل الجماعي لنشر دعوة الإسلام والتصدي لدعوات الباطل، وأن جماعة الإخوان المسلمين فهمت الإسلام حق الفهم كما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وعملت به في كل أمور الحياة، وجاهدت أعداء الإسلام بالقول والعمل والقلم والبندقية، وكان لها الشهداء في ميادين الجهاد في الوطن الإسلامي الكبير، وبخاصة فلسطين، وعاش أفرادها يظللهم الحب في الله والأخوة الإسلامية التي ترتفع عن مستوى الجنس أو العرق أو الطين.

أسلوب محبب في الدعوة:

هكذا كان الأخ أبو سعود يسير بالدعوة مع الناس ببساطة دون تكلف وبكلام بسيط لا تحذلق فيه ولا تقعّر، وببشاشة وجه وطيب حديث لا تجهّم فيه ولا جلافة، وكان الخطاب لجميع الناس فلا يفرّق بين الصغير أو الكبير، أو الغني أو الفقير، أو المثقف أو الأمي، وهذا ما جعله محبوباً للجميع، يقبلون عليه ويستمعون لأحاديثه، ويتقبلون نصائحه، ويستشيرونه في الكثير من أمورهم الخاصة والعامة.

وعقب الحديث مع أي إنسان ينهي اللقاء بإهدائه مجلة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية، أو رسالة من رسائل الإمام حسن البنا، أو لبيب البوهي، أو أنور الجندي، أو أحمد أنس الحجاجي أو غيرهم، وكثيراً ما يعود هؤلاء إلى الأخ الربيعة يطلبون منه المزيد من الرسائل والكتب والمجلات ويطلبون الاشتراك بمجلة (الإخوان) الأسبوعية، ويداومون على حضور الدروس التوجيهية بمدرسة الدويحس الدينية أو بمكتبة الإخوان أو مكتبة المنار أو المساجد لسماع المواعظ والمشاركة في الرحلات إلى البر وبساتين النخيل، كما يشاركون في قيام الليل وصيام التطوع، وتلاوة القرآن الكريم، والأدعية المأثورة.

وبهذا الأسلوب الحكيم، والعمل الدؤوب، استطاع الأخ الربيعة، بتوفيق الله

عز وجل، أن يتألف قلوب الكثيرين، حتى كثر سواد العاملين في الحقل الإسلامي والمنضوين تحت لواء الدعوة، والمؤمنين بضرورة العمل الجماعي لإعلاء كلمة الله ونشر دينه.



المستشار العقيل (أول الواقفين من اليمين) - عبدالعزيز الربيعة (الثاني) - عبدالكريم المشرف - محمد الخضيري - أحمد الدخيل - عاشور الصالح (يحمل توفيق بن أحمد الدخيل) - إبراهيم الشارخ - عبد الرزاق مال الله وأخوه عبد الجبار في صحراء مدينة الزبير يوم ١٩٤٦/١٢/١٥م

وكان للأخ الربيعة من إخوانه العاملين معه، كالأخ عمر الدايل وعبد الرحمن الديحان ومحمد العرفج، ومحمد الصفطاوي وهاني بسيسو وغيرهم خير سند وعون بعد الله، حيث عمَّ الخير وانتشرت الدعوة، وكثر الصالحون الملتزمون والدعاة العاملون، وقامت المشاريع النافعة، والبرامج المفيدة، كما كانت للأخ أبي سعود إسهاماته الطيّبة وجهوده المباركة في جمعية مكتبة الزبير الأهلية العامة، التي تولى رئاستها بعد وفاة والده، وفي مكتبة المنار الإسلامية ومدرسة الدويحس الدينية وجمعية الإصلاح الاجتماعي في الزبير.

كان الأخ عبد العزيز سعد الربيعة من أوائل من ارتبط بجماعة الإخوان المسلمين في الزبير من خلال مجلتهم «الإخوان المسلمون» الأسبوعية، وعن طريق دعاتهم المدرسين الذين أوفدهم الإمام البنا إلى الأقطار العربية للتدريس في مدارسها، حيث كان الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد مدرساً بمتوسطة البصرة، وكنت وإيَّاه ممن استجابوا للدعوة واقتنعوا بالفكرة في وقت مبكر، وقد عملنا معاً متعاونين مع إخواننا في البصرة عبد الهادي الباحسين ويعقوب الباحسين وتوفيق الصانع وجاسم محمد صالح وغيرهم وذلك أواخر عام

١٩٤٥م. وقد أكرمنا الله جميعاً بحمل لواء الدعوة الإسلامية في مواجهة المد الشيوعي والتيار الغربي والفكر العلماني، وأعوان الاستعمار البريطاني، بحيث صار للإخوان المسلمين حضورهم الفاعل والمؤثر بشكل واضح في المدارس المتوسطة والثانوية وفي المساجد والأندية وبين جماهير الناس في القرى والأرياف.

صورة للمسلم العامل:

وقد ترك الأخ الربيعة آثاراً طيّبة في نفوس وقلوب كل من عرفه أو التقاه، وأُشهد الله أنني قد تَعلمتُ منه الكثير من التواضع، والبساطة، والصدق، والإخلاص، فقد كان صورة صادقة للمسلم العامل الذي يحبّك من كل قلبه، ويُصارحك بكل ما في نفسه، ويخدمك بكل طاقته، ويؤثرك على نفسه في كثير من الأحيان، إذا فرح أشركك في فرحه، وأدخل السرور على قلبك، وإذا سمع بمآسي المسلمين أفراداً أو جماعات، أخذ الحزن منه كل مأخذ، واغرورقت عيناه بالدموع، وسعى قدر طاقته لإزالة ما أصاب المسلمين من بلاء وعناء أو تخفيفه عنهم قدر طاقاته ووفق إمكاناته.

كان يتفقد الفقراء والمحتاجين ويقدّم لهم العون والمساعدة، ويسعى في قضاء حوائجهم، ويبذل من ماله ـ على قِلَّته ـ لتخفيف معاناتهم، وكم من مرة كان يقدّم لي المال لإيصاله للجهات المستحقة، دون أن يعلم بذلك أقرب الناس إليه.

كما كان يشارك في كل أنواع النشاط الإسلامي، ولا يتأخّر إلا لعذر قاهر، فأنت تراه في الرحلات الكشفية في الصحراء والرحلات البحرية والنهرية والتدريبات الرياضية ومجالس الدروس الفقهية والدعوية، ومجالس التلاوة والأذكار، وقيام الليل والمحاضرات، والندوات، والخطب والاحتفالات، والمناسبات، وعيادة المرضى، وحضور الجنائز ومجالس



عبدالله العقيل ـ عاشور الصالح ـ عبدالرحمن العقيل ـ أحمد رجب الدخيل ـ عبدالعزيز الربيعة ـ عبدالكريم المشرف ـ توفيق أحمد رجب الدخيل ـ إبراهيم الشارخ ـ محمد الخضيري ـ عبد الجبار المال الله في القريطية في الزبير في ربيع عام ١٩٤٧م

الإصلاح بين الناس وحفلات الزواج، وكل نشاط فيه المثوبة والأجر من الله.

لقد بكيت أنا وهو طويلاً حين بلغنا استشهاد الإمام حسن البنا بأيدي زبانية السلطة، وهو في أوج نشاطه وشبابه، وكنت أمنِّي النفس بلقائه بعد شهور.

ترك الأخ عبد العزيز الربيعة بعض المخطوطات بخط يده أطلعني عليها أولاده تتضمن بعض الخطب المنبرية والدروس الدعوية التي كان يلقيها ومن خطبه الكثيرة نجتزئ هذه الفقرات:

«... إن الصحابة الكرام تآخوا بأخوة الدين والحب في الله، عقيدتهم صادقة، وعبادتهم صحيحة، وغايتهم رضا الله، ودستورهم كتاب الله، وقدوتهم رسول الله ﷺ، والجهاد في سبيل الله أسمى أمانيهم، فيا أيها المسلمون: أقيموا الأخوَّة الإسلامية فيما بينكم، وأقيموا دولة القرآن في قلوبكم، وكونوا كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً، وحذار من الأحزاب العلمانية والطوائف

الباطنية وأعوان الاستعمار وأذنابه، وكونوا يداً واحدة وعلى قلب رجل واحد يؤيدكم الله بنصره».

كما أطلعني أولاده (سعود وأسامة وعامر وقيس)، على مذكرات بخط يده يذكر فيها أن أهم رجال العمل والفضل الذين تأثَّر بهم ـ بعد أساتذته في مدرسة الدويحس الدينية ـ هم: والده الحاج سعد، ومحمد العقيل، وعبدالله الشارخ، وعبد المحسن المهيدب، وهاني مصطفى بسيسو، وعبد الوهاب الفارس.

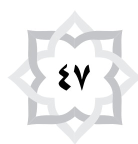
وقد استفاد الأخ عبد العزيز من علم كل من: الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، والشيخ عبد الرحمن السعدي، والإمام حسن البنا، والشيخ محمد البيحاني، والأستاذ الشهيد سيّد قطب، والدكتور مصطفى السباعي، والشيخ محمد الغزالي، والدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ عبدالله الدحيان، والشيخ يوسف القناعي، والشيخ عبد الرحمن الدوسري وغيرهم.

وقد اختاره الله إلى جواره يوم الأربعاء ٢٨ / ١٢ / ١٤١٩هـ، الموافق ١٤ / ٤ / ١٩٩٩م، حيث دفن في مقبرة النسيم بمدينة الرياض، بعد تشييع جماهيري غفير وصلي عليه أكثر من مرة في المسجد والمقبرة.

رحم الله أخانا أبا سعود وأسكنه فسيح جناته وألحقنا به وحشرنا وإياه في زمرة عباده الصالحين مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





التاجر الصدوق عبدالعزيز العلي المطوع

(١٣٢٨ ـ ١٤١٦هـ = ١٩١٠ ـ ١٩٩٦م)

معرفتي به:

عرفتُ الأخ الداعية والتاجر الصدوق عبد العزيز العلي المطوع ـ يرحمه الله ـ عن طريق السماع في أواخر الأربعينيات الميلادية، من خلال الحاج عبدالله الخالد البدر، الذي كان مكتبه التجاري بجوار مكتب العم محمد سليمان العقيل وإخوانه بالبصرة، وكان الشيخ المطوع من التجار المحسنين في مجال العمل الخيري، والإسهام في خدمة الدعوة الإسلامية المعاصرة، والاتصال بالعلماء والدعاة في كل مكان، والتعاون معهم في خدمة الإسلام والمسلمين، وتقديم العون لذوي الحاجات، ومساعدة الطلاب والدعاة العاملين بالحقل الإسلامي.

ولقد سرَّني ما قرأته في مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية سنة ١٩٤٦م، حيث قام بالتبرع لمشروع الجريدة اليومية والمطبعة بمبلغ سخي جزاه الله خيراً، وذلك أثناء زيارته لمصر والتقائه الإمام الشهيد حسن البنا، الذي يُكنُّ له كل

الحب والتقدير ويراه مثال المسلم الصادق، والعالم العامل، والداعية القدوة والمجاهد الصابر والحكيم الموفق.

وكان اجتماعاً مباركاً، كان فيه (عهد وميثاق وأخوَّة، وتعاون واتفاق للعمل الجماعي، والجهاد المشترك) لرفعة شأن الإسلام والمسلمين والعمل فيما يرضي الله تعالى في الكويت والعالم العربي والإسلامي.

المراقب العام للإخوان بالكويت:

وقد حضر الاجتماعات للهيئة التأسيسية التي ضمّت المراقبين العامين للإخوان المسلمين، الذي حضره الدكتور مصطفى السباعي ـ المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية، والأستاذ محمد محمود الصواف ـ المراقب العام للإخوان المسلمين في العراق، والأستاذ علي طالب الله ـ المراقب العام للإخوان المسلمين في السودان، والأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة ـ المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن، والأستاذ عبد العزيز العلي المطوع ـ المراقب العام للإخوان المسلمين في الكويت، وممثلون عن الإخوان المسلمين في فلسطين، والمغرب العربي، ولبنان، وجيبوتي وغيرها.

ومن الجدير بالذكر أن أول فرع للإخوان المسلمين خارج مصر كان فرع جيبوتي، حيث رغب بعض شباب جيبوتي في تكوين شعبة للإخوان المسلمين فيها، وذلك عام ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٣م، كما جاء منشوراً في جريدة الإخوان المسلمين الصادرة يوم ٢٢ صفر ١٣٥٢هـ ـ الموافق ٢٤ / ٦ / ١٩٣٣م، بالإضافة إلى ممثلين عن البلاد الإسلامية الأخرى الذين كانوا يشاركون الإخوان المسلمين بمصر باعتبار أن حركة الإخوان المسلمين حركة إسلامية عالمية لا تقيم وزناً للحدود الجغرافية المصطنعة، وتعلو عندها راية الدين على راية الطين، وأخوَّة الإسلام على أخوَّة النسب، ورابطة العقيدة على رابطة القبيلة، لأن المسلمين جميعاً أمة واحدة، ربها واحد، وكتابها واحد، ونبيها واحد،

وقِبلتها واحدة، ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ [المؤمنون: ٥٢].

كان الشيخ عبد العزيز ذا حركة دائبة، وأسفار متواصلة، دفعته إلى أن يقدم استقالته من قيادة الجماعة في الكويت، قدّمها في ١ / ١٠ / ١٩٥٣، وأبدى الأسباب التي حملته على تقديم استقالته، قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى بني وطني

وإخواني في جمعية الإرشاد الإسلامية

إخواني:

لقد شرفتموني بثقتكم، وغمرتموني بفضلكم، عضواً في المجلس البلدي، ومراقباً عاماً لجمعية الإرشاد... فعاهدت الله وعاهدتكم على أن أعمل الخير ما استطعت؛ وأن أحيا لبلادي، وفي بلادي، فتكون إقامتي أو أكثرها في الكويت العزيزة.

ولكن تطلعي إلى خدمة الكويت في نطاق أوسع، في مصر والبلاد العربية، جعل إقامتي الدائمة في الكويت متعذرة، لفتحي مكتباً تجارياً في القاهرة، وتعدد أعمالي في البلاد العربية... مما يجعلني أشعر بخجل شديد حيال ثقة إخواني وزملائي ورؤسائي.

وإني لأرجو أن يقيم لي إخواني المعذرة من أنفسهم، وأن يقبلوا تنازلي عن تجديد انتخابي، شاكراً لهم نبيل شعورهم، وكريم عواطفهم.

إن كل عمل خيري في سبيل الوطن لهو عبادة مقدسة، وكل مؤسسة شعارها عمل الخير لإسعاد البلاد، هي مسجد يجب الخشوع والصلاة فيه، وإذا لم يسعدني الحظ بالصلاة في الصفوف الأولى فإن الصلاة لا تسقط عني في الصفوف الخلفية، معتقداً أن إخواني والذين قدمتهم بلادنا إلى الصفوف الأولى فيها أقدر مني على تحمل المسؤولية، وأدوم إقامة في الكويت.

وأكرر شكري لكم جميعاً على ثقتكم الغالية، وأعاهد الله على الجهاد مع كل مصلح يريد الخير لوطننا العربي الصغير (الكويت)، ولوطننا العربي الكبير، وفقكم الله لخير الأمة.

١ / ١٠ / ١٩٥٣

عبد العزيز العلي المطوع

ولكن إخوانه في الكويت، أصروا على بقائه في منصبه مراقباً عاماً، لما عرفوا فيه من شمائل لا توجد في سواه، فأذعن لإصرارهم، وخيراً فعل.

زيارات متبادلة:

وحين ذهبت للدراسة الجامعية بمصر، التقيته أوائل الخمسينيات، ثم تكررت بعد ذلك لقاءاتي بالشيخ المطوع مرات ومرات في مصر، والعراق، وبلاد الشام، والسعودية، وباكستان، والكويت، التي استقر مقامي بها من ١٩٥٩م إلى ١٩٨٦م، حيث توثّقت صلتي به، وكانت الزيارات المتبادلة بيننا في المنازل والمكاتب، وكان ـ رحمه الله ـ يحضر ندوة الجمعة الأسبوعية ويشارك في أحاديثها وحواراتها ومحاضراتها ودروسها، وكانت آخر ندوة شارك فيها بحضور الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ حيث كانا فارسي الحلبة، واستفدنا وإخواننا الحضور فائدة كبيرة منهما ـ رحمهما الله تعالى.

والأخ الكبير عبد العزيز المطوع له نظرات عميقة، وتأملات فاحصة، وتوجيهات صائبة، وآراء سديدة، استقاها من قراءاته وتجاربه في الحياة وتوفيق الله له،وكان ـ رحمه الله ـ شغوفاً بالقراءة، والتأمل في آيات الله عز وجل، والتدبر في القرآن الكريم، الذي كانت له فيه وقفات، فسَّر فيها بعض السور والآيات، وبخاصة ما له علاقة بالعلوم العصرية، وآخر الحقائق العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم.

كما كان له اهتمام بالغ في رفع المستوى التعليمي لشباب المسلمين، وتشجيعهم على الدراسات العليا، ودعم الجهاد الإسلامي في كل مكان، ونشر الدعوة الإسلامية الصحيحة بين القبائل العربية، التي تأثر بعضها بأفكار غريبة، وكان من المحبين للعلماء والدعاة، يحرص على تكريمهم والاحتفاء بهم، كما كان يخالط الحكام، ويقدِّم لهم النصح، باعتبارهم ولاة أمور المسلمين، الواجب نصحهم كما جاء في الحديث النبوي «الدين النصيحة»، قلنا لمن؟، قال: «لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»، وهو رجل رقيق الحاشية، طيب المعشر، خفيف الروح، بشوش الوجه، مرهف الشعور، بالغ التأثر بالمواقف الإنسانية، تغلبه الدموع حين يتحدث عن أحوال المسلمين ومآسيهم، والمصائب التي حلّت بهم، نتيجة ابتعادهم عن دينهم، وهجرهم لكتاب ربهم وسُنَّة نبيهم ﷺ.

وكان يبذل قصارى جهده للتخفيف عنهم وتقديم العون المستطاع لهم، فقد كان كريماً معطاءً، ينظر للمسلمين نظرة واحدة، فلا يفرّق في عطائه بين شخص وآخر، فكلهم عنده سواء، مهما كانت جنسيتهم، وإن كان يُؤْثر صاحب الدين، وحامل الدعوة، وطالب العلم، والمجاهد في سبيل الله، ويقدّمهم على غيرهم، لأن لهم الأولوية في العطاء، كما كان باراً بأقاربه وذوي رحمه وأصهاره وأنسبائه، ولم يكن يتردد في دعم كل مشروع خيري يُعرض عليه إذا اطمأن لأحقيته ووثق بالقائمين عليه، واقتنع بأهميته وضرورته، وكانت له صلات وثيقة بالعلماء والدعاة والمصلحين وكبار الزعماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي يزورهم ويزورونه، ويراسلهم ويراسلونه، ويتشاور معهم ويتشاورون معه، وكان يعرف لهم قدرهم ويكرمهم، ويُنزلهم منازلهم ويحيطهم بالإجلال والإكبار والتقدير، ويقدِّمهم للمسؤولين بكل التجلَّة والاحترام والتوقير.

وقد زار الكثير من البلاد العربية والإسلامية والأوروبية، وحضر الكثير من المؤتمرات الإسلامية، وشارك في العديد من المشاريع لبناء المساجد، وإقامة

المدارس، والمستشفيات، والمعاهد، ودور العلم، وكفالة الأيتام، ومساعدة الفقراء، وقد وفّقه الله لشراء عدد من الكنائس في البلاد الأوروبية لتحويلها إلى مساجد بالتعاون مع الشيخ عبدالله العلي المحمود من إمارة الشارقة.

آثار طيبة:

لقد ترك الأخ عبد العزيز المطوع الآثار الطيّبة في كل من مصر، والعراق، وبلاد الشام، والجزيرة، والخليج، فضلاً عن الكويت، وكانت له صولات وجولات تكشف عن نفاسة معدنه، وعمق تجربته، وقوة إيمانه، وسماحة نفسه، وجزالة عطائه، فقد كان سخياً في وجوه الخير لا يتردد أبداً، وتنفق يمينه ما لا تعلم شماله، وهو أول من أرسى أساس العمل الإسلامي المنظم في الكويت، فقد استقبل الدعاة المسلمين ودعم نشاطهم، وأنشأ مكتبة إسلامية كبيرة، كما أسس جمعية الإرشاد الإسلامي بالكويت أوائل الخمسينيات بالتعاون مع إخوانه وتلامذته ومحبيه من رجال وشباب الكويت الصالحين، وبذل من وقته وجهده وماله ما يعرفه وما لا يعرفه القريب والبعيد، وكان لا يتأخر عن أي مؤتمر، أو ندوة، أو لقاء فيه خير للإسلام والمسلمين.

جهوده الدعوية في الكويت:

ولقد أجرى الله على يديه الخير الكثير في الكويت وغيرها من البلدان العربية والإسلامية، فكان محبوباً من الزعماء المسلمين، والدعاة، والعلماء، والقادة والحكام الصالحين، الذين كانوا يُجلّونه ويحترمونه ويستجيبون لشفاعته.

وإن مجلة (الإرشاد الإسلامية) وجمعية (الإرشاد الإسلامية)، ومدرسة (الإرشاد الإسلامية)، ومكتبة (الإرشاد الإسلامية)، كلها شواهد ناطقة، وآثار واضحة على جهوده الخيّرة، وعطائه السخي، وجهاده الدؤوب، وإن معظم الشباب المسلم بالكويت، هم من آثار تلك الجهود المباركة التي شاركه فيها

إخوانه: خالد الجسّار، ومحمد العدساني، ويوسف الرفاعي، وعبدالله الكليب، ومحمد بودي، وخالد الرويشد، وغيرهم، ولقد كان ساعده الأيمن وعضده الذي شدّ أزره ووقف إلى جانبه، وسار على منهجه هو شقيقه الأخ الكريم عبدالله العلي المطوع ـ بارك الله في عمره[1] ـ الذي سلك الطريق نفسه، وبخاصة بعد أن عرَّفه على الإمام الشهيد حسن البنا في موسم الحج عام ١٩٤٦م، حيث التقياه، وتوثّقت الصلة معه، وظلت قائمة إلى أن استشهد الإمام البنا في ١٢ فبراير ١٩٤٩م برصاص الغدر في أكبر شوارع القاهرة، بيد العملاء والمأجورين، وجلاوزة الطغاة.

يقول الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات، صاحب مجلة «الرسالة» في عددها المرقم «٩٦٦» والصادر في ٧/ ١/ ١٩٥٢م:

«الإخوان المسلمون هم وحدهم الذين يمثلون في هذا المجتمع الممسوخ، عقيدة الإسلام الخالص، وعقلية المسلم الحق، إنهم لا يفهمون الدين على أنه صومعة منعزلة، ولا الدنيا على أنها سوق منفصلة، وإنما يفهمون أن المسجد منارة السوق، وأن السوق عمارة المسجد، وكان للإخوان في الإرشاد لسان، وفي الاقتصاد يد، وفي الجهاد سلاح، وفي السياسة رأي، فلهم في كل بلد من البلدان العربية أتباع، وفي كل من الأقطار الإسلامية أشياع، وما يقظة الوعي العام في مصر والسودان، وفي العراق وسورية، وفي اليمن والحجاز، وفي الجزائر ومراكش، إلا شعاع من هذه الروح، سيكون له بعد حين نبأ» انتهى.

لقد صار الأخَوَان الشقيقان عبد العزيز وعبدالله المطوع يتباريان ويتنافسان في عمل الخير ونصرة الإسلام والمسلمين دون كلل أو ملل، بل طمعاً في مرضاة الله تعالى وطلباً لمثوبته وأداءً للواجب الملقى على عاتقيهما نحو الإسلام والمسلمين.

---

(١) توفي سنة ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

وأشهد الله الذي لا إله غيره، إنني وجدتُ فيهما النماذج الصادقة لترجمة الإسلام قولاً وعملاً، وبذلاً وسخاءً، ورجولةً وثباتاً، فلم يغْترا بزخارف الدنيا، ولم يزدهم المال والثراء إلا تواضعاً لله ولعباد الله وزيادة في البذل والعطاء في سبيل الله والمستضعفين في الأرض من المسلمين.

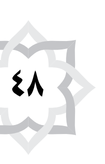
ذلكم هم الأخ الكبير والتاجر الصدوق والداعية المسلم عبد العزيز العلي المطوع، وتلك نبذة يسيرة عن سيرته عرضتها من خلال معرفة قريبة، وتجارب شخصية، عسى الله عز وجل أن يجعلها في ميزان الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفاته:

ولقد توفي - يرحمه الله - يوم الأحد في التاسع عشر من ذي القعدة ١٤١٦هـ - الموافق ٧/ ٤/ ١٩٩٦م بعد مرض عضال طال أمده.

نسأل الله العلي القدير أن يتغمده بواسع رحمته، ويغفر لنا وله، ويرزقنا وإياه الفوز بالجنَّة، والنجاة من النار، وإنَّا لله وإنا إليه راجعون.





العالم الورع الشيخ عبدالفتاح أبو غدة

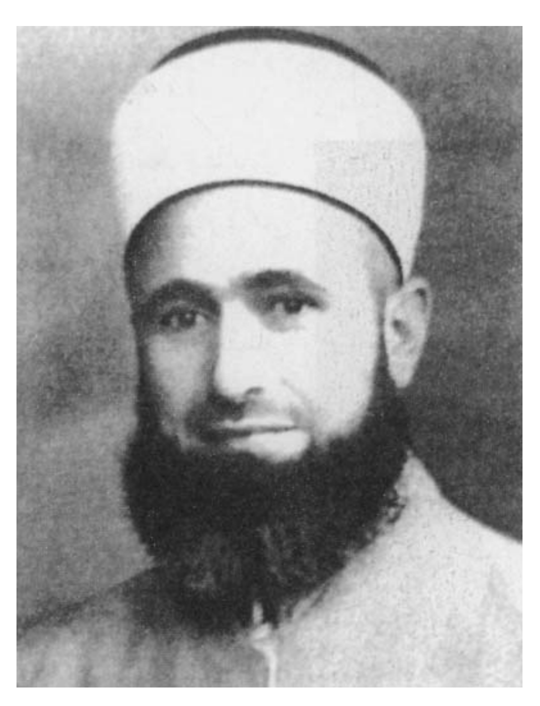
(١٣٣٦ ـ ١٤١٧هـ = ١٩١٧ ـ ١٩٩٧م)

معرفتي به:

كان معروفاً لديّ بآثاره وأخباره عن طريق إخواني في سورية، ثم كان لقائي الأول به حين زرته في بيته بمدينة حلب عام ١٩٦٥م، في طريقي إلى تركيا، حيث سعدتُ به، ورأيتُ فيه من صفات التواضع والبشاشة والخلق الكريم والأدب الجمّ والبساطة في الحديث، والعمق في الفهم، والتدقيق في المسائل العلمية، ما ترك أبلغ الأثر في نفسي.

وحمدتُ الله على أن عرفته عن قرب بعد أن كانت معرفتي به سماعية، ثم شاء الله عزّ وجلّ أن تتكرر اللقاءات في سورية والكويت والأردن والسعودية وأوروبا وغيرها، فزادت المعرفة، وتوثقت العلاقة إذ وجدت فيه العالم العامل، والداعية الصادق، والمؤمن الزاهد، والفقيه المتمكن، وكان يتميز بالهدوء وطول الفكر والتأمل ودقة الملاحظة مع التواضع الشديد وعدم التكلف.

مولده ونشأته:


الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في مقتبل شبابه

وُلد في منتصف شهر رجب عام (١٣٣٦هـ ـ ١٩١٧م) في مدينة حلب الشهباء بسورية، وكان والده وجده يحترفان التجارة بصنع المنسوجات الغزلية، وقد نشأ في حجر والده الذي كان محباً للعلماء حريصاً على حضور مجالسهم وسماع دروسهم ومواعظهم، ثم لما بلغ الشيخ عبد الفتاح الثامنة من عمره أُدخل المدرسة العربية الإسلامية الخاصة، ثم دخل المدرسة الخسروية وهي ثانوية شرعية، وبعد التخرج ذهب إلى مصر للدراسة بالأزهر فالتحق بكلية الشريعة حتى حصل على شهادة العالمية عام ١٩٤٨م، ثم تخصص في أصول التدريس بكلية اللغة العربية بالأزهر وتخرج فيها عام ١٩٥٠م عاد بعدها إلى بلاده سورية.

مشايخه وتلامذته:

وقد تلقى العلم على مشايخ كثيرين في مصر وبلاد الشام والهند وغيرها، كما حصل على جائزة عالمية لخدمته الحديث النبوي الشريف، ومن أبرز مشايخه في حلب الشيخ أحمد الزرقا وابنه الشيخ مصطفى الزرقا.

كان الشيخ عبد الفتاح من علماء بلاد الشام الأفذاذ، ومن رجال الدعوة المعروفين، ومن قادة الحركة الإسلامية المبرزين، وكانت له المنزلة الكبيرة في

نفوس العلماء في العالمين العربي والإسلامي، وفي نفوس أبناء الصحوة الإسلامية المعاصرة وعامة الناس.

وقد تخرّج على يديه الكثير من طلبة العلم، وشباب الدعوة في حلب ودمشق والرياض، حيث درّس بالمدارس الثانوية بحلب، ثم بكلية الشريعة بجامعة دمشق، ثم بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم بجامعة الملك سعود بالرياض.

أما تلامذته في ميدان الدعوة فهم منتشرون على صعيد العالم العربي والإسلامي كله، وقد كانت له رحلات علمية ودعوية في معظم أنحاء العالم.

كان الشيخ أبو غدة حنفي المذهب، ولكنه كان يكره تتبع الرخص والأخذ بشواذ الأقوال والتعصب المذهبي.

مؤلفاته:

لقد ألّف أبو غدة وحقق حوالي مئة كتاب معظمها في خدمة الحديث النبوي الشريف وقد طبع منها أكثر من ستين كتاباً **ومما حقق:**

الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للإمام اللكنوي.

الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة في علوم الحديث للكنوي.

إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبد ليس ببدعة للإمام اللكنوي.

رسالة المسترشدين للإمام الحارث المحاسبي في الأخلاق والتصوف النقي.

التصريح بما تواتر في نزول المسيح للإمام محمد أنور شاه الكشميري.

الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام للقرافي.

فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية في الفقه الحنفي للإمام علي القاري.

المنار المنيف في الصحيح والضعيف للإمام ابن قيم الجوزية.

المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للإمام علي القاري.

فقه أهل العراق وحديثهم للعلاّمة محمد زاهد الكوثري.

كما ألَّف عدداً من الكتب منها:

مسألة خلق القرآن وأثرها في صفوف الرواة والمحدثين وكتب الجرح والتعديل.

صفحات من صبر العلماء.

كلمات في كشف أباطيل وافتراءات.

العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج.

الإسناد من الدين.

السنة وبيان مدلولها الشرعي.

تحقيق أسمى الصحيحين.

منهج السلف في السؤال عن العلم.

قيمة الزمن عند العلماء.

لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث.

كما حقَّق الكتب التالية:

من فقهاء العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر.

أمراء المؤمنين في الحديث.

كما حقّق الكتب التالية:

المتكلمون في الرجال للسخاوي.

ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل للذهبي.

قصيدة (عنوان الحكم) للبستي (تعليق).

الموقظة في علم مصطلح الحديث للذهبي.

الباهر في حكم النبي ﷺ في الباطن والظاهر للسيوطي.

الانتقاء من فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر.

ترتيب وتخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي.

الجمع من الترتيب لاحاديث تاريخ الخطيب.

وفوق هذا له مساهمات في تأليف الكتب المدرسية للمرحلة الثانوية بالاشتراك مع زميله الشيخ أحمد عز الدين البيانوني، كما أنه أتم وأنجز كتاب (معجم فقه المحلى لابن حزم) أثناء انتدابه للتدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق.

كما شارك الشيخ أبو غدة في وضع مناهج المعهد العالي للقضاء بالرياض وكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومناهج الدراسات العليا في كلية التربية (قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود).

هذا غير مئات المحاضرات والندوات والخطب والدروس في البلاد العربية وخارجها حيث كان له الدور الفاعل والمؤثر.

وموقع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في حلب كموقع الشيخ محمد الحامد في حماه، والدكتور مصطفى السباعي بدمشق، والشيخ محمد علي مشعل في حمص، فكل من هؤلاء ينهض بدوره في توعية جماهير الأمة إلى حقيقة الإسلام وضرورة الالتزام به والدعوة إليه والذود عن حياضه والغيرة على حرماته والسعي لتطبيق أحكامه في واقع الحياة ودنيا الناس والمشي في حوائج المسلمين وإصلاح ذات بينهم والعمل الجاد لتربية النشء على منهج الإسلام الصحيح من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة، وكان الشيخ أبو غدة مثال المسلم الملتزم بأحكام الإسلام في نفسه وأسرته ومجتمعه.

قالوا عنه:

يتحدث عنه ابنه سلمان أبو غدة فيقول:

«كان والدي صبوراً على الطاعة والابتلاء حريصاً على الصلاة حرصاً شديداً، له ورده اليومي من تلاوة القرآن الكريم، دائم الذكر لله، يسبح ويحمد ويهلل ويكبر.

وكان سريع الدمعة، كثير العبرة، يفيض دمعه عند قراءة القرآن الكريم وعندما يذكر الله عز وجل، وكان مجمع الفضائل والشمائل، كريماً غاية الكرم، أديباً

خلوقاً لا يؤذي أحداً بكلامه، وكان ظريفاً خفيف الروح ذواقاً في ملبسه ومشربه وتنعله، كما كان مرتباً في مكتبته، ورغم أن الله ابتلاه بفقد السمع في إحدى أذنيه وعدم الإبصار في إحدى عينيه، فما رأيته شكا أو تشكى، ولا ثناه ذلك عن الإنتاج العلمي، بل تجمل بالصبر والتسليم والمثابرة على التأليف والتحقيق مخافة أن يدركه الأجل ولم يخرج ما في صدره من الكتب.. (مجلة المجتمع العدد ١٢٥٣)».

ويقول عنه الشيخ وهبي غاوجي:

«أشهد لقد كان شيخنا الشيخ عبد الفتاح بكاءً، فما أسرع ما تدمع عيناه من حرقة قلبه إذا دعا داع إلى ذلك، لقد بكى أمامه أحد طلابه وهو يعرض مأساته فبكى له الشيخ، وحين التقى الشيخ أبو غدة بالعلاّمة الشيخ محمد يوسف البنوري في المسجد النبوي الشريف، تحادثا واقفين ثم اتجها إلى القبلة فأخذا يدعوان ويبكيان، وما إخال أحداً يقرأ تعليقات الشيخ عبد الفتاح على رسالة المسترشدين إلاّ ويبكي مراراً».

عزة النفس:

وعن عزة نفسه وزهده واحترامه للعلم واستعلائه بإيمانه يقول عنه الشيخ قيس آل الشيخ مبارك:

«الشيخ أبو غدة عالم آتاه الله علماً شريفاً، وإسناداً منيفاً، وتحقيقاً بديعاً.. رجل علا بنفسه عن سفاسف الحياة الدنيا، وعلا بالعلم الذي بين جنبيه عن سوق التسول والاتجار.

وكان بهي الطلعة عذب الروح حلو الشمائل مع صفاء في الرؤية وجودة في الذهن وحضور في البديهة، وكان في العمل مثال الداعية إلى الله، عرفته مراكز الدعوة الإسلامية ففقدت بفقده داعياً، ومعلماً، ومرشداً وكان علمه وعمله مكسوّين بحلية التقوى».

وأما عن الرفقة الطويلة والزمالة والعشرة فيحدثنا الأخ الدكتور محمد علي الهاشمي فيقول عنه:

«لقد عرفت العلاّمة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة منذ نحو خمسين سنة، كانت العلاقة بيننا علاقة أخوة وقرابة مصاهرة، فلم أجد خلال هذه المدة الطويلة منه إلا المودة والبر، والوفاء، والمروءة، والنبل، والإيثار، والصدق، والصفاء، والتسامح، وكرم النفس، وحسن الخلق، لقد بكته القلوب قبل العيون، لأنها فقدت بموته العالم الثبت المحقق الصدوق، الذي عرف شرف العلم فوهب له نفسه ووقته وماله، وأدرك أثره الكبير في تعميق الثقافة الإسلامية لدى أجيال المسلمين الصاعدة في العالم الإسلامي، فعكف على التأليف والتحقيق وخلف أكثر من ستين كتاباً في شتى جوانب العلوم الإسلامية وترك نحواً من ثلاثين كتاباً تحت الإعداد، عاجلته المنية عن إنجازها وتقديمها للطبع . (مجلة المجتمع العدد ١٢٤١)».

وعن اهتمامه بالعلم وطلبه والسعي له في مظانه والرحلات من أجل لقاء العلماء والوقوف على التراث الإسلامي واستخراج كنوزه يحدثنا الشيخ عمر الجيلاني عن رحلة الشيخ أبو غدة إلى الهند فيقول:

«قامت في القارة الهندية نهضة علمية لخدمة الحديث النبوي الشريف، لا أحسب أن لها مماثلاً في مكان آخر من ديار الإسلام، لا من حيث الكثرة في الدارسين والمؤلفين، ولا من حيث تنوع المباحث واتساعها، وتكونت بها مكتبة عظيمة في هذا العلم الشريف كانت موصدة أبوابها، مسدلة عليها الستور فكان للشيخ عبد الفتاح أبو غدة الفضل العظيم في فتح رتاجها وكشف حجابها واستخراج كنوزها وإدناء ثمارها اليانعة وعرضها على طرف الثمام لمبتغيها، مع تحقيق لنصوصها وتعليقات يندر وجودها في العصور المتأخرة.

عاد الشيخ عبد الفتاح أبو غدة من الهند بعد أن وردها عام ١٣٨٢هـ بمغانم كثيرة كان من أثمنها تراث ثلاثة من كبار علمائها وهم الإمام محمد عبد الحي

اللكنوي والإمام أحمد العثماني التهانوي والإمام محمد أنور الكشميري. (مجلة المجتمع العدد ١٢٤١)».

وعن ثناء العلماء الأعلام الكبار على جهوده العلمية يقول الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية في تقريظه للطبعة الأولى من كتاب (رسالة المسترشدين):

«وبعد فإني أحمد الله تعالى إليكم إذ وفقكم لنشر (رسالة المسترشدين) للإمام المحاسبي بتحقيقكم القيم الذي ألممتم فيه بما ينبئ عن غزير علمكم ودقيق بحثكم.. وازدانت به (الرسالة) رواء وجمالاً وازدادت به نفعاً وكمالاً».

أما الشيخ العلاّمة محمد أبو زهرة فكتب له رسالة قال فيها:

«فإن الأيام السعيدة التي قضيتها بصحبتك الطيبة الخالصة التي رأيت فيها إخلاص المتقين وظرف المؤمنين واصطبار الأصدقاء على بلاغة الأولياء، وإن هذه أيام لا أنسى ما بدا منك فيها من طبع سليم ولطف مودة وحسن صحبة».

أما شيخه العلاّمة الشيخ مصطفى أحمد الزرقا فقال في تقريظه لكتاب (صفحات من صبر العلماء):

«أخي الأثير الحبيب، الذي له في قلبي محبة أكبر من قلبي، وله في نفسي وقار وإن كان أصغر مني سناً».

هذا هو العالم الجليل الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الذي نشأ في رحاب العلم وتتلمذ على العلماء والتقى بمجدد الدعوة في القرن الرابع عشر الهجري الأستاذ الناصح الراشد المرشد ـ وهذه تسمية أبو غدة للإمام الشهيد حسن البنا ـ وسار مع إخوانه الدعاة في بلاد الشام يرفعون راية الإسلام ويخوضون كل ميدان من أجل نشر الوعي الإسلامي وتربية الجيل على منهج الإسلام وتحرير البلاد الإسلامية من سلطان الأجنبي والتصدي لموجة التغريب العلماني الوافدة من الغرب والفكر الماركسي والهجمة الصليبية والصهيونية، فكان إسهامه في المجالين: الدعوي، والعلمي واضح المعالم بالغ الأثر وكانت أحاديثه لشباب

الدعوة فيها التوجيه السديد والرأي الرشيد الذي يمنع الاندفاع والتهور والغلو والتطرف ويلزمهم المنهج النبوي في الدعوة إلى الله والصبر على لأواء الطريق، كما يحثهم على طلب العلم والتخصص في مجالاته المختلفة لأن الأمة المعاصرة في حاجة ماسة إلى المتخصصين في ميادين المعرفة، ولن يكون ذلك إلاّ بمداومة القراءة والاطلاع على مستجدات العصر ومواكبة الأحداث المتسارعة على ضوء التصور الإسلامي.

من أقواله المأثورة:

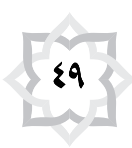
«الكتاب لا يعطيك سرّه إلاّ إذا قرأته كله، مزية العالم أن يوقظ العقل بظل الشرع، درهم مال يحتاج قنطار عقل ودرهم علم يحتاج قنطاري عقل».

وهو قد فعل هذا فيما يؤلفه من كتب فقد قضى عشرين عاماً في تأليف كتاب (صفحات من صبر العلماء) لأنه كلما وجد شيئاً يناسب الموضوع كتبه في قصاصة وجمعه.

وبعد هذا العمر المديد المبارك، شاءت إرادة الله عزّ وجل أن ينتقل إلى جوار ربه ويغادر هذه الدنيا الفانية حيث توفاه الله يوم الأحد ٩ شوال ١٤١٧هـ الموافق ١٦ / ٢ / ١٩٩٧م بمدينة الرياض ثم نقل في اليوم التالي إلى المدينة المنورة ـ حسب رغبته ـ وصلي عليه عقب صلاة العشاء ودفن في مقبرة البقيع عن عمر يناهز الثمانين، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وألحقه بالصالحين من عباده وجمعنا وإياه في مستقر رحمته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





القاضي الشهيد عبدالقادر عودة

(١٣٢٤ ـ ١٣٧٤هـ = ١٩٠٦ ـ ١٩٥٤م)

كيف عرفتُ الشهيد عبد القادر عودة؟

بداية معرفتي بالقانوني الكبير والقاضي الفقيه الأستاذ عبد القادر عودة، كانت سنة ١٩٤٩م عند وصولي إلى مصر للدراسة الجامعية بالأزهر، حيث التقيته مع إخواني الطلبة في اللقاءات الأُسرية والكتائب، وبدور الإخوان والمركز العام للإخوان المسلمين، واستمعنا إلى محاضراته ودروسه، كما سعدتُ أكثر من مرة بزيارتي له في مكتبه، حيث التقيت هناك أيضاً الأخ المجاهد المحامي إبراهيم الطيب، الذي كان يعمل في مكتبه.

كما استمتعت بمرافعاته عن الإخوان المسلمين في المحاكم المصرية، وكان قويّ الحجة، بليغ العبارة، دقيق الملاحظة، وحين طُبع كتابه القيم: (التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي)، أقبل الإخوان على دراسته، فقد كان كتاب الموسم بحق، حيث أحدث تحولاً كبيراً لدى المثقفين بمصر، لأنه


عبدالقادر عودة مع صالح أبو رقيق

أظهر سمو الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية، وسبقها للنظم البشرية في علاج مشكلات الناس وقضايا المجتمع وحقوق الأمة والدولة، ولم يقتصر ذلك على مصر وحدها، بل انتشر الكتاب في أنحاء العالم العربي والإسلامي، وتلقاه العلماء والفقهاء، ورجال القانون وأساتذة الجامعات، والقضاة والمحامون وسائر الطبقات المثقفة بالقبول، حتى طُبع منه أكثر من عشرين طبعة، وترجم إلى كثير من اللغات، كالإنجليزية والفرنسية والتركية والأوردية والإندونيسية وغيرها.

وحين تولى الأستاذ حسن الهضيبي، منصب المرشد العام للإخوان المسلمين، تمَّ اختيار الأستاذ عبد القادر عودة، ليكون الوكيل العام للإخوان، فاستقال من القضاء، وتفرغ للعمل الدعوي.

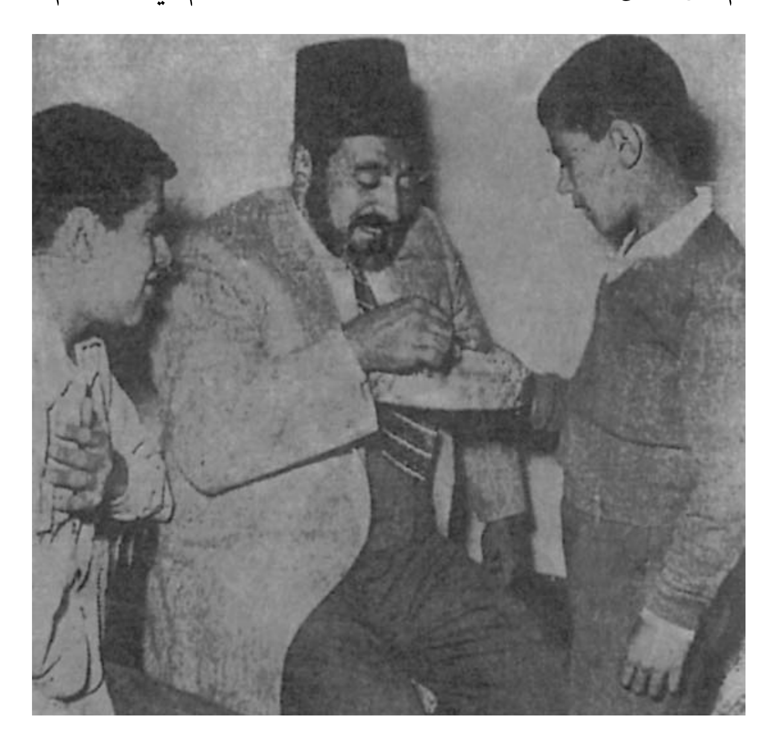
وظل يمارس نشاطه الدعوي، ومسؤولياته الإدارية، في جماعة الإخوان المسلمين، حتى لقي ربه شهيداً على حبل المشنقة في ٧/ ١٢/ ١٩٥٤م بأمر الطاغية جمال عبد الناصر، الذي كان يحقد على الأستاذ عبد القادر عودة، لمكانته وقوّة شخصيته، وقد صدر حكم الإعدام عليه مع ثلة من الشهداء الأبرار: محمد فرغلي، ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب، ومحمود عبد اللطيف، وهنداوي دوير.

وتم التنفيذ بالشهداء الستة، واحداً إثر واحد، في سجن مصر، خلال ثلاث ساعات، فكان يوماً، عَمَّ فيه السخط والغضب، أنحاء العالم العربي والإسلامي ولم تنفع مع الطاغية وساطات وشفاعات ملوك وزعماء وقادة وعلماء العرب والمسلمين، بل باء بإثم قتلهم ـ ظلماً وعدواناً ـ وسيلقى عقابه عند الواحد الأحد، الفرد الصمد، في يوم لا ينفع فيه مال ولا ولد.

مكانة مرموقة:

إن الأستاذ الكبير عبد القادر عودة، علم من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة، وداعية من دعاة الإسلام في العصر الحديث، ومسؤول كبير في الإخوان المسلمين، كانت له الكلمة المسموعة، والمكانة المرموقة، لدى الإخوان المسلمين بخاصة، ولدى جماهير الشعب المصري بعامة، وكان له دوره الفاعل والمؤثر، في مجرى الأحداث بمصر، بعد استشهاد الإمام حسن البنا في ١٢ / ٢ / ١٩٤٩م، حيث حمل العبء مع الأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين.

والأستاذ عبد القادر عودة عالم متمكّن، وقاض متمرِّس، وقانوني ضليع، صدرت له بالإضافة إلى كتابه القيم (التشريع الجنائي الإسلامي) كتُبٌ أخرى، نذكر منها: (الإسلام وأوضاعنا القانونية)، و(الإسلام وأوضاعنا السياسية)، و(الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه)، و(المال والحكم في الإسلام)، وغيرها



من الكتب والبحوث والدراسات والمقالات، التي تكررت طباعتها مرات ومرات وترجمت إلى كثير من اللغات، بل إن العديد من طلبة الدراسات الإسلامية، في العالم العربي والإسلامي، قدَّموا أطروحاتهم للماجستير والدكتوراه، عن مؤلفات القاضي الشهيد عبد القادر عودة باعتباره الرائد في هذا الميدان.

يقول الأستاذ عودة في كتابه (التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي):

«... حين أقارن بين القانون في عصرنا الحاضر وبين الشريعة، إنما أقارن بين قانون متغيِّر متطور يسير حثيثاً نحو الكمال حتى يكاد يبلغه كما يُقال، وبين الشريعة التي نزلت منذ ثلاثة عشر قرناً، ولم تتغير ولم تتبدل فيما مضى، ولن تتغير أو تتبدل في المستقبل، شريعة تأبى طبيعتها التغيير والتبديل، لأنها من عند الله، ولا تبديل لكلمات الله، ولأنها من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه، فليس ما يخلقه في حاجة إلى إتقان من بعد خلقه.

فنحن إذن حين نقارن، إنما نقارن بين أحدث الآراء والنظريات في القانون، وبين أقدمها في الشريعة، أو نحن نقارن بين الحديث القابل للتغيير والتبديل، وبين القديم المستعصي على التغيير والتبديل، وسنرى ونلمس من هذه المقارنة، أن القديم الثابت، خير من الحديث المتغير، وأن الشريعة على قِدَمها، أجلُّ من أن تقارن بالقوانين الوضعية الحديثة، وأن القوانين الوضعية بالرغم مما انطوت عليه من الآراء، وما استحدث لها من المبادئ والنظريات ـ لا تزال في مستوى أدنى من مستوى الشريعة.

لقد شعرت بأن عليَّ واجباً، عاجل الأداء، نحو الشريعة، ونحو زملائي، من رجال القانون، ونحو كل من درسوا دراسة مدنية، وهذا الواجب هو أن أعرض على الناس أحكام الشريعة في المسائل الجنائية، في لغة يفهمونها، وبطريقة يألفونها، وأن أصحح لرجال القانون معلوماتهم عن الشريعة، وأن أنشر على الناس الحقائق التي حجبها الجهل عنا زمناً طويلاً.

إن القانون من صنع البشر، أما الشريعة فمن عند الله، وكلا الشريعة والقانون، يتمثل فيه بجلاء صفات صانعه، فالقانون من صنع البشر، ويتمثل فيه نقص البشر وعجزهم وضعفهم وقلة حيلتهم، ومن ثم كان القانون عرضة للتغيير والتبديل أو ما نسميه التطور، كلما تطورت الجماعة إلى درجة لم تكن متوقعة، أو وجدت حالات لم تكن منتظرة فالقانون ناقص دائماً، ولا يمكن أن يبلغ حدَّ الكمال ما دام صانعه لا يمكن أن يوصف بالكمال ولا يستطيع أن يحيط بما سيكون وإن استطاع الإلمام بما كان.

أما الشريعة فصانعها هو الله، وتتمثل فيها قدرة الخالق، وكماله وعظمته وإحاطته بما كان وبما هو كائن، ومن ثمَّ صاغها العليم الخبير، بحيث تحيط بكل شيء في الحال والاستقبال حيث أحاط علمه بكل شيء، وأمر جل شأنه ألا تغيير ولا تبديل حيث قال: ﴿**لا تَبْدِيلَ لِكَلِماتِ اللهِ**﴾ [يونس: ٦٤] لأنها ليست في حاجة للتغيير والتبديل، مهما تغيرت الأوطان والأزمان، وتطور الإنسان». انتهى.

ويحدثنا الأستاذ محمود عبد الحليم عن الأستاذ عبد القادر عودة وصلته الوثيقة به وقربه من الإمام الشهيد حسن البنا والإمام حسن الهضيبي فيقول في كتابه القيم (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ):

«في البداية كان الأستاذ عودة على رأس طائفة من الإخوان تُحسن الظن في جمال عبد الناصر أول الأمر، وتحمل تصرفاته محملاً حسناً، باعتباره من ضباط الإخوان المسلمين ويجب تأييده.

ولا شك في أن الأستاذ عبد القادر عودة يحتل في قلوب الإخوان سويداءها، حباً واحتراماً وتقديراً، ولعلي أكون أكثرهم حباً واحتراماً وتقديراً، فقد كان لي الأخ الحبيب والصديق الصدوق، وهو أقرب الإخوان إلى قلبي، وأحظاهم بإعجابي وحبي.

ولقد كان الأستاذ عبد القادر من أحب الإخوان إلى الأستاذ الإمام الشهيد حسن البنا، وكثيراً ما كان يذكره لنا بالفخر والاعتزاز، وظل الأستاذ عودة يشغل

منصبه في القضاء، فلما تولى الأستاذ حسن الهضيبي منصب المرشد العام للإخوان المسلمين، كان الأستاذ عبد القادر عودة أقرب الإخوان إلى قلبه، ولعله هو الذي أوحى إليه، أن يترك منصبه في القضاء ليكون بجانبه كوكيل للإخوان المسلمين». انتهى.

وعن جهوده في حرب الإنكليز في قناة السويس وتبني قيادة الإخوان المسلمين للعمل الجهادي ضدهم، كتب الأستاذ كامل الشريف في كتابه القيم (المقاومة السرية في قناة السويس) يقول: «وفي منتصف شهر أكتوبر ١٩٥١م وردت إليَّ في بلدي البعيدة برقية مقتضبة بتوقيع الأستاذ عبد القادر عودة، الوكيل العام للإخوان المسلمين، تدعوني لمقابلته في القاهرة لأمر هام، فركبت القطار متوجهاً إلى القاهرة، وفي منزل عبد القادر عودة، جرى الحديث عن الوضع الراهن ومتطلباته، وأبلغني أن الإخوان المسلمين قرروا تبني المعركة في قناة السويس، وكلفني بدراسة الوضع في منطقة القناة وإعداد تقرير شامل.

ثم بعد أيام جاءتني مخابرة تليفونية، تدعوني لحضور اجتماع مهم في الزقازيق، يحضره الأستاذ عبد القادر عودة، والأستاذ محمود عبده، وبعض قادة النظام الخاص، وفور وصولنا اجتمعنا بالأستاذ عبد القادر عودة الذي أخبرنا أن الأستاذ محمود عبده قد عين قائداً للمعركة وأن علينا أن نتلقى تعليماتنا منه».

وحين احتدم الخلاف بين الإخوان المسلمين وضباط الانقلاب وفَجَر عبد الناصر في خصومته وأكاذيبه، وتنكر لكل عهوده ومواثيقه، وخان الأمانة وغدر بالإخوان المسلمين، أصدر الأستاذ عبد القادر عودة باعتباره الوكيل العام للإخوان المسلمين، البيان التاريخي رداً على مزاعم عبد الناصر وأكاذيبه واتهاماته وأباطيله وكان بعنوان (هذا بيان للناس) نورد مقتطفات منه:

«إن الدعوة تمر اليوم بأحداث جسام لها أثرها في مستقبل الدعوة، وفي

مستقبل الأجيال القادمة، ومن حقكم أن تبصروا بكل ما يواجه الدعوة من أحداث، وما يحيط بكم وبالدعوة من ظروف لتكونوا على بينة من أمركم ولتكون تصرفاتنا جميعاً على هدى الحق والواقع.

وإذا كان من حقكم على قيادتكم أن تبصّركم وتوجّهكم، فإن من حق الدعوة عليكم أن تأخذوا أنفسكم بآدابها، وأن تقيِّدوا أنفسكم بحدودها وأن تخضعوا تفكيركم لسلطانها، فلا تفكروا إلا من خلال الإسلام، ولا تقولوا إلا ما يحبه لكم الإسلام ولا تعملوا إلا في حدود الإسلام، فإن فعلتم ذلك، ربطتم أنفسكم بكتاب ربكم، وسنة نبيكم، واستكملتم إيمانكم، وما يستكمل المؤمن إيمانه، حتى يقول لله ويعمل لله، في رضاه وغضبه، وحبه وبغضه وفي جميع حالاته (من أحب لله وأبغض لله وأعطى ومنع لله فقد استكمل الإيمان)».

أيها الإخوان الكرام: لسنا بغاة: فإن الإسلام يحرم علينا البغي، ولسنا دعاة فتنة، فإنها أشد من القتل، وما ينبغي للمؤمن أن يكون فتاناً ولا لعاناً، ولكنا نسير على آثار محمد عليه الصلاة والسلام، ندعو إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسنة، وندرأ بالحسنة السيئة، وندفع بالتي هي أحسن، في أدب المؤمن وصبره، ويقينه بنصر ربه، لقد حلت جماعة الإخوان المسلمين مرة ثانية، واعتقل الكثيرون من أعضائها، ونسبت إليهم التهم، وخاضت فيهم الصحف، وإنه لابتلاء جديد، وامتحان يبشر برضاء الله عن هذه الجماعة، فإن سُنَّة الله في الجماعات، أن يمحّصها، وأن يميز خبيثها من طيبها ﴿**مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وغداً تخرج الجماعة على الناس، وهي أشد مضاءً، وأقوى عزيمة، وأصلب عوداً، لأن هذا الابتلاء المتكرر، دليل على قوة إيمان الجماعة وقربها من الله، وصدق رسول الله ﷺ: (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء).



الصبر على البلاء:

فعلى الإخوان أن يقابلوا البلاء بالصبر، فإن الصبر كما يقول الرسول ﷺ نصف الإيمان وليتأسوا بمن قبلهم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى إذا استيأسوا، جاءهم نصر الله، ولقد شكا بعض أصحاب الرسول ﷺ إليه فقالوا: يا رسول الله ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا قال: (إن من كان قبلكم، كان أحدهم يوضع المنشار على مفرقه فيخلص إلى قدميه، لا يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد، ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تستعجلون) ولا تقنطوا أيها الإخوة من رحمة ربكم، وأحسنوا الظن بالله، فإن رحمته أقرب مما تظنون، وأسرع مما تنتظرون، واذكروا ما روي (عجب ربك من قنوط عباده وقرب غيثه فينظر إليهم قانطين (يائسين) فيظل يضحك يعلم أن فرجهم قريب) والتوجيه الأخير للإخوان، أن يحسنوا صلتهم بالله وبإخوانهم، وأن يترابطوا على أمر الله، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، وأن يصبروا ويصابروا وأن يعلموا أن جماعة الإخوان المسلمين لا تحل على الورق، ولا بغلق الدور، وإنما تحل بانحلال ترابطهم، وفراغ قلوبهم من حب إخوانهم، وحب الدعوة، ولن يكون حل ما دامت تنبض بحب الدعوة قلوبهم، وتخفق مع ذكر الله مشاعرهم، وما داموا قد وهبوا أنفسهم لها، يحيون فيها، ويعيشون بها ولها، ويضحون في سبيلها.

ولن يضر الدعوة شيء أن تغلق دورها وتعطل منابرها، ما دام كل منكم قد جعل للدعوة من قلبه داراً، ومن نفسه حصناً، ومن كان قادراً على القول فكل مكان له منبر.

وستظل الدعوة بإذن الله، حية قوية، لها اعتبارها ولها كرامتها، ما دمتم متماسكين، مترابطين متحابين، صابرين، مصابرين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٠٠] والله أكبر ولله الحمد. (أخوكم عبد القادر عودة الوكيل العام للإخوان المسلمين)» انتهى.

بهذه الثقة بالله والاعتماد عليه وبمثل هذا التوجيه الكريم والأسلوب العف النبيل، خاطب الأستاذ عبد القادر عودة الإخوان المسلمين وذكرهم بما يجب عليهم، نحو هذا البلاء، المسلط عليهم من الفراعنة الطغاة، تنفيذاً لأوامر الأسياد من اليهود والصليبيين والشيوعيين والمستعمرين.

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه القيم (في قافلة الإخوان المسلمين): «وجدير بالذكر أن السبب الحقيقي في محاكمة الأستاذ عبد القادر عودة، هو الانتقام والخلاص منه بسبب الموقف الرهيب الذي وقفه إلى جوار الرئيس محمد نجيب في شرفة قصر عابدين، حين طلب منه الرئيس محمد نجيب



الجالسون من اليمين: الأستاذ عمر التلمساني ـ الدكتور محمد خميس حميدة ـ الشهيد عبدالقادر عودة ويظهر خلفهم الأستاذ حسن الهضيبي

الصعود إلى الشرفة، لتهدئة الجماهير الغفيرة المحتشدة في الميدان الفسيح، ومطالبتها بالانصراف، فما كان من الأستاذ عودة إلا أن طالبهم بالانصراف حتى انصرفوا جميعاً في الحال، بكل طاعة وهدوء ونظام، وقد أغاظ هذا الموقف عبد الناصر فأسرَّها في نفسه، وأدرك خطورة عبد القادر عودة الذي تأتمر الجماهير بأمره» انتهى.

المرشد الثالث:

أما المرشد الثالث لجماعة الإخوان المسلمين الأستاذ عمر التلمساني فيقول عن القاضي الشهيد عبد القادر عودة: «إن عبد القادر عودة من الأعلام الذين لا تنطوي ذكراهم، ولا تخفى معالم حياتهم، ولا تدع للنسيان سبيلاً يزحف منه على جلائل أعمالهم، ومواقفهم من أجل الحق وفي سبيل الخير، رجال انفردوا بسجايا وخصال، وعاشوا على مستوى المثل والقيم، وشقوا في الحياة طريقاً على مبادئ وأصول لقوا الموت في سبيلها أو تحملوا صنوف العذاب من أجلها.

لقد وقف عبد القادر عودة على حبل المشنقة فازداد على الحق إصراراً، ورأى الموت بعينيه فأسرع للقياه، ولم تكن جريمته إلا أنه قال كما قال من سبقوه على الطريق: (ربي الله) ولم تكن فعلته إلا أنه أنكر على الظالم ظلمه للناس، وأبت عليه نفسه أن يسكت على صنوف الذل والهوان للأمة، فمضى شهيداً، بعد أن سطر على صفحات التاريخ سطوراً لا تنمحي، وحفر في القلوب والأذهان ذكرى على مر الأيام تنمو وتزدهر.

ولي عبد القادر عودة أعمال القضاء، فكان المنارة الزاهية بين القضاة، لأنه أبى إلا أن يطبق قانون السماء ما وجد إلى ذلك سبيلاً، ورفض أن يقيد نفسه بقوانين الأرض، التي عجزت أن توفر لبني البشر أمناً يفتقدونه وهدوءاً يبحثون عنه، وحباً يتوقون إليه.

كان جريئاً في الحق ولو خالفته الدنيا بأسرها، لأنه كان يحرص على مرضاة ربه قبل أن يفكر في إرضاء الناس.

وقف إلى جوار حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، ظناً منه أن عبد الناصر، سيحقق الخير الذي أعلنه على الناس، وقد أغضب في ذلك الكثير من إخوانه ومحبيه، ولما تكشّفت أمامه النيّات وبدأت تظهر الحقائق، سلك الطريق الذي ألزم به نفسه في حياته ـ طريق الحق والصدق ـ قال له عبد الناصر «إنني سأقضي على كل من يعترض طريقي» فأجابه الشهيد عبد القادر عودة في صراحة المؤمنين: «ولكن من يبقون منهم، سيقضون بدورهم على الطغاة والظالمين».

في يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٤م خرجت جموع الأمة، تطالب الحكام بالإقلاع عن الظلم، وتنحية الظالمين، وزحفت الآلاف إلى ميدان عابدين، تطالب الرئيس محمد نجيب بالإفراج عن المعتقلين، وتنحية الباطش، ومعاقبة الذين قتلوا المتظاهرين عند كوبري قصر النيل، وتطبيق شرع رب العالمين.

وأدرك القائمون على الأمر يومئذ، خطورة الموقف، وطلبوا من المتظاهرين الثائرين أن ينصرفوا، ولكن بلا مجيب، فاستعان محمد نجيب بالشهيد عبد القادر عودة لتهدئة الموقف متعهداً بإجابة الأمة إلى مطالبها.

ومن شرفة عابدين وقف الشهيد عودة، يطلب من الجماهير الثائرة أن تنصرف في هدوء لأن الرئيس نجيب وعد بإجابة مطالبها، فإذا بهذا البحر الزاخر من البشر ينصرف في دقائق معدودة. وبمنطق الحكم الدكتاتوري الذي كان يهيمن على البلد حينذاك، كان لا بد أن يصدر قرار في عبد القادر عودة، فإذا كان الشهيد قد استطاع أن يصرف الجموع الحاشدة التي جاءت محتجة، تطالب بإطلاق الحريات وإفساح المجال للحياة الدستورية، السليمة الأصيلة، والوفاء بالوعود وتأدية الأمانات، فهو يمثل خطورة على هذا الحكم الذي كان مفهومه لدى الحاكم، أن يضغط على الأجراس فيُلبَّى نداؤه، وعلى الأزرار، فتتحرك الأمة قياماً وقعوداً.

ومن هنا كانت مظاهرة عابدين هي أول وأخطر حيثيات الحكم على الشهيد عبد القادر عودة بعد ذلك بالإعدام، لذلك لم يكن غريباً أن اعتقل هو والكثيرون من أصحابه في مساء اليوم نفسه ووقفوا على أرجلهم في السجن الحربي من الرابعة صباحاً حتى السابعة صباحاً، يضربهم ضباط السجن وعساكره في وحشية وقسوة.

وقدم عبد القادر عودة في تهمة لا صلة له بها ولا علم، وحكموا على الشهيد بالإعدام، ظناً منهم أن قتل عبد القادر عودة سيمضي كحدث هين لا يهتم به أحد، ولكن حاكم ذلك العهد عبد الناصر، لما رفعت له التقارير من جواسيسه عن أثر ذلك الإعدام في نفوس الناس، قال في حديث نشرته الصحف في وقته: «عجبت لأمر هذا الشعب، لا يرضى بالجريمة، ولكن إذا عوقب المجرم، ثار عطفه على المجرمين» ولكن ثورة العواطف عند الشعب لم تكن من أجل المجرمين فما كان في الموقف واحد منهم ولكن الشعب ثار عاطفياً كراهية منه للظلم ووفاء منه للأبرياء» انتهى.

لقد وقف أستاذنا عبد القادر عودة أمام المحكمة الهزلية متحدياً وقال: أنا متهم بتهم ـ لو صحت ـ لكنت أنا الجاني، وأنتم المجني عليكم، ولم أعرف حقاً للمجني عليه في محاكمة الذي جنى عليه، إنني لا أجد في الدنيا قانوناً يبيح مثل هذه المحاكمة، فكيف يعقل أن يكون القاضي هو الخصم وهو الحكم؟!

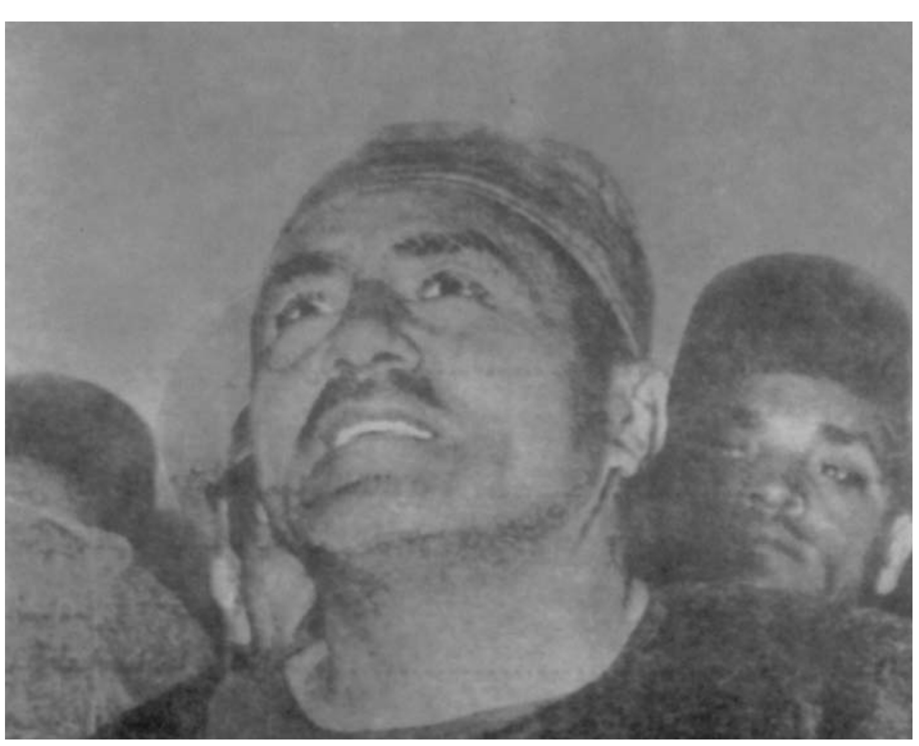
عند حبل المشنقة:

وحين ذهبوا به مع إخوانه الشهداء لتنفيذ حكم الإعدام فيهم، تقدَّم القاضي الشهيد عبد القادر عودة إلى حبل المشنقة بكل جرأة مقبلاً على الله ربه في تسليم لقضائه، وكانت آخر كلمة قالها قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام وتصعد روحه إلى بارئها: «إن دمي سيكون لعنة على رجال الثورة».

وقد استجاب الله دعاءه فكان دمه لعنة عليهم، فلم يفلت أحد من الظالمين من

انتقام الله في الدنيا، حيث توالت عليهم النكبات؛ فهذا جمال سالم رئيس المحكمة يصاب بمرض عصبي، وأخوه صلاح سالم تتوقف كليتاه ويحتبس بوله ويموت بالتسمم، وشمس بدران يحكم عليه بالمؤبد، والمشير عبد الحكيم عامر يموت منتحراً أو مسموماً، وحمزة البسيوني تصدمه شاحنة فيتناثر لحمه في العراء، والعسكري غنيم يُعثر عليه قتيلاً بين الحقول، والصول ياسين هاجمه جمل له وقضم رقبته فقتله وكثيرون غيرهم من الظلمة وأعوان الظلمة الذين اضطهدوا الإخوان المسلمين، أرانا الله فيهم عجائب قدرته، أما كبيرهم ورأس الشر فيهم عبد الناصر فقد كانت حياته كلها رعباً وفزعاً في اليقظة والمنام، بل طفحت المجاري على قبره فكان عبرة لمن يعتبر، والله غالب على أمره.

لقد شاهدنا بأعيننا آيات الله في الظالمين الذين جنوا على الإخوان المسلمين،



صورة للأستاذ الشهيد عبد القادر عودة قبل تنفيذ حكم الإعدام بدقيقتين



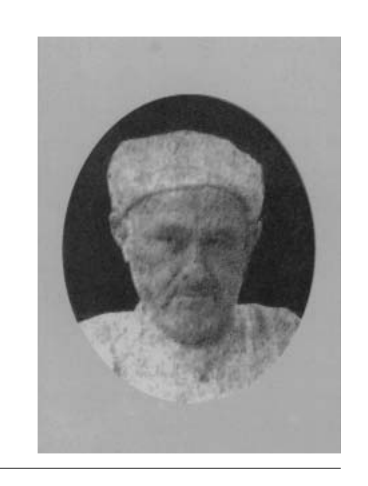
صورة للشهيد عبد القادر عودة مع الإمام الهضيبي وعبدالناصر وبعض قيادات مجلس قيادة الثورة

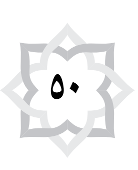


صورة لمظاهرة عابدين مارس سنة ١٩٥٣م حين دعا اللواء محمد نجيب الشهيد عبدالقادر عودة
للصعود إلى شرفة قصر عابدين برجاء منه بدعوة الجماهير للانصراف
وقد استجابت الجماهير لنداء الشهيد عبدالقادر عودة

فقد حارب فاروق الإخوان عام ١٩٤٨م فكان خلعه وطرده عام ١٩٥٢م، وحارب عبد الناصر الإخوان عام ١٩٥٤م فكان الاعتداء الثلاثي على مصر واحتلال إسرائيل لسيناء وبورسعيد، ثم حاربهم مرة ثانية عام ١٩٦٥م، فكانت هزيمته ونكبته عام ١٩٦٧م وهلاك عبد الحكيم عامر ثم هلاكه من بعده، فسبحان من يمهل ولا يهمل.

رحم الله العالم العامل والقاضي الفقيه والمجاهد الشهيد الأستاذ عبد القادر عودة وألحقنا الله وإياه بالأنبياء، والصالحين، والصديقين، والشهداء.





الأمير عبدالكريم الخطابي (أبو حسن)

بطل الريف

(١٣٠٠ ـ ١٣٨٣هـ = ١٨٨٢ ـ ١٩٦٣م)

مولده ونشأته:

هو عبد الكريم الخطّابي زعيم ومجاهد إسلامي من بلاد الريف بالمغرب الأقصى، من قبيلة (بني ورغايل) الريفية من قبائل (الأمازيغ) وُلد سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م)، أي في الفترة التي شهدت حدّة التنافس بين الدول الأوروبية المستعمرة على القارة الإفريقية.

تلقى الأمير دراسته الأولية بجامعة (القيروان)، واطلع على الثقافة الغربية، واصطدم بالإدارة الإسبانية في «مليلة»، فسجن، غير أنه تمكّن من الفرار من سجنه وعاد إلى مسقط رأسه.

بطولته وشجاعته:

تزعّم قبيلته بعد وفاة والده سنة (١٣٣٩هـ ـ ١٩٢٠م)، وحمل راية الجهاد، فأباد

ورجاله جيشاً إسبانياً يتكون من أربعة وعشرين ألف مقاتل بقيادة الجنرال (سلفستر) سنة (١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م)، وذلك في معركة (أنوال) المشهورة، وبذلك تمكّن من السيطرة على بلاد الريف، ومنطقة عمارة، واتخذ «أغادير» عاصمة له.

أما النفوذ الإسباني، فقد اقتصر على مدينة «تطوان»، وعلى بعض الحصون في الجبال القريبة منها، وفي هذه الأثناء، قامت في إسبانيا دكتاتورية (بريمودي ريفيرا) سنة (١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٣م)، فأرسلت قوات جديدة إلى الريف لمحاربة الأمير الخطابي، بلغت مئة وخمسين ألف مقاتل بقيادة الجنرال (بيرنجر)، وقد رفض الخطابي العروض الإسبانية بالاعتراف باستقلال الريف تحت سيادته بحماية إسبانية، ثم هزم الإسبان، وطاردهم سنة (١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م)، حتى مدينة (تطوان)، وقد بلغت حكومة الأمير الخطابي ذروة قوتها عام (١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م)، وأصبح مضرب المثل في جهاده ضد الاستعمار الأوروبي، وما زال اسم عبد الكريم رمزاً للرعب في اللغة الإسبانية، ولقد تمكَّن الخطابي أيضاً من أن يهزم القوات الفرنسية في معركة (تازة) سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م)، فعملت فرنسا على إضعافه بإشاعة أنه يطمع في عرش مراكش، ونسَّقت دعايتها مع الحكومة الإسبانية، كما ضمنت معاونة إيطاليا وصَمْتَ بريطانيا، وقد أحدث هذا انقساماً في صفوف المجاهدين، وتحالف بعض أتباع الطرق الصوفية مع القوة المعادية، فقد تحالف أتباع الشيخ عبد الحي الكتاني والشيخ عبد الرحمن الدرقاوي مع الفرنسيين، وبلغ عدد القوات الفرنسية والإسبانية التي واجهت الأمير الخطابي مئتين وثمانين ألف جندي، مما اضطره إلى التسليم للفرنسيين سنة (١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م) الذين نفوه إلى جزيرة (ريونيون) إحدى جزر المحيط الهندي، حيث قضى في منفاه هذا إحدى وعشرين سنة.

لجوؤه إلى مصر:

وفي عام (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م) قررت فرنسا نقله إليها على متن سفينة عبر قناة السويس، فتمكن من الفرار داخل مصر يوم ٢٩ / ٥ / ١٩٤٧م بتحريض من شباب المغرب وتونس والجزائر، المقيمين في مصر والمنضوين في مكتب المغرب العربي بالقاهرة، حيث زاروه على السفينة وأطلعوه على أوضاع المغرب العربي الكبير، وحدّثوه عن نشاطهم من خلال المكتب بالقاهرة، ورجوه أن يتقدم باللجوء إلى مصر للاستمرار في مواصلة الكفاح والنضال من أجل تحرير المغرب العربي الكبير، تحت راية واحدة، تناهض الاستعمار، وتتصدى له، فانشرح صدر الزعيم الخطابي لكلامهم، ووافق على اللجوء إلى مصر، بشرط موافقة الحكومة المصرية، كما صعد وفد الإخوان المسلمين برئاسة الأستاذ طاهر منير رئيس الإخوان بالسويس مرحبين به.

بذل الأمين العام للجامعة العربية ـ الأستاذ عبد الرحمن عزَّام ـ جهوداً مكثفة مشكورة، حتى تمّت موافقة الحكومة المصرية على لجوئه السياسي إلى مصر رغم احتجاج السفير الفرنسي بمصر، حيث بدأ بعد استقراره بالقاهرة يمارس نشاطه من أجل استقلال بلاد المغرب العربي الكبير، وفي القاهرة، أسس الخطابي وأبناء المغرب العربي الكبير، لجنة أسموها «لجنة تحرير المغرب العربي»، وذلك يوم ٩ / ١٢ / ١٩٤٧م، واختير الأمير رئيساً لها، وأصدرت اللجنة بياناً جاء فيه:

«في عصر تجهد فيه الشعوب بالاضطلاع بمستقبلها، حيث إن بلدان المغرب العربي تتطلع إلى استرجاع استقلالها المغتصب وحريتها المفقودة، يصبح من الضرورة الملحة لكل الزعماء السياسيين في المغرب أن يتوحدوا، ولكل الأحزاب التحررية أن تتحالف وتتساند، لأنه في هذا تكمن الطريق التي سوف تقودنا إلى تحقيق أهدافنا وآمالنا على ضوء مبادئ الإسلام والعروبة والاستقلال الشامل ورفض أي حل متواطئ مع المستعمر...» انتهى.

وقد مكنته إقامته في مصر من اللقاءات الكثيرة والمتكررة مع زعماء العالم العربي والإسلامي، أمثال الحاج محمد أمين الحسيني، الذي كان قد سبقه باللجوء إلى مصر، ومحمد البشير الإبراهيمي، والفضيل الورتلاني، ومحيي الدين القليبي، ومحمد علال الفاسي، وغيرهم من الزعماء العرب والمسلمين، كما كانت له صلة وثيقة وعميقة مع الإمام الشهيد حسن البنا، المرشد العام للإخوان المسلمين، حيث كان كثير اللقاء به في اجتماعات خاصة وعامة، في مكتب المغرب العربي، والمركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة.

وكان الخطابي يُكثر التردد على المركز العام للإخوان المسلمين، ويحرص على صلاة المغرب خلف الإمام الشهيد حسن البنا، وكانت مجلة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية، وجريدة «الإخوان المسلمون» اليومية، تنشران المقالات الطوال عن أخبار وأحوال المغرب العربي، كما أصدرت المجلة الأسبوعية للإخوان المسلمين عدداً خاصاً عن المغرب الجريح، نددت فيه بالسلطات الاستعمارية الفرنسية، وأشادت بجهود زعماء المغرب العربي وعلى رأسهم البطل الشجاع عبد الكريم الخطابي.

يروي الدكتور توفيق الشاوي فيقول: «حين زرتُ الأمير عبد الكريم الخطابي بمكتب المغرب العربي بالقاهرة، وجلستُ أستمع إليه، كان حديثه عن جهاد المستعمرين وإصراره على أن هناك سبيلاً واحداً للحرية، هو القتال المسلح لتحرير البلاد والعباد، وكل ما عداه عبث وضياع . . .» انتهى.

مجالس العلماء والمجاهدين:

ولما توجَّهت إلى مصر للدراسة الجامعية سنة (١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م)، كنت مع إخواني الزملاء من طلبة البعوث الإسلامية الوافدين من أنحاء العالم العربي والإسلامي، نكثر الزيارة والتردد على مجالس العلماء والأدباء والقادة والزعماء في مكاتبهم ومنتدياتهم وجمعياتهم وبيوتهم للتعرف إليهم والاستفادة منهم،

كالمركز العام للإخوان المسلمين، وجمعية الشبان المسلمين، ورابطة الدفاع عن المغرب العربي برئاسة الخطابي، وجمعية العلماء الجزائريين برئاسة البشير الإبراهيمي، ودار الشورى للزعيم الفلسطيني محمد علي الطاهر، وصحيفة أنصار السُّنَّة، برئاسة محمد حامد الفقي، وجمعية الهداية الإسلامية برئاسة محمد الخضر حسين، ودار الفتح لمحب الدين الخطيب، والاتحاد اليمني، برئاسة محمد محمود الزبيري، ومجلس السفير الأفغاني محمد صادق المجددي، والجمعية الشرعية برئاسة الشيخ عيسى عاشور، فضلاً عن ندوة الشيخ محمد أبي زهرة وأحمد حمزة، وندوة عباس محمود العقاد، ومحمود شاكر، ودار الرسالة لأحمد حسن الزيات، ودار الشهيد سيد قطب بحلوان، ومكتبة وهبة حسن وهبة وغيرها.

وكان معظم لقاءاتنا بأبناء العالم الإسلامي من خلال قسم الاتصال بالعالم الإسلامي بالمركز العام للإخوان المسلمين، الذي كان يرأسه الأخ المجاهد الأستاذ عبد الحفيظ الصيفي، كما كان المركز العام يستضيف الكثير من زعماء العالم الإسلامي في حديث الثلاثاء، حيث يلقون الخطب، والمحاضرات، والدروس، والندوات على جماهير الإخوان المحتشدة في ساحات المركز العام، وشوارع الحلمية الجديدة، ممن يفدون من المحافظات والأقاليم كل أسبوع لحضور حديث الثلاثاء بالقاهرة.

وكان هؤلاء الزعماء يشرحون للحضور أوضاع العالم الإسلامي، ووسائل الاستعمار في حرب الإسلام كعقيدة ونظام، وحرب المسلمين كأمة تريد الحكم بشريعة الإسلام، وواجب المسلمين بضرورة اجتماع كلمتهم للتصدي لهؤلاء المستعمرين.

وكم استفدنا نحن الطلبة الوافدين من خارج مصر، من هذه الدروس التي قدّمت لنا هذه النماذج الفذّة من القادة والزعماء الذين ضربوا أروع الأمثلة في مصاولة الأعداء والدفاع عن حياض الإسلام، وفي مقدمة هؤلاء الزعيم البطل الأمير عبد الكريم الخطابي، بطل ثورة الريف، الذي جعل شعوب العالم العربي

والإسلامي وبخاصة أقطار شمال إفريقيا تفخر بالانتصارات التي هزم فيها الإسبان والفرنسيين مرات ومرات، وأباد جيوشاً بأكملها في حرب استمرت أكثر من خمس سنوات من سنة ١٩٢١م إلى ١٩٢٦م، حتى تكالب عليه الإسبان والفرنسيون وأعوانهم، وحشدوا لمواجهته أكثر من ربع مليون جندي، مجهَّزين بأحدث الأسلحة، كما سلكوا طريق الدّس والخداع، وإثارة الفتن والشقاق، واختراق صفوف المسلمين.

إن بطل الريف المجاهد الكبير عبد الكريم الخطابي، يجب أن تسطّر سيرته بأحرف من نور، وأن يعلّم الآباء أبناءهم سيرته وجهاده، لأنه قمة شامخة في الجهاد، وبطل شجاع مغوار أرهب دول الاستعمار.

لقد ضرب لنا الخطابي أروع المثل في عزة المسلم وإبائه، وبطولته وإقدامه، وصبره وصلابته، لأنه تربى في مدرسة الإسلام، وعاش في ظلال القرآن، وجاهد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

إن الإسلام العظيم يصنع الرجال في كل وقت وحين، وإن رحم الأمة الإسلامية غير عقيم، بل يلد الرجال والأبطال على مدار الأيام وتعاقب الأجيال.

وإن الأمة الإسلامية ستظل تطالعنا بين فترة وأخرى، بمثل هذه النماذج المجاهدة على امتداد الساحة الإسلامية في المشرق والمغرب، كعمر المختار، والشهيد القسَّام، وعبد القادر الحسيني، وحسن البنا، ومحمد فرغلي، وعبدالله عزام، ويحيى عيَّاش، وأحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي وغيرهم من المجاهدين الأبطال.

إن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وهو ماضٍ إلى يوم القيامة، وهو الطريق الوحيد لرفعة الأمة وسيادتها، وحياتها بين الأمم، فما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا، والأمة الإسلامية، لا زال الخير فيها باقياً، ولازالت قوافل الشهداء تتسابق إلى الجنة، نصرة لدين الله، وتحريراً لأوطان المسلمين من كل عدو محتل، أو طاغية جبَّار يريد الفساد بالأرض، وإهلاك الحرث والنسل.

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة الجهاد :

«فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفرَّ معها، ورغَّب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء فلم يلحقهم في مثوبتهم إلا من عمل بمثل عملهم، ومن اقتدى بهم في جهادهم، ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية في الدنيا والآخرة ما لم يمنح سواهم، وجعل دماءهم الطاهرة الزكيّة، عربون النصر في الدنيا، وعنوان الفوز والفلاح في العقبى، وتوعّد المخلَّفين القاعدين بأفظع العقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات، ووبّخهم على الجبن والقعود، ونعى عليهم الضعف والتخلف، وأعد لهم في الدنيا خزياً لا يرفع إلا إن جاهدوا، وفي الآخرة عذاباً لا يفلتون منه، ولو كان لهم مثل أحد ذهباً، واعتبر القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر، وإحدى السبع الموبقات المهلكات.

ولست تجد نظاماً قديماً أو حديثاً، دينياً أو مدنياً، عني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة، وحشدها كلها صفاً واحداً، للدفاع بكل قواها عن الحق، كما نجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه، وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم ﷺ فيّاضة بكل هذه المعاني السامية، داعية بأفصح عبارة، وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها، على كل الأحوال والملابسات، بل أجمع أهل العلم، مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين، على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية، لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها، والمسلمون اليوم كما تعلم مستذلون لغيرهم، محكومون بالكفار، قد ديست أرضهم، وانتهكت حرماتهم، وتحكم في شؤونهم خصومهم، وتعطلت شعائر دينهم في ديارهم، فضلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم، فوجب وجوباً عينياً لا مناص منه، أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوي على نيّة الجهاد، وإعداد العدّة له حتى تحين الفرصة ويقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وإن المسلمين في أي عصر من عصورهم، قبل هذا العصر المظلم الذي ماتت فيه نخوتهم، لم يتركوا الجهاد، ولم يفرِّطوا فيه حتى علماؤهم والمتصوفة منهم والمحترفون وغيرهم، فكانوا جميعاً على أهبة الاستعداد» انتهى.

أما الزعيم المجاهد الخطابي فيقول عن الإمام الشهيد حسن البنا:

«ويح مصر!! وإخوتي أهل مصر مما يستقبلون جزاء ما اقترفوا، فقد سفكوا دم ولي من أولياء الله.. ترى أين يكون الأولياء إن لم يكن منهم بل في غرّتهم حسن البنا الذي لم يكن في المسلمين مثله».. انتهى.

وعلى هذا سار المجاهد عبد الكريم الخطابي، ومن سبقه ولحق به من المجاهدين المسلمين في مختلف الديار، وشتى الأعصار، يؤكدون للدنيا كلها أن الأمة الإسلامية بخير والحمد لله، ولقد بقي الخطابي بمصر يزاول نشاطه مع الدعاة المخلصين للإسلام، حتى إذا تفرّد عبد الناصر بالحكم، بعد إطاحته بالرئيس محمد نجيب، صار يضيّق على القادة المخلصين، والزعماء المتعاطفين مع الإخوان المسلمين، مما اضطر سماحة السيد محمد أمين الحسيني، ومحمد علي الطاهر وغيرهما إلى مغادرة مصر إلى لبنان، كما غادرها زعماء وقادة المغرب العربي، باستثناء بعض من تعاون منهم مع المخابرات الناصرية من العلمانيين.

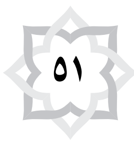
ولهذا تقلّص نشاط الزعيم الخطابي بمصر، لوجود الرقابة الصارمة على من يزوره أو يتردد عليه، واستمر الحال حتى غادر الدنيا الفانية إلى جوار ربه يوم (٦ / ٢ / ١٩٦٣م ـ ١٣٨٣هـ)، ودُفن بالقاهرة حسب وصيته، ولم يذكر الإعلام المصري عنه أي شيء، حتى إذا هلك الطاغية عبد الناصر، وجاء عام ١٩٧٨م نشرت جريدة الأخبار تقول:

«إن التاريخ العربي الإسلامي ليعتز بالأمير عبد الكريم الخطابي كبطل من الأبطال الأفذاذ الذين يضيئون صفحات التاريخ على الزمان، وإن سيرة الخطابي العظيمة يجب أن نجسدها لأجيالنا العربية ليقفوا على حياة وأعمال هذا الرجل الذي تحدّى إسبانيا وفرنسا وأرغم برجاله القليلين جيوش الدولتين على الفرار

أمامه، مما حدا بالأوروبيين أن يدرسوا انتصاراته الأسطورية ويُدرّسوها في الأكاديميات العسكرية عندهم، باعتبار أن الزعيم الخطابي صاحب مدرسة في القيادة وفي تكتيك الحروب التحريرية» انتهى.

رحم الله المجاهد الخطابي، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.





خادم العلم الشيخ عبدالله الأنصاري

(١٣٤٠ - ١٤١٠هـ = ١٩٢١ - ١٩٨٩م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، وُلد في مدينة (الخور) بقطر ١٣٤٠هـ، وكان أبوه قاضياً، وقد تلقى العلم على يد والده، فحفظ القرآن الكريم ولمَّا يتجاوز الثانية عشرة، ودرس كتب الفقه الشافعي، والحديث النبوي وعلم النحو واللغة وعلوم الميراث، ثم رحل إلى الأحساء للدراسة على يد علمائها أمثال: الشيخ عبد العزيز المبارك، والشيخ أبي بكر الملا، والشيخ عبد العزيز بن صالح، والشيخ عبدالله بن عُمير، والشيخ عبدالله الخطيب وغيرهم.

وتعمَّق في دراسة الفقه والمواريث والتجويد والحديث والنحو والتفسير، ثم عاد إلى قطر، حيث درس لمدة سنة على والده، ثم سافر إلى الحج وهناك بقي بمكة المكرمة للدراسة بالمدرسة الصولتية التي أنشأها العلاّمة الدهلوي حيث درس على مشايخ مكة المكرمة أمثال الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ

محمد بن مانع ، والشيخ علوي المالكي وغيرهم، وبعد خمس سنوات من الإقامة بمكة المكرمة للدراسة والتفقه في علوم الدين عاد إلى قطر.

رحلاته:

ولم يطل بقاؤه في قطر، فقد عاد بعد سنوات إلى المملكة العربية السعودية، وعمل إماماً وخطيباً ومدرساً في قرية (دارين) بالمنطقة الشرقية، وبعد سنة استدعاه قاضي (القطيف) ليكون مساعداً له في عمله القضائي، ثم انتقل كمدرس ومدير للمدرسة الرسمية التي أنشأتها وزارة المعارف السعودية، حيث قضى فيها ثلاث سنوات.

وفي سنة ١٣٧٤هـ ورد خطاب من حاكم قطر الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني إلى الملك سعود بن عبد العزيز يطلب فيه السماح للشيخ الأنصاري بالعودة إلى وطنه الأول قطر، وبعد عودته أنشأ معهداً تولى إدارته، ثم تقلّب في مناصب متعددة كان آخرها مدير إدارة الشؤون الدينية، ثم انطلق يؤسس مراكز تحفيظ القرآن الكريم في قطر وخارجها وبطبع كتب التراث الإسلامي بعد تحقيقها ومراجعتها، ويقوم بتوزيعها على طلبة العلم والمساجد والمراكز والمؤسسات الإسلامية في أنحاء العالم، وقد جاوز المطبوع منها مئة وخمسين كتاباً، كما اهتم بنشر الدعوة الإسلامية وتفريغ الدعاة والأئمة والمدرسين وتقديم المساعدات المالية للمحتاجين من المسلمين في كل مكان، وإقامة المدارس والمعاهد والمساجد والمراكز واستمرار الدعم لها ورفدها لتنهض في أداء رسالتها الإسلامية.

وقد شارك في العديد من المؤتمرات والندوات واللقاءات الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، كما كان عضواً في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت.

زيارته لنا بالكويت:

وقد زارنا أكثر من مرة في الكويت وحضر الندوة الأسبوعية مساء الجمعة وشارك فيها مع الإخوة الحاضرين بكلمة طيبة أثنى من خلالها على الصحوة الإسلامية المباركة، ودعا لمن كان السبب في جمع الشباب المسلم على المنهج الصحيح والعمل لخدمة الإسلام والمسلمين والتصدي لتيارات الكفر المستوردة التي تريد إبعاد الأمة عن دينها، وربطها بعجلة الغرب الصليبي، الذي يطمع في خيرات الأمة الإسلامية ويريد استغلالها لمصالحه المادية وأطماعه الاستعمارية.

لقاء في اليابان:

كما سعدت باللقاء به في طوكيو حيث كان افتتاح المركز الإسلامي الياباني الذي قدَّم له الدعم السخي، كما سعدتُ باللقاء به في زيارتنا إلى باكستان مع



المستشار العقيل والشيخ عبدالله الأنصاري (قطر) وصفوت السقا (السعودية)
في طوكيو ـ اليابان في ديسمبر عام ١٩٨٢م

العلماء والدعاة من إخواننا فقد كان له دور بالغ الأهمية في جمع كلمة المجاهدين الأفغان، وتكوين الاتحاد الإسلامي للمجاهدين الذي انتخب عبد رب الرسول سياف أميراً له، وقد أقام الأنصاري وليمة كبرى لجميع الوفود المشاركة فرحاً بقيام هذا الاتحاد الذي كانت الآمال معلقة عليه في أن يُسدل الستار على الخلافات التي كان يُذكي أوارها عملاء الشرق والغرب على حد سواء.

جهوده واهتماماته:

كان الشيخ عبدالله الأنصاري العلامة المشرقة المضيئة لقطر، حيث كان الناس في أنحاء العالم الإسلامي يذكرون جهوده المشكورة في المجال الدعوي والعلمي والثقافي والمالي والإغاثي، ويدعون لمن يقفون إلى جانبه في أداء رسالته السامية في خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان.

قالوا عنه:

يقول القاضي الفاضل عبد القادر العماري في مجلة (المجتمع) الكويتية:

«إن الحزن على الشيخ عبدالله الأنصاري حزن على ثروة من الخلق والعلم والفضائل والتجارب، فقد كان بالأمس بيننا ملء السمع والبصر، يفيض علينا من روح السماحة والمحبة ودماثة الأخلاق وكريم السجايا ونور العلم، فقد حرص على أن يكون كل ذلك، وأن يكون واسطة خير، وأن يستخدم مكانته وجاهه ونفوذه من أجل نشر العلم، وفعل الخير، وقد وجد التجاوب من الدولة لتحقيق الهدف السامي في نشر الثقافة الإسلامية وتعميم الكتاب الإسلامي، إذ لا تكاد تجد مدينة في العالم الإسلامي إلا وفيها هدايا دولة قطر من الكتب النافعة.

إن الشيخ الأنصاري كان جماعة في واحد، أمة في فرد، همة عالية ونشاطاً متواصلاً، كبرت همته فأثقلت على جسمه وشيخوخته.

إن الجماهير الغفيرة التي احتشدت للصلاة عليه في المسجد الكبير بالدوحة

ضاق بها المسجد على سعته، وإن الجموع الحاشدة التي خرجت تودعه إلى مثواه، لم تشهد قطر لها مثيلاً» انتهى.

نشاطه:

كان الشيخ الأنصاري رئيساً لبعثة الحج القطرية لسنوات عديدة، وقد بنى مسجداً جامعاً في مكة المكرمة، كما أنشأ مكتبة إسلامية عامرة تقوم بتوزيع كتب التراث الإسلامي.

وكان يشرف على تحفيظ القرآن الكريم في جميع المساجد والمدارس بدولة قطر، كما كان يشرف على الوعظ والإرشاد ويوجه الدعوات لعدد من العلماء والوعاظ في مصر وبلاد الشام للوعظ في شهر رمضان المبارك.

ومساعداته إلى البلدان من مختلف أنحاء العالم الإسلامي أكثر من أن تحصى وهي معروفة لدى الخاص والعام، وكان له نشاط اجتماعي ملموس في عمل الخير والإصلاح بين الناس في داخل قطر وخارجها.

كما كان له اهتمام كبير بعلم الفلك وحساباته وهو الذي كان يُصدر التقويم القطري في كل عام منذ سنين طويلة.

فالشيخ الأنصاري يرحمه الله كان شعلة من النشاط في شتى الميادين التي تعود بالنفع على الإسلام والمسلمين، فهو خادم للعلم، ساع في الخير، عامل في حقل الدعوة الإسلامية، باذل للمعروف، مصلح بين الخصوم، جامع للقلوب محب للعلماء، معين للفقراء، مؤيد لأصحاب الحق، مشجع لطلبة العلم، ناصح لولاة الأمر.

وكان الشيخ الأنصاري رقيق الحاشية، جياش العاطفة، تستثيره أوضاع المسلمين، فيبكي لحالهم، ويتألم لأوضاعهم، ويبذل قصارى جهده للتخفيف من آلامهم وتقديم العون لهم.

فلسفته في العمل:

ومن فلسفته في الحياة التقرب إلى ولاة الأمر وتقديم النصيحة لهم، بالحكمة والموعظة الحسنة، والاستفادة من جاههم وسلطانهم وأموالهم، لخدمة المسلمين والصبر على ما يصدر منهم من هفوات وعدم التشهير بهم، لئلا يستغل ذلك بطانةُ السوء الذين يريدون عزل الراعي عن الرعية، وإقامة الحجاب بين الحاكم والمحكومين، وعدم إطلاع ولي الأمر على حقيقة ما يجري، لتزداد الهوَّة بين الشعوب والقادة فيصطاد المفسدون في الماء العكر.

زيارتي لقطر:

وفي آخر زيارة لي إلى قطر، بدعوة رسمية لإلقاء بعض المحاضرات الإسلامية بوزارة الأوقاف وجامعة قطر، سعدتُ به، حيث جمع حشداً كبيراً من العلماء والدعاة في منزله وشدد في حديثه على ضرورة تكاتف الدعاة والعاملين في حقل الدعوة الإسلامية للعمل صفاً واحداً، أمام هذه الهجمة الضروس التي يتولى كبرها أعداء الإسلام في الشرق والغرب على حد سواء، يريدون إخراج المسلمين من دينهم، وإحداث الفتن في صفوفهم وبذر الشقاق بين دولهم، وتسليط اليهود عليهم.

وإن الواجب على العلماء والدعاة المعاصرين أن تتوحد كلمتهم، وتتضافر جهودهم في كل أنحاء العالم الإسلامي لينطلقوا في الدعوة إلى الله يداً واحدة وجسداً واحداً يشدّ بعضه بعضاً، وإن الشعوب المسلمة إذا وجدت العلماء المسلمين يداً واحدة، سارت وراءهم واستجابت لدعوتهم، كما أن الحكام سيحترمون هؤلاء العلماء ويعرفون قدرهم ويحسبون حسابهم.

وإن هذه الصحوة الإسلامية التي تعم ديار المسلمين، هي تباشير خير لعودة شباب الأمة إلى دين الإسلام، فيجب الاستفادة من طاقاتهم، والعمل الجاد

المتواصل لتوجيههم في المسار الصحيح، ليؤدوا دورهم في خدمة دينهم وأمتهم، وبناء حاضرهم والاستشراف لمستقبلهم وفق التصور الإسلامي الصحيح المستقى من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة (إلى أي شيء ندعو الناس):

«إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ، تحتاج من الأمة التي تحاول هذا، أو من الفئة التي تدعو إليه على الأقل، إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور: إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل، ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيره. وإن نهضات الأمم جميعاً، إنما بدأت على حال من الضعف يخيَّل للناظر إليها، أن وصولها إلى ما تبتغي ضرب من المحال. ومع هذا الخيال، فقد حدثنا التاريخ أن الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة، القليلة الوسائل، إلى ذروة ما يرجوه القائمون بها، من توفيق ونجاح، ومن ذا الذي كان يصدِّق أن الجزيرة العربية وهي تلك الصحراء الجافة المجدبة تنبت النور والعرفان، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحي والسياسيّ على أعظم دول العالم؟ ومن ذا الذي كان يظن أن أبا بكر صاحب القلب الرقيق الليِّن، وقد انتقض الناس عليه، وحار أنصاره في أمرهم، يستطيع أن يخرج في يوم واحد أحد عشر جيشاً، تقمع العصاة وتقوِّم المعوج، وتؤدب الطاغي وتنتقم من المرتدين، وتستخلص حق الله في الزكاة من المانعين؟ ومن ذا الذي كان يظن أن صلاح الدين الأيوبي يقف الأعوام الطوال، فيردّ ملوك أوروبا على أعقابهم مدحورين، مع توافر عددهم وتظاهر جيوشهم، حتى اجتمع عليه خمسة وعشرون ملكاً من ملوكهم الأكابر؟

ذلك في التاريخ القديم، وفي التاريخ الحديث أروع المثل على ذلك، فمن كان يظن أن الملك عبد العزيز آل سعود، وقد نفيت أسرته وشرِّد أهله وسُلب

ملكه، يسترد هذا الملك ببضعة وعشرين رجلاً، ثم يكون بعد ذلك أملاً من آمال العالم الإسلامي في إعادة مجده وإحياء وحدته؟» انتهى.

إن العارفين للشيخ عبدالله الأنصاري، سيظلون يذكرون له مواقفه ومآثره، وإن المؤسسات والمراكز الإسلامية ودور القرآن الكريم، والأيتام والأرامل في جميع أنحاء العالم الإسلامي الذين وصلت إليهم مساعداته لن ينسوا هذا الرجل العالم العامل، والداعية المجاهد، وسيدعون له جزاء ما قدَّم من خير، وإنني لأدعو تلامذته وإخوانه وأبناءه وفي مقدمتهم الأخ محمد عبدالله الأنصاري، أن يواصلوا السير في الطريق الذي سار عليه شيخنا وأستاذنا الجليل، لأنه الطريق الموصل إلى مرضاة الله تعالى.

وفاته:

اختار الله الشيخ الجليل إلى جواره، بعد مرض ألمَّ به، فغادر دنيانا إلى الدار الآخرة يوم (١٤ / ٣ / ١٤١٠هـ ـ الموافق ١٥ / ١٠ / ١٩٨٩م).

وقد نعته الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بقولها:

«انتقل الشيخ عبدالله إبراهيم الأنصاري إلى الرفيق الأعلى، وقد أدّى الأمانة التي يحملها كل مسلم تجاه خالقه وأمته ودينه، لقد كان الشيخ عبدالله الأنصاري نموذجاً يُحتذى به لرجل الدعوة الذي جاهد في سبيل الحق ونشر رسالة الإسلام، ومن أجل رفع الظلم عن المظلومين وإعانة الملهوف، ورعاية اليتيم، وكساء العاري، وتعليم الجاهل، ودفع مسيرة العمل الخيري، في داخل العالم الإسلامي وخارجه.

كما كان للشيخ الأنصاري مواقفه الشجاعة لنصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله، ودعم الانتفاضة الفلسطينية الباسلة لتطهير المسجد الأقصى.

إن بصمات الشيخ الأنصاري وأسلوبه في العمل الخيري في قطر ستظل منهاجاً يسير عليه إخوانه في العمل الخيري الصادق لوجه الله دون رياء أو نفاق، وعزاء

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية أن الفقيد الراحل قد أمضى حياته في سبيل الله ونصرة دينه» انتهى.

مؤلفاته وآثاره:

وكان قد نشر كتباً ومراجع إسلامية عدة وأشرف عليها وصححها، وقدّم لها، وكان يوزعها مجاناً.

ومن أعماله تأليفاً وتحقيقاً:

إرشاد الحيران لمعرفة آي القرآن (تحقيق).

التقاط الدرر واقتطاف الثمر (مراجعة وتحقيق).

تجريد البيان لتفسير القرآن (تلخيص).

التحقيق الباهر في معنى اليوم الآخر (تحقيق).

حدائق الأنوار ومطالع الأسرار (تحقيق).

الروضة النديّة شرح الدرر البهية (تحقيق).

زاد المحتاج بشرح المنهاج (تحقيق).

صيحة الحق (تحقيق).

عتاب من الكبد (بالاشتراك مع أحمد مصطفى أبو زهرة).

العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال (تحقيق ومراجعة).

العطر اليماني في أشعار البيحاني (تحقيق وإشراف).

عنوان الشرف الوافي (تحقيق).

الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد (تحقيق ومراجعة).

مجموعة المتون الفقهية (إعداد).

مصرع الشرك والخرافة (تحقيق).

معرفة الصواب في موافقة الحساب (إعداد).

التقويم القطري (إعداد).

مفيد العلوم ومبيد الهموم (مراجعة وتحقيق وتقديم).

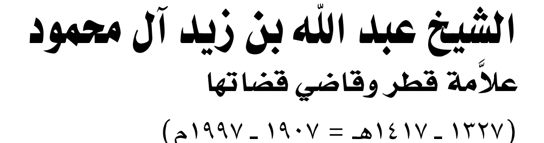
من خلق القرآن (تحقيق).

مواقيت الصلاة حسب توقيت لندن (تنظيم وإعداد).

نسأل المولى الكريم أن يغفر لنا وله وأن يتغمده برحمته ويدخله في جنته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.







مولده ونشأته:

هو الشيخ عبد الله بن زيد بن عبد الله بن محمد بن راشد بن إبراهيم آل محمود، الذين يتصل نسبهم بالحسن بن علي بن أبي طالب، ولد في (حوطة بني تميم) في نجد ١٣٢٧هـ، وكان والده تاجراً، وقد توفي وابنه صغير، فتولى رعايته خاله حسن بن صالح الشتري.

وقد تلقى العلم على أيدي المشايخ: عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ، ومحمد أبو زيد الشتري، فحفظ القرآن الكريم وهو صغير، وكان يؤم المصلين ولم يبلغ الخامسة عشرة، لحفظه وإتقان تلاوته، وقد حفظ الكثير من متون كتب الفقه والحديث، كمتن الزاد، وبلوغ المرام وألفية الحديث للسيوطي، ونظم المفردات، وألفية ابن مالك، وقطر الندى وغيرها.

وقد سافر إلى قطر لطلب العلم على يد الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع

١٣٥٥هـ، فلازمه وتتلمذ على يده ثلاث سنوات، في الفقه، والحديث، والتفسير، وبعد عودته من قطر إلى الرياض لزم الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية مدة سنة كاملة، ثم توجّه إلى مكة المكرمة، حيث قام بالوعظ والتدريس بالمسجد الحرام.

حياته العلمية والعملية:

في ١٣٥٩هـ، طلب حاكم قطر الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني، من الملك عبد العزيز آل سعود، أن يبعث إليه برجل يصلح للقضاء والفتيا كبديل للشيخ محمد بن مانع، فوقع الاختيار على الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، حيث باشر القضاء والفتيا أوائل سنة ١٣٦٠هـ، وكان فضيلته من المشهورين بالكفاءة والدقة في الأحكام، والعدل بين الخصوم، والمساواة أمام القضاء بين الجميع، وكان يبذل الجهد لإصلاح ذات البين، وفض المنازعات بين المتخاصمين.

وكان دؤوباً على الاستزادة من العلم ولم يمنعه القضاء من العكوف على أمهات الكتب والمراجع، كما كان له مجلس علم يحضره الكثير من طلبة العلم الذين يدرسون على يديه التفسير والحديث والفقه وكتب السير والتاريخ والتراجم.

وهو واسع العلم بأيام العرب وأنسابهم والأدب والشعر، وقد رزقه الله ذاكرة قوية، ويروي بعض المشايخ أن الشيخ ابن محمود حفظ منظومة ابن عبد القوي وهي ستة آلاف بيت.

كان يخطب الجمعة كل أسبوع، ويتناول في خطبه القضايا التي تهم المسلمين، كما ينصح ولاة الأمر بالاهتمام بحقوق الرعية، وقضاء مصالحهم، فقد كان مسموع الكلمة لدى حكام البلاد.

أما رعايته للفقراء والمساكين واليتامى والأرامل، فكان من أول اهتماماته التي يباشرها بنفسه، ويحث ولاة الأمر والأغنياء من المسلمين على النهوض بها

نحو إخوانهم المعوزين، حتى سماه الناس (أبو اليتامى والمساكين).

وقد تميز بسعة الفقه، والتيسير على الناس في العبادات، مع الحرص الشديد على سلامة العقيدة، والبعد عن البدع والخرافات، وتقديم الإسلام بأجمل صورة.

ويعتبر بحق مؤسس القضاء الشرعي في قطر، فقد وضع نظام تسجيل الأحكام والقضايا، وطوَّر المحاكم، وزاد عددها إلى ثلاث محاكم شرعية، كما أسس دائرة الأوقاف والتركات التي عنيت بإنشاء المساجد وصيانتها، وحفظ الأوقاف، ورعاية أموال اليتامى، واستثمارها، كما كان يتلقى الاستفسارات في القضايا الدينية والفقهية من داخل قطر وخارجها، وكان يسلك مذهب التيسير في فتاواه للناس في مسائل الحج والطلاق وغيرها. وكانت مكتبته الخاصة تزخر بأمهات المراجع في مختلف العلوم، وله مجلس للدرس كل يوم بعد المغرب والعشاء، وقد سعدتُ بحضوره، وشاركت طلبة العلم في مناقشات مسائله، وكان من الذكاء وقوة الذاكرة أنه يحدد مكان المسألة في الكتب ورقم الصفحة، وله مجلس آخر في شهر رمضان بعد صلاة العصر، ويؤم الناس في صلاة التراويح والقيام.

وقد أسهم في تأسيس أول معهد ديني في قطر، وخصص رواتب للأرامل والأيتام والفقراء، وأسهم بتخصيص مقابر في كل منطقة لدفن الموتى.

وكان يبدأ برنامجه اليومي بصلاة الفجر، ثم الورد القرآني، ثم الإفطار مبكراً، والذهاب إلى مكتبه بالمحكمة قبل طلوع الشمس، حيث يدرس القضايا، ويحرر الأحكام، ويرد على المراسلات، ويستقبل المراجعين وأصحاب القضايا، ويفصل في قضاياهم، ويستمر إلى أن يؤذَّن لصلاة الظهر.

وكانت له اجتهادات فقهية، خالف فيها الكثير من الفقهاء القدامى والمعاصرين، كإنكاره المهدي المنتظر، وتفضيله الصدقة عن الميت على الأضحية، ورفع الحرج عن الأمة في مناسك الحج، كجواز الرمي قبل الزوال،

وجواز الإحرام للحاج والمعتمر من ركاب الطائرات إذا نزلوا في جدة، وجواز إخراج صدقة الفطر بقيمتها من النقود، وفتواه بالانتفاع بالمقابر القديمة إذا أصبحت وسط البنيان، وغير ذلك من الاجتهادات الفقهية.

أهم مؤلفاته:

للشيخ مؤلفات تربو على الخمسين، ومن أهمها:

الحكم الجامعة لشتى العلوم النافعة.

بدعة الاحتفال بالمولد.

الإيمان بالقضاء والقدر.

عقيدة الإسلام والمسلمين.

الدلائل العقلية والنقلية في تفضيل الصدقة عن الميت على الأضحية.

الإصلاح والتعديل لما وقع في اسم اليهود والنصارى من التبديل.

وجوب الإيمان بكل ما أخبر به القرآن من معجزات الأنبياء.

يسر الإسلام في أحكام حج بيت الله الحرام.

تحقيق البعث بعد الوفاة.

الرسالة الموجهة إلى علماء الرياض في تحقيق القول بجواز رمي الجمار قبل الزوال.

التحذير من انحراف الشباب.

لا مهدي ينتظر بعد الرسول محمد خير البشر.

واجب المتعلمين والمسؤولين في المحافظة على أمور الدين.

أحكام عقود التأمين.

حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب.

حكم الطلاق السني والبدعي.

قضية تحديد الصداق.

الحكم الشرعي في إثبات رؤية الهلال.
كتاب الصيام.
فضل شهر رمضان.
الجهاد المشروع في الإسلام.
أحكام مناسك حج بيت الله الحرام.. وغيرها من الكتب.

معرفتي به:

كنت في زياراتي إلى قطر أحرص على لقاء العلماء والدعاة فيها، وبخاصة الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود، فقد كنت أحرص على مجلسه في بيته، كما أزور المشايخ أحمد بن حجر آل طامي، والشيخ عبد القادر العماري، والشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ عبد المعز عبد الستار، والأستاذ عبد البديع صقر، والشيخ أحمد العسال، والشيخ أحمد حمد، والشيخ علي جماز، والشيخ عبد اللطيف زايد، والشيخ مصباح عبده، وغيرهم من الإخوة الزملاء في قطر، وكنت وقتها مديراً للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بالكويت، وكنت في كل زياراتي الدعوية أحاول الاستفادة من المشايخ والدعاة من خلال اللقاءات المتصلة بهم في أماكن عملهم، وفي منازلهم، لبحث قضايا الإسلام والمسلمين، وسبيل النهوض بهذه الأمة، والتصدي لهذه الهجمة الشريرة على الإسلام والمسلمين.

وكان الكل يطرح وجهة النظر التي يرى أهميتها وأولويتها، ونسعى جميعاً لبلورتها وإخراجها إلى حيز التنفيذ، لتأخذ طريقها إلى جماهير الأمة.

وكان الشيخ ابن زيد صاحب المبادرة في الدراسة والتخطيط وتوزيع المهمات على العلماء والعاملين، كل حسب تخصصه ووفق إمكاناته، وقد ترتب على هذا العمل الدعوي المبارك، جمع شباب الأمة من خلال المساجد والمعاهد والمدارس على كلمة سواء للانطلاق مبشرين بهذا الدين من خلال

الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ومن خلال المشاريع العملية الإسلامية التي يقيمونها، والخدمات الخيرية الإنسانية التي يقدمونها، وقد تمثل هذا عن الطريق الرسمي بوساطة الأوقاف وعن طريق مساعدة الأيتام والأرامل والمعوزين بوساطة الجمعيات والمؤسسات الدعوية والخيرية التي يشارك فيها الشباب القطري، والمحسنون من أهالي البلاد، فكانت جهوداً طيبة مباركة آتت ثمارها على أرض الواقع داخل قطر وخارجها.

من أقواله:

«إنني عندما أطرق موضوعاً من مواضيع البحوث العلمية التي يحسن التذكير بها وبمحاسنها ومساوئها، وحكمها وأحكامها، فإنني آخذ للبحث بغيتي، وغاية رغبتي، مما وصل إليه فهمي وعلمي، حتى ولو طال ذيل البحث، ولا أقتصر فيه على بلغة العجلان، ورغبة العاجز الكسلان، إذ إن الناس يتفاوتون في قوة الإيراد والتعبير، وفي حسن المنطق وجمال التحبير. والعلم شجون يستدعي بعضه بعضاً، ويأخذ بعضه برقاب بعض، وعدوا من عيوب ا لكلام وقوع النقص من القادر على التمام، ووقوع الانفصام والانفصال من مواقع الاتصال.

إن نصوص الكتاب والسنَّة توجب على الأمة الإسلامية أن يكون منهم أمة صالحة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، لأن هذا هو سبب صلاح الناس وفلاحهم، وعليه مدار سعادتهم في قديم الزمان وحديثه. والشريعة الإسلامية جاءت بجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها، والمنكر متى ترك بحاله ولم يقم أحد من الناس بمنعه ودفعه، فإنه ينتشر ويشتهر في العباد والبلاد، وإن الأمراء والعلماء وأعضاء مجالس الشورى هم بمنزلة المرابطين دون ثغر دينهم ووطنهم يحمونه عن دخول الفساد والإلحاد وما يعود بخراب البلاد وفساد أخلاق النساء والأولاد». ا ـ هـ.

قالوا عنه:

يقول العلاّمة الشيخ يوسف القرضاوي: «رحل عن دنيانا علاّمة قطر وقاضي قضاتها وفقيهها الأكبر، وخطيب مسجدها الأعظم، وأول رئيس لمحاكمها الشرعية، وشؤونها الدينية، وأشهد أن هذا الرجل كان صوَّاماً قوَّاماً، كثير التلاوة لكتاب الله عز وجل، مشغولاً بالعلم دراسة وتعليماً وتأليفاً وقضاء، وكنت كلما زرته في مجلسه، وجدته مشغولاً بقراءة كتاب مهم من كتب التفسير أو الحديث أو الفقه.

ومن خصائص فقه الشيخ: تحرره من التقليد والعصبية المذهبية، ومعرفته بالواقع المعيش وما يعانيه الناس فيه، ونزعته إلى التجديد، وتمرده على كثيرمن القضايا المسلَّمة عند علماء زمنه ومذهبه، وميله إلى التيسير على الخلق، ورفع الحرج عنهم، وشجاعته الأدبية، فقد كان يصدع برأيه إذا اعتقد أنه الحق الذي وصل إليه بالدليل.

رسائل الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود نوعان: رسائل عادية تتضمن توجيهات ونصائح أشبه بالخطب المنبرية، بل هي في الغالب من خطب الجمعة التي يحضّرها الشيخ ويتعب عليها ويغذيها بالنصوص والحكم والأشعار حتى تتضح.

والنوع الآخر: رسائل علمية فقهية، تهدف إلى تحقيق مسألة معينة، وإبداء الرأي فيها عن طريق الترجيح والاجتهاد المبني على النصوص النقلية، وفهم القواعد الكلية، والمبادىء العامة للشريعة، ومراعاة مصالح الخلق ومقاصد الشرع.

وهذه هي التي صال فيها قلم الشيخ وجال، وأتى فيها بالجديد والطريف، وجعلت له كثيراً من المعجبين، كما أهاجت عليه كثيراً من المنكرين، وقلَّ من الناس من ليس له مادح وقادح، إلا الخامل من الناس الذي يعيش بينهم حياً كميت وموجوداً كمفقود، فهو لا ينفع ولا يضر، ولا يُحزن ولا يسر. ولا أنكر أني

قد أختلف مع الشيخ في بعض الجزئيات فيما يكتبه، مثل ذبائح الشيوعيين والملاحدة والمرتدين، وقد أتناقش معه في بعض القضايا، ويحتد بيننا النقاش، ولكن اختلاف الرأي لا يفسد ما بيننا من ود. ولا عيب في اختلاف الآراء، ما دام رائد أصحابها الحق والخير، إنما العيب في اختلاف القلوب وتحاسد النفوس». ا ـ هـ.

ويقول الأستاذ جاسم بن سالم الأنصاري:

«لقد ترك شيخنا ابن محمود تركة عظيمة من المؤلفات والرسائل التي تحوي حكماً جامعة لشتى العلوم النافعة، واجتهادات صائبة وآراء سديدة، يلوذ بها ويعمل بمقتضاها ملايين المسلمين في أيامنا هذه، ووقف سداً منيعاً أمام مظاهر الفتن والبدع، وحرص على التيسير والتسهيل على المسلمين، والتبشير لا التنفير، وتحمل في سبيل منهجه الانتقادات اللاذعة، لدرجة الطعن في شخصه، ولكنه وقف بكل شموخ وثبات وصلابة، ولم يأبه بكل ذلك». ا ـ هـ.

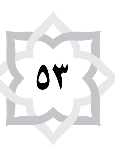
وفاته:

انتقل الشيخ ابن محمود إلى رحمة الله تعالى ضحى يوم الخميس الثامن العشرين من شهر رمضان ١٤١٧هـ، وصُلِّي عليه بعد صلاة العصر في جامع الدوحة الكبير، وأم المصلين فضيلة الشيخ القرضاوي.

رحم الله شيخنا رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





المجاهد الصامت عبدالله سلطان الكليب

(١٣٤٣ ـ ١٤١٠هـ = ١٩٢٥ ـ ١٩٩٠م)

معرفتي به:

عرفتُ الأخ الكريم المجاهد الداعية عبدالله سلطان الكليب عن طريق إخواني الزملاء من الطلبة الكويتيين الذين التقيتهم أوائل الخمسينيات أثناء الدراسة الجامعية بمصر، فقد حدّثوني عن نشاطه الإسلامي في الكويت وسعيه مع إخوانه لتقديم العون للمحتاجين ووقوفه بجانب المظلومين وغيرته على حرمات الدين ومقدساته.

ولقد زرت الكويت بعد ذلك سنة ١٩٥٥م ثم ١٩٥٨م ثم عام ١٩٥٩م حيث استقرّ مقامي بها إلى عام ١٩٨٦م فتوثقت صلتي به وبإخوانه وعملت معهم في حقل الدعوة الإسلامية داخل الكويت وخارجها.

صفاته ومواقفه:

كان رحمه الله كريم النفس يبذل بسخاء في مواطن الخير ويسعى في قضاء

حوائج إخوانه المسلمين ويشفع لمن يستحق الشفاعة، ويقول كلمة الحق لا يخاف لومة لائم، وهو مقدام شجاع لا يتردد في مواقف الرجولة ينجد الملهوف ويقف بجانب الضعيف ويؤثر أخوّة الدين على أخوّة الطين، لأنه يؤمن بأن جنسية المسلم هي عقيدته، وليس ثمة شيء يعلو عليها أو يتقدمها، وهو يعرف لأصحاب السابقة والفضل سبقهم وفضلهم ويذكرهم بالخير ويدعو لهم.

وكان صاحب همة ونشاط، ينافس إخوانه العاملين في الحقل الإسلامي، من أجل رفع راية الإسلام وإعلاء كلمته وتطبيق شريعته والوقوف إلى جانب إخوانه المسلمين في بقاع الأرض.

يلقاك ببشاشة الوجه وطيب الكلام ودماثة الخلق ويحدّثك ببساطة ويكثر من الدعابة والطرافة لإدخال السرور على روّاد مجلسه.

وكانت بيني وبينه زيارات متبادلة، وكان يحضر الندوة الأسبوعية مساء الجمعة ويشارك الإخوة الحاضرين في موضوعاتها ويدلي بدلوه في الحوار والنقاش على ضوء تجاربه في العمل الدعوي.

وكان شديد الوطأة على الأنظمة الظالمة والطغاة المستبدين الذين يحاربون الإسلام ودعاته، ويضيِّقون على شعوبهم بقطع الأعناق والأرزاق، إرضاء لشهواتهم وطاعة لسادتهم المستعمرين، وكان يكرر القول بأن الأمة المسلمة لا بد أن تلتقي على القواسم المشتركة، وأن يتعاون الدعاة إلى الله في كل مكان، ليكونوا في خندق واحد للتصدي لدعاة الباطل، وأعوان الشرق والغرب في الداخل والخارج الذين ينطلقون في حربهم للإسلام والمسلمين عن قوس واحدة لأن الكفر ملة واحدة، وأنه ليس كالتربية الروحية والعناية ببناء الرجال من وسيلة للصمود أمام هذا الطوفان من الأفكار الوافدة، والنظريات الهدامة، والأخلاق والعادات المستوردة، التي تصادم عادات المسلمين وتقاليدهم وأخلاقهم وقيمهم، وأن منهج الإخوان المسلمين التربوي الذي أرسى قواعده الإمام الشهيد حسن البنا هو المنهج الأمثل لبناء الجيل الجديد وتربية الرجال

المؤمنين لأنه منهج مستقى من الكتاب والسُّنَّة، وقد أثبتت التجربة صلاحيته وصمود نماذجه من دعاة الإخوان المسلمين في كل مكان وفي جميع المواقع أمام كل المحن والابتلاءات التي تعرضوا لها من الطغاة المتعاقبين في أكثر من قُطر.

يقول الكاتب السعودي والصحفي الكبير مؤسس جريدة «عكاظ» الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كلمة نشرها بجريدة (المسلمون) بتاريخ ٢٦ رمضان ١٤٠٧هـ:

«... رحم الله شهيد الإسلام الإمام حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ومرشدهم العام وطيب الله ثراه وأنزله الفردوس الأعلى وعوَّض عنه بني الإسلام خيراً، ونفع بجهاده الصادق وجهوده المباركة المستمرة.

لقد كان من صفات الإمام الشهيد العظيمة الجمة تربيته الدعاة إلى الله ودفعهم إلى المزيد من البذل مما وهب الله لهم من الخير والفضل.

لقد دأب الاستعمار على الوقوف في وجه كل حركات الإسلام والإيحاء للحكام بأن هذه الحركات تهديد لهم ومنها حركة الإمام الشهيد حسن البنا زعيم حركة الإخوان المسلمين في مصر حتى استشهد رضي الله عنه، واضطهد غير مرة قبل التخلص منه، وما زالوا بحركة الإخوان المسلمين ظلماً واضطهاداً فسجنوا الآلاف وقتلوا المئات وشردوا آلاف الأُسر وكان من أبرز الشهداء: الفقيه الكبير عبد القادر عودة، والشيخ محمد فرغلي، والمحامي إبراهيم الطيب، ويوسف طلعت، وسيد قطب، وعبد الفتاح إسماعيل، ومحمد هواش، وغيرهم رحمهم الله رحمة واسعة» انتهى.

تأسيس جمعية الإرشاد:

إن الأخ عبدالله الكليب كان له الدور الأساس في تأسيس جمعية الإرشاد الإسلامي، فقد عُقد الاجتماع الأول التحضيري في ديوانيته سنة ١٩٥٢م بحضور الإخوة: محمد العدساني، عبد الرزاق العسكر، علي الجسار، عبد العزيز العلي

المطوع، عبد الرزاق الصالح المطوع، خالد العيسى، وغيرهم فكانت ثمرة هذا الاجتماع تأسيس هذه الجمعية المباركة التي قدّمت الصورة المشرقة المضيئة عن الكويت وأهل الخير فيها وسعيهم الدؤوب لنصرة الإسلام والمسلمين في كل مكان وزمان.

وقد بادرت الجمعية لتشكيل وفد ضم الحاج عبد الرزاق الصالح المطوع وعبدالله سلطان الكليب وآخرين للسفر إلى الأردن وتقديم العون والمساعدات المالية والعينية من الخيام والملابس والأغذية إلى إخواننا اللاجئين الفلسطينيين في مخيماتهم بالأردن عام ١٩٥٢م، مما كان له أطيب الأثر في نفوس إخواننا الفلسطينيين الذين وجدوا الإخوان المسلمين معهم متطوعين في ميدان الجهاد والقتال سنة ١٩٤٨م، ومتطوعين في مجال العون والإغاثة في المجتمعات وتلك أخوّة الإسلام الحقة.

لقد ساهمت جمعية الإرشاد الإسلامي في أنشطة مختلفة داخل الكويت وخارجها، واستقطبت أعداداً ضخمة من رجال الكويت وشبابها فانتظم في صفوفها الخيّرون من أبنائها أمثال: عبد الرحمن العتيقي، خالد الجسّار، محمد بودي، يوسف الرفاعي، عبد الله العلي المطوع، غانم الشاهين، عبد الرحمن الدوسري، أحمد الغنام، عبد الرحمن الولايتي، خالد الرويشد، سعود السميط، يعقوب الغنيم، عبد الرحمن المجحم، وغيرهم كثيرون لا تحيط بهم الذاكرة، وقد لقيت الجمعية القبول لدى المسؤولين وأعيان الكويت فضلاً عن عامة الناس، فانتشرت دعوتها، وتوسَّع نشاطها، بحيث شمل جميع المناطق ومختلف الطبقات، وصار شباب الجمعية كالشامة في جبين الكويت لصدقهم وإخلاصهم وخلقهم ووفائهم وبذلهم وعطائهم وجهدهم وجهادهم، فصدرت مجلة الإرشاد الإسلامي وقامت مدرسة الإرشاد الإسلامي وفتحت مكتبة الإرشاد الإسلامي ومركز الشباب الرياضي والثقافي وأقيمت الندوات والمحاضرات والدروس والحفلات والكتائب والرحلات والمخيمات والمعسكرات الكشفية وانتشرت

الكتب الإسلامية والأناشيد الحماسية، وتحفيظ القرآن الكريم وقيام الليل وصيام الاثنين والخميس، وقيام شباب الجمعية برحلات إلى العراق وسورية ولبنان والأردن والحج والعمرة، واستضيف العديد من الدعاة لزيارة الكويت وإلقاء المحاضرات فيها فقد زارها البشير الإبراهيمي ومحمد عبد الرحمن خليفة وكامل الشريف وعبد الحكيم عابدين وسعيد رمضان ومحمد محمود الصواف وغيرهم من الدعاة في أنحاء العالم الإسلامي.

نصرة القضية الفلسطينية:

وصارت الكويت رغم صغر حجمها وقلة عدد سكانها مصدر إشعاع للدعوة الإسلامية، ومقصد الكثير من العاملين في الحقل الإسلامي، حيث يجدون عند الصالحين من أهلها، كل الحب والتقدير والإجلال والاحترام والمؤازرة



مشهور الضامن وعبدالله سلطان الكليب وعبدالرازق الصالح المطوع في مخيمات اللاجئين بالأردن عام ١٩٥٢م خلال توزيع مؤونة جمعية الإرشاد الإسلامي (جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت حالياً)

والمناصرة، بل كانت الكويت من الدول السباقة في نصرة الجهاد الإسلامي سنة ١٩٣٦م بفلسطين حين زارها وفد من الشام يضم (كاظم الصلح وفخري البارودي) مناشدين الكويتيين نصرة إخوانهم الفلسطينيين، فتشكلت لجنة من: يوسف أحمد الغانم، نصف يوسف النصف، سلطان الكليب، لجمع التبرعات وتقديم العون للمجاهدين الفلسطينيين، وهو الذي فعله الإخوان المسلمون بمصر في الوقت نفسه، ذكر ذلك أديب العربية بلا منازع الأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي في كتابه (وحي القلم) الجزء الثاني تحت عنوان (قصة الأيدي المتوضئة).

وكذا فعل أهالي الزبير في العراق عندما زارهم الوفد المكوَّن من سماحة الحاج محمد أمين الحسيني، ومحمد علي علوبة باشا عام ١٩٣٦م لجمع التبرعات، حيث شكَّلوا لجنة من (حمد الذكير، محمد العقيل، حمد البسام، أحمد العنيزي) لنجدة إخوانهم المجاهدين الفلسطينيين.

وحين انطلقت (فتح) لإعلان الجهاد ضد اليهود بفلسطين، سارع الخيِّرون من أهل الكويت لنصرتها، ولما تركت الجهاد وركنت للاستسلام لليهود وصدَّقت عهودهم ومواثيقهم، انفض الناس عنها وتركوها.

ميلاده وحياته ودراسته:

إن الأخ الكريم عبدالله سلطان الكليب من الأسر العريقة في الكويت، وكان والده سلطان الكليب عضواً في أول مجلس للمعارف سنة ١٩٣٦م ومديراً للبلدية ومديراً للمكتبة الأهلية وكان الابن باراً بأبيه مطيعاً له.

وقد ولد الأخ عبدالله الكليب ١٩٢٥م بالحي القبلي بالكويت، ودرس في مدرسة الشيخ محمد العجيري، ثم في مدرسة الشيخ أحمد الخميس، ثم في مدرسة إبراهيم العريض بالبحرين، ثم في مدرسة المباركية بالكويت، كان من أساتذته فيها الأستاذ سيد عمر والأستاذ عبد الملك الصالح المبيض وأخيراً في

مدرسة الأحمدية ثم مارس الأعمال الحرّة وتقلد بعض الوظائف الحكومية وكان آخرها وكيل وزارة البريد والبرق والهاتف.

وظل الأستاذ عبدالله الكليب على وفائه للإسلام والتزامه بالحركة الإسلامية حتى بعد حل الجمعيات والأندية ١٩٥٨م بسبب الخطاب الذي ألقاه أحمد سعيد مذيع «صوت العرب» في الكويت الذي خرج فيه عن الأدب وحاول إحداث الفتنة بين أهل الكويت وولاة الأمر، ولكن الله قدَّر ولطف، حيث تدارك العقلاء الأمر وطُرد أحمد سعيد من البلاد.

لقد عاش الأخ «أبو سلطان» بقية حياته عازفاً عن الدنيا مقبلاً على الآخرة مكثراً من الصيام وخاصة يومي الاثنين والخميس، مجتمعاً مع النخبة من خلصاء إخوانه كل أسبوع، يتدارسون شؤون المسلمين ويعيشون قضاياهم ومشكلاتهم ويسهمون قدر المستطاع، في تخفيف الآلام عن المصابين وإقالة عثرات الكرام من المحتاجين، والإصلاح بين المتخاصمين والتعاون على البر والتقوى وتحقيق التكافل بين العاملين للإسلام وشد أزرهم ونصرتهم على أعدائهم، ولستُ أنسى له مواقفه النبيلة التي ساعد فيها إخوانه المسلمين في تقلد الكثير من المناصب والوظائف بحكم الكفاءة والاستقامة والنزاهة والإخلاص في العمل وأداء الواجب.

حبه للجهاد:

كنت وإياه في زيارة سماحة الحاج محمد أمين الحسيني أثناء إقامته بلبنان، وكان الحديث كله عن الجهاد وضرورته ودور الشباب المسلم في حمل رايته، بعد أن تخلى عنه الحكام وساروا في ركاب المستسلمين، وكان الأخ الكليب شعلة من الحماس يتحرَّق لإحياء فريضة الجهاد وينادي بإصرار وعزم على تبني هذا الخط، فليس لأعداء الله اليهود من علاج إلا القوَّة، وقد زار جماعة عباد الرحمن في لبنان وجماعة الإخوان المسلمين في الأردن وسورية والعراق والتقى الكثير من قادتها وشبابها وتوثقت صلاته بهم.

آخر حديث له:

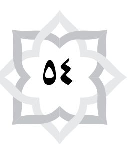
وفي آخر حديث صحفي له مع جريدة القبس الكويتية بعددها المرقم ٦٣٣١ بتاريخ ٢٣ / ١٢ / ١٩٨٩م قال الكليب:

«.... لقد أسسنا جمعية الإرشاد الإسلامي سنة ١٩٥٢م كجمعية إسلامية خيرية، وبدايتها عقد اجتماع في ديواننا بحضور عدد من الإخوة منهم: محمد العدساني وعبد الرزاق العسكر، وعلي الجسار، وخالد العيسى وآخرون.... وأذكر أن الأخ عبد العزيز العلي المطوِّع اصطحب معه ذلك العام وفداً من مصر وبدأنا النقاش معه حول تأسيس هذه الجمعية بالكويت فتم الاتفاق وأسسناها، وكانت جمعية لمساعدة المحتاجين، بدأنا بتعليم من فاتهم التعليم في محو الأمية وأقبل الكثير على الفصول التي فتحناها في ذلك الوقت، كما قمنا بجمع تبرعات وخيام ومواد غذائية لمساعدة الفدائيين في الأراضي الأردنية والسورية آنذاك....» انتهى.

ذلك هو الأخ الحبيب والمجاهد الصامت والداعية المسلم عبدالله سلطان الكليب وتلك نبذة عن سيرته وجهاده داخل الكويت وخارجها ذكرتها وفاءً له ودرساً للجيل الجديد.

رحمه الله رحمة واسعة وتقبَّله في الصالحين من عباده وحشرنا وإياه مع النبيين، والصديقين، والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.





العالم المجاهد الشهيد عبدالله عزام

(١٣٦٠ ـ ١٤١٠هـ = ١٩٤١ ـ ١٩٨٩م)

توطئة:

بعد أحداث النكبة الثانية في فلسطين عام ١٩٦٧م أصاب الأمة الذهول، فقد كانت مخدوعة بالإعلام الكاذب والدعاوى الفارغة، ومن أجل ألا يستبدّ اليأس بالأمة، تحرك الإخوان المسلمون في البلاد العربية، يذكّرون الأمة بتاريخها، وأمجادها ويهيبون بها إلى إحياء فريضة الجهاد الذي هو ذورة سنام الإسلام، وانطلقوا يعدّون العدّة لمناجزة اليهود وتدريب الشباب على خوض المعارك ضدهم، فأقاموا معسكراً أُطلق عليه اسم (معسكر الشيوخ) أو قواعد الشيوخ، وكان يضمّ أربع قواعد كان عبدالله عزّام أمير قاعدة بيت المقدس، وقد انتظم المعسكر في سلكه العديد من إخوان الأقطار العربية من مصر، والسودان، وسورية والأردن، وفلسطين، واليمن، ولبنان، وعهدوا بإدارته لمجموعة من الإخوة الذين جاهدوا بفلسطين عام ١٩٤٨م، وفي قناة السويس عام ١٩٥١م

وانطلق خطباء الإخوان ودعاتهم يجوبون العالم العربي والإسلامي لاستنهاض الهمم وتقوية العزائم والنفرة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وحرب اليهود ومناوشتهم لحرمانهم من ثمرة النصر.

كان من ضمن من كانوا بالمعسكر الشيخ عبدالله عزّام وإخوانه محمد صالح عمر، ومحمد سعيد باعباد، وإبراهيم عاشور، وصلاح حسن، ومحمود حسن، وعبد العزيز علي، وأحمد نوفل، وأحمد أبو طالب، وغيرهم.

معرفتي به:

وقد شكَّل الإخوان وفداً لزيارة المعسكر والاطمئنان على سير العمل فيه ومعرفة نواقصه واحتياجاته ولوازمه فكنتُ أحد الثلاثة المكلفين بزيارة المعسكر، وكانت تلك المرة الأولى التي ألتقي فيها الأخ عبدالله عزّام فقد كنت قبلها أسمع عنه من الإخوة الفلسطينيين، ثم تكررت اللقاءات في الكويت، والسعودية، وباكستان، وأفغانستان، والأردن، وأوروبا، ومصر وتكررت الزيارات حيث زرته في بيته في (صويلح) قرب عمّان وفي بيشاور في باكستان، كما زارني في بيتي وسعدنا به وبإخوانه.

مولده ودراسته:

وُلد العالم الشجاع والمجاهد الجسور الداعية المصلح أمير المجاهدين العرب في أفغانستان الدكتور عبدالله عزّام عام ١٣٦٠هـ ـ ١٩٤١م في بلدة (سيلة الحارثية) من أعمال مدينة جنين بفلسطين، وتلقى علومه الابتدائية والإعدادية في مدرسة القرية وأكمل دراسته في خضورية الزراعية بمدينة طولكرم، وقد كان ملازماً لتلاوة القرآن الكريم، كما كان ملازماً لمسجد القرية.

تابع دراسته الجامعية في كلية الشريعة بجامعة دمشق ونال شهادة الليسانس في الشريعة عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ثم عمل مدرساً في قريته وما لبث أن غادرها

بعد احتلال اليهود لها عام ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ثم التحق بكتائب المجاهدين التي شكّلها الإخوان المسلمون وكانت قواعدها في الأردن، حيث اشترك في بعض العمليات العسكرية ضد اليهود على أرض فلسطين، ومنها معركة المشروع أو الحزام الأخضر، وقد حصلت هذه المعركة في منطقة الغور الشمالي، وكانت نتائجها كبيرة على اليهود كما أشرف على عمليات معركة ٥ يونيو عام ١٩٧٠م.

وبعد انتهاء المعسكر نتيجة أحداث سبتمبر عام ١٩٧٠م قرر الشيخ عبدالله عزّام الانتساب إلى جامعة الأزهر بمصر حيث حصل على شهادة الماجستير في أصول الفقه، ثم عُين محاضراً في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية بعمان عام ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م ثم أوفد إلى القاهرة لنيل شهادة الدكتوراه، فحصل عليها في أصول الفقه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م فعمل مدرساً بالجامعة الأردنية (كلية الشريعة) من عام ١٣٩٣هـ ـ ١٤٠٠هـ = ١٩٧٣م ـ ١٩٨٠م ثم انتقل للعمل في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، وبعدها عمل في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد بباكستان ثم قدم استقالته منها وتفرغ للجهاد في أفغانستان.

جهاده:

وقد كان له دور مهم في مسيرة ذلك الجهاد، إذ كان حلقة اتصال بين المجاهدين الأفغان والمؤيدين لهم في البلدان العربية، كما أشرف على عمليات واسعة لتقديم الخدمات والمساعدات المختلفة من تعليمية وصحية وعسكرية للمهاجرين، والمجاهدين الأفغان وأولادهم، وأسس مجلة (رسالة الجهاد) لتكون منبراً إعلامياً شهرياً لنشر أخبار الجهاد وكذلك نشرة (لهيب المعركة) وهي أسبوعية تتناول آخر الأحداث المستجدة على الساحة الأفغانية.

وقد خاض الشيخ عبدالله عزّام معارك كثيرة ضد الروس كان من أشدّها



الشهيد عبدالله عزام في أفغانستان

وأشرسها (معركة جاجي) في شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م وكان في معيته عدد من المجاهدين العرب الذين أبلوا البلاء الحسن وسقط منهم شهداء في سبيل الله، وقد تولى الدكتور عزّام منصب أمير مكتب خدمات المجاهدين في أفغانستان، وكان موضع الثقة والاحترام من قادة الجهاد الأفغاني، كما كان محبوباً من الشباب الذين ذهبوا من مختلف الديار العربية والإسلامية للجهاد في أفغانستان.

وكانت له جولات دعوية وتعريفية في البلاد العربية والإسلامية والأوروبية وفي الولايات المتحدة الأمريكية أحدثت أعظم الأثر ودفعت الأمة في سائر أقطارها للمشاركة أو الدعم والمساعدة للجهاد والمجاهدين في أفغانستان.

كما أسهم الشهيد عبدالله عزّام في تدوين وقائع الجهاد الأفغاني من خلال مقالاته الافتتاحية في مجلة (الجهاد) ونشرة (لهيب المعركة).

كما عمل على التوفيق بين قادة المجاهدين وتوحيد صفوفهم متعاوناً في ذلك مع دعاة الإخوان المسلمين أمثال: الشهيد محمد كمال الدين السنانيري والدكتور أحمد الملط، والأستاذ مصطفى مشهور، والأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة، والشيخ سعيد حوى - رحمهم الله - وغيرهم.

استشهاده:

واستمر الدكتور عبدالله عزّام في جهوده وجهاده إلى أن نال الشهادة مع ولديه محمد وإبراهيم، حين فجَّر أعداء الإسلام سيارته وهو متجه إلى (مسجد سبع الليل) لإلقاء خطبة الجمعة يوم ٢٥ / ٤ / ١٤١٠هـ الموافق ٢٤ / ١١ / ١٩٨٩م وقد دفن الشهيد يوم استشهاده، ولاحظ المشيعون - وهم ألوف - رائحة المسك التي انبعثت من دمه الزكي حتى تم دفنه، كما لوحظ - وهذا من إكرام الله تعالى - أن جسده قد حفظ من التشويه على الرغم من أن الانفجار نتج عن عشرين كيلوجراماً من مادة (ت ن ت)، وقد أحدث دوياً هائلاً، وقطع تيار الكهرباء وحفر حفرة في الأرض كبيرة وتناثرت أجزاء السيارة في الهواء وقد وجدت جثته سليمة إلا أذنه على مقربة من موقع الحادث.

قالوا عنه:

جمع الدكتور الشهيد عبدالله عزّام العمل والجهاد إلى جانب القلم واللسان وفي هذا المجال كتب البعض عنه وعن سيرته، فثمة كتاب (الشهيد عبدالله عزّام مجاهداً في فلسطين وأفغانستان) بقلم حسن خليل حسين، وكتاب (الشيخ المجاهد عبدالله عزّام الذي ترجم الأقوال إلى أفعال) بقلم: محمد عبدالله العامر وكتاب (عبدالله عزّام أحداث ومواقف) بقلم: عدنان النحوي، وكتاب (من مناقب الشهيد عبد الله عزّام) بقلم: أحمد سعيد عزّام.

قالت حركة حماس في رثائه: «لئن كان استشهاد الشيخ عبدالله عزّام قريباً



الشهيد عبدالله عزام يجاهد بلسانه... ويحمس الأفغان

من أرض الجهاد في أفغانستان المسلمة، وليس على أرض الإسراء في فلسطين التي أحبّها وجاهد لتحريرها حتى يتيسر أمر الجهاد فيها؛ فإن ذلك عائد إلى الحصار الذي يعاني منه المجاهدون خارج فلسطين للحيلولة بينهم وبين أعداء الله من بني يهود من جهة، ورمزاً لوحدة الهمِّ الإسلامي في كل أنحاء العالم من جهة أخرى، ولقد عرفت أرض الإسراء الشيخ عزام مجاهداً صادقاً في (قواعد الشيوخ) في غور الأردن أعوام ١٩٦٨م، ١٩٦٩م، ١٩٧٠م، وقد استشهد الشيخ ونفسه تهفو إلى الجهاد في فلسطين التي بقي معها ومع مجاهديها بقلبه ولسانه وقلمه».

ويقول عنه الأستاذ حيدر مصطفى: «عندما يتكلم عزّام فإنه يظهر بطبيعة قوية كطبيعة الموج في المد المرتفع، فليس في داخله إلاّ قلب غير هياب، إن

قانونه هو الثبات والاستقرار والتوازن والقصد. يجتهد أن يحكم على نفسه ولا يعبأ بأحكام الدنيا، ويقينه أن اللذة ليست في الراحة والفراغ، وإنما في مواصلة الجهاد وإقامة دين الله على الأرض في التعب والكدح والمشقة».

كما نظم فيه أبياتاً من الشعر؛ منها:

جهادُك قد أنار لنا الطريقا ... وأرشفنا على ظمأ رحيقا

ومن بحرٍ إلى برٍّ أمينٍ ... به أنقذتنا جسماً غريقا

وفي هذا الجهاد كتبت سفراً ... تحاكي فيه ماضينا العريقا

ركبنا فيه للعلياء متناً ... به جُزنا - إلى السهل - المضيقا

نسطره ملاحمَ شاهداتٍ ... ونرجع فيه للناس الحقوقا

ليصبح كل إنسانٍ عزيزاً ... ويغدو في الورى حراً طليقا

وقالت الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في نعيها له: «والهيئة إذ تنعى أحد



الشهيد عبدالله عزام ومراد شاه والقاضي حسين أحمد... واستراحة مجاهدين

أعضاء الجمعية التأسيسية، فإنها تنعى رجلاً عُرف بالإخلاص والورع والتقوى، رجلاً باع نفسه لله فهاجر هو وأهله إلى مدينة بيشاور، ليشاركوا المجاهدين الأفغان جهادهم وتضحياتهم، رجلاً طلّق الدنيا فعاش في ساحات الجهاد وميادينه يطلب الشهادة في سبيل الله.. رجلاً عرف بالشجاعة والتضحية والفداء، فلم يخش تهديدات الأعداء بقتله واغتياله».

كما رثاه الشاعر أحمد محمد الصديق فقال:

قضى شهيداً وفي جفنيه أحلام ... وملء جنبيه أشجان وآلام
في قلبه الجرح مذ ضاعت مرابعه ... وضجّ بالمحنة النكراء إسلام
قضى شهيداً.. وفي أحشاء غربته ... تطوى على الجمر أيام وأعوام
عرى العقيدة في (الأفغان) تربطه ... وفي فلسطين بعد الدين أرحام
وكان يرجو مع الأبرار عودته ... يوماً.. ومن حوله جند وأعلام
«القدس» تبكي وما في القوم معتصم ... شاكي السلاح.. ولا للحرب «قسّام»

لقد تربى الأخ الشهيد عبدالله عزّام في مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا الذي يقول في رسالة الجهاد: «لقد فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة، لا مناص فيها ولا مفرّ معها، ورغب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عربون النصر في الدنيا وعنوان الفوز والفلاح في العقبى، وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات، ورماهم بأبشع النعوت والصفات. ولست تجد نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنياً عُني بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفاً واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق، كما تجد ذلك في دين الإسلام وتعاليمه.

وإن الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الميتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة، وما الوهن الذي أذلنا إلاّ حب الدنيا وكراهية الموت». ا ـ هـ.

عرف الأخ عزّام دوره ومهمته في الحياة، وفقه الدرس الذي سطره الإمام حسن البنا في رسائله، وعاش التربية المنهجية التي يتخرج من خلالها رجال الإسلام ودعاة الحق والقوة والحرية.

ومن هنا ندرك هذا **الصدق في القول والعمق في الفهم** حين نقرأ وصيته: «لقد ملك حب الجهاد عليّ حياتي ونفسي ومشاعري وقلبي وأحاسيسي.. إن التعلّل بالآمال دون الإعداد، لهو شأن النفوس الصغيرة التي لا تطمح أن تصل إلى القمم، ولا أن ترقى إلى الذرا.. إن الجوار في المسجد الحرام وعمارته لا يمكن أن يقاس بالجهاد في سبيل الله.. إن ترك المسلمين في الأرض يذبحون، ونحن نحوقل ونسترجع ونفرك أيدينا من بعيد، دون أن يدفعنا هذا إلى خطوة واحدة تقدمنا نحو قضية هؤلاء، لهو ولعب بدين الله، ودغدغة لعواطف باردة كاذبة، طالما خدعت النفس التي بين جنباتها».

وهو يدرك تمام الإدراك مكائد الأعداء وحربهم على الإسلام وأهله ومخططاتهم لتصفية كل من يرفع راية الجهاد أو يعضد المجاهدين أو يطالب



الشهيد عبدالله عزام: صدق في القول، وعمق في الفهم، وقوة إرادة

بتطبيق شريعة الإسلام فيقول ـ قبل استشهاده بأيام ـ في حديثه لمجلة «المجتمع» بعددها الصادر يوم ٨ / ٤ / ١٤١٠هـ الموافق ٧ / ١١ / ١٩٨٩م: «.. وعندما أدرك الأمريكيون بأنه لا يمكن التعامل مع قادة الجهاد، قرروا تصفيتهم جسدياً، وبدؤوا يضغطون على الرئيس الباكستاني ضياء الحق. فلما رفض الخضوع لأوامرهم، وأعلن أنه سيطبق الشريعة الإسلامية قرروا تصفيته، وقد عرف ضياء الحق بقرار الأمريكان، فكان يصطحب السفير الأمريكي في كل رحلاته ومع هذا فقد قُتل معه في نفس الطائرة» انتهى.

مؤلفاته:

هذا هو المجاهد الشهيد، والعالم العامل والداعية المربي، والمهاجر في سبيل الله عبدالله عزّام حفيد المجاهدين مع القسّام والسائر على دربهم، وتلك مواقفه وأقواله وأعماله.

ولقد خلّف ثروة علمية من الكتب النافعة طبع له قرابة العشرين كتاباً، نذكر بعضها وهي:

آيات الرحمن في جهاد الأفغان، الإسلام ومستقبل البشرية، الحق بالقافلة، حكم العمل في جماعة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حماس: الجذور التاريخية والميثاق، الدفاع عن أراضي المسلمين: أهم فروض الأعيان، السرطان الأحمر، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، المنارة المفقودة، في الجهاد آداب وأحكام، جريمة قتل النفس المؤمنة، بشائر النصر، كلمات على خط النار الأول، دلالة الكتاب والسُّنَّة على الأحكام من حيث البيان والإجمال أو الظهور والخفاء؛ وهي رسالة الدكتوراه التي نوقشت في الأزهر.

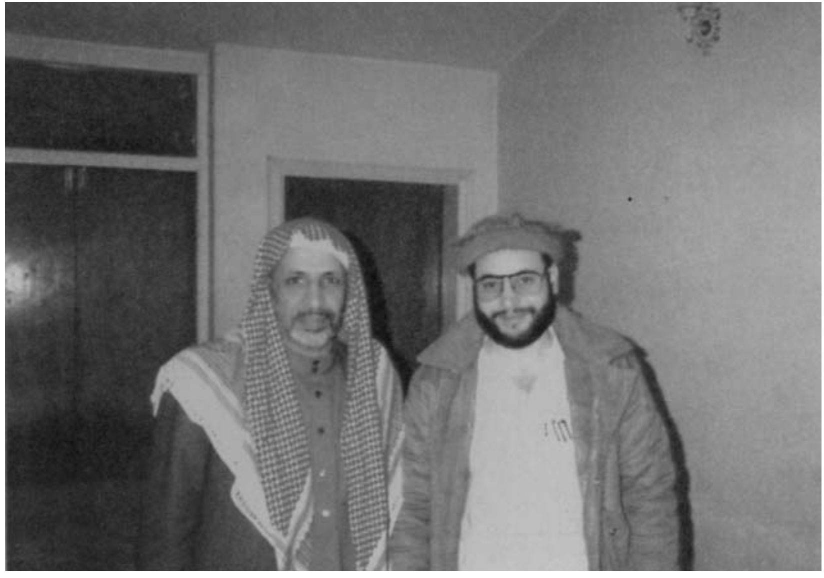
بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من المقالات والمحاضرات والأبحاث والدروس التي تعد بالمئات في مختلف الأماكن والأوقات.

لقد قدّم الشيخ عبدالله عزام بعلمه وعمله وجهاده وتضحيته وصبره وثباته

المثل لشباب الصحوة الإسلامية المعاصرة الذين يملؤون الساحة بحيويتهم ونشاطهم وتشرئب أعناقهم ليوم النزال مع أعداء الله في الأرض، وكذلك فعل من سبقوه من مشايخه وإخوانه الذين استشهدوا على أراضي فلسطين أعوام ١٩٣٥م، ١٩٣٦م، ١٩٤٨م، أو في قناة السويس سنة ١٩٥١م، أو على حبال المشانق أو زنازين السجون سنة ١٩٥٥م، و١٩٥٧م، و١٩٦٦م، وهذا هو طريق الدعوة والمجاهدة والصبر والمصابرة ومناجزة الأعداء أينما كانوا وحيثما وجدوا، والتمسك بعرى الإسلام والغيرة على محارم الدين والانتصار للمستضعفين في الأرض من المسلمين.

الصبر الجميل:

وعلى الرغم من أن اغتيال الشهيد عبدالله عزّام وولديه كان فاجعة للمسلمين في العالم، إلا أن زوجة الشهيد وأم الشهيدين محمد وإبراهيم قد أكرمها الله بالصبر، وزيّنها بالرضا بقضاء الله وسرّها استشهاد زوجها وولديها فأعادت لنا

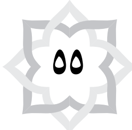


المؤلف مع أحمد منصور مراسل مجلة المجتمع سابقاً ومذيع الجزيرة حالياً

بموقفها موقف الخنساء من قبل حين استشهد أولادها، مما حدا بالأخت الفاضلة أمينة قطب أخت الشهيد سيد قطب وزوجة الشهيد كمال السنانيري أن تكتب رسالة لزوجة الشهيد عبدالله عزّام (أم محمد) تقول فيها:

«... ماذا أملك من قول أو حديث أمام تلك الصورة المضيئة الرائعة لإنسانة تفقد أحباء ثلاثة، فترى ذلك فضل الله وتكريمه باتخاذهم شهداء. لقد بهرني هذا المستوى من الإيمان والتجرد. لقد أكبرت فيك الوعي والصبر والتضحية، ورأيت فيك شريكة الحياة المثلى لإنسان مجاهد، نذر حياته لله وللجهاد في سبيله، في أي مكان وأي أرض يقوم فيها جهاد خالص لله. وفاز بالشهادة من طلبها وتمناها وعمل لها ووفى وصدق».

رحم الله أخانا الشهيد عبدالله عزّام، ورحم الله ولديه وجميع الشهداء الذين اختارهم الله لجواره وجمعنا الله وإياهم في مستقر رحمته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



الشيخ عبد الله علي المحمود

العالم الداعية والناصح المخلص

(١٣٢٧ ـ ١٤٢٠هـ = ١٩٠٩ ـ ١٩٨٢م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ عبدالله بن علي المحمود، ولد في ١٧ / ٢ / ١٣٢٧هـ الموافق ١٩٠٩م، في مدينة الشارقة، وقد نشأ في بيت صلاح وتقوى وفي كنف والده المصلح الكبير صاحب المدارس والأيادي البيض على التعليم وطلبة العلم في الإمارات ودول الخليج والجزيرة. درس بالمدرسة التيمية المحمودية التي أسسها والده، كما تلقى العلم على طائفة من المشايخ العلماء في الشارقة ومنهم: الشيخ عبدالكريم بن علي البكري والشيخ محمد بن فيصل والشيخ سالم اليماني، حيث درس عليهم التفسير والفقه والحديث واللغة وعلم الفرائض والسيرة والتاريخ وعلم الحساب، وقد رافق والده في أسفاره إلى السعودية للحج وإلى الهند للتجارة، كما درس على المشايخ في السعودية ومنهم الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ والشيخ محمد بن إبراهيم

آل الشيخ اللذان يعرفان والده ومبادراته الخيرية في التعليم.

وكان الشيخ عبدالله المحمود من الحريصين على قراءة الصحف؛ للاطلاع على ما يجري في العالم وبخاصة العالم العربي والإسلامي ومنها مجلات: الصراط المستقيم التي تصدر في العراق، ومجلة الشبان المسلمين، ومجلة الشورى، ومجلة الفتح في مصر، ومجلة أم القرى، ومجلة الإصلاح، ومجلة المنهل، ومجلة صوت الحجاز من السعودية، كما شارك مع إبراهيم المدفع، وعبدالله المطوع، ومبارك الناخي في تأسيس صحيفة «عمان» سنة ١٩٢٧م، وصحيفة «العمود» سنة ١٩٣٠م، وصحيفة «صوت العصافير» سنة ١٩٣٣م، كما كانت له مراسلات مع الشيخ محمد رشيد رضا، والشيخ عز الدين القسام، والشيخ أمجد الزهاوي، ومحمد نصيف، وبهجت البيطار، والمودودي، والندوي.

رحلاته الدعوية:

كانت له رحلات متعددةزار فيها العلماء في الكويت وقطر والبحرين وعمان والهند وباكستان، وكان من ثمار هذه الرحلات الدعوية، أن اتسعت دائرة معارفه وأصبح ذا تصور عالمي للدين والدعوة، وأصبحت له علاقات وثيقة برجال الفكر والدعوة في أنحاء العالم الإسلامي، وانطلق من تحركاته الدعوية وفق برنامج إسلامي عالمي يستفيد من كل الخبرات والتجارب للدعاة السابقين واللاحقين من الشيوخ والشباب.

ولقد سعدت به في زيارته للكويت أوائل السبعينيات، حيث شرفنا بجمعية الإصلاح الاجتماعي والتقى الإخوة يوسف جاسم الحجي، وعبدالله علي المطوع، وعمر عبدالرزاق الدايل وغيرهم من رجال الجمعية وشبابها.

كما زار المملكة العربية السعودية مرات عدة، قابل فيها الملك المؤسس عبدالعزيز وابنه الملك سعود، ثم الملك فيصل، الذين كانوا يوجهون دعوات له للزيارة ويكرمون وفادته ويستمعون بكل رحابة صدر إلى نصائحه.

شخصيته ومواقفه:

لقد كان الشيخ عبدالله علي المحمود يأسر جليسه بتواضعه وصدق لهجته وقوة حجته وعمق إيمانه وجرأته في الحق ونصرته للمظلومين وتصديه للظالمين، وقول كلمة الحق وإسداء النصيحة لكل مسلم لا يهاب في الله لومة لائم، وقد عرف الناس عنه ذلك سواء أكانوا حكاماً أم محكومين، كما عرفوا علمه وفضله وإخلاصه في النصح والمشورة وكان حكام الشارقة لا يطيقون غيابه، فيرسلون في طلبه. وفي الوقت نفسه كان عالي الهمة عفيف النفس، صادق الكلمة، يرفض أي عطاء ويقول:

إن خير ما تكرمني به أن تسمع مني ولا تتأثر بقسوة قولي، فأنا ناصح محب لك.

نشاطه العملي:

لقد شغل مناصب عدة في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة، فقد كان أول مدير للشؤون الإسلامية والأوقاف بالشارقة، وكانت إدارة الأوقاف في الشارقة قبل أن يتسلمها الشيخ المحمود، عبارة عن (دكان) في بيت قديم بإمارة الشارقة، وما كاد يتسلمها حتى نقلت هذه الإدارة إلى مبنى يليق برسالتها في نشر الدعوة الإسلامية في كل إمارات الدولة. وأصبح الاسم الجديد لهذه الإدارة (الأوقاف والشؤون الإسلامية) وتتفرع إلى ثلاث دوائر هي: إدارة الشؤون الإسلامية، إدارة المساجد، إدارة الأوقاف، وأصبح الشيخ المحمود الرئيس العام لهذه الهيئة. وكان المساعد له في الإدارة هو الدكتور عبدالودود شلبي الداعية الإسلامي المعروف.

وقد بدأت الإدارة بإقامة المواسم الثقافية التي يدعى لها كبار المفكرين والدعاة في العالم الإسلامي، كما أصدرت الإدارة سلسلة كتب تحت عنوان (قضايا إسلامية)، كما أنشأت قسماً لرصد الحركات التنصيرية في دولة الإمارات

والعالم العربي والتصدي لها، ولكن هذا القسم لم يستمر لأسباب غامضة.

وقد وجه الشيخ المحمود رسائل دعوية إلى حكام الإمارات جميعاً حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الفساد الذي استشرى بانتشار الخمور ودور اللهو والفساد في الفنادق وغيرها، وحذرهم من غضب الله وسوء العاقبة، إذا لم يتداركوا الأمر، كما حصل للمسلمين ببغداد على أيدي التتار، وما حصل للمسلمين بالأندلس؛ وبخاصة أن المبشرين النصارى ودعاة الماسونية والقاديانية بدؤوا التركيز على دولة الإمارات والتغلغل في كثير من مرافق الدولة، وختم الرسائل بقوله: «ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد».

كما أنه اختير عضواً في الهيئة التأسيسية لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضواً بالمجلس الأعلى العالمي للمساجد، كما كان عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، فضلاً عن اختياره عضواً في مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية وتولى منصب الرئيس العام لمركز الدعوة الإسلامية في إمارة الشارقة، كما عُهد إليه الإشراف على مشروع المصحف المسجل مع الترجمة الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم.

وهو المستشار لحاكم الشارقة في الشؤون الدينية وغيرها.

كل هذه المسؤوليات التي اضطلع بها تدل على مكانة الشيخ المحمود على مستوى الإمارات والعالم العربي والعالم الإسلامي.

مؤلفاته:

له من المؤلفات كتاب (حقوق الإنسان بين الإسلام والمذاهب المعاصرة)، وكتاب (الإسلام في أمريكا) وكتاب (خطبة الجمعة) وكتاب (الأسرة السعيدة) بالإضافة إلى الكثير من الرسائل في موضوعات شتى ومقالات وبحوث في معظم المجلات العربية والإسلامية، التي كانت له صلة قديمة ببعضها وإسهامات كبيرة في ترويج تداولها في مجتمع الإمارات والبلدان العربية والإسلامية.

كما أن له دوراً مهماً في توزيع الكتب الإسلامية في مختلف المعارف على المراكز والمؤسسات والجمعيات والمساجد في مختلف أنحاء العالم، وفي إهدائها إلى الزائرين لدولة الإمارات وبخاصة إمارة الشارقة، مقر مكتبته الكبرى.

معرفتي به:

بدأت معرفتي بالأخ الشيخ عبدالله علي المحمود أواخر الستينيات، وكنت سمعت من الكثير من إخواننا عن نشاطه الإسلامي الدعوي واهتمامه بأمور المسلمين ووقوفه مع أصحاب الحاجات، وحرصه الشديد على مساندة الدعاة إلى الله ودعمهم المعنوي والمادي، والاهتمام بأمور المسلمين على كل الأصعدة وفي كل المناطق.

ثم كان لقائي به في الكويت، حيث عرفته عن قرب ووقفت على الكثير من أخلاقه وصفاته واطلعت على جوانب نشاطه الذي ينظر إلى المسلمين كأمة واحدة تحتاج إلى التعاون فيما بينها متجاوزة الحدود الإقليمية والآفاق القطرية إلى العمل الدعوي العالمي لأن الرسول ﷺ رحمة للعالمين، والإسلام نظام عالمي شامل لكل مناحي الحياة، وعلى الدعاة أن ينطلقوا من هذه الرؤية وفق هذا التصور. وقد أعجبني فيه هذه الإطلالة الواسعة على واقع العالم الإسلامي ومشكلات المسلمين في أنحاء العالم، وتطلّعه لنشر الإسلام بين المسلمين ممن لا يعرفون عن الإسلام شيئاً.

ثم كانت لقاءاتي به في بريطانيا حيث كان مع أخيه الداعية الكويتي الشيخ عبدالعزيز علي المطوع المراقب العام للإخوان المسلمين سابقاً، فقد كانا يتباريان ويتنافسان على تقديم الدعم للدعاة، بل أسهم وإياه في شراء الكثير من الكنائس ببريطانيا وتحويلها إلى مساجد يؤمها المسلمون في صلواتهم ويمارسون من خلالها أنشطتهم الإسلامية.

ولا يكاد يسمع بمشكلة من المشكلات إلا وسارع في المشاركة بحلها حيثما

كانت وأينما وجدت، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، منطلقاً من فقهه لقول الحق تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ [الحجرات:١٠].

والشيخ المحمود من النماذج النادرة من الرجال الذين يسبق عملهم قولهم، فكثيراً ما تحدثه عن قضية من القضايا لتطلب منه العون، فإذا به يبادرك بأنه عالج المشكلة وانتهى أمرها.

ولقد زرت الشارقة أكثر من مرة ووقفت على الجهود المباركة التي يبذلها والمهمات الكبيرة التي يضطلع بمسؤوليتها ورأيت المكانة الكبيرة التي يتمتع بها في أوساط الجماهير وبين المسؤولين وأعيان البلد وخاصة العاملين بالحقل الإسلامي.

إن الشيخ عبدالله علي المحمود من النماذج الفريدة التي عرفتها وأحببتها من أول لقاء، فقد وقفت على الكثير من جهوده المباركة في ترسيخ أقدام الدعاة وشد أزرهم والوقوف إلى جانبهم أمام ممارسات الطغاة المستبدين، وكان يشيد بالإخوان المسلمين ويكبر صمودهم أمام البلاء.

لقد حدثني عنه الأخ الدكتور عبدالودود شلبي زميلنا بالدراسة في الأزهر الذي اختاره الشيخ المحمود ليكون مساعده وعضده في العمل لنشر الإسلام وخدمة المسلمين.

حدثني عن هذا الرجل الذي يبذل من ماله وجهده وعلمه ولا يبتغي بعمله غير وجه الله والدار الآخرة، حيث كان المحمود الرئيس العام لمركز الدعوة الإسلامية بالشارقة بتولية من حاكم الشارقة.

فانطلق يزور معظم أنحاء العالم مثل الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والنمسا وسويسرا، فضلاً عن البلاد العربية كمصر وتونس وليبيا والسودان إلى جانب الهند وباكستان وبنجلادش والصين وماليزيا وسنغافورة وهونج كونج، وغيرها من الدول الأوروبية والآسيوية والإفريقية، وقد تركت

زيـــارات الشيـخ المحمود لهذه الديار أبلغ الأثـر في ساكنيهـا من المسلمين والعاملين فـي الحقل الإسلامي، كما أنه وقف بنفسـه على أوضـاع المسلمين والمـراكز والمساجد الإسلامية في تلك الديـار، وحثهم على زيـارة الإمـارات وعرض طلباتهم لتوفيـر الدعم لها من الحكومات والمسؤولين ومن التجار المحسنين وجماهير الشعب المسلم في الإمارات والخليج والجزيرة.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ الداعية عبدالبديع الصقر: «إن الشيخ عبدالله علي المحمود مضرب المثل في الدعوة، فقد كان طاقة عجيبة، فهو اليوم في كندا، وبعد أسبوع في باكستان، وبعد شهر في الفلبين، وبعد أيام في أواسط إفريقيا، واستمر على ذلك حتى تقدمت به السن وصار يمشي الهوينى على عصاه..

لقد حكى لنا شقيقه عما حدث قبل وفاته بساعات... قال: اتصل من المستشفى الذي يرقد فيه بولدي في (أبوظبي) وقال له: «لا تنس يا ولدي أن تذهب للحاكم لترتيب قدوم المسلمين الأمريكان». وقال له طبيب المستشفى الإنجليزي: «لا تتكلم كثيراً لأن قلبك غير سليم»، فقال الشيخ لمن حوله قولوا للطبيب: «إني أرجو أن ألقى ربي بقلب سليم»، وكانت معه رسالة وصلت إليه من الهند فجعل يقرأها وهو يبكي ويرفع إصبعه إلى السماء، ولما هدأ قليلاً قال لأحد إخوانه: «أرسلوا تعزية للشيخ أبوالحسن الندوي في وفاة ابن أخيه، فقد كان من أهل الدعوة». لقد أخلص الشيخ عبدالله في الدعوة وأصبحت حياته كلها رحلات وأسفاراً في سبيل الدعوة للإسلام والعمل على نشره.. فهو صاحب تجربة خصبة وثرية في اتباع المنهج العلمي السليم في حياته وعمله. ومن يطلع على الصور التي لدى ابنه الدكتور سالم يدرك كثرة الأسفار والديار التي كان لها من نشاط الشيخ عبدالله المحمود الشيء الكثير».

ويقول الأستاذ عبدالفتاح سعيد: «لقد اقتفيت آثار الشيخ عبدالله المحمود خلال بعض جولاتي الصحفية فكنت كلما زرت داراً للأيتام أو مدرسة إسلامية لفقراء المسلمين، وجدت له فيها أثراً وذكرى عطرة.

لقد رافقته خلال عام ١٩٧٦م في مهمة بمدينة اسطنبول، حيث كان عضواً في وفد دولة الإمارات العربية المتحدة لمؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية، فوجدته رغم كبر سنه يتحرك بين الوفود والقيادات الإسلامية، ولا همَّ له إلا جمع التأييد والدعم لقضايا المسلمين في الفلبين وتايلاند وفلسطين وقبرص وتركستان، وفي كل مكان من العالم يعاني فيه المسلمون من الضغوط وحروب التصفية والإبادة».

ويقول د. عبدالودود شلبي: «لقد عرفت الشيخ عبدالله علي المحمود عن قرب، ووقفت على الكثير من خصاله وشمائله، فوجدت فيه الداعية المخلص لدعوته الذي يبذل الوقت والمال والعافية فيما يرضي الله عز وجل، ويقدم الخير للمسلمين في مختلف أصقاع الدنيا، حيث يزورهم في بلدانهم ويحسن وفادة وإكرام وضيافة الوافدين منهم إلى دولة الإمارات وبخاصة إمارة الشارقة، مما يدخل السرور على قلوبهم ويعودون إلى أوطانهم، وألسنتهم تلهج بالشكر والدعاء له».

أقواله:

«إن العبادات التي شُرعت واعتبرت أركاناً للإيمان ليست طقوساً تؤدى، شأنها في أي دين آخر، بل هي ـ فوق كونها عبادات وأركاناً للإيمان ـ دروس يومية للتدريب على أصول التربية والأخلاق، نرى ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**﴾ [العنكبوت:٤٥]، فالابتعاد عن الرذائل والتطهر من سوء القول والعمل هو حقيقة الصلاة، لذلك يقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على

خلقي، ولم يبت مصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب».

ونرى ذلك أيضاً في الزكاة، لأن الغاية منها ليست إخراج قدر معين من المال بقدر ما هي تدريب نفسي لغرس مشاعر الحنان والتعاطف بين بني الإنسان.

وكذا الحال في الصيام، فالغاية من الصوم هي التقوى. والحج كذلك يربي الخلق في المسلم ويعوده الصبر والمثابرة والإقبال على الله والوحدة بين المسلمين».

ومن أقواله أيضاً: «إن التبشير المسيحي بدأ يزحف على المنطقة في صورة مدارس تبث سمومها في عقول الناشئة، وفي صورة مستوصفات تكتب الكفر في «الوصفات الطبية» وفي صورة كنائس ترتفع صلبانها الكبيرة، وفي سيل من الكتب والنشرات المزورة، وفي هذه المؤتمرات السرية والمعلنة، وفي هذا التخطيط الرهيب للزحف على مكة، كما جاء في نشرة من هذه النشرات السرية.

وهناك الماسونية التي ثبت ارتباطها بالصهيونية اليهودية العالمية، والتي اكتُشف أمرها في جميع البلدان العربية والإسلامية.

وهناك القاديانية التي ثبت خروجها على إجماع الأمة وعن الدين والملة، وهم منتشرون بكثرة في وظائف الدولة، وقد اشتهر هؤلاء القاديانيون بعمالتهم وتبعيتهم للدوائر الاستعمارية، وتآمرهم على أهل السنَّة والجماعة».

ولقد استفدت من كتاب الأستاذ عبدالله الناطور الذي ألفه عن آل المحمود وتناول جانباً من حياة أخينا الشيخ عبدالله المحمود رحمه الله.

رثاؤه:

يقول أخوه الشيخ محمد علي المحمود: «كان رجلاً قوي البأس، قوي النفس، قوي الإرادة، قوي الروح، متوقد الذهن، زكي الفؤاد، معواناً للخير،

ثائراً على الظلم، وبفقده فقدت الدعوة الإسلامية رائداً من روادها، وعلماً من أعلامها، وحصناً حصيناً من حصونها، طالما لبى نداءها وقت النداء، وأحاطها بماله وروحه عند الشدة والعسرة.

لقد كانت داره محط ترحال العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء، كما كانت منتدى رائدي الفكر والمعرفة ومجمع الباحثين عن الهداية والرشد من طلاب الدين والعلم، كما كانت في الوقت نفسه دار الكرم والسخاء لطلاب العطايا والمنح يؤمها القاصرون، فلا يعودون إلا وألسنتهم تلهج بالذكر والثناء.

كان يجهر بكلمة الحق مدوية في كل مكان، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ذا قلب ذاكر، ولسان شاكر، وفكر عابد، سعادته في معايشة القرآن، ومدارسة السنة، ومحاربة البدعة، ومخالطة الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه».

ومن قصيدة للشاعر أحمد محمد الصديق:

رحلت عن الدنيا وأنت كريم ... وإن فراق المصلحين أليم
حياتك ما كانت سوى البر والتقى ... ونهجك في نصح العباد قويم
ختمت على التوحيد عمراً مجاهداً ... وربك بالسر الخفي عليم
وكنت على أرض الخليج منارة ... تضيء ولا تثني الشعاع تخوم
ألست الذي في الحق مازلت ناصراً ... وفضلك في صنع الجميل عميم
وعن حرمات الدين كنت مكافحاً ... وقد عرف الإقدامَ فيك خصوم
وكم شرح الرحمن صدراً هديته ... إلى الحق بالحسنى.. وأنت حكيم
وسعت قضايا المسلمين كأنما ... بجنبيك هاتيك الجراح تقيم

***

ومن قصيدة للشيخ محمد سليمان البحيري:

علامَ يلام الشعر إن ظل راثيا وفيمَ يلام الدمع إن سال قانيا
فقدت حبيباً ما رأيت مثاله ولا غاب عني فضله ما عشت باقيا
فلم أر وداً قبله كان صافياً ولم أر قلباً قبله كان حانيا
فصرت وحيداً لا يكفكف عبرتي خلٌّ يداوي جرح قلبي مواسيا
إلى الله أشكو ما يلم بمهجتي من الحزن كم يفري الضلوع الحوانيا
كما حارب الإلحاد عذب لسانه تصدّى كسيفٍ باليمين يمانيا
فكم رحلة لله جد بها النوى فأظهر ديناً كان في الناس خافيا
فما كنت تخشى في الإله ملامة يلوذ بك المظلوم إذ كنت حاميا

***

ومن قصيدة للشيخ عليوه مصطفى:

كيف أرثي مجاهداً وإماما عاش للدين ماجداً وهماما
إنه الحق زاده وهداه يعرف الدين رحمة وسلاما
لم ير الحقد إذ يراه كثير بل تراه من التقى بسَّاما
موئل الناس في المكارم طراً في سبيل الحنيف يحمي الذماما
كان كالغيث حيث حل كريماً ينشر الدين عادلاً قواما
من لركب من الحفاة حيارى يا لقومي ومن يعول اليتامى
كان يلقى جموعهم في سرور ويواسي بماله الأرحاما

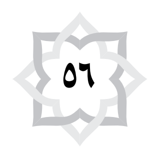
وفاته:

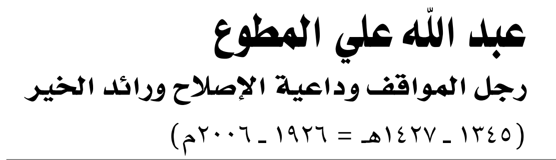
وفي ليلة الاثنين ٢٧ من جمادى الأولى ١٤٠٢هـ الموافق ١٩٨٢م، خسرت الشارقة أحد رموزها الكبار، حيث انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ الجليل

عبدالله بن علي المحمود، العالم العامل، والداعية المتجول، والناصح المخلص. نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يغفر لنا وله، وأن يحشرنا جميعاً مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.







عبد الله علي المطوع

رجل المواقف وداعية الإصلاح ورائد الخير

(١٣٤٥ ـ ١٤٢٧هـ = ١٩٢٦ ـ ٢٠٠٦م)

مولده ونشأته:

ولد الأخ الحبيب والخل الوفي، رفيق الدرب في طريق الدعوة إلى الله الشيخ عبد الله بن علي بن عبدالوهاب المطوع القناعي في مدينة الكويت ١٣٤٥هـ ـ ١٩٢٦م، ونشأ في أسرة متدينة محافظة تُعنى بتربية الأولاد على منهج الإسلام، فنشأ شاباً صالحاً ومسلماً عاملاً بتعاليم الإسلام، ملتزماً بسلوكه وآدابه وكان هذا سمته طيلة عمره.

ولقد أكرمه الله في وقت مبكر من شبابه أن يلتقي بإمام الدعوة ومجدد القرن الإمام الشهيد حسن البنا في الحرمين الشريفين بدلالة أخيه الأكبر عبدالعزيز الذي سبقه إلى التعرف على دعوة الإخوان المسلمين ومؤسسها وقادتها، ومنذ ذلك الوقت والأخ أبوبدر يسير في خط الجماعة ويلتزم منهجها ويطبق برامجها ويبذل الغالي والنفيس في دعمها، باعتبارها حركة الإصلاح والتجديد في هذا

العصر، والأمل الذي تتطلع إليه القلوب لجمع شمل المسلمين وتبصيرهم بحقيقة الإسلام المستقى من الكتاب والسنة والعمل الجماعي المنظم ذي الطابع العالمي الذي ينتظم المسلمين في جميع أنحاء العالم للانضواء تحت رايته وتحقيق أهدافه.

وهكذا كانت سيرة الحبيب أبي بدر وكان توفيق الله له في العمل التجاري سبباً في زيادة السخاء والدعم لكل عمل يرضي الله عز وجل ويحقق الخير للمسلمين ويرفد الدعاة إلى الله في هذا العصر في كل مكان.

ولست بحاجة لذكر تفاصيل ما كان يقوم به أو المناطق التي وصلها خيره وبره، فهذا أمر معروف ومشاهد لدى المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي وبخاصة رجال الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، فهم يشهدون له بالقدم الراسخة في هذا الميدان واليد الطولى في تعزيز مسيرة العمل الإسلامي.

ولقد وقفت على الكثير من ذلك بحكم قربي منه ومعايشتي له أكثر من نصف قرن في إطار العمل الدعوي على المستويين المحلي والعالمي، ويشهد الله أنه كان سبّاقاً في كل ميدان من ميادين الخير لا يجاريه أحد من أقرانه وإخوانه، وكان صاحب دعوة ومربياً من الطراز الفريد المتميز الذي يسع الصغير والكبير، والأمير والفقير، بحيث يترك أطيب الأثر في النفوس لصدق نيته ونبل غايته، وحسن أسلوبه، وسعة صدره في استيعاب المخالفين من إخوانه أو خصومه على حد سواء، وكان يتميز بالصبر والمصابرة والعمل الدؤوب لتحقيق ما يؤمن به من أهداف الإسلام، فلا يكلّ ولا يملّ، وهذا شأنه في السفر والحضر ومع مختلف الأشخاص، فلا يملك الآخرون إلا التسليم بوجهة نظره والاقتناع برأيه، والسير معه في طريق الحق والخير الذي فيه النجاة في الدنيا والآخرة.

مسيرته:

إن المتأمل في سيرة الأخ أبي بدر يدرك عمق الإيمان وحسن التوكل والثقة بما

عند الله، فلا يخاف من مغريات الدنيا، ولا يضعف أمام تهديد الطغاة ولا يتهالك على جمع المال للتبذير والإسراف أو الملاهي والملذات أو البذخ أو الترف، بل يكدح الليل والنهار لجمع المال وتثميره وتنميته ليزداد الريع فيما ينفق من أبواب الخير في أصقاع الدنيا، وها هو ذا يضرب لنا المثل الحي في تنمية ثلث والده يرحمه الله علي عبدالوهاب حتى صار أضعافاً كثيرة، ومن ألوف الروبيات إلى ملايين الدنانير، فعمَّ نفع المسلمين منه بكل مكان، وعهد للأوقاف بتوليه وإدارته قبيل وفاته.

وكذا شأنه في تجارته حيث هو من الدقة في الحساب والتوفير وعدم الإسراف على الكماليات والالتزام الصارم بالمعاملات الإسلامية في البيع والشراء والأخذ والعطاء، فلا يعرف الرشوة ولا الربا ولا أي لون من ألوان الغش أو التدليس أو الغرر، ويحاسب نفسه وإخوانه وأولاده والعاملين معه محاسبة صارمة جداً دون هوادة أو لين.

ومن لا يدرك بواطن الأمور يظن لأول وهلة أن الأخ أبا بدر حريص على جمع المال وتكديسه، ولكن الصحيح أنه يؤمن بأن المال هو مال الله، فهو حريص على صيانته وتنميته لينفق في سبيل الله، وأنه مؤتمن على هذا المال فلا يضعه إلا في أيدي مستحقيه في أي مكان من العالم.

ولن أنسى له المواقف الكثيرة على مدى سنين حين يسألني عن الجهات المستحقة في أصقاع الدنيا لإيصال العون إليها، بل كثيراً ما يطلب مني أن أقترح الجهة والمبلغ اللازم لها على ضوء معرفتي واطلاعي أثناء زياراتي الدعوية للأقطار.

بل أحياناً كثيرة يسألني أنه قرر صرف المبلغ كذا لجهة كذا فهل يكفي أم يزيده؟ هكذا شأنه دائماً، ولقد كنت أسأله بعض الأحيان: هل يرسل إلى الجهة الفلانية؟ فيكون الجواب بأنه قد أرسل إليها بالفعل.

ولا أعرف طوال هذه السنين أن جهة مستحقة سألته شيئاً من مال الله وكانت

موضع الثقة إلا وكان مسارعاً لمساعدتها ما دامت تدخل في المصارف الثمانية من مصارف الزكاة، بل إن له نفقات غير الزكاة، وريع الثلث وهي صدقات وتبرعات يدفعها على مدار العام للأشخاص والأسر والجهات وتفريج كروب المكروبين وإغاثة المنكوبين.

وكثيراً ما كان يكلفني بالاتصال ببعض الجهات والاطلاع على أوضاعها وتقدير احتياجاتها على ضوء الزيارة الميدانية والاتصال المباشر.

أما المساعدات للأسر والأفراد داخل الكويت وخارجها فحدث ولا حرج حيث لا يحصيها إلا الله عز وجل.

وليس هذا الموقف معي وحدي بل هو مع الكثير من إخوانه وتلامذته الذين يثق بهم ويطمئن إلى حسن تقديرهم.

وعن المبادرات السخية في النكبات فهذا شيء يشهد به العالم العربي والإسلامي كله، فهو الرائد فيه والقدوة التي يسير خلفها الآخرون لإيمانهم بصدقه وحسن تقديره للوقائع والأحداث والأشخاص والجماعات والهيئات.

إن هذه صورة مشرقة مضيئة لهذا الأخ المسلم الذي تربى في رحاب الإسلام، وفقه الدين من الكتاب والسنة على أنه نيّة خالصة وقول صادق وعمل مخلص وبذل وعطاء في سبيل الله والمستضعفين في الأرض، فالمال مال الله والخلق عباد الله وهم مستخلفون على هذا المال لينفقوه في الوجوه التي أمر الله أن ينفق فيها دون تأخير أو تعطيل.

وأحسب والله حسيبه أن الأخ أبا بدر كان من القلائل الذين عرفوا مهمتهم من جمع المال بالطريق الحلال وإنفاقه على المحتاجين من عباد الله حيثما كانوا وأينما وجدوا، وقد بارك الله في ماله وعمره وعمَّ الخير أنحاء الدنيا بفضل توفيق الله له. وهذا هو الأثر الباقي الذي سيلحقه أجره بإذن الله تعالى بعد وفاته.

معرفتي به:

عرفته منذ أكثر من نصف قرن، حيث كانت أولى زياراتي للكويت ١٩٥٥م، في طريقنا للحج مع بعثة مدرسي مدرسة النجاة الأهلية في الزبير، وكنت قبلاً أسمع عنه من خلال إخواننا في جمعية الإرشاد الذين زارونا في الزبير وعن طريق أخيه عبدالعزيز الذي كان يتردد على العراق وعلى مصر أثناء دراستي الجامعية فيها (١٩٤٩م ـ ١٩٥٤م).

وحين التقيت الأخ أبا بدر وجدتُ فيه الصورة الصادقة للمسلم الملتزم بدينه العامل في سبيل نشر دعوة الإسلام، الباذل قصارى الجهد والمال والوقت لإعلاء كلمة الله ونصرة المستضعفين من المسلمين في كل مكان ثم تكررت زياراتي (سنة ١٩٥٨م) للكويت حتى استقر بي المقام فيها في فبراير ١٩٥٩م، حيث عملت في رئاسة المحاكم رئيساً لقسم التنفيذ، ثم مديراً للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف، ثم مستشاراً للوزارة، وظلت الصلة واللقاءات مستمرة إلى ما قبل شهر من وفاته، حيث كان عندنا في الأردن قبل توجهه مع أسرته إلى «أبها» ومنها إلى الكويت.

لقد كان الأخ عبدالله المطوع شعلة من النشاط والحيوية في كل مجال من مجالات الخير لا يجاريه في هذا المجال حتى الشباب الأشداء من رجال الدعوة، فلا يعرف الدعة والهدوء، بل ينطلق في عمله في الليل والنهار والسفر والحضر ولا يؤخر عمل اليوم إلى الغد، ويأخذ بالعزائم في كل أموره حتى أثناء مرضه وكبر سنه.

ولقد سعدنا بزيارة إخواننا من شباب جمعية الإرشاد بالكويت الذين زارونا في الزبير بجمعية الأخوة الإسلامية وفي مدرسة النجاة الأهلية، كما قمنا بزيارة إخواننا في الكويت مرات عدة بجمعية الإرشاد في العام ١٩٥٥م، وما بعده.

وكنت في مصر قبل تخرجي عام ١٩٥٤م قد التقيت الطلبة الكويتيين الدارسين بمصر مثل: الأخ عبدالرحمن المجحم وعبدالله علي العيسى،

وعبدالعزيز عبدالقادر، وغيرهم الذين أثنوا الثناء الحسن على جمعية الإرشاد الإسلامي وشبابها ونشاطها، وخصّوا بالذكر الإخوة: عبدالعزيز المطوع وعبدالله المطوع ومحمد العدساني وعبدالله سلطان الكليب وغيرهم، وبعد إقامتي الدائمة في الكويت من سنة ١٩٥٩م إلى سنة ١٩٨٧م كان التعاون مع الإخوان في الإرشاد من خلال المدرسة التي بقيت بعد أن حُلت الجمعية والأندية سنة ١٩٥٨م، وكان نشاطنا في المحاضرات والدروس والرحلات والندوات، ولقد كان للعم الحاج عبدالرزاق الصالح المطوع والأخ عبدالله علي المطوع، والشيخ عبدالرحمن الدوسري، والأخ محمد عبدالله بودي، والأخ خالد الرويشد، والأخ سالم تركي الفرج، والأخ غانم الشاهين، وغيرهم، دورهم البارز في النشاط الإسلامي بالكويت.

وقد تمَّ في تلك الفترة استضافة العلامة الشيخ أبي الأعلى المودودي من باكستان، والأستاذ غلام محمد رئيس المؤسسة الإسلامية في كينيا، وكان الأخ عبدالله المطوع هو محور النشاط للعاملين في الحقل الإسلامي بالكويت من الكويتيين والمقيمين على حد سواء. فهو القاسم المشترك بين الجميع والذي تجتمع عليه القلوب وينهض بتبعة رص الصفوف وتوحيد مسار العمل الإسلامي ليؤتي أطيب الثمار، وأحسن الآثار، كما كان همزة الوصل مع العاملين في الدعوة إلى الله في كل مكان، حيث يزورهم في بلدانهم ويزورونه بالكويت، ويضطلع بدور المنسق للنشاط الإسلامي وتسديده وترشيده ودعمه وتعضيده واحتضان العاملين في الميدان الدعوي وتسهيل مهمتهم لأداء رسالة الإسلام في الدعوة إلى الله ونشر الخير بين الناس.

وقد وفقنا الله وإياه والإخوة العاملين معنا في ركب الدعوة الإسلامية المباركة، إلى أن نسهم في كثير من المشاريع كمكتبة المنار الإسلامية ١٩٦٠م، وجمعية الإصلاح الاجتماعي ١٩٦٣م، ومجلة المجتمع ١٩٧٠م، ومدرسة النجاة الخاصة ١٩٧٠م، ودورات تحفيظ القرآن الكريم، ومعارض الكتاب الإسلامي والمواسم

الثقافية واستضافة الوفود والمحاضرين وإقامة المشاريع الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية والصحية والرياضية، كما وفقنا الله لاستقدام أعداد كبيرة من كبار العلماء والدعاة في العالم العربي والإسلامي بالتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، حيث سعدت الكويت بثلة من هؤلاء العلماء الأجلاء في مختلف جوانب المعرفة، فكان الشيخ محمد أبوزهرة والدكتور عيسى عبده إبراهيم، والشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ صلاح أبوإسماعيل، والشيخ حسن أيوب، والشيخ حسن طنون، والأستاذ البهي الخولي، والشيخ الفاضل بن عاشور، والشيخ محمد محمود الصواف، والدكتور المهدي بن عبود، والشيخ عبدالمنعم تعيلب، والشيخ حسن مراد مناع، والشيخ محمد الغزالي، والأستاذ يوسف العظم، والدكتور يوسف القرضاوي، والشيخ عبدرب الرسول سياف، والشيخ برهان الدين رباني، والدكتور زغلول النجار، والدكتور أحمد العسال، والدكتور عبدالله عزام، والدكتور محمد محمد حسين، والشيخ فتح الله بدران، والشيخ عبدالمنعم النمر، والشيخ أحمد جلباية، والدكتور سعد المرصفي، والدكتور توفيق الواعي، واللواء محمود شيت خطاب، والشيخ مصطفى الزرقاء، والدكتور حسن هويدي، والشيخ مناع القطان، وغيرهم كثيرون لا تحيط بهم الذاكرة.

كما كانت زياراتنا الدعوية برفقته إلى كل من مصر والأردن والبحرين والسودان ذات مردود طيّب في تعضيد العمل الإسلامي ورفده ودفعه خطوات لمزاحمة الأفكار الوافدة من الشرق والغرب التي تريد صرف المسلمين عن دينهم بالدعوات العلمانية والثقافة التغريبية والمناهج الوضعية.

ومن المواقف الرجولية للأخ المطوع استضافته الفريق الركن الطيار عبدالمنعم عبدالرؤوف وحمايته، بعد أن حكم عليه الطاغية عبدالناصر بالإعدام غيابياً بعد فراره من مصر فكان في مأمن ولا يعرف عنه أحد شيئاً بعد الله سوى الأخوين كمال القزاز وسيد محمد صالح، وكانت لقاءات العمل الدعوي تتكرر

كل عام تقريباً من خلال مجلس الشورى العام الذي كان أبوبدر من الأعضاء العاملين فيه والذي يعقد معظم اجتماعاته في البلاد الإسلامية والأوروبية كتركيا وباكستان وألمانيا وسويسرا وبريطانيا وفرنسا وغيرها حيث يحضر ممثلو الإخوان من الأقطار كافة لدراسة واقع العمل الإسلامي والأوضاع في البلاد العربية والإسلامية وأحوال المسلمين ومشكلاتهم وسبل علاجها.

وكان الأخ أبوبدر يحرص على اللقاء بإخوانه مهما كانت الظروف ويشارك مشاركة فعالة في الرأي والمشورة واتخاذ القرارات.

كما كان للأخ المطوع الدور الكبير في إقامة معسكر الشيوخ بمنطقة الأغوار في الأردن لمناجزة اليهود، ذلك المعسكر الذي قدم الكثير من الشهداء من شباب الحركة الإسلامية الذين سطروا ببطولاتهم أروع الملاحم وأعادوا الكرامة إلى الأمة التي فجعت بهزيمة ١٩٦٧م.

من أقواله:

«لقد نشأت في أحضان أسرة ملتزمة تخشى الله وتتبع سنة رسوله، وكان أخي الأكبر عبدالعزيز المطوع له صلة بالحركات الإسلامية والعمل الإسلامي، حيث كانت صلته بالإخوان المسلمين تحديداً ومكتب الإرشاد في مصر آنذاك قوية ووطيدة، وكانت مطبوعات الإخوان المسلمين تصل إلى الكويت، كما انتشر مدرسو الإخوان المسلمين في معظم البلدان العربية ومنها الكويت والسعودية والعراق، وغيرها، ولهؤلاء فضل كبير على هذه البلدان، لما أشاعوه بها من قيم إسلامية نبيلة لا تعرف التطرف أو الغلو، وإنما تعرف الوسطية والاعتدال.

ولما كان أخي عبدالعزيز له صلة بهذا العمل الإسلامي المنظم وهو عمل جماعة الإخوان المسلمين، فقد تأثرت بهذا التوجه وتشكلت لدي الخلفية الإسلامية من خلال هذا الفكر الإسلامي الصحيح، وقد كان لهذا الفكر الحي النابض دور كبير في نشر قيم الخير والدعوة والانتماء إلى الأمة، حيث

كنا نعيش في عهود الذل والاحتلال الغربي الجاثم على نفوسنا.

لقد تمكن الإنجليز من فرض هيمنتهم على معظم العالم الإسلامي والأقطار العربية بعد إسقاط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م.

وجاؤوا بمصطفى كمال أتاتورك ورفاقه من يهود الدونمة ليقودوا هذه الأمة إلى الهاوية، لكن الله عز وجل سخر لهذه الأمة حركة الإخوان المسلمين التي قامت من أجل تحريرها وإعادتها إلى هويتها، واستطاعت هذه الحركة المباركة أن تؤسس عملاً إسلامياً منظماً يدفع في الاتجاه الصحيح وحمل لواء تحرير المجتمعات العربية والإسلامية مما زرعه الاستعمار من الحركات والتيارات التغريبية التي زرعتها القوى الاستعمارية في بلادنا.

كنا نسير في عملنا الدعوي وفق آليات مستفيدين من مناهج الإخوان المسلمين في التربية والتوجيه والتي مردها إلى الكتاب والسنة، ووجدنا في تجمع الإخوان المسلمين آنذاك نموذجاً يحتذى، مما جعلنا نتبنى طروحاتهم الطيبة ومسيرتهم الخيّرة.

وبعد أن كرسنا جهودنا في النطاق المحلي اتجهنا إلى توسيع نطاق نشاطنا الإسلامي، وبدأنا في تنميته من خلال استضافة العلماء والمحاضرين، وعندئذ أصدرنا مجلة «الإرشاد الإسلامي» ودعونا الأخ البشير الإبراهيمي نائب الشيخ عبدالحميد بن باديس رحمه الله زعيم الحركة الإسلامية التي أنقذت الجزائر من الانسياق وراء فرنسا لغوياً وفكرياً، وألقى الشيخ الإبراهيمي العديد من المحاضرات القيمة في الكويت والخليج وحضرتها أعداد كبيرة من الناس، كما دعونا الأخ الفضيل الورتلاني وهو من الشخصيات الجزائرية أيضاً، وكان محاضراً لبقاً وخطيباً مفوهاً، وقد دعونا المجاهد التونسي محيي الدين القليبي والشيخ مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية وغيرهم وقد أسهم هؤلاء العلماء المحاضرون في تنمية الحركات الدعوية الإسلامية في الكويت، وهنا ثارت ثائرة كثير من القوى التي يقف خلفها الاستعمار فتمكنا

بفضل الله من إحباط مخططاتهم، واستطعنا أن نسيطر على الساحة تقريباً، إلى أن جاء المد الناصري الاستعماري الذي وقفت خلفه قوى استعمارية وساعدته على الانتشار.

إن تكويني الفكري والثقافي تشكل من خلال اتصالي بالناس وقراءة الكتب وحضور مجالس العلم والاحتكاك بالعلماء، خاصة قادة جماعة الإخوان المسلمين وعلى رأس هؤلاء الإمام الشهيد حسن البنا الذي التقيته مع أخي عبدالعزيز في المدينة المنورة ومكة المكرمة (١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م) وحضرت له محاضرة في المدينة المنورة وأهدى لي كتاب «الرحلة الحجازية» وكتب الإمام البنا بخط يده على الكتاب ذكرى اللقاء المبارك في الحرمين الشريفين، وبعد هذا التاريخ بحوالي ٦٠ عاماً زارني ابنه المستشار سيف الإسلام البنا بالكويت، وقصصت عليه ما حدث واطلع على الكتاب الذي مازلت أحتفظ به فصور الصفحة التي عليها إهداؤه وتوقيعه واسم الكتاب.

وما زلت أحتفظ بمحاضر جمعية الإرشاد آنذاك وهي بخط الأخ محمد العدساني الذي كان أمين السر، وكان معنا الأخ عبدالله سلطان الكليب في قيادة الحركة، ومنذ ذلك التاريخ وأنا مع إخواني الدعاة العاملين اليوم أنظر إلى إنتاجهم بفرح عظيم. فالحركة الإسلامية في الكويت تمتلك مؤسسات جادة تعمل في ميادين مختلفة لصالح أبناء الوطن. ورغم المد الفكري الوافد من الشرق والغرب نشطت الحركة الإسلامية وأثبتت قدرتها على أنها التنظيم الوحيد على الساحة العربية والإسلامية القادر على تحقيق آمال الشعوب، برغم ما واجهته من تضييق عبر حكام موالين للغرب تارة وللشرق تارة أخرى.

إن الغزو العراقي للكويت لم يكن وليد الصدفة، بل كان مخططاً له منذ سنوات طويلة من قبل القوى الأجنبية التي لها استراتيجيات مدروسة في المنطقة، فقد خططت هذه القوى لهذا الغزو الغاشم ودفعوا حاكم العراق الظالم صدام حسين لارتكاب هذه الجريمة النكراء، وكان الغرب قد جاء بهذا الطاغية

المغرور إلى حكم العراق وقد استفاد منه في تدمير الأمة، وتقطيع أوصالها، وكان الهدف من هذه المؤامرة الكبرى، العمل على إيجاد قواعد أجنبية في المنطقة والتواجد قرب منابع البترول وتدمير الآلة العسكرية الضخمة في العراق، وفي الوقت الذي لم تكن هناك قوى لردع هذا النظام الغاشم جاء الجيش الأمريكي وفق خطة مرسومة ومعروفة وطرد القوات العراقية وحطم أسلحتهم العسكرية. ولا نستطيع أن ننكر أن القوى الأمريكية والأوروبية وحليفاتها التي جاءت للكويت كانت لها غايات وأهداف مرسومة ومعروفة، وبالفعل تحقق لهم ما أرادوه من طرد صدام ومحاصرته وشل حركته وبناء قواعد عسكرية لهم في المنطقة والتحكم في نفط العراق ووارداته، حتى أصبح العراق مشلول الحركة، ومنذ ذلك التاريخ «مطلع التسعينيات» وهذه القوى تعد لغزو العراق مجدداً وبالفعل قامت باحتلاله واعتقال رأس نظامه البائد، وبطانته السيئة، تلك العصبة الباغية، وهم الآن رهن الاعتقال والمحاكمة في وضع مهين جراء ما اقترفته أيديهم الآثمة ضد شعبهم وجيرانهم.

ولقد كان لقيادة جماعة الإخوان المسلمين بمصر مواقف مشرفة، حيث أبدوا استعدادهم وتأييدهم للقضية الكويتية بعد حفل عشاء أعدوه لنا ولإخواننا الذين كانوا معنا. وبعد عودتنا من القاهرة، بدأنا نخطط لمؤتمر جدة وكان لأعضاء جمعية الإصلاح الاجتماعي دور طيب ومرموق في هذه الفعالية التاريخية، وكذلك عموم الإخوة الكويتيين الموجودين في جدة وقد حصل خلاف بين الشيخ سعد وعبدالعزيز الصقر كاد أن يؤدي إلى فشل المؤتمر، فتدخلت في الأمر ودعوتهم لتقديم مصلحة الكويت العليا على ما عداها والتوقف عن هذا الخلاف، واستجاب الجميع جزاهم الله خيراً إلى ندائي، وتم المؤتمر بنجاح والحمد لله.

ووصيتي للدعاة والمؤسسات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية أن تواصل الدعوة الحالية بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن

والاهتمام بنشر الوعي والثقافة الإسلامية وعدم استعجال النتائج، فالإسلام يرفض جميع أشكال العنف الفردي والجماعي والرسمي، وأية محاولة لإلصاق الإرهاب بالمتدينين هي صناعة أجنبية، الهدف منها تشويه الدين الإسلامي والحقيقة التي يعرفها الجميع أن الإسلام يدعو إلى السلام ومعاملة الناس بالحسنى والمجادلة بالتي هي أحسن ورفض الإرهاب بكل صوره وأشكاله.

إن الإسلاميين لا يسعون إلى الحكم لأنهم ليسوا طلاب سلطة، وإنما يريدون أن يحكم الحكام بشرع الله، فغاية الإسلاميين الاحتكام إلى الكتاب والسنَّة، في جميع شؤون الحياة ومجالاتها، ولابد أن يعلم الجميع أن الإسلاميين هم أولى الناس في الحرص على الحريات وحقوق الإنسان لأن الإسلام كرّم الإنسان وكفل له حقوقه وفرض عليه واجبات.

وإنني أقول: إن الإرهاصات والمبشرات تبعث على الأمل والتفاؤل، فهناك قرائن عدة تدل على الإقبال على التدين والتمسك بالإسلام ومنها: انتشار ظاهرة الحجاب بين الفتيات، وإقبال الشباب والشابات على المساجد، وتحول البنوك الربوية إلى بنوك إسلامية، ونجاح الإسلاميين في كل انتخابات يخوضونها، والإقبال على العمل التطوعي والعمل على تلبية احتياجات المعوزين.

إن العمل الخيري عبادة لا يستطيع أحد وقفه أو تحجيمه. ومهما تكالبت عليه المؤامرات الغربية، فلن تنال منه فالعمل الخيري ماض إلى يوم القيامة وما يمارس ضده هو الإرهاب بعينه، بل ما يمارس ضده هو إرهاب ضد الفقراء والمساكين، وأنصح إخواني في قافلة الخير المباركة ألا يصغوا لحملات التشكيك وأن يستمروا في العطاء وألا يستجيبوا لأية ضغوط، وعليهم ألا تأخذهم في الله لومة لائم.

عندما التقيت الإمام الشهيد البنا وتعرفت عليه وجدت فيه من الصفات والسمات القيادية التي تؤهله لتحقيق غاية الإسلام ونشر دعوة الله في الأرض وإيقاظ الأمة من غفلتها وإحياء الإيمان المخدر في جنباتها، وحين استمعت إلى

محاضرة له في المدينة المنورة زاد إعجابي بالرجل وبحسن عرضه وعمق فكرته وغيرته على الإسلام وتحمسه لمشروعه، وبينما كنت عائداً أنا وأخي عبدالعزيز إلى الكويت، زارنا الإمام في بيتنا في المدينة مودعاً وأوصانا بالعمل لدين الله، فلقد كان الإمام البنا داعية من الطراز الأول وسياسياً فريداً وعالماً فذاً، ومصلحاً واعياً وإنساناً بسيطاً ومتواضعاً، وقائداً ذكياً، يفرض على كل من يلتقيه أن يعجب به ويعمل معه، فقد عرفته رجلاً يعمل للإسلام بصدق عاش من أجله، واستشهد في سبيله نحسبه من الصالحين ولا نزكيه على الله.

ولقد التقيت المرشد الثاني المستشار حسن الهضيبي وهنأته بثقة إخوانه ودعوت له بالتوفيق والسداد. ولقد قاد هذا الرجل الدعوة خير قيادة وعبر بها محنة عظيمة فكان نعم الخلف لنعم السلف، كما التقيته مرة أخرى على عرفات أثناء حجه الأخير بعد خروجه من السجن، فوجدته رجلاً قوياً حازماً صابراً محتسباً على البلاء.

أما المرشد الثالث عمر التلمساني فلقد التقيته عدة مرات في مصر وغيرها من البلدان وكذلك عندما زار الكويت، كما التقيت المرشد الرابع محمد حامد أبوالنصر في مصر وكان له دور واضح وملموس في الدفاع عن الحق الكويتي.

وأيضاً التقيت المرشد الخامس مصطفى مشهور مرات عدة في الكويت وغيرها، كما عرفت المرشد السادس المستشار محمد المأمون الهضيبي، والتقيت أيضاً المرشد الحالي محمد مهدي عاكف، وهو رجل فذ كبقية إخوانه، ونحن ندين بالفضل لله ثم لحركة الإخوان المسلمين ودعوتها المباركة، ونسأل الله أن يعيننا جميعاً على العمل المخلص الصادق لإعلاء كلمته ويرزقنا الثبات».

قالوا عنه:

يقول الشيخ د. يوسف القرضاوي: «وهكذا غاض النبع الفياض الذي طالما

ظل يتدفق بالخير والبذل والعطاء نحو ستين عاماً، يبذل من نفسه ووقته وجهده وماله في سبيل قضايا الإسلام وأمته، ومطالب دعوته، ونصرة شريعته، وتوحيد أمته، وإحياء حضارته.

وانطفأت الشعلة المتقدة التي ظلت ترسل أشعتها نوراً وناراً: نوراً لطالبي الهداية، وناراً على دعاة الغواية.

لقد كان مرجع كل من يأتي إلى الكويت لطلب المساعدة في المشروعات الخيرية والإسلامية من كل أقطار العالم، رأيته في بيشاور في محاولات الإصلاح بين الإخوة المجاهدين في أفغانستان، ورأيته في فرنسا في افتتاح الكلية العلمية الإسلامية، ورأيته في مؤتمرات شتى تعمل للإسلام.

وحين ناديت بضرورة التصدي لخطة التنصير لأبناء المسلمين التي قررها المنصرون الأمريكان في اجتماعاتهم في ولاية كولورادو ١٩٧٨م، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار جمعوها في الحال، فاقترحت تأسيس هيئة خيرية عالمية رأسمالها ألف مليون دولار، وأعلنت ذلك في ختام مؤتمر المصارف الإسلامية المنعقد في الكويت، أقبل علي الأخ «أبوبدر» وهمس في أذني قائلاً: إني أتبرع بمليون دولار، وأرجوك ألا تعلن عن اسمي ولم يكتف بذلك بل ضم إلى المليون عمارتين من عماراته أوقفهما لصالح المشروع.

وكان أبوبدر عضو اللجنة التحضيرية التي قامت بالإعداد للمشروع الكبير مع يوسف الحجي وسليمان الراجحي وعبدالله العقيل والفقير إليه تعالى حتى تأسست الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية. وحين دعوت إلى تأسيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أرسل لي مبلغاً طيباً مع الأخ الجليل الدكتور عجيل النشمي.. لم يكن عبدالله المطوع مجرد رجل من ذوي الثراء، فقد عاش عمره صاحب دعوة وحامل فكرة وجندي رسالة نذر لها عمره ووهب لها وقته وماله وفكره.

لقد آمن بدعوة الإخوان المسلمين منذ فجر شبابه وأخلص لها وعاش فيها

وعاشت فيه وكان من قيادتها المحلية والإقليمية والعالمية، ومع هذا عاش في الدعوة بروح الجندي المتواضع مع إخوانه لا يرى نفسه إلا دونهم... رحم الله أخانا وحبيبنا رجل الدعوة ورجل البر ورجل الإصلاح ورجل الكويت ورجل الخليج ورجل العرب ورجل الإسلام».

ويقول الشيخ يوسف جاسم الحجي رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية: «عرفت هذا الرجل منذ شبابه وهو يكافح لإعلاء كلمة الله، وما يقدمه من دعوة ونصائح ومشورة لحفظ الشباب، واتباع هدي الإسلام في كل مجالاته، وهذا هو طريق الدعاة إلى الله.. ونسأل الله أن يكون هو ونحن منهم، وأن يختم لنا على خير وأن نكون عند الله من المقبولين».

ويقول الدكتور عبدالله العتيقي: «فقدناك مرشداً لنا في الأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإعلامية والدعوية، فقدناك سياسياً بارعاً يحبه الجميع، ويتدخل في الوقت المناسب لنزع فتيل الأزمات، محباً لحركة الإخوان المسلمين، وداعياً لها، مناصراً لتحرير المسجد الأقصى من دنس اليهود، نصيراً للحق محباً للشباب، كافلاً للأيتام والأرامل، ناشراً لكتاب الله وعلومه، مطالباً بتطبيق شرعه، مقاوماً للظلم متصدقاً على الفقراء، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، محارباً للربا، مؤسساً لأول بنك إسلامي في الكويت مع إخوانك الصالحين، مناصراً للأوقاف وقد أوقفت بعض عماراتك لدعوة الخير».

ويقول د. جاسم مهلهل الياسين: «عرفته كبيراً وعرفته كريماً، كبيراً يحمل هم الأمة، وهكذا الكبار دائماً يعيشون كباراً، بل يموتون بأجسادهم وتبقى أعمالهم شاهدة على جهادهم وصبرهم، يموتون وتظل صحائف أعمالهم مفتوحة لما يسطر فيها من أعمال حسنة، وهكذا نحسبه... فلم يترك باباً لنصرة دين الله إلا وكان سباقاً إليه. ولقد كان غدوه ورواحه في طاعة الله عز وجل.. كان يزرع الأمل في قلوب محبيه ويدفع عنهم الهمَّ إذا رآه في أعينهم، يكون أحدنا متعباً من هزات الباطل.. فإذا ما التقى به ورأى البشر في محياه زال عنه النصب وعاد

إليه الأمل، وجدد حياته ليبدأ من جديد في حيوية ونشاط.

هكذا هم الكبار.. تفتقدهم الأرض وترحب بهم السماء، كان يقول دائماً عندما ألتقي به: «اعلم أنه من ملك زمام التغافر... فقد ملك زمام الأمور».

ويقول الأستاذ د. توفيق الواعي: «لقد كان الرجل يتحلى بصفات العظماء الكبار، وبمواهب العباقرة الأفذاذ، فمن أي النواحي خبرته وجدته مثالاً للحب لا للحقد، والشوق لا الوحشة، والعفو لا العقوبة، والخبرة بالأمور لا البلاهة، والنظر الثاقب لا الرؤية الساذجة، والبصيرة المتقدة لا الجبلة العمياء، والدربة والحنكة الفطرية، والنورانية القلبية التي تضيء بتوفيق الله، كان للحق سنداً لا يتضعضع، وصخرة لا تتزحزح، وكان للدين ركناً ركيناً، وإماماً عظيماً، وللفقير معطاءً كريماً سخياً وفياً أميناً يقصده المحتاج فيكفيه، والمسكين فيعطيه، باسط الكف وضاح المحيا، متهللاً كشهاب تزيده العطايا بهاءً لا منًّاً ولا شحناء».

ويقول الأستاذ الدكتور عجيل النشمي: «عرفت العم عبدالله المطوع عام ١٩٦٣م، فعرفت نوعاً من الرجال فذاً، أبرز ما أدركته فيه همة عالية وطموح دعوي دفاق، وحماسة للدين جياشة، ومن عجب أني لم أر في هذه الهمة فتوراً مذ عرفته إلى قبل وفاته بأيام.

أول ما يحدثك ويشغل مجلسك فيه دعوته، وهموم المسلمين.. وآخر ما يحدثك عنه صحته إن سألته عنها.

ومذ عرفت الرجل عرفت معنى الشجاعة في كلمة الحق والدعوة، لا يثنيه لوم ولا عتب، ولا يمكن أن يؤخرها أو يهادن فيها كائناً من كان أمامه، وقد حباه الله مع الشجاعة قوة بيان وحجة ومنطقاً يفرض على السامعين التأثر به، ويزين ذلك خلق وأدب جم يحكم كلامه، فلا يحمله على الشطط أو الإساءة لأحد».

وقال الأستاذ سالم الفلاحات المراقب العام للإخوان المسلمين في الأردن: «ترجل هذا الفارس العظيم صاحب الباع الطويل في الخير وجمع القلوب والاهتمام بشأن الأمة وبالبناء، ولكن عزاءنا أنه واحد من قافلة فيها من الرجالات

العظام الذين تتلمذوا على يده، وسيستمدون من تربيته خلقاً، ومن تصميمه عزماً، ومن كرمه عطاءً ومن أمله تطلعاً.

العم أبو بدر يرحمه الله (علم) و(بدر) لو سألت عنه لعرفه العالم بعطائه وجهده الذي لا ينضب، فهو في السياسة فارس، وفي الخير جواد، وفي التربية معلم. وأسأل الله أن يعوض الكويت وأهل الخير والدعاة في الأرض كلها خيراً».

ويقول د. عصام البشير: «هو رجل دعوة وفكرة.. يذود عنها بالغالي والنفيس.. والمهجة والروح، بحكمة راشدة، وبصيرة متقدة، وذهن وقاد، ووعي متفتح، وتوازن مسدد، يحرص على بناء المعنى والمبنى، ووحدة الصف، وائتلاف القلوب، وتعزيز المشترك ورعاية حق الأخوة وأدب الخلاف.. وهو تجلية مكرمات.. باسط الكفين.. ندي الوجه طليق المحيا، وضاح الجبين يلقاك في هشاشة وبشاشة.. موطأ الأكناف.. يألف ويؤلف يدخل إلى قلبك بلا استئذان.. فيتربع على عرشه حباً وودأ وتحناناً، دماثة في الخلق وخفضاً للجناح، وهو في هموم الأمة ومصائرها صاحب آيات.. وسباق غايات.. وجوّاب آفاق.. يتتبع ويستقصي.. يقف على الحقائق من مظانها.. ويعمل على حشد الطاقات وتعبئة الجهود.. في حركة دائبة وعزيمة صادقة دفعاً لعزة الأمة ورفعة شأنها.. ودحراً لخصومها بأمل لا يعرف اليأس.. ورجاء لا يقعده قنوط».

ويقول الأستاذ محمد سالم الراشد: «منذ التقى إمام الدعوة ومرشدها حسن البنا عام ١٩٤٦م في مكة المكرمة والمدينة المنورة وتقبل هديته «الرحلة الحجازية» كان العم عبدالله المطوع (أبو بدر) في رحلة وسفر دائمين في مسار الحق، لم يهدأ له بال أو يغمض له جفن قائماً وقاعداً لا يفتر في عمل الخير والصبر والجهاد. كان المال يتبعه حيثما سار فينثره يميناً وشمالاً في سبيل الله لا يخشى الفقر أو النقص. هو نسيج وحده، جمع الكثير من خصال الخير والحب والتسامح والبذل والعطاء والحكمة والقوة في الحق والصبر والثبات على أمر الدعوة وهمها. لقد كان من السابقين في أمر توحيد

المسلمين ودعم نهضتهم وكان يجمع بين الشورى والحزم».

ويقول المستشار فيصل مولوي: «لا أبالغ إذا قلت: إن المسلمين لم يعرفوا في تاريخهم الطويل رجلاً جمع في نفسه كل خصال الخير كما كان أبوبدر. ليس ذلك لأن الله أعطاه قدرة مالية استخدمها في مصالح الأمة، لكنه كان شخصية نادرة تتمتع بوعي إسلامي شامل تلقاه في رحاب الحركة الإسلامية المعاصرة، واستفاد مباشرة من أعظم رواد العمل الإسلامي المعاصر الإمام الشهيد حسن البنا، بالإضافة إلى مزايا حباه الله إياها، من الجدية في مواجهة الأمور، والدأب في معالجة القضايا، والتمحيص في دراسة المشكلات والتأني في اتخاذ القرارات والعزيمة الماضية في التنفيذ، فضلاً عن الصبر الجميل أمام كل بلاء.

يتميز العمل الخيري عند أبي بدر بشمول يتسع لكل جوانب العمل الإسلامي، لم يكن مقتصراً على إغاثة المحتاجين من الأيتام أو الأرامل أو الفقراء، ولم يكتف بمساعدة المرضى وما يتعلق بذلك من المستوصفات والمستشفيات، بل كان ينظر أيضاً إلى أهمية الدعوة الإسلامية التي تقوم على قواعد سليمة من العقيدة الصحيحة والفقه الأصيل والوسطية الملتزمة، فيرى في كفالة الدعاة باباً من أهم أبواب الخير، ويجد في بناء المدارس والمعاهد الإسلامية على اختلاف أنواعها ضرورة لبناء جيل جديد يستأنف لهذه الأمة نهضتها الإسلامية، بل هو يشعر أن العمل السياسي الإسلامي يحتاج إلى الكثير من التسديد والتأييد حتى ينجح في استعادة هذه الأمة إلى رحاب الإسلام العظيم، ولم يكن يبخل على حركات المقاومة في كل بلاد العالم الإسلامي ويعتبرها جهاداً في سبيل الله حيثما وجد عدو يحتل شيئاً من أرض المسلمين أو أوطانهم».

ويقول الأخ عبدالواحد أمان: «إلى دار الخلد منزلك ومقامك يا أبا بدر إن شاء الله تعالى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، هذا دعاؤنا الذي نحبه ونتشوق إليه وما كرست له حياتك وجاهدت به نفسك، فبذلت وأعطيت وصبرت وسهرت. نسأل الله لنا ولك العافية.

إن رفقة الدرب التي امتدت لأكثر من خمسين عاماً نعتقد أنها كافية أن تؤهلنا للشهادة الطيبة عن عملك وسيرتك في الحياة الدنيا ولا نزكي على الله أحداً، فقد كنت وفياً لدعوتك، وإخوانك، صادقاً ثابتاً معتزاً بانتمائك، كنت تستشرف دائماً حياة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فتتوق إلى اللحاق بهم.

كنت شديد الحب لله ورسوله، وكنت تعلم أن الحب يصدقه الاتباع، فحرصت أن تتبع مع علمك التام أن سقف الاتباع عال يحتاج إلى صبر وتشمير فصبرت وشمرت شعارك قوله تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ [التوبة:١١١].

فعقدت العهد مع الله أن تتبع سيرة نبيك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم لا لتنتقي منها انتقاء يتماشى مع هواك ورغباتك وميولك، إنما اخترت الأصعب منها والأثقل في ميزان الله وكنت تعلق على معنى الآية الكريمة: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾، هل نحن ملكنا الأموال والأنفس حتى نعود فنبيعها لله فهي وديعته سبحانه وينظر ما نحن بها صانعون كرماً منه وتفضلاً أن هدانا لإخراج حق الفقير منها كما أمر، ثم عاد سبحانه يكرم عباده المتبعين ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبصط وإليه ترجعون**﴾ [البقرة:٢٤٥].

كان يرحمه الله يحب الحديث في معاني تلك الآيات ويتفاعل معها كثيراً وكان يردد دائماً قوله لي: «أخي أرجو أن تدعو الله أن يقيني شر الشح» هذه كانت أصول منطلقاته في مسائل المال والتصرف فيه والتي انعكست على واقع حياته وسيرته التي يشهد عليها معي خلق كثيرون.

لقد بدأ انتماؤه الفكري لدعوة الإخوان المسلمين قديماً يوم أن قابل المرشد العام للإخوان المسلمين الإمام الشهيد حسن البنا في موسم الحج ١٩٤٦م، بمكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم كان انتماؤه التنظيمي حين أنشئت جمعية الإرشاد

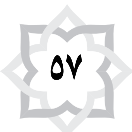
الإسلامي في الكويت أوائل الخمسينيات، ثم بعد أن حلت الحكومة جميع الجمعيات والنوادي في ١٩٥٨م، كان له الدور البارز لاستئناف نشاط الجمعية فكانت (جمعية الإصلاح الاجتماعي) ١٩٦٣م التي هي امتداد لجمعية الإرشاد».

ولن أستطيع ذكر كل من قالوا فيه كلمة الحق وشهدوا له بالخير، فهم فوق الحصر من الحركات الإسلامية المعاصرة والدعاة المسلمين والعلماء العاملين والشباب الصالحين من داخل الكويت وخارجها، فقد كان رجل الإسلام على مستوى العالم ومنارة القاصدين لرفعة الإسلام وإعلاء شأنه.

وفاته:

توفي ظهر يوم الأحد ١٠ شعبان ١٤٢٧هـ ـ ٣ / ٩ / ٢٠٠٦م في الساعة الثانية عشرة بمكتبه إثر أزمة قلبية خلال عمله ومتابعاته لشؤون العمل الإسلامي وقضايا المسلمين، وقد شيع صباح يوم الاثنين، حيث دفن في مقبرة الصليبخات بالكويت، وشارك في التشييع أكثر من عشرين ألفاً من أهل الكويت، وفي مقدمتهم ولي العهد ومن الوفود القادمة من الخارج وفي مقدمتهم وفود الإخوان المسلمين في مصر والأردن والسودان ودول الخليج وغيرها، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وقد رثاه الكثيرون من إخوانه وأصحابه وتلامذته بقصائد كثيرة مثل الأخ محمد العرفج والأخ عدنان النحوي وصلاح القناعي، وسليمان الجارالله، وبشار البيانوني، وأبوالقيم الكبيسي وغيرهم كثيرون لا يتسع المجال لذكرهم وذكر قصائدهم الرثائية، وقد نشرت مجلة المجتمع الكويتية الغراء بعض هذه القصائد، وسيصدر إن شاء الله كتاب موسوعي يوثق مسيرة الراحل الكريم ويضم الكلمات والقصائد التي قيلت فيه.



الشيخ العلاّمة عبدالله بن محمد ابن حميد

(١٣٢٩ ـ ١٤٠٢هـ = ١٩١١ ـ ١٩٨٢م)

مولده ونشأته:

هو العالم الجليل والقاضي الفقيه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد العزيز بن عبدالرحمن بن حسين بن حميد، وُلد بمدينة الرياض في شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ ـ ١٩١١م، وقد كُفّ بصره في طفولته، ولم يكن ذلك عائقاً له عن طلب العلم، فحفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ العلوم الشرعية وهو صغير السن.

ومن مشايخه الذين تتلمذ عليهم: الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ حمد بن فارس وغيرهم.

ولكن أكثر ملازمته كانت للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وكان ابن حميد ذا ذكاء مفرط، وعقل راجح، ونظر بعيد، وفهم عميق، جعل له الذكر الحسن والصيت الطيب برغم أنه في سن الشباب.

رُوي عن الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود، أنه قال في حق الشيخ ابن حميد: «لو كنتُ جاعلاً القضاء والإمارة جميعاً في يد رجل واحد، لكان ذلك هو الشيخ عبدالله بن حميد».

تولى القضاء في الرياض عام ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م، وعمره ثمان وعشرون سنة، ثم نقل إلى مقاطعة (سدير) حيث ولي قضاءها، ثم إلى منطقة (القصيم) حيث ولي القضاء فيها وأقام في مدينة «(ريدة)، وكان يتولى الإفتاء والتدريس والإمامة والخطابة، إلى جانب القضاء، ثم انتدبه الملك عبد العزيز لمحاكم مكة المكرمة، والطائف، وجدة، والمدينة المنورة.

وفي عام ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م طلب الإعفاء من القضاء ليتفرغ للتدريس والإفتاء فأُجيبَ إلى طلبه.

وفي عام ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م تولى الرئاسة العامة للأشراف الديني على المسجد الحرام بقرار من الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز، كما تولى التدريس بعد المغرب في المسجد الحرام كل يوم.

وفي عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م عيَّنه الملك خالد بن عبد العزيز رئيساً لمجلس القضاء، فصار رئيس القضاة ومرجعهم، كما كان عضواً في هيئة كبار العلماء، ورئيساً لمجلس المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضواً في المجلس التأسيسي للرابطة، وعضواً في المجلس الأعلى للمساجد، ورئيساً للجنة جائزة الدولة التقديرية.

يقول عنه الشيخ المحقق عبدالله البسام صاحب كتاب (علماء نجد خلال ثمانية قرون) وهو الذي اعتمدنا عليه كثيراً في ترجمة الشيخ ابن حميد:

«لقد كان الشيخ عبدالله بن حميد، محل إجلال وتقدير من ولاة الأمور، وصاحب الإشارة والكلمة النافذة، حيث يجلِّونه، ويعرفون قدره، ويحترمونه غاية الاحترام، لسعة علمه، وبُعد نظره، ونصحه لعامة المسلمين وولاتهم، وما يقوم به من خدمة الإسلام والمسلمين، وهو من كبار علماء الإسلام وعقلائهم ووجهائهم،

يمتاز بالأناة والرويَّة، كثير الصمت إلاّ فيما ينفع، حادّ الذكاء لا يمكن أن يُخدع، يحتاط في كل ما يقوله أو يفعله، لا ينخدع بالمظاهر مهما كانت، ولا تغره الدعاوى، كان يرى أن اتحاد المسلمين هو العلاج الوحيد لنصرة المسلمين.

هو عالم فقيه لا يشق له غبار، وبخاصة في فقه الحنابلة، ولي معه صلة وثيقة، ومودة أكيدة، وعلاقة علمية، هي أقوى وأوثق من علاقة النسب.

وقد اشتركتُ معه في أعمال علمية كإلقاء الدروس في المسجد الحرام والندوات العلمية في موسم الحج..» انتهى.

مؤلفاته:

من أهم مؤلفاته: الدعوة إلى الجهاد في الكتاب والسُّنَّة، كمال الشريعة وشمولها لكل ما يحتاجه البشر، دفاع عن الإسلام، حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب، هداية الناسك إلى أحكام المناسك، الإبداع في شرح خطبة حجة الوداع، تبيان الأدلة في إثبات الأهلة، إيضاح ما توهمه صاحب اليسر في يسره من تجويز ذبح دم التمتع قبل وقت نحره، غاية المقصود في التنبيه على أوهام ابن محمود، نقد نظام العمل والعمال، الدعوة إلى الله: وجوبها، وفضلها، وأخلاق الدعاة، رسالة في حكم التلفزيون، الرسائل الحسان، توجيهات إسلامية، رسائل موجهة إلى المعلمين، رسائل موجهة إلى العلماء، المجموعة العلمية السعودية (تحقيق ومراجعة)... إلخ.

كما كانت له دروس ومحاضرات، وندوات، وأحاديث إذاعية، وفتاوى كثيرة لا يحصرها العدّ، ونأمل من أولاده: صالح، وأحمد، وإبراهيم، وإخوانهم أن ينهضوا بمهمة جمعها وإخراجها ليستفيد منها طلبة العلم.

صلتي به:

ولقد بدأت صلتي به من خلال المراسلة حيث كتبتُ له ـ حين كنت بلجنة

الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف الكويتية ـ طالباً مشاركته في بحوث الموسوعة الفقهية التمهيدية، كما كنت ألتقيه حين ذهابي إلى الحج أو العمرة أو مؤتمرات الرابطة بمكة المكرمة وأستفيد من علمه وتوجيهاته، وكنت معجباً غاية الإعجاب بصراحته في قول الحق، وإسداء النصح لولاة الأمر، كما كنت مشدوداً إلى قوة حجته في الترجيح بين الأقوال الفقهية، وباعه الطويل في المناظرة المعززة بالدليل النقلي والعقلي، وغيرته على أوضاع المسلمين.

وكان يرى أن العودة إلى منهج الكتاب والسُّنَّة والاقتداء بسيرة السلف الصالح من القرون الأولى هي المخرج من الضياع الذي يعيشه شباب المسلمين اليوم، ويرى أن المسؤولية على المسلمين بعامة، ولكنها تتأكد على الأمراء والعلماء والأغنياء بخاصة، فالأمراء عندهم قوة السلطان، والعلماء عندهم قوة العلم، والأغنياء عندهم قوة المال، ومن هنا فلا بد من تضافر كل القوى للوقوف أمام الباطل، ونصرة الحق، والدعوة إلى الله على بصيرة.

وحين توليت الأمانة العامة للمساجد برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، توثقت صلتي بالأخوين الكريمين ابني الفقيد ابن حميد، وهما الدكتور صالح، والدكتور أحمد، وتعدَّدت لقاءاتي بهما، وكانت محاورات وأحاديث ذات شجون عن أحوال العالم الإسلامي، وكيفية النهوض بالأمة الإسلامية، لتستعيد مكان الصدارة بين الأمم، كما كانت من قبل، وواجب العلماء في التوجيه والإرشاد والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، من خلال الكلمة المسموعة والمقروءة والمشاهدة.

شخصية عالمية:

إن أستاذنا الشيخ عبدالله بن حميد، كان شخصية عالمية، تعيش مشكلات المسلمين، وتتحسس قضاياهم، وتشارك في تخفيف وطأة الظلم عليهم، حيث كانت له مجالس مع القادمين من العالم الإسلامي، أثناء موسم الحج أو العمرة،

أو المؤتمرات الإسلامية بمكة المكرمة، تبحث فيها كل المشكلات، وتطرح الحلول المناسبة لكل منها، وينهض الشيخ ابن حميد بنفسه في عرض الأمر على ولاة الأمر، ليقوموا بدورهم بما أوجبه الله عليهم، من رعاية شؤون المسلمين وخدمة قضاياهم وتقديم العون لهم.

إن هذا الدور الكبير الذي قام به الشيخ ابن حميد كان له أبلغ الأثر في نفوس أبناء المسلمين في العالم الإسلامي، الذين يبحثون عن علماء الصدق، ورجال المواقف، الذين يقودونهم إلى مواطن العز والسؤدد، ويرفعون راية الإسلام ويعلون مكانة العلم والعلماء، وينصحون الحكام لما يصلح دينهم ودنياهم، وقد كان الشيخ ابن حميد أحد هؤلاء العلماء، الذين اضطلعوا بحمل المسؤولية ونهضوا بتبعات الدعوة إلى الله، على منهج الكتاب والسُّنَّة، وإسداء النصح للحكام، وتقويم العوج والخلل في المجتمعات الإسلامية، وتصحيح المفاهيم عن الإسلام وأحكامه، وتثبيت أسس العقيدة الصحيحة.

ولقد كان الشيخ ابن حميد وإخوانه وزملاؤه من العلماء في العالم العربي والإسلامي، نماذج صادقة لهذا الإسلام العظيم، أعلوا مكانة الدين الإسلامي، ورفعوا قدر العلماء والدعاة، ووقفوا إلى جانب الشعوب المسلمة، وتبنّوا قضاياها، وأفتوا لعامة الناس أحكام دينهم، ووجّهوهم للالتزام بالإسلام، عقيدة وشريعة ومنهج حياة للفرد والأسرة والمجتمع والدولة.

إن حاجة العالم الإسلامي اليوم، تتمثّل في وجود مثل هذه النماذج الفذّة من الرجال، الذين يؤثرون ما عند الله على ما عند الناس، ويصدقون مع الله، ويخلصون نيتهم له، ويبذلون قصارى جهدهم لأداء الواجب المنوط بهم.

كان ابن حميد يُزيّنه التواضع مع الجميع، وحسن الإنصات لفهم مشكلات الناس، والعمل الجاد لتقديم المستطاع من الجهد لحلّ مشكلاتهم ومعضلاتهم، دونما ضيق أو ضجر.

صورة صادقة:

كما كان صورة صادقة، للعالم المسلم المعتز بدينه، الواثق بنصر الله وتأييده برغم كل العقبات التي توضع في طريق الدعاة إلى الله، لأن الابتلاء والامتحان سُنَّة من سنن الله عز وجل، ولن يستطيع أحد، كائناً من كان أن يحول دون انتشار الإسلام وغزوه القلوب والنفوس والعقول، فهو الدين الخالد، وهو خاتم الأديان، والمسلمون هم الأمة الوسط والشهداء على الناس، والجهاد هو ذروة سنام الإسلام والفريضة الماضية إلى يوم القيامة.

والإسلام نظام شامل كامل لكل شؤون الحياة، والقرآن الكريم والسنة المطهرة هما مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام.

ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسّف. ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات، وعلماء الفقه الأثبات.

لقد استمر الشيخ ابن حميد في دروسه ومحاضراته وفتاواه وندواته واستفاد من هذه الدروس والفتاوى خلق كثير والحمد لله.

حدثني الأخ الحبيب الشيخ عبد الله المطوع رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي بالكويت، عن همة الشيخ ابن حميد ونشاطه العلمي والدعوي والخيري ومحبة الناس له وتقديرهم لعلمه وجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين من خلال المهمات التي اضطلع بمسؤوليتها في سائر المواقع التي تولاها وأثنى عليه جميل الثناء حيث حضر جنازته.

قال الشيخ ابن حميد في تصديره لكتاب (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) التي قام بجمعها عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وطبعت على نفقة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود:

«من نعم الله على عباده أن جعل العلماء ورثة الأنبياء يُعلِّمون الناس الخير، وينيرون لهم طريق الحق وسبل الرشاد، يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، يبينون لهم الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والسُّنَّة من البدعة.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ورفع درجاته في العليين، أحد هؤلاء العلماء الذين نفوا عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، لقد بارك الله في أوقاته، ونفع بعلومه في حياته وبعد مماته، فترك من بعده آثاراً عظيمة وعلوماً جمة استفاد منها وتلقاها الناس بالقبول وصارت منهلاً عذباً، ومعيناً صافياً، ومرجعاً معتمداً للعلماء والباحثين.

أثنى عليه العلماء وذكروا عن قوة حفظه وذكائه شيئاً عجيباً لا يتسع المقام لبسطه. وبين أيدينا الآن هذه الموسوعة الضخمة من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية يعاد نشرها على نفقة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود بعد أن تكاثر الطلب على هذه الفتاوى من علماء المسلمين في كل مكان..» انتهى.

وقد كان الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود، يجلّ العلماء، ويقربهم من مجلسه ويستمع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم، وفي أحد الأشرطة المسموعة والمشاهدة المحفوظة لدى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض يخاطب الشيخ ابن حميد الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود في المجلس الذي ضم العلماء كابن باز وابن حميد وغيرهما قائلاً: «أعتقد أن الشعوب فيها خير ولكن البلاء في القادة، والشعوب فيها الخير بالجملة».

فيجيب الملك الشهيد: «إن المشاكل تجيء من القادة.. وربنا سبحانه وتعالى أوجد هذا التشريع لمصلحة البشر في دنياهم وآخرتهم، ولا شك في أن القادة هم المسؤولون عن تطبيق الشريعة والتمسك بالتشريع الإسلامي، وهذا من فضل الله عليهم».

وقد شاء الله عزّ وجل، أن يبتليه بمرض لم يمهله طويلاً، كان فيه صابراً محتسباً، راضياً بقضاء الله وقدره، آخذاً بالأسباب المأمور بها، لأن قضاء الله لا بد أن ينفذ، وقد وافته المنية وهو بمستشفى الهدى في الطائف يوم الأربعاء (٢٠ / ١٢ / ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) وقد صُلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة العصر، ودفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة.

وقد حضر التشييع جماهير غفيرة من طلبة العلم ومحبي الشيخ وعارفي فضله وفي مقدمتهم العلماء والأمراء والأعيان وغيرهم.

ولقد رثاه الشيخ محمد بن عبدالله السبيل بقصيدة نقتطف منها:

على مثل هذا الخطب تهمي النواظر ... وتذري دماء مقلة ومحاجرُ

ألا أيها الناعي لنا علم الهدى ... أصدقاً تقول أم مصاباً تحاذرُ

لئن كان هذا النعي حقاً فإنما ... نعيت الذي يبكيه باد وحاضرُ

نعيت الذي يبكيه محراب مسجد ... ويبكيه تذكير وتبكي المنابرُ

وتبكيه دور العلم كان ينيرها ... بفهمٍ دقيقٍ يجتنيه المثابرُ

بكته ذوو الحاجات إذ كان ملجأ ... يدافع عن ملهوفهم ويناصرُ

مضى ابن حميد بالمفاخر والتقى ... فللَّه عمر بالفضائل زاخرُ

كما رثاه الشيخ أحمد الغنام من الكويت بقصيدة جاء فيها:

عزاء بني الإسلام قد عَظُمَ الأمرُ ... وليس لنا إلاّ التجلد والصبرُ

فشيخ المعالي غاب عنا مسافراً ... إلى ربّه قد ضمّه اللحد والقبرُ

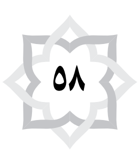
لقد ثُلمتْ في الدين يا صاح ثلمة ... بموت حميد السعي وانقصم الظهرُ

فتاواه في البيت المحرم حجة ... بفتواه كل يهتدي البدو والحضرُ

فإن غبت عنا أنت في القلب حاضر ... مآثرك الجُلى هي الطيب والذكرُ

رحم الله أستاذنا الجليل الشيخ عبدالله بن حميد، وغفر الله لنا وله، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





المعلم الداعية الشيخ عبدالله النوري

(١٣٢٣ ـ ١٤٠١هـ = ١٩٠٥ ـ ١٩٨١م)

مولده ونشأته:

وُلِدَ شيخنا الجليل عبدالله بن محمد بن نوري بمدينة الزبير عام ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م، وكان والده من سكان مدينة الموصل في شمال العراق، ومن رجال الدين فيها، نزح إلى الزبير وتزوج فيها وأقام، ثم هاجر مع أهله وابنه عبدالله إلى الكويت عام ١٩٢١م، وكان الشيخ عبدالله قد تلقى العلم على يد والده بالزبير، ثم درس بالمدارس التركية والأهلية، ثم في دار المعلمين ببغداد.

شيوخه:

أما دراسته في الكويت فكانت على يدي الشيخين الجليلين عبدالله خلف الدحيان، وجمعة بن جودر، وكان من زملائه الشيخ عبد العزيز حمادة، الذي درس معه الفرائض، والشيخ عبد الوهاب الفارس، الذي درس معه الفقه.

وكان باراً بوالديه محباً للفقراء والمساكين، يكره الظلم والظالمين، ويقف مع الحق، وينصر المظلوم، ويعين صاحب الحاجة، ويقدِّم العون المستطاع للمستحقين من ذوي الحاجات.

وظائفه:

وقد تولى وظائف عدة، ومارس أعمالاً شتى في مختلف الميادين، ففي حقل التدريس عمل معلماً في المدرسة المباركية، وكان مديرها في الوقت ذاته السيد عمر عاصم الأزميري، واستمر بها ست سنوات تقريباً، وكان من تلاميذه فيها الشاعر فهد العسكر، والأستاذ عبد العزيز حسين، وكان يُدرِّس فيها علوم اللغة العربية والفقه الحنبلي، ثم انتقل إلى التدريس في المدرسة الأحمدية لمدة ست سنوات أخرى.



الشيخ عبدالله النوري... خطيباً

وفي المحاكم عُيِّن كاتباً في المحكمة عام ١٩٢٦م، ثم تدرج في وظائفها، إلى أن أصبح سكرتيراً عاماً، وقد أسندت إليه عدة مهمات وهو في المحكمة، منها التدريس في المعهد الديني أول إنشائه لمدة ثلاث سنوات، والتدريس في المدرسة الليلية لثلاث سنوات أيضاً، وعُيِّن مفتشاً للأوقاف ومُرشداً لأئمة المساجد لمدة عام، ومديراً للإذاعة الكويتية الناشئة لمدة أربعة أشهر.

وفي عام ١٩٥٥م استقال من المحاكم فاشتغل بالأعمال الحرة وافتتح مكتباً للمحاماة، كما كان يخطب الجمعة بالمسجد، ويلقي الأحاديث في الإذاعة والتليفزيون، ويشارك في المؤتمرات الإسلامية داخل الكويت وخارجها.

وفي فترة عمله كسكرتير للمحاكم كان له دور بارز في حل المشكلات بين

أطراف الخصوم والإصلاح بينهم دون عرضها على المحاكم، حيث يرتضي الجميع حكم المصالحة الذي يقترحه ويتنازلون عن الدعوى أمام المحاكم، والشيخ المحامي من مؤسسي «جمعية المحامين الكويتية»، وله نشاط كبير من خلالها، وقد شارك في المؤتمرات التي يعقدها المحامون العرب، ومنها مؤتمر اتحاد المحامين العرب، الذي انعقد بالقاهرة عام ١٩٦٤م، وغيره من المؤتمرات الأخرى.



الشيخ عبدالله النوري.. أقصى اليسار، وبجواره الشيخ عبدالله الجابر
في مقابلة رئيس الجمهورية المصرية محمد نجيب عام ١٩٥٤م

رحلاته:

وقد سافر إلى أقطار كثيرة كالهند، وباكستان، وإندونيسيا، وماليزيا، وأستراليا، ومصر، ولبنان، وسورية، وفلسطين، والأردن، والعراق، وبلدان الخليج العربي والمغرب العربي والولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا، وقد حضر المؤتمر الإسلامي الذي عُقِد في القدس عام ١٩٦١م وكانت له مشاركة فاعلة ومؤثرة.

كما أنه حجّ واعتمر أكثر من مرة، وكانت حجَّته الأولى على الإبل عام ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م، ثم كانت الحجة الثانية بالسيارة عام ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م، أما الحجَّة الثالثة فكانت بالسيارة أيضاً عام ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م، ثم تكرر ذهابه إلى الحج والعمرة عدة مرات بالطائرة، كما كان لرحلته إلى مصر عام ١٩٥٤م مع الشيخ عبدالله جابر الصباح والحاج عبد العزيز العلي المطوع، حيث قابلوا الرئيس اللواء محمد نجيب وبرفقتهم الزعيم الجزائري الفضيل الورتلاني الأثر الطيب.

مؤلفاته:

لقد ترك تراثاً ضخماً من المؤلفات في مختلف الموضوعات من الخطب والمواعظ والفتاوى والسير والتراجم والرحلات والأسفار والأشعار والتاريخ الشعبي، والمسامرات، والإصلاح الاجتماعي، والدعوة الإسلامية، ومن أهم هذه الكتب: من غريب ما سألوني، سألوني في العبادات والعقيدة، سألوني عن المرأة، سألوني في التفسير، أحاديث، المحمديات، المعجزة الخالدة، قضية التعليم في الكويت، المرأة المسلمة، العروة الوثقى، البهائية سراب، قطف الأزاهر، خالدون في تاريخ الكويت، شهر في الحجاز، يوميات زائر في الشرق الأقصى، ديوان شعر... إلخ.

معرفتي به:

وقد تعرَّفتُ على الشيخ عبدالله النوري أول قدومي إلى الكويت بداية

١٩٥٩م، حيث عملتُ في المحاكم رئيساً لقسم التنفيذ، وكانت لقاءاتي به كثيرة، فقد كان محامياً يُكثر التردد على المحاكم، كما كان التزاور بيننا مستمراً، ويهديني مؤلفاته حين صدورها أولاً بأول، وكنتُ أحرص على خطبه في مسجد القادسية التي تتسم بالعرض الجيّد والأسلوب الحكيم، والدليل الناصع المقنع، والاختصار غير المخل.

صفاته ومواقفه:

والشيخ النوري يكثر من الثناء على شيخه عبدالله الخلف الدحيّان، ويعتبره النموذج للعلماء الصالحين، والأتقياء والزهاد، والفقهاء العاملين، والمصلحين الاجتماعيين، وإليه يرجع الفضل في تعمق الشيخ النوري بدراسة الفقه الحنبلي.

وكان الشيخ عبدالله النوري يتصف بصفات تُحبِّبه إلى الناس وتقربه من قلوبهم، فهو هادئ الطبع، واسع الصدر، طويل البال، قليل الغضب، بشوش الوجه، دمث الخلق، حسن الحديث، يحب الدعابة والمرح، وبخاصة مع الخُلَّص من أصحابه في مجالسه الخاصة، حيث يُضفي على الجلسة روح المرح والسرور والفرح والحبور، دون الخروج على المألوف، كما كان منظماً غاية التنظيم في كل أموره، سواء المواعيد أو الزيارات، أو الأوراق الخاصة، والمراسلات الرسمية، والحسابات وأمور الأولاد، وتنظيم القضايا والمرافعات، وكان يُسجِّل كل شيء وإن كان صغيراً، وهو جاد في أداء المهمات التي تُوكل إليه على أحسن وجه.

كما كان غيوراً على حرمات الدين، حريصاً على الالتزام بشريعة الإسلام، وقد كان له دور بارز مع الشيخين عبد الرحمن الدوسري، وعبد الرزاق الصالح المطوع، في التصدي لمشروع القوانين الوضعية التي تريد إبعاد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة، فقد شارك في صياغة المذكرات، ومقابلة كبار المسؤولين بما فيهم أمير البلاد الذي اختار الشيخ يوسف بن عيسى القناعي

ليكون المميِّز الشرعي لجميع ما يصدر من أحكام من القضاة، لئلا تتعارض مع الشريعة الإسلامية.

عقيدته ومنهجه:

كانت صلته جيدة بالإخوان المسلمين بمصر، من خلال صديقه الأستاذ وهبة حسن وهبة، الذي يثق به ويطمئن إليه، لأنه من تربية الإمام الشهيد حسن البنا، الذي كان له الفضل الكبير ـ بعد الله ـ في محاربة النزعة الفرعونية، ومقاومة التحلل، والتصدي للإلحاد، ونشر الفكرة الإسلامية الأصيلة، المستقاة من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة، ونبذ الخرافات والبدع، والوقوف أمام موجة التغريب، التي تريد السير في ركاب الغرب في كل شيء، وهذا منهج العبيد الذين يجرون وراء كل ناعق، ويهجرون تاريخهم وأمجادهم وتراثهم.

إن الشيخ عبدالله النوري، كان صاحب عقيدة صافية، ومنهج سليم، يقتفي فيه أثر السلف الصالح، ويُيسِّر على الناس، ولا يُعسِّر عليهم، ويُنزل الأحكام على واقع الحال، ويُقدِّر ظروف العصر، والبيئة الحاضرة، ويلتزم الأصول، ويتمسك بها، ولا يقف عند الخلافيات في الفروع، لأن مجال الاجتهاد فيها واسع، ولكل مجتهدٍ أجره، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله.

يقول العلاّمة القرضاوي في كتابه القيم (الحلال والحرام في الإسلام).

«... إن التشريع الإسلامي وهو تشريع قائم على أساس تحقيق الخير للبشر، ودفع الحرج والعنت عنهم، وإرادة اليسر بهم، يقوم على درء المفسدة وجلب المصلحة، مصلحة الإنسان كله، جسمه وروحه وعقله، ومصلحة الجماعة كلها، أغنياء وفقراء، حكاماً ومحكومين، ورجالاً ونساء، ومصلحة النوع الإنساني كله، بمختلف أجناسه وألوانه، وفي شتى أقطاره وبلدانه، وفي كل عصوره وأجياله، وغير لائق بعالم مسلم، يملك وسائل الموازنة والترجيح، أن يكون أسير مذهب

واحد، أو خاضعاً لرأي فقيه معيَّن، بل الواجب أن يكون أسير الحجَّة والدليل، فما صحَّ دليله وقويتْ حجته فهو أولى بالاتباع، وما ضعف سنده ووهتْ حجَّته فهو مرفوض مهما يكن من قال به.

ذلك أن الحق لا يشتمل على مذهب واحد، وأئمة المذاهب المتبوعة لم يدَّعوا لأنفسهم العصمة وإنما هم مجتهدون في تعرُّف الحق، فإن أخطؤوا فلهم أجر، وإن أصابوا فلهم أجران» انتهى.

فهمه للإسلام:

لقد فهم الشيخ عبدالله النوري الإسلام على أنه نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً، فهو دولة ووطن، وحكومة وأمة، وخلق وقوة، ورحمة وعدالة، وثقافة وقانون، وعلم وقضاء، ومادة وثروة، وكسب وغنى، وجهاد ودعوة، وجيش وفكرة، وعقيدة صادقة، وعبادة صحيحة، وأن القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرُّف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع في فهم السنَّة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات.

وهذا هو فقه السلف الصالح من القرون الخيِّرة، والذي يجب أن يسير عليه المسلمون في عصرهم الحاضر.

لقد كان **الشيخ عبدالله النوري علماً من أعلام الهدى في الكويت**، صال وجال في ميادين شتى، وبذل قصارى طاقته في خدمة الإسلام والمسلمين داخل الكويت وخارجها، وكان علامة مضيئة في سماء الكويت، عرف الناس من خلاله، أصالة هذا الشعب، وحبَّه لعمل الخير، ونصرة الإسلام والمسلمين.

نماذج من شعره:

وهو شاعر مطبوع، يقول الشعر دونما تكلُّف بل يجري الشعر على لسانه،



الشيخ عبدالله النوري والشيخ خالد الجسار وزير الأوقاف الكويتي الأسبق
في مطار القدس في وفد للمشاركة باحتفالات الإسراء والمعراج

بمجرد انفعاله بأي حدث، فقد نظم في رثاء شيخه عبدالله الخلف الدحيّان قصيدتين جاء في مطلع الأولى:

دعني أسطِّر في المراثي القوافيا | على من فقدنا اليوم فيه المعاليا
وما المرء إلا ذكره بعد فقده | وذكركَ فينا شاءه الله باقيا

وقال في رثاء شيخه العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي مؤسس مدرسة النجاة الأهلية في الزبير قصيدتين عام ١٣٥١هـ جاء في مطلع الأولى:

أي قلبٍ عليك لم يتصدّع | أي نفسٍ عليك لم تتوجّع

وفي مطلع الثانية قال:

بلاءٌ لا تقاسُ به بليّة | ورزء لا تقاس به رزيّة

وفي رثائه الشيخ عبد الملك صالح المبيض قال:

عش كيف عشتَ فتاريخُ الورى عبر وكُلُّنا خبر إن ينقضي العُمر

وقال يَرثي المحسن الكبير الحاج علي عبد الوهاب المطوع عام ١٣٦٥هـ:

كل يوم لنا حبيبٌ يُشَيَّعُ وقلوبٌ في كل يوم تَصدَّعُ

يقول الشيخ النوري عن شيخه عبدالله الخلف الدحيّان: «هو أفضل رجل رأيته في حياتي علماً وفضلاً، فهو العالم الشامخ، والورع التقي، الذي وهب حياته للعلم، فغاص في بحاره حتى بلغ منها الأعماق، ووهب من علمه الكثير لكل سائل أو طالب أو مستمع، كان كريماً، وكان كرمه الإيثار، كان حليماً وكان حلمه العفو عند المقدرة، وكان قنوعاً وقد ذلّت له الدنيا، حتى وصلت عند قدميه فأباها...» انتهى.

ولما توفي والده ثم لحقت به والدته بعد فترة قصيرة، حزن على فراقهما حزناً شديداً، وقال فيهما شعراً يفيض حنيناً وحرقة وعرفاناً بفضلهما عليه:

أطارَ الحزنُ عن عيني كَراها فبتُّ مردداً آهاً فآها

أصبتُ بوالدي نوري كريماً عفيف الذيل مذ لبَّى الإلها

ولكن عاجلتني بعد صبري بأمي إذ أتاها ما أتاها

سعيه في الخير:

لقد كان شيخنا عبدالله النوري، ذا همَّة ونشاط في الأعمال الخيرية، وكان يحمل الأموال في أسفاره إلى خارج الكويت ليقدِّمها للجهات المحتاجة، كالمدارس الإسلامية، والمعاهد الدينية، والجمعيات والمؤسسات الإسلامية، حيث إن المحسنين والمحسنات من أهل الكويت يتسابقون لإعطائه التبرعات لإرسالها إلى مستحقيها من المسلمين، وكانت عنده أمانة من التبرعات التي يجمعها ويتولى توزيعها في الداخل والخارج مقدارها حوالي مئتي ألف دولار،

وعندما زاره الأخ يوسف جاسم الحجي في المستشفى وهو على فراش الموت، أبلغه بأن هناك دفتراً، فيه أمانات للعمل الخيري، وبالفعل فقد كانت هذه المبالغ نواة لموجودات الجمعية، التي تأسست فيما بعد باسم (جمعية عبدالله النوري الخيرية)، كما أنشئت مدرسة نموذجية بأستراليا بمدينة (سدني) باسم (مدرسة النوري).

وقد أخبرني الأخ عمر الدايل أن الشيخ النوري تبرع إلى مكتبة الزبير الأهلية العامة بمجموعة من الكتب القيِّمة وبعضها من مؤلفاته.

تلك سيرة موجزة عن حياة شيخنا الفاضل وجهاده في سبيل الحق والخير، وهذا عطاؤه الذي لم يتوقف حتى غادر الدنيا الفانية إلى دار البقاء والخلد نسأل الله العلي القدير أن تكون هذه الجهود المباركة في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ونحمد المولى الكريم على نعمائه بقيام «جمعية عبدالله النوري الخيرية» التي أسسها أبناؤه البررة، ومحبوه وعارفو فضله أمثال: يوسف الحجي، وعبد الرحمن العوضي، وأحمد بزيع الياسين، وعبد الرحمن الزامل، وجاسم الخرافي، وعبدالله المزيني، وعبد المحسن الثويني، ومبارك الحساوي، وإبراهيم الفرحان، وحمود الفرحان، وإبراهيم الهاجري، وناصر القطامي، ومحمد الوزان، ومحمد العوضي، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، ولنا في الأخ نادر النوري كل الأمل لتؤدي الجمعية رسالتها الخيرية على أحسن وجه، فهو من خيرة شباب الكويت الدعاة إلى الله على بصيرة.

وفاته:

كانت وفاة شيخنا عبدالله النوري يوم ١٧ / ١ / ١٩٨١م رحمه الله رحمةً واسعةً، وغفر لنا وله، ورزقنا وإياه الفوز بالجنَّة والنجاة من النار، وجمعنا وإياه في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





عبد المنعم عبد الرؤوف

البطل المغامر

(١٣٣٣ ـ ١٤٠٥هـ = ١٩١٤ ـ ١٩٨٥م)

مولده ونشأته:

هو الفريق الركن الطيار عبد المنعم عبد الرؤوف، من مواليد حي العباسية بالقاهرة عام ١٩١٤م، وقد انتقلت أُسرته بعد ذلك إلى حيِّ السيدة زينب، وكان والده من ضباط الجيش، وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية عام ١٩٢٨م توفي والده، ثم التحق بالمدرسة الثانوية وأثناءها كوَّن مع بعض زملائه الطلبة (جمعية اليد الخفيّة) التي قامت بتفجيرات ضد الإنجليز حيث فجّرت قنبلة بدار المندوب السامي البريطاني بجاردن سيتي يوم ١٦ / ١٢ / ١٩٣٢م، وأخرى في المدرسة الإنجليزية، وثالثة تحت أقواس الاحتفالات، والرابعة قرب قصر محمد علي.

وفي عام ١٩٣٥م حصل على شهادة البكالوريا والتحق بالكلية الحربية، ثم التحق بمدرسة الطيران، وكان زملاؤه يلقبونه بـ (الأسد) لشجاعته وجرأته، وقد

تخرَّج في مدرسة الطيران عام ١٩٣٨م وعمل طياراً وفي العام نفسه تزوّج.

وفي يوم ١٦/ ٥/ ١٩٤١م قام مع زميله الطيار حسين ذو الفقار بتهريب الفريق عزيز المصري بطائرتهما للالتحاق بالثورة العراقية ضد الإنجليز بقيادة رشيد عالي الكيلاني، ولكن الطائرة سقطت بهم، وظلوا مختفين عن أعين الإنجليز الذين أعلنوا عن مكافأة مقدارها ألف جنيه لمن يرشد عنهم، وقد ألقي القبض على الثلاثة يوم ٦/ ٦/ ١٩٤١م وأودعوا السجن، ثم أفرج عنهم يوم ٥/ ٣/ ١٩٤٢م بعد تغيير الحكومة ومجيء حكومة النحاس الوفدية.

وفي العام نفسه وقع نظره على مجلة «الإخوان المسلمون» لسان دعوة الحق والقوة والحرية، وتملى صورة القرآن الكريم فوق سيفين متقاطعين يزيِّن غلاف المجلة، فسأل عن هذه الجماعة وأين مقرها، ثم زار المركز العام للإخوان المسلمين يوم الثلاثاء، والتقى الأستاذ محمد الطوبجي ـ مدير الدار ـ الذي رحّب به، وبعد الأذان وأداء صلاة المغرب جماعة مع الإخوان المسلمين في المركز العام جلس بهدوء يستمع إلى حديث الثلاثاء، وسمع هتافات الإخوان: الله غايتنا، الرسول قدوتنا، القرآن شريعتنا، الجهاد سبيلنا، الموت في سبيل الله أسمى أمانينا.. الله أكبر ولله الحمد.

ثم تكرّرت زياراته للمركز العام للإخوان المسلمين، وفي هذه الفترة لم يلتق الإمام الشهيد حسن البنا لأنه كان خارج القاهرة في جولة في الأقاليم لمدة شهر، ثم أبلغه الأستاذ محمد الطوبجي بعودة المرشد العام من رحلته في الأقاليم فحضر لزيارته بالمركز العام، وكان عنده الصاغ محمود لبيب، والدكتور المهندس حسين كمال الدين، فقال عبد المنعم عبد الرؤوف: لو أن الروح الإخوانية التي لاحظتها في درس الثلاثاء تسود الجيش المصري لعاد ذلك عليه بالخير الكثير، وإن أول شيء يجب البدء فيه هو تكوين مجموعة من الضباط تعتنق مبادئ الإخوان المسلمين وهي الحق والقوة والحرية، لتكون نواة تنبت منها خلايا تعمّ كل وحدات الجيش المصري، وقد استحسن الإمام الشهيد حسن



البنا ذلك وقال له: إن أخاك الصاغ محمود لبيب سيعينك على تحقيق هذه الفكرة، وسيكون المشرف على تكوين هذه المجموعة، وكان الصاغ محمود لبيب يشغل منصب الوكيل الثاني للإخوان المسلمين وقائد الجوالة.

وفي شهر أكتوبر عام ١٩٤٢م استطاع عبد المنعم عبد الرؤوف أن يدعو مجموعة من الضباط لحضور درس الثلاثاء بالمركز العام للإخوان المسلمين بالملابس المدنية وكان منهم: جمال عبد الناصر، وحسين حمودة، وكمال الدين حسين، ثم تكاثر عددهم حتى بلغوا سبعة من الضباط عام ١٩٤٤م، وكان لهم اجتماع أسبوعي في منزل أحدهم بإشراف الصاغ محمود لبيب، الذي لم يتغّيب عن هذه الاجتماعات إلا في النادر، وكانوا يدفعون الاشتراكات، ويقومون بالدراسات الإسلامية، ويواظبون على حضور درس الثلاثاء بالمركز العام للإخوان المسلمين بالملابس المدنية، ثم أخذ عدد هؤلاء الضباط يتزايد.

وفي مساء يوم من أوائل عام ١٩٤٦م ذهب الضباط السبعة الأوائل لأخذ البيعة منهم على يد رئيس النظام الخاص في ذلك الوقت عبد الرحمن السندي، وصار هؤلاء الضباط يدرّبون شباب الإخوان المسلمين، الذين كانوا طلائع العمل الجهادي في فلسطين عام ١٩٤٨م، وكانت أول معارك الإخوان ضد اليهود يوم ٩ / ٥ / ١٩٤٨م، ثم تتابعت معارك الإخوان ضد اليهود، أظهر فيها الإخوان المجاهدون أروع البطولات، مما أرعب اليهود وجعلهم يفرّون أمام مجاهدي الإخوان المسلمين، وارتوت أرض فلسطين بدماء الشهداء الأبرار، ثم كان ما كان

من حكومات الدول العربية التي أدخلت جيوشها إلى فلسطين بعضها بأسلحة فاسدة أو دون أوامر للقتال، ولم يبق في الميدان سوى الإخوان المسلمين الذين قَدِمُوا من مصر، وسورية، والأردن يقاتلون بشجاعة نادرة، وبطولات خارقة.

ثم كانت الهدنات المتتابعة لتمكين اليهود وتقوية جانبهم، وأخيراً أصدر النقراشي ـ رئيس حكومة مصر ـ قرار حل الإخوان المسلمين واعتقالهم حسب أوامر أسياده، ولم يقتصر الأمر على اعتقال الإخوان المسلمين بمصر، بل صدرت الأوامر لقيادة الجيش المصري بفلسطين باعتقال مجاهدي الإخوان المسلمين المصريين جميعاً، فوُضِعوا في معسكر اعتقال ميداني محاط بالأسلاك الشائكة تحت حراسة الجيش المصري، ثم نُقِل المجاهدون المعتقلون بعد تجريدهم من سلاحهم إلى معتقل الهايكستب بعد أن دبرت الحكومة جريمة قتل الإمام حسن البنا في أكبر شوارع القاهرة أمام جمعية الشبان المسلمين على يد ضباط البوليس المصري، وذلك يوم ١٢ / ٢ / ١٩٤٩م.

يقول الأستاذ كامل الشريف في كتابه القيّم: (المقاومة السرية في قناة السويس):

«... كان عبد المنعم عبد الرؤوف أكثر من مجرد ضابط في الجيش المصري، لقد كان بحقّ رائداً من أوائل الرواد الذين حملوا الفكرة الإسلامية إلى داخل الجيش، وجمعوا الضباط حولها، ولم يكن الضباط يجهلون عنه اتجاهاته الوطنية، فقد سبق له أن قام بمغامرة تستحق الإعجاب، حين حاول هو وزميله حسين ذو الفقار، نقل الفريق عزيز المصري ليلتحق بقوات الثورة العراقية ضد الإنجليز بقيادة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١م، قبل أن تهوي بهم الطائرة ولم ينجوا من الموت إلا بأعجوبة، عندما وقعت طائرتهم على أغصان شجرة متشابكة فخفف ذلك من اصطدامها بالأرض، ولقد سُجن عبد المنعم مدة طويلة، وطرد من الجيش، ولم يرد له اعتباره ويرجع إلى الجيش إلا حين تقلَّص النفوذ البريطاني بمصر بعض الشيء، ولكنه استمر في رسالته، ولم

تقع حركة وطنية بعد ذلك إلا كان مساهماً فيها بنصيب كبر أو صغر.

لقد جمعتني مع عبد المنعم عبد الرؤوف ظروف كثيرة، توطّدت بيني وبينه علاقة أكثر من الصداقة، حين عملنا معاً في قوات المتطوعين في فلسطين، وحين تعاونا بعد ذلك في تنظيم الضباط الوطنيين في الجيش، ولذلك كنت واثقاً أن وجوده على مقربة من السويس في كتيبة سيكون عاملاً مهماً في إنعاش حركتنا في هذه المنطقة.

ولقد أخذتُ أستذكر الظروف التي عرفتُ فيها هذا الضابط الوطني وأنا أعبر مجرى القناة قبل الغروب في زورق صغير من السويس إلى الضفة الشرقية ومعي ابن عم لي كان يعمل مدرساً في إحدى مدارس المدينة.

وكنا قد اتصلنا بالأخ عبد المنعم في مكتبه وأخبرناه عن رغبتنا في الاجتماع به، فحدّد لنا هذا الوقت ليقابلنا على شاطئ القناة، وفي اللحظة التي اصطدم بها الزورق بالقاعدة الخشبية المثبتة على الشاطئ كان عبد المنعم يترجّل من سيارته الجيب ويأخذنا بالأحضان، وفي الطريق إلى معسكر الكتيبة، أخذتُ أحدّثه عن الأحوال الجارية، وأعيِّن له الغاية من زيارتي هذه، وهو ينصت باهتمام، ثم أبدى أسفه أن ضباط الكتيبة ليسوا على مثل رأيه، وأنه سيكون من الخطر مفاتحتهم في أي أمر، ولكنه سيحاول أن يعمل جهده في معاونتنا.

وفي الصباح كنا نتجوَّل في سيارة عسكرية مصرية على شاطئ القناة ونرقب النقط التي كان الإنجليز قد احتلوها حديثاً في نطاق خطتهم الرامية إلى مضايقة وحدات الجيش المصري، وكان عبد المنعم يشرح لي أهمية هذه المنطقة والأسباب التي أدت بالجيش المصري إلى إرسال كتيبة إليها.

وكانت فكرة عبد المنعم تتلخص في أن علينا أن ننظم عصابات في هذه المنطقة الوعرة، وتزويدها بالكفاية من التموين، على أن تكون مهمتها عرقلة أي هجوم تقوم به القوات اليهودية إذا ما نجحت في اختراق الدفاعات المصرية على حدود سيناء.

وحين اقتربنا من الشاطئ رأيت الجنود البريطانيين يحتلون (معدية الشاطئ) وهي ناقلة بحرية صغيرة تعمل بين ضفتي القناة، وقد احتلها البريطانيون قبل ذلك بوقت قصير، كما احتلوا (جسر الفردان) والمعديات الأخرى، وكان هدفهم من ذلك ـ كما لخَّصه عبد المنعم ـ عزل الكتيبة المصرية العاشرة ووضعها تحت رحمة القوات البريطانية، ومنع قوى المقاومة من استغلالها في نقل الأسلحة والذخائر، وقد اقترح عبد المنعم استرداد (المعدية) بالقوة، ولكن أوامر قيادة اللواء في الإسماعيلية استناداً إلى أوامر رئاسة الجيش المصري كانت تقضي بعدم التعرض للجنود الإنجليز.

ولقد علمتُ من الأخ عبد المنعم أنه لا يوجد في الكتيبة ضابط آخر يمكنه أن يتعاون معه في مهمة إمداد الحركة الفدائية بالسويس، فأخبرته بأنه توجد كمية كبيرة من العتاد لحسابنا عند اليوزباشي عبد الفتاح غنيم الذي يمكن الاتصال به عن طريق الأخ الطاهر منير ـ رئيس شعبة الإخوان المسلمين بالسويس ـ، وبالفعل ذهب عبد المنعم واستلم الشحنة من الذخائر، وأوصلها إلى إخواننا في السويس الذين واصلوا العمل الجهادي بعمليات ناجحة ضد الإنجليز».. انتهى.

وهكذا كان القائد البطل عبد المنعم عبد الرؤوف يدعم المجاهدين بكل قوة، ويغامر بكل جرأة وشجاعة، ويقتحم الصعاب، ولا يبالي بموقعه العسكري في سبيل دعم المحاربين في سبيل الله ضد الإنجليز المستعمرين.

لقد أسهم إسهاماً كبيراً في فلسطين والقناة، إذ قام بتدريب المجاهدين، كما قام بتأمين الأسلحة والذخائر لهم، ولم يدّخر وسعاً في ذلك، وهذا هو شأنه منذ شبابه، لا يتأخر عن أي موقف وطني ضد العدو المحتل لديار العرب والمسلمين سواء من الإنجليز أو اليهود أو غيرهم، وهذا ما سمعته من إخواني بمصر حين كانوا يحدّثونني عنه وعن بطولاته الفذّة.

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه القيِّم: (في قافلة الإخوان المسلمين):

«... لم تكن لي صلة سابقة بالأخ الفريق طيار عبد المنعم عبد الرؤوف قبل حضوري إلى «رفح»، ولكنني تعرَّفت عليه حال وصولي إليها، فقد دعاني لزيارته في منزله واستقبلني استقبال الأخ المسلم لأخيه دون اعتبار للفارق الكبير في الرتب العسكرية، فضلاً عن أخلاقه الإسلامية وبساطته وتواضعه، وسرعان ما اندمجنا، وتناولنا أموراً شتى بالبحث والمناقشة، ثم عرَّفني بعد ذلك ببعض زملائه من كبار الضباط الذين آمنوا بدعوتنا، وكنا نعقد بعض الجلسات نتناول فيها الدراسات الإسلامية، ولم نتطرق كثيراً للأمور السياسية إلا حين تكون الأحداث لا تحتمل الصمت.

وذات يوم أعلنت حالة الطوارئ في المنطقة، وتأهبت القوات وأخذت قوات الجيش حالة الاستعداد، وتصورنا أن هناك حالة حرب لا محالة، ولكن هذا المساء انتهى بهدوء، وبعد أيام صدرت أوامر من إدارة الجيش بالانسحاب إلى الخطوط الخلفية عدة كيلومترات، كما صدرت أوامر أيضاً إلى القوات الإسرائيلية بالانسحاب عدة كيلو مترات، ولهذا أُعلِنَتْ حالة الطوارئ، وقد تم الانسحاب من كلا الطرفين ليلاً.

وكان الفريق عبد المنعم يتحدث في هذا الأمر وهو غاضب ناقمٌ على هذا التصرّف الذي يوحي بفترة طويلة من المهادنة والملاينة.. ولم تمض أيام حتى صدر قرار بالتحرك إلى منطقة العريش...» انتهى.

هذا البطل المغوار والضابط الجسور هو الذي ذهب إلى الإسكندرية وحاصر قصر رأس التين، وأرغم فاروق على التنازل عن العرش.

يقول الأستاذ أحمد عادل كمال في كتابه (النقط فوق الحروف):

«... لقد علمتُ أن حركة الضباط لم تكن تستهدف خلع الملك، وأن الذي أوحى بهذه الفكرة، كان هو الفريق عزيز المصري، حيث قال لعبد المنعم عبد الرؤوف قل لجمال عبد الناصر، بأن الملك إذا رجع من الإسكندرية إلى القاهرة، عاد ولاء الجيش إليه وشنقكم في الطرقات، قولوا له الآن: اخرج.

ولقد قال لي محمد قطب بأن الشيخ محمد الأودن أيضاً أوحى إليهم بإخراج الملك، ونقل عبد المنعم الرسالة، فعقد مجلس قيادة الثورة اجتماعاً وناقشوا الأمر، وقيل إن علي صبري كان سفير الضباط إلى السفارة الأمريكية في القاهرة في هذا الشأن، وأن السفارة لم تعترض على إخراج الملك، ولكنها طلبت ضمان سلامته، وطلب عبد الناصر من عبد المنعم أن يقود القوات إلى الإسكندرية لإخراج الملك واشترط عليه ألا يقع اشتباك، ولكن عبد المنعم أبى وقال: «إما أن نقول له اخرج فيخرج، وإما أن يتحتَّم إخراجه ولو بالقوة، أما أن نطلب خروجه فيرفض ثم نتقاعس فهذا أمر غير مقبول، وعاد عبد الناصر يجتمع بالمجلس، ثم خرج إلى عبد المنعم بالموافقة على ما طلب، وذهب عبد المنعم مع القوة إلى الإسكندرية، وخرج الملك بعد أن اعتقل عبد المنعم كبار ضباط الملك وأطلق بعض الطلقات على القصر] انتهى.

هذا ما رواه الثقات من الوقائع والبطولات عن الفريق طيار عبد المنعم عبد الرؤوف.

أما هو فيروي في مذكراته التي تحمل عنوان كتابه: (أرغمتُ فاروق على التنازل عن العرش) فيقول:

«... في صباح يوم ٢٦ / ٧ / ١٩٥٢م كان الهجوم على قصر رأس التين ومحاصرته، حيث نجحتُ في إجبار الملك على رفع العلم الأبيض ومغادرة البلاد، ثم عدتُ إلى القاهرة يوم ٢٨ / ٧ / ١٩٥٢م وشاركتُ في محاصرة قصر عابدين، وفي يوم ١ / ٨ / ١٩٥٢م صدر قرار نقلي إلى كتيبة أخرى تمهيداً لإبعادي عن القاهرة، فطلبتُ إعادتي إلى القوات الجوية، ولكن طلبي رُفض، ثم أبعدتُ إلى فلسطين يوم ٢ / ١٠ / ١٩٥٢م، وفي يوم ١٧ / ١٢ / ١٩٥٣م صدر قرار إحالتي إلى المعاش، فقلت في نفسي إن الطعنة الثانية التي سيوجهها لي عبد الناصر وعصابته هي اعتقالي وإلقائي في غياهب السجن، لأنهم يعلمون إخلاصي لمبادئ الإخوان المسلمين وحماسي لها، ووفائي للقائمين على أمر

الدعوة، وبالفعل صدقتْ ظنوني وتوقعاتي، ففي منتصف الليل من مساء يوم ١٨ / ١ / ١٩٥٤م، فوجئت بثلاثة من البوليس الحربي ومعهم أمر اعتقالي، وحين ذهبتُ وجدتُ بعض ضباط الإخوان، وهم: حسين حمودة، ومعروف الحضري، وأبو المكارم عبد الحي، وفؤاد جاسر، ومحمد غراب، وغيرهم من ضباط الإخوان المسلمين، وتم توزيعنا على زنازين السجن، وكنتُ في الزنزانة رقم (٩).

ولقد مرَّ عليَّ شهر وأنا في الزنزانة، ثم استدعيتُ للتحقيق يوم ١٨ / ٢ / ١٩٥٤م ثم نقلتُ بعده إلى سجن الأجانب.

وفي يوم ١٧ / ٤ / ١٩٥٤م عُقد المجلس العسكري العالي لمحاكمتي، وفي يوم ٢٨ / ٤ / ١٩٥٤م نُقلنا جميعاً إلى السجن الحربي ووضع كل واحد منا في زنزانة انفرادية، وقررت الهروب، وتمّ ذلك بتوفيق الله ومعاونة المخلصين.

وأعلن طلب القبض عليَّ وعلى الأستاذ حسن العشماوي المحامي وحدد الإعلان كل من يتستّر على الهاربين من الإخوان بعقوبة الإعدام أو الأشغال الشاقة والسجن، كما أعلن عن مكافأة ألف جنيه لمن يُرشد عن عبد الرؤوف أو العشماوي.

وفي عام ١٩٥٥م وفقني الله لمغادرة مصر مهاجراً بديني، حيث وصلتُ لبنان بسلامة الله، وهناك التقيتُ بعض الإخوان كالأستاذ عبد الحكيم عابدين، والدكتور سعيد رمضان، والأستاذ سعد الدين الوليلي، والدكتور عز الدين إبراهيم وغيرهم.

وبعد فترة طويلة التقيتُ ضابطاً مصرياً أعرفه جيداً يعمل في مخابرات السفارة المصرية ببيروت، ثم قرأت في مجلة «الصياد» اللبنانية أن الحكومة المصرية طلبت من لبنان تسليمها بعض المصريين المقيمين فيه.

وهنا فكّرتُ في ترك لبنان، والسفر إلى الأردن، حيث بقيتُ إلى عام ١٩٥٩م وفي يوم ٢١ / ٧ / ١٩٥٩م غادرتُ الأردن إلى تركيا وأقمتُ فيها حوالي ثلاث

سنوات، ثم غادرتها إلى لبنان يوم ٢٣ / ٧ / ١٩٦٢م حيث زوجتي اللبنانية وأولادي، وهناك زرتُ الدكتور مصطفى السباعي ـ المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية ـ الذي كان يعالج في لبنان، كما التقيتُ الشيخ مناع القطان، وأحمد الطنوبي، وعبد العظيم لقمة، وكامل الشريف، وغيرهم، كما زرت سماحة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني.

وفي يوم ١٢ / ٩ / ١٩٧٢م عدتُ إلى مصر، بعد أن أعلن أنور السادات في شهر أغسطس عام ١٩٧٢م بأن مصر مفتوحة لكل من يرغب في العودة إليها، وقد استقبلني بمطار القاهرة وزير الداخلية ممدوح سالم، كما حُدد لي يوم ٢ / ١١ / ١٩٧٢م لمقابلة السادات في منزله بالجيزة، حيث تمت المقابلة، وصدر قرار جمهوري نُشِر في الجريدة الرسمية بإلغاء حكم الإعدام الصادر ضدي..».

ولقد بقي الأخ الفريق طيار عبد المنعم عبد الرؤوف في مصر لم يغادرها إلا لأداء مناسك العمرة عام ١٩٧٨م حيث التقى اللواء معروف الحضري الذي حدّثه عن علاقة عبد الناصر باليهود منذ عام ١٩٤٨م أثناء حصار الفالوجة، وقال:

«لقد كنتُ أمدّ القوات المحاصرة في الفالوجة بالمؤن والمعدات كلما سنحت الفرصة لذلك، وأثناء فترة الهدوء قابلتُ ضابطاً إسرائيلياً يسأل عن عبد الناصر، ولما علم أنني أعمل مع عبد الناصر، أعطاني خطاباً خاصاً بعبد الناصر، وأثناء دخولي إلى الحصار في الفالوجة وقعتُ أسيراً بيد اليهود، وأثناء الأسر أرسل لي عبد الناصر وهو محاصر في الفالوجة ضابطاً يهودياً بخطاب وتضمّن الخطاب تطميني بقرب فك الأسر!!

بل لقد أفرج عبد الناصر عن (١١) بحاراً يهودياً ـ في الأسبوع الذي أُعدم فيه الشهداء الستة عودة وإخوانه».

بقي الفريق طيار عبد المنعم عبد الرؤوف في مصر بعد عودته من العمرة، ثم أصيب بشلل نصفي، فلما علم السادات بذلك أرسل له طبيبه الخاص ونقله إلى مستشفى المعادي، كما زاره في المستشفى، ثم أرسله للعلاج في فرنسا، حيث

أجريت له عملية جراحية عاد بعدها إلى مصر، وفي عام ١٩٧٩م قام عبد الرؤوف بزيارة الرئيس محمد نجيب في منزله فرّحب به وعانقه وقال له: [يا حبيبي يا عبد المنعم فين أنت، كلما أسأل عنك يقولون: مات!! يا حبيبي يا عبد المنعم أنت البطل وكلهم فئران.. كانوا بيهربوا!!!».

ولقد عاش الفريق طيار عبد المنعم عبد الرؤوف بقية حياته في مصر، يعاني من كثرة الأمراض حتى انتقل إلى جوار ربه يوم الأربعاء ١٤ من ذي القعدة عام ١٤٠٥هـ ـ الموافق ٣١ / ٧ / ١٩٨٥م، عن عمر يناهز الـ ٧١ عاماً بعد حياة حافلة بالكفاح والتضحيات والمتاعب، على إثر نوبة قلبية بينما كان يتحدث مع نجله الصغير (مصعب).

رحم الله الفريق الركن طيار عبد المنعم عبد الرؤوف وأسكنه فسيح جناته، ورحم الله إخوانه الشهداء في ميادين فلسطين، وقناة السويس، وعلى أعواد المشانق، وفي زنازين السجون، وأقبية التعذيب، وجمعنا الله وإياهم مع الصدّيقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً..





علي أحمد باكثير

شهيد الفكر الإسلامي.. ورائد المسرح الإسلامي

(١٣٢٨ ـ ١٣٨٩هـ = ١٩١٠ ـ ١٩٦٩م)

توطئة:

استعرتُ هذا العنوان من أخي الدكتور محمد أبوبكر حميد، الذي يمثِّل قمَّة الوفاء لـ(باكثير)، وتراثه وآثاره، وهذا العنوان ينطبق تمام الانطباق على أديبنا الكبير علي أحمد باكثير، الذي أحببته وشغفتُ بأدبه وأنا في مقتبل عمري في المرحلة الثانوية، ثم ازددتُ به تعلقاً حين سافرت إلى مصر سنة ١٩٤٩م للدراسة الجامعية، وكان الأستاذ باكثير مقيماً فيها، كما كنتُ حريصاً على قراءة مسرحياته ورواياته، التي كان ينشرها في جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية التي صدرت سنة ١٩٤٦م، ثم توقفت أواخر سنة ١٩٤٨م حين حُلَّت جماعة الإخوان المسلمين في ٨ / ١٢ / ١٩٤٨م، وأوقفت صحفها ومجلاتها وصُودرت دورها وممتلكاتها، واغتيل المرشد العام للإخوان المسلمين الإمام حسن البنا في ١٢ / ٢ / ١٩٤٩م.

وقد أقبلتُ على قراءة قصصه ورواياته ومسرحياته وأشعاره، وإنني لأذكر جيداً كيف استغرقتُ في الضحك بصوت عال حين قراءتي مسرحية (أبودلامة: مضحك الخليفة) لطرافتها وجمال تأثيرها، وكان ذلك أواخر سنة ١٩٥٣م في بلدة الزبير، في العراق.

كما أذكر جيداً كيف بكيتُ بحرقة، وانهمرت الدموع بغزارة، وعلا النشيج وأنا أقرأ مسرحية (ملحمة عمر) التي شدتني إلى شخصية الفاروق، ومواقفه ومسيرته وذلك سنة ١٩٧٣م بالكويت.

إن هذا الأديب الكبير الذي يملك ناصية البيان، وينتزع القارئ من واقعه، ليعيش في ظلال قصصه ومسرحياته ورواياته، لهو كاتب متمكِّن، وصاحب أسلوب رائع، وملكة فنية مبدعة، تأسر قارئيها، وتستحوذ على مشاعرهم وعواطفهم.

إن الأستاذ باكثير عاش حياته صادقاً مع نفسه، معبراً عن آماله وطموحاته، مسخراً كل طاقاته الفنية، وإبداعاته الجمالية، وسحر بيانه، لخدمة فكرته وعقيدته، وعلاج مشكلات أمته، ووصف واقعها المعاصر، وأمجاد ماضيها العاطر، ليعرف الجيل الحاضر موقعه من الحياة، ورسالته فيها، ودوره المستقبلي الذي يجب أن يضطلع بمسؤوليته، بكل اقتدار وجد، وعزم وتصميم، فالحياة الكريمة، والبيئة الفاضلة، تتطلب وجود نوع من الرجال، يعرفون حقيقتهم، وموقعهم ودورهم ورسالتهم في الحياة.

مولده ونشأته ومسيرته:

ولد الأستاذ الأديب علي أحمد باكثير سنة ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م، في مدينة (سورابايا) بإندونيسيا، من أبوين حضرميين عربيين، ولما بلغ التاسعة من عمره، أرسله والده إلى موطنه الأصلي في (حضرموت) ليتقن اللغة العربية، والعلوم والدين، على أيدي مؤدبين عرب يلقنونه حب العربية، ويسقونه عشق الإسلام،

كعامة الحضارمة في المهجر في إرسال أبنائهم إلى أوطانهم الأصلية، وقد ظهر نبوغه مبكراً، واتسعت مداركه وثقافته منذ صباه، ونظم الشعر، وهو في سن الثالثة عشرة، وأصدر سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٠م مجلة باسم (التهذيب) في حضرموت، استمرت لمدة عام، وكان متأثراً بالمدرسة السلفية الحديثة في مصر، متمثلة في السيد محمد رشيد رضا، والسيد محب الدين الخطيب، ومجلته (الفتح)، وقد تلقى رسالة منه، وأخرى من السيد محمد رشيد رضا يحثّانه على السفر إلى مصر.

وفي سنة ١٣٥٢هـ ـ ١٩٣٢م، فقد زوجته الشابة بعد مرض عضال أصابها، عانت معه الكثير من الآلام المبرّحة، فحزن حزناً شديداً على فراقها، وضاقت به الأيام، فلم يحتمل البقاء في حضرموت، فسافر إلى عدن، وبقي فيها قرابة العام، ثم غادرها إلى المملكة العربية السعودية، وبقي فيها قرابة العام أيضاً، في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، وجدة، وهناك أصدر باكورة مسرحياته وهي: (همَّام في بلاد الأحقاف) كما أصدر ديوان شعر.

وفي سنة ١٩٣٤م سافر إلى مصر، والتحق بكلية الآداب (قسم اللغة الإنجليزية)، وتخرج سنة ١٩٣٩م، ثم حصل على دبلوم التربية بكلية المعلمين سنة ١٩٤٠م، وعمل مدرساً للغة الإنجليزية في المدارس الثانوية لمدة أربعة عشر عاماً، وكان يكتب في مجلات: (الرسالة، والثقافة، والأسبوع، وأبوللو، والرسالة الجديدة، والفتح، والمعرفة، والوادي).

وفي سنة ١٩٥١م حصل على الجنسية المصرية، وشارك في رحلات ثقافية وعلمية مع البعثات إلى فرنسا، والاتحاد السوفييتي سنة ١٩٥٦م، كما شارك مع الأدباء المصريين في مؤتمر كتاب آسيا وإفريقيا الذي عقد في مدينة «طشقند» سنة ١٩٥٨م.

ولقد سعدت بلقائه في الكويت عند الأخ عبدالعزيز السيسي بمكتبة «دار البيان»، وقد اتفق معه على طباعة (ملحمة عمر) وغيرها من مؤلفاته، وقد تمّ

ذلك، واشترينا لوزارة الأوقاف أعداداً كبيرة من هذه الملحمة وزعت في أنحاء العالم الإسلامي من خلال المراكز والجمعيات والمؤسسات الإسلامية.

انصرف الأستاذ باكثير عن الشعر، وتوجّه لكتابة المسرحية، ومن أشهر مسرحياته: (سر الحاكم بأمر الله، جحا، سر شهر زاد)، ومن أشهر رواياته: (الثائر الأحمر) التي تسببت في نقمة الشيوعيين عليه، وحاربوه حرباً شعواء لا هوادة فيها، عندما كانوا متسلطين على أجهزة الإعلام المصرية، ومن رواياته: (سلاَّمة القس) و(وا إسلاماه)، وغيرهما، وقد بلغت أعماله المسرحية والروائية أكثر من سبعين عملاً، كما أن له شعراً كثيراً لم يطبع بعد، باستثناء ما قام به الدكتور محمد أبو بكر حميد من إصدار ديوان: (أزهار الرّبى في شعر الصبا) الذي يضم أشعار باكثير في حضرموت والسعودية قبل سنة ١٩٣٢م.

وله أعمال مخطوطة كثيرة يواصل الدكتور محمد أبوبكر حميد جهوده المباركة لجمعها، وتهيئتها للطباعة بمساعدة الغيورين على تراث باكثير من العرب والمسلمين.

ولقد حصل الأستاذ باكثير على جوائز كثيرة،، منها: جائزة الدولة التشجيعية لسنة ١٩٦٢م عن مسرحية (هاروت وماروت)، كما حصل على وسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى، وكذلك حصل على وسام عيد المعلم، ووسام الشعر، وكان عضواً في لجنة الشعر، ولجنة القصة، بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

ونظراً لما يتمتّع به الأستاذ باكثير من تفوّق أدبي في ميدان الرواية والمسرحية والشعر والأدب، ولأنه من الأدباء الملتزمين بمنهج الإسلام، فقد تعرّض لحملة شرسة من الاضطهاد والتعتيم في حرب غير معلنة ضده من العناصر اليسارية والماركسية في الأجهزة الثقافية، وخاصة المسرح، وذلك في السنوات العشر الأخيرة من حياته.

نماذج من شعره:

يقول في قصيدة بعنوان: (صوت الشهيد):

فيم احتشادكم هذا لتأبيني ... أنتم أحق بتأبين الورى دوني
فما الشهادة إلا ميتة كرمت ... عن ميتة الداء أو ميتة الهونِ
إني نزلتُ بدار الحق في رغد ... بين الخمائل فيها والرياحين
في جنة ما بها خوف ولا حزن ... لولا رثاء لحال العرب يشجيني
قامت عليهم وحوش البغي قاطبة ... من ثعلبان ومن دب وتنين
فيم انتظاركمُ والحق حقكمُ ... يُعدى عليه ليعطى للملاعين
لا تطلبوه احتكاماً في مجامعهم ... بل استردوه قسراً في الميادين
والمسلمون جميعاً من ورائكمُ ... بإندونسيا وباكستان والصين
لا تندبوني فإني لم أمت جزعاً ... فإن علمتم عليّ الذل فابكوني
وإن تريدوا لوجه الحق تكرمتي ... فابغوا الشهادة للدنيا وللدين
فابن الوليد على اليرموك يرقبكم ... وليث أيوب يرعاكم بحطين

وقال:

ليت لي مليون ساق ... أنبري رقصاً بها في المعمعه
ثم لا تسلم منها واحدة ... لترى نعشي والنصر معه

وقال:

الصلح للعرب لحدٌ يُقبرون به ... وللعدا هو مهد يكفل الولدا
إياكمو أن تزلّوا زلة عمماً ... فتفتحوا لهم الأبواب والسُّددا
إذن تبيدوا على أقدامهم ضعة ... إذن يعيشوا على أشلائنا رغدا

وقال:

وددتُ لو اني في فلسطين ثائرٌ ... لأهلي تنعاني الظبا لا القصائدُ
أو اني في اسكندرونة شاهر ... حسامي عليه من دم الوحش جاسدُ

وفي برقة أو في الجزائر قاصم ظهور العدا والباترات رواعدُ

فتلك بلادي لا أفرّق بينها لها طارف في مجد قومي وتالدُ

ثمانون مليوناً يباهون كلهم بخير لغات الأرض والذكر شاهدُ

وقال:

ومن تجرد عن دين وعن خلق فليس يرفعه علم ولا أدبُ

والعلم والدين والأخلاق إن جُمعت لأمة بلغوا في المجد ما طلبوا

وقد حدثني زميلي في الدراسة بمصر الأخ التركي الداعية محمد أمين سراج أن الأستاذ باكثير حين زار إستانبول ورأى مساجدها وطراز قبابها ومآذنها، استحضر في ذهنه مواصفات الشعب التركي المسلم المتمثّلة في الجهاد لنصرة الإسلام، فقال بيتين من الشعر في وصف القباب كأنها الخوذات على رؤوس المجاهدين، وفي وصف المآذن كأنها الرماح في صدور الكافرين.

كأن قبابها خوذات صلب وُضعن على رؤوس مجاهدينا

ومن ينظر مآذنها يجدها رماحاً في صدور الكافرينا

أهم مؤلفاته:

همّام في بلاد الأحقاف، نظم البردة «شعر»، شيلوك الجديد، شعب الله المختار، إله إسرائيل، التوراة الضائعة، أخناتون ونفرتيتي، روميو وجوليت، قصر الهودج، الشيماء شادية الإسلام، فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية (محاضرات ألقاها في المعهد العالي التابع للجامعة العربية بالقاهرة)، أبودلامة.. مضحك الخليفة، الفرعون الموعود، عودة الفردوس، سر الحاكم بأمر الله، مسمار جحا، مسرح السياسة، إمبراطورية في المزاد، الثائر الأحمر (تمثيلية إذاعية)، دار ابن لقمان، سلاّمة القس، وإسلاماه، ليلة النهر، السلسلة

والغفران، الدكتور حازم، مأساة أوديب، سر شهر زاد، سيرة شجاع، الدنيا فوضى، أوزوريس، قطط وفيران، هاروت وماروت، جلفدان هانم، الفلاح الفصيح، حبل الغسيل، هكذا لقي الله عمر، الزعيم الأوحد، الدودة والثعبان، الملحمة الإسلامية الكبرى (عمر) في ١٨ جزءاً، أزهار الربى في شعر الصبا «ديوان شعر»، أحلام نابليون، باكورة الشعر (ديوان شعر)، مأساة زينب، حرب البسوس، الوطن الأكبر، قضية أهل الربع، فاوست الجديد، شلبية، عرائس وعرسان، لباس العفة، الحجازيات (ديوان شعر)، عاشق من حضرموت، العدنيات (ديوان شعر)...

وقد مُثِّلت بعض رواياته في السينما، كما مُثِّلت بعض مسرحياته على المسرح، «والثائر الأحمر» تمثيلية إذاعية.

ويقول الدكتور محمد أبو بكر حميد: إنه عثر في تراث باكثير على تمثيليات سياسية، وإسلامية قصيرة نشرت في مجلة رابطة أدباء الشام الألكترونية، بإشراف عبد الله الطنطاوي، وكتابات سياسية، وخمس مسرحيات شعرية مجهولة، وترجمات لأربع مسرحيات نقلها بنفسه إلى الإنجليزية، ومخطوطة عنوانها (شعراء حضرموت) وقصائد تكفي لطباعة ثلاثة دواوين، ومذكرات شخصية عن رحلاته إلى الاتحاد السوفييتي وأوروبا.

ويعكف الأستاذ الدكتور محمد أبوبكر حميد على تراث باكثير، فقد عمل على تحقيق وإعداد الكثير منه مثل: (ديوان صدى عدن، وأنفاس الحجاز) و(على أحمد باكثير يتحدث)، و(في نصرة الملك عبدالعزيز)، و(ولا غالب إلا الله)، و(شخصيات بلا ظلال)، و(أصوات بلا صدى)، و(حركات التجديد في المسرح العالمي الحديث) وغيرها كثير.

وللأستاذ أبي بكر حميد كتاب: (علي أحمد باكثير في مرآة عصره) يتضمن أقوال بعض معاصري باكثير فيه.

إن جهود الدكتور محمد أبوبكر حميد تحسب له في ميزان الوفاء للرجال،

الرجال أمثال باكثير الذين يريد خصوم الإسلام من الملاحدة والشيوعيين وعملاء الغرب وكتاب المارينز، إسدال الستار على جهودهم، وحجب تراثهم عن الجماهير، مستغلين مواقعهم في الإعلام المسموع والمنشور والمشاهد، وإبراز الأقزام المهازيل من الذين يرضعون لبان أسيادهم المستشرقين والمستعمرين، ويكررون مقولاتهم كالببغاوات التي تهرف ولا تعرف.

من أقواله:

«... في التاريخ العربي والإسلامي مواقف عظيمة رائعة ينبغي أن يعيها الجيل العربي الحاضر، حين تصوّر في صورة درامية مؤثّرة، وشكسبير كتب كثيراً من المسرحيات التاريخية التي استلهم فيها تاريخ بلاده، والمعروف أن التاريخ يربط حاضر الأمة بماضيها، ولا حياة لأمة مبتورة الصلة بماضيها.

لقد عالجتُ القضايا العربية كلها تقريباً من خلال مسرحياتي، واهتممت بقضية فلسطين بالذات، لأنها قضية العرب الكبرى، وكتبتُ أول مسرحية عن فلسطين سنة ١٩٤٤م، وهي (شيلوك الجديد) قبل النكبة، وبعدها (شعب الله المختار) و(إله إسرائيل)، وأخيراً (التوراة الضائعة) بعد نكسة ٥ حزيران سنة ١٩٦٧م.

إن ما صدر من مؤلفات عن القضية الفلسطينية أنا راض عن القليل منها، وإن كنتُ أعتقد على العموم أنها جميعاً دون مستوى القضية بكثير، وما زالت القضية الفلسطينية تنتظر العمل الأدبي الذي يتكافأ مع جلالها وخطرها وأهميتها بالنسبة لمستقبل الأمة العربية والإسلامية. إن الرسالة التي يحملها الشعراء والأدباء هي أن يعمّقوا إحساس الأمة بالمأساة الفلسطينية ويذكروها بأنها قضية حياة أو موت، قضية مصير الأمة العربية والإسلامية كلها».

وكان باكثير يردد عبارته المشهورة:

«لأن أكون راعي غنم في حضرموت، خير لي من الصمت المميت في القاهرة».

قالوا عنه:

قال عنه الأستاذ عبد الله الطنطاوي: «إني لأفخر أني أول من كتب بحثاً في مجلة (الآداب) البيروتية، قبيل وفاة باكثير بشهرين، أثبتُّ فيه أن باكثير هو رائد شعر التفعيلة بلا منازع، وأني أول من أصدر كتاباً عن باكثير بعنوان: (دراسات في أدب باكثير) عام ١٩٧٥م.

رحم الله باكثير، فقد كان رائد الأدب الإسلامي، وعملاقه، ولم يأت من بعده من سد مسده في حومة الأدب الإسلامي، بأجناسه الشتى، وخاصة في الرواية والمسرح، وكل النقاد مقصّرون في تقديم أدبه الأصيل إلى الناس، ليطرد الأدب الهزيل الذي يملأ الساحة بترهاته».

ويقول الأستاذ الكبير أحمد عبدالغفور عطار:

«... أما علي أحمد باكثير، فهذا الإنسان نموذج رائع في مكارم الأخلاق، ومن ناحية العقيدة.. فالرجل غلبت عليه الشهرة في الرواية والشعر والفن الأدبي، وغلب على عمله التقيد بالتوحيد والفقه، وكان الرجل شديد التمسك بالسنة المحمدية، كما أنه شديد التدين، حتى إنه يكون جالساً في المقهى، فإذا جاء المغرب بادر إلى الصلاة لأنه يعرف أن وقت المغرب ضيّق، ثم يعود لمتابعة عمله الأدبي».

ويقول عنه الأديب د. نجيب الكيلاني:

«... لقد كان الأستاذ علي أحمد باكثير يتميز بخطّه الإسلامي، وفكره السياسي المبلور، وتعبيره الواعي من خلال مسرحياته وقصصه عن قضايا إسلامية معاصرة، ومشاكل اجتماعية شائعة، ويستلهم التاريخ في الكثير من قصصه ومسرحياته.

ثم كانت القضية الحاسمة «قضية الشيوعية».. إن علي أحمد باكثير المسلم المؤمن بقيم السماء يرفض بشدة تلك التيارات الملحدة الزاحفة نحو ديارنا، وباكثير الابن البار للحضارة الإسلامية، تلك التي غذّته بلبانها، وأمدته بحكمتها وصدقها وشموخها، لم يكن ليقف مكتوف اليدين، إزاء ذلك الخطر الذي يهدد أغلى ما يؤمن به من مبادئ وسلوك وأفكار، فكان كتابه «الثائر الأحمر» صيحة أدبية رفيعة في وجه الغرور والحقد والمروق، كما كان إيقاظاً للنائمين من أبناء الجيل الجديد الذي كاد اللون الأحمر البراق بالترهات والأكاذيب أن يضمهم تحت جناحه الغادر.

ولعل هذا الأمر تسبب لباكثير في التعرّض للاضطهاد والمعاناة والجحود، ففي فترة من الزمن تسلل (الملحدون) إلى الصحف والمجلات ومنابر الإذاعات والتلفزيونات، فكان أن دبروا لباكثير حملة ماكرة من التشويه أحياناً والتجاهل أحياناً أخرى، وكانوا يغمزون نحوه في مجالس الأدب ومنتدياته ويقولون عنه في سخرية: (علي إسلامستان) حسبما روى لي بنفسه، وكان يضحك في هدوء، ويبدو بريق السعادة والثقة في عينيه خلف نظارته الطبيّة البيضاء ويقول: «إنه لشرف عظيم لي أن أُتهم بالإسلامية فيما أُقدمه من أدب».

ويقول د. حلمي محمد القاعود:

«كان علي أحمد باكثير من ذلك الطراز الذي لا يخافت بصوته الإسلامي، ولا يساوم على تصوره الإيماني، وكان في الوقت نفسه رائداً من رواد أدب الحدس الصادق، وهو الأدب الذي يستشرف المستقبل، من خلال الماضي والحاضر، فكان سابقاً عصره، وكان غريباً في زمانه، لأنه رأى ما لم يره غيره، أو رآه غيره وسكت عنه، فقد رأى ولم يسكت، ولكل هذا فإن «باكثير» عاش محنة التفرد والتميز والريادة والمكاشفة، ودفع الثمن غالياً عندما تعرض للحصار الأدبي والقمع الفكري والتجميد الوظيفي.. بل اتهمه أحد الزعماء الماركسيين بأنه ضالع في مخطط (رجعي) ضد التقدمية والاشتراكية».

ويقول د. محمد أبو بكر حميد:

«لقد عاش باكثير حياته كلها قانعاً براتبه الذي لا يكاد يسد حاجته، لا يركض خلف مال يجنيه من كتبه، مكتفياً بانتشارها وذيوعها، منصرفاً عما يتهالك عليه الناس في دنياهم إلى جو روحي خالص لنفسه، يشعر دائماً بالاطمئنان إلى المستقبل، فلم يشعر يوماً أنه فقير أمام صاحب مال، مؤمناً بأن غناه في نفسه وعلمه وأدبه».

ويقول الأستاذ علي محمد الغريب:

«في وقت ساد فيه العبث حياتنا الثقافية والأدبية، وفي فترة من الزمن تسللت (شلل) الملحدين إلى وسائل الإعلام المختلفة، كالأدب والصحافة والمسرح، يُقْصُون كل من كان مؤمناً بقيم هذه الأمة، يدبّرون له المكائد، وينصبون له الشراك، حتى يختفي من حياتهم أو يموت كمداً.

في هذه الأجواء الرهيبة، وفي هذه العتمة الحالكة، قدم من حضرموت إلى القاهرة سنة ١٩٣٤م شاب يرغب في دراسة اللغة العربية والدين الإسلامي في الأزهر، لكنه ما لبث أن غيّر رأيه ودخل كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حالياً)، وكان هذا الاتجاه ناجماً عن تشجيع من العالم والأديب محب الدين الخطيب، ليدرس الآداب الأجنبية حتى يستطيع أن يرد السهام التي يرمي بها دعاة التغريب في الأدب والحياة، في وجه التيار الإسلامي، ولقد صدقت فراسة الشيخ الخطيب، فأثبت الشاب باكثير فيما أنتجه من أدب فيما بعد أنه خير من حمل لواء الدفاع عن الاتجاه الإسلامي، مقتحماً عش (الدبابير) فكان نسمة لطيفة محمّلة بعبق مجد مجيد، ورحيق تاريخ تليد، هذا الشاب هو: علي أحمد باكثير».

ويقول عنه الأستاذ خيري حماد:

«أبصرتُ الدمعات تتساقط من عيني الأستاذ علي أحمد باكثير وهو يقف عند شريط الحدود الفاصل بين قطاع غزة والأرض المحتلة على بعد أمتار قليلة، وهو

يرى (الثكنة الإسرائيلية) وقد ارتفع عليها العلم الإسرائيلي.. رأيت عَبَرات باكثير فلم أتعجّب، فلقد أحب باكثير فلسطين كما أحب وطنه حضرموت والقاهرة وكل وطن عربي، بل إن لفلسطين مكانة خاصة في نفسه رافقته طوال حياته، فلقد أحب باكثير فلسطين حباً عميقاً».

ويقول د. عبده بدوي:

«الحقيقة أن باكثير كان كاتباً إسلامياً ملتزماً لا يسير في صدى ما يحدث، ذلك لأنه في كثير من الأحيان كان يسبق ما يحدث، وكان في الوقت نفسه ينظر من منظور إسلامي شفّاف، متعاطف مع كل الإنجازات الإنسانية العظيمة والنظر إلى الأشياء بطهارة ونقاء.. وكان صادقاً مع حضارته حين كان يركّز على عنصر الخير في أعماله، وكان ينتقل من المحسوس إلى المجرّد».

وفاته:

توفي في مدينة القاهرة بمصر آخر يوم من شعبان سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٠-١١ / ١٩٦٩م إثر نوبة قلبية، وكانت آخر صرخاته:

«لقد ذبحوني» في إشارة لمحاربة الشيوعيين بأجهزة الإعلام له ومحاصرته في كل الميادين الثقافية التي يتحكّمون بها بتفويض من الطاغية جمال عبدالناصر وبطانته من المرتزقة والمأجورين.

رحم الله أستاذنا باكثير رحمة واسعة، وغفر الله لنا وله، وأدخله فسيح جناته مع النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. والحمد لله رب العالمين.





٦١

العلامة الموسوعي علي الطنطاوي

فقيه الأدباء وأديب الفقهاء

(١٣٢٧ـ ١٤٢٠هـ = ١٩٠٩ـ ١٩٩٩م)

مولده وأسرته:

هو الأديب العلاّمة علي بن مصطفى بن محمد الطنطاوي، ولد في مدينة دمشق (٢٣ / ٥ / ١٣٢٧هـ ـ ١٢ / ٦ / ١٩٠٩م) في أسرة علم ودين، فأبوه وجده من العلماء المعروفين، ومن جهة أمه فإن خاله هو الأستاذ محب الدين الخطيب الكاتب الإسلامي، والصحافي الشهير، والمؤرخ المعروف.

سيرته العلمية والعملية:

درس الطنطاوي الابتدائية والثانوية في مدينة دمشق، وعمل في التعليم الابتدائي، وفي المدارس الأهلية، وفي المدارس الحكومية، وفي الصحافة، وارتحل إلى مصر، ودرس في كلية دار العلوم، وكان زميلاً للأستاذ الشهيد سيد قطب، ولكن الطنطاوي لم يتم الدراسة فيها، وعاد إلى دمشق، ودخل معهد

الحقوق بدمشق، وتخرج فيه سنة ١٩٣٣م وظل يعمل في سلك التعليم إلى سنة ١٩٣٥م ثم انتقل إلى العراق سنة ١٩٣٦م للتدريس في الثانوية المركزية في بغداد، ودار العلوم الشرعية بالأعظمية، ثم في المدرسة الثانوية في كركوك، ثم في ثانوية البصرة، وبقي في العراق إلى سنة ١٩٣٩م ثم عاد إلى دمشق.

وفي سنة ١٩٤١م، التحق بسلك القضاء، حيث عيّن قاضياً ثم قاضياً ممتازاً، ثم مستشاراً لمحكمة النقض في القاهرة أيام الوحدة مع مصر، وقد أسهم في إعداد قانون الأحوال الشخصية، وتعديل قانون الأوقاف، ومناهج المدارس الثانوية. وفي سنة ١٩٦٣م، بعد الانقلاب العسكري، وإعلان حالة الطوارئ غادر سورية إلى المملكة العربية السعودية، حيث عمل بكلية الشريعة وكلية اللغة العربية في الرياض، ثم في مكة المكرمة، حيث أمضى بالمملكة العربية السعودية خمسة وثلاثين عاماً، انتهت بوفاته فيها.

وفي هذه الفترة من إقامته في المملكة، درَّس في كلية التربية بمكة المكرمة، ونهض ببرنامج التوعية الإسلامية، وطاف على الجامعات والمعاهد والمدارس في أنحاء المملكة لإلقاء الدروس والمحاضرات، وتفرغ للفتوى والرد على الأسئلة والاستفتاءات من الناس في الحرم المكي، وفي بيته، ثم بدأ في برنامج إذاعي (مسائل ومشكلات) وبرامج تلفازية (نور وهداية) و(رجال من التاريخ) و(على مائدة الإفطار) طيلة ربع قرن.

والطنطاوي له برامج إذاعية منذ أوائل الثلاثينيات، في إذاعة الشرق الأدنى التي كانت تبث من (يافا) وبرامج من إذاعة بغداد سنة ١٩٣٧م وبرامج من إذاعة دمشق سنة ١٩٤٢م، وهو من الكتاب والأدباء الذين أسهموا في أكثر من جريدة ومجلة على مستوى العالم العربي، حيث كانت أول مقالة له سنة ١٩٢٦م في جريدة (المقتبس) ولم ينقطع عن النشر، فكان يكتب في مجلتي (الفتح) و(الزهراء) وجرائد (فتى العرب) و(ألف باء) و(الأيام) التي كان مدير تحريرها، وجريدتي (الناقد) و(الشعب) ومجلة (الرسالة) التي رأس تحريرها

حين مرض مؤسسها، و(المسلمون) و(حضارة الإسلام) و(النصر) و(الحج) وفي جريدتي (المدينة) و(الشرق الأوسط).

كما شارك في الكثير من المؤتمرات في البلاد العربية والإسلامية وأوروبا، فضلاً عن المحاضرات والندوات والحلقات الدراسية، وهو من أبرز رموز الدعوة الإسلامية المعاصرة، الذين كان لهم الدور الكبير في الدعوة إلى الله، وإصلاح المجتمع، وهداية الناس إلى طريق الحق، والوقوف في وجه المؤامرات التي يحيكها أعداء الإسلام وتلامذتهم من العملاء والمأجورين ضد الإسلام والمسلمين في كل مكان، وبخاصة الاستعمار الفرنسي في سورية والجزائر، والاستعمار الإنجليزي والصهيوني في فلسطين.

وكانت له وقفات شجاعة، وتحديات جسورة، جعلت الكثير من الخصوم ينكمشون ويتضاءلون أمام هذا الداعية الصلب في مقارعة الباطل وأهله، في الوقت الذي كان فيه يتبع أسلوب التشويق الجميل الجذاب لهداية الناس وتقريبهم إلى جادة الصواب، وإعانتهم على الالتزام بمنهج الإسلام، عقيدة ونظاماً ومنهج حياة.

وكانت جهوده تشمل ميادين الإصلاح في كل جوانبها التشريعية والسياسية والاجتماعية والتربوية والتعليمية والدعوية والفقهية، ومحاربة البدع والخرافات والعادات والتقاليد البالية التي لا يقرها الشرع، والسلوكيات التي تتنافى مع مبادئ الإسلام وقيمه، ويدعو للاعتزاز باللغة العربية، لغة القرآن الكريم، ويتصدى لأعدائها.

ومن هنا كان الطنطاوي متعدد الجوانب، غزير العطاء، وافر العلم، يقتحم الميادين، ويغوص في غمار المعارك، ويلج كل الأبواب، ليصل إلى الناس، ويسمعهم كلمة الحق، ويعرّفهم بدين الإسلام، ويجمعهم على الخير والتعاون والحب في الله، والعمل في مرضاة الله، وقد مُنح جائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٩٩٠م.

مؤلفاته:

ترك الطنطاوي عدة مؤلفات هي:

تعريف عام بدين الإسلام.

صور وخواطر.

من حديث الناس.

الجامع الأموي.

قصص من التاريخ.

قصص من الحياة.

أبو بكر الصديق.

عمر بن الخطاب (جزءان).

في إندونيسيا.

في بلاد العرب.

في سبيل الإصلاح.

رسائل سيف الإسلام.

رجال من التاريخ.

الهيثميات.

هتاف المجد.

مباحث إسلامية.

فصول إسلامية.

نفحات من الحرم.

صور من الشرق.

صيد الخاطر لابن الجوزي (تحقيق).

فكر ومباحث.

بشار بن برد.

مع الناس.
رسائل الإصلاح.
مسرحية أبي جهل.
ذكريات علي الطنطاوي (ثمانية أجزاء).
أخبار عمر.
التحليل الأدبي.
من التاريخ الإسلامي.
دمشق.
مقالات في كلمات.
فتاوى علي الطنطاوي.
بغداد.. مشاهدات وذكريات.
حكايات من التاريخ (من أدب الأطفال).
أعلام التاريخ (سلسلة التعريف بأعلام الإسلام) (سبعة أجزاء).

وله العديد من المقالات، وآلاف الأحاديث الإذاعية والتلفازية، والخطب المنبرية، التي تنتظر طلاب الدراسات العليا، ليجمعوها، وينشئوا عليها دراساتهم ورسائلهم الجامعية.

معرفتي به:

كان ابن العم سعود بن عبدالعزيز العقيل من تلامذة الأستاذ علي الطنطاوي في ثانوية البصرة، وكان من المعجبين به، وكانت له حظوة عند الأستاذ الطنطاوي، لتميّزه باللغة والأدب، وقد حببني الأخ سعود في أستاذه وأنا طالب في الابتدائية، بل كان يعطيني مجلة الرسالة لأقرأها وبخاصة مقالات الطنطاوي رغم مستواي العلمي المتواضع، ولكني مع ذلك تعلقت بالطنطاوي وأحببته، وكنت فيما بعد أحرص على قراءة مقالاته وكتبه، وكذا مؤلفات أستاذه الرافعي الذي أحببته من

كل قلبي لغيرته على الإسلام كدين، وعلى المسلمين كأمة، وعلى العربية كلغة، وأصبحت أعتبر نفسي من تلامذة هذه المدرسة التي تضم علي الطنطاوي، وسعيد العريان، وعبدالمنعم خلاف، ومحمود شاكر، وغيرهم من تلامذة الأستاذ الكبير مصطفى صادق الرافعي.

وكان الأستاذ علي الطنطاوي قريباً إلى نفسي جداً، بحكم دعمه للحركة الإسلامية المعاصرة بمصر والشام والعراق، وكتابته عن رجالها، وتعاونه مع العاملين في صفوفها ببلاد الشام، كالدكتور مصطفى السباعي، ومحمد المبارك، وعمر بهاء الدين الأميري وغيرهم.

ولقد كانت له وقفة شجاعة جريئة ضد الطغيان الناصري بمصر الذي حارب الإخوان المسلمين في أرض الكنانة، وسجن الآلاف المؤلفة من رجالهم، وعلق الكثير من قادتهم الأبطال الأفذاذ على أعواد المشانق، وكان «يوم الحداد» يوماً مشهوداً على هؤلاء الشهداء الأبرار، وفي مقدمتهم الشهداء العظام: عبدالقادر عودة، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب، وهنداوي دوير، ومحمود عبداللطيف وغيرهم، فقد سخَّر قلمه بالكتابة في الصحافة عن جرائم الدكتاتور، وكذا أحاديثه الإذاعية، وخطبه ومحاضراته التي أشاد فيها بحركة الإخوان، ومؤسسيها ودعاتها ومجاهديها في مصر وسورية والعراق.

وكان الشيخ علي الطنطاوي هو الفارس المجلي، والبطل الشجاع، والرجل المقدام الذي يواجه الصعاب، ويتحدى قوى البغي والطغيان، دون خوف أو وجل، وقد منحه الله عز وجل قوة الحجة، وبلاغة القول، ونصاعة البيان، والذاكرة الحافظة للأحداث والوقائع والتواريخ.

ولقد أكرمني الله بزيارته في مكة المكرمة، حيث كان يسكن بمنطقة العزيزية التي كنت أسكن فيها، أيام كنت أعمل برابطة العالم الإسلامي من سنة ١٩٨٨م إلى سنة ١٩٩٦م، وكذا زيارته في مدينة «جدة» بعد أن انتقل إليها سنة ١٩٩٣م حتى وفاته سنة ١٩٩٩م.

وفي كل مرة أزوره في مكة المكرمة، أو في مدينة جدة، كان يسألني عن تلميذه سعود العقيل الذي كان أحد طلابه في ثانوية البصرة، رغم مرور هذه السنين الطويلة.

وكنت أسعد بمجالسته، والأنس بأحاديثه، والاستفادة من فيض علمه الغزير في كل شؤون المعرفة، مع الطرافة في الأسلوب، والدعابة في الحديث، والأدب الإسلامي الجم، فضلاً عن برامجه الإذاعية والتلفازية التي عمَّ خيرها الناس جميعاً، داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، فكانت الأسر والأفراد والجماعات تترقب مواعيد أحاديثه، وتتلهف لسماعها ومشاهدتها، وتقبل عليها إقبال الظمآن على المورد العذب الزلال.

قالوا عنه:

يقول العلاَّمة الشيخ يوسف القرضاوي:

«عرفت الشيخ علي الطنطاوي في بواكير شبابي، حين كنت مشغوفاً بالأدب والشعر، منهوماً بقراءة كتب الأدب وتتبع المجلات الأدبية، وعلى رأسها مجلة (الرسالة) وكان الطنطاوي أحد كتابها المحببين لدي، لنزعته الإسلامية، وسلاسة أسلوبه، وعذوبة منطقه، وبراعة تصويره، وقد أشرف سنة ١٩٤٩م على تحرير «الرسالة» حين مرض الأستاذ الزيات. وحين تولى التدريس لمادة الثقافة الإسلامية في كلية التربية بالمملكة العربية السعودية، اختار كتاب (الحلال والحرام في الإسلام) مرجعاً للطلاب في هذا المقرر، دون أن يلقاني، ولكنه سمع بي من زملائه من أهل الشام، مثل الشيخ مصطفى الزرقاء، والشيخ محمد المبارك.

لقد كان الطنطاوي مشعلاً من مشاعل الهداية، ونجماً من نجوم التنوير، ولساناً من ألسنة الصدق، وداعية من دعاة الحق والخير والجمال، وكان يجمع في عظاته بين العلم والأدب، أو بين الإقناع والإمتاع، يتجلى هذا فيما سطره

يراعه من كتب ومقالات، وما فاض به لسانه من خطب ومحاضرات أو دروس وإفتاءات، كان يرتجلها لتوه، ولا يكتبها أو يحضّرها، وحين أصدرت كتابي (الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف) نوَّه به وحثَّ على قراءته.

حفظ الشيخ الطنطاوي عشرات بل مئات القصائد من الشعر الجاهلي والشعر الإسلامي والأموي باعتباره الحجة في اللغة.

أيَّد الوحدة بين مصر وسورية، ولكن حين أصبحت في عهد عبدالناصر خطراً على الحريات وعلى حقوق الإنسان، وانتشر التجسس، وعاش الناس في رعب السلطة، وغدا المكتب الثاني (المخابرات) هو الذي يحكم البلاد، وقف مع الانفصال، وأيّده بقوة، وخطب خطبة تاريخية مشهورة، كان لها صداها الواسع، وتأثيرها البالغ على جماهير الناس».

ويقول الأستاذ عصام العطار:

«سمعت الطنطاوي وسمعت به أول مرة في الجامع الأموي في دمشق يرثي الشيخ بدر الدين الحسني الملقب بالمحدث الأكبر في الشام، وكنت طالباً بالمدرسة الابتدائية، ثم قرأت له في مجلة (الرسالة) فأعجبت بروحه العربية والإسلامية الصافية، وحماسته الصادقة للدين والفضيلة والمثل العليا، وحربه المستعرة على الفرنسيين والإنجليز، والغزو الثقافي والفكري، وانتصاره للعرب والمسلمين المستضعفين في كل مكان، ودفاعه عن حقوق شعوبنا وأبنائنا المضطهدين أو المستغَلين أو المحرومين، وأعجبت بما كان يجلوه على قرائه من صور تاريخنا العربي والإسلامي المشرق التي تبهر العقول وتحرك النفوس وتحفزها إلى رفض الواقع والحاضر الحقير، والسمو بالمطامح والمشاعر بأسلوب جزل سليم جميل».

ويقول الأستاذ زهير الشاويش:

«عاش أستاذنا ووالدنا الشيخ علي الطنطاوي حياة عريضة طويلة، ذات أبعاد في الأفق، وعمق بجذورها في الأرض، وكان له الأثر الكبير في تنشئة الدعاة

والأدباء والقضاة والمجاهدين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وامتاز بالمروءة والنخوة والفضل.

قاد الأمة في وجه الاستعمار الفرنسي في سورية، ودافع عن فلسطين، وحفظ حقها إسلاماً وعروبة فيما قال وكتب، وسافر من أجلها لنصف الدنيا، وشارك في المؤتمرات والاجتماعات لها، وقمع الملحدين في أيامهم الأولى، وفي محيطه الإسلامي، وجابههم في كل مكان، وجمع مسار العلماء والمشايخ في الأوقاف ومساجد دمشق وغيرها، وكان مالئ الدنيا وشاغل الناس طوال حياته، كنا نعد أنفسنا للجهاد في فلسطين، وكان الشيخ الطنطاوي من أكبر من ساعدنا على ذلك مع أستاذنا الشيخ السباعي».

ويقول الدكتور منير محمد الغضبان:

«كانت حياة الطنطاوي كلها صدعاً بالحق، في العهد الفرنسي والعهد الوطني، لا يخشى زعيماً ولا كبيراً ولا رئيساً، يثني إن كان الثناء لازماً في موقف معين، وينتقد بعنف حين تنتهك حرمات الله، فلا يقوم له شيء، فوزارة الثقافة والإرشاد القومي عنده وزارة السخافة والإفساد القومي، يهاجم الدولة، وخطبته تنقل على الهواء من مسجد الجامعة، لقد كان الطنطاوي يغذي فينا عنصر الثورة للإسلام، والاعتزاز به، والاستعداد للتضحية في سبيله، ونحن نراه القدوة أمامنا على منبر الجامعة، يخاطب الوزراء والرؤساء، فنقول: لن يخرج إلا إلى السجن أو الموت، في الوقت الذي كانت فيه الدبابات تجوب الشوارع، والعسكر يمسكون بخناق الناس، وما غادر سورية إلا وقال كلمة الحق مجلجة على منبر الجامعة، في الحزب العلماني، والنظام المتخلي عن الإسلام، فكانت كلمة الحق عند السلطان الجائر، وكان قوّالاً للحق، صدّاعاً به، ولو كان يودي بحياته».

ويقول الشاعر أحمد محمد الصديق في رثاء عالم الأدباء وأديب العلماء الشيخ علي الطنطاوي عليه رحمة الله في قصيدة بعنوان: (بشائر الفوز):

شدا بفضلك أهل العلم والأدب   فاظفر بما شئت في الفردوس من رتب

أودعت كل عصارات النهى درراً — يشع لألاؤها العلوي في الكتب
إذا تحدثت ناجيت القلوب فما — في الحاضرين فؤاد غير منجذب
وإن كتبت فحبات منضدة — من عسجد.. رقرقت كالسلسل العذب
أقمتها حججاً للدين دامغة — بها يضيق ذوو البهتان والريب
وتقبس النور من ينبوعه عبراً — تجلو الحقائق في أثوابها القشب
كأنها من رؤى الأسلاف بارقة — تهدي إلى الرشد.. تأسو الجرح عن كثب
لله درك.. والتاريخ حافلة — يداه.. تزخر بالأمجاد.. والنوب
وكم نسجت لنا من خيطه قصصاً — محبوكة مثل حبك الدر بالذهب
نعيش أحداثه الكبرى.. تخالطنا — شخوصه.. كاختلاط اللحم بالعصب
آتاك ربك فقهاً زانه أدب — وحكمة نلت منها غاية الأرب
طلاوة الحرف تجري منك في نسق — مذاقه الشهد يشفي الروح من عطب
كأنه من نسيم الشام تنفحه — من عطرها بردى ريانة السحب
نشأت صلباً على التوحيد ملتزماً — كالسيف.. تكره طيش اللغو واللعب
ولا تهادن طغياناً ولا بدعاً — ولا يخيفك سوط الظلم والرهب
والذكريات التي سطرتها نهضت — شهادة عبر أشتات من الحقب
رويتها بلسان الصدق خالدة — عبر المدى.. نزفت مشبوبة اللهب
يلقى الشباب بها في شخصكم مثلاً — يقفو خطاه إلى الإصلاح في خبب
وللقضاء.. وقد وليته زمناً — عهد الوفاء وثيق غير منقضب
جميع همك للإسلام تحمله — عبئاً ثقيلاً من الآلام والتعب
وقد تجشمت فيه ما ينوء به — طود.. وآن بلوغ المنزل الرحب

من أقواله:

كتب مقالة رائعة بعنوان: (نحن المسلمين) جاء فيها:

سلوا عن ديار الشام ورياضها، والعراق وسوادها، والأندلس وأرباضها.

سلوا مصر ووديها، سلوا الجزيرة وفيافيها، سلوا الدنيا ومن فيها.

سلوا بطاح إفريقية، وربوع العجم، وسفوح القفقاس.

سلوا ضفاف الكنج، وضفاف اللوار، ووادي الدانوب.

سلوا عنا كل أرض في «الأرض» وكل حي تحت السماء

إن عندهم جميعاً خبراً، من بطولاتنا وتضحياتنا ومآثرنا ومفاخرنا وعلومنا وفنوننا.

نحن المسلمين!!

هل روى رياضَ المجد إلا دماؤنا!

هل زانت جنات البطولة إلا أجسادُ شهدائنا!

هل عرفت الدنيا أنبل منا وأكرم، أو أرأف أو أرحم، أو أجلّ أو أعظم، أو أرقى أو أعلم!

نحن حملنا المنار الهادي، والأرض تتيه في ليل الجهل، وقلنا لأهلها: هذا الطريق!

نحن نصبنا موازين العدل يوم رفعت كل أمة عصا الطغيان.

نحن بنينا للعلم داراً يأوي إليها حين شرده الناس عن داره.

نحن أعلنَّا المساواة يوم كان البشر يعبدون ملوكهم ويؤلهون سادتهم.

نحن أحيينا القلوب بالإيمان، والعقول بالعلم، والناس كلهم بالحرية والحضارة.

نحن المسلمين!

قوتنا بإيماننا، وعزُّنا بديننا، وثقتنا بربنا.

قانوننا قرآننا، وإمامنا نبينا، وأميرنا خادمنا.

وضعيفنا المحق قوي فينا، وقوينا عون لضعيفنا.

وكلنا إخوان في الله، سواء أمام الدين.

نحن المسلمين!

نماذج من شعره:

«اذكروا الأقصى»

المرأة الشلاء تحمي بيتها أنبيح بيت الخالق المعبود؟
هو حصن حق غاب عنه حماته هو قلعة لكن بغير جنود
لا العطر والند المصفَّى طيبه لكنّ ريّاه شذى البارود
يصلى المصلي النار في جنباته والمسلمون بنومة وهجود
أينام من تقري المدافع سمعه صوت يزلزل قنّة الجلمود
أينام من يمشي اللهيب بداره يشوي حميم لظاه رمل البيد

«لبيك.. لبيك»

لبيك ربي قد أتيتك تائباً أيُرَدُّ محتاج أتى يتضرع؟
لبيك جُدْ بالعفو عني ليس لي أملٌ بغير العفو منك ومطمع
لبيك ربي المسلمون تفرقوا من ذا يوحدهم سواك ويجمع

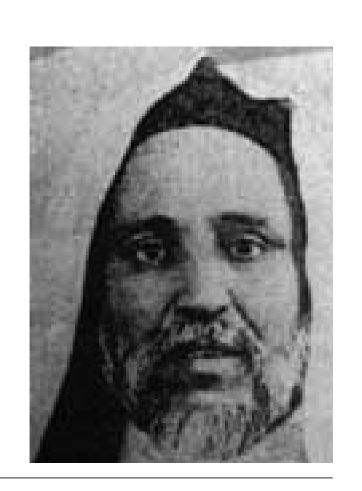
«عودوا»

عودوا إلى النهج القديم فإن هذا العود أحمد
عودوا يَعُدْ مجد الجدود ويوم بدر يتجدد
وتروا صلاح الدين عاد ويوم حطين الممجد

وفاته:

في مساء يوم الجمعة الثامن عشر من شهر يونيو (١٨ / ٦ / ١٩٩٩م) انتقل إلى رحمة الله تعالى، وهو في مستشفى الملك فهد في جدة. وقد صُلي عليه في الحرم المكي الشريف، ثم دُفن في مكة المكرمة وكان قد بلغ الثالثة والتسعين من عمره.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.







الشيخ علي بن يحيى معمر

(١٣٣٧ ـ ١٤٠٠هـ = ١٩١٩ ـ ١٩٨٠م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ العلاّمة الأديب المؤرخ علي بن يحيى معمر، ولد سنة ١٣٣٧هـ ـ ١٩١٩م في قرية (تكويت) من إقليم (نالوت) في ليبيا. ونشأ وترعرع في أسرة صالحة كريمة كان لها أطيب الأثر على استقامته وحسن سلوكه.

التحق بإحدى مدارس القرآن الكريم وهي مدرسة الشيخ عبدالله بن مسعود الكباوي، ثم انتقل إلى المدرسة الابتدائية، فأظهر نبوغاً فائقاً وذكاءً حاداً وموهبة امتاز بها بين أقرانه، ولفت أنظار أساتذته.

وحين قدم الشيخ العالم رمضان بن يحيى الليني الجربي التونسي إلى ليبيا، والشيخ الليني من تلامذة الإمام محمد بن يوسف أطفيش، انضم الشيخ علي يحيى معمر إلى حلقته العلمية واستفاد منه.

نشاطه العلمي:

ثم سافر إلى تونس، لاحقاً بشيخه (الليني) وانضم إلى حلقته العلمية مرة ثانية ولازمه. وبعدها انتقل للالتحاق بجامع الزيتونة بالعاصمة تونس. ثم في سنة (١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٧م) سافر إلى الجزائر والتحق بمعهد الحياة بمدينة (القرارة) بوادي ميزاب، ويعتبر هذا المعهد من صروح المعرفة والعلم في العالم الإسلامي. وعرفته الأندية الأدبية في القرارة بقصائده الشعرية، وأناشيده الرائعة الخالدة، وميوله الأدبية الواعدة، وشارك بفاعلية في جمعياتها الثقافية، وجلساتها الفكرية، وترك بصمات واضحة ماتزال حتى اليوم في مجلة (الشباب) التي كان (معهد الشباب) يصدرها آنئذ، وازدهرت المجلة بمقالاته النقدية وقصائده الرقيقة، وأناشيده المطربة، وعرفته أيضاً محاوراً قديراً، ومناظراً نحريراً.

كانت هذه الحركة الإصلاحية وما صاحبها من مهرجانات ثقافية متمثلة في الشعر، والمسرح، والأناشيد، تهز فؤاد علي يحيى معمر وتدفعه إلى المشاركة الفعالة، والاندفاع الجياش، فظهر طابعه على إنتاجه الذي كتبه في هذه المرحلة من عمره الدراسي، وكان من حسن حظه أن يعيش الفترة التي فرضت فيها الإقامة الجبرية على الشيخ بيوض من قبل الاستعمار الفرنسي (١٩٤٠ / ١٩٤٣م) وكانت الحرب العالمية الثانية سبباً في أن يبقى الطالب الشيخ إلى جانب أستاذه ينهل من معارفه ويستفيد من تجاربه.

وحين رأى شيوخه نبوغه وذكاءه عهدوا إليه بالتدريس في المعهد فصار تلميذاً ومدرساً في آن حتى ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٥م حيث عاد إلى وطنه ليبيا وأنشأ مجلة (اليراع) ولكنها صودرت بعد صدور ثلاثة أعداد منها.

وتدرج من مدرس إلى مدير مدرسة إلى موجه تربوي، وكان يلقي الدروس والمواعظ، وينشر المقالات الدينية والأدبية في عدد من الصحف، وأنشأ مدرسة ابتدائية ومعهداً للمعلمين في بلدة (جادو) كما أنشأ جمعية الفتح ومدرسة الفتح في طرابلس.

شيوخه:

أما شيوخه الذين تتلمذ عليهم فهم: الشيخ عبدالله بن مسعود الكباوي، الشيخ عيسى بن يحيى الباروني، الشيخ رمضان بن يحيى الليني، الشيخ محمد بن صالح الثميني، الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بيوض، الشيخ أبو اليقظان إبراهيم ابن عيسى بن يحيى والشيخ عدّون بن محمد شريفي وغيرهم كثيرون في ليبيا أو تونس أو الجزائر.

ومن تلامذته: الأخ الدكتور عمرو خليفة النامي الداعية الإسلامي خريج جامعة كامبردج في بريطانيا والذي كان له دور فاعل ومؤثر في النشاط الطلابي ونشر الدعوة الإسلامية في بريطانيا وليبيا متعاوناً مع إخوانه العاملين من الدعاة إلى الله في كل مكان.

منهجه في التأليف:

عرف الشيخ علي معمر منذ مطلع حياته العلمية بقلمه السيال، وإنتاجه الغزير، واشتُهر بأسلوبه المتميز الذي يجمع بين الإثارة والبساطة، ويجمع بين مخاطبة العقول والقلوب بطريقة جذابة ساحرة، وذلك شأن أديب نهل من معين القرآن الكريم والأدب العربي القديم في أمهات مصادره.

لذا عندما توجه إلى التأليف كان يسعف قلمه ثقافة واسعة، وبيان ساحر، ومعارف مستفيضة، فترك للمكتبة الإسلامية العديد من البحوث والمؤلفات المتميزة بالعرض الجيد، والتحليل العميق. هذا عدا مقالاته وقصائده التي نشر بعضاً منها بالصحف العربية ونشر بعضها الآخر في مجلة (الشباب) الصادرة بمعهد الشباب في الأربعينيات.

المنهج الإسلامي لكتابة التاريخ:

يعد الشيخ علي يحيى معمر من ألمع الكتاب الإسلاميين في العصر الحديث،

دعوة إلى الوحدة الإسلامية بما وهبه الله من عقل نير، وبصيرة نافذة، وقلب مؤمن يسع المؤمنين جميعاً، وقد اشتهر بمبادئه التي وضعها أساس الفكر الإسلامي وهي المعرفة والتعارف والاعتراف.

إن اليد البيضاء التي قدمها الشيخ علي معمر لن يستطيع تقديرها إلا من اطلع على الجهد العظيم الذي بذله في مؤلفاته للتقريب بين وجهات نظر المسلمين فيما حسبته بعض الكتب القديمة خلافاً حاداً وفُرقة لا لقاء بعدها.

وقد ظهرت آثار جهوده في البحوث التي أخذت تصدر من حين إلى آخر بأقلام أكاديمية نزيهة تنشد الحقيقة بكل تجريد، فصحح كثيراً من التصورات الخاطئة، وصوب أخطاءً فادحة، وأبان عن حقائق تاريخية ناصعة.

أهم مؤلفاته:

الإباضية في موكب التاريخ.

الإباضية بين الفرق الإسلامية.

سمر أسرة مسلمة.

الميثاق الغليظ.

الفتاة الليبية ومشاكل الحياة.

الأقانيم الثلاثة أو (آلهة من الحلوى).

الإسلام والقيم الإنسانية.

فلسطين بين المهاجرين والأنصار.

أجوبة وفتاوى.

صلاة الجمعة.

أحكام السفر في الإسلام.

مسلم ولكنه يحلق ويدخن.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الحقوق في الأموال.

الإباضية مذهب إسلامي معتدل.

ثلاثة دواوين شعر. (ولكنه أحرقها ولم يبق من شعره إلا ما نشر في الصحف والمجلات).

مسرحية (ذي قار).

مسرحية (محسن).

كما أن للشيخ علي معمر تعليقات، وتحقيقات لبعض كتب التراث، نذكر منها:

تعليق على كتاب الصوم من تأليف أبي زكريا يحيى الجناوتي (مطبوع).

تعليق على كتاب النكاح من تأليف أبي زكريا يحيى الجناوتي (مطبوع).

تقديم لكتاب سير مشايخ نفوسة، وهو من تحقيق الدكتور عمرو النامي (مطبوع).

وله مقالات وبحوث كثيرة نشرها في المجلات العربية، نذكر منها:

مجلة (الشباب) لمعهد الشباب بالقرارة.

مجلة (المسلمون)، يصدرها المركز الإسلامي بجنيف، سويسرا.

مجلة (الأزهر) يصدرها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة.

(الأسبوع السياسي) و(المعلم)، تصدران بطرابلس، ليبيا.

(الرسالة)، يصدرها أحمد حسن الزيات، بالقاهرة.

وله مراسلات عدة مع مشايخه: الشيخ بيوض، الشيخ أبي اليقظان، الشيخ عدون شريفي، ولو جمعت لكونت مجلداً ضخماً، وهي تعد وثائق تاريخية مهمة.

معرفتي به:

سعدت بمعرفته حين زارنا بالكويت أواخر ستينيات القرن العشرين، فقد شرفني بزيارتي في البيت والوزارة وفي جمعية الإصلاح الاجتماعي، فكانت

أحاديث وحوارات عن موسوعة الفقه الإسلامي التي كنا قد شرعنا بإصدار بحوثها التمهيدية لعرضها على العلماء في أنحاء العالم الإسلامي لإبداء ملاحظاتهم، وكان منهم الشيخ علي معمر والشيخ أحمد الخليلي والشيخ محمد ناصر المرموري وغيرهم. ولقد وجدتُ عند الشيخ علماً غزيراً وسعة في الصدر ورغبة في الحوار وخضوعاً لقوة الدليل، من خلال الحوارات والمحاضرات والمؤتمرات والبحوث والندوات التي اشترك فيها.

ولن أنسى ذلك الشاب العامل الدكتور عمرو النامي خريج جامعة كامبردج في بريطانيا الذي تعرّفت إليه عن طريق زملائه في الجامعة الدكتور أحمد العسال والدكتور مبارك العبيدي والدكتور حسن عبدالحميد صالح وغيرهم، الذين أثنوا عليه ثناء عاطراً. وهو شاعر مسلم ولد في (بنالوت) بليبيا ١٩٤٢م وبها تعلّم، ثم درس بمصر وحصل على الماجستير في الأدب ثم رحل إلى بريطانيا وأعد أطروحة الدكتوراه عن (تطور الفكر الإباضي) ناقشها في كمبردج سنة ١٩٧١م ثم درّس في (جامعة الفاتح) في ليبيا، ثم عمل أستاذاً معاراً بجامعة (مشيجان) بالولايات المتحدة الأمريكية ثم استقر في ليبيا؛ ليُلقَى في غياهب السجون ويعاني ويلاتها بسبب التزامه بالإسلام والدعوة إليه وانتمائه للإخوان المسلمين.

له قصائد كثيرة أشهرها قصيدة (أماه) التي قال في مطلعها:

أماه لا تجزعي فالحافظ الله ... إنا سلكنا طريقاً قد خبرناهُ

في موكب من دعاة الخير نتبعهم ... على طريق الهدى أنى وجدناهُ

وكان الدكتور النامي داعية من دعاة الإسلام العاملين، كما كان شعلة من الحماس والغيرة على الإسلام والعمل الدؤوب لنصرة الإسلام وقضايا المسلمين من خلال جماعة الإخوان المسلمين التي ارتبط بها وشارك في أنشطتها داخل ليبيا وخارجها.

شخصيته وصفاته:

والشيخ علي يحيى معمر شخصية جذابة يزينه وقار العلماء وهيبتهم وطلاقة المحيا وبشاشة الوجه وحسن الحديث والذوق الرفيع والأدب الجم والتواضع والبساطة، وسعة الاطلاع على أحوال المسلمين ومشكلاتهم وبذل الجهد المستطاع لمساعدتهم وبخاصة عن طريق التعليم والتربية. وكان يدعو إلى التقارب ونبذ الخلاف والتخلي عن العصبية المذهبية وإلى التسامح وفتح باب الاجتهاد والدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

قالوا عنه:

يقول عنه الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي السلطنة:

«لقد عرفت من الشيخ علي بن يحيى معمر ـ في خلال هذا اللقاء وهذه الزيارة وهذا السفر الذي رافقته فيه وكان لي فيه صاحباً بالجنب، وكنت له فيه صاحباً بالجنب ـ السماحة ودماثة الخلق وحسن المعاملة واللطف في مخالفة الناس والرغبة في الخير وعرفت منه أيضاً ميله إلى الأدب وقد كانت عباراته الأدبية لا تخلو من النكتة أحياناً، ومع ما كان يعانيه في ذلك الوقت ـ وقد كان ذلك في أخريات عمره ـ من الأسقام والبلاوي، فإنه بجانب ذلك كانت فيه نفس شابة من حيث الفتوة والقوة والانشراح واللطف في المعاملة مع الناس، فهو رجل جمع الأخلاق الحسنة بحذافيرها وكان حريصاً دائماً على جمع كلمة المسلمين وجمع شملهم».

وفاته:

انتقل أستاذنا الشيخ علي يحيى معمر إلى رحمة الله في شهر صفر ١٤٠٠هـ الموافق ١٥ / ١ / ١٩٨٠م بعد أن تدهورت صحته تحت وطأة الضغوط السياسية التي يواجهها العاملون للإسلام في كل مكان وبخاصة تحت

الأنظمة الدكتاتورية التي أهلكت العباد ونشرت الفساد وضجَّ منها الحاضر والباد.

رحم الله الشيخ وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





عمر بهاء الدين الأميري (أبو البراء)

(١٣٣٩ ـ ١٤١٢هـ = ١٩١٤ ـ ١٩٩٢م)

مولده ونشأته:

وُلد في مدينة حلب سنة (١٣٣٩هـ ـ ١٩١٤م) في أُسرة متديِّنة، ونشأ في رعاية أبوين أحسنا تربيته، فأحبهما ونطقت أشعاره بحبهما.

وفي حلب تلقى علومه حتى أنهى الدراسة الثانوية، ثم توجه إلى فرنسا حيث درس الأدب وفقه اللغة بجامعة (السربون) بباريس، ثم درس الحقوق في الجامعة السورية بدمشق، وعمل بعد تخرجه مديراً للمعهد العربي الإسلامي بدمشق، ومارس المحاماة فكان مثال المحامي النزيه والقاضي العدل، لا يترافع إلاّ مع الحق ولا يقضي إلاّ بما يقرّه الشرع، واشترك في مؤتمرات المحامين فكان فيها نجماً لامعاً.

اختير ليكون سفيراً لسوريا في باكستان سنة ١٩٥٠م ثم في المملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٤م. وفي سنة ١٣٨٦هـ دُعي إلى المغرب لتدريس الحضارة

الإسلامية بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس في مدينة فاس، ثم أستاذاً لكرسي الإسلام والتيارات المعاصرة في دار الحديث الحسينية بالرباط، ثم في قسم الدراسات الإسلامية والدكتوراه في جامعة القرويين.

وهو شاعر فحل من فحول الشعراء المعاصرين، بدأ الشعر وهو في التاسعة من عمره وجمع ديوانه الأول وهو في الثامنة عشرة.

اهتماماته:

عاش قضية فلسطين وكان لها في شعره نصيب كبير، وأفرد لها ديواناً من دواوينه، وكان في القدس مع جيش الإنقاذ سنة ١٩٤٨م، وعاش ثورة الجزائر، ومع بناء دولة باكستان، ومع قضايا المغرب، وشارك في الكثير من الندوات والمحاضرات والمؤتمرات في أنحاء العالم العربي والإسلامي.

كما احتلت أُسرته جانباً كبيراً من نفسه، فصاغ شعره عاطفة وحباً لأبنائه، وأضاف إلى المكتبة العربية من دواوينه الكثير، كديوانه (مع الله)، وديوانه (أب) وديوانه (ألوان طيف)، وديوانه (من وحي فلسطين)، وديوانه (أشواق وإشراق)، وديوانه (ملحمة النصر)، وديوانه (ملحمة الجهاد)، وديوانه (الأقصى وفتح والقمة)، وديوانه (قلب ورب)، وديوانه (رياحين الجنة)، وديوانه (ألوان من وحي المهرجان)، وديوانه (أمي)، وديوانه (الروضيات)، وديوانه (الزحف المقدس)، وديوانه (أذان القرآن)، وديوانه (مع القاضي الزبيري)، وديوانه (بنات المغرب)، وديوانه (نجاوى محمدية)، وديوانه (حجارة من سجيل) وديوانه (الهزيمة والفجر).

مؤلفاته وآثاره:

الإسلام في المعترك الحضاري.

في رحاب القرآن.



عمر بهاء الأميري مع عبدالله العلي المطوع (رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي) بالكويت

في الفقه الحضاري.

الخصائص الحضارية في الإسلام.

في التصور الحضاري العاصر.

الإسلام في ضوء الفقه الحضاري.

عروبة وإسلام.

لقاءان في طنجة.

صفحات ونفحات.

المجتمع الإسلامي والتيارات المعاصرة.

وسطيّة الإسلام وأمته في الفقه الحضاري.

أم الكتاب.

الهزيمة والفجر.

مقتطفات من شعره:

(صلاة)

كلما أمعن الدجى وتحالك ... شِمتُ في صمته الرهيب جلالكْ

وتراءت لعين قلبي برايا ... من جمال، آنستُ فيها جمالكْ

وترامى لمسمع الروح همسٌ ... من شفاه النجوم يتلو الثنا لكْ

واعتراني تولّهٌ وخشوعٌ ... واحتواني الشعور أني حيالكْ

ما تمالكتُ أن يخرّ كياني ... ساجداً واجداً، ومن يتمالكْ؟

(سبحان ربي الأعلى)

أي سرّ يودي بدنيا حدودي ... كلما همتُ في تجلي سجودي

كيف تذرو (سبحان ربي) قيودي ... كيف تجتاز بي وراء السدودِ

كيف تسمو بفطرتي ووجودي ... عن مفاهيم كوني المعهودِ

كيف ترقى بطينتي وجمودي ... في سماوات عالم من خلودِ

(الكعبة)

الكعبة الشمّاء في مذهبي ... قيمتها ليست بأحجارها

والقرب من خالقها ليس في ... تشبّث المرء بأستارها

قدسيّة الكعبة في جمعها ... أمتنا من كل أقطارها

وأنها محور أمجادها ... وأنها مصدر أنوارها

(صلة)

الحجر الأسود قبّلته ... بشفتي قلبي وكلي ولهْ

لا لاعتقادي أنه نافع ... بل لهيامي بالذي قبّلهْ

يقول الدكتور يوسف القرضاوي عن ديوان (مع الله):

كان ديوان (مع الله) صلوات، وابتهالات، وترنيمات إلهية، كأنها من مزامير داود، إنه شعر يُحلق في آفاق السماء، ويغوص في أعماق النفس، ويسبح في

جنبات الوجود، ويستحضر معية الله في كل مكان، وفي كل حين، وفي كل حال.

وقد استقبل الأدباء والشعراء والدعاة والمفكرون ديوان (مع الله) بما يليق به من ترحيب وتنويه.

وحسبنا من هؤلاء ما كتبه الأستاذ العقاد إلى شاعرنا الأميري من رسالة يقول له فيها:

ديوانكم (مع الله) آيات من الترتيل والصلاة، يُطالعها القارئ، فيسعد بسحر البيان، كما يسعد بصدق الإيمان.

وقد قرأتُ طائفة صالحة من قصائده: وسأقرأ بقيتها، وأُعيد قراءة ما قرأته، لأنه دعاء يتكرر ويتجدد ولا يتغير. وثوابكم من الله عليه يُغنيكم عن ثناء الناس، وإنه ـ على هذا ـ لثناء موفور، وعمل مشكور، فتقبلوا مني شكره، واغتنموا من الله أجره وعليكم سلام الله ورضوان الله.

عباس محمود العقاد

في ٤ ـ ٢ ـ ١٩٦٠م

وعن شعر الأميري وشاعريته يقول القرضاوي:

وبجوار الشعر الإيماني والشعر الإنساني للأميري، نجد الشعر الجهادي، وكلّه أو جلّه يصبّ في قضية الأمة المركزية والمحورية، وهي قضية الأقصى، قضية أرض الإسراء والمعراج، قضية فلسطين، وقد أصدر عدة دواوين في ذلك مثل: ملحمة الجهاد، من وحي فلسطين، حجارة من سجيل.

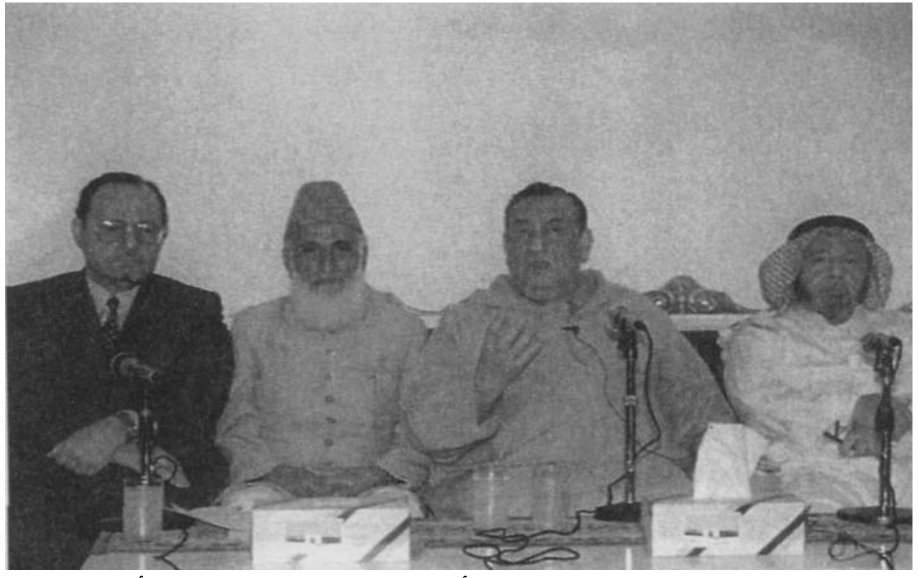
وإذا كان بعض الشعراء يخلد إلى الأرض وينزع إلى الطين والحمأ المسنون، فإن الأميري يُحلّق بشعره على أجنحة ملائكية، إلى آفاق علوية.

وإذا كان منهم من استغرقه الحس، وسجنه الجسد في قفصه، فإن الأميري قد سما بشعره إلى فردوس الروح، وسماء الربانية، وتحرر من قبضة الجسد الحديدية، بفضل ما منحه الله من رحيق الإيمان، وفيض الروح المشرق بنور اليقين.

معرفتي به وتوجيهاته لنا:

عرفته حين زار مصر أوائل الخمسينيات وكان وقتها سفيراً لسوريا في باكستان، وقد اجتمعنا به أكثر من مرة مع مجموعة من طلبة البعوث الإسلامية واستمعنا إلى توجيهاته ونصائحه فيما يتعلق بالعمل الإسلامي، وكان يركّز في حديثه على أن المؤامرة ضد الإسلام والمسلمين كبيرة جداً، وهي محكمة الخطط ماكرة التدبير تشارك فيها كل القوى المناوئة للإسلام من الصليبية والصهيونية والشيوعية والإلحاد بكل فرقه والتغريب بكل جيوشه والاستعمار بكل ألوانه وأعوانه.

وإن ضياع دولة الخلافة الإسلامية وضياع فلسطين، إنما هو بتكالب أمم الكفر وتفرّق كلمة المسلمين وانقسامهم على أنفسهم واحترابهم فيما بينهم والاستعانة بأعدائهم على إخوانهم. بالإضافة إلى تأخر الأمة الإسلامية في ميدان العلم وتأخرها عن ركب الحضارة ومجاراتها لأهواء الحكام وشهواتهم وانغماس



من اليمين: عدنان النحوي ـ عمر بهاء الدين الأميري ـ خليل الحامدي ـ عبدالقدوس أبو صالح

شبابها في الملذات والشهوات وتقليد الغرب في رذائله الخلقية وقشور حضارته وترك النافع من علومه.

وكان يحمّلنا المسؤولية ويقول: أنتم شباب اليوم ورجال الغد وحملة الإسلام إلى الناس جميعاً، فعليكم بالتزود بالعلم النافع والالتزام بالخلق الفاضل والارتباط بالعمل الإسلامي الجاد الذي يسعى لإعادة الأمة إلى إسلامها وعودتها إلى أمجادها وتمسكها بعقيدتها وتطبيق شريعتها في واقع الحياة المعاصر.

وكان يثني الثناء الحسن على حركة الإخوان المسلمين ومؤسسها الإمام الشهيد حسن البنا ويرى أنها الحركة الإسلامية التي تتوافر فيها المواصفات المطلوبة للنهوض بالأمة الإسلامية من كبوتها وتحررها من ربقة الاستعمار وأنها استطاعت ـ بفضل الله ـ أن تربي الشباب على منهج الإسلام وأن تعرض الإسلام على الجماهير كما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ وأن تضع المفاهيم الأصيلة والقواعد الشرعية موضع العلم والعمل حيث جاءت «رسالة التعاليم» للإمام البنا لتعطي خلاصة الإسلام التي يجب أن يفهمها المسلمون ويتدبروها ويعملوا بها ويدعوا الناس إليها. كما أن حركة الإخوان المسلمين عنيت بالشباب عناية تامة وأعدّت البرامج الكفيلة بتنشئته النشأة الصالحة.

وأضاف الأستاذ الأميري: إن الإسلام الحق هو ما فهمه الإخوان المسلمون وليست هذه البدع والخرافات، وإن المستقبل لهذه الحركة الإسلامية التي توفّر لها الفهم الصحيح للإسلام والقيادة الحكيمة الرشيدة، والعاملون المخلصون، فعليكم يا طلبة البعوث الإسلامية بالارتباط بها والاستفادة من مناهجها وبرامجها وخبراتها وتجاربها وانقلوا ذلك إلى أقطاركم حين تتخرّجون وادعوا شعوبكم للعمل من أجل الإسلام والتحرر من مناهج الجاهلية والبرامج الوضعية.

وكان الأستاذ الأميري يتميّز بإشراقة الديباجة في حديثه ومحاضراته مع البسمة التي لا تفارقه والبشاشة التي يلقى بها الناس، فضلاً عن النكتة والدعابة الطريفة حين يقتضي المقام ذلك.

ثم باعدت الأيام بيننا بعد التخرج لسنين، حتى التقيت به في سوريا ولبنان والكويت والسعودية.. وشرفت بتقديمه في محاضرات عدة عن الحضارة الإسلامية، وقصائد شعرية، وأكرمني أكثر من مرة بزيارتي في البيت وحضر ندوة الجمعة وألقى كلمة مناسبة في الحضور وأهداني معظم مؤلفاته ودواوين شعره الذي كان يتدفق بالعاطفة الإسلامية الجياشة والسلاسة والرقة والشفافية والمناجاة الصادقة مما لا يتسع المجال لبسطه.

اتصاله بالإخوان المسلمين:

كان الأستاذ عمر بهاء الأميري من أوائل من التحقوا بحركة الإخوان المسلمين في سوريا مع الأستاذ د. مصطفى السباعي والأستاذ محمد المبارك والأستاذ الشيخ محمد الحامد والشيخ عبد الفتاح أبو غدة وغيرهم من رجالات بلاد الشام وقد بذل جهوداً طيبة لرفد الحركة ودعمها وأسهم في توجيه شبابها وكان وثيق الصلة بالأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين بعد الإمام البنا، يكثر من زيارته والتردد عليه ومشاورته في الكثير من الأمور.

منهجه وأسلوبه:

وللأستاذ الأميري أسلوبه في علاج المشكلات ومواجهة التحديات، فهو يؤثر الحكمة واللين والمهادنة مع أصحاب السلطة لاستلال السخائم من نفوسهم وعدم استثارة حفائظهم وترغيبهم في الإحسان إلى شعوبهم وكسب عواطفهم ومحبتهم لأن محبة الشعب للحكام من أهم عوامل الاستقرار.

وصيته للشباب:

وكان يوصي الشباب المتحمس بعدم التعجل، لأن الزمن جزء من العلاج وأن طول فترة التربية هو الأسلوب الأمثل لإعداد الرجال، لأن الحمل ثقيل

والمسؤولية كبيرة وتحتاج إلى نوعية من الرجال الأشداء أصحاب العزائم الذين يصبرون على البلاء ويتحملون المشاق ويصاولون الأعداء في كل ميدان مستعينين بالله عز وجل، آخذين بالأسباب المستطاعة لتحقيق مرضاة الله بإبلاغ دعوته.

إن الأستاذ الأميري كان محبوباً من كل من عرفه عن قرب، فقد كان زينة المجالس بحديثه الشيّق وأدبه الجمّ ومداعباته اللطيفة، فالشيوخ والشباب على حدٍّ سواء يتسابقون للاستمتاع بحديثه ومسامراته النافعة وتوجيهاته السديدة وآرائه الحكيمة وتجاربه الطويلة.

والأستاذ الأميري لم يكن شاعراً وأديباً فحسب، بل كان من زعماء الحركة الإسلامية والعاملين في الحقل الإسلامي الذين لهم إسهاماتهم الكثيرة في أكثر من قطر ومع أكثر من زعيم وقائد ومفكر وداعية.

اعتقاله بلبنان:

وقد تعرض للاعتقال في لبنان في شهر مارس عام ١٩٦٦م مع إخوانه توفيق الشاوي وعصام العطار وزيد الوزير، بناءً على ضغط من حكومة عبد الناصر العسكرية بمصر، ولم تطل فترة الاعتقال حيث تدخلت وساطات لبنانية وعربية فتمّ الإفراج عنهم بعد أقل من شهر، ولكن طُلب منهم جميعاً مغادرة الأراضي اللبنانية.

وفاته:

يقول الدكتور محمد علي الهاشمي في مجلة المجتمع: «امتدت يد المنون إلى الشاعر الإسلامي الكبير عمر بهاء الدين الأميري بعد مرض عضال ألحّ عليه منذ سنة في المغرب، حيث كان يقيم. ثم نقل بمكرمة ملكية من الملك فهد بن عبد العزيز إلى المستشفى التخصصي في الرياض حيث مكث قرابة شهرين

تحت العلاج، حتى وافاه الأجل المحتوم في مساء السبت الثاني والعشرين من شهر شوال سنة (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م)، ووري في المدينة المنورة.

لقد وقف ذلك القلب الكبير الدفاق بحب دينه وأمته، ووقفت معه نبعة الشعر الفنيّة المعطاءة الدؤوب، التي أمدّت الجيل المسلم عشرات السنين، بزادٍ وفير، من مثل الإسلام وقيمه، وصوّرت عظمة شريعته وسمو أحكامه وتفرّد مبادئه، وشخّصت الداء العضال، الذي يفتك بأمة الإسلام، بسبب بعدها عن كتاب الله وسنة رسوله...» انتهى.

رحم الله أستاذنا الأميري وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.



السفير عمر الأميري مع الملك فيصل





الداعية المربي عمر التلمساني

(١٣٢٢ ـ ١٤٠٦هـ = ١٩٠٤ ـ ١٩٨٦م)

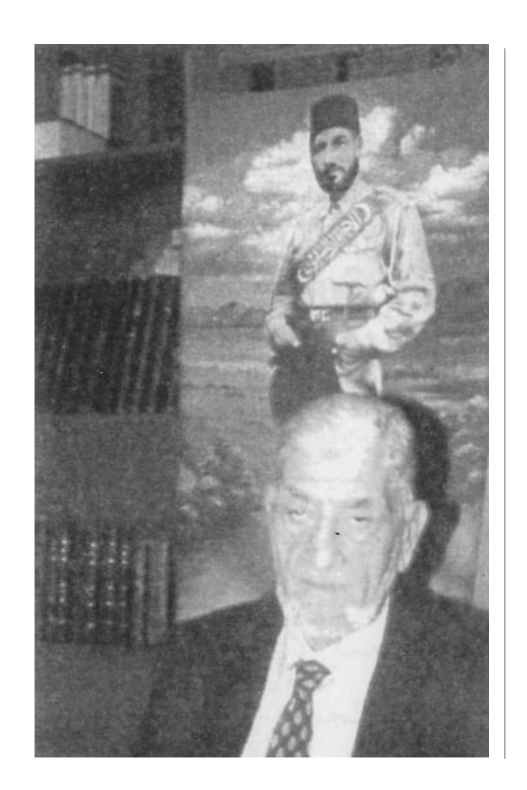
توطئة:

هو الداعية الأستاذ عمر عبد الفتاح بن عبد القادر مصطفى التلمساني، تولى منصب المرشد العام للإخوان المسلمين بعد وفاة المرشد الثاني الأستاذ حسن الهضيبي في نوفمبر ١٩٧٣م.

مولده ونشأته:

ترجع أُصوله إلى (تلمسان) في الجزائر، وُلد في مدينة القاهرة ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٤م بشارع (حوش قدم) بالغورية، وكان جده ووالده يعملان أول الأمر في تجارة الأقمشة والأحجار الكريمة.

كان جده سلفي النزعة، قد طبع العديد من كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فنشأ المترجم له في جو بعيد عن البدع، وتلقى دراسته الابتدائية



في مدارس الجمعية الخيرية، ثم التحق بالمرحلة الثانوية بالمدرسة الإلهامية، ثم انتظم في كلية الحقوق، وبعد التخرج سنة ١٩٣٣م اتخذ له مكتباً للمحاماة في شبين القناطر وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وكان أول محامٍ ينضم للجماعة ويقف فكره وجهده دفاعاً عنها، كما كان من المقربين من الإمام الشهيد حسن البنا، يصحبه في أسفاره وجولاته داخل القطر المصري، ويستعين به في الكثير من الأمور.

تزوج وهو ما يزال طالباً في الثانوية العامة، وتوفيت زوجته في أغطس عام ١٩٧٩م بعد عِشرة دامت أكثر من نصف قرن، رُزق منها أربعة من الأولاد: عابد وعبدالفتاح وبنتين.

لم يشغله عمله في المحاماة عن تثقيف نفسه، فقد كان كثير المطالعة في موضوعات العلوم المختلفة، كالتفسير والحديث والفقه والسيرة والتاريخ والتراجم.

كما كان متتبعاً لمؤامرات الخصوم ومخططات أعداء الإسلام في الداخل والخارج، يرصدها ويدرسها ويحدد الموقف منها ويتصدى لها بالحكمة والموعظة الحسنة، ويفند دعاواها ويبطل مقولاتها ويدحض شبهاتها، بثقة المؤمن الذي يعرف نفاسة ما عنده، وتفاهة ما عند غيره، فليس بعد الله من معين ولا بعد الإسلام من دين.

كيف عرفته؟

عرفته أول ذهابي إلى مصر للدراسة الجامعية سنة (١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م)، حيث كنا نلتقيه وكبار الإخوان المسؤولين عن الجماعة بعد استشهاد الإمام حسن البنا وقبل اختيار المرشد الثاني الأستاذ حسن الهضيبي ونتلقّى عنهم ونستمع إلى دروسهم ونصائحهم، وكنا نلمس دماثة خلقه وتواضعه وابتسامته الرقيقة وحنوّه على الإخوان وبخاصة الشباب المتحمس الذي يتعجّل قطف الثمرة ويريد رد الاعتداء بمثله على من ينالون من الجماعة. فكان أستاذنا التلمساني يوصي بالصبر، والثبات، والحلم، والأناة واحتساب الأجر والثواب عند الله تعالى.

عهد مع النفس:

ترك عمر التلمساني آثاراً طيّبة لدى كل من عرفه أو اتصل به؛ لما يتمتع به من صفاء النفس ونقاء السريرة وطيب الكلام وحلو الحديث وجمال العرض وحسن الحوار والمجادلة، وفي هذا يقول عن نفسه: «ما عَرَفَتْ القسوة يوماً سبيلها إلى خلقي، ولا الحرص في الانتصار على أحد، ولذلك كنت لا أرى لي خصماً، اللهم إلا إذا كان ذلك في الدفاع عن حق، أو دعوة إلى العمل بكتاب الله تعالى، على أن الخصومة من جانبهم لا من جانبي أنا.. لقد أخذتُ على نفسي عهداً بألا أسيء إلى إنسان بكلمة نابية، حتى لو كنتُ معارضاً له في سياسته وحتى لو آذاني.. ولذلك لم يحصل بيني وبين إنسان صدام لمسألة شخصية» انتهى.

ومن هنا نرى أنه لا يخرج من مجلس التلمساني إنسان إلا وهو يحمل في نفسه الإكبار والتقدير والحب لهذا الداعية الفذّ، الذي تتلمذ على يد الإمام البنا وتخرج في مدرسته وانتظم في سلك جماعته داعية صادقاً مخلصاً.

أخلاقه وصفاته:

كان شديد الحياء، كما لاحظ فيه ذلك كل من رآه عن قرب، وكان جليسه ومحاوره يشعر بأن الأحداث القاسية والطويلة التي عركته في ظلمات السجون قد صهرت نفسه حتى لم تدع فيها مكاناً لغير الحقيقة التي يؤمن بها، إذ ظل خلف الأسوار أكثر من سبعة عشر عاماً، فقد دخل السجن عام (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م)، ثم في عام (١٩٧٤هـ ـ ١٩٥٤م)، ثم في عام (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م) فما زادته الابتلاءات إلا صلابةً وثباتاً.

في حديث له مع مجلة (اليمامة) السعودية بتاريخ ١٤ / ١ / ١٩٨٢م قال: «إنني بطبيعتي التي نشأتُ عليها أكره العنف بأي صورة من صوره، وهذا ليس موقفاً سياسياً فقط، ولكنه موقف شخصي يرتبط بتكويني الذاتي، وحتى لو ظُلمت فإنني لا ألجأ إلى العنف، من الممكن أن ألجأ إلى القوة التي تحدث التغيير، ولكني لا ألجأ إلى العنف أبداً».

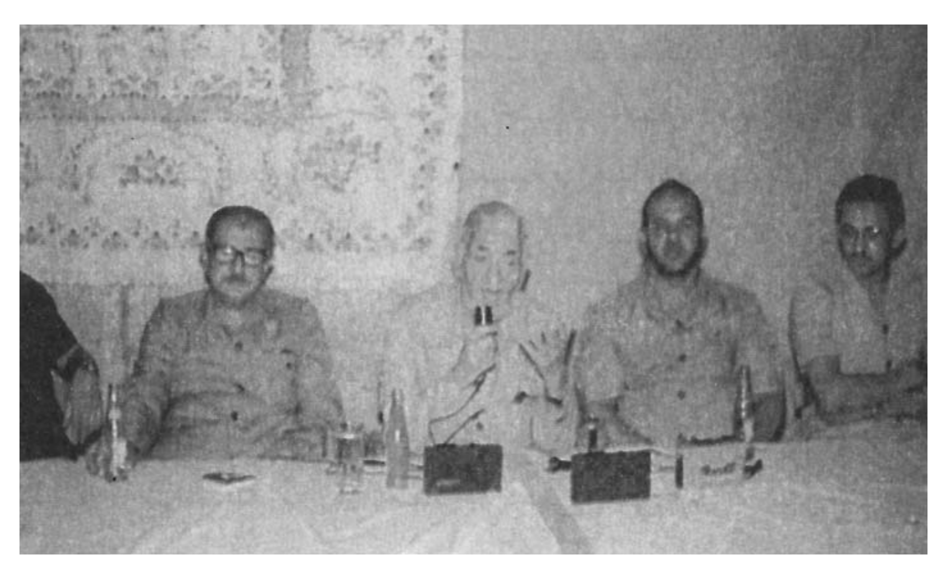
خطاب إلى الرئيس:

وفي خطاب مفتوح وجهه لرئيس الجمهورية المصرية نشرته جريدة الشعب القاهرية بتاريخ ١٤ / ٣ / ١٩٨٦م يقول:

«يا سيادة الرئيس.. إننا مسلمون مصريون يهمنا أول ما يهمنا أن يكون شعبنا آمناً مستقراً هادئاً في ظل تشريع الله سبحانه وتعالى وإن مصلحة هذه الأُمة أن يطبق فيها شرع الله، ولا أكون مغالياً إذا قلت: إن تطبيق شرع الله في مصر سيكون فاتحة خير لجميع المنطقة من أولها إلى آخرها، وهناك يسعد الحاكم ويسعد المحكوم ويطمئن الحاكم ويرتاح الشعب كله».

توجيهاته:

وفي كلمته التوجيهية للشباب والدعاة من الإخوان وغيرهم قال: «إن الصعاب



الأستاذ عمر التلمساني بين الأستاذ جابر رزق والأستاذ حسني عبد الباقي
في بعض ندواته الكثيرة وتوجيهاته إلى الشباب

التي تعترض الدعاة في هذا العصر عاتية غاشمة، فالقوة المادية في يد أعداء الإسلام وقد اتحدوا مع اختلافهم، على حرب المسلمين، وأكبر تركيزهم على الإخوان المسلمين. وعلى أساس الموازين البشرية لم يكن لجنود طالوت المؤمنين طاقة بجالوت وجنوده، ولكن لما أيقنت عصبة الإيمان أن النصر من عند الله، وليس مرهوناً بالعدد والعدة هزموا كتائب جالوت بإذن الله.

إنني لا أستهين بقوة العدو، ولا أطلب من الدعاة أن يخلدوا إلى التواكل ومصمصة الشفاه وتحريك الأعناق يمنة ويسرة وضرب الأكف بعضها ببعض، إنها نكبة النكبات القاضية الماحقة الساحقة، ولكن التمسك بالوحي المنزل من عند الله، والجهاد بكلمة الحق في إصرار واستمرار، والاستهانة بكل صنوف الإيذاء، وضرب المثل العليا من أنفسهم في الرجولة والبطولة والثبات، ويقينهم بأن الله مبتليهم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ليعلم الصادقين من المزيفين.. هذا كله من أسباب النصر في سنن الله،

وقصص القرآن الكريم خير شاهد على ذلك، فهي حافلة بالكثير.

أما **الشباب** فإن العزيمة التي تواكب وعيه العميق، في غير حاجة إلى الكثير من التجارب ولكنها بحاجة إلى الكثير من الصبر والالتزام بتوجيهات الوحي من الكتاب والسُّنَّة ثم من سيرة السلف الصالح الذين قيدوا تصرفاتهم بها، فحقق الله لهم من العزة والسؤدد ما يشبه الخوارق» انتهى.

ثباته ومواقفه:

عُرف الأستاذ التلمساني بالصلابة والقوة داخل السجون وخارجها، ولم يلن قط لإرهاب أو تهديد، كما عُرف بالزهد والتعفف والخشية من الله وحده دون سواه والحرص على مرضاته حيث يقول: «ما خفتُ أحداً في حياتي إلا الله، ولم يمنعني شيء من الجهر بكلمة الحق التي أؤمن بها، مهما ثقل وقعها على الآخرين ومهما لقيت في سبيلها من العنت.. أقولها هادئة، رصينة مهذبة، لا تؤذي الأسماع ولا تخدش المشاعر، وأتجنب كل عبارة أحس أنها لا ترضي محدثي أو مجادلي، فأجد من الراحة النفسية في هذا الأسلوب ما لا أجده في سواه، ولئن لم يكسبني هذا الأسلوب الكثير من الأصدقاء فإني قد وقيت به شر الكثير من الأعداء» انتهى.

إن المواقف الصادقة والأحاديث الصريحة والعمل الجاد ومواجهة المشكلات بجرأة وثبات والصمود أمام التحدي من خصوم الداخل والخارج على حد سواء كانت السمة البارزة للأستاذ التلمساني، ففي حديث مفتوح للرئيس أنور السادات بمدينة الإسماعيلية حضره الأستاذ التلمساني، بناءً على دعوة وجهت إليه، وبُثّ في الإذاعة والتلفاز على الهواء مباشرة، اتهم السادات جماعة الإخوان بالفتنة الطائفية وساق أنواعاً من التهم الباطلة فما كان من الأستاذ التلمساني إلا أن انبرى واقفاً يرد على السادات بقوله: «الشيء الطبيعي بإزاء أي ظلم يقع عليَّ من أي جهة أن أشكو صاحبه إليك، بصفتك المرجع الأعلى

للشاكين ـ بعد الله ـ وهأنذا أتلقى الظلم منك، فلا أملك أن أشكوك إلا إلى الله». وما إن سمع السادات مقولة التلمساني حتى أصابه الذعر والرعب وناشد التلمساني أن يسحب شكواه، فقال التلمساني بقوةٍ وأدبٍ وتأثر: «إني لم أشكك إلى ظالم، وإنما شكوتك إلى ربٍّ عادل يعلم ما أقول»!

أسلوبه:

هذا الأسلوب الراقي في الحوار الذي طبع تصرفات التلمساني كلها، لم يكن متكلّفاً بل كان سمة بارزة لأقواله وأفعاله وأخلاقه وعلاقاته مع الأفراد والجماعات، الرؤساء والقادة وجماهير الناس، دون تفريق بين كبير أو صغير أو غني أو فقير، وهو مؤمن بمبادئ الإخوان المسلمين المستقاة من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة.



عمر التلمساني.. ومحمد الغزالي.. ومصطفى مشهور في مسجد النور

جماعته:

ويرى أن هذه الجماعة هي الحركة الإسلامية الصادقة في هذا العصر حيث يقول:

«إن المتتبع لخطوات جماعة الإخوان المسلمين منذ نشأتها عام (١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م) إلى اليوم لا يستجلي منها إلا تضحيات متتالية في سبيل العقيدة وجهوداً مكثفة منتجة في مختلف نواحي النشاط الاجتماعي في هذه الحياة، وتدعيماً متواصلاً لربط الصلات الأخوية بين مختلف الشعوب الإسلامية، وإشاعة السلام بين دول العالم أجمع.

حورب الإخوان المسلمون حروباً ضارية فتاكة من مختلف الاتجاهات المحلية والعالمية، وبرغم ذلك فلم يثبت في يوم من الأيام أنهم أشاعوا الفتنة أو فرقوا الوحدة أو دمروا المؤسسات أو تظاهروا مخربين في الطرقات أو هتفوا بسقوط فلان وحياة علان، بل كان سمتهم السلام، وعملهم البناء، ودينهم الوفاء، وبرغم هذا كله فهم موضع النقمة حتى من الذين لم يتفقوا على شيء إلا اتفاقهم على محاربة الإخوان المسلمين. إن المسلم لا يعرف أن الدين لله والوطن للجميع، ولكنه يعرف أن كل شيء في هذا الوجود لله وحده، فمن أراد أن يصرفه عن هذا المعنى، فهو مخادع يريد أن يصرفه عن مكمن القوة ليسهل ابتلاعه.

إن المسلم لا يعرف (ما لله لله، وما لقيصر لقيصر) لأنه يؤمن كل الإيمان بأن قيصر لا شيء له مع الله، وإلا كان شريكاً في ملكه، والمسلم ينكر الشرك بكل صوره» انتهى.

زهد وتواضع.. وبساطة:

هذا هو الأستاذ التلمساني الداعية والمربي والقائد، عاش حياة الصدق مع الله والعمل لدين الله والارتباط بدعوة الله، وصبر وصابر ورابط وجاهد متمسكاً بحبل

الله المتين، وعاملاً مع المجاهدين الصادقين سواء كان في موقع الجندية أو موقع المسؤولية وسواء أكان داخل أسوار السجون أو خارجها، لم يتبدل ولم يتلون ولم ينحرف ولم يطمع في زخارف الدنيا، وبهارج المناصب، بل عاش حياته عازفاً عن رغائب الدنيا مقبلاً على الله، يسكن في شقة متواضعة جداً لا تكلّف فيها، حتى إنني تأثرت غاية التأثر حين زرته فيها وغالبتُ الدموع لئلا تفضحني، فأين نحن من هؤلاء الرجال الذين استعلوا على الدنيا بإيمانهم وقدموا الغالي والرخيص في سبيل دينهم؟!

كانت الشقة في حارة المليجي الشعبية القديمة في (حي الظاهر) بالقاهرة وفي زقاق ضيق وسلّم قديم متداعٍ، وكان أثاث الشقة غايةً في البساطة، برغم أنه ينحدر من أسرة غنية لها مكانتها الاجتماعية المتميزة ولكنه زهد التلمساني وبساطته وتواضعه.



عمر التلمساني يخطب في القاهرة في حضور وفد المجاهدين الأفغان

السهم يشير إلى جمال فوزي

كان التلمساني محبوباً من شرائح المجتمع المصري وطبقاته جميعاً، بل كان الأقباط يحبونه ويحترمونه، وحتى رجال الدولة يهابون مواقفه ويعرفون فضله.

أما الإخوان المسلمون فكانوا جميعاً يرون فيه المثل والقدوة ويتسابقون للتلقي عنه وتنفيذ كلّ إشارة منه، فقد كان الحب في الله جوهر العلاقة بينه وبينهم، والعمل على تطبيق شرع الله هدفهم، ومرضاة الله عز وجل مبتغاهم. وكانت زياراته البلاد العربية والإسلامية والمسلمين في ديار المهجر، بلسماً شافياً لجراح الأمة، وتوجيهاً حكيماً لما يجب على المسلمين أن يعملوه نحو دينهم وأمتهم وأوطانهم، فكانت دروسه ومحاضراته وأحاديثه ولقاءاته ونصائحه وتوجيهاته كلها تحث الأمة وبخاصة شبابها وأصحاب الرأي فيها والنخبة من علمائها على أن يتحملوا المسؤولية وينهضوا بالتبعة ويؤدوا دورهم، كلٌّ في موقعه نحو عودة الإسلام ليحكم أرضه ويسود العالم كله، فتلك مهمة الدعاة إلى الله في كل عصر وحين، وهي رسالة الله إلى أنبيائه ومن ثم إلى ورثة الأنبياء من العلماء العاملين والدعاة الصادقين والمؤمنين المخلصين.

مؤلفاته وآثاره:

أسهم الأستاذ التلمساني في إثراء الفكر الإسلامي ببعض الكتب التي أصدرها في موضوعات شتى ومن أشهر مؤلفاته:

شهيد المحراب عمر بن الخطاب، الخروج من المأزق الإسلامي الراهن، الإسلام والحكومة الدينية، الإسلام والحياة، آراء في الدين والسياسة، الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل، حول رسالة (نحو النور)، ذكريات لا مذكرات، الإسلام ونظرته السامية للمرأة، بعض ما علمني الإخوان المسلمون، قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر، أيام مع السادات، من فقه الإعلام الإسلامي، من صفات العابدين، يا حكام المسلمين ألا تخافون الله؟، في رياض التوحيد، لا نخاف السلام ولكن. إلى جانب الكثير من افتتاحيات مجلة الدعوة القاهرية، وما كتبه



العقيل ـ التلمساني ـ إبراهيم شرف ـ يوسف ندا

حول الشؤون الإسلامية في المجلات والصحف الأخرى والمحاضرات التي كان يلقيها في المنتديات في البلاد العربية والإسلامية وديار الغرب والدروس والتوجيهات في الكتائب الإخوانية والمعسكرات والمخيمات.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ محمد سعيد عبد الرحيم في كتابه (عمر التلمساني المرشد الثالث للإخوان المسلمين):

«... هلك الطاغية وخرج المعتقلون الذين قضوا في السجون سنوات طويلة، خرجوا وقد صقلتهم المحنة فقويت نفوسهم واشتدت عزائمهم. لئن كانت أبدانهم قد وهنت فإن أرواحهم أصبحت أكثر تعلقاً بما عند الله واستصغاراً لكل عرضٍ زائل، وانتفى من قلوبهم الخوف.

خرجوا من المحنة رجالاً كالجبال في شموخهم وصمودهم. في السجن


عمر التلمساني عند النطق بالحكم عليه عام ١٩٥٤م.

حفظوا القرآن الكريم ونهلوا من العلم، وفي السجن تغلبوا على شهوات أنفسهم، وفي السجن خبروا الناس وعرفوهم على حقيقتهم. لقد كان السجن لهم مدرسة أي مدرسة، أعطتهم أكثر مما أخذت منهم. ومن هؤلاء الرجال خرج الأخ عمر التلمساني... إن الله سبحانه قد أعدّه ليقود الجماعة في هذه المرحلة... فكان هو القائد المناسب الذي قاد السفينة وسط الأعاصير بحكمة وصبر، ولين وأناة مع إيمان ثابت وعزم لا يلين. لقد انتشرت الدعوة في عهده انتشاراً لم يسبق له مثيل، وأقبل الشباب على الإسلام، حتى أصبح التيار الإسلامي هو التيار الغالب في الجامعات وفي النقابات... بل في مصر كلها؛ لأنه استطاع أن يقود السفينة بخبرة القائد المحنك، ومهارة الربان القدير وتمكن أن يجتاز بها المزالق والمخاطر ويوصلها إلى بر الأمان.

لقد عاش رحمه الله كل المحن وقضى في سجون مصر قرابة العشرين عاماً، وكان من أكثر الإخوان صبراً وجلداً على تعذيب الزبانية في السجون ومع ذلك ورغم قسوة العذاب وسوء المعاملة كان لسانه لا يفتر عن ذكر الله ودعوة إخوانه إلى الصبر والثبات... وكان كذلك عفّ اللسان لم تُسمع منه كلمة نابية في حق جلاديه وظالميه، وإنما كان يكل أمرهم إلى الله فهو حسبه ونعم الوكيل» انتهى.

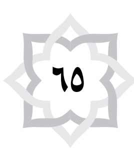
وفاته:

اختاره الله إلى جواره يوم الأربعاء ١٣ من رمضان المبارك عام ١٤٠٦هـ الموافق ٢٢ / ٥ / ١٩٨٦م حيث توفي بالمستشفى بعد معاناة مع المرض عن عمر

يناهز ٨٢ عاماً ثم صُلِّي عليه بجامع عمر مكرم بالقاهرة، وكان تشييعه في موكب مهيب شارك فيه أكثر من ربع مليون نسمة ـ وقيل نصف مليون ـ من جماهير الشعب المصري فضلاً عن الوفود التي قدمت من خارج مصر، وقد أكرمني الله بالمشاركة في التشييع مع بعض إخواني من البلاد العربية والحمد لله.

هذا هو الأستاذ عمر التلمساني المرشد الثالث لجماعة الإخوان المسلمين في العالم، وتلك نبذة موجزة عن سيرته، نسأل المولى الكريم أن يتقبله في الصالحين من عباده، وأن يُلحقنا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.





عمرو خليفة النامي

أستاذ الجامعة وراعي الغنم!

(١٣٦٠ ـ ١٤٠٦هـ = ١٩٤٠ ـ ١٩٨٦م)

مولده ونشأته:

ولد في مدينة (نالوت) في ليبيا، ونشأ في أسرة محافظة تحرص على العلم، وتتمسك بأهداب الدين، وتعمل على تنشئة أبنائها على قيم الإسلام، والالتزام بتعاليمه، وقد تتلمذ عمرو النامي على مشايخ كثيرين من أهمهم الشيخ علي يحيى معمر من فقهاء الإباضية الكبار في ليبيا، ثم بعد إكمال مراحله الدراسية، التحق بالجامعة الليبية في بنغازي حيث كان أستاذه الدكتور محمد محمد حسين الذي اهتمَّ برعايته وتوجيهه حتى تخرج فيها سنة ١٩٦٢م، ثم ذهب إلى مصر للدراسات العليا، ولكن النظام الناصري العسكري الديكتاتوري شنَّ حرباً ضروساً على الإسلام وعلى العاملين للإسلام، وخاصة الإخوان المسلمين، وجرت الاعتقالات للآلاف منهم، مما جعله يصرف النظر عن الدراسة في مصر، ويغادرها إلى ليبيا، ليوفد بعدها إلى

بريطانيا للدراسة بجامعة كامبردج، وتخرج فيها سنة ١٩٧١م بتفوق وامتياز.

والأستاذ عمرو النامي من شباب الإخوان المسلمين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية في وقت مبكر من شبابه، فقد اتصل بهم، وارتبط معهم، وظلَّ على وفائه والتزامه ولم تزده السجون المتتابعة إلا تمسكاً وثباتاً على الحق الذي يؤمن به، ويجاهد في سبيل تحقيقه، وهو إعلاء كلمة الله في الأرض، وسيادة شريعة الإسلام، ورفع راية القرآن، وتوحيد الأمة الإسلامية على منهج الكتاب والسنة، والتصدي لأعداء الملة والدين.

أساتذته وزملاؤه:

من أهم الأساتذة الذين تلقى على أيديهم العلم والفكر والدعوة: العالم الليبي الكبير، الداعية الشيخ علي يحيى معمر، والعالم المصري الأديب الكبير الداعية الدكتور محمد محمد حسين، فكلا الرجلين كان له تأثير على ثقافته وشخصيته وتوجهاته الإسلامية، وكانا معجبين بذكاء تلميذهما وصدقه وإخلاصه وصفاء قلبه وغيرته على حرمات الدين والأمة والوطن، وجدّه واجتهاده، في تلقي العلم منهما بكل إقبال واستيعاب. فقد كان لمَّاحاً، صافي الذهن، سريع الحفظ، نهماً في القراءة، مقبلاً على العلوم بكل طاقته، يستغرق الساعات الطوال في البحث والدراسة، دونما تعب أو ملل، وهذا شأنه في الليل والنهار، في الحضر والسفر، في السجن وقاعات الدرس، في البيت وفي المسجد، إنه آية من آيات الله في شباب هذا العصر الذي عرف طريقه إلى الله، وسار فيه دونما تردد.

أما زملاؤه، فكان منهم محمود الناكوع، ومصطفى المنقاري، وصادق النيهوم، وهؤلاء كان لكل منهم شخصيته الثقافية وسلوكه الاجتماعي واختياره الفكري، الذي باعد فيما بينهم وبخاصة صادق النيهوم الذي كان على طرفي نقيض مع الدكتور عمرو النامي صاحب الاتجاه الإسلامي والفكر الملتزم، والسائر في ركب الحركة الإسلامية المعاصرة التي تدعو إلى استئناف الحياة

الإسلامية، وتحكيم الإسلام في شؤون الحياة، والعمل الجاد لقيادة ركب الإنسانية إلى المنهج الحق، منهج الإسلام، الدين الخاتم الذي ارتضاه الله لنا وللبشرية جمعاء، بينما كان زميله النيهوم يردد مقولات الفرق الباطنية.

أهم مؤلفاته:

ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية.

ديوان شعر.

تحقيق كتاب (أجوبة ابن خلفون).

من هم الإباضية؟

الحضارة الغربية وموقفها من الإسلام والعالم الإسلامي.

فصول من الجد الهازل (نقد الشعر الحديث).

رمز أم غمز في القرآن؟ (رد على كتابات صادق النيهوم).

كلمات للثورة.

وغيرها من البحوث والمقالات والندوات والمحاضرات.

نماذج من شعره:

بعد سجنه لمدة سنتين، طُلب منه أن يغادر الوطن إلى اليابان سنة ١٩٧٩م فكانت هذه الأبيات.

ودعت دارك رغم الشوق للدار ... والدار ذات أحاديث وأخبار

يا دار أمسيت بالأحزان غامرة ... تهدي همومك من دار إلى دار

نفسي الفداء لأرض عشت محنتها ... ثم ارتحلت وحيداً غير مختار

مبدَّد الحول لا زاد ولا أمل ... إلا علالات أفكار وأشعار

أنى ارتحلت فإن القلب يعطفني ... إلى الأحبة في شوق وإصرار

بالأمس كنتَ عرينَ المجدِ يا وطني | وتدرج الفضل في سهل وأوعار
رفعت ألوية للفخر عالية | وصغتَ آثار مجدٍ أيَّ آثار
وأمهرتْ أرضك الأبطال من دمها | تسخو به بين أنجاد وأغوار
واليوم لا شيء غير الحزن يا وطني | وغير أناتِ أطيار لأطيار

وله قصيدة بعنوان: «يا ليلة العيد» نذكر منها:

حُمّ القضاء وسُدت دونك الطرق | وغصَّ بالغيم في أجوائك الأفق
وبدد السحب إعصار الهموم فلم | يجد عليك بها طل ولا غدق
كنا نؤمل فجراً مشرقاً غده | فقد أطل كئيباً بعده الشفق
ما كنتُ أحسب أن الحزن يغمرنا | وأننا بعد طيب العيش نفترق
وأن دهراً أمنَّا من حوادثه | جاءت بوادره كالسيف يمتشق
ذابت نعال أحبائي ورفقتهم | من الطواف وغصَّت منهم الطرق
طافوا على كعبة السلطان في أمل | ويمموا بابه الموصود واستبقوا
قد أدمنوا قرع أبواب الرجاء وقد | كلّت أكفهم من طول ما طرقوا
ولا مجيب فما بالدار من أحد | فالظلم يغمرها والطيش والنزق
كنا نظن بهم خيراً فقد حبسوا | ما نرتجيه فهم بالشر قد سبقوا
نفسي فداء أحبائي فقد عصفت | بهم وبي خلجات كلها حرق
أنا هنا رهن قضبان تقيدني | قلبي حزين وجفني غائم شرق
وهم على البعد في قيد يكبلهم | من شوقهم ودموع العين تأتلق
نذوب شوقاً وحزناً لا رجاء لنا | إلا إلى الله يرفو بعض ما فتقوا
يا ليلة العيد كم أقررتِ مضطرباً | لكن حظ بنيّ الحزن والأرق
ما كنت أحسب أن العيد يطرُقنا | والقيد في الرسغ والأبواب تصطفق

وبعد السجن والإبعاد قرر أن يترك العمل الجامعي، ويهجر التدريس، ويهجر

المدن، ويزاول مهنة رعي الأغنام، حيث اشترى قطيعاً من الأغنام يرعاه خارج المدن، يقول:

يكفي أباكِ لكي يعيش مكرماً عجفاء ثاغية وتيس أجرب
ونعيش في قنن الجبال تظلنا ويحيطنا بالحفظ قفر سبسب
جيراننا وحش الفلاة فلا يرى فيها سوى سبع يسيح وثعلب
وهناك لا نخشى سوى ذئب الغضا يعدو على تلك الشياه فينهبُ
والوحش وحش لا يلام لبطشه هو في طبيعته يغير ويغصب
فلقد نعيش هناك عيشة هانئ ولقد يسالمنا الشجاع المرعب

معرفتي به:

عرفت الأخ الداعية الدكتور عمرو خليفة النامي من خلال زملائه بجامعة كامبردج حين زرتهم ببريطانيا وهم الإخوة الدكاترة: أحمد محمد العسال من مصر، وحسن عبدالحميد صالح من فلسطين، ومبارك سعود العبيدي من الكويت، وكلهم من دعاة الإخوان المسلمين ببريطانيا.

لقد حدثني هؤلاء الإخوة عن شخصية الأخ عمرو النامي وما يتميّز به من أخلاق عالية وحسن معاملة، ونبوغ علمي، وإتقان للغة الإنجليزية، وفقه دعوي ونشاط طلابي واجتماعي، وقدرة حوارية مع الآخرين، وتمسّك بالدين، وصلابة في المواقف، مما حبّبني به، ورغّبني في الاجتماع به، وكان ما تمنيّت، فقد سعدتُ به بالكويت وزارني في بيتي، ووجدت فيه من الصفات أكثر مما سمعتُ، وبخاصة التزامه بالإسلام، وضرورة العمل الجماعي، وارتباطه الحركي بجماعة الإخوان المسلمين باعتبارها الصورة الصادقة عن الإسلام في هذا العصر، والتي أثبتت جدارتها وكفاءتها وصلابة مواقفها في مواجهة الطغاة وتحدي الباطل، واستعصاءها على الذوبان وعدم خضوعها لمطالب السلطان، رغم التضحيات

الجسام التي قدمتها من رجالها وقادتها في ميادين المعارك في فلسطين، وقناة السويس، وسجون الطغاة، وعلى أعواد المشانق.

فلم تلن قناتها، ولم يهتزّ اقتناعها، بل صبرت وصابرت، وثبتت على مواقفها، واستمرت في عطائها وتتابعت الأجيال في مسيرتها، كلٌّ يسلم الراية إلى من بعده مرفوعة شامخة واضحة بيِّنة لا لبس فيها، ولا غموض، لأنها مستمدة من مشكاة الكتاب والسنَّة، وما أجمع عليه سلف الأمة. ولأنها صدى لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وامتداد لقافلة الدعاة إلى الله من عصر الرسالة وإلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا ما كان يبحث عنه الدكتور عمرو النامي حين ذهب إلى مصر سنة ١٩٦٢م بعد تخرجه في الجامعة الليبية التي استفاد فيها من أستاذه الدكتور محمد محمد حسين. وعندما توجه إلى بريطانيا لنيل شهادة الدكتوراه، وجد ضالته في الإخوان المسلمين الدارسين في كامبردج فسار وإياهم في طريق الدعوة إلى الله، والعمل لخدمة الإسلام والمسلمين، واستئناف الحياة الإسلامية، وجمع الناس على كلمة التوحيد وتربيتهم على مبادئ الإسلام.

والحق يقال: إن الأخ عمرو النامي صورة صادقة عن المسلم العامل، والداعية المجاهد الذي لا يكل ولا يمل من العمل الدؤوب في الدعوة الفردية والمحاضرات والندوات والحوارات، وتقديم الصورة المشرقة المضيئة عن الإسلام، وعن الدعاة العاملين في هذا العصر.

ومما زاد من تأثيره وإعجاب الآخرين به، هذا الشعور الفيّاض، والعاطفة الصادقة، والبيان السهل، والمنطق العذب الذي يظهر في كلماته وحواراته ومحاضراته وأشعاره، فقد كان يأسر القلوب بأسلوبه وعاطفته وصدق كلماته وصراحته وقوة بيانه.

وتلك هي الصفات التي وجدتها فيه وشدتني إليه، رغم تواضعه الجمّ، واعتبار نفسه من التلامذة في ركب كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة، رغم

المواصفات القيادية التي تؤهله للصدارة في أكثر من ميدان.

من أقواله: «إن مهمة الجيش في الثورة هي مهمة استثنائية محدودة، يعقبها تسليم السلطة إلى الشعب، وهو الذي يختار أسلوب حياته السياسي والاجتماعي في الفترة القادمة، وإن الاتجاهات القائمة في البلاد كالقوميين العرب، والبعثيين، والناصريين، والشيوعيين، والإسلاميين، هي تجمعات غالب الظن أنها لن تتخلى عن اتجاهاتها القائمة، بل ستستمر في ارتباطاتها بهذه الاتجاهات والدعوة إليها، ونحن نعتقد أن لها جميعاً حقاً كاملاً في اعتناق أفكارها، وعرضها في نطاق الأخلاق العامة للشعب، بعيداً عن التراشق بالتهم، والكذب والإرجاف، ويجب أن تتاح الفرصة الكاملة لهذه التجمعات للتعبير عن أفكارها، وعرضها بكل الصور المشروعة التي تختارها.

إن الإسلام هو الأصل، وهو الأساس في إحداث الإصلاح المنشود في ليبيا، فلا توجد في ليبيا عقيدة غير عقيدة الإسلام».

قالوا عنه:

يقول عنه الأستاذ محمود محمد الناكوع:

«هو مثقف واسع الاطلاع، داعية للحرية، منافح عن الثقافة الإسلامية، يتمتع بذكاء أهله لدرجة المتفوقين في الدراسات الأدبية العليا، تخرج في الجامعة الليبية سنة ١٩٦٢م بقسم اللغة العربية، ثم ذهب إلى بريطانيا للدراسات العليا، وتخرج في جامعة كامبردج سنة ١٩٧١م، بعد أن تعذّر عليه البقاء بمصر بسبب أحداث سنة ١٩٦٥م، واعتقالات الإخوان المسلمين وعلى رأسهم سيد قطب، فكانت بعثته إلى بريطانيا بجهود مدير الجامعة الليبية آنذاك مصطفى بعيّو الذي قدّر ظروف عمرو النامي وساعده بتحويل بعثته إلى بريطانيا بدل مصر.

لقد كان الدكتور محمد محمد حسين شديد الإعجاب بذكاء عمرو النامي فاهتم به وشجعه على المضي في طريق البحث والدراسة حتى يصبح أستاذاً

جامعياً، وجمعت بين الأستاذ وتلميذه رابطة المنطلق والتوجه الإسلامي.

وفي صيف سنة ١٩٧١م عاد من بريطانيا إلى ليبيا ليحقق حلمه، وليقف على منابر الفكر والعلم كاتباً وشاعراً وأستاذاً جامعياً، وبدل أن تفتح أمامه أبواب هذه المنابر، استقبلته مراكز الشرطة، وغرف التحقيق، ومنها إلى المعتقل، ثم أفرج عنه بعدها. وفي سنة ١٩٧٣م جرت اعتقالات موسّعة تحت شعارات «الثورة الثقافية»، و«من تحزّب خان» و«الثورة الإدارية»، وكان عمرو النامي واحداً من مئات المعتقلين من المثقفين والطلبة، وكنتُ أنا أحد المعتقلين في السجن الذي دام قرابة سنتين، وبعد الإفراج عنه، طُلب منه أن يغادر البلاد إلى اليابان، ولأنه شديد الحب لوطنه ولأهله ولمرابع طفولته وشبابه وذكرياته، لم يطق حياة الاغتراب، فعاد إلى البلاد، هاجراً العلم والتدريس إلى مهنة رعي الأغنام بعيداً عن منكرات السياسة، وفوجئ مرة ثالثة بأبواب السجن تفتح أمامه سنة ١٩٨١م، وانقطعت أخباره عن أهله وأصدقائه منذ سنة ١٩٨٤م ولا يعرف مصيره حتى الآن».

ويقول عنه الأستاذ سلطان بن مبارك الشيباني:

«إن الدكتور عمرو خليفة النامي رجل مناضل، ذهب ضحية فكره الإسلامي، ورؤاه الأصيلة، وإخلاصه في الدعوة، وهو باحث أديب، ومفكر إسلامي من ليبيا، وطئت أقدامه أرض مصر والسعودية والكويت وتونس والجزائر والمغرب وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والهند واليابان والفلبين وماليزيا، وجاب شرق المعمورة وغربها، داعياً إلى الله بما عنده، من دماثة في الخلق، وحسن في التعامل، وإتقان للغة الإنجليزية.

وارتبط بعلاقات عدة مع معاصريه وساعدته سنوات الدراسة في جامعة كامبردج على الخصوص في تكوين صلات متنوعة مع أهل العلم وأرباب الفكر وروّاد الحركات الإسلامية من مختلف الأجناس واللغات والقارات.

وقد ترك أثراً طيباً في الأوساط الإسلامية، وقدم خدمات جلى للحركة

الإسلامية، لا سيما في الميدان الطلابي والشبابي الإسلامي، وكانت له مشاركة في إحياء ودعم بعض المؤسسات الاجتماعية الخيرية، كما كان عضواً فعالاً في جماعة الإخوان المسلمين وعضواً مؤسساً ونشيطاً في دار الدعوة بليبيا.

أما آثاره فتنوعت بين تأليف وتحقيق وتقديم، ومع أنه ألفها في ظروف صعبة، فقد جاوزت العشرين وكتب مقالات كثيرة نشرت في الصحف الليبية وغيرها، كما ترك مراسلات متعددة، وقصائد وأشعاراً لو جمعت لكوَّنت ديواناً.

وقد قضى خمسة عشر عاماً بعد تخرجه إما مضطهداً ملاحقاً في بلاده من مراكز الشرطة إلى غرفات التحقيق ومنها إلى زنازين السجون والمعتقلات، أو منفياً مغرَّباً عن أهله ووطنه رغماً عنه.

وكان آخر صدى لذكره سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م عندما نقل إلى سجن خاص، وانقطعت أخباره وعزل عن العالم في مصير مجهول لا يدرك مداه سوى الله سبحانه وتعالى».

وفاته:

في النظم الدكتاتورية كثيراً ما يُعتقل الأشخاص ويغيّبون في أقباء السجون لسنين طويلة، دون أن يُعلم عنهم شيء، وكثيرون منهم يفارقون الحياة تحت سياط التعذيب، ويدفنون في الرمال، دون الإخبار عن وفاتهم، وهذا ما حصل للأخ المجاهد الداعية الدكتور عمرو خليفة النامي الذي اختفت آثاره بعد سجنه، وانقطعت أخباره من سنة ١٩٨٤م.

نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يدخله جنته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين.





الدكتور عيسى عبده إبراهيم

رائد البنوك الإسلامية..

(١٣١٨ ـ ١٤٠٠هـ = ١٩٠١ ـ ١٩٨٠م)

فكرة إنشاء مكتبة إسلامية:

في عام ١٩٦٠م تدارستُ مع الإخوة: عبد الرزاق الصالح، وعبد المنعم مشهور، وغلام معصوم، ومحمد عبد الحليم الشيخ، وعبد الله المطوع، وعبد العزيز السيسي، وعبد الواحد أمان، وعبد الله جاسم اللهو موضوع فتح مكتبة إسلامية بالكويت لتكون موطناً للكتاب الإسلامي، وتقدمه للمسلمين عامة وأبناء الحركة الإسلامية خاصة، وقد تم تقدير ميزانية للمكتبة بالروبيّات (العملة المتداولة آنذاك)، ووزع العمل بين الإخوة المذكورين.

فتبرع الأول بدكان في عمارته ـ بمنطقة الشرق ـ كي يكون مقراً للمكتبة دون مقابل، وتبرع الثاني (وكان صاحب مصنع حديد) بكل لوازم المكتبة من الحديد كالأبواب وغيرها، وتبرع الثالث وهو من الجماعة الإسلامية بباكستان (وكان صاحب مصنع نجارة) بكل الأرفف والأعمال الخشبية، وساهم الباقون بتبرعات

مالية، وهكذا تقاسم الجميع إنشاء هذه المكتبة حتى تمت بفضل الله، ثم أمدنا الأخ زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي بدمشق، بالكتب مع إعطائنا فترة سماح كافية للسداد جزاه الله خيراً.

وانطلقت المكتبة (مكتبة المنار الإسلامية) في تحقيق أهدافها التي أُنشئت من أجلها، وأقبل الشباب عليها، فكان حرياً بنا في مواكبة هذا النجاح، أن نشرع في إصدار سلاسل باسم المكتبة صغيرة الحجم كي تكون زاداً خفيفاً لطلبة العلم، ورواد الثقافة، وتغطي المجالات التي يبحث عنها الشباب في فروع المعرفة، وصدرت كل سلسلة تحمل عنوان المجال الأساسي مثل: (نحو قانون إسلامي عادل) و(نحو اقتصاد إسلامي سليم) و(نحو تربية إسلامية هادفة) و(نحو مجتمع إسلامي مستقر) و(نحو وعي إسلامي رشيد) و(أضواء على الحركات الهدامة)... إلخ.

وقد بدأنا في مراسلة من وجدنا فيه الأهلية للكتابة في هذه السلاسل، وكان من ضمن من راسلناهم للإسهام في سلسلة الاقتصاد الإسلامي د. عيسى عبده إبراهيم، الذي تجاوب معنا سريعاً وأعلن استعداده للحضور إلى الكويت للإسهام في الدراسات الاقتصادية الإسلامية وتقديم خبراته وتجاربه وإمكانية قيام بنوك لا ربوية، وتفرّغه لعمل ذلك إذا اقتضى الأمر.

تشكيل اللجنة التحضيرية:

تمّ تشكيل لجنة تحضيرية عام ١٩٦٨م تضم الإخوة: عبدالله المطوع، وجمال الدين عطية، وهمام الهاشمي، ونزار السراج، وإسماعيل رأفت، ومحب المحجري، ومحيي الدين عطية، وعبدالله العقيل، وعبد الواحد أمان ودعونا لها د. عيسى عبده لدراسة مشروع بنك إسلامي، حيث عمل مقرراً لهذه اللجنة، كما تمت دعوة الشيخ إرشاد صاحب أول تجربة لمصرف تعاوني لا ربوي ـ بباكستان ـ لزيارة الكويت، فاستجاب للدعوة، وحضر، واجتمع باللجنة وشرح لها تجربته والعوائق التي واجهته.

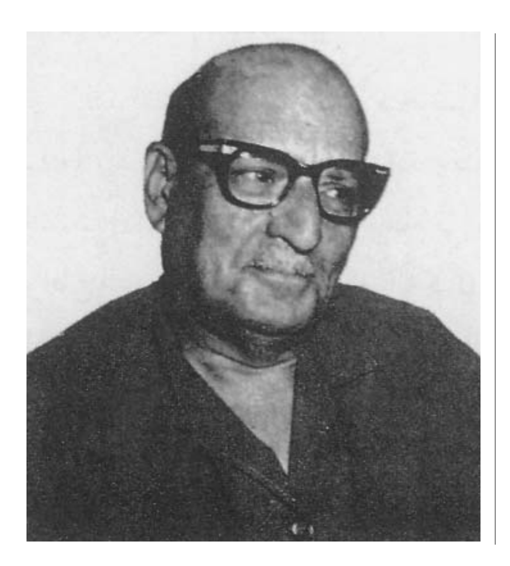
شرعت اللجنة في اجتماعاتها المنظمة تضع اللوائح والنظم، فوضعت لائحة (بيت التمويل الكويتي) مع مذكرة التعريف به، كشركة مساهمة كويتية تحت التأسيس.. ومع جهد أستاذنا الدؤوب في عمل اللجنة، تابع نشاطه المبارك في تكوين رأي عام إسلامي في مجال الاقتصاد عن طريق كتابته للمقالات في الصحف والمجلات السيارة، ومشاركته في الندوات والمحاضرات وأحاديثه في الإذاعة الكويتية والتلفاز، وكان محور هذا كله الدعوة إلى إنشاء البنوك الإسلامية وبيان دور الاقتصاد في الدعوة إلى الإسلام، والتأمين بين الحل والتحريم وغيرها.

ومن جهة أخرى، ومن أجل مشروع إنشاء (بيت التمويل الكويتي) تابع أستاذنا الفاضل لقاءاته بكل الفعاليات الاقتصادية والفكرية والدينية مثل: عبد العزيز الصقر، ويوسف الرفاعي، وعبد العزيز المطوع، وعبد الله المطوع، وعبد العزيز العتيبي، وعبدالله العقيل، وأحمد بزيع الياسين، ويعقوب الغنيم، ود. وحيد رأفت، ود. محمود الشافعي، ود. عثمان خليل، وعبد الرحمن عبد الخالق، ومحمد الأشقر، وعبد الستار أبو غدة، وعمر الأشقر وغيرهم.

غير أن المشروع تعثّر بسبب رفض الفنيين في أعمال البنوك، لعدم اقتناعهم بإمكانية قيام مصرف على غير أساس ربوي، ثم شاء الله تعالى أن يقوم وزير المالية ـ وقتئذ ـ عبد الرحمن سالم العتيقي بالاتصال بأستاذنا الدكتور عيسى عبده ـ بمصر ـ مطمئِناً إياه في حرصه على قيام المشروع، وأرسل إليه مندوباً من وزارة المالية لاستلام الملفات المتعلقة بالدراسات، وهكذا وبعد أعوام طويلة قام بيت التمويل الكويتي عام ١٩٧٧م ولكن بعد قيام بنك دبي الإسلامي.

مشاركته في إنشاء بنك دبي الإسلامي عام ١٩٧٤م:

عندما كان أستاذنا يقوم بالتدريس بجامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية انتدب من الجامعة كمستشار لبنك دبي الإسلامي، حيث استغرق



الإعداد والتحضير طوال عام ١٩٧٤م، حتى قام بنك دبي الإسلامي عام ١٩٧٥م بمؤازرة الحاج سعيد لوتاه، فكان أول بنك في الساحة الإسلامية بمنطقة الخليج.

إن الدكتور عيسى عبده هو رائد البنوك الإسلامية بحق، وله الفضل - بعد الله - في قيامها وانتشارها في العالم العربي والإسلامي، وإن المحاضرات التي كان يلقيها، والأحاديث الإذاعية والتلفازية التي كان يقدمها في الكويت ودول الخليج، والمملكة العربية السعودية، كان لها الدور الكبير والأثر العظيم في تغيير بعض المفاهيم في الاقتصاد الإسلامي، فقد كان البعض من رجال الأعمال، يظن أن التجارة والاقتصاد لا يقومان إلا بالبنوك، وأن البنوك لا يمكن أن تقوم دون الربا، وأن هذا نظام عالمي لا بد من التعامل معه، بحكم الضرورة، غير أن الله تعالى أبطل هذه المقولة، ودحض هذه الفرية بتوفيقه في قيام البنوك الإسلامية «اللاربوية»، كما صدرت دراسات كثيرة من تلامذة د. عيسى عبده، كلها في الاقتصاد الإسلامي وأعمال البنوك الإسلامية، وأُسسّت معاهد وكليات ومراكز تدريب للاقتصاد الإسلامي والعاملين فيه في مختلف أنحاء العالم.

ندوة الجمعة الأسبوعية:

استفاد المسلمون من محاضرات ودروس وأحاديث وندوات د. عيسى عبده، وهي مناشط قام بها أستاذنا غطت الساحة الكويتية كلها، وكانت (ندوة الجمعة

الأسبوعية)، التي تقام في دارنا بمنطقة المنصورية بالكويت - أحد المواطن التي شرفت بزيارته - بل إنه كان يرتادها دائماً ولا يتخلف عنها إلا لعذر قاهر، وكان في منهجه العلمي الذي ألزم به نفسه، يطرح القضايا الاقتصادية باقتدار، مستوعباً المعاني والدلالات لكل الآيات والأحاديث، ذات العلاقة بالاقتصاد، كما كان مدركاً تماماً لمثالب النظام الاقتصادي الربوي، ومطلعاً على ثغراته، وأنه من غرس يهود باعتبارهم أساطين الربا في العالم قديمه وحديثه، والممسكين بالاقتصاد العالمي ونظامه النقدي حتى اليوم.

صفاته ومواهبه وجهوده:

وهب الله عز وجل أستاذنا ذكاءً وقاداً وبديهة حاضرة، وفكراً ناضجاً، وأسلوباً حكيماً، في عرض وجهة نظره. ورغم أن القضايا الاقتصادية، وبخاصة عمل



المستشار العقيل مع د. عيسى عبده في إحدى المحاضرات

البنوك تحتاج إلى الاختصاصيين لاستيعابها والإحاطة بجوانبها، ومتابعة تطوراتها العالمية، إلا أن الدكتور عيسى عبده له قدرة على تبسيط الموضوع في عرضه السهل بحيث يستوعبه حتى العامة من الناس، الذين يحضرون ندواته ويغشَوْن محاضراته، ويخرجون ولديهم الرغبة في الإسهام والمشاركة في تأسيس البنك الإسلامي، كي يتخلصوا من أوزار البنوك الربوية التي عمّت البلوى بها أرجاء العالم بما فيها العالم العربي والإسلامي، وصار التاجر المسلم يعيش في حرج كبير نتيجة تشابك المعاملات المالية المعاصرة مع النظم الربوية التي تسير عليها البنوك في شتى أنحاء المعمورة، لأن الأساس الذي قامت عليه هو أساس ربوي، صنعته يهود.. الذين كانوا يتاجرون بالعملة ويحترفون الصرافة، قبل قيام البنوك، والتي بدأت أعمالها بالإقراض الربوي للأفراد ثم المؤسسات ثم الدول، فكانت الأزمات تلو الأزمات، مما كان سبباً مباشراً في قيام الحروب المدمرة وانهيار الدول وإفلاسها.

إن الدكتور عيسى إبراهيم من الصفوة التي نافحت عن مفهوم الإسلام الأصيل في الاقتصاد خلال خمسين عاماً متصلة، لم يتوقّف خلالها عن العمل بالكلمة المكتوبة والمسموعة والمرئية، وبالرحلة في آفاق الأرض، بحثاً عن التجربة الاقتصادية الغربية، ومقاتلها وأخطائها وبالرحلة في آفاق العالم الإسلامي، داعياً إلى إنشاء المصارف الإسلامية، وحيثما وجَدَ تقبّلاً لدعوته، يمكث ويتريث ويقيم، حتى يحقّق خطوة على ذلك الطريق الشاق. فكانت له رحلات إلى السعودية والكويت ولبنان والعراق ودبي وكانت له مشاركة في إنشاء أقسام الاقتصاد الإسلامي بالجامعات العربية والكليات المختلفة، من اقتصاد وقانون وإدارة، واشتراكه في مختلف مؤتمرات الاقتصاد التي عقدت بأبحاث ناضجة تكشف عن خبرة وافرة.. وقد انطلق من نقطة واحدة عاش حياته كلها لها، وهي الكشف عن فساد النظام الربوي، وآثاره الخطيرة على الاقتصاد الإسلامي، منذ تمكن النفوذ الأجنبي من التسلط على بلاد الإسلام.

وراح يهاجم ما يسمى بالاقتصاد السياسي الذي يخضع له المسلمون ويدرسونه على أنه علم، ويقول: إن هذا العلم الذي يقال له الاقتصاد السياسي لا يزيد على مرّ الأيام إلا غموضاً وبعداً عن الحقيقة الاقتصادية.

وقد عاش وهو يدعو إلى أن يكون الاقتصاد الإسلامي هو المهيمن على كل ما عداه من الدراسات الاقتصادية الوضعية، والعناية بدراسة فقه الأموال، والحاجة إلى التركيز على دراسة الاقتصاد من القرآن والسُّنَّة.

ودعا إلى تأسيس بيوتات مالية تنتهج النهج الإسلامي في معاملاتها، وبدأ منفذاً لذلك في مصر حيث أسس أول بيت إسلامي في (ميت غمر) ثم باشر في تنفيذ بنك دبي الإسلامي مستشاراً ومؤسساً. وهو يدعو إلى الكشف عن مخاطر الربا من غير تكلّف التأويل لإرضاء الحاكم أو فزعاً من أن يقال إن الإسلام قد توقف عن مسيرة الحضارة المادية.. ويقول الدكتور عيسى عبده: إن الربا كان مصدر تمزق أرض الإسلام ونهب مواردها، وسبباً لما هي فيه من ذلة وهوان، حتى



المستشار العقيل مع د. عيسى عبده والأخ حسن المدهون

أصبح المال الذي هو مالنا غريباً عنا وهو في أرضنا، وحرباً علينا والأصل أن يكون عدة لنا.

درس د. عيسى عبده في مدرسة التجارة العليا ومضى إلى إنكلترا ليدرس في جامعة مانشستر ولما كانت أسئلة الاقتصاد تدور حول الفائدة، فقد كتب بحثاً عن تحريم الفائدة لأنها ربا، وأيّد أقواله بأحكام الدين، ورُفضت ورقة الإجابة بجملتها، واستدعته إدارة الكلية لتُبين له أن الجامعة ليست مكاناً لإظهار التعصب لدين دون آخر، وأن المطلوب منه أن يضع على الورق ما عرف من النظرية العلمية دون التأثر بنزعة أو عاطفة.؟!!

ومضى الدكتور عيسى عبده يعمل على إنشاء كلية للاقتصاد الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض تكون نموذجاً للعالم الإسلامي كله، وقد وفقه الله لذلك، والحمد لله رب العالمين.

ثمار الجهود المخلصة:

إن علم الاقتصاد الإسلامي المعاصر، الذي أرسى قواعده د. عيسى عبده، ود. محمود أبو السعود، ود. محمد عبدالله العربي، ود. يوسف القرضاوي، ود. أحمد النجار، ود. نجاة الله الصديقي، ود. محمد عزيز، ود. محمد حميد الله، ود. محمد شابرا وغيرهم ممن ساروا على نهجهم وأسهموا بجهودهم.. كان من ثمرة هذا أن أصبح الاقتصاد الإسلامي مادة تدرّس في كثير من الجامعات، داخل الوطن العربي والإسلامي، وخارجه أيضاً، بل إن الكثير من الباحثين قدّموا رسائل في الماجستير والدكتوراه في الاقتصاد الإسلامي وفروعه المختلفة ومنها أعمال البنوك الإسلامية المعاصرة.

وإن الظاهرة المبشّرة بالخير، هي انتشار البنوك الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي، بل وفي بعض البلاد الأوروبية، بعد أن أثبتت نجاحاً باهراً، وحققت أرباحاً من المال الحلال المستثمر بالطرق الشرعية البعيدة عن الربا المحرم، كما

أن هناك العديد من المجلات والدوريات العلمية المتخصصة الصادرة عن البنوك الإسلامية المعاصرة، والتي يسهم في تحريرها أساطين علم الاقتصاد الإسلامي، فضلاً عن قيام الهيئات واللجان الشرعية للبنوك الإسلامية بتصحيح مسار البنوك، ومراقبة سير العمل فيها، وفق القواعد الشرعية وضبط معاملاتها وترشيدها كي تكون في الإطار الإسلامي المنشود، وهذا كله أدعى لبث الطمأنينة في نفوس الشعوب المسلمة بأن الإسلام هو الحل لكافة مشكلاتها ومعضلاتها الاقتصادية، وهو الذي يوفر لها الأمن والاستقرار لتزدهر الحياة على هدى من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وفي ضوء ذلك أخذت الشعوب الإسلامية تتسابق في إنشاء هذه البنوك رغم بعض العقبات والعراقيل التي يضعها أعداء الإسلام من المرابين وخاصة يهود.

نظام الاقتصاد الإسلامي:

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في كتابه (مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي):



المستشار العقيل مع د. عيسى عبده في أحد لقاءاتهما الكثيرة

«يتلخص نظام الإسلام الاقتصادي في اعتبار المال الصالح قوام الحياة، ووجوب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره، وإيجاب العمل والكسب على كل قادر، والكشف عن منابع الثروات الطبيعية، ووجوب الاستفادة من كل ما في الوجود، من قوى ومعادن وتحريم موارد الكسب الخبيث، وتقريب الشقة بين مختلف الطبقات تقريباً بحيث يقضى على الثراء الفاحش، والفقر المدقع، والضمان الاجتماعي لكل مواطن، وتأمين حياته، والعمل على راحته وإسعاده، والحث على الإنفاق في وجوه الخير، وافتراض التكافل بين المواطنين، ووجوب التعاون على البر والتقوى، وتقرير حرمة المال، واحترام وتنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم، والتدقيق في شؤون النقد، وتقرير مسؤولية الدولة في حماية هذا النظام، وهذه القواعد كلها مبينة في القرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، وكتب الفقه الإسلامي بأوسع بيان» انتهى.

مؤلفات د. عيسى عبده:

لأستاذنا د. عيسى عبده، بحوث ومقالات وكتب ودراسات ومحاضرات وندوات يضيق المجال عن حصرها، ولكن نكتفي بذكر بعض نماذج من كتبه على سبيل المثال:

بنوك بلا فوائد.

لماذا حرم الله الربا؟.

وضع الربا في البناء الاقتصادي.

الفائدة على رأس المال: صورة من صور الربا.

الربا ودوره في استغلال موارد الشعوب.

مشروع قيام بنك إسلامي.

العقود الشرعية الحاكمة للمعاملات المالية المعاصرة.

الاقتصاد الإسلامي مدخل ومناهج.

بترول المسلمين ومخططات الغاصبين.

دراسات في الاقتصاد السياسي.

التأمين بين الحلّ والتحريم.

حديث الفجر.

أثر تطبيق النظام الاقتصدي الإسلامي في المجتمع (بالاشتراك).

بالإضافة إلى سلسلة من المقالات في العديد من المجلات والدوريات الإسلامية والمتخصصة، خاصة مجلة (المسلمون) الشهرية، التي كان يصدرها الدكتور سعيد رمضان في مصر وسوريا وسويسرا، وتمثل هذه المقالات ثروة عظيمة في هذا المجال من حيث الموضوع والسبق فيه.

صلته بالإخوان المسلمين:

عاش أستاذنا شبابه في حركة الإخوان المسلمين، وشارك في أنشطتها، وأسهم مع إخوانه في دفع مسيرتها، وكان من زملائه الداعية الكبير محمود عبد الحليم مؤلف كتاب: (الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ) فقد ذكره المؤلف في الجزء الثاني فقال:

«عيسى عبده كان مدرّساً بمدرسة التجارة المتوسطة في القاهرة في ذلك الوقت، وكان بالطبع أكبر منا سناً، وقد أخبرنا الأستاذ المرشد أن عيسى عبده كان من أسرة مسيحية، أسلمت جميعها عن اقتناع، وكان الأستاذ المرشد يحب عيسى عبده، ويقربه ويؤثره، ويقدمه دائماً للحديث إلى الإخوان، لأنه كان محاضراً لبقاً، ومحدثاً طويل النفس، وكان عيسى مندمجاً في منظمات الإخوان المسلمين، فكان أحد أعضاء الكتائب، إلا أنه لم ينتظم في سلك الجوالة، وكنا نحبه ونقبل عليه، وكان يبادلنا هذا الحب والإقبال» انتهى.

سيرة من حياته وحياة أسرته:

نقل الأستاذ عرفات العشي في كتابه: القيم (رجال ونساء أسلموا: الجزء الأول) ما رواه د. عيسى عبده إبراهيم على لسان أبيه بشأن تسميته (عيسى) قال: «.. إن بيني وبين ربي عهداً لا يعلمه إلا هو، وإني أسير على الدرب لا أحيد، إنني حين تمسكت بالاسم الذي اختاره أبي وهو «عبده» تعلق رجائي بأن يمتد بي الأجل حتى أتزوج وأن أرزق مولوداً أدعوه «عيسى»، وعاهدت ربي على تنشئته تنشئة صالحة، ولأدعون له بطول العمر والتوفيق إلى ما فيه رضا الله وبأن يكون له في حياته ومن بعد حياته أحسن الذكر على ألسنة العباد، ولذا جعلت من وجود هذا الولد شهادة تنبض بالحياة بأن (عيسى) (عبده) وما هو بولده، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.. فكلما ذكره الذاكرون غائباً أو حاضراً.. حياً أو ميتاً.. كان ذكرهم هذا شهادة مني بين يدي الله جل وعلا بأن عيسى عبده..» انتهى.

ويقول الأستاذ محيي الدين عطية في مجلة «المسلم المعاصر» بعددها لشهر ربيع الآخر ١٤٠٤هـ: «.. لقد نشأ عيسى عبده في بيت أسس على اعتناق الإسلام عن قناعة وإيمان، وقد لاقى والده في سبيل ذلك من مقاطعة الأهل والأصحاب ما لاقى، وندب نفسه وأبناءه للدعوة الإسلامية، فكان عيسى ـ أول الأبناء ـ مندفعاً بحكم بيئته في هذا الاتجاه، وقد التقى الإمام الشهيد حسن البنا ورافقه في جولاته بالقرى، وعاصر افتتاح عدد من شعب الإخوان المسلمين في أول عهدهم في الثلاثينيات، وظل على علاقته الوثيقة الحميمة بمؤسس جماعة «الإخوان المسلمون» طيلة حياته، وما زال أبناء عيسى عبده حتى يومنا هذا يحتفظون بوثيقة عزيزة عليهم، لأنها تربطهم بهذا الماضي المشرف، وهي عقد زواج الابنة الكبرى «ليلى عيسى عبده»، ذلك العقد الذي أمهره حسن البنا بتوقيعه كشاهد على الزواج» انتهى.

لقد حقّق الله على يدي د. عيسى عبده إبراهيم إنشاء البنوك الإسلامية التي كانت أملاً يراود نفوس الكثير من المسلمين، وتلك هي الثمرة اليانعة لجهوده

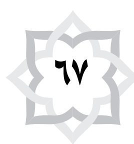
وجهود إخوانه وتلامذته ومحبيه في العالم الإسلامي كله، وهي في محصلتها مظهر من مظاهر الصحوة الإسلامية المباركة.

إن من الوفاء لهذا الرجل أن يعرف هذا الجيل بعض هذه الجهود التي بذلها الدكتور عيسى عبده، وإخوانه؛ كي ينطلق شباب الصحوة الإسلامية لإكمال المسيرة في كل الميادين، فكلٌ ميسّر لما خُلق له.

وفاته:

كانت وفاة أستاذنا في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية يوم ٩ / ١ / ١٩٨٠م، وقد تم نقل جثمانه إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام (المدينة المنورة) حيث دفن بالبقيع حسب أمنيته. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





البطل الجسور الفضيل الورتلاني

(١٣٢٣ ـ ١٣٧٨هـ = ١٩٠٦ ـ ١٩٥٩م)

مولده ونشأته:

هو إبراهيم بن مصطفى الجزائري المسمى الفضيل الورتلاني وُلد في ٦/ ٢/ ١٩٠٦م في بلدة (بني ورتلان) في الشرق الجزائري وينتمي إلى أسرة عريقة، فجدّه الشيخ الحسين الورتلاني من العلماء المعروفين. وقد حفظ الفضيل الورتلاني القرآن الكريم وهو صغير كما درس علوم اللغة العربية والدين على علماء بلده، واستكمل دراسته في مدينة (قسنطينة) على يد العلاّمة الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أُسست سنة ١٩٣١م. وقد ابتعث الورتلاني إلى فرنسا كمندوب للجمعية حيث أقام في باريس من سنة ١٩٣٦م إلى سنة ١٩٣٨م يبث الروح العظيمة في العمال والطلبة الجزائريين بفرنسا. وهناك أنشأ النوادي لتعليم اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي ومحاربة الرذيلة في أوساط المسلمين المقيمين

بفرنسا واستطاع خلال عامين أن يفتح الكثير من النوادي الثقافية في باريس وضواحيها والمدن الفرنسية الأخرى، وكانت تلك النوادي تحتوي على قاعة للصلاة ومدرسة لتعليم الدين الإسلامي وتدريس اللغة العربية.

اتصالاته وجولاته:

كانت له اتصالات واسعة بالمسلمين المقيمين في فرنسا من الجزائريين وغيرهم من العرب الدارسين هناك أمثال الشيخ محمد عبدالله دراز والشيخ عبد الرحمن تاج والأستاذ محمد المبارك والأستاذ عمر بهاء الدين الأميري، وقد أثار هذا النشاط الإسلامي السلطات الفرنسية والمنظمات العنصرية الإرهابية فأخذت تضيق على المسلمين الناشطين وفي مقدمتهم الأستاذ الفضيل الورتلاني الذي قررت منظمة (اليد الحمراء) الإرهابية اغتياله، فما كان منه إلاّ أن غادر فرنسا إلى إيطاليا بمساعدة الأمير شكيب أرسلان الذي وفّر له جواز سفر. توجه إلى مصر سنة ١٩٣٩م وهناك وجد المناخ المناسب للنشاط الإسلامي، وكان سبقه لزيارتها شيخه ابن باديس قبل ربع قرن والتقى علماءها أمثال الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية آنذاك والشيخ أبي الفضل الجيزاوي الذي صار فيما بعد شيخاً للأزهر. وكان الإمام الشهيد حسن البنا شديد الإعجاب بالشيخ عبد الحميد بن باديس وجهاده الإسلامي حتى إنه حين أسس مجلة فكرية أسماها (الشهاب) تيمناً بمجلة الشهاب الجزائرية، وقد سهلت هذه الصلة الروحية بين الحركتين الإسلاميتين الإخوان المسلمين بمصر وجمعية العلماء الجزائرية بالجزائر الطريق لاتصال الفضيل الورتلاني بالإخوان المسلمين والانضمام إليها وأصبح عضواً بارزاً فيها، وقد ألقى الفضيل الورتلاني (حديث الثلاثاء) بالمركز العام للإخوان المسلمين نيابة عن المرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا الذي كان خارج القاهرة.

نشاطه وجهاده:

شارك الفضيل الورتلاني وهو في مصر في تأسيس عدة جمعيات خيرية وسياسية كاللجنة العليا للدفاع عن الجزائر وجمعية الجالية الجزائرية سنة ١٩٤٢م وجبهة الدفاع عن شمال أفريقيا سنة ١٩٤٤م التي كان أمينها العام وتضم في عضويتها الشيخ محمد الخضر حسين وحفيد الأمير عبد القادر الجزائري والأمير عبد الكريم الخطابي المغربي.

وكان للفضيل الورتلاني دوره البارز في تنظيم وتنظير ثورة الأحرار في اليمن سنة ١٩٤٨م مما يعرفه القاصي والداني وخاصة رجالات اليمن.

ولست أدري من أي الجوانب أبدأ الحديث عن هذا الرجل العظيم، والسياسي المحنك والبطل الشجاع، والمغامر الجسور، والمجاهد الصابر، الذي حار الناس في مواهبه المتعددة، وعجزوا عن مجاراته في انطلاقه لتحقيق الأهداف التي يؤمن بها، والمبادئ التي يدين لها، وهي تحرير الشعوب الإسلامية بكاملها، من ربقة الاستعمار الأجنبي أياً كان لونه وجنسه، وإحلال الإسلام محلَّه، كنظام شامل للحياة كلها عقيدة وعبادة وخلقاً وشريعة ومنهج حياة.

ومن هنا كان بطلنا الشجاع الفضيل الورتلاني صاحب السبق في ميادين الجهاد، والعمل لتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار.

ولئن كان الورتلاني من أبناء الجزائر فإن تحركه وجهاده لم يكن للجزائر وحدها، بل للمسلمين عامة؛ لأن غايته الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

دوره في اليمن:

لقد أسهم الورتلاني ورفيقه المصري عبد الحكيم عابدين مع إخوانهما في اليمن لرفع الظلم الواقع بهم، وإزاحة العقبات التي تحول دون تحقيق أمانيهم في الحياة الحرة الكريمة كما كان للورتلاني دور فاعل ومؤثر في رفد الجهاد

الإسلامي في فلسطين ضد يهود ومن والاهم. فضلاً عن الدور الأساس الذي يضطلع به مع إخوانه من مجاهدي الجزائر لتخليص بلادهم من نير الاستعمار الفرنسي والتصدي لكل القوى الماكرة التي تكيد للإسلام والمسلمين في كل مكان.

صلته بالإخوان المسلمين:

يقول عنه الأستاذ الكبير محمود عبد الحليم في كتابه القيم (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ):

«كان الفضيل الورتلاني شاباً جزائرياً من زعماء المجاهدين الذين طاردهم الاستعمار الفرنسي فهرب إلى مصر واتصل بالإخوان المسلمين وكان كثير التردد على المركز العام للإخوان المسلمين، حتى ليكاد يتردد عليه كل يوم باعتبار هذه الدار مركز الحركات التحريرية ضد الاستعمار في كل بلد إسلامي؛ كان الفضيل الورتلاني لماح الذكاء سريع الحركة كثير المعارف، لا يقتصر تحركه على ما



الفضيل الورتلاني بجوار الإمام حسن البنا
ويُرى في الصورة أيضاً د. مصطفى السباعي ود. خميس حميدة وعلال الفاسي

يخص موطنه الأصلي ـ الجزائر ـ بل كان يرى العالم الإسلامي وحدة لا تتجزأ، وأنه مطالب بتحرير كل جزء منه، وأعتقد أن الفضيل الورتلاني كان أول من سافر إلى اليمن وأسس شركة للتجارة، وأما الأستاذ عبد الحكيم عابدين فسافر إلى اليمن بعد الثورة اليمنية التي أطاحت بالإمام يحيى» انتهى.

معرفتي به:

إن أستاذنا الفضيل الورتلاني علم من أعلام الإسلام المعاصرين، عرفته قبل أن أراه، وتتبعت جهاده في أكثر من ميدان، حتى إذا شاء الله التقيته في مصر أوائل الخمسينيات، فوجدت الرجل أكبر مما سمعت وفوق ما علمت، فقد آتاه الله علماً واسعاً وذكاء حاداً وبديهة حاضرة وثروة من التجارب وافرة، وأسلوباً في الحوار نادراً، وجرأة في الحق وقدرة على التصدي للباطل، وسلاسة في الحديث وفصاحة في الخطابة، وقوة في الإيمان ويقظة في الضمير.

ولست في هذا مبالغاً ولكنه بعض ما في الرجل؛ لأن الفضيل الورتلاني نموذج فريد للرجل المسلم القوي، الذي تصغر في عينه عظائم الأمور وتهون أمامه كل الصعاب فلا يتهيب من اقتحام الميادين مهما عظمت التضحيات ولا يتردد لحظة في مواجهة الباطل المنتفش مهما كانت قوته وجبروته.

ومن هنا كانت محبتي له وتعلقي به والتتلمذ على يديه.

ثناء اليمنيين عليه:

يروي القاضي المؤرخ عبدالله الشماحي في كتابه (اليمن الإنسان والحضارة) قصّة تعرّفه إلى الإمام الشهيد حسن البنا والفضيل الورتلاني فيقول:

«كان الإمام البنا ممن التقيته في الحج وقويت الصلة به وتلازمنا في منى ومكة والمدينة ودرسنا الوضع العام في العالم الإسلامي، وقد شخّصت للإمام البنا الوضع في اليمن واتفقنا على التعاون بين الإخوان المسلمين والمنظمات اليمنية؛

وقد أوفى الإمام البنا بوعده وساند النضال اليمني بما كانت تنشره صحافة الإخوان المسلمين، ثم أوفد الأستاذ الجزائري الفضيل الورتلاني وغيره إلى اليمن عن طريق عدن.

ويأتي الأستاذ الجزائري الفضيل الورتلاني موفداً من الإمام حسن البنا وروح الثورة تتقدمه، فيمر بعدن ويضاعف حماس قادة حزب الأحرار وأعضائه، ذلك الحماس الزاحف مع الفضيل الورتلاني إلى كل مكان حل فيه.

وفي (تعز) اتصل الفضيل الورتلاني بالقاضي عبد الرحمن الإرياني والسيد زيد الموشكي والسيد أحمد الشامي وغيرهم وتبادلوا النظرات وبه ارتبط السيد أحمد الشامي ولازمه في تجولاته، وتأثر كل منهما بالآخر؛ وفي (صنعاء) قام الفضيل الورتلاني بنشاطه الثوري يرافقه المؤرخ المصري أحمد فخري ويساعده أحمد الشامي فيجتذبان إليهما السيد حسين الكبسي، وينـدفع الفضيل الورتلاني في إقامة الندوات وإلقاء المحاضرات في المدارس والمساجد والحفلات، فتسري روحه إلى الشباب والضباط وطلاب المدارس» انتهى.

ويروي الأستاذ حسين محمد المقبلي في مذكراته (مذكرات المقبلي):

«... وصل إلى صنعاء الأستاذ الفضيل الورتلاني سنة ١٩٤٧م وهو جزائري وعضو في حركة الإخوان المسلمين وخطيب لا يجاريه أحد في ذلك، وفهم للإسلام على غرار فهم الشيخ صالح المقبلي صاحب كتاب (العلم الشامخ في الرد على الآباء والمشايخ) وهو في مجمل القول خليفة الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده المصري، عمره حوالي الأربعين عندما وصل اليمن لإنشاء فرع لشركة محمد سالم المصرية للمواصلات البرية.

كان الإخوة الموجودون في مصر وعلى رأسهم الشيخ الشهيد محمد صالح المسمري على صلة كبيرة جداً بالإخوان المسلمين، وكان الإخوان المسلمون ـ وعلى رأسهم الشيخ حسن البنا ـ يطمحون إلى تغيير الواقع في البلاد العربية، وإلى قيادة إسلامية صحيحة، وإلى ناشئة إسلامية قوية.

وصل الفضيل الورتلاني يحمل مشعلاً آخر، وبدأ يخطب الناس بأسلوب جديد دفع الشباب اليمني دفعاً إلى اعتناق الثورة، وبدأت أتردد على الفضيل الورتلاني في منزله غير مكتف بملاحقته في المساجد والمجتمعات للاستماع إلى خطبه. وبدأ يحدّثني.. إننا نحن المسلمين فوق كوكب هذه الأرض، نمثّل الملايين، ولكني أقول ـ وهو يضغط على الحروف ـ إننا مستسلمون ولسنا مسلمين.. انتهى.

ويقول السيد أحمد بن محمد بن عبدالله الوزير في كتابه (حياة الأمير علي ابن عبد الله الوزير كما سمعت ورأيت):

«... لقد كان للإخوان المسلمين وعلى رأسهم زعيمهم الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ الذي لم يأل جهداً في بذل مساعيه الحميدة بإخراج اليمن من عزلتها وفقرها وجهلها، وكان الإمام البنا قد راسل الإمام يحيى وأدلى له بالنصح والإرشاد، وحاول أن يتصل بالإمام مباشرة، وأن تقدم جماعة الإخوان المسلمين كل طاقاتها وخبراتها ومعلوماتها لتنشئ دولة إسلامية في شعب مسلم عريق.

لكن الأقدار لم تسمح بعد فتهيئ الفرصة لإقامة الدولة الإسلامية، لما عليه اليمن من جهل وتخلف وحرمان، ولأن الإمام يحيى لا يحب أن يفيق الشعب من سباته العميق، تهرباً من أن يدرك ما فيه من التخلف والحرمان فيهوي بعرشه المتداعي..

وكان وصول الأخ عبدالله بن علي الوزير ومعه فضيلة المجاهد الكبير السيد الفضيل الورتلاني، قد دفعا بالحركة الإصلاحية قفزة واسعة.

وأخذت القضية تتحرك بسرعة واندفاع، فكان السيد الفضيل الورتلاني العلم الجزائري المعروف والخطيب المفصح، يُلهب أحاسيس الناس في الخطب يوم الجمعة، وعن طريق الاجتماعات المستمرة بالشخصيات القوية»، انتهى.

ويقول الأستاذ أحمد بن محمد الشامي في مذكراته (رياح التغيير في اليمن):

«... وفي اعتقادي أن العالم المجاهد الجزائري السيد الفضيل الورتلاني هو الذي غيّر مجرى تاريخ اليمن في القرن الرابع عشر الهجري وأنه حين وضع قدمه على أرض اليمن كأنما وضعها على (زرّ) دولاب تاريخها فدار بها دورة جديدة في اتجاه جديد، لأن ثورة الدستور سنة (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م) هي من صنع الورتلاني.. لقد كانت هناك معارضة يمنية وكان هناك نقد وتبرم ومنشورات ضد الدولة، وكانت هناك طموحات وزعامات وتحفزات، وكل ذلك يصلح أن يكون وقوداً لثورة ما.. ولكن (المعارضة) كانت بلا تنظيم، واتجاهات زعمائها مختلفة ومتباينة، والمناشدون بالإصلاح ودعاة التغير والتطور لا توحدّهم رابطة، والنقد والتبرم غير موجهين توجيهاً سياسياً هادفاً بناءً.. والطموحات تتنافس فيما بينها، وكل متربص بالآخر، والزعامات العلمية والدينية والسياسية قد خدّرها الوهن، وجمدتها الأطماع، والتحفزات الوطنية ليس لها زعماء أكفاء ذوو مؤهلات قيادية، فلما جاء السيد الفضيل الورتلاني، عمل ما لم يعمله أحد من اليمنيين، فوحّد شتات (المعارضة) في الداخل والخارج وأرشد المطالبين بالإصلاح والمناشدين بالتغيير والتطوير إلى طرق العمل وجمعهم في رابطة وطنية، وقارب بينهم وبين أرباب الطموحات السياسية والزعامات العلمية والدينية والقبلية والتحفزات الإصلاحية من الناقمين والناقدين والمتبرمين، وصهر مجهوداتهم وأهدافهم واتجاهاتهم وآمالهم وأمانيهم في بوتقة (الميثاق الوطني) وإنني أعتبر الورتلاني هو الذي استطاع أن يقنع الرئيس جمال جميل بأن يؤلف جبهة من ضباط الجيش لتأييد الدستور، وأنه هو الذي أعاد الثقة إلى قلوب الموشكي والشامي، وجعلهما يتعاونان من جديد مع الزبيري ونعمان في إطار الميثاق الوطني، وهو الذي استطاع إقناع الأمراء والعلماء والمشايخ والتجار والضباط والأدباء بمبايعة عبدالله الوزير إماماً ثورياً دستورياً. ولولا

الورتلاني ما توحّد الأحرار في اليمن فالورتلاني هو مهندس ثورة (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م) حقاً» انتهى.

ويمضي الأستاذ أحمد محمد الشامي في كتابه المذكور فيقول:

«إن واضع الخطوط العريضة الأولى لميثاق الثورة الدستورية اليمنية هو العلاّمة الجزائري السيد الفضيل الورتلاني والأستاذ الإمام المرشد العام للإخوان المسلمين حسن البنا، وكان هذان العبقريان المصلحان يهتمان بالمسلمين وشؤونهم في العالم بدافع قرآني خالص، لا يشوبه شعور وطني معين ولا تعصب إقليمي أو طائفي أو مذهبي محدود.

لقد كان لدى الأستاذ الورتلاني من المعرفة بكتاب الله وسُنَّة رسوله والفقه وأصوله، والفهم والعبقرية والفصاحة والتقوى ما يخوله أن يفهم ويعرف ما فهمه وعرفه الإمام زيد بن علي الذي لم يكن (زيدياً) بل كان حنيفاً مسلماً، كما كان الورتلاني والبنا من بعده.

ولا بد أن يدرك أن مجيء السيد الورتلاني كان له الأثر الفعال، حيث إنه هو الذي وحّد بين أحرار اليمن في الداخل والخارج ووحّد بين وجهات النظر المختلفة للفئات اليمنية» انتهى.

وقد وصفه الشاعر اليمني القاضي محمد محمود الزبيري بقوله:

«لا أظن أنه يوجد للفضيل الورتلاني نظير في العالم الإسلامي علماً وكمالاً وإخلاصاً وهيبة وجلالاً» انتهى.

دور العلماء في الجزائر:

إن الجزائر المسلمة هي أرض البطولات وبلد التضحيات التي أرخصت الدماء الغالية في سبيل عقيدة الإسلام، والذبّ عن حياض الوطن الإسلامي، وقاومت المستعمرين سنين طويلة، وانتفضت كالمارد بعد طول رقاد، وقدمت الشهداء بمئات الألوف لتفخر أن يكون في طليعة رجالها ومقدمة أبطالها ابنها

البار الفضيل الورتلاني، الذي كان كالشامة في جبين الأمة الجزائرية المسلمة، لما يتمتع به من صفات لا تتوافر إلا في القلة القليلة من أصحاب العزائم، لأن الناس كإبلٍ مئة لا تجد فيها راحلة.

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان لها الفضل ـ بعد الله ـ في تخريج هذه القمم السامقة وهؤلاء الأئمة الأعلام والرجال العظام، ولن ينسى المنصفون من الناس هذا الدور العظيم لهذه الجمعية المباركة، سواء في داخل الجزائر أو خارجها، فقد كان لمكتبها في القاهرة، وفيه أمثال الإبراهيمي، والورتلاني دور فاعل مؤثر في تهيئة الرأي العام العربي والإسلامي للوقوف إلى جانب الجزائر في محنتها، كما كان لهذه الجمعية الأثر الكبير في جمع كلمة الدعاة والقادة المسلمين في العالم العربي والإسلامي لمواجهة التحدي الاستعماري الذي يستهدف الإسلام كدين والمسلمين كأمة، والأرض الإسلامية كوطن.

ولقد استطاع الشيخ البشير الإبراهيمي بمؤازرة أخيه الفضيل الورتلاني: أن يكسب تأييد الشعوب العربية والإسلامية، بل بعض الحكام المسلمين بحيث صارت قضية الجزائر المحور الأساس للخطب والمحاضرات والندوات والمؤتمرات.

وأقبل الناس يجودون بأموالهم بسخاء منقطع النظير، لرفد حركة الجهاد الإسلامي في الجزائر، وقامت المظاهرات الكبرى في أنحاء العالم العربي والإسلامي، كلها تؤيد وتؤازر شعب الجزائر المسلم في تصديه للطغيان الفرنسي، وأصبحت لا ترى مسجداً أو نادياً أو معهداً أو مقهى أو مجتمعاً، إلا وكان الحديث فيه عن الجزائر وجهادها وضرورة الوقوف إلى جانب شعبها المسلم المجاهد. ولقد فاضت أنهار الصحف والمجلات بالقصائد والمقالات التي تهيب بالمسلمين جميعاً لدعم إخوانهم مسلمي الجزائر.

إن هذا الدور الرائد الذي قام به الإبراهيمي والورتلاني وإخوانهما ليسجل في

صفحات التاريخ المشرقة، كما نرجو من الله تعالى أن يجعل ذلك في موازين حسناتهما يو م القيامة.

تعرضه للمخاطر:

لقد تعرض الورتلاني أثناء جهاده إلى مخاطر كثيرة، وكان دمه مهدراً من قبل فرنسا ووقع أكثر من مرة بالأسر ولكن عناية الله حفظته ورعته، وكان للإمام الشهيد حسن البنا دور في الإفراج عنه وعن رفيقه أمين إسماعيل بعد أحداث اليمن عام ١٩٤٨م.

وبعد فشل ثورة الدستور باليمن حُكم على الفضيل الورتلاني بالإعدام وأصبح مطلوباً فأمضى خمس سنوات متستراً قضاها في التجوال في الدول الأوروبية والتقى الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء الجزائريين ونائبه الشيخ محمد العربي التبسي في سويسرا.

وقد وافق رئيس وزراء لبنان رياض الصلح على استقرار الفضيل الورتلاني في بيروت شرط أن يكون ذلك سراً.

عودته إلى مصر:

وبعد قيام الضباط الأحرار وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب بالإطاحة بالملك فاروق عاد الفضيل الورتلاني إلى مصر، ورحب به العلماء والسياسيون وخصّصت له مجلة (الدعوة) لسان حال الإخوان المسلمين بمصر حواراً شاملاً نشرته في عددها السابع والثمانين كما حياه الأديب الإسلامي الكبير الشاعر علي أحمد باكثير بقصيدة جاء فيها:

أفضيل هذي مصر تحتفل بلقاك فانعم أيها البطل

أمسيت لا أهل ولا وطن وغدوت لا سفر ولا نزل

لـم تـقـتـرف جـرمـاً تـدان بـه كـلا ولـكـن هـكـذا الـبـطـل
إن الـفسـاد إذا اعـتـرى بـلـداً فـالـمـجـرمـون بـه هـم الـرسـل

مغادرته إلى لبنان:

وبعد استئثار عبد الناصر بالسلطة وخلع الرئيس محمد نجيب واعتقالاته للإخوان المسلمين وإعدام ستة من قادتهم هاجم الورتلاني عبد الناصر على محاربته للإخوان وذلك في موسم الحج فكان جزاؤه السجن الحربي مع زميله الشاذلي المكي بعد عودتهما من الحج إلى القاهرة مما حدا بالفضيل الورتلاني إلى أن يغادر القاهرة سنة ١٩٥٥م متوجهاً ثانية إلى بيروت بعد أن تأكد من تآمر المخابرات المصرية عليه وعلى أستاذه الشيخ البشير الإبراهيمي.

استمرار جهاده:

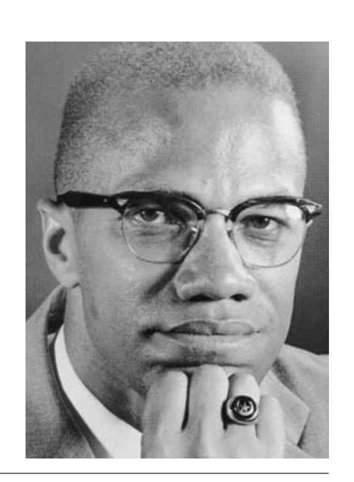
وحين انطلقت الثورة الجزائرية في ١ / ١١ / ١٩٥٤م نشر الورتلاني مقالاً بتاريخ ٣ / ١١ / ١٩٥٤م بعنوان (إلى الثائرين من أبناء الجزائر: اليوم حياة أو موت) وبتاريخ ١٥ / ١١ / ١٩٥٤م أصدر مع الشيخ البشير الإبراهيمي بياناً بعنوان: (نعيذكم بالله أن تتراجعوا) وبتاريخ ١٧ / ٢ / ١٩٥٥م شارك في تأسيس (جبهة تحرير الجزائر) التي تضم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وممثلي (جبهة التحرير الوطني): أحمد بن بيلا وحسين آية أحمد، ومحمد خيضر، وبعض ممثلي الأحزاب الجزائرية: الشاذلي مكي وحسين لحول، وعبد الرحمن كيوان، وأحمد بيوض وغيرهم.

وفاته:

واستمر الورتلاني في جهاده إلى أن لقي ربه في ١٢ / ٣ / ١٩٥٩م في مستشفى في أنقرة وكانت وصيته أن يدفن في أرض الجزائر، إلا أن الطغمة

العلمانية التي قفزت إلى السلطة بعد التحرير رفضت ذلك وبقي في الباخرة دون أن تجرؤ دولة عربية على أن يدفن جثمانه في مقابرها، فقبلت تركيا ودفن فيها، وقبل سنوات نُقِلَ رفاته إلى مسقط رأسه في الجزائر.

رحم الله الأستاذ الفضيل الورتلاني رحمة واسعة وأعاد للجزائر وجهها الإسلامي المشرق بجهود أبنائها البررة من رجال الحركة الإسلامية المعاصرة والحمد لله ربِّ العالمين.





مالك شباز «مالكوم إكس»

الباحث عن الحقيقة

(١٣٤٦ ـ ١٣٨٦هـ = ١٩٢٥ ـ ١٩٦٥م)

مولده ونشأته:

ولد مالك شباز (مالكوم إكس) يوم ٢٩ / ٢ / ١٩٢٥م بمدينة متشجن في الولايات المتحدة الأمريكية، ونشأ في أسرة فقيرة من أب وأم، وعدد من الإخوة، والتحق بالمدرسة وكان متفوقاً لماح الذكاء، ولكنه فوجئ سنة ١٩٣١م بقتل أبيه وأعمامه على أيدي عصابات الأمريكان البيض، مما أحدث هزّة عنيفة في نفسه، كما أن أمه أصيبت بانهيار عصبي، وأدخلت مستشفى الأعصاب، فتزعزع إيمانه بكل المثل الأخلاقية، ونقم على الجنس الأبيض، وانخرط مع العصابات في الإجرام والسرقة والمخدرات، مما أدى إلى سجنه نتيجة الصدامات والمشاجرات.

تطورات حياته:

وفي سنة ١٩٤٠م، انتقل إلى مدينة (بوسطن)، حيث تسكن أخته، فأقام

عندها، وأقدم على مزاولة السرقة، ووقع بأيدي الشرطة، عقب سرقة كبيرة، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، قضى منها ثماني سنوات في السجن. وأثناء وجوده في السجن، تعرَّف على شخص من حركة المسلمين السود، جماعة أليجا محمد المسماة (أمة الإسلام)، فانخرط في صفوفها، وهذه الجماعة تدعو إلى تفوق الجنس الأسود، وسيادته على الأبيض، ووصف البيض بأنهم شياطين، وأن الملاك أسود، والشيطان أبيض، ويزعم زعيم الحركة (أليجا محمد) أنه رسول الله! وأن الإله ليس شيئاً غيبياً، بل يجب أن يكون متجسداً في شخص، وهذا الشخص هو (فارد)!! وهذه الحركة ترى العبادة في الصلاة عبارة عن التوجه نحو مكة، وقراءة الفاتحة، واستحضار صورة (فارد)!! والصوم عندهم في شهر ديسمبر من كل عام!! وعلى كل عضو في الحركة أن يدفع عُشْرَ دخله لصالح الحركة، وأن الإسلام سينقذ السود من سيطرة البيض عليهم.

وقد انغمس فترة السجن في القراءة المكثفة للكتب المتعلقة بتاريخ الأديان وتاريخ إفريقيا وسائر الكتب التاريخية والاجتماعية، حتى إنه كان يقضي قرابة خمس عشرة ساعة في القراءة المتصلة، ودخل في مناظرات مع القسس في السجون، ثم جاءته رسالة من أخيه يدعوه للدخول في الإسلام، والانضمام لجماعة (أمة الإسلام) التي يرأسها (أليجا محمد)، وذلك عام ١٩٤٨م.

انضمامه لحركة السود:

وبعد خروجه من السجن قابل (أليجا محمد) زعيم جماعة (أمة الإسلام) الذي ضمه إلى مجلس إدارة الحركة، وجعله إماماً، فأبدى كفاءة نادرة، ونشاطاً في الدعوة للحركة، فزار الجامعات، والحدائق، والسجون، وألقى الخطب والمواعظ، وتأثر الكثيرون بفصاحته، وقوة بلاغته، وحماسته، ودخل كثيرون في الإسلام، ومنهم الملاكم (محمد علي كلاي) وأقبلت الصحافة والإذاعة وقنوات التلفاز تفتح الأبواب أمامه، وعُقدت المناظرات على الهواء، والدعوة لحركة (أمة الإسلام).

رحلته الأولى:

وفي ١٩٥٩م قام برحلة إلى مصر والسعودية، وذهب إلى مكة المكرمة، وقضى فيها اثني عشر يوماً، وسُرَّ بما رأى من وحدة المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وقابل الكثير من العلماء، كما قابل الأمير فيصل بن عبدالعزيز ولي العهد الذي قال له: «إن حركة (أمة الإسلام) فيها الكثير من الأخطاء التي تتعارض مع الإسلام الصحيح».

إسلامه الصحيح:

وفي مصر قابل مفتي الديار المصرية حسنين محمد مخلوف، فأعلن إسلامه من جديد على منهج الكتاب والسنة، ثم عاد إلى أمريكا ليبدأ مرحلة جديدة من الدعوة إلى الإسلام الحق، ويواجه مرحلة خطيرة من حياته.

وهناك أعلن براءته من مبادئ حركة (أمة الإسلام) العنصرية، وحاول إقناع زعيمها (أليجا محمد) بأخطائه، ودعاه لزيارة الكعبة، ولكن (أليجا محمد) غضب عليه غضباً شديداً، واعتبره منشقاً عن الحركة، وطرده منها، وأعلن الحرب عليه، وكذا الصحف الأمريكية حاربته بشدة.

إنشاء جماعة جديدة:

أقدم (مالك شباز) على إنشاء جماعة جديدة تلتزم بالإسلام الصحيح، وسماها (جماعة أهل السُّنَّة)، فكثر أتباعه، وبخاصة من السود، ولم يبال بتلك التهديدات، ولا تلك الحملات الصحفية التي وصفته بأنه يريد أن يدمر أمريكا، ويثير ثورة السود، ويشيع الفوضى والاضطراب في المجتمع الأمريكي.

لقاءاته ورحلته الثانية:

وفي ١٩٦٢م التقى الأستاذ عبدالرحمن عزام سفير المملكة العربية السعودية

في الولايات المتحدة، ومؤلف كتاب (الرسالة الخالدة) والأمين العام السابق لجامعة الدول العربية، وكذا الدكتور الشواربي، فازداد فهمه للإسلام الحق، ثم رتب رحلة أخرى للبلاد العربية، والحج إلى بيت الله الحرام ١٩٦٤م، وفي تلك الرحلة التي أدى فيها مناسك الحج، زار مصر ولبنان والكويت والجزائر ونيجيريا وغانا.

وفي الكويت التقيناه في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وكان الوزير آنذاك الشيخ خالد أحمد الجسار، وكانت فرصة طيبة لنا أن نتعرف عليه أكثر من السماع به عن بعد، وأن نقيم الروابط معه ومع جماعته الجديدة التي تلتزم منهج أهل السنة والجماعة، ونزودهم بالكتب الإسلامية النافعة والدعم المادي والمعنوي، للثبات على هذا الطريق المستقيم، والمنهج الصحيح، وتلك كانت معرفتي به عن قرب.

انتشار دعوته:

ولقد التحق بالداعية (مالك شباز) العديد من أنصار وأعوان (أليجا محمد) وفيهم ابنه (والس محمد) الذي تسمى فيما بعد باسم (وارث الدين) ولقد شاء الله تعالى أن يتّسع نشاط (مالك شباز) وأن يعلو صوته، ويكثر أتباعه على مستوى القارة الأمريكية، وفي كل ولاياتها، مما أخاف العنصريين الأمريكان، ودعاة الصهيونية، وأتباع أليجا محمد، فراحوا يشوهون صورته، ولكنه بقي كالطود الشامخ ثابتاً على الحق، يعرض الإسلام كما جاء في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

زيارتي لأمريكا:

وحين زرت أمريكا ١٩٦٨م قابلت (أليجا محمد) بصحبة الأخ اللبناني الدكتور أحمد صقر، وتأكدت من الانحراف لدى (جماعة أمة الإسلام) بزعامة

أليجا، بعد أن استمعت إلى أفكاره بلسانه أكثر من ثلاث ساعات، فحمدت الله على ابتعاد «مالك شباز» عنهم وخروجه من جماعتهم.

جماعة البلاليين:

ومن الجدير بالذكر أنه بعد وفاة الزعيم (أليجا محمد) وتولي ابنه (والس محمد) الذي تسمى فيما بعد بـ(وارث الدين) تغير حال الجماعة إلى الأحسن، فقد قام (وارث الدين) بتصحيح الكثير من أفكار الجماعة، وغير اسمها إلى (البلاليين) نسبة إلى الصحابي الجليل بلال بن رباح رضي الله عنه وذلك لأن (وارث الدين) كان متأثراً بالداعية المسلم «مالك شباز» رحمه الله، فاتبع سياسة الإصلاح التدريجي لأتباع والده.

صفاته وكفاحه:

لقد كان (مالك شباز) قوي الشخصية، صريحاً، خطيباً مفوهاً، صارماً في محاربة الظلم والظالمين، ينشد الحق والعدالة والمساواة بين الناس جميعاً، دون تمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس، وكان يحقد على الأمريكيين البيض الذين يستغلون الشعوب، ويستعبدونهم، ويسلبون خيرات بلادهم، ويتعالون على الناس، وبخاصة في إفريقيا، ويسيرون في حربهم للزنوج داخل أمريكا مسيرتهم في حرب الهنود الحمر سكانها الأصليين الذين تعرضوا للإبادة الجماعية والتهميش، بسبب الاستعلاء والاستبداد من الجنس الأبيض، وأنه لابد من الوقوف بصلابة أمام هذه الغطرسة الأمريكية، وتحرير الزنوج وغيرهم من المستضعفين في الأرض، ولن يتم ذلك إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح والالتزام به، ودعوة الناس إليه، وإزالة كل المعوقات من طريقه، وبخاصة هذا الاستكبار والعجرفة من الأمريكان الذين يملكون المال والسلاح والإعلام، ويسخرون كل ذلك لإذلال الشعوب وقهرها وتجويعها، لتسير في ركبهم،

وتخضع لسيطرتهم، مما يتطلب تكاتف المسلمين في الأرض، والوقوف بحزم وثبات وصبر ومصابرة أمام هذه الموجة العارمة من الطغيان الأمريكي، والمكر اليهودي، والتآمر الأوروبي، وقد أسس منظمة أسماها (مؤسسة المسجد الإسلامي) تجمع المسلمين على كلمة سواء.

وهذا الموقف الشجاع من «مالك شباز» كان السبب الأساس في استهدافه من قبل الخصوم للقضاء عليه وعلى حركته التوحيدية الكبرى، لأنهم عجزوا عن احتوائه، فقد كان صادقاً مع نفسه، ومع ربه، ومع الناس، ومتفانياً في سبيل الخير والعدل لكل الإنسانية، وكانت قوته في بساطته وتواضعه للحق، وفي صرامته في محاربة الظلم والباطل، وهو من الرجال القلائل في هذا العصر الذين خاضوا بالإسلام معمعة الصراع، وأعطوا الإسلام صورته الحقيقية، وبخاصة في المجتمع الأمريكي الذي يعتبر الزنجي الأسود مخلوقاً منحطاً لا قيمة له، ومن أجل ذلك انطلق في جهاده لتحرير السود في أمريكا، ورفع مستواهم في المجالات التعليمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والروحية، وكون لهذا الغرض منظمة «الوحدة الإفريقية الأمريكية» لرفع قضية السود في أمريكا إلى محكمة العدل الدولية والأمم المتحدة، لتحقيق مطالبهم الإنسانية ثم المدنية.

من أقواله:

«سوف يقتلني البيض العنصريون، والزنوج الذين اتخذوا الإسلام وسيلة لأطماعهم، إنني أشعر أنني لن أعيش طويلاً، وأنني سأقتل، ولكني أريد أن أقوم بعمل يخدم قضية الزنوج وقضية إفريقيا وقضية الإسلام.

لقد قلت لمن التقيت بهم في (غانا) من الزنوج الذين تخلوا عن جنسيتهم الأمريكية، وفضلوا العودة إلى إفريقيا: إن الاثنين والعشرين مليوناً من الأفرو أمريكان بالولايات المتحدة، من الممكن أن يكونوا قوة إيجابية لصالح إفريقيا، وفي الوقت نفسه، فإن الدول الإفريقية يمكنها وعليها أن تقوم بدور القوة

الإيجابية على المستوى الدبلوماسي ضد التعصب العنصري في أمريكا، إن إفريقيا تضيّع وقتها ما لم تنتبه إلى أن أمريكا العنصرية هي وراء كل انتصار استعماري، وقهر ثوري في الأرض الإفريقية.

إن الرجل الأمريكي يجب أن يتعلم أن الزنجي لن يستمر مكتوف الأيدي، يتسول حقوقه، حيث لا طريق أمامه.. إن الزنجي الأمريكي عليه أن يعرف أن لديه أسانيد قوية كافية لأن يتهم الولايات المتحدة الأمريكية أمام هيئة الأمم المتحدة بانتهاك حقوق الإنسان».

ويقول مالك شباز متحدثاً عن مجتمع الحج بمكة المكرمة الذي أثار في نفسه شتى الخواطر: «إننا نحن المسلمين في أخوة حقيقية تنبذ كل اعتبار للجنس من فكرها، ومن أفعالها ومن سلوكها. لقد فكرت وأنا في الحج أشاهد مواكب الحجيج من المؤمنين من كل الأجناس، وأرقب الأخوة والمساواة بينهم في كل شيء، فقلت: لو أن الأمريكيين البيض كانوا يقرون بوحدانية الله، فلربما كانوا هم أيضاً يتمكنون من الإقرار بالمساواة الإنسانية، وأنهم سوف يكفون عن مجابهة الآخرين والإضرار بهم لأسباب تتعلق باللون.

ولما كان التمييز العنصري هو سرطان أمريكا الحقيقي، فإن «مسيحيينا» البيض لابد لهم من أن يعكفوا على الحل الإسلامي للمشكلة وهو حل قدم براهينه وربما كان بإمكانه أن يتدخل قبل فوات الأوان، لإنقاذ أمريكا من كارثة توشك أن تحل بها، هي الكارثة نفسها التي انقضت على ألمانيا العرقية، وانتهت إلى تدمير الألمان أنفسهم..».

قالوا عنه:

يقول الأستاذ إبراهيم عبدالرحمن في مجلة «الغرباء» اللندنية:

«لقد بلغ نشاط مالك شباز (مالكوم إكس) ذروته بعد عودته من الحج، وكانت طفرة شاسعة تلك التي نقلت الفتى المتشرد، الذي سار شوطاً واسعاً في طريق

الإجرام، وجعلت منه ذلك الإنسان العملاق الداعية إلى الخير والهدى والطريق المستقيم. نعم إنها لطفرة واسعة تلك التي وصلت به إلى أن يكون تلميذاً من تلامذة معلم الخير، وأن يكون داعية إلى الله على بصيرة وهدى من الله.

ولم تكن قوى الشر لتغفل عن الخطر الذي يتهددها من جراء نجاحه وانتشار دعوته، فقوى الشر تعلم الاستعداد الفطري عند الناس لتقبل الإسلام، وتعلم أن توافر داعية متفان في سبيل الإسلام مثله سيعني استجابة شعبية هائلة كانت علائمها الأولى قد بدأت تظهر واضحة جلية، ولذا سارعت قوى الشر إلى تدبير المؤامرة الآثمة».

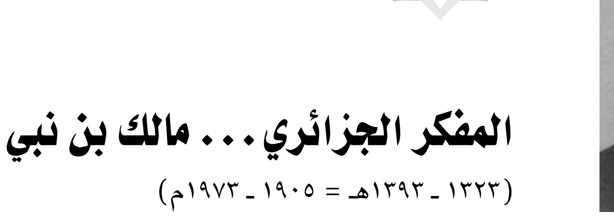
وفاته:

فيما كان واقفاً يلقي خطبة في (المنظمة الإفريقية الأمريكية) في حي هارلم حي الزنوج المعروف بنيويورك، انطلقت فجأة عشر رصاصات مزقت وجهه وصدره، وسقط مضرجاً بدمائه، وكان ذلك يوم ٢١ / ٢ / ١٩٦٥م على يد أتباع أليجا محمد الذين اعترفوا، ولكنهم نفوا أن يكونوا مدفوعين من أليجا نفسه، بل إنهم تصرفوا من ذوات أنفسهم، وكان عمره أربعين سنة، وترك زوجة أرملة وأربع بنات.

نسأل الله أن يتغمده برحمته ورضوانه، وأن يتجاوز عن سيئاته، ويدخله جنته، والحمد لله رب العالمين.







المفكر الجزائري... مالك بن نبي

(١٣٢٣ ـ ١٣٩٣هـ = ١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م)

معرفتي به:

تربطني بالمفكر الجزائري الأستاذ الكبير مالك بن نبي روابط فكرية، فقد سعدتُ بقراءة أول كتاب له بالعربية وهو (الظاهرة القرآنية) وشدّتني لقراءته والتمعّن فيه المقدمة التي دبّجتها يراعة الأديب اللغوي الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر، فضلاً عن أن مترجم الكتاب الدكتور عبد الصبور شاهين من الزملاء الأعزاء الذين جمعتني وإياهم روابط العقيدة والعمل المشترك في ميدان الدعوة إلى الله فكان اضطلاعه بالترجمة حافزاً لي لقراءة كتاب عن مؤلف لا أعرفه من قبل، ثم تتابعت قراءاتي لما صدر بعد ذلك من كتبه المترجمة إلى العربية والتي وجدتُ فيها نظرة تستوعب مشكلات الحضارة وحل معضلات العصر وبناء شخصية المسلم المعاصر؛ البناء العقدي الإيجابي المبني على النظر والتدبر في حقائق الكون والحياة والنفس الإنسانية ومساربها ومحاربة

التخلف الفكري والحضاري لمواجهة ضرورات العصر ومنطلقاته.

ثم شاء الله أن ألتقي المفكر الجزائري أول مرة في الكويت حين دعوناه للموسم الثقافي هناك أواخر الستينيات، وكان لنا معه حوارات وندوات وأحاديث ومناظرات، خرجتُ منها بأن الأستاذ مالك بن نبي طراز فريد من المفكرين الذين يستخدمون العقل في تعضيد ما ورد بالنص ويؤثرون التحليل للمشكلات ودراستها دراسة استيعاب ويطرحون الحلول لمعضلاتها على ضوء التصور الإسلامي وفي ظل القرآن وهدي السُّنَّة.

من تلامذته:

ولقد تأثر به قطاع عريض من الشباب في المغرب والمشرق على حد سواء فكان منهم الأستاذ رشيد بن عيسى من الجزائر، والأستاذ عمر مسقاوي من لبنان والأستاذ جودت سعيد من سوريا، ود. عبد الصبور شاهين من مصر وغيرهم من الذين حملوا الفكر الإسلامي المعاصر، فلقد كانت المدارس الفكرية للبنا والمودودي وسيّد قطب ومالك بن نبي، ينتظم في عدادها الألوف من شباب العالم الإسلامي والعربي على وجه الخصوص.

مؤلفاته وآثاره:

لقد أسهم الأستاذ مالك بن نبي بالعديد من المؤلفات التي ترجم بعضها إلى اللغة العربية كلها تدور حول مشكلات الحضارة وفي مقدمة هذه الكتب: كتاب (الظاهرة القرآنية) وكتاب (وجهة العالم الإسلامي) وكتاب (الفكرة الإفريقية الآسيوية) وكتاب (شروط النهضة) وكتاب (يوميات شاهد للقرن) وكتاب (مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي) وكتاب (آفاق جزائرية) وكتاب (المسلم في عالم الاقتصاد) وكتاب (لبيك) وكتاب (بين الرشاد والتيه) وكتاب (إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث) وكتاب (تأملات) وكتاب (في

مهب المعركة) وكتاب (فكرة كومنولث إسلامي) وكتاب (القضايا الكبرى) وكتاب (مشكلة الثقافة) وكتاب (ميلاد مجتمع) وكتاب (من أجل التغيير) وكتاب (الصراع الفكري في البلاد المستعمرة) وكتاب (دور المسلم ورسالته في القرن العشرين) وغيرها كثير بالعربية والفرنسية.

ولقد أحدثت موضوعات هذه الكتب أثرها في توعية الشباب عن الاستعمار الغربي الذي يجثم على صدور الشعوب الإسلامية، وأساليبه في إذلال هذه الشعوب، كما تكلم مالك بن نبي عن النهضة وشرائطها والحضارة الغربية وطرق مواجهتها والشخصية المسلمة ومواصفاتها، ولقد لفت الأستاذ مالك بن نبي نظر الأمة الإسلامية إلى أن الأخطر من الاستعمار هو القابلية للاستعمار، لأن النفوس إذا ضعفت وانهزمت من داخلها، تكون خير وعاء لاستقبال الاستعمار والرضا به والسير وراء حضارة الغالب والتخلي عن أمجاد الماضي وأصالته، والالتصاق بكل ما يرد من المستعمر من خير وشر وحلو ومر وصواب وخطأ، دون تمييز أو انتقاء بل بتقليد المغلوب للغالب والعبد للسيد، وأوضح لها بأن القوي الغالب هو الله، فلا غالب إلا الله، وأن المسلم الحق هو الأعلى وأن الإسلام هو الدين الحق وأن المستقبل للإسلام.

ومن هذه النظرة المعتزة بدينها والمستعلية بإيمانها الآخذة بخير ما في الحضارات، المعرضة عن سوءاتها، أهابت مؤلفات مالك بن نبي بأمة الإسلام أن لا تكون من عبيد الاستعمار وأن لا تكون مسخرة لأعماله ولا سوقاً لمنتجاته وأن لا تفقد أصالتها بتقليده في كل شيء حتى الأفكار كما يفعل المستغربون والمخدوعون بحضارة المستعمر من العلمانيين والحداثيين والإمعات الراكضين وراء كل ناعق.

مولده ونشأته:

وُلِدَ الأستاذ مالك بن نبي سنة ١٩٠٥م بمدينة قسنطينة بالجزائر وهو ابن الحاج

عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي، ثم انتقلت أسرته وهو طفل إلى بلدة (تبسة) وهناك بدأ يتردد على الكتَّاب لتعلم القرآن الكريم وفي الوقت نفسه، كان يدرس بالمدرسة الابتدائية، وكان فيها متفوقاً وبعدها انتقل إلى التعليم الثانوي بمدينة (قسنطينة) وكان وقتها يحضر دروس الشيخ ابن العابد في الجامع الكبير والشيخ مولود بن مهنا. وكان يميل إلى القراءة منذ صغره فقرأ في الشعر الجاهلي والأموي والعباسي، وتأثر بشعر امرئ القيس والشنفرى وعنترة والفرزدق والأخطل وأبي نواس وحتى أصحاب المدرسة الحديثة كحافظ إبراهيم ومعروف الرصافي وشعراء المهجر كجبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي وكان بقرب بيته مقهى وبالقرب منها مكتب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يلتقي فيه التيار الناشئ من المدرسين وأتباع ابن باديس وقد تأثر بهما كمدرستين إحداهما سياسية والأخرى إصلاحية. وبعد التخرج في الثانوية مارس أعمالاً عدة ثم سافر إلى فرنسا سنة ١٩٣٠م لغرض الدراسة في معهد الدراسات الشرقية فلم يتيسر له ذلك فسجل نفسه في (معهد اللاسلكي) ثم التحق بمدرسة الكهرباء. وتخرج من باريس مهندساً سنة ١٩٣٥م وكانت دراساته تنصب في معرفة أمراض العالم عموماً والجزائر خصوصاً وتشخيص علاجها واقتراح الحلول لها. ويعتبر أن الدين أصل الحضارات، لأن الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي من السماء يكون للناس شرعة ومنهاجاً.

وإن الدين إذا ضعف في نفوس أصحابه، فقد الإنسان جانبه الروحي والتصق بالأرض وما عليها التصاقاً يعطل ملكات عقله ويطلق غرائزه الدنيوية من عقالها لتعيده إلى مستوى الحياة البدائية. ثم رحل إلى مصر سنة ١٩٥٦م ثم عاد إلى الجزائر سنة ١٩٧٣م حيث توفي في شهر أكتوبر من العام نفسه.

أفكاره ومدرسته:

وقد أعطى الفكر الإسلامي عصارة أفكاره وخلاصة تجاربه واستقطب العديد

من شباب المشرق والمغرب الذين اتخذوا من أفكاره مناهج للتعامل مع الحضارة المعاصرة بأخذ الصالح منها واطراح الطالح وتسخير العقل لإعمال النظر في التراث الإنساني وإخضاعه للمقاييس والمعايير الإسلامية التي تريد للإنسان أن يعيش عزيزاً مكرماً في هذه الدنيا التي استخلفه الله فيها ليعمرها بعمل الخير وفعل المعروف وإحسان العبادة لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

إن الأستاذ مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ كان شعلة نشاط وكان منظّراً فكرياً ودارساً متعمقاً، قدم الفكر الإسلامي الأصيل الذي أعاد لشباب الأمة ثقته في دينه والتزامه بمفاهيمه وتطبيقه لأحكامه، فالتقى تلامذته وحملة أفكاره بتلامذة المودودي وتلامذة سيّد قطب، فكان هؤلاء ومن قبلهم تلامذة حسن البنا هم ركائز الصحوة الإسلامية الراشدة في العالم الإسلامي كله وتيارها الديني الذي سيجرف بإذن الله كل المفاهيم والأفكار العلمانية التي نشرها الاستعمار وروج لها الغرب في ديار المسلمين.

وسيطرح الحل الإسلامي بديلاً عن الحلول المستوردة التي جنت على أمتنا وفرَّقتها شيعاً وأحزاباً وطوائف وقوميات، فالحل الإسلامي هو فريضة وضرورة وهو العلاج لكل المشكلات والمجيب عن كل التساؤلات والمداوي لكل الجراحات.

من هذا المنطلق كانت كتابات هؤلاء العمالقة من المفكرين الإسلاميين، تشد الشباب لتبوُّؤ مكان الصدارة والسير قدماً إلى الأمام في ركب الحضارة المعاصرة، والتي تستلهم ماضي الأمة وأمجادها في شق طريقها نحو الحياة الحرة الكريمة في ظل الإيمان.

وإذا كان مالك بن نبي قد امتلك زمام التعريف الحضاري بمعظم جوانب العطاء الإسلامي للحضارة البشرية، فإنني أرى أن الآثار التي خلفها لنا هذا المفكر الإسلامي هي بعض الزاد الحضاري الإسلامي الذي يمكن للمسلمين

اليوم أن يطرحوه أمام العالم، فالأفكار التي طرحها مالك بن نبي أفكار ناضجة في ميادين العلاقات الدولية والنظم السياسية والفكرية والثقافية والتربوية والتنموية مما تحتاجه المجتمعات البشرية الحديثة.

ولقد قدّم الأستاذ مالك بن نبي الأنظمة الإسلامية في قالب حضاري وأسلوب معاصر كما تمكن من تجزئة الاحتياجات الحضارية للمجتمعات البشرية حيث فصلها وطرح البديل الإسلامي مقارناً مع النظم الإنسانية الوضعية، فكان بهذا الأسلوب صاحب مدرسة نقلت إلى العالم جوهر الإسلام وبدائله التي تتقزم أمامها كل النظريات البشرية الوضعية، الأمر الذي رسخ الاعتزاز بالإسلام وحلوله في نفوس المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وحصّن أفكارهم التي كانت في مطلع هذا القرن تستسهل قبول الفكر التغريبي المادي الذي سيطر فترة من الزمن على بعض العقول.

شهادة بحقه:

يقول الأستاذ الكبير أنور الجندي: «فقد العالم الإسلامي واحداً من أعلام الفكر الإسلامي الحديث هو الأستاذ مالك بن نبي المفكر الجزائري الذي قدّم في السنوات الأخيرة عدداً من المؤلفات البارعة حول موضوع «الإسلام ومواجهة الحضارة» فهو موضوعه الأول وقضيته الكبرى التي حاول منذ أكثر من عشرين عاماً أن يقدّم فيها وجهة نظر جديدة نابعة من مفهوم الإسلام نفسه ومرتبطة بالعصر في محاولة لإخراج المسلمين والفكر الإسلامي من احتواء الفكر الغربي وسيطرته وكسر هذا القيد الضاغط الذي يجعل الفكر الإسلامي يدور في الدائرة المغلقة التي نقله إليها اجتياح التغريب والغزو الثقافي لقيمه عن طريق المدرسة والثقافة والصحافة وفي محاولة لدفع المسلمين إلى التماس مفهومهم الأصيل والتحرك من خلال دائرتهم المرنة الجامعة القائمة على التكامل والوسطية والمستمدة لقيمها الأساسية من القرآن.

والجديد في دراسات مالك بن نبي ورسالته بالنسبة لمدرسة اليقظة الإسلامية المتصلة العرى منذ نادى الإمام محمد بن عبد الوهاب بأول صوت عال كريم في سبيل إيقاظ المسلمين على كلمة التوحيد في العصر الحديث ثم تتابعت الحلقات في دعوات متعددة قام بها الإمام محمد بن علي السنوسي ومحمد بن أحمد المهدي وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا وحسن البنا وغيرهم.

هذا والجديد أن حامل لواء هذه الفكرة رجل ولد في أول هذا القرن في الجزائر المحتلة بالاستعمار الفرنسي وقد وُلد في قسنطينة التي خرجت الإمام عبد الحميد بن باديس، وشهد في مطالع حياته ذلك الجو القاتم المظلم الذي حاول الاستعمار فيه أن يخرج الجزائر من الإسلام ومن اللغة العربية جميعاً. وقد كانت له جذوره التي استمدها من بيئة مسلمة أصيلة حافظت على تراثها واستطاعت أن تعتصم بالقرآن، فلما أتيح له أن يتم تعليمه أوفد إلى باريس ليدرس الهندسة في جامعتها، فلم يصرفه ذلك عن معتقده وإيمانه فكان مثلاً للصمود في وجه اجتياح التغريب ومحاولة الاحتواء التي سيطرت على الكثيرين من أبناء المسلمين الذين أتيحت لهم الدراسة في الغرب، فلما أتم دراسته وأحرز شهادته وجد الأبواب كلها قد أغلقت أمامه، وأحس أن تصميمه على تمسكه بمعتقده سيحول بينه وبين الوصول إلى مكانته كمهندس وعالم، فلم يثنه ذلك شيئاً وواجه الموقف في إيمان ورضا بكل شيء في سبيل أن لا تجتاحه الأهواء المضلة، ولقد حاول الاستعمار معه كل محاولة من إغراء وتهديد حتى عزل والده في الجزائر عن عمله واضطر مالك بن نبي أن يترك بيئته كلها وقد استفاضت بدعوة ابن باديس ولجأ إلى مكة المكرمة فأقام بها ثم قدم القاهرة فأخرج فيها موسوعة عن الحضارة في أكثر من سبعة عشر كتاباً كان يكتبها بالفرنسية ويترجمها الدكتور عبد الصبور شاهين إلى العربية ثم لم يلبث بعد أن توسعت اجتماعاته بالمسلمين في مكة والقاهرة أن حذق العربية وبدأ يكتب بها رأساً، وكشف عن تلك الأزمة

العاصفة التي تواجه المؤمنين الثابتين على عقائدهم في وجه الإغراء.

وقد قامت نظرية مالك بن نبي على مفهوم أسماه «القابلية للاستعمار» وقد دعا المسلمين إلى التحرر من هذا الخطر وذلك بالعودة إلى الاستمداد من مفهوم الإسلام الأصيل المحرر بالتوحيد عن وثنية العصر وماديته». انتهى.

ندوة عن أفكاره:

وقد أقيمت ندوة دولية في ماليزيا سنة ١٩٩١م عن فكر مالك بن نبي وأطروحاته تحدث فيها كل من: أنور إبراهيم وزير المالية الماليزي والدكتور عبدالله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ونوقشت فيها أوراق عمل لكلّ من: أسماء رشيد من باكستان عن مقارنة الفكر الاقتصادي لدى كل من العلاّمة محمد إقبال [خاصة كتابه (علم الاقتصاد)] ومالك بن نبي [خاصة كتابه (المسلم في عالم الاقتصاد)] والورقة الثانية للدكتور عمار الطالبي من الجزائر وموضوعها (فكر مالك بن نبي وعلاقته بالمجتمع الإسلامي المعاصر) والورقة الثالثة للدكتور ظفر إسحاق الأنصاري من باكستان وموضوعها (رؤية مالك بن نبي وتقويمه للتيارات الفكرية والسياسية المختلفة التي تكمن وراء الأوضاع الراهنة في العالم الإسلامي). أما الورقة الرابعة فهي للبروفيسور محمد كمال حسن من ماليزيا وموضوعها (تأملات حول بعض أفكار وأطروحات مالك بن نبي).

أما الدكتور عبد الصبور شاهين أبرز من ترجموا مؤلفات مالك بن نبي من الفرنسية إلى العربية فقد قال: إن حياة مالك بن نبي ككاتب ومفكر عرفت طورين رئيسين: طور ما قبل مصر، حيث كان يعيش ما بين بلاده الجزائر، وفرنسا التي تعلم فيها. والطور الثاني يبتدئ بقدومه إلى القاهرة سنة ١٩٥٦م، حيث ابتدأت رحلته كمفكر إسلامي نتيجة احتكاكه برجال العلم والفكر الإسلامي، وبدأ يتعرف على مصادر الثقافة الإسلامية الأصيلة.

كما كانت صلته الطيبة برجال الحكم بمصر آنذاك مجالاً متنفساً للكتاب الإسلامي في ذلك الوقت حيث إن السلطات الثورية، كانت قد ضربت حصاراً على الكتاب الإسلامي إبّان حملتها الشرسة على الحركة الإسلامية.

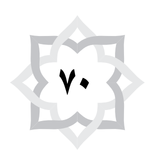
في هذا الإطار كان يسرّب كل ما يترجمه لمالك بن نبي إلى الشهيد سيّد قطب داخل السجن.

إن مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ كان أحد عمالقة الفكر الإسلامي في هذا العصر، وقد قدّم الفكرة الإسلامية وأحسن عرضها على جماهير الأمة الإسلامية خاصة شبابها الذين ترك فيهم الآثار الطيبة.

ومهما كان في هذه الأفكار من ملاحظات فهي بمجموعها تشكّل رافداً من روافد الفكر الإسلامي المعاصر يمد الشباب بالزاد الفكري الذي يقف في وجه الأفكار المستوردة من الشرق والغرب على حد سواء.

رحم الله الأستاذ مالك بن نبي وجزاه الله عما قدم خير الجزاء.





الأخ مانع حماد الجهني..

الداعية المتجول

(١٣٦٣ ـ ١٤٢٣هـ = ١٩٤٢ ـ ٢٠٠٢م)

مولده ونشأته:

ولد الدكتور مانع بن حماد بن محمد الجهني سنة ١٣٦٣هـ في (بلي) بين العيص والعلا، وهو من قبيلة جهينة وفخذ مسكة. ومواطن قبيلة جهينة بين المدينة المنورة وينبع، سافر مع والده للأردن وعمره أربع سنوات، وبقي فيها إلى سنة ١٣٧٧هـ، حيث كان والده يعالج فيها. وأثناء وجوده بالأردن في منطقة (الموجب) دخل المدرسة النظامية، ثم بعد عودته للسعودية أكمل الدراسة الابتدائية في مدرسة ثقيف ثم الثانوية في (الطائف).

وقد تزوج في مدينة الطائف، ثم انتقل إلى الرياض، والتحق بجامعة الملك سعود، وحصل على البكالوريوس باللغة الإنجليزية من الجامعة، ثم ابتُعث للدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال دراسة الماجستير والدكتوراه في جامعة (إنديانا)، وهناك بدأ نشاطه في تجميع الطلاب المسلمين للصلاة

وإقامة الجمعة في مكان تم استئجاره، ثم تطور الأمر لإنشاء مركز إسلامي في (بلومنجتون)، صار مركزاً للدعوة الإسلامية ونشاط الطلاب المسلمين.

وقد قضى تسع سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية، كان فيها شعلة من النشاط والحيوية في تجميع الطلاب والعمل لنشر الإسلام، فأسهم في تأسيس الكثير من المساجد والمراكز الإسلامية على مستوى الولايات المتحدة، وفي إنشاء (رابطة الشباب المسلم العربي) كفرع لاتحاد الطلاب المسلمين في أمريكا وكندا، وانتخب رئيساً لها والتف الطلاب حوله واتخذوه إماماً وشيخاً لهم، حيث يقول عن نفسه: «فجأة وجدت نفسي شيخاً أو مفتياً للديار الأمريكية رغم علمي القليل الذي درسته على يد مشايخي في المملكة عبدالرؤوف الحقاوي وعبدالله بن جبرين».

سيرته العملية:

وبعد عودته إلى المملكة سنة ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، عمل أستاذاً مساعداً، ثم أستاذاً مشاركاً في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الملك سعود، كما عمل متطوعاً في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، التي تعرف عليها من خلال مشاركته في مخيم (أبها) الذي أقامته الندوة، وبعد فترة التطوع اختير أميناً عاماً مساعداً ثم أميناً عاماً لها، وفي سنة ١٤١٧هـ اختير عضواً بمجلس الشورى ثم أعيد اختياره للشورى فترة أخرى.

والدكتور الجهني عضو في العديد من الهيئات والمؤسسات الإسلامية العاملة في مجال الدعوة والإغاثة والشباب، فهو عضو في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت، وعضو في الهيئة العالمية للدعوة والإغاثة بالقاهرة، وعضو في اللجنة العليا للشؤون الإسلامية في المملكة العربية السعودية في الرياض، وعضو في مجلس إدارة مؤسسة القدس وعضو في مجلس إدارة ائتلاف الخير، وعضو اللجنة العليا لمساعدة مسلمي البوسنة

والهرسك، وعضو في الجامعة الإسلامية في «شيتاكوغ» ببنجلاديش وكانت له اهتمامات بالدراسات الأدبية والتاريخ والدعوة، ولديه مكتبة ضخمة تحتوي على آلاف الكتب في الموضوعات المختلفة، فضلاً عن المؤلفات باللغة الإنجليزية.

أهم مؤلفاته:

أسهم الدكتور مانع في الكثير من البحوث والكتابات وبخاصة في ميدان الدعوة والترجمة ومن أهم مؤلفاته:

حقيقة المسيح، الصحوة الإسلامية، نظرة مستقبلية، مشكلات الدعوة والداعية ـ يكن (ترجمة)، عقيدة أهل السنَّة والجماعة ـ ابن عثيمين (ترجمة)، التضامن الإسلامي، الفكرة والتاريخ، الأربعون الشاملة، ترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزية (مراجعة)، معالم القصة، معالم كتابة المقالة، مبادئ الإسلام، الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان، تقديم الإسلام لغير المسلمين، مستقبل الإسلام في الغرب، المذاهب الفقهية وأثرها في حياة المسلمين، أولويات العمل الإسلامي بين الشباب في الغرب، الأساليب المثلى لتوعية الحاج في بلده، الأقليات المسلمة في العالم (إشراف، وتخطيط، ومراجعة)، الشباب ومواجهة التحديات، الترويج من منظور إسلامي، دور المؤسسات في الخدمات التطوعية في المملكة، مستقبل الأصولية، بدوي يصبح إنجليزياً، بدوي يذهب إلى أمريكا، بدوي يصبح أمريكانياً، بدوي يتأمرك، (وكلها بالإنجليزية)، فضلاً عن البحوث والمقالات والمحاضرات والندوات والأحاديث الإذاعية والتلفازية في البرامج الإذاعية في السعودية ودول الخليج وغيرها.

معرفتي به:

بدأت معرفتي بالأخ الدكتور مانع الجهني حين لقيته في الولايات المتحدة

الأمريكية في إحدى زياراتي أواخر السبعينيات، وكان له نشاط كبير في محيط الطلبة المسلمين، وبخاصة العرب، وبالأخص القادمين من المملكة العربية السعودية، فقد كان له إسهامات كثيرة تنتظم الدروس والمحاضرات وخطب الجمعة والندوات والزيارات، وتوجيه الطلاب للاعتزاز بدينهم وقيمهم وعدم الذوبان في المحيط الذي يعيشون فيه، بل عليهم أن يغتنموا الفرص للاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي الغربي، دون الانسلاخ من هويتهم الإسلامية أو التفريط في ثوابتهم، وقد حباه الله سعة في الصدر، وطول أناة وحلم وصبر على مقارعة الخصوم والمجادلين والرد عليهم وتفنيد دعاواهم وإلزامهم الحجة بالدليل والبرهان.

وكان في مسلكه العملي صورة صادقة للمسلم العامل من حيث الالتزام والصدق والأمانة، فضلاً عن أنه كان آية في التواضع وخفض الجناح للصغير والكبير، مما جعل له رصيداً كبيراً من الحب في أوساط المسلمين، وصار مرجعهم في كثير من الأمور ومحط استشارتهم في المشكلات التي يتعرضون لها والعقبات التي تعترض طريقهم في بلاد الغربة التي يعيشون فيها.

كما التقيته في الهيئة الخيرية العالمية وجمعية الإصلاح الاجتماعي وبيوت الإخوان في الكويت، وكانت لقاءاتنا كلها في سبيل الإسلام والمسلمين.

وحين التحقت برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة كثرت لقاءاتي به من خلال مؤتمرات الرابطة ومواسم الحج والندوات الإسلامية.

وفي سنة ١٩٩٠م، التقيته في الجزائر في المؤتمر الإسلامي الذي ضم الكثير من إخواننا الدعاة أمثال: الأستاذ مصطفى مشهور، والأستاذ محمد المأمون الهضيبي، والدكتور توفيق الشاوي، والشيخ محمد الغزالي، والدكتور يوسف القرضاوي، والأستاذ راشد الغنوشي، والأستاذ محفوظ النحناح، والدكتور حسن الترابي، والدكتور محمد عمارة، والدكتور توفيق القصير، ومحمد الوزاني، وأحمد الحجري وغيرهم، وقد أسهم بدور كبير في تقريب وجهات نظر

العاملين للإسلام أمام التحدي العلماني الذي يجتاح العالم الإسلامي ويحارب الحركات الإسلامية بكل توجهاتها مدعوماً من الغرب والشرق على حد سواء.

وكان همّ الجميع أن يلتقي العاملون للإسلام على المتفق عليه من الأمور ويتعاونوا على القواسم المشتركة وتعطى الأولوية للقضايا الكبرى والأهداف المشتركة ومساحات الاتفاق بين العاملين للإسلام في كل مكان.

ثم تكررت لقاءاتي به في مكاتب الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض وجدة وفي مؤتمر الندوة في الأردن وكذا في الملتقيات الأخرى، وكنت كلما اقتربت منه ازددت له حباً وحمدت الله أن يكون الشباب المسلم في المملكة على هذا المستوى من الفهم والنضج والالتزام والعمل الدؤوب لخدمة الإسلام والمسلمين.

وكانت سياسته الحكيمة وأسلوبه في التعامل مع المسؤولين والتجار والمحسنين سبباً من الأسباب التي ساعدت في توسيع نشاط الندوة وامتداد فروع مكاتبها داخل المملكة وخارجها.

وكانت سياسته هي استثمار الطاقات الفكرية والدعوية والتنظيمية والتخطيطية من خلال التدريبات المستمرة وإشراك أكبر قطاع ممكن من العاملين في الحقل الإسلامي وبخاصة الشباب للممارسة العملية للدعوة وأساليب نشر الإسلام لدى غير المسلمين وتقديم الخير للناس كافة.

قالوا عنه:

يقول الدكتور إبراهيم القعيد: «منذ ثلاثين عاماً عرفت الدكتور مانعاً الجهني وارتبطت به ارتباطاً وثيقاً منذ أول لقاء معه في ربيع عام ١٩٧٢م حتى وافاه الأجل، عرفت فيه خلال هذه العقود الثلاثة والارتباط القوي والصلة الوثيقة بيننا ـ الداعية الذي نذر جل وقته وجهده لخدمة الدين، والمفكر والباحث والأكاديمي الذي يلتزم بالمنهج العلمي وواحداً من أبرز رواد العمل الخيري

الدعوي والإنمائي. قابلته لأول مرة في بداية التسعينيات الهجرية وبداية السبعينيات الميلادية في إحدى المحاضرات بجامعة الملك سعود، وكان شعلة من النشاط الدعوي في رحاب الجامعة، وأعتقد أن هذا اللقاء كان في نفس العام الذي أنشئت فيه الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وكان يرحمه الله معيداً في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بالجامعة، وكنت أنا طالباً في السنة الثانية في قسم اللغة الإنجليزية بكلية التربية، وكان يجمعنا نشاط اللغة الإنجليزية في الجامعة، ولفت انتباهي ذلك الرجل الملتحي الذي يلبس العقال، ويتحدث الإنجليزية بطلاقة، بل بلغة أهلها، وقد كان هذا الأمر غريباً عليَّ وهو الذي دفعني إلى توثيق صلتي به وتعرفت منه بحكم علاقته الوثيقة بها على الندوة العالمية للشباب الإسلامي ومناشطها وأهدافها.

ثم جمعتنا الزمالة خارج الوطن في الولايات المتحدة الأمريكية عندما ذهبنا لاستكمال دراستنا للماجستير والدكتوراه وشاركنا في قيادة العمل الإسلامي في اتحاد الطلبة المسلمين في جامعة (إنديانا) ثم بعد ذلك في رابطة الشباب المسلم العربي والاتحاد الإسلامي لأمريكا الشمالية (إسنا).

وقد كان يمثل الصورة الحقيقية للمسلم الداعية الجاد الذي يحمل رسالة سامية هي رسالة التوحيد، وكان شعلة من النشاط يقدم المحاضرات وينظم الندوات والحوارات التي تعرّف بالإسلام ويؤلف الكتيبات، بل ويزور الكنائس، ويشارك في المناظرات التي تنظمها ويجمع الشباب المسلم في تجمعات ومنتديات، ويدير النقاشات حول قضايا الإسلام والمسلمين، ومن الأمور التي لا يمكن أن أنساها تلك الخطبة النارية التي كان يلقيها في مسجد جامعة (إنديانا) وتركيزه على هوية الإنسان المسلم وضرورة ارتباطه بدينه وعقيدته والذود عنها وعدم الاستسلام لمغريات الحضارة الغربية والذوبان في هذه المجتمعات اللادينية، والانبهار بوسائل الرفاهية، وتحذيراته الدائمة من الشبهات والانزلاق في الشهوات».

ويقول الدكتور صالح الوهيبي: «لم يكن الدكتور مانع الجهني شخصية عادية، فمنذ كان طالباً في المراحل الأولى لدراسته الجامعية تبوأ حملاً ثقيلاً وأخذ على عاتقه القيام بواجبات الدعوة بين الطلاب المسلمين وخدمتهم، حتى إنهم اختاروه آنذاك رئيساً لاتحاد الطلاب المسلمين في جامعة (إنديانا) بالولايات المتحدة الأمريكية.

لقد كان شغوفاً بالعمل الإسلامي الذي ملك عليه حياته ووقته، فقد أحب هذا العمل وتفانى في خدمته وليس أدل على ذلك من أنه توفي وهو في طريقه لاجتماع مهم يخص العمل الدعوي والإسلامي.

لقد عرفته متواضعاً وكانت هذه الصفة من أبرز الصفات التي تشكل شخصيته، يحب أن يخدم نفسه بنفسه، بعيداً عن المظاهر والرسميات بسيطاً في تعامله، بسيطاً في أخذه ورده.

كانت آخر أعماله في آخر يوم قبل وفاته، التوجيه بصرف مساعدة لأرملة، والشفاعة لدى رجالات الخير في مساعدة أربعة أشخاص «بأربع رسائل منفصلة» أولهم سعودي غارم عليه دين يساوي ١٧٥٠٠٠ ريال سعودي، والثاني يمني غارم كذلك عليه غرامة صلح تقدر ب٢٥٠٠٠٠ ريال سعودي، والثالثة امرأة سودانية عجزت عن تسديد مصاريف الدراسة في الجامعة وقدرها ٢٥٠٠٠٠ دينار سوداني، والرابع أردني تحمل ديوناً قاربت ٦٠٠٠٠ ريال سعودي، وعجز عن تسديدها، وسبحان الله! ما هذه التركيبة العجيبة لأربعة أفراد من أقطار شتى، يكتب الله للدكتور مانع الجهني، السعي في فك ضائقتهم في يوم واحد على غير قصد منه في اختيار بلدانهم أو حالاتهم، وهذا هو السر العجيب في عالمية هذا الرجل، الذي قاد الندوة العالمية للشباب فكان عالمياً يقود ندوة عالمية».

ويقول الدكتور عايض الردادي: «الدكتور مانع الجنهي يملك ميزة قل ما توجد في الدعاة، وهي التمكن من اللغة الإنجليزية والمعرفة بالعلوم الشرعية. وقد عرفت من خلال صلتي بكثير من الدعاة في الخارج والداخل، حاجة كثير

منهم إلى أن تتوافر فيه هذه القدرة، فبعضهم يملك لغة أجنبية جيدة ولكنه فقير في المعلومات الشرعية فقراً قد يصل إلى الخلط بين الركن والسنة، وبخاصة من يعيشون في الغرب أو درسوا فيه، وبعضهم يملك معلومات دينية جيدة، ولكنه يكاد يكون أمياً في معرفة اللغات الأجنبية أو لا تصل لغته إلى الحد الأدنى من لغة المثقفين، وهذا ظاهر في دعاة الداخل.

ثم إن الدكتور مانع يعرف الفرق بين أصول الدعوة في الداخل التي تتركز على التعريف بالأحكام، وبين الدعوة في الخارج التي تتركز على نقل الفكر الإسلامي لتعريف غير المسلمين بنور الإسلام الذي لا يعرفون منه إلا معلومات مشوشة أو مخلوطة

وقد ركز الدكتور مانع الجهني، حين وصوله إلى أمريكا على إيجاد كيان إسلامي يبدأ من إنشاء المسجد ثم تجمع المسلمين فيه، ولم يفغر فاه اندهاشاً بتقدم أمريكا، كما فعل كثير من المبتعثين، فاختار لذلك المجتمع الأسلوب الذي يناسبه، ثم عاد إلى بلده مرفوع الرأس يحمل علم الغرب وشهامة العرب وعزة المسلم، وبرز من خلال تطبيقه لأسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في مناشط الندوة العالمية للشباب الإسلامي وغيرها من المنظمات التي شارك فيها، وقد بلغت مناشط الندوة العالمية للشباب الإسلامي مليون منشط خلال عام بميزانية تفوق سبعين مليوناً، وكانت ميزانية الندوة عند تسلمه قيادتها لا تزيد على ستة ملايين كلها بتبرعات أهل الخير.

ولقد عرفته حين كان مراقباً للبرامج الدينية باللغة الإنجليزية في إذاعة الرياض، فكان مراقباً دقيقاً وبخاصة في ترجمة معاني القرآن الكريم للغة الإنجليزية.

ولقد تميز الدكتور مانع بالتواضع في تعامله والصدق في انتمائه والإخلاص في دعوته، ملتزماً طريق الوسطية والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن».

ويقول الأستاذ لطفي عبد اللطيف: «هناك رجال يصنعون الأحداث.. وهناك من تصنعهم الأحداث.. وبعض الرجال الذين يرحلون وما أقلهم في عالمنا الإسلامي يتركون فراغاً لا يستطيع أن يملأه الكثيرون.

وهكذا كان الدكتور مانع حماد الجهني، الداعية الفارس، الرجل الموسوعي المتجول، الذي عرفته ساحة الدعوة مفكراً عميقاً، وعالماً موسوعياً، وداعية يملك أدوات التأثير، وخطيباً مفوهاً، وإدارياً محنكاً، رجل دعوة لا رجل سلطة، يعيش حياة البسطاء من الناس، ولا يتكلف ولا يتصنع، رجل تلقائي عفوي، يعيش على الفطرة.

لقد كان حقاً الدكتور مانع (لا مانع) هكذا أطلق عليه من اقتربوا منه، لأنه لم تقدم له ورقة أو طلب أو معروض أو أي شيء إلا وكتب عليه عبارته المشهورة (لا مانع) فأطلق عليه (مانع .. لا مانع).

رجل أفنى حياته في خدمة الدعوة، وكرس جل وقته في خطب ود الفقراء والمحتاجين والأرامل واليتامى، فدخل في قلوبهم، لم تغيره المناصب، ولم يسع إليها يوماً، بل كان يعيش حياة التقشف بين أسرته وبين جدران مكتبه المتواضع.

رحل الدكتور مانع الجهني بعد حادثة مشهورة تعرضت لها خزينة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، عندما سطا عليها بعض اللصوص المحترفين وكسروها وأخذوا ما بها، وحاولوا الفتك بالحارس، وجاء الدكتور مانع ورأيت الحزن في عينيه، لأن هذه أموال أيتام وفقراء ومساكين، واحتسب الرجل أمره عند الله، وفي اليوم الثاني وهو في طريقه للمطار، انقلبت به السيارة عدة مرات ليلقى وجه ربه راضياً مرضياً إن شاء الله.

مات الدكتور مانع الجهني عن ٦٠ عاماً قضاها حافلة بالعطاء الدعوي والعمل الخيري».

وتقول زوجته الدكتورة هدى: «كان مانع ورعاً يخشى الله في كل صغيرة

وكبيرة.. فقد كانت صلاة المسجد بالنسبة له أمراً أساسياً، لا تفوته حتى حين يكون مريضاً كان حريصاً على الصلاة متى حان وقتها، فتراه يبحث عن مسجد في أي مكان يكون فيه ليؤدي صلاة الجماعة، حتى عند سفره إلى الخارج كان يصلي متى حانت الصلاة، سواء في مطار أو مجمع تجاري أو مستشفى، لا يعبأ بنظرات المارة، بل يشعر بالفخر لأنه يؤدي طاعة الله تعالى، وكان يقول لي: هم يعملون بالمنكرات علناً ولا يستحون، أفنستحي نحن من عبادة الله أمامهم؟ وكان أول ما يهتم به في السفر إذا نزل فندقاً أن يطلب إيقاظه لصلاة الفجر، كما كان حريصاً على قراءة القرآن الكريم وفهمه وقراءة التفسير، وإن ترجمته للقرآن مع أحد الإخوة الأمريكيين المسلمين لهو أكبر دليل على اهتمامه بكتاب الله».

وقد أثنى عليه الدكاترة عبدالوهاب نور ولي وحسن سفر وناصر الزهراني وسليمان أبا الخيل، كما أثنى عليه رئيس مجلس الشورى الدكتور صالح بن حميد وغيرهم كثيرون لا يحصى عددهم.

من أقواله: «لقد وُجدت فكرة الندوة قبل أن يكون لي بها صلة، ففكرتها حقيقة أنه كانت هناك أطروحات كثيرة تحاول استقطاب الشباب المسلم في أنحاء العالم، ومن بينها أطروحات القذافي (النظرية الثالثة)، فلما دعا إلى مؤتمر عقد في طرابلس الغرب، وحضره مشاركون من أمريكا ومن دول أخرى كثيرة، ومن بينها المملكة العربية السعودية، وطرح قضية (النظرية الثالثة) وهي فكرة جريئة وجيدة لو كانت نفذت التنفيذ المخلص، والنظرية الثالثة ملخصها أن هناك الشيوعية ومنهجها الاشتراكي، والرأسمالية ومنهجها أيضاً، وهما منهجان فاشلان، والمنهج الإسلامي هو الطريق السليم، وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان من المسلمين، ولكن القذافي ربطها بكتابه الأخضر وببعض التصرفات التي أفقدتها قيمتها بالإضافة إلى قيامه بحملات اعتقال ضد الشباب الإسلامي في ليبيا، وكان المؤتمر جريئاً جداً وقيل له: «أنت تريد أن تدعو إلى الإسلام وإلى نظرية ثالثة وأنت غير سائر على الإسلام، فإذا كنت تريد أن تقنعنا بأنك جاد

فأخرج الإسلاميين المسجونين في السجون الليبية». وانقضى المؤتمر ولم يتحقق شيء، فقابل من حضروا المؤتمر من السعودية الشيخ حسن آل الشيخ، وقالوا: القذافي يتخبط ويريد تكوين منظمة تُعنى بالشباب وتضم شباب الأمة، وهذه البلاد أحق أن تقوم بهذا الدور. فقال: نناقش الأمر مع الملك فيصل، وفعلاً كتبوا له التصور، وعرضت القضية على الملك الذي كان يتبنى في ذلك الوقت قضية التضامن الإسلامي بقوة من خلال رحلاته في إفريقيا وآسيا وغيرها، وكانت عند الملك قناعة بأهمية هذا المنهج وقبلها كان قد أنشأ بعض المؤسسات، مثل رابطة العالم الإسلامي لتدعيم مفهوم التضامن بين الجمعيات والمراكز الإسلامية والجاليات في المغرب، وعلى المستوى الرسمي أنشئت منظمة المؤتمر الإسلامي لتنسق وتدعم التضامن الإسلامي بين الدول الإسلامية، ومن خلال التساؤل: لماذا لا تكتمل هذه المنظمة فيتم إنشاء ندوة للشباب الإسلامي ليتم التضامن بينهم وينشط هذا الجانب حتى تكتمل منظومة التضامن الإسلامي؟ فقدمت إليه الفكرة ورآها حسنة، وعقد المؤتمر ١٣٩٣هجرية، وبعده رفعت توصيات هذا المؤتمر ومن جملتها إنشاء منظمة باسم: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، فأنشئت من ذلك الوقت».

وفاته:

توفي الدكتور مانع حماد الجهني الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي يوم الأحد ٢٥ / ٥ / ١٤٢٥هـ - ٤ / ٨ / ٢٠٠٢م إثر حادث مروري انقلبت فيه سيارته عدة مرات، وكان متوجهاً إلى المطار لحضور اجتماع مهم في جدة لبحث الشؤون الإسلامية والأمور الدعوية، رحم الله أخانا الحبيب رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





مبارك راشد الخاطر

المؤرخ الأديب.. والشاعر الداعية

(١٣٥٧ ـ ١٤٢١هـ = ١٩٣٨ ـ ٢٠٠١م)

مولده ونشأته:

هو الأستاذ الأديب والمؤرخ مبارك راشد جاسم الخاطر، ولد في مدينة (المحرق) بالبحرين سنة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م، ونشأ في أسرة محافظة، وكان دمث الخلق، كثير الدعابة، له صلات كثيرة بأفراد المجتمع من سائر الطبقات داخل البحرين وخارجها، يكثر الزيارات إليهم، ويلتقي بهم في المنتديات والمؤتمرات، حتى أصبح علماً من أعلام البحرين يعرفه الناس في معظم الدول العربية وبخاصة دول الخليج.

كما كان صاحب مواقف وطنية، والتزام عقدي، يعمل في حقل الإسلام، ويدعو إليه، ويجمع الأمة على مبادئه وتعاليمه، وكانت كتاباته ومقالاته وأشعاره تتسم بطابع الالتزام بالإسلام، والذود عن لغة القرآن الكريم، والتراث الإسلامي، وتاريخ المسلمين وأمجادهم ومآثرهم وعاداتهم الفاضلة.

وتعلم الكثير، وعلّم الكثير، وكانت كتبه التي أصدرها دروساً للأجيال، تنقّل بين الكتب والمراجع، وبين الأضابير والملفات، وبين المكتبات والبلدان، يبحث وينقِّب ويستقصي ويستخلص، كالنحلة تجمع الرحيق من كل البساتين.

تنقّل كذلك بين الرواة من المسنين وأصحاب العلوم والخبرة، يستخرج من ذاكرتهم ما تختزنه، ليضيفه إلى ما يجمع، ويتنقل بين التاريخ والتراث والسير.. كان هذا شأن الشاعر الأديب المؤرخ مبارك راشد الخاطر، وقد كتب الكثير من المقالات، وألقى الكثير من المحاضرات، وألف الكثير من الكتب.

أهم مؤلفاته:

نابغة البحرين عبدالله الزائد.
ديوان عبدالله الزائد (دراسة وتحقيق).
القاضي الرئيس قاسم بن مهزع.
رسائل مبارك بن سيف الناخي (دراسة وتحقيق).
الكتابات الأولى لمثقفي البحرين (١٨٧٥ ـ ١٩٤١م).
المؤسسات الثقافية في الكويت.
المنتدى الإسلامي بالمنامة (١٩٢٨ ـ ١٩٣٨م).
رجل ومولد قرن.. مبارك بن سيف الناخي.
الأديب الكاتب ناصر الخيري.
مضبطة المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين.
المسرح التاريخي في البحرين والخليج.
التعليم الأهلي في الخليج ما قبل التعليم الحديث.
دراسة في رسائل عبدالله الزائد (بحث).
المؤسسات الثقافية الأولى في الخليج.
مسرحية العلاء بن الحضرمي لعبدالرحمن المعاودة (دراسة واستقراء).

المغمورون الثلاثة.
ابن مانع بين الخليج والجزيرة العربية.
شيئاً من الإصغاء يا سادة.
شعراء النهضة الحديثة في الخليج.
بواكير العلاقة الثقافية والتعليمية بين بلاد الشام والخليج العربي (١٩٠٠ ـ ١٩٥٠م).
العلاقة الثقافية بين السعودية والبحرين خلال قرنين.
دخول البحرين في الإسلام.

من أقواله:

«إن الكتابة في العملية التاريخية لدى المؤرخين، لها عدة مسارات قد لا تستوفى خلال مقابلة صحفية، فهي تقتضي وضع كتاب خاص بها، فبالإضافة إلى ما لها من أنواع الصياغات والاستنتاج لدى أي مؤرخ، فإن المؤرخ الموضوعي هو ذاك الذي يكتب، وكأن على رأسه الطير.

وفيما يخصني، فقد انتهجت أسلم الطرق لأكتب، وذلك بأن أحرص أولاً على وجود الوثيقة المعنية بما سأكتب عن أي حدث له مفهوم تاريخي، غير أنه لابد لي من أن أعطي هذه الكتابة قدراً موضوعياً من خلفيتي التاريخية المسترفدة من حافظتي الملمة بالأحداث التاريخية، وبمثل هذه الطريقة يكون الاستنتاج التاريخي للحدث أقرب إلى العقلانية ثم الواقع».

قالوا عنه:

يقول الشيخ عيسى بن محمد آل خليفة:

«لقد كانت حياة الأخ الأديب المؤرخ مبارك راشد جاسم الخاطر، حافلة بالإنجازات الأدبية والتاريخية والتراثية والتوثيقية وثريّة من النواحي الفكرية

والثقافية، فقد أثرى المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات والبحوث والمقالات، كما كانت علاقته بجمعية الإصلاح بالبحرين لها طابع الخصوصية والتميز والعطاء المستمر، طيلة عمرها الذي يمتد إلى ستين عاماً، فقد كان من الأعضاء الفاعلين بالجمعية من يوم ٢٧ / ٧ / ١٩٤٧م، وله دوره المشهود والملموس في النهوض بالشؤون الإدارية والثقافية والأدبية والمسرحية وغيرها.

وكانت آخر إنجازاته: احتضان جمعية الإصلاح لحلقة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في البحرين، وهو أحد أعضائها المؤسسين».

ويقول السفير حسين راشد الصباغ:

«لقد نشأ نادي الإصلاح سنة ١٩٤١م بمبادرة ودعم من طلبة مدرسة الهداية الخليفية، واهتم بنشر الثقافة الإسلامية الأدبية والمسرحية، وقد درسنا في مدرسة الهداية على أيدي نفر من الأساتذة المربين الكرام، أذكر منهم: قاسم يوسف الشيخ، وحسن السيد علي، وعبدالله الطائي، وعبدالله الفرج، وغيرهم، وكنا نجد في نادي الإصلاح ضالتنا المنشودة، وكان الأستاذ مبارك الخاطر يملك حساً أدبياً وفكرياً واضحاً، إلى جانب أنه الداعية المخلص، والمتبصِّر بأمور دينه ودنياه، وكان يردد دائماً على مسامعنا، قدرة الإسلام كعقيدة على مواكبة إنجازات العصر الحضارية والعلمية، ومكتسباته الاجتماعية والسياسية، وكان يدعو إلى التمسك بمفاهيم الحرية والعدل والخلق الرفيع واحترام الإنسان وصيانة كرامته وحفظ حقوقه، والدفاع عن النموذج الإسلامي والإصلاحي المنفتح».

ويقول الأستاذ راشد عبدالله المعاودة:

«إن موت الأخ الحبيب والشاعر الأديب المؤرخ مبارك الخاطر، أحزننا وآلمنا وهزَّ كياننا هزاً عنيفاً، وجعل القلوب تدمى وتتحسر على العلم والأدب، وعلى القلب الرحوم الحنون الذي كان يحب الخير لكل الناس، كان مؤمناً تقياً محتسباً أجره عند الله، كان يسعى بالخير للناس بطرق أبواب المسؤولين وأهل الخير

لمساعدة إخوانهم، والوقوف إلى جانبهم، وكان مخلصاً لوطنه، يسعى بكل طاقته لتقدمه واستقراره، وكان ذا مقدرة عجيبة على كسب قلوب الناس، يردد على مسامعنا: أحبوا الله يحبكم الناس، وكان ذا قلب كبير يحوي العالم بأسره، وله وفاء لكل إخوانه الذين عرفهم، فهو يحبهم وإن اختلف معهم، وكان أحد المساهمين مساهمة إيجابية في تقدم وطننا العزيز: البحرين هذا التقدم الرائع الذي نشهده».

ويقول الأستاذ إبراهيم محمد الحسن:

«عرفت الأخ مبارك بن راشد الخاطر، وأنا صغير السن، فهو يكبرني بأكثر من خمسة عشر عاماً، ولكن روح الشباب التي يتميز بها جعلته مقبولاً ممن يصغره، فلم يكن يكل أو يمل من الاتصال بالشباب في زمن لم يكن فيه الشباب معنيّين بالمساجد أو الثقافة الإسلامية. من أوائل الستينيات وحتى نهايتها، كان الأخ مبارك الخاطر فارساً في ميدان صعب، شحيحاً بمن يمكن هدايته وإيصاله إلى باب المسجد.

لا أنسى محاولاته المتكررة معي، وأنا دائم الجلوس على سيف البحر، فيوماً يدس في يدي المأثورات، ويوماً كتيباً من هنا أو هناك، ومع ذلك قليل من الكلام عن الأهل والأصحاب ولطائف القول..

لا أنسى ما كان يعانيه الأخ مبارك وهو ينقل الشباب من حلقة في مسجد الغاوي بشمال المحرق إلى أخرى في جنوب المحرق، وما كان يتعرض له من سباب السفهاء والعبث بسيارته بين الحين والآخر.. كل ذلك، لم يثنه عن الوصول إلى الهدف الذي خطه لنفسه وهو أن يوصل الشباب إلى المساجد، وتلقي العلم والفكر الصافي. لقد كان رحمه الله مرهف الحس، قلبه يتوجع على ما تتعرض له الأمة الإسلامية.. ذلك ما كنت أحسه من كلامه وأشعاره».

ويقول الأستاذ خليفة بن عربي:

«من المهم أن نتحدث عن فلسفة الأستاذ مبارك الخاطر في حياته، التي رهن

نفسه لتبليغها، وتتلخص فلسفة الخاطر في حياته من خلال ذلك الهمّ الذي لازمه طوال عمره، حيث كان دائماً ما يقيس مدى اتصال أجيال هذه الأمة بأصولها، وكيف ترى هذه الأجيال الناشئة الثقافة، باعتبارها حلقة الوصل الوحيدة بين جيلين، جيل بنى المجد فأعلى ركائزه، وآخر ولد متجرعاً مرارة الهزيمة والخذلان. ويرى أن لا مفر من هذه الوهدة إلا بالتحصن بالاطلاع، وإنماء الفكر النقي بالقراءة المتأصلة، والوعي السليم بأسس العلاقة التي حملت هذه الأمة يوماً على كفها، تيهاً ودلالاً، ولعل هذا هو الفرق الجوهري بينه وبين كثير ممن زجوا بأنفسهم في مضمار التاريخ أو الأدب.

ولعل أكثر ما عرف به الخاطر اهتمامه بالتاريخ، وخاصة التاريخ الثقافي في البحرين ومنطقة الخليج، وقد كرس الجانب الأكبر من حياته الثقافية في هذا المجال، الذي طاف فيه، يروي أخبار أناس لولاه لكانوا نسياً منسياً في عالم الشهادة، كالأستاذ عبدالله الزائد، والشيخ العلامة قاسم بن مهزع، وابن مانع، وناصر الخيري، ومبارك الناخي وغيرهم.

إلا أن للخاطر باعاً في الأدب والشعر، وربما فاجأ قرّاءه لما طلع عليهم بديوان شعره الأول (أحاديث سمك) عام ١٩٩٩م، وتلاه بالثاني (الصك) عام ٢٠٠١م، وهو الذي ناهز الستين من عمره حينئذ، إن شعور الخاطر بالأهمية العظمى لأن يتحدث عن غيره هو الذي أخر إصداره الشعري ذاك، فجاء الشعر معلناً عنه بعد سنين طويلة، كان لها دور بارز في تشكيل فكره الأدبي، ونحت التوجه الفكري عنده، فراح يطلعنا على قصائد كتبها منذ الخمسينيات والستينيات، وحتى أعوامه الأخيرة.

أما أغراضه الأخرى التي كان يدخل على أغلبها أيضاً عن طريق السخرية، فهي كثيرة، ولعل الهم الإسلامي ومشاركته المسلمين أحزانهم كان غرضاً جلياً عنده، ولا غرابة في ذلك، فهو الأديب المسلم الغيور على دينه، والمتعاطف مع قضايا المسلمين الكبرى، وقضية فلسطين تحتل حيزاً كبيراً من

همّه، اسمعه يخاطب الطفل الفلسطيني في قصيدته (بيان الحجر):

وقِّعْ عقود خلاص بالدماء إذا ... جاد الشهيد بما سما بلا حذر
وقِّعْ عقودك بالأحجار تنحتها ... من جانب الطور من جلموده الوعر
واقذف به فِكَراً جاءتك ناقلة ... مبادئاً من خصوم الله للبشر
يلوّنون بها ثوراتكم وإذا ... لم يظفروا وسموها وسم محتقر
ثوراتكم صيغ عظمى يفجرها ال ... إيمان بالله لا الإيمان بالحجر
موحدون سنجلو كل مكربة ... عنا من التيه أو من زلة الفكر
سنسترد فلسطيناً وإن رزحت ... ردحاً من الزمن المشؤوم في عثر
فيا فلسطين هذا بعض مجدك وال ... آتي سينقش ختم النصر في الحجر

وربما تناول الخاطر أغراضاً تبين عن عمق فكره، فكم احتلت مناوأة «الشعوبية» حيزاً في ذهنه، وكم أسرَّ لي بأسماء أناس يرى أنهم لا يزالون يحملون هذا الفكر المقيت الذي ظهر واستوى على سوقه في عصور العباسيين. ثم يدلل على تعصب أولئك من كتاباتهم أنفسهم. وقد أشار إلى ذلك ضمناً في آخر ما رقمه من شعر، وهي قصيدة بعنوان: «ومضة» فقال مما قال:

هي البحرين لا تألو انتماء ... إلى صلب العروبة ذي الرواء
وكانت كالسليبة يوم أقعى ... بها «نصور» ساساني الرداء
وكانت فلذة من كبد صقع ... عروبي الوشائج والرواء
فعادت فلذة سلبت فردت ... إلى جسد العروبة بالولاء
فكم مما سلبنا من بقاع ... عروبيات.. ترفل في الشقاء
ففي الإسكندرون لنا مثال ... وفي الأحواز.. ذات الابتلاء
فمن لي بالشعوبيين.. إني ... خبرت لبوسهم.. ذا الافتراء
يوالون القويّ.. وذا نفوذ ... نفاقاً مستمداً من عداء
دخائلهم تحن إلى أصول ... شعوبيات.. تنشر في التواء

ويقول في قصيدة:

أكتب هذا كله لأعصر تجيء بالتعاقب
لكل عصر يزرع الأجيال بالتناوب
إني أنا الآن ابتدأت أستقل قاربي
أبحر في نهر حياتي أبتدي تجاربي
أبي وأمي ضفتا النهر بكل جانبي
لم يسهما إلا قليلاً في اجتلا مواهبي
الفقر ألوى بهما في الحرب عن مطالبي
لذا طفقت بالمجاديف إلى جوانبي
أغرزها أنزعها كأنها مخالبي
محاكياً ما يفعل الأتراب من أقاربي
وقاربي لم يتميز قط في القوارب
حيزومة كأنما يشق في الغياهب
فيجتلي من غيبها ما جد من عواقبي

ومما تجدر الإشارة إليه، أن مبارك الخاطر كان أحد مؤسسي رابطة الأدب الإسلامي العالمية، عندما دعت الهيئة التأسيسية إلى المؤتمر العام الأول للرابطة في لكنهؤ بالهند عام ١٩٨٦م، كان الخاطر من أوائل الملبين لهذه الدعوة، وفي هذا الاجتماع تم وضع النظام الأساسي للرابطة، وانتخاب مجلس الأمناء وانتخاب سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله رئيساً للرابطة.

وفي عام ١٩٩٥م، أنشأ الخاطر حلقة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في البحرين، متبناة من قبل جميعة الإصلاح، وأصبح هو رئيساً لها، حتى وفاته رحمه الله، وفي هذه الحلقة حلق بجهده وإخلاصه، وكان السبب الأول في إقامة الكثير من الفعاليات الأدبية والشعرية، لقد عمل رحمه الله جاهداً في سبيل نشر الفكر الأدبي الراقي الذي يلامس المشاعر، ويحقق الرغبات الإنسانية الفاضلة النبيلة،

وبالتالي فإن له مواقف مشهودة في الدفاع عن نبل مبدئه، والوقوف في وجه دعاة مسخ الأدب والتراث العربي».

معرفتي به:

عرفتُ الأخ الشاعر المؤرخ مبارك راشد الخاطر عن طريق الأخ عبدالرحمن الجودر وإخوانه عيسى محمد الخليفة، وقاسم يوسف الشيخ، وجلال المير، وغيرهم، حين زرت البحرين سنة ١٩٦٤م، وسعدت بلقائهم، ثم تكررت اللقاءات في الكويت والسعودية والبحرين مرات ومرات، وكان آخرها سنة ٢٠٠٠م، حين زرت البحرين وألقيت درساً بجمعية الإصلاح وبعض المخيمات الشبابية، وكان الأخ الخاطر من المشاركين في النقاشات والحوارات والإجابة على الأسئلة من الإخوة الشباب والحاضرين في الملتقى.

وفي زياراته السابقة للكويت، كنا نلتقي في الندوة الأسبوعية في منزلنا مساء الجمعة، وكان في ذلك الوقت مجموعة طيبة من طلاب البحرين يدرسون بجامعة الكويت كالمدني والكوهجي والمير والحسن وغيرهم من الشباب البحريني الذين يحملون همّ الإسلام، ويعملون في حقل الدعوة الإسلامية، متعاونين مع إخوانهم شباب الكويت في جمعية الإصلاح الاجتماعي، ومشاركين في الرحلات والمخيمات واللقاءات والمحاضرات، وكان هؤلاء الشباب من المتفوقين في دراستهم، والملتزمين بإسلامهم، فكان الأخ الخاطر يلقي عليهم توجيهاته ونصائحه، ويشجعهم على التميّز بالأخلاق الفاضلة، والدراسة الجادة، ليكونوا صورة مشرقة لبلدهم البحرين الذي يعلّق عليهم الآمال الكبار في رقيّه وتقدمه، كما أنهم يمثلون طلائع الخير، وكتائب الإصلاح التي تنتظرها الأمة لتقودها إلى مواطن النصر والسؤدد.

ولقد تحققت آمال الأخ مبارك الخاطر، فكان هذا الشاب وإخوانه هم عدّة البحرين ومناط آمالها، حيث أثبتوا وجودهم على الساحة الوطنية، وقاموا

بدورهم البنَّاء في خدمة المجتمع، وتقديم الخير للناس في كل المجالات، في التعليم، والاقتصاد، والاجتماع، والتربية، والدعوة، والسياسة، وأصبحوا يتحركون على الساحة لعلاج المشكلات، وحلّ المعضلات والإصلاح بين الناس، وجمعهم على كلمة الحق والخير.

هذا، وقد حصل الأستاذ مبارك راشد الخاطر على الجوائز والأوسمة التالية:

وسام المؤرخ العربي.

جائزة الدولة التقديرية في الأدب والانفتاح الفكري.

جائزة الدولة التقديرية للعمل الوطني.

كما تقلد العديد من المناصب أهمها:

عضو المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالبحرين.

عضو مجلس الأوقاف السنية بالبحرين.

عضو اتحاد المؤرخين العرب.

عضو مؤسس بجمعية الإصلاح بالبحرين.

عضو مؤسس لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

وفاته:

توفي يوم ٢٩ / ٣ / ٢٠٠١م، فبكاه الجميع، وحزن أهل البحرين لفقده، فقد كان دعامة من دعاماته، ومعلماً بارزاً من معالمه.. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين.





الكاتب الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب

(١٣٠٤ ـ ١٣٨٩هـ = ١٨٨٦ ـ ١٩٦٩م)

معرفتي به:

عرفتُ الكاتب الإسلامي الكبير محب الدين الخطيب من خلال اطلاعي على مجلة (الفتح) التي كان يصدرها بمصر، وكانت تصل إلى العم محمد سليمان العقيل، الذي تربطه صداقة بصاحبها، منذ التقاه بمدينة البصرة مع الأستاذ طه الفياض العاني، وحين سافرتُ إلى مصر للدراسة بالجامعة الأزهرية عام ١٩٤٩م أخذت أتتبع ما كتبه محب الدين الخطيب في مجلات (الفتح)، و(الزهراء)، و(الشهاب)، و(الإخوان المسلمون) وأتابع مواقفه في دعم المجاهدين العرب والمسلمين، وتصديه للاستعمار وعملائه، وإهابته بالأمة الإسلامية بأن تتمسك بمنهج السلف الصالح من أئمة القرون الأولى، وبخاصة الجيل القرآني الفريد، جيل الصحابة رضوان الله عليهم، ثم التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يو م الدين، وقد شرُفت باللقاء به مرات ومرات، سواء في المكتبة السلفية أو في إدارة مجلة

الأزهر الشريف، التي رَأسَ تحريرها زمن شيخ الأزهر الإمام محمد الخضر حسين التونسي، أو في لقاءاته مع شباب الإخوان المسلمين الذين يحرصون على الاستفادة من توجيهاته.

مولده ونشأته:

وُلِدَ مُحب الدين الخطيب بدمشق عام ١٨٨٦م وكان والده عالماً دينياً، ويدرّس في أحد المساجد، كما كان يعمل أميناً لدار الكتب الظاهرية، فنشأ في بيئة محافظة، وتعلَّم القراءة والكتابة، وحفظ كتاب الله، ثم التحق بمدرسة ابتدائية، ثم بعدها بمدرسة ثانوية تدرس العلوم باللغة التركية، ثم التحق بكلية الحقوق والآداب معاً، وقد مدّ له يد العون في تحصيله العلمي، شيخه الكبير العلاّمة طاهر الجزائري، الذي عهد إليه بنسخ كثير من المخطوطات، وكان للشيخ طاهر الجزائري حلقة علمية بدار الكتب بدمشق، يؤمها الشيوخ والشباب ومنهم محب الدين الخطيب، الذي كان حريصاً على قراءة الصحف والمجلات الصادرة بمصر وتركيا، وقد تأثّر بكتاب (طبائع الاستبداد) لمؤلفه عبد الرحمن الكواكبي، وبكتاب (الإسلام والنصرانية) لمؤلفه الشيخ محمد عبده.

رحلته إلى اليمن ومصر:

ثم سافر إلى اليمن للعمل كمترجم في القنصلية التركية بمدينة «الحديدة»، وقد سعى فترة بقائه هناك إلى إنشاء مدرسة كانت هي المدرسة الوحيدة، وكان يتولى تدريس معظم العلوم فيها، بالإضافة لعمله كمترجم، ولكن المقام لم يطل به كثيراً في اليمن، فعاد إلى دمشق، ثم سافر إلى مصر، حيث عمل في جريدة «المؤيد» فذاع صيته وانتشرت مقالاته وترجماته، وبخاصة ما يتعلق بالمبشرين البروتستانت، وخططهم الخبيثة لتنصير المسلمين، والتي كان ينشرها الكاتب الفرنسي المبشر (مسيو لوشاتليه) في الدوائر الكنسية، فكشفها محب الدين

الخطيب وهتك أستارها، ونبّه المسلمين إلى خطورتها، ثم جمعها في كتاب وأصدره بعنوان (الغارة على العالم الإسلامي).

كما عمل مترجماً ومحرراً بجريدة (الأهرام) المصرية فترة قصيرة لأنه لم يرتح لسياسة القائمين عليها، الذين يداهنون الاستعمار وأعوانه ولا يهتمون بقضايا المسلمين وما يحيط بهم من مؤامرات ومكائد.

وحين أصدر مجلة (الفتح) جعلها منبراً للدفاع عن الإسلام والمسلمين، ومعالجة قضايا العروبة والإسلام، والحفاظ على الدين واللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية، واستقطب لها الكثير من الكتّاب المسلمين من جميع أنحاء العالم الإسلامي.

مشاركته بإنشاء الشبان المسلمين:

ولم يكتف بذلك بل سعى مع ثلة من المفكرين والعلماء والدعاة والمصلحين والغيورين على الدين لإنشاء «جمعية الشبان المسلمين» بالقاهرة التي شارك في تأسيسها محمد الخضر حسين، وأحمد تيمور، وعبد العزيز جاويش، ومحمد أحمد الغمراوي، وعبد الوهاب النجار، وحسن البنا، وصالح حرب.. وغيرهم، وقد أسندت رئاستها للدكتور عبد الحميد سعيد، فكانت هذه الجمعية في أول تأسيسها منارة إصلاح ورسالة توجيه وإرشاد.

وقد قامت مجلة (الفتح) بنشر أكثر ما يقال في منتديات جمعية الشبان المسلمين من محاضرات ودروس وندوات واحتفالات، وامتدت المجلة بموضوعاتها إلى تحليل معضلات العالم الإسلامي الرازح تحت وطأة الاستعمار.

كما أصدر محب الدين الخطيب مجلة (الزهراء) التي تُعنى بالبحث العلمي والنقد الموضوعي للأفكار الوافدة والمقولات الباطلة التي يرددها الببغاوات من تلامذة الغرب وفروخ الاستعمار وأدعياء الثقافة والأدب ورموز التغريب السائرين في ركاب المستشرقين والمستعمرين الصليبيين.

قالوا عنه:

يقول الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه القيم (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين):

«... إن محب الدين الخطيب كان أمة في واحد، لأن أكثر حركات التحرر الإسلامي في الأمة العربية، عرفت منه الظهير المؤيد، والمقترح المصمم، ولكن طبيعة الجندي في نفسه، جعلته لا يطمح إلى منزلة القائد الرسمية، أما في الواقع العملي فهو قائد حقاً، وأنت حين تعرض أسماء: شكري القوتلي، وصالح حرب، ولطفي الحفار، ورفيق العظم، ومحمد كرد علي، وحسن البنا، وعبد الرحمن عزام، وعزيز المصري، وغيرهم، تجد ارتباطاً قوياً بينهم وبين محب الدين الخطيب في كثير من المواقف الحاسمة على مدى نصف قرن متطاول، لأن محب الدين الخطيب انتقل في دنيا الكفاح الإسلامي ما بين دمشق، وبيروت، وتركيا، والقاهرة، واليمن، ومكة المكرمة انتقال المكافح الذي يقف في مقدمة الصفوف» انتهى.

نشاطه:

حقاً لقد كان الأستاذ محبّ الدين الخطيب متعاوناً مع كل العاملين للإسلام من الدعاة والمصلحين والزعماء المخلصين أمثال: محمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، وحسن البنا، وتقي الدين الهلالي، وغيرهم، وكان كخلية النحل في نشاطه وتحركه وصولاته وجولاته، إذ كان واسع الاتصال بالشخصيات الإسلامية في أنحاء العالم.

وقد أصدر بالتعاون مع حسن البنا وطنطاوي جوهري مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية سنة ١٩٣٣م.

ولقد حرصتُ على قراءة مجلدات مجلة (الفتح)، ومجلة (الزهراء)، و(الحديثة)، وكذا مجلة (المنار)، وبخاصة أعدادها الخمسة الأخيرة التي

تولى إصدارها حسن البنا بعد وفاة مؤسسها محمد رشيد رضا.

كما كنت أقرأ مقالات محب الدين الخطيب التي يكتبها في مجلة (الشهاب) الشهرية التي يصدرها الإمام حسن البنا، وكذا مقالاته الأسبوعية في جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية منذ صدورها عام ١٩٤٦م إلى حين توقفها عن الصدور في ٨ / ١٢ / ١٩٤٨م بعد أن صدر الأمر من السفراء الثلاثة: الأمريكي، والبريطاني، والفرنسي، المجتمعين في معسكرات فايد البريطانية بالقاهرة إلى الملك فاروق والنقراشي بضرورة حل جماعة الإخوان المسلمين وبأسرع وقت لأنهم يشكّلون العقبة الكؤود أمام النفوذ الغربي والمشروع الصهيوني لإقامة دولة إسرائيل بفلسطين، ويحولون دون خضوع المنطقة العربية للغرب الصليبي، ولم يكتفوا بحل جماعة الإخوان ومصادرة ممتلكاتها ومؤسساتها، بل اعتقلوا جميع دعاتها بمصر ومجاهديها في فلسطين، ثم أغروا حكام مصر الطغاة باغتيال المرشد العام للإخوان المسلمين الإمام حسن البنَّا باعتباره العقل المدبر لمقاومة الاستعمار والصهيونية.

توليه مجلة الأزهر:

ولم يتوقف الأستاذ محب الدين الخطيب عن الكتابة والنشر، بل استمر من خلال المكتبة السلفية، والمطبعة السلفية يُصدر الكتب والنشرات، ويحقق كتب التراث الإسلامي، ثم سعدنا به رئيساً لتحرير مجلة «الأزهر» بناء على ترشيح شيخ الأزهر العلاّمة الإمام محمد الخضر حسين، ولقد كانت افتتاحيات محب الدين الخطيب زاداً لنا نحن الطلبة الأزهريين، تشحذ هممنا، وتُقوّي عزائمنا، وتستثير نخوتنا الإسلامية للذود عن الإسلام وحرماته، والتصدي لأعدائه في الداخل والخارج ممن ينالون من الإسلام، أو نبي الإسلام، أو صحابة رسول الله ﷺ.

ولقد أسهم محب الدين الخطيب بعلمه الغزير وقلمه السيّال، في فضح دسائس الباطنية، وغلاة الرافضة، ومكائد الصهيونية، وسموم الاستعمار، وحقد

المجوسية، ولن أنسى له توجيهاته لنا نحن الطلبة، وتحذيراته لنا من مؤامرات أعداء الإسلام، حيث كان يكرر في أحاديثه لنا بأن كل أنواع الهدم والتخريب والفساد والتدمير والكذب والتزوير الذي أصاب المسلمين في القديم والحديث سواء على مستوى اغتيال الخلفاء أو الإسرائيليات في التفسير والحديث، أو الطعن في الصحابة والتابعين، أو الدّس في السيرة والتاريخ، إنما هو من صنع اليهود والمجوس، لأنهم هم وراء كل ذلك، وهم الذين أنشؤوا الحركات الهدامة والجمعيات السرّية والفرق الباطنية، وما زال هذا شأنهم وديدنهم إلى اليوم، وهم يتوارون وراء أسماء براقة، ورايات متعددة، ومسميات مختلفة، وكلها تصُبّ في مجرى واحد يستهدف تقويض الإسلام، وإفساد أبنائه، وحرب دعاته، وسلب خيراته، وتحطيم مجتمعاته، وتدمير أسره وأفراده، فهم يملكون وسائل الإعلام والمال، وعصابات الربا والدعارة والمخدرات، ودور الفن والملاهي والقمار والخمر، وغيرها من وسائل الإفساد والهدم والتضليل والغواية التي تدمر الشباب، وتهدم مقومات المجتمع، وتُذيب هوية الأفراد، وتربط الأمة بذيل الغرب الاستعماري، مستعينين بتلامذتهم الذين رضعوا حضارة الغرب بخيرها وشرّها، وحلوها ومرّها، ما يُحمد منها وما يُعاب، فكانوا كالببغاوات التي تردد ما يُملى عليها دون وعي أو إدراك.

مؤلفاته وآثاره:

لقد أسهم الأستاذ محب الدين الخطيب وأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفات وتحقيقات وتعليقات قيِّمة، مثل تحقيقاته وتعليقاته على كتاب (العواصم من القواصم) لأبي بكر بن العربي، وكتاب (مختصر التحفة الاثني عشرية) لولي الله الدهلوي، وكتاب (المنتقى) للحافظ الذهبي، وكتاب (الخطوط العريضة)، وكتاب (الرعيل الأول)، وكتاب (تقويمنا الشمسي)، وكتاب (قصر الزهراء بالأندلس)، وكتاب (الميسر والقداح) لابن قتيبة، وكتاب (الخراج) لأبي

يوسف، وكتاب (تاريخ الدولة الناصرية) للسان الدين بن الخطيب، وكتاب (ذكرى موقعة حطين)، وكتاب (الأزهر ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه)، وكتاب (اتجاهات الموجات البشرية في جزيرة العرب)، فضلاً عن ترجماته لكتاب (مذكرات غليوم الثاني)، وكتاب (قميص من نار) للكاتبة التركية خالدة أديب، وكتاب (الدولة والجماعة) للمفكر التركي أحمد شعيب، وكتاب (الغارة على العالم الإسلامي) للكاتب الفرنسي لوشاتليه، وغيرها من الكتب المؤلفة أو المحققة أو المترجمة، وكلها تدل على مدى الفهم العميق، والفقه الدقيق، والبصر الثاقب.

من أقواله:

قال الأستاذ الخطيب في افتتاحية مجلة «الأزهر» عدد شهر جمادى الأولى (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م):

«العلم عالمي لا تختص به أمة دون أمة.. ولا تحتكره قارّة من قارات الأرض فيكون غيرها عالة عليها فيه، إنه مشاع كالهواء الذي نتنفسه، وكالبحار التي تحيط باليابسة، لأنه مجموعة الحقائق التي توصَّل إليها العقل البشري في مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن. فجدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة في القِدَم وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب في كل وطن، ولولا ما كان معروفاً قبل المسلمين من علم الحساب ما توصلوا إلى اتحاف الإنسانية بالحقائق الأوّلية من قواعد علم الجبر والمقابلة، ولولا علم الجبر والمقابلة الذي توصل علماؤنا إليه من مئات السنين لما تقدمت في العصور الأخيرة علوم الرياضيات التي وصلت بها الأعمال الهندسية إلى غايتها، ولا غضاضة على أمة تطلب العلم بها من حيث تجده.

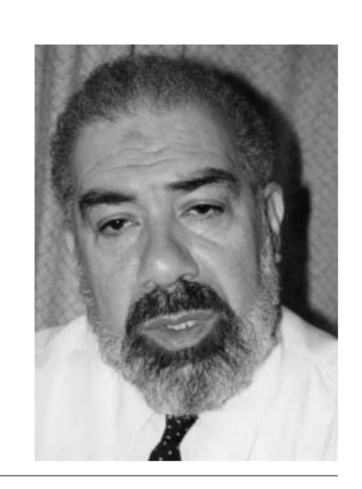
وكذلك الطب وعلوم الطبيعة، لأن العلم واحد في كل أمة، وهو سبيل القوة في الحرب والسلام ولا بد من توصيله».

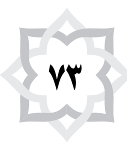
ومن أقواله أيضاً: «علينا أن نأخذ من كل مكان ما نحن في حاجة إليه من أسباب العزة والقوة، وأن نحتفظ بكل ما في كياننا الوطني والديني مما لا يُعدّ من عوامل الذل وبواعث الوهن. وكل ما كان نستعيره من الأمم الأخرى محدوداً لا يتجاوز منفعته المؤكدة فإن ذلك أحرى ألا نذوب في غيرنا ونخرج من أنفسنا، فنحن نطلب من التجديد ما ننظم به حياتنا، وما نستغني به عن مصنوعات الأمم الأخرى بما ننتجه بأيدينا نحن».

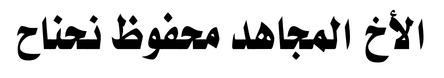
وفاته:

وقد انتقل إلى رحمة الله عام (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م)، ودُفِنَ بمصر.

رحم الله أستاذنا العلاّمة محب الدين الخطيب، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين، خير ما يجزي عباده الصالحين، ونفع الله بذريته قصي محب الدين الخطيب وإخوانه.







الأخ المجاهد محفوظ نحناح

(١٣٦٢ ـ ١٤٢٤هـ = ١٩٤٢ ـ ٢٠٠٣م)

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محفوظ بن محمد نحناح يوم ١٢ / ١ / ١٩٤٢م، وكان مولده في أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث بدأت التحولات السياسية والفكرية في الجزائر تتحدث عن مرحلة ما بعد الاستعمار ببداية اندحار فرنسا المستعمرة أمام دول المحور وانكشاف عورة الاستعمار الفرنسي وبداية العد التنازلي لفكرة الاستعمار الاستيطاني. وكان مولده بمدينة (البليدة) في الجزائر، وسط عائلة محافظة، ونشأ في أحضان القرآن الكريم، واللغة العربية، ودرس في المدرسة الإصلاحية، التي أنشأتها الحركة الوطنية، وأكمل مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي في الجزائر، وحصل على ليسانس لغة عربية، ثم سجَّل في جامعة القاهرة (قسم الدراسات العليا)، وفي فترة دراسته الجامعية بالجزائر، ساهم مع إخوانه في فتح مسجد الطلبة، وكان أول من خطب الجمعة بالمسجد

المذكور. وساهم مع إخوانه محمد بوسليماني ومحمد بومهدي سنة ١٩٦٢م في ثورة التحرير الجزائرية وهو في ريعان الشباب، كان عمره ٢٠ عاماً.

نشاطه العملي والدعوي:

اشتغل الأخ نحناح في حقل الدعوة الإسلامية لأكثر من ثلاثين عاماً بدءاً من سنة ١٩٦٤م بالتعاون مع رفيقه الشيخ محمد بوسليماني، وهما وضعا اللبنة الأولى للجماعة الإسلامية في الجزائر.

وقاوم المد الثوري الاشتراكي والثقافة الاستعمارية الفرنسية. وكان من أشد معارضي التوجه الماركسي والفرنكفوني والعقائد الضالة والأخلاق المنحرفة، مما أدى إلى اعتقاله سنة ١٩٧٥م، وحكم عليه بالسجن خمس عشرة سنة، كانت فرصة للتزود بالعلم والتفرغ للعبادة، كما كانت سبباً في هداية الكثيرين من نزلاء السجن إلى طريق الحق والاستقامة على منهج الإسلام.

وبعد وفاة الرئيس «هواري بومدين» يوم ٢٧ / ١٢ / ١٩٧٩م بعد زلزال الأصنام في ١٠ / ١٠ / ١٩٨٠م، حيث كان سجيناً هناك أطلق سراحه بعد أن قضى خمس سنوات فقط.

وقد ساهم في تأسيس (رابطة الدعوة الإسلامية) مع صفوة من علماء الجزائر ودعاتها منهم الشيخ أحمد سحنون رئيس الرابطة، والشيخ عبدالله جاب الله، والشيخ علي بلحاج والشيخ محمد بوسليماني، والدكتور عباسي مدني، وغيرهم، كما ساهم في تأسيس (جمعية الإرشاد والإصلاح) سنة ١٩٨٨م مع زميله الشيخ محمد بوسليماني الذي اغتالته جماعة مسلحة سنة ١٩٩٤م.

ويمتاز الشيخ نحناح بقدرة هائلة على الاتصال والتنقل، فقد زار القارات الخمس داعية وحاملاً رسالة الوسطية والاعتدال، كما طاف كل محافظات الجزائر وأسس فيها أنشطة دعوية وتربوية وخيرية متنوعة.

كما أنشأ الشيخ النحناح (حركة المجتمع الإسلامي) سنة ١٩٩١م وانتخب

رئيساً لها، ثم تغير اسمها إلى (حركة مجتمع السلم) بعد صدور قانون جزائري يحظر استعمال وصف (إسلامي) على الأحزاب.

كانت مواقف الشيخ نحناح تتسم بالاعتدال والتوازن، فقد عارض موقف الحكومة من الانتخابات، كما اعترض على دعاة العنف وحمل السلاح.

وهو الذي صاغ بيان التجمع الإسلامي الكبير سنة ١٩٨٠م، كما نظم أول مهرجان إسلامي سنة ١٩٨٨م، ونادى بإنشاء رابطة تجمع كل الدعاة من أجل الحفاظ على الهوية الإسلامية سنة ١٩٨٩م، كما أنه انضم إلى علماء العالم الإسلامي في توقيع وثيقة ترفض التنازل عن أي شبر من أرض فلسطين واعتبرها وقفاً إسلامياً لا يجوز التفريط فيه أو التنازل عنه.

ويعتبر محفوظ نحناح أول زعيم حركة إسلامية في العالم العربي يتقدم للترشح لرئاسة الجمهورية.

والحق يقال: إن الشيخ محفوظ نحناح فيه من مواصفات الزعامة والقيادة ورباطة الجأش وقوة التحمل والصبر على المكاره ما يرشحه للأمور العظيمة والأحداث الجسام.

فهو كفؤ لذلك، وأهل لتحمل التبعات والتكاليف لأنه من فرسان هذا الميدان وصاحب القدح المعلى في المكرمات.

أفكاره وطروحاته:

من أهم الطروحات التي يدافع عنها الشيخ محفوظ نحناح هي: الشورى، والديمقراطية، والتطور، والتسامح، والتعايش، والاحترام المتبادل، واحترام حقوق الإنسان، ومشاركة المرأة في مجالات الحياة، وحوار الحضارات، واحترام حقوق الأقليات، وتوسيع قاعدة الحكم، والتداول السلمي للسلطة، واحترام الحريات الشخصية والأساسية، والوسطية والاعتدال، وتجسير العلاقة بين الحاكم والمحكوم على ضوء هدي الإسلام وتعاليمه.

وكان يرى ضرورة تغليب المصلحة الوطنية على المصلحة الحزبية والشخصية، ويدعو إلى التمييز بين ضرورة وجود الدولة وتقويتها، وبين منافستها ومعارضتها والمطالبة بخلعها وذهابها عند إساءتها، ويرى أن المشاركة في قاعدة الحكم أولى من الروح الانسحابية أو المعارضة الراديكالية.

وكان موقفه واضحاً من وقف المسار الانتخابي بالجزائر ويعتبره خطأ كبيراً من الحكومة، ولكنه لا يرى معالجة خطأ الحكومة بحمل السلاح وجزّ الرقاب والحقد والتدمير وإهلاك الحرث والنسل.

وفيما يتعلق بالغزو الأمريكي للعراق، كان واضحاً غاية الوضوح، فقد دعا إلى بلورة موقف متقدم لقوى الأمة العربية لضمان حركة المعارضة للاحتلال الأمريكي للعراق ومواجهة استراتيجيات الهيمنة على الأمة العربية والإسلامية.

وفي الجزائر طالبت حركته (مجتمع السلم) بفتح قنوات الحوار أمام الجميع وإيقاف حملات العنف والعنف المضاد، والتكفل بالعائلات المتضررة من جراء المأساة الوطنية ورفع العقوبات التعسفية التي طالت بعض المواطنين من جراء انتماءاتهم السياسية، وتعويض المتضررين منهم، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وسجناء الرأي، بالتوازي مع إقامة محاكمات عادلة للمتورطين في الانتهاكات الصارخة لحقوق الإنسان وكرامة المواطنين. والعمل الجاد من أجل العودة بالبلاد إلى الوضع المستقر الآمن الذي يعيش فيه المواطن وهو آمن على نفسه وأهله من تغوّل السلطة أو استهداف المخرِّبين. وضرورة انصراف الحكومة إلى تأمين احتياجات المواطنين الجزائريين ورفع العنت والظلم عنهم وتيسير سبل الحياة الكريمة لهم، ولكل طبقات الشعب دون استئثار أو تفضيل لطبقة على طبقة أخرى، أو الاهتمام بشريحة من المواطنين دون أخرى، فالحكومة مسؤولة عن جميع المواطنين دون استثناء أو تمييز.

شيوخه: تأثر الشيخ محفوظ نحناح بـ (مدرسة الإرشاد) التي هي مدرسة الحركة الوطنية، وشعارها: «الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا» كما

تأثر النحناح بـ (جمعية العلماء المسلمين) التي هي جزء من الحركة الوطنية، إلا أنها تتميز بالإسلامية التي جعلتها نموذجاً آخر غير النموذج العادي في الحركة الوطنية، ومن زعماء هذه المدرسة الشيخ عبدالحميد بن باديس الزعيم الروحي للجزائر، والمفسر للقرآن العظيم، والمصلح والداعية الذي كان سلفي المنهج، صوفي السلوك، مجاهداً ضد الاستعمار، ومن زعماء هذه المدرسة الشيخ البشير الإبراهيمي العالم الفذ في الأدب واللغة والإصلاح والفكر، وصاحب الصولات والجولات الذي نقل حقيقة الثورة الجزائرية، وهموم الجزائر إلى كل أنحاء العالم الإسلامي، ومن زعماء هذه المدرسة أيضاً الشيخ الفضيل الورتلاني الذي تجاوز حدود الوطن ليصبح مصلحاً عالمياً وهو قرين الشيخ الإبراهيمي وأحد السياسيين المحنكين والعلماء الفطاحل والمصلحين المجددين، ترك آثاراً وبصمات في مصر واليمن وسورية وتركيا والجزائر.

وهؤلاء العلماء الثلاثة من جمعية العلماء المسلمين كان لهم التأثير الكبير في شخصية الشيخ محفوظ نحناح، بالإضافة إلى الأستاذ مالك بن نبي والإمام الشهيد حسن البنا، والشيخ محفوظي الجزائري والشيخ محمد متولي الشعراوي، والشيخ محمد الغزالي، فضلاً عن المؤلفات القيمة للإمام ابن تيمية التي نهل منها الأستاذ النحناح ودأب على دراستها.

هذه الشخصيات والمدارس الفكرية كان لها أبرز الأثر في تكوين شخصية الشيخ محفوظ نحناح وتحديد مسارها وانطلاقها في حقل الدعوة الإسلامية المعاصرة.

فالإمام الشهيد حسن البنا مجدد القرن الرابع عشر الهجري، الذي نقل فكر الإسلام من النظرية إلى التطبيق، وعمل على وحدة الأمة الإسلامية وتخليصها من الاستعمار بكل أشكاله، كان له تأثير كبير جداً على الشيخ محفوظ نحناح فقد سلك طريقته ومنهجه وأسلوبه في الدعوة إلى الله، لأن الإمام حسن البنا ليس رجلاً محدود العمل في دولة أو قطر، بل كان يملك نظرة عالمية، تجمع بين

المعاصرة والأصالة وهذا ما سار عليه الشيخ محفوظ نحناح وبخاصة بعد ارتباطه العضوي بحركة الإخوان المسلمين العالمية.

وكان يفقه مقولة الإمام الشهيد حسن البنا في توجيه الشباب حق الفقه ويضعها نصب عينيه إذ يقول الإمام البنا:

«ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة، ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ولا تصادموا نواميس الكون، فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد».

مواقفه:

كان للشيخ محفوظ نحناح مواقف كثيرة تدل على أصالته وصدق لهجته وعمق فهمه للأحداث وطرح المفاهيم المستقاة من الإسلام كتاباً وسنة، والمأخوذة من مواقف السلف في معالجة ما يستجد من أحداث وقضايا ومشكلات في حياة الناس والمجتمعات وطرح الحلول الناجعة لعلاجها والتصدي للآراء المنحرفة والأفكار البعيدة عن المنهج الإسلامي الصحيح.

ومن هنا نجد أنه بعد التشاور مع إخوانه وعرض وجهات النظر للقضايا والاستهداء بالكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، يكون اتخاذ القرار الحاسم في المواقف دون تردد لأنه يرى وإخوانه أن في ذلك مصلحة للأمن والوطن، ومن ذلك دخول الانتخابات التشريعية، بل إنه رشح نفسه لانتخابات الرئاسة سنة ١٩٩٥م وحصل على المرتبة الثانية بأكثر من ثلاثة ملايين صوت حسب النتائج الرسمية المعلنة.

كما شارك الأستاذ نحناح في العديد من المؤتمرات والملتقيات الدولية في الدول العربية والإسلامية والآسيوية والإفريقية والأوروبية والأمريكية.

وكان مسار حركته «حركة مجتمع السلم» نبذ العنف والحفاظ على قيم المجتمع الجزائري وتبني الإسلام وثوابت الأمة الجزائرية والسعي لإقامة السلم والوئام الوطني في الجزائر وحماية حقوق الإنسان وكرامة المواطن. والحركة تعتمد الحوار على الحل السياسي وضرورة فتح قنوات الحوار أمام الجميع.

وقد أدان الشيخ محفوظ العنف بكل صوره وأشكاله سواء من الدولة أو من الجماهير، واعتبر أن هذا غريب عن منهج الإسلام والمسلمين، وكرس جهوده للدفاع عن العقيدة الصحيحة وقيم الوسطية والاعتدال.

وقد دفعت حركته ضريبة غالية من دماء أبنائها، إذ ذهب أكثر من خمس مئة شهيد من إخوانه ومحبيه ومناصريه وعلى رأسهم رفيق دربه الشهيد الشيخ محمد بوسليماني الذي اغتيل عام ١٩٩٤م على يد مسلحين تكفيريين.

وأذكر أن الشيخ بوسليماني زارني في مكة المكرمة وشرفني في بيتي في نفس العام، وقد وجدت فيه الخلق الإسلامي والتواضع الجم، وإنكار الذات، والفهم العميق لدينه، والوعي الرشيد لمرحلة الدعوة، وأكبرت فيه فقهه لطبيعة المرحلة ومتطلباتها، ولا غرو في ذلك فهو من إخوان النحناح وأعوانه الخلص. ولقد دخلت حركة (مجتمع السلم) الانتخابات النيابية وحصلت على ٧٠ نائباً، كما شاركت في الحكومة بسبعة من الوزراء.

ورغم التدخلات وخلط الأوراق فيما بعد، بقيت الحركة «مجتمع السلم» لها ممثلوها في البرلمان الجزائري وفي الحكومة، وإن كانوا بعدد أقل من السابق.

رحلاته ومحاضراته:

كانت للأخ محفوظ على مدار العام رحلات طويلة وقصيرة طوف فيها أرجاء العالم العربي والإسلامي والعالم الغربي وإفريقيا وآسيا، فقد زار الولايات المتحدة الأمريكية وسعدت بحضور محاضراته بواشنطن كما زار إسبانيا وفرنسا

والسويد وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وألقى فيها جميعاً محاضرات وعقد ندوات وكنت في معظمها حاضراً ومشاركاً.

كما تعددت وتكررت زياراته ومحاضراته وندواته في المملكة العربية السعودية والكويت وقطر وسورية والأردن والسودان والمغرب وليبيا وغيرها.

وكان في معظم محاضراته يركز على ضرورة الالتزام بالمنهج الوسط والتدرج في الخطوات وعدم الانسياق وراء الدهماء والعوام لأن أهواء العوام وأهواء الحكام لا تهادن كما يقول شيخه وشيخنا الأستاذ محمد الغزالي غفر الله له.

ويرى النحناح أن التطرف والغلو يعطي المسوغات للأنظمة الجائرة وأزلامها من العلمانيين فرصة الانقضاض على الحصون الإسلامية. ومن محاضراته التي ألقاها أثناء رحلاته محاضرة «الصحوة الإسلامية.. واقع وآفاق» ألقاها في المغرب سنة ١٩٩٠م وكانت تتصف بالاتزان وتبشر بخيار المصالحة بين الأنظمة والحركات الإسلامية المعتدلة، فضلاً عن موقفه المؤيد لتسوية إيجابية لقضية الصحراء. وكان طيلة فترة توتر العلاقات المغربية الجزائرية صوتاً للحكمة والتعقل داخل الجزائر، داعياً إلى تسويتها بمنطق الحوار والتفاهم المتبادل للمصالح المشتركة. وكان حريصاً على التواصل مع القوى السياسية والوطنية بالمغرب.

وقد سعدت بحضور محاضرة له في عمَّان بالأردن كان فيها واضحاً غاية الوضوح، وصريحاً غاية الصراحة، لم يهادن أحداً وهو يعرض الحقائق على الأرض بتفاصيلها ويشخص الوضع الجزائري بكل أبعاده ويصف الحرب المستعرة بين الحكومة وحملة السلاح في الجبال، وكيف أن الأفعال وردود الأفعال هي المسيطرة على دوام الاقتتال وذهاب الأرواح وتخريب البلاد. وهذا الأسلوب يأباه الإسلام وترفضه تشريعاته وأحكامه، فإن الدم المسلم غال ومحترم، والنفس البشرية مصونة ومعصومة. وتلك ولا شك فتنة وبلاء، ومحنة

ومصيبة، أحرقت الحرث والنسل، وولّدت الشحناء والبغضاء، والخاسر فيها هو الشعب الجزائري والدولة الجزائرية على حد سواء، وحين سؤاله عقب المحاضرة عن الذي يجري في الجزائر أجاب: هناك تيار يريد ربط الجزائر بباريس وتيار آخر يريد ربط الجزائر بابن باديس.

فأدرك السامعون القصد وفهموا سر الصراع بين الإسلاميين والفرانكفونيين بالجزائر.

معرفتي به:

أول من حدثني عنه وذكر لي صفاته وأخلاقه، هو الأخ مصطفى الطحان الذي التقاه بالرياض سنة ١٩٧٢م، ثم التقيت به في الكويت والمملكة العربية السعودية، والجزائر، وألمانيا، وفرنسا، وبريطانيا، وتركيا، مرات عدة، وعلى سنوات متتابعة، حيث اللقاءات مع قادة الحركات الإسلامية في العالم كل عام تقريباً.

من أجمل تلك اللقاءات لقاء كان في ألمانيا وآخر في فرنسا، حيث اجتماعات مجلس الشورى العالمي للإخوان المسلمين. وكنا في فترات الراحة نتجاذب أطراف الحديث ونتبادل المداعبات والطرف التي كان يتحفنا بها أستاذنا الحاج عباس السيسي الذي يعطر المجالس بطرفه ولطائفه ويدخل السرور على إخوانه، ويشاركه الأخ الدكتور الحبر نور الدايم من السودان والأخ محفوظ نحناح.

ولقد تكررت اللقاءات في مكة المكرمة في مواسم الحج والعمرة في رمضان، كان يزورني في البيت والرابطة وفي بيوت الإخوان ومساكن الطلبة الجزائريين.

وكذا الحال أثناء زياراته للكويت بجمعية الإصلاح الاجتماعي والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ومنزل الأخ عبدالله المطوع وبقية إخواننا الكويتيين.

وكنت معجباً غاية الإعجاب بعصاميته وقوة شخصيته وفقهه الدعوي والسياسي وفصاحة منطقه وبلاغة عباراته ونبرات صوته وصدق تحليلاته وجرأته

وشجاعته وصبره ومصابرته وقدرته على الحوار، وإقناع الآخر بوجهة نظره، وعمق إيمانه بدينه.

قالوا عنه:

يقول عنه رفيق دربه الأخ المهندس مصطفى محمد الطحان الأمين العام للاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية:

«التقيته أول مرة سنة ١٩٧٢م في إطار لقاء الندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض.. وفي عام ١٩٧٣م كنت في زيارة للمغرب، ثم الجزائر.. وعندما أنهيت معاملة الوصول وخرجت، وجدت الأخ محفوظ نحناح يستقبلني فاتحاً ذراعيه ولا أنسى حرارة ذلك اللقاء وأهميته وفائدته، ذهبنا في سيارته الصغيرة «الفولكس واجن» إلى بلدته (البليدة) وأقمت عنده في بيت العائلة الواسع الكبير.. وفي أحد مساجد العاصمة جلست أستمع لدرس الشيخ محفوظ الذي كان كالنهر المتدفق.. كلمات واعية.. وإيماءات واضحة.. وتوجيه سليم.. وإخوة شباب يلتفون حوله يسألون الشيخ عن درسه.. وعما بعد الدرس..

واستغربت أن يكون مثل هذا الطرح الجريء.. والأيام الحاكم فيها «هواري بومدين» والتوجه للدولة اشتراكي علماني.. ويظهر أن شيخنا قرر أن يقول كلمة الحق واضحة ويعتصم بالصبر مهما تكن النتائج.

وذهبنا إلى مسجد الطلبة بالجامعة المركزية الذي ساهم في فتحه الأخ محفوظ وخطب فيه خطبة الجمعة، وكانت الأوضاع وقتها في الجامعة بعيدة كل البعد عن المظهر الإسلامي. وحين سألته: الأوضاع صعبة يا شيخنا.. أجابني: «ولتعلمن نبأه بعد حين». وبعد هذا كنت أزور الجزائر مرة في السنة. وفي مرة زرنا معاً القاهرة، وكنا على موعد مع رجالات الدعوة الذين خرجوا لتوهم من غياهب سجون عبدالناصر التي قضوا فيها ما يزيد على العشرين عاماً. وكان لقاءً موفقاً سعد به الجميع أعقبه عهد وموثق. وفي سنة ١٩٧٥م تم اعتقال الشيخ

محفوظ نحناح والحكم عليه خمسة عشر عاماً بعد نشره بياناً بعنوان (إلى أين يا بومدين)؟

وفي عام ١٩٩٠م لقيت الشيخ محفوظ في طرابلس الغرب في الاجتماع المخصص لمناقشة قضية الاحتلال العراقي لدولة الكويت كان البعض يؤيد العراق والآخر مع حق الكويت وحرية أبنائه.. ورأيت الشيخ محفوظ نحناح يزأر كالأسد ويقول: كلكم مهتم بحفظ ماء وجه صدام حسين.. ولا أرى أحداً يهتم بدماء أهل الكويت..

وكان آخر لقاء في إسطنبول بشهر يوليو تموز سنة ٢٠٠٢م، عندما جاء مع أسرته لقضاء فترة نقاهة بعد آلام مبرحة ومعالجات طالت لم أعرف يومها ذلك، فقد كانت صلابة المجاهد تغلب عليه، خاصة عندما يتعلق الأمر بشخصه». انتهى.

هذا، وقد أُلفت عنه الكثير من الكتب من أهمها: (رجل الحوار محفوظ النحناح)، و(خطوة نحو الرئاسة). كما أن له الكثير من المحاضرات المطبوعة وأهم كتبه هو: الجزائر المنشودة (المعادلة المفقودة: الإسلام.. الوطنية.. الديمقراطية).

وله أكثر من ألف شريط مسجل يضم الكثير من المحاضرات والدروس وخطب الجمعة والندوات والمؤتمرات والأحاديث الصحفية وغيرها.

وفاته:

جاء نعيه على لسان الناطق الرسمي باسم الحركة الأستاذ سليمان شنين الذي قال: «ننعى إلى العالمين الإسلامي والعربي وفاة الشيخ محفوظ نحناح رجل الوسطية والاعتدال والتسامح الذي سيترك رحيله فراغاً كبيراً على المستويين الوطني والدولي».

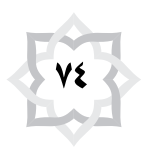
والشيخ محفوظ رئيس حركة (مجتمع السلم) يتولى منصب المراقب

العام للإخوان المسلمين في الجزائر منذ سنة ١٩٨١م لحين وفاته.

وكان رحمه الله قد قاسى المرض الخطير أكثر من سنة، حيث استقر في دمه وعظامه، ولكنه كان صابراً لا يشكو، وقد ذهب إلى فرنسا للعلاج، وبعد ثلاثة أشهر عاد إلى وطنه لتقرير الأطباء استحالة العلاج، فكانت وفاته بين أهله وإخوانه الذين يحبهم ويحبونه يوم ١٩ / ٦ / ٢٠٠٣م، وبعد وفاته خلفه الأخ أبو جرة سلطاني.

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. والحمد لله رب العالمين.





شيخ العلماء محمد بن إبراهيم آل الشيخ

(١٣١١ - ١٣٨٩هـ = ١٨٩٣ - ١٩٦٩م)

مولده ونشأته:

هو العلاّمة الكبير والعالم النحرير محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وُلد في مدينة الرياض في اليوم السابع عشر من شهر محرم الحرام سنة إحدى عشرة وثلاث مئة وألف من الهجرة، ونشأ في بيت عريق بالعلم تحت كنف والده، الذي كان قاضي مدينة الرياض، وقد أتمّ حفظ القرآن الكريم وهو ابن إحدى عشرة سنة.

وكف بصره وهو في الرابعة عشرة من عمره، فصبر واحتسب، ولم يثنه عن عزمه في طلب العلم، فقد تتلمذ على أبيه وعمه عبدالله بن عبد اللطيف وقرأ مختصرات كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، ومختصرات النحو والفرائض، كما قرأ على شيوخ العلم في الرياض زيادة على قراءته على عمه وأبيه، فدرس التفسير والحديث وأصولهما على الشيخ

سعد بن عتيق، ودرس النحو والعربية على الشيخ حمد بن فارس، ودرس المطولات من كتب الفرائض على الشيخ عبدالله بن راشد بن جلعود.

ولما توفي والده سنة ١٣٢٩هـ كان الابن محمد في الثامنة عشرة من عمره، فتولى عمُّه عبدالله العناية به وتوجيهه في الاستمرار بطلب العلم الشرعي، وبعد عشر سنوات، ثقل المرض على عمّه، فأوصى الملك عبد العزيز للاهتمام بابن أخيه، وأنه صاحب علم وبُعد نظر وحُسْن إدراك، وأهليّة للمسؤولية، فما كان من الملك عبد العزيز إلا أن اختاره مستشاراً شرعياً له في تولية القضاء وإبداء الرأي والإفتاء والتدريس والإمامة والخطابة خلفاً لعمّه الذي توفي سنة ١٣٣٩هـ، وكان الشيخ محمد حينها في ذروة شبابه، كان عمره ٢٨ عاماً، فنهض بهذه الأعباء الملقاة على عاتقه بكل الجد، وكان على مستوى الأهلية والمسؤولية.

وبهذا صار الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مرجع الناس في الإفتاء، وشيخ العلم والتعليم والقضاء، وكان يجلس لطلبة العلم من بعد صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العشاء، وقد استمر على هذا الترتيب في الدروس إحدى وأربعين سنة.

تلامذته:

وقد تخرّج على يديه ونبغ طائفة من كبار العلماء والمشايخ نذكر منهم:

عبد العزيز بن باز، عبدالله بن حميد، عبد الرحمن بن قاسم، عبدالله القرعاوي، عبد العزيز بن رشيد، سليمان بن عبيد، عبدالله بن دهيش، عبدالله المسعري، عبد اللطيف بن إبراهيم (أخوه)، عبد الملك بن إبراهيم (أخوه)، عبد العزيز بن محمد (ابنه)، إبراهيم بن محمد (ابنه)، محمد بن هليل، حمد الجاسر، عبدالله الوائلي، عبد العزيز بن حسن آل الشيخ، حمد بن فريان، عبد الرحمن بن فريان، راشد بن خنين، زيد بن فياض، سعود بن رشود، صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ، عبد الرحمن بن فارس وغيرهم كثير.

وقد تولى سماحته الكثير من الأعمال والمهمات، كرئاسته للمحاكم الشرعية

في نجد والمنطقة الشرقية، ثم رئاسة القضاء بالمملكة العربية السعودية، ورئاسة المعاهد الشرعية والكليات، ورئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ورئاسة تعليم البنات، ورئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ورئاسة دار الإفتاء، فقد كان المفتي العام للمملكة والمرجع لكل ما سبق من الأعمال.

وحين ناهز الثمانين من عمره، أُصيب بمرض عضال، فاقتصر على درس التفسير قُبيل صلاة العشاء، فقد كان مسجده (جامعة) في قلب نجد، ملأت البلاد علماً قبل أن تُبنى المدارس والمعاهد والكليات والجامعات الحديثة، وقد أَلَّف الكثير من الكتب والرسائل على الرغم من مسؤولياته المتنوعة والمهمّات الكبيرة المنوطة به، ومنها على سبيل المثال: الجواب المستقيم، تحكيم القوانين، مجموعة من أحاديث الأحكام، الفتاوى وغيرها.

يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه (علماء ومفكرون عرفتهم):

«... على التعاون بين مؤسس الدولة السعودية الإمام محمد بن سعود وبين إمام الدعوة المجدد محمد بن عبد الوهاب، نهضت الدولة واستمرت، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ هو الذي انتهت إليه راية هذه الدعوة، حيث حملها وسار على منهج من سلف من العلماء من آل الشيخ من آبائه وأجداده.

ولقد لبثتُ طويلاً أتشوَّقُ للاجتماع بوارث علوم آل الشيخ مجدد القرن الثاني عشر الهجري، الذي عرفته عن طريق مجلة (المنار) تلك التي كانت المعرض الجامع لحركة الإصلاح التي أحدثها في عالم الإسلام الثلاثة السابقون إلى بعث النهضة الإسلامية الحديثة: جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده ورفيق جهاده السيد محمد رشيد رضا ـ رحمهم الله أجمعين ـ وأجزل أجرهم كفاء ما أيقظوا من النيام، وأثاروا من الهمم، لاستعادة الوعي الذي فقده سواد المسلمين، وإن أنكر المنكرون وتجاهل المتجاهلون وتقوَّل المتقولون.

ولما أسعدني الله بالهجرة إلى جوار نبيه المصطفى ﷺ وآله، والتحقتُ

بالجامعة الإسلامية، متعاقداً للتدريس فيها، انتهزتُ أوّل فرصة للقاء الشيخ محمد بن إبراهيم بمكة المكرمة، وكنا مجموعة من مدرسي الجامعة الإسلامية، حيث أحاطنا برعايته واهتمامه، وجعل يسألنا عن أحوال الجامعة ومسيرة التدريس فيها، وأحوال طلابها الوافدين إليها من أنحاء العالم الإسلامي، ثم جاءت الفرصة الثانية في الطائف، حيث حضرتُ مجلسه مع فضيلة الزميل الشيخ عطية محمد سالم، وقد سرّني ما وجدته يوم ذاك من اتساع صدر الشيخ للآراء المخالفة، وذلك الوقار المهيب الذي يغمر مجلسه، ثم تكررت زياراتي له في الرياض، حيث كنت أجد في زيارته متعة روحية تشدّني بقوة إلى رؤيته وإلى حديثه...» انتهى.

معرفتي به:

بدأت معرفتي به حين كنت أدرس في مصر بكلية الشريعة بالأزهر من ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م إلى ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م، حيث زارنا الشيخ أبو الحسن الندوي في مصر ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م، وكنت أرافقه في معظم زياراته للأشخاص والهيئات، وقد زرنا جماعة أنصار السُّنَّة ورئيسها محمد حامد الفقي، الذي أخبر الشيخ الندوي عن وجود سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بالقاهرة للعلاج.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه القيم: (مذكرات سائح في الشرق العربي): «... أبديتُ للشيخ محمد حامد الفقي ـ رئيس جمعية أنصار السُّنَّة بالقاهرة رغبتي في مقابلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، نزيل مصر الآن، فذهبنا لزيارته في منزله في الجيزة، فرحَّب بنا، وقدَّمت له كتاب قريبه عمر بن حسن آل الشيخ، فدفعه إلى بعض حواشيه ليقرأه عليه، وبعد ذلك جلسنا نتكلم وأهديته كتاب (الإعلام في تاريخ الهند من الأعلام)، الذي أبدى رغبته في مطالعته، والشيخ ابن إبراهيم له اطلاع واسع على ما قيل عن جدّه الكبير، ومن طعن فيه ومن دافع عنه، وكتب أجداده وعلماء نجد، وقد اجتمع بصديقنا

الفاضل الأستاذ مسعود عالم الندوي في الرياض حين زارها في طريقه إلى الحج عام ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م، وذاكره في بعض ما يتصل بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

ثم زرته مرة أخرى مع الشيخ محمد حامد الفقي بعد خروجه من المستشفى إلى منزله بعد العملية الجراحية الناجحة التي أجريت له، وكان يتمتع بصحة طيبة، وتذاكرنا معه عن أحوال الحجاز الخلقية والدينية، وقد اطلع على رسائلي فأبدى إعجابه وموافقته» انتهى.

وحين زرتُ الرياض ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م برفقة الشيخ عبد الرحمن الدوسري، نزلنا في ضيافة سماحة الشيخ ابن إبراهيم، وحضرنا مجالسه العلمية، طيلة فترة بقائنا في الرياض، واستفدنا من الدروس العلمية والمناقشات الفقهية في تلك المجالس، وكان للشيخ الدوسري حضوره المتميز ومشاركاته الفعَّالة التي لقيت التقدير من سماحته لما يتمتع به من علم واسع وفقه عميق، وسعة في الصدر، وحلم وطول أناة وإكرام للعلماء، وبذل العلم لطالبيه ونجدة ومروءة، وقد سررتُ غاية السرور حين عرفتُ من إخواننا في الرياض، تبرعه بقطعة أرض كبيرة جداً في حي النسيم لتكون مقبرة للمسلمين بعد أن ضاقت «مقبرة العود» لكثرة من دفن فيها من موتى المسلمين فجزاه الله خير الجزاء.

وفاته:

وقد كانت تلك الزيارة مع الشيخ الدوسري هي آخر العهد به، إذ توفي في اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ١٣٨٩هـ وصُلّي عليه بعد صلاة العصر في (الجامع الكبير) بمدينة الرياض، وكانت جموع حاشدة من المشيعين، وعلى رأسهم الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز والأمراء والعلماء والوزراء والأعيان وعامة الناس، ودفن في مقبرة (العود) بالرياض ـ رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

وقد رثاه الكثير من العلماء والأدباء والشعراء، نقتبس بعض الأبيات من قصيدة الرثاء التي نظمها الدكتور محمد كامل الفقي:

دهى الجزيرة خطبٌ ليس يُحتملُ فلتنفطر مهجٌ ولتنهمر مقلُ
الراحلون قرون والردى شُعب وأفجع الموت ما ماتتْ به المللُ
من للشريعة والأخلاق يحرسها أو يستطبُّ لها إن لجّت العللُ
من ناصر السُنَّة الغراء محتفلاً فلم يحدْ عن سناها القولُ والعملُ
يا صاحب الحزم لم يعرض له وهن وثاقب الرأي يخزى دونه الجدلُ
كنتَ الشجاع الذي في الله غضبته وكل جرح بما داويتَ يندملُ
قهرت أعداء دين الله فانخذلوا لهفي عليك فهل يصحو لهم أملُ
أنشأتَ للعلم دوراً في محافلها يرى الجحافل لا هانوا ولا خذلوا

ويقول الأخ الشيخ المحقق عبدالله بن عبد الرحمن بن صالح البسام مؤلف كتاب (علماء نجد خلال ستة قرون) والذي اعتمدنا على ترجمته في معظم كلامنا عن الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «... إن الشعب هزَّته وفاة الشيخ، وأصيب أفراده جميعاً بالفزع لفقده، ورأوا أنهم فقدوا شخصية كبيرة غالية من أعز أبناء البلاد عليها، ولاسيما أهل العلم الذين يرون فيه الوالد والشيخ والرئيس والمرجع، فقد اشتد عليهم الأمر ورجعوا إلى القول ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ يرددونه بقلوب مؤمنة بقضاء الله وقدره، وصار الناس يعزّي بعضهم بعضاً لاشتراكهم في المصيبة، ومن الموافقات الغريبة أو من تقدير الله تعالى في ذلك لعباده، أن تكون الحكمة الصادرة في تقويم أم القرى يوم وفاته ما يلي: قال رسول الله ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»، فلعلها إلهام من الله تعالى ليسلي بها عباده عن مصابهم الأليم» انتهى.

تلك هي السيرة الموجزة لهذا العالم الجهبذ، الذي اضطلع بكل هذه المسؤوليات الجسام، وتولى تصريف هذه الأمور العظام، بكل كفاءة واقتدار،

مع حرص على العلوم وتدريسها لطالبيها، وبذل أقصى الجهد لتبصير الناس في أمور دينهم، وإرشادهم لما يجب عليهم من التقيّد بأحكام الإسلام في كل شأن من شؤونهم، ونصح الحكام وولاة الأمر في أن يأخذوا الإسلام جملة وتفصيلاً ويلتزموا منهجه في التطبيق وعدم تحكيم القوانين الوضعية، لأن حكم الله في كتابه وسنة رسوله هو المرجع لكل المسلمين أفراداً وجماعات حكاماً ومحكومين، رعاة ورعية.

رعايته للعلماء والدعاة:

إن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم يمثل العالم المتمكن والداعية الحكيم، والناصح الأمين، والمرشد المؤتمن، والمعلم المربي، الذي يشهد له كل من عرفه عن قرب واطلع على آثاره ومآثره التي لا يتسع المجال لسردها في هذه العجالة، وحسبه هذا الذكر الحسن والسيرة الطيبة التي يتحدث عنها القاصي والداني من محبيه وتلامذته وعارفي فضله داخل المملكة العربية السعودية وخارجها وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولقد كان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم دوره الفعال في احتضان العلماء والدعاة الذين فروا بدينهم، من ظلم الطغاة والظلمة الذين سعوا لإحلال القوانين الوضعية بدل الشريعة الإسلامية وحاربوا الدين وأهله، وطاردوا كل من يقول: لا إله إلا الله، وقربوا دعاة الإلحاد والشيوعية والقومية والعلمانية، ونشروا الفكر المنحرف والمبادئ الضّالة حتى صارت بعض ديار المسلمين مرتعاً لكل من هبّ ودبّ من أعداء الإسلام في الشرق والغرب على حد سواء، وضاقت البلاد بأبنائها المسلمين وفتحت أبوابها لكل دعيّ أثيم أو مجرم لئيم.

وقد نفع الله بهؤلاء العلماء والدعاة المهاجرين إلى المملكة العربية السعودية الذين تركوا أطيب الأثر في تربية الناشئة على مبادئ الإسلام الحق المستقى من الكتاب والسُنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة.

يقول العلاّمة المغربي الدكتور محمد تقي الدين الهلالي في تقديمه لكتاب (محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه) الذي ألفه أحد تلامذة الهلالي بالهند الأستاذ مسعود عالم الندوي:

«لا يخفى أن الإمام الرباني الأواب محمد بن عبد الوهاب قام بدعوة حنيفية، جدَّدت عهد الرسول الكريم والأصحاب، وأسس دولة ذكَّرت الناس بدولة الخلفاء الراشدين، وقهرت الشياطين، وأحيت ما اندثر من علوم كتاب الله وسُنَّة النبي الكريم، ولا شك في أن معرفة أخبار هذه الدعوة وصاحبها، تهم كل طالب علم من الموافقين والمخالفين، بل من المسلمين والكافرين» انتهى.

نسأل الله تعالى أن يتغمد شيخنا الكبير محمد بن إبراهيم آل الشيخ برحمته، وأن يدخله فسيح جناته، وأن يحشرنا وإياه في زمرة الصالحين من عباده إنه ولي ذلك، والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



المنزل الذي عاش فيه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ





الفقيه العلاّمة محمد أبو زهرة

(١٣١٦ ـ ١٣٩٤هـ = ١٨٩٨ ـ ١٩٧٤م)

مولده ونشأته:

هو العلاّمة الجهبذ والفقيه المجتهد الشيخ محمد بن أحمد بن مصطفى أبو زهرة، ولد في مدينة المحلة الكبرى بمصر ١٣١٦هـ ـ ١٨٩٨م، وتربى في الجامع الأحمدي بطنطا، وحفظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم، ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي، وحصل على (عالمية القضاء الشرعي مع درجة أستاذ) بتفوق عام ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م، كما حصل على معادلة دار العلوم.

وتولى تدريس العلوم الشرعية والعربية في دار العلوم وكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، وكلية الحقوق بجامعة القاهرة، ثم شغل منصب أستاذ محاضر للدراسات العليا بالجامعة عام ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م وعضو للمجلس الأعلى للبحوث العلمية، ورئيس قسم الشريعة ووكيل كلية الحقوق ومعهد الدراسات الإسلامية، ولقد كان شغوفاً بالعلم والدرس والتأليف، ولم ينقطع عن

المحاضرات والندوات حتى عدّ بمزاياه من أكبر رجالات المؤتمرات والندوات في مصر والعالم الإسلامي.

قلتُ عنه عقب وفاته في كلمة نشرتها مجلة المجتمع الغراء بتاريخ ١ / ٤ / ١٣٩٤هـ ـ ٢٣ / ٤ / ١٩٧٤م بعددها رقم (١٩٧):

لقد اختار الله إلى جواره قبل أيام فضيلة أستاذنا العلاّمة الشيخ محمد أبي زهرة، الرجل الشجاع، والعالم العامل، والحرّ الأبيّ، والفقيه المجتهد، والذكي الألمعيّ، الذي قضى عمره في نشر العلم الإسلامي، وكان صاحب مدرسة تخرّج على يديه آلاف العلماء من المشرق والمغرب، فهو من أوائل من درَّس بكلية الحقوق بجامعة القاهرة منذ إنشائها، وهو أول من أنشأ قسم الشريعة الإسلامية فيها، وكان من مؤسسي معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، الذي كان لي شرف الانتساب إليه، وكان يُلقي المحاضرات في المعهد بالمجان، ويشاركه عدد من الأساتذة أمثال: الدكتور محمد العربي، والأستاذ محمد قطب، ود. محمد يوسف موسى، وآخرون.

وقد جاب كثيراً من بلدان العالم العربي والإسلامي مدعواً لإلقاء محاضرات، أو المشاركة في ندوات ومؤتمرات ومجامع فقهية، وقد انتفع المسلمون من علمه وفقهه.

ولقد سعدنا به في الكويت ثلاث مرات، آخرها عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م بدعوة من جامعة الكويت، والمرتان الأوليان بدعوة من جمعية الإصلاح الاجتماعي، ومن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقد شرفتُ بأن أكون ملازماً له في كلتا الزيارتين، وأن أقدِّمه في محاضراته التي تركت أطيب الأثر وأعمقه في نفوس المسلمين بالكويت، بفضل ما آتاه الله من غزارة العلم وخصوبة المعرفة، وعمق الفقه، وقوة الحجة، وحسن الأداء، وجمال العرض، والصراحة في كلمة الحق، غير هيّاب ولا وجل، وهذا شأنه في كل دروسه ومحاضراته ومقالاته ومؤلفاته وفتاواه واجتهاداته.

مؤلفاته:

إن المكتبة الإسلامية مدينة للعلاّمة الكبير الشيخ محمد أبي زهرة بهذه المؤلفات الإسلامية التي خطّها قلمه، ودبّجتها يداه، فكانت ثروة ضخمة، وتراثاً علمياً كبيراً، قاربت الثمانين كتاباً، معظمها من المراجع الكبيرة، فضلاً عن المقالات التي كان ينشرها، والفتاوى التي يحررها، وهي لم تُجمع في كتاب بعد، ولو جمعت لكانت كتباً كثيرة في مجلدات، وفيما يلي ندرج بعض المؤلفات المطبوعة لفقيد العلم وفقيه العصر، وهي:

محاضرات في تاريخ المذاهب الإسلامية، ومحاضرات في النصرانية، وخاتم النبيين، وأبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وابن حنبل، وابن حزم، وابن تيمية، وزيد بن علي، وجعفر الصادق، وأحكام التركات والمواريث، والأحوال الشخصية، وأصول الفقه، وبحوث في الربا، وتنظيم الإسلام للمجتمع، والجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، وشرح قانون الوصية، والعلاقات الدولية في الإسلام، والمجتمع الإنساني في ظل الإسلام، ومحاضرات في أصول الفقه الجعفري، ومحاضرات في عقد الزواج وآثاره، ومحاضرات في الوقف، ومحاضرات في مقارنة الأديان، ومحاضرات في الميراث عند الجعفرية، والولاية على النفس، وتاريخ الجدل في الإسلام، والتكافل الاجتماعي في الإسلام، والملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، والخطابة في المجتمع الإسلامي، والمعجزة الكبرى القرآن الكريم، وموسوعة الفقه الإسلامي، والديانات القديمة، والمذاهب الإسلامية، والوحدة الإسلامية... إلخ.

صفاته:

عُرف الشيخ محمد أبو زهرة بجرأته في الحق وشجاعته في الذود عن حياض الإسلام ودعاته، واشتهر بالعزّة وكرامة النفس، والصلابة والصدع بكلمة الحق، والذاكرة القوية، والبديهة الحاضرة، والقدرة العجيبة على التوليد والابتكار،



ومقارعة الخصوم بالحجج البالغة والبراهين الساطعة والجهاد والمصابرة، والعمل الدائب لخير الإسلام والمسلمين.

لقد شغل الشيخ أبو زهرة عصره بفقهه، وغزارة علمه، وكثرة إنتاجه مع استقامة في التفكير والنظر، وصلابة في الرأي المعزّز بالدليل والبرهان، والقدرة الفائقة على الحوار والمناظرة، والذاكرة الحافظة الواعية لكل الحجج والأدلة التي تجعل الخصم يستسلم، وكان جريئاً شجاعاً يصدع بالحق متصدياً لأصحاب الانحراف الفكري، والمذاهب المستوردة، وتلامذة المستشرقين، والمضبوعين بأفكار الغربيين من الملاحدة والعلمانيين وغيرهم.

لقد أصدر جمال عبد الناصر ـ حاكم مصر ـ آنذاك ـ أوامره بحرمان أبي زهرة من التدريس في الجامعة أو إلقاء الدروس والمحاضرات في المنتديات العامة ودور العبادة، ومن التحدّث في التليفزيون والإذاعة، والكتابة في الصحف، بل حرّض الصحف الرخيصة لتنال منه وتتهمه بالتزمت والرجعية، وحدة الطبع، وشدة الغضب والاستعلاء.

معاناته مع عبد الناصر:

يقول أبو زهرة: «... إن فرحتي ما كانت لتحد، يوم عُزل فاروق على يد زعيم الثورة اللواء محمد نجيب الوطني بحق، وظننتُ أن العدل قد تحقق، وأننا سوف نسترد أرضنا، وأن شمس الحرية سوف تعود ترفرف على ديارنا، إلى أن حدثت المفاجأة المذهلة وتغيَّر الوضع تماماً، وانتصرت الأهواء والنزعات الشخصية، وانقلبت الثورة إلى انقلاب عسكري بقيادة طاغية جديد هو جمال عبد الناصر الذي أذاق البلاد أقسى ألوان الذل والهوان».

وفي أجوبته على بعض الأسئلة التي ترده من خلال مجلة «لواء الإسلام» نشر في عدد ديسمبر ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م يقول: «السؤال: ما الذي يجب بالنسبة لحاكم يدفع المخرِّبين ويؤيدهم بالمال والقوة ليخرِّبوا جزءاً من الديار الإسلامية فيعمها الفساد، ووراء الفساد الطغيان.. أتجب طاعته؟

وجوابنا: إن الله لا يحب الفساد، وشرّ الولاة والٍ يعمل على نشر الفساد وتخريب العامر، وإزالة القائم من الشجر والثمار، قالوا في المفسد الذي يعبث في العمران، جزاؤه جهنم، وقد وردت الآثار الصحاح عن النبي ﷺ بالنهي عن قطع الأشجار والتخريب في أثناء الحروب، ولو كان ذلك في أرض العدو، فكيف يجوز ذلك في أرض الإسلام، وفي حال الأمن والسلام؟

إن الذين يفعلون ذلك عقابهم هو عقاب قطاع الطريق ومن يدفعهم يكون له مثل عقابهم» انتهى.

تأييده للوحدة الإسلامية:

ويقول الشيخ أبو زهرة عن الروح الانهزامية لبعض أبناء المسلمين من الذين تأثّروا بأفكار الغربيين ومقولاتهم ومزاعمهم وصاروا كالببغاوات يرددون ما يقوله المستشرقون، وأذناب المستعمرين، ويحاربون فكرة الجامعة الإسلامية التي توحِّد الشعوب الإسلامية تحت راية الإسلام:

لقد فكّر المفكرون في إنشاء الجامعة الإسلامية في أواخر القرن الماضي، فأخذ الكتّاب الأوروبيون تبعاً لسياسة مرسومة وغاية لهم معلومة، يُبيِّنون أن الدول لا تقوم على مبادئ دينية، وإنما تقوم على وحدة اللغة، أو الجنس، أو المقام في أرض واحدة، وذلك ليعوقوا حركتنا، ثم بثّوا ذلك في عقول الناشئة، وسيطروا على منافذ قلوبهم، بعد أن سيطروا على ملوكنا وذوي السلطان فينا، وأخذوا يشيعون القالة بهذا في نفوسهم بطرق تشبه الاستواء، حتى أصبح الكثير من المسلمين لا تستأنس عقولهم بدعوة جامعة، فانذعرت كلمة المسلمين،

وصار منّا من يقتنع ويقنع بأن هذه أسس تكوين الدول، وبأن من يطالب بالجامعة الإسلامية لوحدة الشعوب الإسلامية، فقد خالف سنّة الوجود وطبيعة تكوين الدول، مع أن هذا واقع والمُثُل قائمة في دول أوروبا نفسها، فهذه دولة بروتستانت وهذه كاثوليك.. وهكذا» انتهى.

معاركه من أجل الشريعة:

كان الشيخ محمد أبو زهرة صاحب مواقف صلبة من السلطة الباغية التي تريد إبعاد الشريعة الإسلامية أو تطويرها لتلائم هوى الحكام، وقد خاض في سبيل ذلك المعارك العنيفة، وكان المنتصر فيها جميعاً.

فقد عارض تحديد النسل، وهو مشروع حكومي، وتصدى لقانون الأحوال الشخصية الوضعي، وقاوم إقحام الاشتراكية في الإسلام، وأبطل الفتاوى التي أصدرها البعض بإباحتهم لنوع من أنواع الربا، كما تصدى لدعاة الإلحاد والإباحية من الكتّاب والمؤلفين والصحفيين، وكم حاولت السلطة إسكاته باللين حيناً، وبالشدة أحياناً، ولكن دون جدوى، لأنه لا يساوم على دينه، ولا يبيعه بعَرَض من الدنيا زائل.

حدثني أخ كريم لا زال في الكويت أنه شهد الندوة الشهرية التي كان يقيمها الأستاذ أحمد حمزة صاحب مجلة (لواء الإسلام) ويشارك فيها طائفة من العلماء بمصر، وكان ذلك عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦، وأثناء محاكمة الشهيد سيد قطب وصحبه الكرام، قال الأخ: جرى الحديث عن الأستاذ سيد قطب بين الحاضرين في إدارة المجلة قُبيل بدء الندوة فأثنى عليه البعض وغمزه البعض الآخر، ولاذ بالصمت آخرون، أما الشيخ محمد أبو زهرة فقد كان أحد الذين أثنوا على الأستاذ سيد قطب الثناء الحسن، وقال عنه بالنص: «لقد استقبلت ابني البار سيد قطب عندما عاد من أمريكا، وسألته: كيف حالك الآن يا سيد؟ فأجاب: أستاذي لقد ذهبت إلى أمريكا مسلماً وعدت مؤمناً».



المستشار العقيل يقدم الشيخ محمد أبا زهرة في إحدى المحاضرات

والذين أتيح لهم أن يعيشوا قريباً من الشيخ محمد أبي زهرة، يعرفون حقَّ المعرفة أي نوع من الرجال هو.

وحين شَرَّفنا بالكويت بزيارات ثلاث حاول إخواننا بجمعية الإصلاح الاجتماعي أن ينزل الشيخ على رجائهم بقبول المكافأة التي تخصّصها الجمعية لمن تستقدمهم من المحاضرين، ولكنه أصرّ وأبى، وكذلك شأنه مع مجلة «المجتمع» الكويتية التي تصدرها الجمعية وقال لهم: أنتم تقومون بعمل خيري إسلامي وهذه مشاركة مني معكم في هذا الخير وأنتم أصحاب الفضل بهذا.

يقول الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه القيّم: (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين): «كان الشيخ محمد أبو زهرة مَفزع أهل العلم في كل مشكلة تعن، وكان له من رسوخ القدم، ونفاذ البصيرة، وبلاغة اللسان، وقوة الحُجَّة ما يجعل أشدَّ الناس معارضة له، ممن يكبرون فقهه ويجلّون اتجاهه، وكانت صرامته في مواجهة الظالمين واضحة سافرة، وقد حُورب في شأنها فما استكان، حوربتْ آراؤه ومقالاته، فما كانت دور الإذاعة وجرائد الصحافة

ومجلاتها مما يخضع لسيطرة الدولة لتأذن أن يكون له موضع بين المتحدثين في مشكلات العصر.

وكان عجباً من العجب أن تسمع البرامج الدينية كل يوم في إذاعات متعددة، فلا تجد للشيخ حديثاً، وأن تقرأ الجرائد اليومية في المواسم الدينية، فتجد الصغار من تلاميذه، يملؤون الصفحات ولا تجد الأستاذ الكبير يهتف برأي، إلا إذا جاء ذكره عرضاً في مجال الاستشهاد!!

ولولا أن للرجل مجلة خاصة قام على رئاسة تحريرها مزاملاً صاحب امتيازها الأستاذ أحمد حمزة لعزَّ عليه أن يجهر بما يعتقد.

ولئن فاتته المنابر الجهيرة في الصحف والإذاعة والتليفزيون، فقد عوَّضه الله هيام الرأي العام الإسلامي بمؤلفاته الكثيرة التي تعدّدت طباعتها، وتنوّعت موضوعاتها، واتسع نطاق توزيعها في العالم الإسلامي، حتى نقلت علم الرجل إلى أناس لم يروه حين شُغفوا بآثاره».

مواقف شجاعة:

وأذكر أن حاكماً متغطرساً ساءه أن يُحارب أبو زهرة بأمره في مصر، ثم يدوّي صداه في العالم الإسلامي، فانتهز فرصة جَهَرَ فيها الشيخ الحر برأي مخالف لهوى الحاكم فدعاه كي يقول له: إنك إقطاعي، تجبي إليك كثرة مؤلفاتك ما لا يأخذه وزير مكافح!! فقال له الشيخ أبو زهرة في جراءة صارمة: «هي مؤلفات كُتِبَتْ لله، ولم تُفرض على أحد، ولم تتولَّ الدولة توزيعها قهراً على المكتبات، ودور الثقافة الحكومية لتُسجن في الرفوف دون قارئ، وليكسب أصحابها من مال الدولة ما لا يحلّه الله» - وكان الحاكم في مغرب شمسه - فآثر السكوت مغيظاً، ولكنه سمع كلمة الحق فأخذ يتلدّد غيظاً وأنهى الزيارة، فنهض الشيخ مرفوع الرأس زاهي الكبرياء.

وثانية تعرفها له في مجال العزة والشجاعة، فقد دُعي إلى مؤتمر إسلامي مع


الشيخ أبو زهرة في أواخر أيامه

جماعة من كبار العلماء في العالم الإسلامي، وقد كان رئيس الدولة الداعية ذا صدى مسموع في الناس، وبطش متعسف في بلده، فافتتح المؤتمر بكلمة يعلن فيها ما يسميه (اشتراكية الإسلام) ويدعو العلماء المجتمعين إلى تأييد ما يذهب إليه على أنه الحق الوحيد الذي لا ثاني له، وقد نظر العلماء متحيِّرين ضائقين، ولكن الأستاذ أبا زهرة يطلب الكلمة في ثقة، ويعتلي المنبر ليقول في شجاعة: «إننا نحن علماء الإسلام الذين يعرفون حكم الله في قضايا الدولة ومشكلات الناس، وقد جئنا هنا لنصدع بما نعرف، فعلى رؤساء الدول أن يقفوا عند حدودهم، فيدعوا العلم إلى رجاله ليصدعوا بكلمة الحق، وقد تَفضَّلْتَ بدعوة العلماء لتسمع أقوالهم، لا لتُعلن رأياً لا يجدونه صواباً مهما هتف به رئيس! فلنتق الله في شرع الله».

وقد فزع رئيس الدولة فطلب عالماً يخالف الشيخ في منحاه، فلم يجد أحداً يتفق معه، وكان في المدعوين عزّة وإباء، فاحتفوا بأبي زهرة مؤيدين، وفُضَّ المؤتمر بعد الجلسة الأولى، لأن صاحب الدولة قد وجد الإعصار، فخرج مغضباً يزفر» انتهى.

ويقول الأستاذ عجاج نويهض عن المؤتمر الإسلامي الذي عُقد في الجزائر عام ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، ونشرتْ عنه مجلة (الأديب) اللبنانية: «ارتقى المنبر الشيخ محمد أبو زهرة، فاشرأبت إليه الأعناق، وبدأ نقاشه، صوته يرنُّ أجمل رنين، ميازيب أفكاره تتدفق شيئاً فشيئاً، وما مضى عليَّ غير دقائق وأنا مصغ إليه،

حتى صار يبدو لي كأن هذا الرجل المرتضع من أثداء الشريعة هابط من السماء في ظُلّة.

إن فؤاد الشيخ محمد أبو زهرة موصول بينبوع روحاني، وهذا من فضل الله، يتكلم في أدق المعاني بعبارات كلها انسجام، رائعة، وديعة، طاهرة، بريئة، ما شبَّهتُه إلا بعنقود عنب في شهر أغسطس، صنعته الشمس، وسقته الندى والطّل، وجعلته أحلى من الترياق، رأيتُ المنطق هنا قرين الإيمان، والعقل والنقل يمشيان إلى الأذهان معاً، يجري هادئاً، فإذا أغمضتَ عينيكَ لتجعل حاسّة السّماع هي الناقل الوحيد لكلامه إلى ذهنك، خِلْتَ نفسك تسير في بحر ساح يتحرك رهواً، ينتقل أبو زهرة بالموعظة في أجمل دروبها، مُرصِّعاً كلامه بالآية الكريمة والحديث الشريف، وواقعة التاريخ ذات العبرة، يُقَرِّب بينك وبين العصر الذي يتكلم عنه تقريباً مدهشاً، فتخال نفسك أن الدنيا كلها في بركات إسلامية نامية، ويغرس في قلبك الإيمان المتلألئ كنور الصباح». انتهى.

وقال عنه الشيخ الغزالي: «في وجه الغمط والتجاهل نقول نحن عن الشيخ محمد أبو زهرة: إن المؤلف عن الأئمة إمام وثيق في فقهه، دقيق في علمه، وإن الرجل الذي رمق بازدراء الساسة المستبدين، وأدار وجهه عنهم مستغنياً متأبياً ينبغي أن يكون أسوة حسنة لعلماء هذا العصر، إن بقي منهم أحد، إنني واحد من كثير تتلمذوا على الشيخ أبي زهرة وصاحبوه في جهاده الطويل.

إنني أشعر بجزع وأنا أرى علماء راسخين يحيون مستوحشين ويتركون الدنيا وما هي إلا أيام، حتى يُهال عليهم وعلى ذكراهم التراب، ولقد تبعتُ جنائز بعض العلماء فهالتني قلة المشيعين على حين كانت قطعان من الدهماء تتبع جنائز بعض المجّان والمغنين!».

ويقول المحامي الحمزة دعبس: «.. كثيراً ما كان الإمام أبو زهرة يهمس في الميكرفون ويقول لطلبته: اسمعوا يا أولاد.. أنا سوف أقول لكم «كلمة سر» إياكم أن تقولوها لأحد.. ويطلق من خلال الميكرفون صاروخاً موجهاً إلى نظام الحكم

الناصري في سنوات ١٩٥٥، و١٩٥٦، و١٩٥٧م التي كانت تمثل قمة عنفوان السلطة الناصرية المتغطرسة والتي كانت تقبض على الإخوان المسلمين، وكل من يخالف رأيها وتضعهم في المعتقلات، وتمارس معهم أشد ألوان التعذيب الوحشي والبربري» انتهى.

رحم الله أستاذنا العلاّمة أبا زهرة، وألحقه بمن سبقه من العلماء والدعاة العاملين، أمثال: حسن البنَّا، وعبد القادر عودة، ومحمد فرغلي، وسيد قطب، والبشير الإبراهيمي، وأمجد الزهاوي، ومصطفى السباعي، وحسن الهضيبي، ومالك بن نبي، وغيرهم ممن حملوا أمانة العلم والدعوة، وجاهدوا في الله حق جهاده، حتى اختارهم الله إلى جواره، ورحمنا الله معهم وحشرنا وإياهم في زمرة الصالحين من عباده والحمد لله ربّ العالمين.





سماحة المفتي الحاج محمد أمين الحسيني

(١٣١١ ـ ١٣٩٤هـ = ١٨٩٣ ـ ١٩٧٤م)

مولده ونشأته:

هو محمد أمين بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني زعيم فلسطين ومفتيها الأكبر وُلد سنة ١٨٩٣م بالقدس وتعلّم فيها على يد والده فحفظ القرآن الكريم ودرس العلوم الدينية واللغة العربية ثم سافر إلى مصر وأقام فيها سنين بين الجامع الأزهر ودار الدعوة والإرشاد التي أنشأها السيد محمد رشيد رضا وتخرّج ضابطاً احتياطياً في استانبول سنة ١٩١٦م وضُمّ إلى الفرقة ٤٦ في أزمير، وعاد إلى القدس بعد الحرب.

جهاده:

نُسبت إليه اضطرابات في منطقة بيسان سنة ١٩٢٠م فطارده الإنجليز ففرَّ إلى دمشق ثم ما لبث أن عاد إلى بلده. ولما توفي أخوه كامل الحسيني مفتي القدس



المفتي محمد أمين الحسيني مع محمد علوبة باشا مع الوفد الزبيري سنة ١٩٣٦م في قضية فلسطين
الأسماء من اليمين: الحاج أحمد عبدالله العنيزي والحاج محمد سليمان العقيل،
والحاج حمد المحمد الذكير، والحاج حمد عبدالعزيز البسام والحاج طه الفياض العاني...
والواقف خلف الصف هو الأستاذ أحمد حمد الصالح

سنة ١٩٢٢م انتُخب بدلاً منه بلقب (مفتي فلسطين الأكبر) وتألف المجلس الإسلامي الأعلى فتولى رئاسته، وكان أول من نبّه إلى خطر تكاثر اليهود في فلسطين بعد وعد بلفور سنة ١٩١٧م وقد جاء بلفور مع المندوب السامي البريطاني سنة ١٩٢٥م يريدان زيارة الحرم المقدسي فمنع دخولهما، ولم تقم حركة وطنية في فلسطين أو من أجلها إلاّ وكان مدبّرها في الخفاء أو في العلن. وكان الحركة الدائمة في اللجان والوفود إلى المؤتمرات وأهمها المؤتمر



عمر بهاء الدين الأميري بجواره د. مصطفى السباعي بالزي الأزهري مع الحاج أمين الحسيني

الإسلامي الذي عقد في القدس سنة ١٩٢٨م والمؤتمر الإسلامي الذي عُقد بالقدس أيضاً سنة ١٩٣١م وقام بجولات في البلاد العربية والإسلامية استغرقت ستة أشهر سنة ١٩٣٣م لنصرة القضية الفلسطينية. وكان همّه استنهاض المسلمين للجهاد في فلسطين والحيلولة دون تهويدها، وقد شَكَّلَ عصابات سرية للجهاد ضد الإنجليز واليهود استمرت في عملها من سنة ١٩٣١م إلى سنة ١٩٣٥م حتى قامت (منظمة الجهاد المقدس) بقيادة عبد القادر الحسيني وإشراف المفتي ورئاسته السرية المباشرة وقد توالت أعمال الجهاد إلى سنة ١٩٤٨م، وفي الثورات وأهمها ثورة البراق سنة ١٩٢٩م، وثورة ١٩٣٦م التي امتازت بالإضراب العام الشامل لمدة ستة أشهر وحاولت السلطات البريطانية سنة ١٩٣٧م اعتقاله فنجا في زورق إلى لبنان وضغطت بريطانيا على فرنسا لتسليمه إليها سنة ١٩٣٩م فخرج سرّاً إلى بغداد وقامت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق سنة ١٩٤١م فأراد الإنجليز القبض عليه فغادر بغداد متخفياً إلى إيران ومنها إلى ألمانيا، وكان



عام ١٩٥٠م أمام قصر عابدين في القاهرة...
مزاحم الباجه جي، وعثمان محرم، والحاج أمين الحسيني، والرئيس القوتلي، وعبداللطيف طلعت باشا

المفتي أرسل موفداً هو (عثمان حداد) إلى ألمانيا يحمل رسالة إلى (هتلر) تتضمن المطالب التالية: (الاعتراف بالدول العربية كلها ما كان منها مستقلاً أو تحت الانتداب أو مستعمراً والاعتراف بحق العرب بإلغاء الوطن القومي لليهود بفلسطين والاعتراف باستقلال فلسطين).

جاء في كتاب زهير المارديني (ألف يوم مع الحاج أمين): «إن مصلحة أمتي هي التي تملي عليّ اختياري، إن مصير فرد لا قيمة له عندما يتعلق الأمر بمستقبل الأمة. إن انتصار الإنجليز كان يعني أن فلسطين ضائعة. إن الشعب لا يطمح إلى تحقيق أمانيه إلاّ عبر التضحيات ودم أبنائه. فمنذ عام ١٩٢٢م إلى ١٩٤١م والشعب الفلسطيني يعرف قضيته ويعرف أعداءه ويعرف من أنا ويعرف ماذا أفعل ولمصلحة من أفعل. أنا لم أذهب إلى بلاد

المحور كي أضع نفسي تحت تصرفهم. لقد ذهبت في سبيل خدمة قضيتي التي هي قضية أمتي بكاملها.. ذهبت مفاوضاً لا متعاوناً. كنت أتوق لأن تكون إقامتي ذات نفع لفلسطين خاصّة ولوطني العربي الكبير عامة وللإسلام الذي أحمل أكبر مهمة من أجل إعلاء كلمته..» انتهى.

ولم يكتف المجاهد الكبير سماحة الحاج محمد أمين الحسيني في الاهتمام بقضية فلسطين فحسب بل كان اهتمامه بالعالم العربي والإسلامي كله فقد بذل جهوده مع رشيد عالي الكيلاني وتقي الدين الهلالي في الاهتمام باستقلال البلاد العربية في المشرق والمغرب على حد سواء وبذل أقصى الجهود للحصول على الدعم من دول المحور والمطالبة بالإفراج عن السجناء العرب في السجون الفرنسية أمثال: الأمير عبد الكريم الخطابي الزعيم المغربي والزعيم التونسي صالح بن يوسف وحبيب تامر وغيرهم.

ولقد سعى المفتي لتشكيل جيش عربي يدافع عن القضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين، يقول المفتي عن هذا الجيش الذي أسسه ورعاه منذ بداية تكوينه:

«كانت هذه النواة مثلاً لجيش المستقبل الذي يجب أن يُحتذى، فلقد كانت عناصره من شتى بلدان أمتنا العربية الكبرى: المغرب، تونس، مصر، العراق، فلسطين.. وغيرها. هذا الجيش يجب أن يكون وسيلة مزج عناصر الأمة ومقدمة الوحدة. فلقد فعلت الحدود التي قامت بين أجزاء أمتنا في عصور الانحطاط والاحتلال ففرقتها فنشأت فروق في اللهجات والعادات ولا بد لتوحيد الأمة من توحيد ثقافتها» انتهى.

وقد كان لسماحة المفتي الحسيني موقف مشرّف من المسلمين البوشناق في يوغوسلافيا الذين تعرضوا للفتك على أيدي الصرب حتى إنه سافر يوم ٢٤ / ٣ / ١٩٤٣م إلى زغرب للتدخل في رفع الظلم عن مسلمي البوسنة والهرسك وسنجق حيث شكّل منهم جيشاً من الشبان للدفاع عن أنفسهم وبعد

عودته من (بوسنة سراي) كتب رسالة إلى مصطفى النحاس رئيس الوزارة المصرية آنذاك وصف له حالة المسلمين في البوسنة والهرسك ورجاه أن يعمل ما في وسعه لمساعدتهم.

وفي أواخر سنة ١٩٤٣م اشتدّت غارات طائرات الحلفاء على ألمانيا فكانت بعض الغارات تهاجم برلين بألف طائرة أو أكثر، وقد أصيبت الدار التي كان سماحة المفتي يسكنها ورفاقه عدة مرات فخرجوا من برلين إلى مناطق متعددة وقد استشهد رفيقه الدكتور مصطفى الوكيل ـ وهو مصري ومن المقربين إليه وأكبر أعوانه ويعمل في المعهد الإسلامي ببرلين الذي استشهد فيه ـ إثر غارة جوية.

وفي يوم ٥ / ٥ / ١٩٤٥م أُخرج المفتي وإخوانه إلى سويسرا ومنها إلى فرنسا حيث اعتقلهم الجيش الفرنسي يوم ١٩ / ٥ / ١٩٤٥م وقد طالب السفير البريطاني والسفير الأمريكي بتسليم المفتي لمحاكمته كما كان اليهود يصرّون على محاكمة المفتي كمجرم حرب في محكمة (نورمبرج) وعندها انتقل من فرنسا إلى مصر متنكراً بمعاونة الدكتور معروف الدواليبي واستقر فيها وكان ذلك في ٢٩ / ٥ / ١٩٤٦م.

ويروي المفتي تفاصيل فراره من فرنسا فيقول: «.. إن الدور الأول والجانب الأهم في تلك المغامرة قد قام به الصديق الكريم الدكتور معروف الدواليبي، فقد شاء له خلقه الكريم أن يعطيني جواز سفره.. واقتضى هذا تبديل الصورة وتغيير اللباس وحجز مكان ما في طائرة مسافرة من باريس إلى القاهرة وكان ركاب الطائرة خليطاً من مدنيين وعسكريين.. ولم يحدث عائق في مطار (أورلي) الذي قامت منه الطائرة من باريس إلى روما، وفي روما فحص المختصون جوازات سفر الركاب.. وكان الجو رديئاً فقضينا الليل في أحد الفنادق، وفي الصباح التالي استأنفنا السفر إلى ميناء (بيريه) في اليونان حيث هبطت الطائرة للتزود بالوقود ومنها استأنفنا السفر إلى القاهرة ولحسن الحظ لم يكن من يعرفني بين ركاب الطائرة. وفي المساء

هبطت الطائرة في مطار (بنفليد) الذي أصبح الآن مطار القاهرة الدولي، ولما تم فحص جوازات الركاب وخرجت من المطار تنفست الصعداء وحمدت الله على السلامة ورددت قول البوصيري:

عناية الله أغنت عن مضاعفة　　　من الدروع وعن عال من الأطم

ولم أشأ الركوب بالسيارة المعدة لنقل الركاب وآثرت سيارة أجرة عادية فنقلتني إلى فندق (متروبوليتان) بالقاهرة..» انتهى.

وقد تشكلت (الهيئة العربية العليا لفلسطين) بموافقة مجلس الجامعة العربية واختير المفتي رئيساً لها. وسارع المفتي وإخوانه بشراء السلاح وتنظيم قوات الجهاد وكان الشهيد يوسف طلعت والقائم مقام رشاد مهنا، وعبد القادر الحسيني وعبد الرحمن علي يقومون بالشراء وإدخال السلاح إلى فلسطين عبر



الحاج أمين الحسيني ويظهر معه الملك السابق إدريس السنوسي وعبدالرحمن عزام وحسن البنا وأحمد حسين ومكرم عبيد والشيخ يوسف يس وحافظ عفيفي وإبراهيم عبدالهادي

سيناء حيث يتم تخزين السلاح بفلسطين في بلدة (صوريف) وبلدة (بير زيت).

وأعاد المفتي تنظيم جيش الجهاد المقدس وأسند قيادته إلى عبد القادر الحسيني، كما أنشأ المفتي منظمة الشباب الفلسطيني التي انصهرت فيها منظمات الفتوة والنجادة والجوالة والكشافة، وأسند قيادتها إلى المجاهد الصالح محمود لبيب، وكيل الإخوان المسلمين لشؤون الجوّالة، وكلفه بمهمة تدريب الشباب على القتال.

وحين صدر قرار التقسيم يوم ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧م أُعلن الإضراب العام في جميع أنحاء فلسطين واشتعل القتال بين العرب واليهود **وكان من رأي سماحة المفتي عدم دخول الجيوش العربية إلى فلسطين بل تبقى على الحدود وتترك لأهل فلسطين مهمة مناجزة اليهود والاكتفاء بإمدادهم بالسلاح والأموال.**

يقول المؤرخ الفلسطيني الكبير عارف العارف في كتابه (نكبة بيت المقدس):

«إن الإمام الشهيد حسن البنا أبرق إلى مجلس الجامعة العربية في يوم ١٩٤٧/١١/٩م يقول إنه على استعداد لأن يبعث كدفعة أولى عشرة آلاف مجاهد من الإخوان المسلمين إلى فلسطين وأن الإخوان ألحّوا على الحكومة المصرية بالسماح لهم بالذهاب فرفضت، لكنهم لم ييأسوا وقاموا بمظاهرة صاخبة من الأزهر الشريف يوم ١٩٤٧/١٢/١٢م قادها المرشد العام الإمام الشهيد حسن البنا بنفسه وهم يطالبون بالجهاد. وتحت ستار القيام برحلة علمية استطاع فريق من الإخوان المسلمين أن يجتاز الترعة إلى سيناء، ومن هناك راحوا يتسللون إلى فلسطين منذ شباط (فبراير) سنة ١٩٤٨م، وتراجعت الحكومة المصرية عن موقفها فسمحت للإخوان المسلمين بالتدريب.

وفي مصر وسوريا تدرب الإخوان المسلمون ومن هذين البلدين انطلقت عدة كتائب لهم إلى فلسطين بشكل رسمي وقد قاتلت كتائبهم ببسالة وصمود، وبقي

قسم منها مرابطاً في القطاع الجنوبي في القدس حتى إعلان الهدنة فسلّم الإخوان مواقعهم إلى الجيش الأردني.

وإن الدور البطولي والجاد الذي قام به الإخوان المسلمون في المعركة هو الذي جعل لهم دوراً خاصاً ومميزاً في النضال الفلسطيني، خاصة أن الإخوان المسلمين قد أرسلوا على رأس الكتائب المقاتلة بعضاً من قادتهم، فجاءت سرية من سوريا وعلى رأسها الشيخ مصطفى السباعي ومن مصر جاؤوا بقيادة الشيخ محمد فرغلي..» انتهى.

ونشبت الحرب العربية مع اليهود ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م فقام بتأليف (جيش الجهاد المقدس) بقيادة عبد القادر الحسيني، وتوقفت الحرب بتدخل الدول الأجنبية.

وبعد الانقلاب العسكري سنة ١٩٥٢م وبعد انقلاب عبدالناصر على الرئيس محمد نجيب، اضطر سماحة المفتي للرحيل عن مصر سنة ١٩٥٩م بعد أن بدأت المضايقات تشتد عليه من الحكومة العسكرية والصحافة الرسمية المصرية حيث لاحت في الأفق بوادر الحل السلمي لقضية فلسطين على يد عبد الناصر.

ويروي المفتي بنفسه هذه المفاجأة فيقول:

«لقد وصلتني رسالة من هيئة الأمم المتحدة تخبرني أن هامرشولد يعدّ مشروعاً لحل قضية فلسطين، وأنه اتفق مع عبد الناصر على خطوطه الكبرى وأن الرئيس المصري قد وافق عليه.. فلم أُصدق.

بعثت رسالة سرية إلى الدكتور محمد الفرا ـ وكان يومها موظفاً في هيئة الأمم المتحدة وليس رئيساً لوفد الأردن ـ فجاءني الجواب بصحة النبأ، وأضاف عليه بأن هامرشولد قد اتفق مع عبد الناصر على حل هذه القضية خلال عشر سنوات مقابل ثلاثة آلاف مليون دولار تأخذ منها مصر ألف مليون دولار، وتأخذ سوريا مثلها، ويوزع الباقي على لبنان والأردن. وكان هذا المبلغ في حينها كبيراً جداً وكان بمثابة رشوة للدول العربية المضيفة للفلسطينيين.

وفجأة وبدون سابق إنذار هبت الصحف المصرية الخاضعة لإشراف الحكومة تشنُّ حملة قاسية ضد الهيئة العربية العليا ورجالها وانصبت الاتهامات على رؤوس العاملين في حقل القضية الفلسطينية.. بعثنا بردودنا فلم تنشر.. حاولنا الاتصال برجال الحكومة المصرية لمناقشتهم فرفضوا مقابلتنا، وإذا بمجلة روز اليوسف تشنُّ عليَّ حملة ظالمة لم تعرفها الصحافة المصرية من قبل.. بعثت بردّي إلى هذه المجلة فرفضت نشره، بعثت بردّي إلى الصحف المصرية الأخرى فتجاهلته، فتشنا على محامي لإقامة الدعوى على هذه الصحيفة المتجنية فلم يتجرأ أحد على الدخول في دعوى تقام ضد جريدة الثورة المقربة من السلطات...

وفي إحدى الليالي فوجئت بشاب متزن يطلب مقابلتي وهو من أبرز المحامين المصريين ـ وأُمسك عن ذكر اسمه ـ فقال لي: (أنا على استعداد لأن أقيم الدعوى على مجلة روز اليوسف ولكنني أؤكد لك أنك لن تجد قاضياً واحداً في مصر لديه الجرأة بأن يحكم ضدها، والأفضل أن تكتبوا للرئيس بذلك. (كتبت للرئيس جمال عبد الناصر مثنى وثلاث ورباع فلم أحظ بأي رد، وكان الجو في القاهرة حاراً، ولم يعد لوجودنا أي معنى طالما أننا نُشتم ونُهاجم ولا نستطيع الرد، عندها قررت أن أذهب إلى دمشق وكان ذلك يوم ١٩٥٩/٩/١٥م وأثناء مروري ببيروت رأيت من الأنسب أن أقضي فصل الصيف في سوق الغرب، وما إن علمت الصحافة اللبنانية بوصولي حتى انطلقت الصحف الناصرية في حملة سباب وشتائم في حين انبرت الصحف الحيادية بالدفاع عن القضية الفلسطينية وكشف النقاب عن أسباب هذه الحملة وعلاقتها بمشروع هامرشولد والثلاثة آلاف مليون دولار المختبئة في مشروعه المعروف ولقناعتي بأنني لا أستطيع عمل شيء بمصر هو الذي دفعني لمغادرتها والإقامة في لبنان» انتهى.

من أقوال سماحة المفتي:

«إن الحل المنشود للقضية الفلسطينية لا يتحقق بالتنازلات والمناقصات والتفريط في الحقوق الوطنية تفريطاً يقضي على كل أمل للشعب الفلسطيني في الحياة الكريمة، وليس في مجال القضية الفلسطينية أي مكان لتعايش سلمي مع أعدائنا الذين نعلم حق العلم أنهم لا يريدون تعايشاً مع أحد ولكنهم يريدون التوسع على حساب أمتنا وسلامتنا ومستقبل أجيالنا والمضي في سلب كل شيء، معتقدين أن بلادنا كلها هي لهم، بل العالم كله لهم!! وهذا الاعتقاد اليهودي ثابت وقد عرفه كل من درس تاريخ اليهود وكتبهم وعرف ماضيهم وحاضرهم وهم يخادعوننا لكسب الوقت الذي يستطيعون فيه تنفيذ مخططاتهم الرهيبة» ـ مجلة حضارة الإسلام السورية سنة ١٣٩٤هـ.

معرفتي به:

عرفته في سن مبكرة عن طريق السماع لأخباره وتحركاته في تعبئة الأمة الإسلامية للتصدي للمؤامرات التي يحوكها اليهود وينفذها أعوانهم المستعمرون وعلى الأخص الإنجليز الذين أعطوا اليهود الحق في توطن فلسطين حسب وعد بلفور المشؤوم، وكان المفتي لا يهدأ مطلقاً فهو في حركة دائبة وعمل متواصل وجهاد شاق وصبر ومصابرة، لا يقوى عليها إلا أصحاب العزائم من الرجال.

إن سماحة الحاج محمد أمين الحسيني علم من أعلام الإسلام المعاصرين، وهو في غنى عن تعريف مثلي فهو أشهر من أن يعرّف وأكبر من أن أقوم بتعريفه، فقد ملأ الدنيا ذكره، وعمّ الخافقين صيته، وأذكر أن مجلة (الإخوان المسلمون) كتبت تطالب حكومة مصر بالسماح له باللجوء إليها، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، ونشرت المجلة على صفحات الغلاف صورته وكتبت تحتها: «مهاجر

القرن الرابع عشر الهجري مفتي فلسطين الأكبر الحاج محمد أمين الحسيني»، وقد مارست جماعة الإخوان المسلمين وعلى رأسها الإمام الشهيد حسن البنا، وجماعة الشبان المسلمين وعلى رأسها محمد صالح حرب، والاتحاد العام للجمعيات والهيئات الإسلامية بمصر وعلى رأسه عبد الواحد سبل، وغيرهم من الشخصيات السياسية والوطنية مثل: محمد علي علوبة، وعبد الرحمن عزام، وعلي ماهر وغيرهم، مارس هؤلاء ضغوطاً سياسية وشعبية، حتى وافقت حكومة مصر على لجوئه رغم اعتراض بريطانيا على ذلك.

ويروي في جريدة الشرق الأوسط د. صلاح الدين المنجد قصة تهريب الحاج أمين الحسيني من سجنه الفرنسي سنة ١٩٤٦م إلى القاهرة فيقول:

«كان الدكتور محمد معروف الدواليبي قد كشف لنا النقاب حيث قال بعد تردد وإلحاح منا: إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أمراً يسّره مهما أحاط به من مصاعب، أو خُيل للإنسان أن لا سبيل إليه. فعلى إثر الحرب العالمية الثانية كانت الدول العظمى الثلاث: الولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا، وفرنسا، تلاحق الحاج أمين الحسيني، بعد أن همّوا بالقبض عليه في فلسطين ثم في لبنان ثم في العراق فأفلت منهم، واضطروه للالتحاق بهتلر، وتابع كفاحه ضد اليهود الغاصبين، فقبض عليه الفرنسيون في أسبوع إعلان الهدنة وسجنوه في مكان يصعب على أي إنسان أن يهتدي إليه؛ وكنت يومئذ في باريس لتحضير الدكتوراه، وكنت رئيس لجنة الطلاب العرب في فرنسا، فبذلنا جهوداً لا يمكن تصورها حتى اهتدينا إلى مكان سجنه الذي يبعد ثلاثين كيلومتراً عن باريس.

ولم يكن في باريس سنة ١٩٤٦م طائرات مدنية لنقل الركاب إلى الشرق، وكان هناك يومياً طائرتان مخصصتان لأمور عسكرية تسافران إلى القاهرة وشمال أفريقيا، وكان يسمح لراكب مدني واحد فقط أن يسافر على كل منهما بشرط أخذ الإذن من السفير الأمريكي بباريس، وبعد الدراسة وقع اختيارنا على الطائرة الأمريكية ليهرب على متنها، فاستطعنا بحول الله تعالى حجز مكان في الطائرة كان

مخصصاً لضابط أمريكي، أمكن حمله على التخلف ليحل محله الحاج أمين باسم مستعار، ثم حملناه إلى المطار وصعد الطائرة بكل هدوء وبشكل عادي وطبيعي ودون علم السفير الأمريكي وإذنه، وذلك بفضل تنازل الضابط الأمريكي عن مكانه. وعندما رأينا الطائرة تقلع، تنفسنا الصعداء، وبتنا ننتظر الخبر الميمون بوصوله إلى المكان المأمون. وأصبحت صائماً لله تعالى تضرعاً وخيفة. واستقبله في القاهرة من اتصلنا بهم لاستقباله، ونزل في مكان أُعدّ له بادئ الأمر سراً، وبقي فيه بضعة عشر يوماً لا يعلم العالم عنه شيئاً.

وقد نزل خبر فراره كالصاعقة على الحكومة الفرنسية، حين افتضح أمر هروبه بعد أسبوعين، فبادرت إلى اعتقالي الفوري وإجراء التحقيقات. وقام رئيس استخبارات الحلفاء بدمشق الجنرال كلايتون بنفسه بتفتيش مزرعة رئيس الوزراء جميل مردم بحثاً عن الهارب المطلوب من الجيوش الثلاثة. وبعدها ظهر الحاج أمين فجأة في قصر الملك فاروق الذي لم يسعه إلاّ الترحيب به» انتهى.

كان الإخوان المسلمون والمخلصون من قادة مصر، يبذلون قصارى جهدهم لمساعدة إخوانهم الفلسطينيين في جهادهم ضد اليهود وأعوانهم الإنجليز، حيث شرعوا في شراء الأسلحة لهم، من مخلفات الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية، بل شارك الكثير من الضباط المصريين ذوي الاتجاهات الإسلامية في تدريب الفلسطينيين ضد أعمال العصابات اليهودية التي يقوم الإنجليز بتدريبها في فلسطين ويزودونها بأسلحتهم الخفيفة والثقيلة.

ولم يكن هذا الأمر بالجديد على الإخوان المسلمين، فإن الصلة بينهم وبين سماحة مفتي فلسطين قديمة منذ سنة ١٩٣٥م، حين أرسل الإمام الشهيد حسن البنا كلاً من أسعد الحكيم وعبد المعز عبد الستار وعبد الرحمن البنا لمقابلة المفتي وعرض خدمات الإخوان للشعب الفلسطيني في جهاده، وجاؤوا بجواب الرسالة من سماحة المفتي الحسيني إلى المرشد العام حسن البنا.

وفي سنة ١٩٣٦م قام الإخوان المسلمون في جميع أنحاء مصر، بدعوة الناس

للتبرع لمجاهدي فلسطين، ونظموا حملة باسم: «ادفع قرشاً لفلسطين» وانتشروا في مساجد المملكة المصرية يخطبون في المساجد والمحلات العامة، يهيبون بالناس لنجدة إخوانهم الفلسطينيين، وقد كتب أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي مقالاً في مجلة (الرسالة) تحت عنوان: (قصة الأيدي المتوضئة) سنة ١٩٣٦م، وأثنى فيه على جهاد شباب الإخوان المسلمين وجمعهم التبرعات للمجاهدين الفلسطينيين. وذلك في أسبوع أعلنوا عنه أنه (أسبوع فلسطين) وأصدرت مجلة الإخوان المسلمين أعداداً خاصة عن (فلسطين الجريحة) ووزعت كتباً عن (النار والدمار في فلسطين) وأثاروا مشاعر الشعب المصري ونخوته لنجدة فلسطين، حتى أغضبوا حكومة مصر التي أعلن رئيسها أنه رئيس حكومة مصر لا فلسطين، وذلك من أجل إرضاء الإنجليز، الذين كانوا متنفذين في مصر، وأثارتهم غضبة الشعب المصري الصادقة وثورته العارمة لنصرة إخوانهم الفلسطينيين ونقمتهم على الإنجليز لمساعدتهم اليهود.

وحين أُعلن قرار تقسيم فلسطين يوم ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧م، هاجت الشعوب العربية والإسلامية وعمّت المظاهرات الصاخبة أنحاء العالم الإسلامي، وتعرضت المصالح الأجنبية لاعتداءات الجماهير الغاضبة فسارعت الجامعة العربية إلى عقد مؤتمر لتقرر دخول الجيوش العربية إلى فلسطين وفق مخطط أجنبي، يُظهر عجز الجيوش العربية عن التصدي لليهود وعجزها عن الحيلولة دون إقامة دولة إسرائيل في أرض فلسطين.

غير أن القوى الوطنية ـ والحركة الإسلامية في مقدمتها ـ عقدت مؤتمراً شعبياً في القاهرة تكلم فيه حسن البنا ومحمد صالح حرب ومحمد علي علوبة وعبد الواحد سبل وأحمد حسين وصبري عابدين (مندوب أمين الحسيني) وغيرهم، وكان الجميع يعارضون الجامعة العربية في إدخال الجيوش العربية إلى فلسطين لأنها ستكون ملزمة بالقرارات الدولية ومنصاعة لتنفيذها لأن الدول هي التي أصدرت قرار التقسيم الجائر.

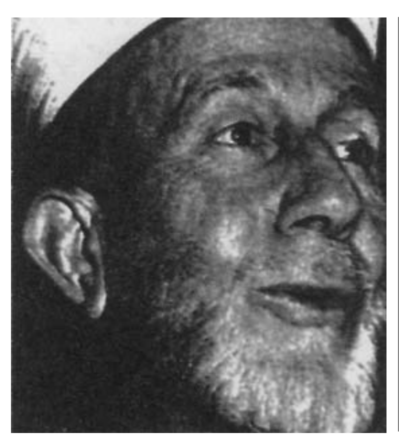
ولقد طالب القادة في المؤتمر الشعبي بتسليح شعب فلسطين وتزويدهم بالمعونات اللازمة، وفتح المجال أمام المتطوعين من البلاد العربية والإسلامية، للمشاركة في الذود عن الديار المقدسة بفلسطين، غير أن المؤامرة سارت في مسارها ودخلت الجيوش العربية، وكان ما كان من مهزلة الهدنة الأولى والثانية والثالثة وتولى الجنرال الإنجليزي (كلوب باشا) القيادة الفعلية لهذه الجيوش العربية التي انسحبت وأسلمت البلاد وأهلها لليهود الذين أقاموا المجازر والمذابح على مرأى ومسمع من العالم أجمع.

موقف مشرّف:

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر الإسلامي الكبير علي أحمد باكثير نشر في جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية الصادرة بتاريخ ١٨ / ٤ / ١٩٤٨م ـ أي قبل إعلان قيام دولة إسرائيل بأقل من شهر ـ رسالتين متبادلتين بين الملك عبد العزيز ابن عبدالرحمن آل سعود والرئيس الأمريكي ترومان حول قضية فلسطين مسجلاً للملك عبد العزيز موقفه المشرّف والواضح والصريح من قضية فلسطين في لحظة حاسمة من تاريخها العصيب.

فقد كان الملك عبد العزيز في منتهى الدقة والحزم في ما كتبه للرؤساء الأمريكيين في ما يخص قضية فلسطين محذّراً من مغبّة التورّط والتمادي في تأييد الكيان الصهيوني وقد نُشرت معظم هذه الرسائل في الكتب التي تعنى بتاريخ الملك عبد العزيز وفي مقدمتها كتاب (شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز) لمؤلفه خير الدين الزركلي. وأقدمها رسالته للرئيس روزفلت بتاريخ ٢٩ / ١١ / ١٩٣٨م حيث جاء فيها: «... إن قضية فلسطين قد نُظر إليها من وجهة نظر واحدة. هي وجهة نظر اليهود والصهيونية وأُهملت وجهات نظر العرب...» كما أرسل عدة رسائل للرئيس ترومان بتاريخ ١٥ / ٩ / ١٩٤٦م، و١ / ١١ / ١٩٤٦م، و٢٥ / ٢ / ١٩٤٨م يقول فيها:

«... إن الحق الطبيعي للعرب في فلسطين يرجع إلى آلاف السنين، إن اليهود ليسوا إلاّ فرقة ظالمة باغية معتدية.. أضف إلى ذلك أطماعهم التي يبيتونها ليس لفلسطين وحدها، بل لسائر البلاد العربية المجاورة ومنها بعض الأماكن في بلادنا المقدسة.. وبهذه المناسبة أحبُّ أن أذكر فخامتكم بأن الحكومة البريطانية هي التي أعطت وعد بلفور وهي التي نقلت المهاجرين اليهود إلى فلسطين تحت حماية حرابها وهي التي آوتهم وآوت زعماءهم ولا تزال توليهم من شفقتها ورحمتها بهم... إن القرآن الكريم الذي به نؤمن وعليه نحيا وعليه نموت، قد لعن اليهود كما لعنتهم التوراة والإنجيل، وهو يوجب علينا أن نمنع اعتداءاتهم على هذه الأرض المقدسة بأرواحنا وأموالنا، ولا يقبل منا في ذلك صرفاً ولا عدلاً... لقد كان في ممالأتكم السافرة لأعدائنا الصهيونيين وموقف حكومتكم العدائي نحو العرب ما يكفي ليحملنا على قطع الصلات بين بلدينا وفسخ عقود الشركات الأمريكية وإلغاء الامتيازات التي خولناها لها. لولا أننا آثرنا ألاّ نعجل باتخاذ مثل هذا الإجراء لعل حكومة الولايات المتحدة تراجع نفسها وتصحح موقفها من قضية فلسطين، فتعدل عن تأييد الباطل الواضح إلى تأييد الحق الواضح دون ضغط منا أو تهديد بقطع مصالحها الاقتصادية في بلادنا...» انتهى.



أقوال العلماء فيه:

يقول العلاّمة الكبير أبو الحسن الندوي في كتابه القيّم (شخصيات وكتب):

«إن حادثة وفاة سماحة المفتي الأكبر الحاج السيد محمد أمين الحسيني حادثة

عمَّت العالم الإسلامي كله وهزّته، وحقّ للمسلمين جميعاً أن يتبادلوا التعازي كأفراد أسرة فُجعت في أحد آبائها أو مربيها وقد فقد العالم الإسلامي في شخصه أقدم زعيم وأكبر مجاهد وأعظم بطل من أبطال قضية المسجد الأقصى والقدس الشريف، وقد خُتم بوفاته كتاب في الجهاد والإخلاص للعقيدة والفكرة والوفاء للمبدأ والغاية، ولقد سعدنا بزيارته في ندوة العلماء بمدينة (لكنهؤ) سنة ١٩٣٣م مع زميله الكبير الأستاذ محمد علي علوبة في جولة دعائية للجامعة الإسلامية ثم التقيته في القاهرة والمدينة المنورة.

رحمة الله عليك يا أبا صلاح الدين ويا مجاهد فلسطين رحمة الأبرار الصالحين والأمناء الصادقين والمجاهدين المستميتين، فقد فارقت هذه الحياة وفي نفس يعقوب حاجة ما قضاها وأمنية لم تقرّ عينه بتحققها؛ بل انتقلت إلى جوار ربك مفجوعاً بما رأيت في آخر أيام حياتك، وذهبت إلى ربك جريح الفؤاد، حزين القلب، محطم الأعصاب، غير راضي النفس، ولا قرير العين، بما اتفق عليه قومك من وضع السلاح والاكتفاء من الغنيمة بالإياب، وترك المسجد الأقصى والقدس الشريف على ما كانا عليه، وأنت الآن في كنف رحمة الله تثاب على عملك وجهادك ولا تُسأل عن عمل غيرك.

لقد حدَّثتني حين زرتك في القاهرة يوم ٧ / ٨ / ١٣٧٠هـ ـ ١٣ / ٥ / ١٩٥١م عن تاريخ جهاد فلسطين ومطامع اليهود السافرة حتى أطماعهم في احتلال المدينة المنورة وخيبر ومستعمرات اليهود القديمة، ومطالبتهم بذلك بكل صراحة والتهيؤ والاستعداد له ونفاق الإنجليز وكيدهم للمسلمين والروح الصليبية الكامنة في نفوسهم بل البادية في أحاديثهم وأعمالهم ﴿**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**﴾، [آل عمران: ١١٨]. وسذاجة الشعوب الإسلامية وسرعة انخداعها وأخطاء الدول العربية وغفلتها عن مصيرها والأخطار الصهيونية التي تهدد كيانها واشتغال ملوك العرب بنفوسهم وترفهم وجناية الجامعة العربية على قضية فلسطين بتكفلها بهذه القضية ثم



المفتي الحاج محمد أمين الحسيني مع الملك فيصل

تقاعسها عنها، وعزل الشعب الفلسطيني المجاهد عن السلاح وتسليم المناطق العربية لليهود. وقد أثنى رحمه الله على الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله وأثنى على الإخوان المسلمين المجاهدين في فلسطين وأثنى على رجولتهم وقوة إيمانهم وحماستهم وقال:

«كان الواحد منهم يقاتل عشرات من اليهود» انتهى.

ويقول الشيخ محمد زهير الشاويش:

«لا أعرف زعيماً عربياً في مكانة الحاج أمين ـ رحمه الله ـ توافرت له الرؤية الواضحة، والنظرة السليمة، والصمود الذي لا يجعله يتزحزح عما يراه حقاً قيد أنملة وكفاه بهذا فخراً. لقد سمعته أكثر من مرة يتحدث بلهجة فيها كل العمق والنضج السياسي عن السلطان عبد الحميد الذي لم يخضع لطلب اليهود بإعطائهم وعداً بإنشاء وطن قومي لهم وقال: «إن فلسطين ليست ملكاً لي حتى أعطيكم منها، بل وقف إسلامي ملك للأمة الإسلامية كلها»».

وكان الحاج أمين يرى أن حياتنا السياسية، لا بد أن تكون مبنية على أسس

سليمة تحول دون المفاسد مرتكزة على قواعد الإسلام، وأننا في معركة فلسطين أضعنا الكثير من قوتنا عندما تجاهلنا المسلمين» انتهى.

إن سماحة الحاج أمين الحسيني لم يدخر وسعاً على كل صعيد، وفي كل مجال شعبي ورسمي، عربي وإسلامي ودولي، وظل المجاهد الذي لا يكل ولا يمل، رغم تقدم السنّ، وضخامة الأحداث وقوة الأعداء وقلة الأنصار، وتكالب الخصوم، وتصدع الجبهات الداخلية، وكان أمله أن العلاج هو ما شرعه الإسلام، وهو الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، ومن هنا كان دوره في تعضيد كل عمل جهادي يستهدف اليهود، باعتبارهم جرثومة الفساد في العالم والسوس الذي ينخر في المجتمعات، ولا علاج لهم إلا بالقتل والاستئصال من الأرض، لأنهم المفسدون في الأرض على مدار التاريخ كله.

آخر زياراتي له:

زرته في بيروت أواخر أيامه مع بعض الإخوة الكويتيين والسوريين والمصريين، فوجدت هذا الشيخ المهيب، والكهل الوقور، يتوقد حماساً يفوق حماس الشباب، ويعرض الأمور ويحلّل الأحداث بعين الناقد البصير والسياسي المحنك والخبير المجرب، وكانت وصيته أن لا نقطع الأمل، وأن نبقى على العهد، في مواصلة الجهاد، وأن تظل راية الإسلام مرفوعة، يسلمها الجيل الحاضر إلى الذي يليه، حتى يقضي الله أمره، ويحقق وعده فالنصر آت لا محالة، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فلنثق بموعود الله، ولنحسن التوكل عليه، ونخلص النية له، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

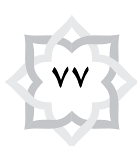
وفاته:

ولقد اختاره الله إلى جواره بمدينة بيروت (يوم ١٤ / ٦ / ١٣٩٤هـ - ٤ / ٧ / ١٩٧٤م) حيث دُفن في مقبرة الشهداء في المرج وقد بكاه العالم

الإسلامي، فقد كان القائد الفذّ والرجل الصلب الذي استعصى على الوعد والوعيد والترغيب والتهديد، ولم يتنازل قيد شعرة عن حقوق المسلمين ومقدّساتهم في فلسطين ولم يفرط بشبر من أرض المسلمين ولا باع الأرض والعرض بثمن بخس كما يفعل المنهزمون والمستسلمون وعبيد الدينار والكرسي من الأذناب والعملاء وأشباه الرجال من الأقزام المهازيل والدمى المتحركة وأحجار الشطرنج، ولم يهب اليهود رجلاً كما هابوه ولم يكرهوا أحداً كما كرهوه ولم يحاربوا أحداً كما حاربوه، كما هللت بريطانيا لموته وصدّرت جريدة التايمز البريطانية مقالها الذي عقّبت فيه على وفاة الحاج أمين الحسيني بهذه الكلمات: (مات عدو الصهيونية والإمبراطورية البريطانية).

رحمك الله يا أبا صلاح رحمة واسعة وجزاك عن الإسلام والمسلمين والذود عن مقدساتهم خير ما يجزي عباده الصالحين وجمعنا الله بك في جنات النعيم مع الأنبياء، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين.





العالم العلاّمة محمد البشير الإبراهيمي

(١٣٠٦ ـ ١٣٨٥هـ = ١٨٨٩ ـ ١٩٦٥م)

مولده ونشأته:

هو محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر الإبراهيمي، مجاهد جزائري من كبار العلماء والدعاة وأفذاذ الرجال.

وُلد يوم الخميس ١٣ / ١٠ / ١٣٠٦هـ في بلدة (سطيف) ونشأ فيها وينتسب إلى قبيلة (ريغه) الشهيرة بأولاد إبراهيم بن يحيى بن مساهل. أخذ العلم عن الشيخ عبد العزيز الوزير والشيخ محمود الشنقيطي والشيخ حمدان الونيلي والشيخ الطيب بن مبارك الزواوي وغيرهم.

رحل إلى المشرق سنة ١٩١١م، وأقام في المدينة المنورة إلى سنة ١٩١٧م ثم في دمشق إلى سنة ١٩٢١م. وعاد بعدها إلى الجزائر. وقد نشطت حركة زميله وصديقه الشيخ عبد الحميد بن باديس فأصبح له نحو ألف تلميذ وأنشأ (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) سنة ١٩٣١م وتولى ابن باديس رئاستها والإبراهيمي النيابة عنه.

نفيه واعتقاله:

وقد أُبعد الإبراهيمي إلى صحراء وهران سنة ١٩٤٠م وبعد وصوله إلى معتقل الصحراء بأسبوع توفي الشيخ ابن باديس، فقرر رجال الجمعية انتخاب الإبراهيمي لرئاستها، واستمر في معتقل (أفلو) الصحراوي من سنة ١٩٤٠م إلى سنة ١٩٤٣م.

وبعد إطلاق سراحه أنشأ في عام واحد ثلاثاً وسبعين مدرسة وكتّاباً؛ وكان الهدف نشر اللغة العربية، وجعل ذلك عن طريق تحفيظ القرآن الكريم، إبعاداً لتدخل سلطات الاحتلال الفرنسي؛ وقد تسابق الجزائريون على بناء المدارس فزادت على أربع مئة مدرسة.

وفي سنة ١٩٤٥م زُجّ به في السجن العسكري ولقي تعذيباً شديداً من الفرنسيين، ثم أُفرج عنه، فقام بجولات في أنحاء الجزائر لتجديد النشاط في إنشاء المدارس والأندية والكتاتيب، ثم استقرّ به المقام سنة ١٩٥٢م بالقاهرة. وحين اندلعت الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٤م قام برحلات إلى الهند وغيرها لإمداد الثورة بالمال والسلاح.

جهوده وجهاده:

وفي فترة إقامته بالقاهرة كان يقيم المحاضرات في المركز العام للإخوان المسلمين ويحدّثهم عن الجزائر وأوضاعها والاستعمار الفرنسي وتسلّطه على الشعب الجزائري المسلم.

وحين حصلت الجفوة بين جماعة الإخوان المسلمين ورجال الثورة المصرية سنة ١٩٥٤م حاول أن يبذل جهده للإصلاح والتوفيق ولكن الأمر قد تفاقم وعزّ العلاج. وقد عاد إلى الجزائر بعد انتصار الثورة الجزائرية.

إن العلاّمة المجاهد البشير الإبراهيمي من أفذاذ علماء الجزائر ودعاتها ومجاهديها وهو رئيس (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بعد الشيخ عبدالحميد بن باديس.

وكان العلاّمة الإبراهيمي عالماً في الفقه والتشريع واللغة والأدب، وخطيباً مفوّهاً وشاعراً كبيراً يهزّ المنابر بجزالة ألفاظه، ويثير المشاعر بقوة أشعاره، إذا خطب فهو الأسد الهصور في زئيره والبركان الثائر في هديره، يأخذ بمجامع القلوب ويشد إليه الأسماع ويجلجل بكلمة الحق وينبري للدفاع عن الإسلام بقوة الحجة ونصاعة البرهان وجزالة اللفظ، وحلو البيان.

معرفتي به:

سعدنا به أوائل الخمسينيات حين كنا ندرس بجامعة الأزهر يحاضرنا بدروسه القيمة ومواعظه النافعة ويرشدنا لما يجب علينا القيام به كشباب مسلم يضطلع بمسؤولية حمل الدعوة ويحمّلنا الأمانة باعتبارنا رجال الغد وأمل المستقبل



عام ١٩٥٣م في القاهرة: البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني ومحمد محمود الصواف وعبدالله العقيل ومحمد خميس حميدة ود. أحمد العسال

ويوضّح لنا الأخطار التي تحيط بأمتنا والاستعمار البغيض الذي أناخ بكلكله على أوطاننا فاستغل خيراتها ونهب ثرواتها واستذلّ شعوبها وغزاها بأسلحة الدمار العسكرية والغزو الفكري والتحلل الخلقي والتفسخ الاجتماعي وكـان ـ رحمه الله ـ يُلهب حماسنا ويستجيش مشاعرنا ويُعبئ طاقاتنا ويشدنا إلى العمل البنّاء والدعوة الحكيمة والموعظة الحسنة، ويطلب منا الصبر والمصابرة على وعثاء الطريق وأن نتحلى بصفات الرجولة الحقّة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع مثل قوله تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ**﴾ [النور: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**﴾ [يس: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

توجيهاته وإرشاداته:

يقول: إن للرجولة ضريبة وعليها مسؤوليـة لأن الرجـال هم الـقمم الشامخة والعلامات البارزة والأئمة الدعاة الذين يقودون الأمة إلى مواطن النصر.

ومن أجمل ما قال شعراً في هذا المجال قصيدة أحفظ منها قوله:

لا نرتضي إمامنا في الصفّ ... ما لم يكن أمامنا في الصفّ

أي أننا لا نرتضي أن يؤمنا في الصلاة إلا الذي يقودنا في الجهاد.

يرى البشير الإبراهيمي أن أسلوب التربية هو أساس عملية التغيير سواء في النفس أو في المجتمع، وهو الأسلوب الملائم لمواجهة الاستعمار قديمه وحديثه، لأن الاستعمار يهدم والتربية تبني، والاستعمار يجتث وهي تزرع. وكان يرى أن التغيير ينبع من الداخل، بإعادة بناء كيان الإنسان النفسي والعقلي والوجداني على أسس صحيحة من العقيدة الحقّة والإيمان العميق والفكر

المتبصّر، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِم**﴾ [الرعد: ١١]، ويعتقد أن فلسفة التربية ذات نفس طويل لكنه أكيد المفعول وبهذا يتفق في المنهج والأسلوب مع الإمام حسن البنا.

والتعليم عند الشيخ الإبراهيمي ليس مجرد حشو لأدمغة التلاميذ بمعلومات كثيرة ينسونها بالسرعة التي تعلموها بها ولكنه فقه وعمل.

ومن أقواله:

«إن شباب الأمة هو الدم الجديد في حياتها، فمن الواجب أن يصان هذا الدم، عن أخلاط الفساد، ومن الواجب أن يتمثّل فيه الطهر والفضيلة والخير.

وهذه الطلائع لا تحقّق رجاء الأمة إلاّ إذا انقطعت للعلم، وتخصّصت في فروعه، ثم زحفت إلى ميادين العمل مستكملة الأدوات، تامة التسلح، تتولى القيادة بإرشاد العلم، وتحسن الإدارة بنظام العلم، فتثأر لأمتها من الجهل بالمعرفة ومن الفقر بالغنى ومن الضعف بالقوة، ومن العبودية بالتحرر وتكتسح من ميادين الحق بقايا الدجالين ومن ميدان السياسة والنيابة بقايا السماسرة والمتجرين، ومن أفق الرياسة بقايا المشعوذين والأمّيين».

آثاره ومؤلفاته:

كان من أعضاء المجامع العلمية العربية بدمشق والقاهرة وبغداد، وله شعر إسلامي يعتبر ملحمة في تاريخ الإسلام، بلغ حوالي ستة وثلاثين ألف بيت، كان ينشره في مجلة (البصائر) التي كان رئيس تحريرها؛ وهو من خطباء الارتجال المفوّهين. وقد طُبعت مقالاته في كتاب (عيون البصائر)، كما أن له كتباً أخرى منها: (شعب الإيمان) و(الثلاثة) و(حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام) و(الاطراد والشذوذ في العربية) و(التسمية بالمصدر) و(أسرار الضمائر العربية) و(الصفات التي جاءت على وزن فَعلَ) و(كاهنة أوراس) و(نظام العربية في موازين كلماتها) و(رسالة في ترجيح أن الأصل في الكلمات العربية ثلاثة أحرف

لا اثنان) و(نشر الطي من أعمال عبد الحي) و(ملحمة شعرية) و(رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية) و(الأخلاق والفضائل) وغيرها كثير جداً.

قال الشيخ ابن باديس عنه: «عجبتُ لشعب أنجب مثل الشيخ الإبراهيمي، أن يضلَّ في دين، أو يخزى في دنيا، أو يذلَّ لاستعمار».

من أقواله:

«إن فرنسا قد جهلت أو تجاهلت أن أبناء الجزائر، كغيرهم من أبناء العروبة، قد انحدروا من أصلاب قوم كرام يأنفون الذل، ولا يصبرون على الضيم، بل كانوا يؤثرون الموت في عزة وكرامة، على الحياة في ذلة ومهانة. وإني أؤمن إيماناً صادقاً أن لا بقاء للاستعمار في أمة مسلمة؛ لأن مبادئ هذا الدين، وتعاليمه، وتوجيهاته، خير دعامة للحرية، وأقوى حافز إلى الثورة ضدّ الذل والعسف.

إن الدين يأمرنا بالاتحاد، والتعاون، والتآزر، ويفرض علينا القتال والنضال، كلما خِيْفَ على حرّيتنا أن تُسلب، وعلى كرامتنا أن تُهْدَر، فكيف يتفق أن يكون للاستعمار بقاء مع هذه المبادئ العظيمة التي قرّرها الدين؟».

ويقول عن لقائه بأخيه الشيخ عبد الحميد بن باديس في المدينة المنورة: «كنا نؤدي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبويّ، ونخرج إلى منزلي، فأسمر مع الشيخ ابن باديس منفردين إلى آخر الليل، حين يفتح المسجد، فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح، ثم نفترق إلى الليلة الثانية، إلى نهاية الأشهر الثلاثة التي أقامها الشيخ في المدينة المنورة، وكانت هذه الأسمار المتواصلة كلها، تدبيراً للوسائل التي تنهض بها الجزائر، ووضع البرامج المفصَّلة لتلك النهضات الشاملة التي كانت كلها صوراً ذهنية تتراءى في مخيلتنا، وصحبها من حُسْن النيّة، وتوفيق الله، ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة، وأشهد الله على أن تلك الليالي من سنة ١٩١٣ ميلادية، هي التي وُضعتْ فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي لم تبرز للوجود إلا في سنة ١٩٣١م».

نماذج من شعره:

ومن أشعاره قوله في قصيدة (سكتُّ وقلتُ):

سكتُّ فقالوا: هدنة من مسالم وقلتُ، فقالوا ثورة من محاربِ

وبين اختلاف النطق والسكت للنهى مجال ظنون واشتباه مساربِ

وما أنا إلاّ البحر يلقاك ساكناً ويلقاك جيّاشاً مهول الغواربِ

وما في سكون البحر منجاة راسب ولا في ارتجاج البحر عصمة ساربِ

وقوله في قصيدة (الإسلام وفضائله):

شعارك الرحمة والسلام للعالمين واسمك الإسلام

الحق من سماتك الجليّةْ العدل من صفاتك العليّةْ

والعقل منذ كنت من شهودِكْ والفكر بعد العقل من جنودِكْ

ذلك هو الشيخ المجاهد والعالم الجهبذ والداعية الحكيم العلاّمة البشير الإبراهيمي الذي شَرُفَتْ به ساحات النضال وميادين الجهاد يصول ويجول، يذود عن حمى الإسلام ويدافع عن حياضه ويربي جماهير الأمة على منهج الإسلام الحق وصراط الله المستقيم ويعطي الشباب المسلم من خبراته وتجاربه الشيء الكثير.

زيارتنا له:

ولن ننسى له ونحن في فورة الشباب وحماس الفتوة كيف كان بالترحاب يلقانا مع رفقائه في الجهاد والنضال من شخصيات العالم الإسلامي الذين اتخذوا من القاهرة مقراً، أمثال المجاهد التونسي الكبير محيي الدين القليبي والشاعر اليمني محمد محمود الزبيري والزعيم المغربي علاّل الفاسي والمجاهد الكبير عبد الكريم الخطابي والداعية المجاهد الفضيل الورتلاني وغيرهم من القادة والزعماء الرجال.

وكان طلاب البعوث الإسلامية بالأزهر يتحركون بالإسلام في أوساط طلاب الجامعات المصرية الأربع، ويؤكدون في علاقاتهم على معاني الأخوة الإسلامية الحقّة قولاً وعملاً مقدمين رابطة الإسلام على ما عداها من روابط الجنس أو اللغة أو الوطن أو القومية أو القبيلة، مقتفين أثر الرسولﷺ الذي جمع بلالاً وعماراً وسلمان وصهيباً وأبا بكر وعمر فكانوا الجيل الفريد الذي اجتمع تحت راية الإسلام تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتم أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وبهذه الأخوة الإيمانية وهذا الحب العميق فتحوا الدنيا كلها بإسلامهم وأقاموا أعظم الحضارات بجهادهم وحققوا التكافل بأخوتهم فأشرقت الدنيا بنور الإسلام وسعدت بتعاليمه وسادت بأخلاقه وفضائله.

وسرنا نحن شباب الإسلام في الخمسينيات على هذا الطريق وانطلقنا بتوجيه أساتذتنا ومشايخنا نردد قول الشاعر المسلم:

أبـي الإسـلام لا أب لـي سـواه ... إذا افتـخـروا بـقـيس أو تـمـيـم

وانبرى الطغاة وعملاؤهم يكيدون للإسلام وأهله ويمكرون الليل والنهار لوأد هؤلاء البراعم الذين تفتّحت قلوبهم للإسلام ويضعون كل العراقيل في طريق الدعاة إلى الله ويحاولون بكل وسيلة إيقاف المدّ الإسلامي الذي انطلق بقوة من الجامعات والمدارس يتصدّى للاستعمار ورموزه، فكان ما كان من السجون التي فُتِحتْ، والمشانق التي نُصبتْ، والبيوت التي هُدمتْ، والأموال التي نُهبتْ، والأعراض التي هُتكتْ، مما يعرفه القاصي والداني عن طاغية العصر جمال عبد الناصر الذي أعلن الحرب على الإسلام ودعاته وتقرّب إلى الأعداء بالعدوان على أبناء جلدته وصدق فيه قول الشاعر:

عـبـيـد لـلأجـانب هـم ولـكـن ... عـلـى أبـنـاء جـلـدتـهـم أسـود

وكان هذا الفرعون الصغير صاحب الوزر الأكبر فيمن سار على نهجه من الطغاة والبغاة وأشباه الرجال في البلاد العربية والإسلامية وغيرها.

وفاته:

ومع كل ذلك ظلّ الإسلام وسيبقى، وظلّ الدعاة إلى الله يتحركون بالإسلام ويعملون في سبيل مرضاة الله، وكان من الأمثلة الصادقة للجهاد أستاذنا العلاَّمة محمد البشير الإبراهيمي الذي انتقل إلى رحمة الله في الجزائر وهو رهن الإقامة الجبرية في منزله وذلك يوم ٢٠ / ٥ / ١٩٦٥م أجلْ.. وضعوا العالم العامل المجاهد العظيم، الإمام في الإقامة الجبرية؛ لأنه أصدر بياناً باسم جمعية العلماء الجزائريين بعد الاستقلال يحذر فيه من المبادئ المستوردة، رأى فيه الرئيس الجزائري تعريضاً به وبنظام حكمه مما دعاه لفرض الإقامة الجبرية على الشيخ الإبراهيمي إلى أن توفي رحمه الله رحمة واسعة ووفق أحد تلامذته لإتمام مسيرته لخدمة الإسلام والمسلمين.

يقول الشاعر الإسلامي وليد الأعظمي في الترحيب به في بغداد:

باسم الأخوة أستهل كلامي ... وبه أفيض على الورى أنغامي

أبشيرنا بالعز جئت فمرحباً ... بك يا بشير النصر والإقدامِ

لازلت يا نعم الإمام منارة ... من نورها ينجاب كل ظلامِ

لك في الأمور (بصائر) نفّاذة ... تسودّ منها أوجه اللّوَّامِ

أما البيان فقد ملكت زمامه ... ولبست تاج العزّ والإكرامِ

لله درّك من إمام ناصح ... حُرٍّ أبيٍّ عالم مقدامِ

الله أكبر في الجزائر ثورة ... قامت على الآمال والآلامِ

رحم الله شيخنا المجاهد، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الشيـخ العلاّمــة محمد تقي الدين الهلالي (أبو شكيب)

(١٣١١ ـ ١٤٠٧هـ = ١٨٩٣ ـ ١٩٨٧م)

مولده ونشأته:

هو العالم المغربي والعلاّمة اللغوي الشيخ الدكتور محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، وكنيته (أبو شكيب)، فقد سمى أول ولد له على اسم صديقه الأمير شكيب أرسلان، تيمّناً به، ولعلّه يكون مثله.

وُلد الهلالي في قرية (الفرخ) من بادية سجلماسة في المغرب عام ١٣١١هـ، التي هاجر إليها أجداده من (القيروان) في تونس في القرن التاسع الهجري، وكانت الأسرة أسرة علم، إذ كان والده وجده من العلماء الفقهاء المعروفين.

وقد قرأ على والده، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم سافر إلى الجزائر لطلب الرزق عام ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٤م، فقصد الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي وبقي يتعلم في مدرسته سبع سنين، إلى أن توفي شيخه الشنقيطي عام ١٣٣٨هـ، وكان من أفضل العلماء في الزهد والتقوى ومكارم الأخلاق.

وفي عام ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢١م عاد الهلالي إلى المغرب وتلقَّى بعض الدروس على العلماء في مدينة (فاس)، وكان من شيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم الشيخ الفاطمي الشراوي، والشيخ محمد العربي العلوي، والشيخ أحمد سوكيرج، كما حصل على شهادة من جامع القرويين.

وبعد ذلك سافر الهلالي إلى القاهرة، والتقى الإمام السلفي المصلح المجدد السيد محمد رشيد رضا وبعض العلماء السلفيين، أمثال: الشيخ محمد الرمالي، والشيخ عبد العزيز الخولي، والشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ محمد عبد الرزّاق، والشيخ محمد أبو زيد، وغيرهم من العلماء بمصر، كما حضر دروس القسم العالي بالأزهر.

ومن مصر توجه إلى الحج، ثم إلى الهند، وفيها اجتمع بعلماء أهل الحديث وأخذ العلم عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، وهو أفضل علماء الهند في ذلك الزمان صاحب كتاب (تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي)، وأقام الهلالي في الهند ثلاث سنوات.

ومن الهند توجه إلى «الزبير» في العراق ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٣م، والتقى العالم الموريتاني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، وتزوج ابنته وأقام ثلاث سنوات، ومن الزبير سافر إلى مصر، ثم إلى المملكة العربية السعودية، وقد أعطاه السيد محمد رشيد رضا توصية وتعريفاً إلى الملك عبد العزيز آل سعود قال فيها: «إن محمد تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا من علمه».

في ضيافة الملك عبد العزيز:

أقام الهلالي في ضيافة الملك عبد العزيز آل سعود بضعة أشهر، ثم عُين مراقباً للتدريس في المسجد النبوي، وبعد سنتين نُقل إلى المسجد الحرام والمعهد السعودي بمكة المكرمة لمدة سنة، ثم جاءته رسائل من إندونيسيا ومن الهند،


د. تقي الدين الهلالي في شبابه

وكلها تطلبه للتدريس في مدارسها، فاستجاب لدعوة السيد سليمان الندوي بالهند عام ١٩٣٠م، وصار رئيس أساتذة الأدب العربي في كلية ندوة العلماء في مدينة لكنو بالهند، حيث بقي ثلاث سنوات تعلم فيها الإنجليزية، وأصدر باقتراح من الشيخ سليمان الندوي وبمساعدة الطلاب: مسعود عالم الندوي، وأبو الحسن الندوي، ومحمد ناظم الندوي وهم تلامذته، مجلة (الضياء) عام ١٩٣٢م، ثم عاد إلى الزبير وعمل مدرساً بمدرسة النجاة الأهلية التي أسسها الشيخ الشنقيطي والد زوجته.

وبعد ثلاث سنوات سافر إلى مدينة جنيف في سويسرا، ونزل عند الأمير شكيب أرسلان الذي كتب له توصية إلى أحد أصدقائه في وزارة الخارجية الألمانية في برلين قال فيها:

«عندي شاب مغربي أديب ما دخل ألمانيا مثله، وهو يريد أن يدرس في إحدى الجامعات، فعسى أن تجدوا له مكاناً لتدريس الأدب العربي براتب يستعين به على الدراسة».

والهلالي غني عن التعريف، فقد احتل مكانة عظيمة لدى العلماء في الهند وغيرها، وقال عنه أبو الحسن الندوي في كتابه (في مسيرة الحياة):

«إن قدوم الهلالي إلى الهند من أهم الأحداث التي صنعت تاريخاً مجيداً، فهو من أساتذة اللغة العربية الذين يُحتج برأيهم، وقد كان الحكم بين رشيد رضا والأمير شكيب أرسلان في قضايا اللغة العربية وتعبيراتها، كما جاء في كتاب شكيب أرسلان (السيد رشيد رضا وإخاء أربعين عاماً)» انتهى.

وسرعان ما جاء الجواب بالقبول من وزارة الخارجية الألمانية، وسافر الهلالي

إلى ألمانيا وعُيّن محاضراً في جامعة (بون) وشرع يتعلّم اللغة الألمانية، وحصل على دبلومها بعد عام، ثم صار طالباً بالجامعة مع كونه محاضراً فيها، وفي تلك الفترة ترجم الكثير من الألمانية وإليها، وبعد ثلاث سنوات في بون انتقل إلى جامعة برلين طالباً ومحاضراً ومشرفاً على الإذاعة العربية ١٩٣٩م، وفي ١٩٤٠م قدَّم رسالة الدكتوراه، التي فنَّد فيها مزاعم المستشرقين أمثال: مارتن هارثمن، وكارل بروكلمان، وكان موضوع رسالة الدكتوراه (ترجمة مقدمة كتاب الجماهر من الجواهر مع تعليقات عليها)، وكان مجلس الامتحان والمناقشة من عشرة من العلماء، وقد وافقوا بالإجماع على منحه شهادة الدكتوراه.

مراسل صحفي:

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية سافر إلى المغرب بتكليف من سماحة الحاج محمد أمين الحسيني في مهمة سياسية، وقد زوّده السفير المغربي عبد الخالق الطريسي بجواز سفر على أنه من أهالي (تطوان) التي تقع تحت الحماية الإسبانية حيث أقام خمس سنوات.

ويروي الأستاذ محمد المجذوب في كتابه القيم (علماء ومفكرون عرفتهم) على لسان الدكتور الهلالي أنه تلقى في فترة إقامته بتطوان خطاباً من الإمام الشهيد حسن البنا ـ المرشد العام للإخوان المسلمين ـ يقول فيه:

«لنا مكاتبون ومراسلون من جميع أنحاء العالم الإسلامي إلا المغرب، فأرجو منك أن تبحث لنا عن مراسل، وتخبرنا بقدر المكافأة التي يتطلبها عن كل مقال يرسله إلى صحيفة الإخوان المسلمين، وإن قدرتَ أنتَ أن تقوم بهذا الأمر فهو أحبُّ إلينا...».

يقول د. الهلالي: «فقبلتُ الطلب، وبدأتُ أراسل صحيفة الإخوان المسلمين سراً بواسطة البريد الإنجليزي في تطوان، ولكن الإسبانيين كانوا قد اتفقوا مع أحد الموظفين المغاربة في البريد الإنجليزي أنه متى رأى رسالة أو مقالاً لا

يذكرهم بخير، ينسخ لهم نسخة منه، ويعطونه مكافأة عظيمة على كل رسالة أو مقال، فأطلعهم هذا الموظف على جميع المقالات التي أرسلتها إلى صحيفة الإخوان المسلمين، فقبضوا عليَّ وزجوني في السجن، ولم يوجهوا إليَّ أي اتهام، وبقيت ثلاثة أيام، فاحتج أهل المدينة وأذاعت محطة لندن باللهجة المغربية هذه الحادثة والاحتجاج فأطلقوا سراحي» انتهى.

وفي ١٩٤٧م سافر الشيخ الهلالي إلى العراق، وقام بالتدريس بالجامعة في كلية الملكة عالية ببغداد كأستاذ مساعد ثم أستاذ، وبقي إلى ١٩٥٨م حين قام الانقلاب العسكري في العراق، فغادرها عام ١٩٥٩م إلى المغرب وعمل أستاذاً في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس، وفي ١٩٦٨م تلقى دعوة من سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعمل أستاذاً بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منتدباً من المغرب وبقي يعمل إلى عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م فقد ترك الجامعة وتفرغ للدعوة بالمغرب.

بداية معرفتي به:

كانت بداية معرفتي بأستاذنا الجليل محمد تقي الدين الهلالي من خلال ما كنت أسمعه عنه من العم محمد السليمان العقيل الذي كان من أعز أصدقائه، ثم قــرأتُ له في مجلة (الإخوان المسلمون) عام ١٩٤٦م قصيدة عصماء يندد فيها بالاستعمار الفرنسي، ولا يحضرني منها الآن سوى مطلعها:

أعادي فرنسا ما حييتُ وإن أمت   فأوصي أحبائي يعادونها بعدي

فازداد حبي له، وتشوَّقتُ للاتصال به فراسلته في (تطوان) على عنوان مجلة (لسان الدين) التي كان يصدرها بالتعاون مع الشيخ عبدالله كنون كبير علماء المغرب، وكانت أعدادها تصل إلى مكتب العم محمد العقيل، وقد سُمِّيت المجلة بهذا الاسم تيمناً باسم لسان الدين بن الخطيب الأندلسي، ومن ذلك الوقت توثقت صلتي بالشيخ الهلالي، فلما قَدِمَ إلى العراق واستقر بها سنة

١٩٤٧م وصار يلقي دروسه في الحديث الشريف، والتفسير، في جامع ملاّ خطاب في الأعظمية، بتكليف من الشيخ الصواف، ما بين المغرب والعشاء من يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وكان شباب الإخوان يحضرون دروسه، وذاع صيته في العراق، ووصل إلينا في (الزبير) ـ بادرت للتعرف إليه، وزرته في بيته ببغداد أكثر من مرة، واستفدت من علمه، وقد حدثني عن صلته بالإخوان المسلمين، وأثنى عليهم خيراً، كما حدثني عن الإمام الشهيد حسن البنا وأبدى إعجابه به وبطريقته في الدعوة وعلّق عليه الآمال الكبار وفي سنة ١٩٤٩م جاءتني رسالة منه في بغداد يوصيني بالشيخ مسعود عالم الندوي ورفيقه محمد عاصم الحداد اللذين سوف يزوران العراق بتكليف من السيد أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بباكستان، وقد سعدنا بهما في البصرة والزبير، وقد بذلت مع إخواني: عبدالله الرابح، وعبد العزيز الربيعة، وعمر الدايل، وعبد الهادي الباحسين، وعبد الصمد الرديني، وعبد الواحد أمان ما نستطيع من جهد لمساعدتهما في مهمتهما، ومن خلالهما اطلعنا على مؤلفات المودودي وعرفنا الكثير عن الجماعة الإسلامية في الهند وباكستان.

يحدّثنا العم محمد السليمان العقيل عن صديقه الهلالي فيقول:

«كانت صلتي بالهلالي قديمة منذ قَدِمَ إلى الزبير، وكانت لنا معه لقاءات يشارك في بعضها الشيخ ناصر الأحمد والشيخ عذبي الصباح والشيخ جاسم العقرب، والهلالي عالم فاضل متمكّن من علمه وأديب شاعر فحل».

ويروي لنا الهلالي عن صديقه محمد العقيل فيقول:

«كان أبو قاسم مبتدئاً بالعمل التجاري، فوعدني أنه إذا فتح الله عليه واتسعت تجارته فلن يتخلى عني، وكان ذلك أوائل الثلاثينيات الميلادية، ولما عدت إلى العراق سنة ١٩٤٧م بعد غربة طويلة، ذكَّرته بوعده، وطلبت منه المساعدة لشراء بيت لسكناي ببغداد وكان ذلك من خلال قصيدة نظمتها وأرسلتها له فكانت استجابته سريعة ووفى بوعده جزاه الله خيراً».

وأنا لا يحضرني من قصيدة الهلالي سوى مطلعها:

أبا قاسم قد جئتُ أستنجز الذي وعـدت بـه قـدمـاً وأنت كـريـمُ

أعيـذك بـالـرحـمـن مـن شرٍّ مارد يـزيـن لك الإخـلافَ وهـو ذميـم

ويحدثنا بعض الطلبة الذين درسوا على يده في مدرسة النجاة الأهلية في الزبير أنه رجل عالم، ومدرس فاهم، ومربٍ حازم، غزير الإنتاج، وافر العطاء، شديد الملاحظة للأخطاء اللغوية، فلا يتساهل فيها، كما يروون شدته وحزمه مع الطلاب ومحاسبته لهم، إذا ما قصّروا في أداء الواجبات، حتى إن بعض الطلاب الكسالى كانوا يتربصون به في الطريق ويقذفون عليه الحجارة ثم يهربون ولا يعرفهم أحد، فضاق بهم ذرعاً وكتب مقالاً يهاجمهم وأولياء أمورهم في جريدة (السجل) لصاحبها طه الفياض ومجلة (الفتح) لصاحبها محب الدين الخطيب، وعنوان المقال (أعيلان أم غيلان؟) وقد أحدث هذا المقال ضجة حملت أولياء الأمور على مراقبة أبنائهم وتأديبهم وإلزامهم الانتظام في الدراسة واحترام المدرسين وخاصة بعد أن وصف الهلالي الأبناء بـ(الغيلان) وهم أبناء الشياطين؟!

أفكاره:

إن الشيخ الهلالي كان صوفياً حين كان في المغرب أول نشأته، ثم التزم المنهج السلفي وصار من دعاته النشيطين، ولكنه كان متفتحاً غير متزمت ومجتهداً غير مقلد، وقد أكسبته الأسفار الكثيرة إلى البلاد العربية والهند وسويسرا وألمانيا، ولقاؤه العلماء في العالم العربي والإسلامي، صفات العالم



زهير الشاويش ـ تقي الدين الهلالي ـ محسن سليم

العامل والداعية الواعي، والمصلح الحكيم والمجاهد الصادق، وكان منهجه في التعليم والتربية، الحرص على غرس التوحيد، والالتزام بالأركان والعمل بالأصول، والبعد عن مواطن الخلاف في الفروع، والاستفادة مما لدى الغرب من تقدم علمي، فالحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها.

وفي فترة وجوده بالمدينة المنورة أستاذاً بالجامعة الإسلامية كنت أزوره حين حضوري لاجتماعات المجلس الأعلى الاستشاري للجامعة وكنت عضواً فيه، ونغترف من فيض علمه ومعارفه ونتدارس معه أوضاع المسلمين في كل مكان، وسبل النهوض بهم، ومهمة الدعاة إلى الله وضرورة صبرهم وثباتهم على ما يلقونه من ظلم الطغاة، لأن المهمة شاقة والطريق طويل وقد حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّتْ النار بالشهوات.

كما أنه شرّفني في بيتي بالكويت حين زارها أواخر السبعينيات الميلادية من القرن العشرين، وتناولت أحاديثه ذكرياته في الزبير والهند وألمانيا والمغرب.

وشاعر أيضاً:

والدكتور الهلالي له قصائد كثيرة في مناسبات عدة ولكنها تحتاج إلى جمع وتوثيق للزمان والمكان والمناسبة التي قيلت فيها ونرجو أن يضطلع بذلك ابنه الأخ شكيب الهلالي وتلامذته وأحبابه في المغرب، أمثال الأخ الدكتور عبد السلام الهراس وإخوانه.

وله قصيدة في تحية الزعيم المغربي عبد الخالق الطريسي سنة ١٣٥٦هـ نقتطف منها هذه الأبيات:

سنا الحرية الغراء لاحا ... فصيَّر حندس الظلما صباحا
وأحيا ميِّت الآمال لمَّا ... أهاب بنا إلى العليا وصاحا
سلاح الحق لا يخشى فلولاً ... ويلقى من يصول به النجاحا
تحارب باغياً وتميتُ جهلاً ... ونور العلم تجعله السلاحا

فيصبح قومك الأموات أحيا ... وتنشرح الصدور لك انشراحا
وتنهض بالبلاد إلى المعالي ... وتفتتح الطريق لها افتتاحا
تبدِّل ضيمها عزاً وفخراً ... وتملؤها ابتهاجاً وارتياحا

وقال في قصيدة يُحيي الزعيم العراقي رشيد عالي الكيلاني أذيعت في محطة برلين سنة ١٩٤١م :

يا مقبلاً من غزوة متأهباً ... للقاء أخرى ليس بالمتواني
تهديك وثبتك العظيمة إنها ... فجر الجهاد وأول الفرقان
لك في قلوب العرب حب صادق ... ومكانة جلَّت عن التبيان
وبكل أرض رفعة وجلالة ... في الناء من أرجائها والداني
الفضل فيك سجية موروثة ... عن جدك المختار من عدنان

ومن قصيدة نظمها في انتقاد أخلاق بعض الموظفين الكسالى وترفعهم عن الناس وتأخير معاملاتهم نقتطف منها :

بلدة أصبح الموظف فيها ... جالساً في السماء فوق السحاب
حالة تضحك العدو وتبكي ... بدماء معاشر الأحباب
أبهذي الأخلاق يرجع مجد ... ضاع منكم في غابر الأحقاب؟
فإلى الله نشتكي من زمان ... فاسدٍ جاءنا بكل عجاب

وحين سأل الأستاذ المجذوب الشيخ الهلالي عن أحب العلوم إليه أجاب: «أحبها إليَّ علوم الحديث وعلوم القرآن لأني أحب اتباع الكتاب والسُّنَّة وأكره مخالفتهما، ثم علم النحو وسائر علوم الأدب، ثم علم اللغات».

مؤلفاته:

وللشيخ الهلالي مؤلفات كثيرة ما بين صغير وكبير ومن أهمها: الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري (المجلد الأول فقط)، الإلهام

والإنعام في سورة الأنعام، الإسفار عن الحق في مسألة السفور والحجاب، القاضي العدل في حكم البناء على القبور، الأنوار المتبعة في تحقيق سُنَّة الجمعة، قبسة من أنوار الوحي، الصبح السافر في حكم صلاة المسافر، العلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنشور في بدع القبور، آل البيت ما لهم وما عليهم، أحكام الخُلع في الإسلام، حاشية على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل، حاشية على كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب، أهل الحديث، الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق، دليل الحاج إلى مناسك الحج، العقود الدرية في منع تحديد الذرية، دواء الشاكين وقامع المشككين في الرد على الملحدين، البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية وبريء من الألوهية، فكاك الأسير العاني المكبول بالكبل التيجاني، سب القاديانيين للإسلام والرد عليهم، الرجعية والتقدم، تقويم اللسانين، رحلة من الزبير إلى جنيف، رحلة إلى درعة بالمغرب، من يرافقني إلى برلين؟، الهاديات، حواشي شتى على إنجيل متّى، الصديقات الثلاث (قصة)، تاريخ اللغة السامية، رحلة إلى ألمانيا، الطبقات عند العرب، تمثيليات طيف الخيال لمحمد بن دانيال، الجماهر في الجواهر (رسالة الدكتوراه)، مدنية العرب في الأندلس (مترجم عن الإنجليزية)، كتاب البلدان لمحمد بن الفقيه البغدادي (مترجم إلى الألمانية بالاشتراك)، لسان الدين (المجلد الأول) المجلة التي كان يصدرها بتطوان، فضل الكبير المتعالي (ديوان شعر محمد تقي الدين الهلالي)، وغيرها من الكتب والبحوث والمقالات، فقد كان الهلالي من المواظبين على الكتابة في مجلة (الفتح) لمحب الدين الخطيب، ومجلة (المنار) لمحمد رشيد رضا ومجلة (الإخوان المسلمون)، ومجلة (الضياء) وغيرها.

كما أن له محاضرات ودروساً وندوات وأحاديث لا يمكن الإحاطة بها في هذه العجالة، لأنها في موضوعات عدة، وبلدان متفرقة، وأزمان مختلفة.

حدثني الأخوان عمر الدايل وعبد العزيز الناصر عن الشيخ الهلالي ـ حين زاراه في بيته بالمدينة المنورة ـ عن موقف من مواقفه، قال الشيخ الهلالي: كنت إمام المسجد الذي بناه الحاج مصطفى الإبراهيم في منطقة الدورة بالبصرة، وفي مرة تأخر الحاج مصطفى عن موعد الصلاة، فأقيمت وصليت بالناس دون انتظاره، وبعد الصلاة عاتبني كيف تقام الصلاة قبل حضوره، فأجبته: إن وقت المغرب قصير، ولا يصح التأخير، فقال الحاج مصطفى الإبراهيم: ألا تعلم يا شيخ تقي الدين أنني أملك نصف منطقة الدورة؟ فأجبته: وأنا أملك النصف الآخر، وأنا إمام المسجد!! وتأزّم الموقف وغادرت المنطقة ولم أعد.

ومن الجدير بالذكر أن مصطفى الإبراهيم كان في الهند وزار إحدى المكتبات وكان يقلب ديوان المتنبي فاستشكل عليه، فسأل صاحب المكتبة عن المعنى فأشار عليه بسؤال الهلالي الذي كان بالمكتبة، وقال: لا ينبئك مثل خبير (يعني الهلالي) ومن هنا جاء التعارف بين مصطفى الإبراهيم والهلالي، ودعاه للإمامة والتدريس بالبصرة بمنطقة الدورة، فوافق الهلالي وسافر.

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة (بين الأمس واليوم): «أحب أن أصارحكم، إن دعوتكم ما زالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها، ستلقى منهم خصومة شديدة، وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات، وفي هذا الوقت وحده، تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات، سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام، وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم.

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم وسيستعينون

في ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدي الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان، وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم ومعتدين بأموالهم ونفوذهم». انتهى.

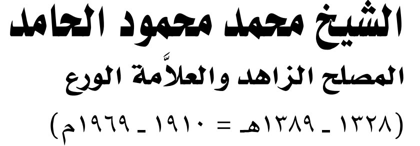
إن أستاذنا الشيخ الهلالي علم من أعلام الإسلام، ومجاهد من المجاهدين العظام، كانت له آثار في كل مكان زاره أو استقر فيه، وله من الطلاب والمحبين آلاف مؤلفة في أنحاء العالم الإسلامي، ولقد تزوج حين كان في ألمانيا بمسلمة ألمانية وله منها ولد، كما تزوج في المغرب من مغربية وله منها أولاد، كما تزوج بالمدينة المنورة وله منها بنت، بالإضافة لزوجته الأولى عائشة أم شكيب بنت العلاّمة الشيخ الشنقيطي، التي لها منه ولد هو شكيب وبنت هي خولة، وقد تزوجها في الزبير.

وقد وافته المنيّة في منزله بالدار البيضاء بالمغرب يوم الاثنين ٢٥ من شوال ١٤٠٧هـ الموافق ٢٢ من يونيو ١٩٨٧م وشيع جنازته جمهور كبير من العلماء والمفكرين والمثقفين والسياسيين.

نسأل الله أن يتغمده برحمته ورضوانه وأن يدخلنا وإياه في جنته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.







الشيخ محمد محمود الحامد

المصلح الزاهد والعلاَّمة الورع

(١٣٢٨ ـ ١٣٨٩هـ = ١٩١٠ ـ ١٩٦٩م)

مولده ونشأته:

ولد في مدينة (حماة) بسورية سنة ١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م، وبعد ستة أعوام، توفي والده، ثم والدته، وعاش حياته يتيم الأبوين، وكان أخوه الأكبر: بدر الدين الحامد، وعمره خمس عشرة سنة هو الذي ينفق عليه حتى أكمل دراسته الابتدائية سنة ١٩٢٢م، ثم اشتغل عند معلم خياطة للملابس العربية ليتعلم مهنة الخياطة، وفي الوقت نفسه يتابع طلب العلم الشرعي لدى العلماء في المساجد، وحين افتتحت (دار العلوم الشرعية) سنة ١٩٢٤م في حماة، ترك الخياطة والتحق بها، وكانت أيام المدرسة الشرعية أسعد أيام حياته، فقد كان الأول بين أقرانه، مع الاستمرار في طلب العلم بالحلقات العلمية في المساجد، وكان من مشايخه: الشيخ محمد سعيد الجابي، والشيخ محمد توفيق الصباغ، والشيخ محمد سعيد النعساني، والشيخ أحمد المراد.

سيرته العلمية والعملية:

وفي سنة ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م أنهى الشيخ محمد الحامد دراسته في مدرسة (حماة الشرعية)، فرحل إلى مدينة (حلب) وانتسب إلى (المدرسة الخسروية الشرعية) فيها، وكانت تلك المدرسة تعتبر أرقى المدارس الشرعية في بلاد الشام، فواصل دراسته فيها، مع حضور دروس المشايخ في مساجد حلب، وبخاصة في حلقة عالم حلب الكبير الشيخ نجيب سراج الدين، وكذلك عند الشيخ أحمد الزرقاء الفقيه الجليل، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ إبراهيم السلقيني، والشيخ محمد الناشد، والشيخ راغب الطباخ، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ أبوالنصر خلف الحمصي، وغيرهم..

وفي سنة ١٣٥٣هـ عاد إلى (حماة) بعد أن أنهى دراسته في حلب، ورحل بعد ذلك إلى مصر سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨م ملتحقاً بالأزهر الشريف، ليتم دراسته العالية فيه، وفي مصر تعرّف على الإمام الشهيد حسن البنا، وتحولت هذه المعرفة إلى علاقة حميمة وحب أخوي صادق، كما ذكر الشيخ الحامد ذلك بنفسه بعد سنين... قال:

«... والذي أثَّر في نفسي تأثيراً من نوع خاص، وله يد في تكويني الشخصي، سيدي وأخي في الله وأستاذي الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله وأغدق عليه غيوث الإحسان والكرم، صحبته في مصر سنين، وحديثي عنه لو بسطته، لكان طويلاً، ولكان قِطعاً من قلبي، وأفلاذاً من كبدي، وحرقاً من حرارة روحي، ودموعاً منهلة منسجمة تشكل سيلاً من فاجع الألم، وعظيم اللوعة. ولكنني أكتفي بالإيجاز من الإطناب، وبالاختصار من التطويل، وقد بكيته كثيراً بعد استشهاده، على نأي الدار، وشط المزار، ولا أزال أذكره حتى ألقاه في زمرة الصالحين إن شاء الله تعالى وتبارك.

إنه أخي قبل إخوتي في النسب، ولما وافاني نبأ اغتياله قلت: إن موت ولديَّ ـ ولم يكن لي غيرهما حينئذ ـ أهون عليّ من وفاة الأستاذ المرشد.

وكنت رأيت فيما يرى النائم ليلة قُتل، ولا علم عندي بالذي حصل، رأيت أننا في معركة مع اليهود، وقد بدأت القهقرى في جندنا، حتى إني لأمشي منحنياً لئلا يصيبني رصاصهم، فاستيقظت واستعذت بالله من شرّ هذه الرؤيا.

وفي النهار ألقى إليَّ بعض الناس الخبرَ، فكان وقعه أشد من شديد، وكان تأويل رؤياي.

إني لأقولها كلمة حرة، ولا بأس بروايتها عني، أقول: إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين، في مجموع الصفات التي تحلَّى بها، وخفقت أعلامها على رأسه الشريف، لا أنكر إرشاد المرشدين، وعلم العالمين، ومعرفة العارفين، وبلاغة الخطباء والكاتبين، وقيادة القائدين، وتدبير المدبرين، وحنكة السائسين، لا أنكر هذا كله عليهم، من سابقين ولاحقين، لكن هذا التجمع لهذه المتفرقات من الكمالات، قلَّما ظفر به أحد كالإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله.

لقد عرفه الناس وآمنوا بصدقه، وكنتُ واحداً من هؤلاء العارفين به، والذي أقوله فيه قولاً جامعاً: هو أنه كان لله بكليته، بروحه وجسده، بقالبه وقلبه، بتصرفاته وتقلبه، كان لله فكان الله له، واجتباه وجعله من سادات الشهداء الأبرار.

إن سيدي وأخي الإمام الشهيد، ذو وفاء في حياته وبعد وفاته، فقد تراءى لي في المنام كثيراً في مدى سنين، وقد رأيتُ فيما يُرى: أني جالس معه في جملة من أصحابنا، على مائدة فيها أطباق خبز، وأطباق ريحان يؤكل، لكنه ريحان من النوع الممتاز، فاستيقظتُ وذكرتُ قوله تعالى: ﴿**فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم**﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩].

وكان زميل الشيخ الحامد في الدراسة بمصر: الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي من مدينة (حمص) بسورية، وكان السباعي يثني على زميله الشيخ الحامد بقوله: «إنك مدهش، من أين لك معرفة كل هذه الأحكام؟!».

تحريضه على الجهاد:

وبعد أن أنهى الشيخ الحامد دراسته العليا في مصر بتفوق، طلب منه المشرفون على الأزهر أن يدخل قسم التخصص العالي، ولكنه أبى وآثر العودة إلى بلده (حماة)، وعاد إليها سنة ١٣٦٢هـ ـ ١٩٤٢م واستقرّ فيها، وكانت البلاد في ذروة جهادها الوطني، من أجل الحصول على الاستقلال، وكان من خطبه الحماسية في التحريض على المستعمرين الفرنسيين قوله:

«... أما بعد: فالمعهود بإزالة النجاسة استعمال الماء، وإن تفاحش غلظها أضيف إليه التراب، قال ﷺ: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم، فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب» ولكن هناك نجاسة لابستنا ربع قرن، ولا ينفع في إزالتها ماء ولا تراب، ولا يقلعها إلا الحديد والنار.

أيها المسلمون، أعدِّوا أنفسكم للجهاد، وطِّنوها على الموت، موت شريف خير من حياة تعيسة، ضربة بسيف في عزّ، خير من صفعة بيد في ذلّ، طعنة برمح في شرف، أحبُّ إلى القلب الكبير من نظرة شزراء في مهانة، ركوب الصعاب والأهوال في ارتفاع، أجمل بكثير من الراحة والدعة في استخذاء.

أيها الإخوان.. لقد استخفتْ فرنسا بنا، وخاستْ بكل العهود، ولم ترع للمواثيق حرمة، لقد طلبت منا أخيراً أن نقبل أموراً فيها ترسيخ أقدامها في هذه البلاد، واستعباد أهلها، فاغضبوا ثم اغضبوا، وثوروا ثم ثوروا، فما عاد السكوت ينفع، وما عاد السكوت يفيد، لقد كان نبيكم صلوات الله وسلامه عليه يرتجز هو وأصحابه قائلين:

المشركون قد بغوا علينا

وإن أرادوا فتنة أبينا

أبينا أبينا

وما أجدرنا بإعادة ذلك الرجز قائلين:

هذي فرنسا قد بغت علينا

وإن أرادت فتنة أبينا

رددوا معي: أبينا.. أبينا.. أبينا

أيها الإخوان: إن العالم يرقبكم وينظر من قرب ومن بعد إلى هذا الصراع بين الحق والباطل، بل إن رسول الله ﷺ وأصحابه ينظرون ما أنتم فاعلون بما خلّفوا لكم من تراث مجيد، عجنوه بدمائهم في هذه الأرض، أم أنكم تضنون بها، فلا يكون لكم حظ من هذا السخاء الشريف»؟

نصرة فلسطين:

ولما وقعت مأساة فلسطين، تألّم الشيخ الحامد كثيراً جداً، ودعا إلى الخروج للجهاد، وأراد أن يخرج بنفسه ولكن كبار العلماء أشاروا عليه بالبقاء لحاجة الأمة إليه، ولكثرة عدد المجاهدين المتطوعين، فانضم الشيخ الحامد إلى لجان مساعدة اللاجئين، وجمع المعونات المادية لهم، وكانت خطبه المنبرية، ومقالاته في الصحف والمجلات كلها عن نصرة الشعب الفلسطيني وكان يقول:

«إن حالنا مع اليهود لا تقبل هدنة، ولا تدنو من صلح.. إنها عقدة لا تحلها إلا القوة التي تخضد شوكتهم، وتكسر رؤوسهم، وتردّهم على أعقابهم مدحورين، فلنأخذ بأسباب هذه القوة».

جهوده العلمية:

لقد عاش الشيخ الحامد طيلة حياته مدافعاً عن الحق.. والقرآن الكريم، والسُّنة المطهرة هما المحوران الأساسيان لحياته العلمية والعملية.. فكانت دروسه في مسجد السلطان بحماة، تتناول التفسير، والسيرة، والحديث، والفقه، والفتاوى، والاستفتاءات الشرعية.

من مؤلفاته:

نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام.

ردود على أباطيل.

تحريم نكاح المتعة في الإسلام.

حكم الإسلام في الغناء.

رحمة الإسلام للنساء.

آدم لم يؤمر باطناً بالأكل من الشجرة.

القول في المسكرات وتحريمها من الناحية الفقهية.

حكم اللحية في الإسلام.

التدارك المعتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر.

بدعة زيادة التنويرات في المساجد ليالي رمضان وغيرها.

لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسماً للفوضى الدينية.

حكم مصافحة المرأة الأجنبية.

مجموعة خطب منبرية.

تعليقات وحواش على كتاب الهدية العلائية.

تعليقات وحواشٍ على كتاب: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي... وغيرها.

من أقواله:

«... وبعد فالسلفية الحقّة مجتمعة مع الصوفية الصحيحة، متى حسن الفهم، وصحّ العزم على الجمع الذي هو شأن الدعوة، وأرب الإخوان، وإذا زخرفت الصوفية بالروحانية الغامرة، والرقة العميقة، فليست بمنكرة على أختها السلفية تحريها تنقية الإسلام مما لابسه من الغرائب عنه كي يعود إلى صفائه وخلوصه، لا يفترق الأخذ بالعزائم، وعمق الفهم لأسرار الدين، عن نفي ما علق به من أدران،

ولحق به من أوضار عبر الأزمان، ولا يصطدم هذا والنزوع إلى الخطة الأولى، إلى الإسلام العتيق الصافي، الذي سارت فيه القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية...».

من أشعاره:

مناجاة الرسول

يا حبيب الرحمن يا صفوة الخل ... ق ويا منيتي وراحة روحي

يا وليي وسيدي وإمامي ... أنت لي خير مشفق ونصيح

لا أبي لا أخي ولا صدر أمي ... لا ولا ذو الإخاء خدن روحي

بلغوا شأوك العلي ببر ... أو وفاء أو في الحنان الصحيح

يا بنفسي لقاً ولو طرف عين ... وبأهلي وكل غال ربيح

حب هذا النبي سرُّ انقيادي ... وأخو الحب ما به من جموح

فراق مصر

ذبتُ يا مصر مذ عزمتُ رحيلا ... ولو اسطعتُ عشت فيك طويلا

صانك الله من صروف الليالي ... وتناءت من جانبيك قفولا

ليت شعري يا مصر هل ثمَّ عودٌ ... بعد بُعد وهل أنال وصولا

أنا إن عشتُ عن حماها بعيداً ... تخذ القلب نحو مصر سبيلا

حنين إلى حماة

يا عين جودي بدمع منك مدرارِ ... على زمان مضى والأهل والدار

أيام أرتع في ظل النعيم ومن ... طيب المسرة قد قضّيت أوطاري

سقياً لدهر مضى والأنسُ يجمعنا ... وينجلي البدرُ محفوفاً بأزهار

رعى الإله بقاعاً طاب مربعها ... فيها حييت وفي جنباتها داري

مداعبة

يا عصبة الفول دمتم لي ودمت لكم ... ودام مربعكم بالفول مزدانا
عشقتم الفول أشياخاً وشبانا ... وقد أقمتم لهذا العشق برهانا
هذي قدوركمُ بالفول زاخرة ... أزيزها ملأ الأكوان ألحانا
وريحها عطّر الأرجاء قاطبة ... حتى غدا كل قلب فيه ولهانا
وقد أحبكم من ليس يعرفكم ... «والأذن تعشق قبل العين أحيانا»
يا عترتي يا أُهيلَ الفول مجدكمُ ... سامٍ وحاسدكم قد بات حيرانا
أكلتم الفول حتى جل قدركم ... ونلتم بهواه في الملا شانا
يا ويل من لا له في جمعنا صلة ... حقٌّ له أن يذوق الجوع ألوانا

معرفتي به:

الشيخ محمد الحامد العالم الرباني، يمثل السلف الصالح في إخلاصهم وزهدهم وتجردهم وصفائهم، فقد كان عالماً كبيراً، عاش ينشر العلم بقلمه ولسانه وسلوكه، كان صوفياً محباً امتلأ قلبه بحب الله ورسوله ﷺ وحب صحابته، وكان في تصوفه وقّافاً عند حدود الكتاب والسنة، بعيداً عن كل ما يخالفهما، شعاره: «العلم أمير على التصوف» متخلقاً بالأخلاق المحمدية، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، يحترق لوعة وغيرة على الإسلام والمسلمين، وقد سعدتُ بلقائه في سورية مع إخوانه الدعاة: مصطفى السباعي، ومصطفى الزرقا، ومحمد المبارك، وغيرهم من العلماء وأبناء الحركة الإسلامية في بلاد الشام، الذين أكرمني الله بالاستفادة من فيض علمهم، وبرامج عملهم، ومناهج سلوكهم في السير في طريق الدعوة الإسلامية المباركة: دعوة الحق والقوة والحرية.

قالوا عنه:

قال عنه الأستاذ عبدالله الطنطاوي:

«لله رجال.. منهم العالم العامل، والمجاهد المصلح الزاهد: الشيخ محمد الحامد يرحمه الله رحمة واسعة...

ولا ينقضي عجبي من هذا الرجل الكبير في عقله وعلمه، الصادق بعواطفه ومشاعره.. إنه يحمل قلب شاعر، ونفس ثائر، وعنفوان الشباب لم يفارقه في شيخوخته واكتهاله.

كنا نستمع إليه، فتفور الدماء في عروقنا، وخاصة عندما يتحدث عن الرسول ﷺ القائد العظيم، وعن أصحابه العظماء الأبرار. فقد كان حبه لهم أكبر من أن يحيط به وصف.

وكذلك عندما كان يحدثنا عن شيخه العالم الرباني الإمام حسن البنا رحمهما الله رحمة واسعة... كان حبه إياه بلا حدود.. كان ومازال يذكّرني بالحب الحقيقي في الله ولله.. الحب الخالص من أي شائبة، فيهزني بعنف، وأغبطه على ذلك الحب، وعلى تلك اللقاءات الحبيبة التي لا تعدلها إلا لقاءاتنا، نحن فتيان الإخوان، بقائدنا العظيم مصطفى السباعي.

ويا ما سمعنا أعذب الأحاديث وأصدقها من السباعي عن الحامد، فقد كانا أخوين في الله، أخوة قلّ نظيرها في هذا الزمان.

كنا نشمّ رائحة الإمام البنا وتقواه وعظمة نفسه، وربانيته، في أحاديث الشيخ الحامد، وفي سيرته الطاهرة، كما في كلام القائد المجاهد مصطفى السباعي عن الإمام وعن الشيخ.. وكلما تذكرتُ أحاديث أحدهما عن الآخر، أو أحاديثهما عن شيخ العصر وإمامه حسن البنا، فاضت العبرات، وهاجت العواطف، فقد خلا الميدان من هؤلاء العظماء، في الليلة الظلماء».

صفاته:

للشيخ الحامد صفات ومزايا اشتهر بها وعُرف لدى كل من زامله أو صاحبه أو صادقه، أبرزها شدة الورع الذي ضرب به أروع الأمثلة في هذا العصر المادي، كما اشتهر بالزهد، والتواضع، ودماثة الأخلاق، ولطف المعاملة، والوفاء لأهل الوفاء، كما اشتهر بالجرأة في قول كلمة الحق، وبالحكمة، والغيرة على دين الله ومحارمه.. جمع بين العلم والأدب والفقه والشعر، وسلك طريق التصوف الملتزم بكتاب الله وسنَّة نبيه ﷺ، وحذَّر من المتصوفين المبتدعين ومن شطحاتهم، وكان لا يقبل الهدايا حتى من تلاميذه، ويطلب من البائعين أن يعاملوه كسائر الناس، فلا يرضى منهم أن يخفّضوا له ثمن ما يشتريه منهم، وكان ذا قلب رحيم، يحرص على تخفيف آلام المتألمين، ومواساة المحزونين، ويتفقد اليتامى والأيامى والأرامل والمحرومين، ويصلح بين المتخاصمين، وينقّي قلوبهم من الأكدار والأحزان.

من مواقفه:

للشيخ الحامد مواقف كثيرة اتسمتْ بالجرأة والشجاعة الأدبية، أذكر منها موقفين:

الموقف الأول من أخيه وصديقه ورفيق دربه الشيخ الدكتور مصطفى السباعي عندما أصدر كتابه (اشتراكية الإسلام)، فقد غضب الشيخ الحامد لله، وكتب للسباعي أنه لن يسكت على ما جاء في كتابه، ورحب السباعي بنقد الشيخ، وكتب له: اكتب وسأنشر ما تكتب في المجلة (مجلة حضارة الإسلام التي يرأس السباعي تحريرها) وأخرج الحامد كتابه: (نظرات في كتاب اشتراكية الإسلام) وكان أسلوبه أسلوب العالم الموضوعي الذي لا يبتغي من نقده إلا الله، وتقبل السباعي نقد الحامد برحابة صدر، وكانت ردود وتعليقات وتعقيبات لم تفسد ما بين الرجلين الكبيرين من ودّ وحب في الله.

وعندما توفي السباعي، بكاه الحامد كما لم يبك أخ أخاه. رحمهما الله تعالى.

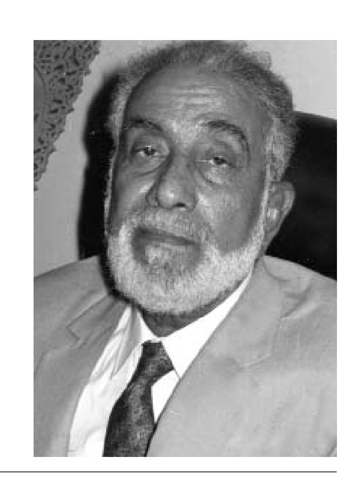
والموقف الثاني كان من النظام السوري عام ١٩٦٤م عندما هاجم مدينة حماة، وقتل العشرات من تلاميذ الشيخ، وهدم جزءاً من جامع السلطان (جامع الشيخ الحامد) ولولا حكمة الشيخ وجرأته اللتان أفشلتا مخطط الحاقدين وقرارهم في هدم المدينة، لحصلت مذبحة كبيرة للمدينة.. وقد أنقذت حكمته وجرأته رقاب العشرات من الفتيان الذين حكموا عليهم بالموت، فقد تدخّل الشيخ، وقابل رئيس الدولة آنئذ، الفريق محمد أمين الحافظ، وخوّفه بالله، وناشده المروءة، فأصدر الحافظ أمراً بالعفو عن كل أولئك الشبان.

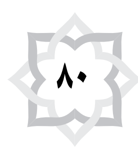
وفاته:

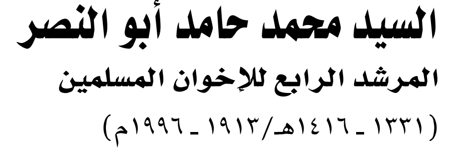
انتقل إلى رحمة الله يوم الاثنين الثامن عشر من شهر صفر سنة ١٣٨٩هـ الموافق ٥ / ٥ / ١٩٦٩م بمدينة حماة بعد مرض عضال لم تنفع فيه العمليات الجراحية التي أجريت له في بيروت.

وشيّع جثمانه الطاهر إلى مثواه الأخير بحماة التي خرجت على بكرة أبيها تودع عالمها الجليل، وفقيدها العظيم، وضجت مآذن حمص وحماة بالتهليل والتكبير.

رحم الله أستاذنا الشيخ الحامد، رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.







السيد محمد حامد أبو النصر

المرشد الرابع للإخوان المسلمين

(١٣٣١ ـ ١٤١٦هـ/١٩١٣ ـ ١٩٩٦م)

مولده ونشأته:

هو الأستاذ محمد حامد أبو النصر، ولد في مدينة (منفلوط) التابعة لمحافظة أسيوط يوم ٦ من ربيع الآخر ١٣٣١هـ الموافق ٢٥ / ٢ / ١٩١٣م، وهو سليل أسرة كريمة تتصل بالشيخ علي أحمد أبوالنصر، من رواد الحركة الأدبية بمصر، وهو عالم أزهري شارك في التجهيز للثورة العرابية حتى قرر الخديوي توفيق تحديد إقامته في منزله بمنفلوط، ثم تخلّص منه بدس السم له فمات سنة ١٨٨٠م، إذ كان من المعروف أن الشنق للعلماء يثير غضب الشعب على حكامه، وأسرة أبوالنصر تنحدر أصولها من نسل الإمام علي رضي الله عنه.

وقد تلقى الأستاذ محمد حامد أبوالنصر تعليمه في المدارس، وحصل على شهادة الكفاءة سنة ١٩٣٣م، وكان متميزاً في بداية عمره بالمشاركة الاجتماعية،

والعمل الإسلامي، فقد كان عضواً في جمعية الإصلاح الاجتماعي في منفلوط، وعضواً في جمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٣٣م.

نشاطه الدعوي:

انضم إلى الإخوان المسلمين سنة ١٩٣٤م، واختير عضواً في مكتب الإرشاد العام، وكانت بداية تعرفه على الإخوان من خلال صديقه الشيخ محمود سويلم الواعظ الأزهري، الذي كان يحدثه كثيراً عن الإمام الشهيد حسن البنا، وعن جهاده في سبيل رفعة الإسلام والمسلمين، وحين علم صديقه محمد عبدالكريم بوجود الإمام الشهيد حسن البنا بجمعية الشبان المسلمين في (أسيوط) كلمه هاتفياً ودعاه لزيارة (منفلوط) فزارها في اليوم التالي، وألقى محاضرة، ثم انتقل إلى دار أبي النصر، وكان عهد وكانت بيعة. ومنذ ذلك الحين التفَّت مجموعة من الشباب حول الإمام البنا في منفلوط، فكانت شعبة الإخوان المسلمين التي زارها الإمام الشهيد حسن البنا، وسجَّل العبارة التالية:

«دعوتنا قصة من قصص القرآن الكريم، فيها عبرة وعظة وهداية ونور، إن بدت اليوم أحدوثة في أفواه الناس، فهي في الغد حقيقة في مجتمعاتهم، وفي دار الأرقم بن أبي الأرقم نبتت الدعوة الأولى، وفي هذه الدار يعيد التاريخ سيرته، ﴿**ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾ [التوبة: ٣٢].

وقد تدرَّج في مواقع المسؤولية من نائب شعبة منفلوط حتى أصبح عضواً في الهيئة التأسيسية (مجلس الشورى العام) ثم عضواً في مكتب الإرشاد العام للجماعة، وقد تعرض للاعتقال والسجن وحكم عليه في أحداث عام ١٩٥٤م بالأشغال الشاقة المؤبدة (٢٥ عاماً)، قضى عشرين عاماً منها صامداً كالجبل، صلباً لا يتزحزح، قوياً لا تلين له قناة، حتى خرج من السجن منتصف عام ١٩٧٤م، ليواصل عطاءه وجهاده لرفع راية الإسلام، وظل وفياً لدعوته وقيادته

حتى اختير مرشداً عاماً للجماعة، خلفاً للمرشد الثالث الأستاذ عمر التلمساني، وكان ذلك في شهر مايو ١٩٨٦م.

وفي عهده كان ترسيخ الوجود الفعلي في العديد من النقابات المهنية، ونوادي هيئات التدريس الجامعية، والجمعيات الأهلية، وخاضت الجماعة الانتخابات البرلمانية في أبريل سنة ١٩٨٧م، متحالفة مع حزبي العمل والأحرار، ونجح ٣٦ نائباً إخوانياً في تلك الانتخابات، كما كان له دوره الفاعل والمؤثر على الساحة العربية والإسلامية، في الوقوف إلى جانب الكويت حين الاعتداء عليها، وبذل الجهود للإصلاح بين قادة المجاهدين الأفغان الذين سعى إليهم في بشاور مع الأستاذ مصطفى مشهور نائبه، والأستاذ إبراهيم شرف، برفقة الشيخ خليل الحامدي سكرتير أمير الجماعة الإسلامية بباكستان، وكانت جهوداً موفقة مباركة، بالإضافة إلى التركيز على تكثير القيادات الدعوية في أوساط الشباب، وجماهير الناس، لتنهض بتبعة حمل الدعوة، وتبليغها للناس داخل القرى والمدن والمحافظات في القطر المصري.

من أقواله:

«أثناء سفري مع الإمام الشهيد حسن البنا في القطار لم يحضر محصّل التذاكر إلينا، ولم يطلب ثمن أجرة الركوب، وقد سألني الإمام الشهيد: هل جاء (الكمساري)؟ وهل أعطاك التذاكر؟ فقلت: لم يحضر بعد. فقال: إذن لابد من ندائه وإعطائه الأجرة، فناديت «الكمساري»، وطلبت منه التذاكر فقال: «أنا عارف يا سيدي.. وأنا شايف ضروري يعني؟ خليها على الله دي شركة أجنبية»، فسمعه الإمام الشهيد وقال: لابد أن تأخذ ثمن التذكرتين وشكر الله لك.

وفي سنة ١٩٤٢م، أعلن الإمام الشهيد حسن البنا، ترشيح نفسه نائباً عن دائرة الإسماعيلية، بناء على رغبة الإخوان، فطلب النحاس باشا من فضيلة الأستاذ البنا التنازل عن الترشيح، استجابة لضغوط الإنجليز الذين لا قبل للحكومة

بمعارضتهم!! وحين طرح الأمر على الهيئة التأسيسية «مجلس الشورى»، تبلور الحوار عن وجهتي نظر، إحداهما عدم التنازل عن الترشيح، وتمثل الأغلبية، والأخرى ترك الأمر لفضيلة الإمام حسن البنا على اعتبار أنها مسألة شخصية، وعلى هذا فقد آثر التنازل عن الترشيح، فأحدث ذلك اضطراباً في صفوف الإخوان، فمنهم الموافق ومنهم المعارض، فقلت: إن التنازل مسألة انتهت ولكني أرجو مستقبلاً أن ينزل فضيلة المرشد العام على رأي الأغلبية مهما كانت النتيجة، فاتصل بي الإمام الشهيد هاتفياً وقال: بأنه سوف يأخذ بقرارات الأغلبية مهما كانت الظروف.

بعد حركة الضباط، دعاني الضابط عبدالناصر ومعي فضيلة الشيخ محمد فرغلي لتناول الإفطار في منزله بمنشية البكري في الساعة السادسة صباحاً، وقد قال عبدالناصر: نريد أن نعمل على إزالة آثار العوائق التي وقعت بين قيادة الإخوان وقيادة الحركة، ونريد البحث في مسألة إصلاح الأزهر، وقد لاحظت أنه لوّح بإشارات إسناد مشيخة الأزهر للشيخ فرغلي، كما لاحظت أنه وجه الدعوة لكلينا، باعتبارنا وإياه نحن الثلاثة من محافظة أسيوط، فكأنه يريد استقطاب إخوان أسيوط حوله ضد قيادة الإخوان، فلم يفلح، وكان نصيب الشيخ محمد فرغلي الإعدام شنقاً، وحكم عليَّ بالأشغال الشاقة المؤبدة.

وفي يوم الجمعة ١٩ / ١١ / ١٩٥٤م، فوجئت حوالي الساعة الخامسة صباحاً بقوة كبيرة من خمسين جندياً وخمسة ضباط من قوات الجيش والبوليس يقتحمون منزلي للتفتيش، وقد طلب مني مأمور المركز الاستقالة من الإخوان حتى يتمكن المحافظ من الحيلولة دون تقديمي للمحاكمة، فرفضت ذلك بإباء وقلت لهم: لا يمكن، لأنني حين التحقت بهذه الجماعة كنت رجلاً موفور العقل، وأعرف تماماً العقبات التي سوف تحدث في طريق تحقيق مبادئ الإسلام، وما زلت على عهدي وصدق ارتباطي بالجماعة والحمد لله، وبعدها جرى اعتقالنا في السجون، ومورس التعذيب على الإخوان جميعاً بأقسى ألوانه، وفي يوم السبت

٢٧ / ١١ / ١٩٥٤م، نقلنا من السجن إلى محكمة الشعب، وكانت مشكَّلة من جمال سالم، رئيساً، وأنور السادات، عضو اليمين، وحسين الشافعي، عضو اليسار، وبعد مناقشات هزلية من رئيس المحكمة، انتهت الجلسة، وحدد يوم ٤ / ١٢ / ١٩٥٤م للنطق بالحكم، فرجعنا إلى السجن الحربي، وكان التحقيق والعذاب، ثم الموعد المحدد للنطق بالحكم، ذهبنا إلى المحكمة لسماع النطق بالحكم، حيث حكم بالإعدام شنقاً على: عبدالقادر عودة، ومحمد فرغلي، وإبراهيم الطيب، ويوسف طلعت، وهنداوي دوير، ومحمود عبداللطيف، وحكم على فضيلة المرشد حسن الهضيبي بالمؤبد بدل الإعدام، وبالأشغال الشاقة المؤبدة على عبدالعزيز عطية، وحسين كمال الدين، ومنير دلة، وصالح أبورقيق، ومحمد حامد أبوالنصر، وحكم على عمر التلمساني وأحمد شريت بالسجن مدة خمس عشرة سنة».

معرفتي به:

كنت فترة الدراسة الجامعية بمصر سنة ١٩٤٩م، أرى الأستاذ محمد حامد أبوالنصر عن بعد في اجتماعات كبار الإخوان المسلمين، حين يحضر من الصعيد مع إخوانه أعضاء مكتب الإرشاد العام، أو الهيئة التأسيسية (مجلس الشورى) بالقاهرة، ولم ألتق به عن قرب، ولكني كنت أسمع الثناء العطر عليه وعلى رجولته ومواقفه وشجاعته وكرمه وشدة التزامه بالدعوة، وارتباطه بالتنظيم، واحترامه للقيادة، وحرصه على سلامة سير الجماعة، والتقيّد بالنظم والتعليمات الصادرة عن مؤسسات الجماعة وقيادتها.

وحين هلك الطاغية عبد الناصر، عاودت التردد على مصر وزيارتها بين حين وآخر للقاء إخواني وأساتذتي للتزود بالتوجيهات والنصائح والاستفادة من الخبرات والتجارب، فكان لقائي بالأستاذ أبي النصر الذي أدركت نفاسة معدنه، وأصالة تربيته، وغيرته على دينه، وحرصه على وحدة صف

الجماعة، وتوحيد كلمتها في مواجهة الخصوم من الداخل والخارج على حد سواء.

وحين ذهبتُ إلى مصر في شهر مايو سنة ١٩٨٦م، لتشييع جنازة أستاذنا المرشد عمر التلمساني، وحضرت مجلس العزاء، واستمعت إلى الكلمات مع من حضر من إخواني من البلاد العربية، وكان المتكلمون يتحدثون عن مآثر الفقيد التلمساني، وعن عراقة هذه الجماعة المباركة، وتأثيرها العميق في المجتمع المصري خاصة، والعالم العربي والإسلامي عامة، حيث انتشر مؤيدوها، وكثر أتباعها، وشقَّت طريقها في أوساط الشباب وجماهير الشعب في العالم العربي والإسلامي، وكان الأستاذ محمد حامد أبوالنصر المتكلم باسم الجماعة في حفل التأبين.

وبعد نهاية الحفل، اصطحبني الإخوة المصريون مع الأستاذ أبي النصر إلى بيت أحد الإخوان بالقاهرة، وكانت أحاديث عن الدعوة وضرورة استمرارها، وعن الجماعة وأهمية الحرص على سلامتها، وتصويب مسيرتها، وانطلاقتها، وقد لاحظت تلك الليلة أن الإخوان يولون الأستاذ أبا النصر عناية خاصة، واهتماماً زائداً، مصحوباً بالإجلال والتقدير، فكانت أحاديث ومحاورات عن هموم المسلمين في الوطن الإسلامي، ودور الإخوان المسلمين في جمع الكلمة وتوحيد صف الأمة الإسلامية، لتواجه التحديات المفروضة عليها من القوى العالمية الكبرى، وإن بناء الفرد المسلم هو الأساس في بداية الطريق لإعداد الأمة لتحمّل تبعاتها نحو دينها ووطنها ومجتمعها.

ثم تكررت بعد ذلك زياراتي إلى القاهرة، وكنت أسعد بلقائه مرشداً عاماً للإخوان المسلمين خلفاً للأستاذ التلمساني مع نائبه الأستاذ مصطفى مشهور، والأستاذ مأمون الهضيبي، والدكتور أحمد الملط وغيرهم من قيادات الإخوان المسلمين بمصر.

مواقفه:

كان للأستاذ أبي النصر مواقف مشرفة من الاعتداء على الكويت وغزوها من النظام البعثي الصدامي الغاشم، وان أول المبادرين على مستوى العالم العربي والإسلامي في استنكار ذلك الغزو يوم ٢ / ٨ / ١٩٩٠م، بصدور بيان مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين الذي أدان الغزو وطالب بالتصدي له. وقد اطلعت على ذلك البيان من خلال الفاكس الذي وصل إلى الأخ عبدالله علي المطوع بالأردن من الإخوان بمصر، وذلك مساء يوم الغزو، قبل أن يصدر أي رد فعل من أي مسؤول أو حكومة أو منظمة على مستوى العالم العربي والإسلامي، فكان هذا الموقف من مرشد الإخوان المسلمين، الأستاذ محمد حامد أبوالنصر يرحمه الله، من الصفحات البيضاء المشرقة التي يحاول خصوم الإسلام وأعداء الإخوان تشويهها، بالإعلام الكاذب، وبكتابات المرتزقة من المأجورين من حملة الأقلام الرخيصة، ذوي النفوس المريضة، والقلوب الحاقدة، الذين يعيشون على الملق والنفاق وترويج الإشاعات وتشويه صورة الإخوان.

وبعد أكثر من أسبوع من صدور هذا البيان، أصدر فضيلة المرشد العام محمد حامد أبوالنصر بياناً آخر يوم ١١ / ٨ / ١٩٩٠م، حين بدأت بعض الدول الاستعمارية الكبرى بالتدخل والحشد العسكري للدخول في المنطقة، وطالب بالاكتفاء بالدول العربية والإسلامية، لتتولى جيوشها طرد المحتل من الكويت، وكان هذا رأي معظم علماء الأمة وقادتها وجماهيرها التي أبدت استعدادها للتطوع مع جيوش التحرير، ولكن الدول ذات المطامع والأهداف الاستعمارية فرضت سياستها بالتدخل العسكري بقوة السلاح، لتحقيق ما تريده من أهداف في منطقة الشرق الأوسط، وقد بدت واضحة للعيان فيما بعد.

وكان أول بيان صدر عن الإخوان المسلمين هو في نفس يوم الغزو بتاريخ ٢ / ٨ / ١٩٩٠م وبتوقيع الأستاذ محمد حامد أبوالنصر المرشد العام للإخوان المسلمين، وجاء فيه: «فوجئنا بالغزو العسكري العراقي للكويت، فكان هذا عملاً

مروعاً ومثيراً للدهشة، ومخيباً للآمال، ولا يغيب عن الذهن أن هذا الحدث الضخم يفتح أبواب شر خطيرة وكبيرة، ويؤثر على مجريات كفاح الشعوب الإسلامية في كل الأرجاء، خاصة في فلسطين المحتلة، ويخشى أن يستغله العدو الصهيوني لتحقيق مآربه.

ونطالب دولة العراق بسحب قواتها من الكويت، وأن تمتنع عن التدخل في شؤونها»، كما جاء في البيان الثاني الصادر يوم ١١ / ٨ / ١٩٩٠م ما نصه:

«إن جماعة الإخوان المسلمين لا تقر استخدام القوة في العلاقات بين الدول العربية، وهي تعارض كل تدخل عسكري من دولة عربية أو مسلمة ضد دولة أخرى، وتؤكد أن الخلافات بين الدول العربية والإسلامية، يجب أن تسوّى بالوسائل السلمية، وطبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية الغراء، التي تدين بها شعوب الأمة العربية الإسلامية، والتي هي النبراس الذي تهتدي به، والدستور الذي تخضع له عن طواعية ورضا نفس، ثم طبقاً لأحكام ميثاق جامعة الدول العربية، والقانون الدولي، وغير ذلك من المواثيق والقوانين التي تنظم العلاقات بين الدول في الكيان الدولي.

وإن جماعة الإخوان المسلمين تستنكر وتعارض بكل قوة، التدخل الأمريكي ووجود القوة العسكرية الأمريكية أو غيرها من القوات الأجنبية في منطقة النزاع، وتطالب بانسحابها على الفور، فوجودها أمر مرفوض على جميع المستويات، وبكل المقاييس، ومن شأنه أن يعيد عصور الحماية والاحتلال السافرين للمنطقة».

وجاء في رسالة نائب المرشد العام الأستاذ مصطفى مشهور رحمه الله إلى المؤتمر الشعبي لأهل الكويت المنعقد في جدة في ٢٧ / ١٠ / ١٩٩٠م:

«إن الإخوان المسلمين من أعرف الناس بدولة الكويت وشعبها المتدين المعطاء، ويقدرون أكثر من غيرهم الدور العظيم الذي قامت به الهيئات والجمعيات الخيرية في الكويت، مناصرة لإخوانهم في فلسطين ولبنان

وأفغانستان وكثير من دول إفريقيا وآسيا، ولن يضيع أجر ذلك أبداً.. ولهذا كان الإخوان المسلمون أشد الناس ألماً وتأثراً إزاء عدوان العراق على الكويت، فأصدروا بيانهم في اليوم الذي وقع فيه العدوان، يدينون الاعتداء، ويطالبون بضرورة الانسحاب، والحفاظ على كيان ووجود الكويت».

كما أن المستشار مأمون الهضيبي الناطق الرسمي باسم الإخوان المسلمين صرح عبر وسائل الإعلام وشبكة التلفزيون الأمريكي CNN يوم ١٦ / ١ / ١٩٩١م:

«إن موقفنا من أزمة الخليج تحدد في البيان الصادر صباح يوم الغزو، الذي عارضنا من خلاله الغزو العراقي، وقلنا إنه عدوان لا مبرر له من الدين أو العقل أو المصلحة، وحذرنا من النتائج السيئة التي ستترتب عليه كعمل عدواني ظالم، وطالبنا بانسحاب العراق من الكويت، وترك الكويت لأهلها، يتصرفون في شؤونهم كأي شعب حر يتصرف في بلده، كما طالبنا الدول العربية ورؤساءها أن يتصرفوا لمنع هذا العدوان، ومنع التدخل الأجنبي».

وحين طلب السفير العراقي بمصر زيارة المرشد العام محمد حامد أبوالنصر صباح الخميس ١٦ / ٨ / ١٩٩٠م، طالبه المرشد العام بضرورة انسحاب العراق من الكويت، وعودة الحكومة الشرعية، حسبما جاء في بيان الإخوان المسلمين الأول بتاريخ ٢ / ٨ / ١٩٩٠م، وأن الإخوان ينتظرون أن يخطو العراق الخطوة نفسها التي اتخذها مع إيران، فيسحب قواته من الكويت، ومن حدود المملكة العربية السعودية.

وحين زار الدكتور عبدالرحمن العوضي وزير الدولة الكويتي برفقة سفير الكويت بمصر فضيلة المرشد العام يوم ٢٥ / ٨ / ١٩٩٠م، أشاد الوزير الكويتي بوضوح وسلامة موقف جماعة الإخوان المسلمين، حسبما تضمنته البيانات والتصريحات التي صدرت عنها، واقترح معاليه مضاعفة الجهد الشعبي والجماهيري لحمل العراق على سحب قواته العسكرية من الكويت، وقد أكد

الأستاذ محمد حامد أبوالنصر، المرشد العام للإخوان المسلمين، ثبات الجماعة على ما جاء في بياناتها السابقة، من إدانة الغزو العراقي للكويت الشقيق، ما أتاح فرصة التدخل الأجنبي في المنطقة، ومطالبة الجماعة بضرورة انسحاب القوات العراقية من الكويت، وضرورة انسحاب القوات الأجنبية من المنطقة، والدعوة إلى تضافر الحكومات الإسلامية عامة، والعربية منها خاصة، لتشكيل قوة مستقلة لتسهيل انسحاب القوات العراقية من الكويت، والقوات الأجنبية من المنطقة.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ عبدالله الطنطاوي:

«كان من مهمات الإمام الشهيد حسن البنا رضي الله عنه وأرضاه تربية جيل من القادة العظام، وتكوين شخصياتهم تكويناً يهيئهم لحمل أثقل المسؤوليات في سائر الظروف، خاصة أيام المحن، فقد كان يعرف أن طريق الدعوة هو طريق مزروع بالألغام، والأشواك من أقلها، محفوف بالمخاطر والابتلاءات.. وحتى لا يحدث فراغ في مؤسسة القيادة، وكان ما توقّعه الإمام، فقد ذهب شهيداً إلى ربه، فخلفه القائد الصلب الإمام حسن الهضيبي، ثم جاء المرشد العملاق الثالث الأستاذ التلمساني، ثم جاء المرشد الرابع ، الأستاذ محمد حامد أبوالنصر، وكان من أولئك الرجال الأفذاذ الذين صحبوا الإمام الشهيد، وتربّوا على يديه المتوضئتين بنور الإيمان والعزيمة، والشموخ والصمود في وجه الأعاصير.

والأستاذ المرشد الشيخ أبوالنصر كان يدّخره القدر لمتابعة المسيرة المستنيرة التي استأنفها سلفه الأستاذ التلمساني، فسار على نهجه، واستطاع ـ بتوفيق الله ثم بجهود الفريق المتميز من الرجال الذين كانوا يحيطون به، ويعملون معه ـ تحقيق الكثير في زمن قياسي، في سائر الميادين التي قاد الإخوان فيها، فكان لتربيته الإيمانية، والأدبية، والسياسية التي نشأ عليها في بيت عز، وأدب، ودين، وسياسة، وكرم، وكان لعقله الراجح، وتماهيه مع إخوانه ودعوته، ولما تميز به من

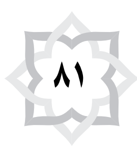
رجولة وشموخ وما ينبثق عنهما من شجاعة ومروءة ونخوة، ومن ثقة بدعوته وإخوانه، وتضحية نشأ في أكنافها، فهو حفيد جدّه العالم الأزهري الثائر الذي قُتل مسموماً، لكل ذلك، وغير ذلك، وثق به قادة الإخوان وقواعدهم، ليس في مصر وحدها، بل في كل مكان فيه تنظيم إخواني، وقاد السفينة الربانية إلى شاطئ الأمان، بعد أن عصف بها طغيان الطغاة، من لدن حسين سرّي، والنقراشي، وإبراهيم عبدالهادي، إلى أطغى الطغاة العبد الخاسر.... أمضى زهرة شبابه في السجن، عشرين سنة في سجون العبد الخاسر، وقبلها، وهو صلب لا يلين، ولا يستجيب لإغراءات الطغاة مهما علت، ولا يهاب تهديداتهم ومحاكماتهم، وسياطهم.. إنه الرجل، وهم الأقزام بين يديه».

وفاته:

في فجر يوم السبت ٢٩ / ٨ / ١٤١٦هـ/ ٢٠ / ١ / ١٩٩٦م، توفي السيد محمد حامد أبوالنصر، المرشد العام الرابع للإخوان المسلمين، عن عمر يناهز الثالثة والثمانين عاماً، ودُفن في مقابر القطامية بمدينة نصر بالقاهرة، بجوار رفيق دربه الأستاذ عمر التلمساني، حيث شيِّع في جنازة مهيبة، شارك فيها عشرات الآلاف، رغم الحصار الأمني المكثف، والإجراءات الأمنية المشددة.

رحم الله أستاذنا الجليل، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الشيخ محمد الخضر حسين التونسي

(١٢٩٣ ـ ١٣٧٨هـ = ١٨٧٦ ـ ١٩٥٨م)

مولده ونشأته:

هو العلاّمة الكبير الشيخ الإمام محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسيني التونسي، ولد في بلدة (نفطة) وقيل: في بلدة «قفصة» من مقاطعة الجريد، من بلاد تونس عام ١٢٩٣هـ ـ ١٨٧٦م، في أسرة عريقة النسب، وحفظ القرآن الكريم، ثم لما بلغ الثانية عشرة من عمره، انتقل مع والده إلى العاصمة تونس، والتحق بجامع الزيتونة، فقرأ على الأساتذة والمشايخ.

ومن أشهرهم: الشيخ سالم بو حاجب، والشيخ محمد النجار، والشيخ مصطفى رضوان، وخاله العلاّمة الكبير الشيخ محمد المكي بن عزور.

وقد أقبل على التحصيل العلمي، حتى نال الشهادة العالمية في العربية، والعلوم الدينية.

كان غيوراً على الدين، مخلصاً للوطن، عدواً للاستعمار أنشأ مجلة (السعادة

العظمى) في عام ١٣٢١هـ ـ ١٩٠٣م، لنشر محاسن الإسلام، وفضح أساليب الاستعمار، وهي أول مجلة ظهرت في المغرب العربي الكبير، لكن سلطات الاستعمار الفرنسي أغلقتها سنة ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م.

وفي هذه السنة نفسها، تولى القضاء في مدينة (بنزرت) ثم تركه بعد مدة إلى العمل في حقل التدريس في جامعة الزيتونة وفي المدرسة الصادقية.

حكمت عليه سلطات الاستعمار بالإعدام، لأنه اشتغل بالسياسة ودعا إلى الجهاد والتحرير، فهاجر إلى دمشق مع عائلته سنة ١٣٣٠هـ ـ ١٩١١م، وأقام فيها مدة طويلة، ودرس في المدرسة السلطانية، ثم سافر بعد ذلك إلى الآستانة وألمانيا، ثم عاد إلى دمشق ثانية، ليواصل التدريس في المدرسة السلطانية، ولما احتل الفرنسيون سوريا تركها وهاجر إلى مصر سنة ١٣٣٩هـ ـ١٩٢٠م.

كان حضور السيد محمد الخضر حسين إلى مصر في وقت كانت في أمس الحاجة إليه، ليقف مع أنصار الدعوة الإسلامية، أمام دعاة الإلحاد وأتباع الثقافة الاستعمارية في مصر.

عمل في البداية مصححاً بدار الكتب المصرية، بأجر زهيد لمدة خمس سنوات، والتقى كبار العلماء، وآثره الأستاذ أحمد تيمور باشا بصداقته.

ولما صدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق، الذي تابع في تأليفه آراء المستشرقين وكرر مقولاتهم ومزاعمهم، انبرى له الشيخ محمد الخضر حسين، وتصدى لهذا الإفك المبين، والكذب الصريح، وتعقبه حتى أتى على بنيانه من القواعد، وأسقط في يده، وانهارت مزاعمه ومزاعم أساتذته، من المستشرقين الحاقدين على الإسلام والمسلمين.

وكذا الحال حين ظهر كتاب «في الشعر الجاهلي» لطه حسين، الذي هاجم فيه القرآن الكريم إرضاءً لأساتذته من المستشرقين، فقام الشيخ محمد الخضر حسين بالرد عليه رداً مفحماً، وألقمه حجراً، إذ قام الشيخ بالغوص على النصوص العربية، ولم يدع شبهة إلا ردها.

وكان تمكن الشيخ محمد الخضر حسين في الدفاع عن الإسلام ومبادئه وقيمه مدعاة للتقدير، فتقدم لامتحان (العالمية) بالأزهر، وكان رئيس اللجنة الشيخ عبد الحميد اللبان، وقد أبدى الشيخ الخضر حسين من الرسوخ والتمكن في العلوم ما لا حدود له، حتى إن الشيخ اللبان قال عنه: «إن هذا بحر لا ساحل له»، وبهذا نال الشهادة العالمية الأزهرية، وصار أستاذاً في الأزهر، ومدرساً في كلية أصول الدين.

اتجه الشيخ الخضر حسين إلى تأسيس الجمعيات الإسلامية، فكان أحد مؤسسي (جمعية الشبان المسلمين)، ووضع لائحتها مع صديقيه الأستاذ أحمد تيمور باشا، والسيد محب الدين الخطيب صاحب (الفتح).

كما أسس الشيخ الخضر حسين (جمعية الهداية الإسلامية)، وكان رئيسها، وأصدر مجلة تحمل الاسم نفسه (الهداية) كما تولى رئاسة تحرير مجلتي (الأزهر)، و(لواء الإسلام).

واختير عضواً في مجمع اللغة العربية بمصر، وكانت له بحوث في مجلة المجمع، تدل على تمكنه من علوم اللغة، كما عين عضواً في المجمع العربي بدمشق، وعضواً في جماعة كبار العلماء بمصر، وذلك بعد أن قدم رسالته العلمية (القياس في اللغة العربية)، وترأس الشيخ أيضاً (جمعية الدفاع عن شمال إفريقيا).

توليه مشيخة الأزهر:

تولى مشيخة الأزهر أواخر عام ١٣٧١هـ غير أنه ترك المشيخة محتسباً في سنة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٣م، لأنه رأى القوم لا يسمعون النصح، ولا يلتزمون الأدب مع أهل العلم، فآثر البعد وترك المشيخة لمن يتزاحمون على المنصب في ظل الخضوع للحاكم الظالم، والديكتاتور المستبد.

معرفتي به:

سعدتُ بمعرفة أستاذنا الجليل وشيخنا الكبير والتقيته مرات ومرات، وشرفنا بتوليه منصب مشيخة الأزهر، فهو أهل له، لكنه حين رأى تصرفات الضباط العسكريين من رجال الثورة وتسلطهم على البلاد والعباد، وانتشار الظلم والفساد، ومحاربة الدعاة إلى الله، وإلغاء الشورى، وفرض حكم الفرد الديكتاتوري المستبد، آثر ترك المشيخة، فهو أكرم وأكبر من أن يكون لعبة بأيدي هؤلاء الضباط، الذين شرعوا بتطوير الأزهر بمسخ هويته، وإلغاء دوره العلمي الإسلامي، وإبعاد العلماء الصالحين، وتقريب المرتزقة والمنتفعين من وعاظ السلاطين، وسدنة الظلمة من المنافقين والمتزلفين، الذين يبررون للظالم ظلمه، ويباركون تسلطه على رقاب الناس.

إن الأزهر الذي ظل قروناً عدة رمزاً لتخريج العلماء للعالم الإسلامي كله، يُراد له أن يتحول عن منهجه ورسالته ليكون أداة طيعة بيد رجال السلطة العسكريين يسيرونه كما يشاؤون، ويُملون عليه ما يريدون ويتخذونه بوقاً يُردد صدى ما يقولون، وقد وجدوا ضالتهم في المشايخ المرتزقة، الذين لم يصونوا كرامة العلم والعلماء، وساروا في ركاب الطغمة الحاكمة.

إن الحديث عن هذا العالم الجهبذ، الذي صان نفسه عن مسايرة الظالمين، ومجاراة الطغاة من الأقزام والمهازيل، هو حديث عن الرجولة في أصدق معانيها، وعن العلم في أجمل ثيابه، فمن تصدّر مجالس العلم كان حقاً عليه صيانتها، ومن ارتدى زي العلماء كان أجدر به أن يعرف للعلم قيمته، وللعلماء عزتهم وكرامتهم، وهكذا كان أستاذنا الجليل محمد الخضر حسين، الذي جدد بمواقفه سِيَرَ الرجال من العلماء من السلف والخلف على حد سواء.

لقد كان الشيخ محمد الخضر حسين من الذين يُؤْلفون لأخلاقهم ويُحترمون لعلمهم، ويقدرون لمكانتهم، وكان التواضع زينته، وبذل العلم لطالبيه ديدنه، ومقارعة خصوم الإسلام والرد على أباطيلهم من أولى مهماته.

تصديه لدعاة الهدم:

وقد أسهم الشيخ مع العلماء والدعاة أمثال: أحمد تيمور باشا، ومحب الدين الخطيب، وحسن البنا، وغيرهم في التصدي لدعاة الهدم والتخريب، من تلامذة المستشرقين الذين أرادوا إبعاد الإسلام عن واقع الحياة، ورفض تشريعاته وأحكامه، ومحاربة لغة القرآن الكريم، والسير في ركاب الغرب بتبني أفكاره وعاداته وتقاليده، والأخذ بحضارته بخيرها وشرها، وحُلوها ومُرّها دونما تمييز أو اختيار، فكان بذلك الصوت المجلجل الذي أخرس ألسنة الببغاوات الذين يكررون مقولات أسيادهم، ويجترون ثقافاتهم دون تمحيص أو تدبر، فكان هذا الصراع بين القديم والجديد، في أكثر من ميدان، وعلى مختلف الأصعدة، إذ شمل التراث واللغة، والأدب والتشريع والتربية، والتعليم والفكر، والتاريخ وغير ذلك.

ثمرات جهوده:

وكان من حصيلة هذا، ظهور التيار الإسلامي المتمسك بالأصالة، والمستفيد من الخير في الحضارة المعاصرة دون السير في ركابها، أو الافتتان ببهرجها وزخارفها.

إن هذه الطبقة من العلماء الذين هم على مستوى محمد الخضر حسين كانت لهم مواقفهم المشهودة وآراؤهم الصائبة، وأصالتهم المتميزة، بحيث حفظوا الأمة من الانزلاق في مهاوي التقليد الأعمى لحضارة الغرب المستعمر.

مؤلفاته:

كما كان لمؤلفاته ودروسه ومحاضراته وبحوثه ومقالاته أكبر الأثر في توجيه الأمة لمعرفة دينها والتمسك بعقيدتها، والعمل الدؤوب من أجل رفع راية التوحيد وإعلاء كلمة الإسلام، ومن أهمها:

نقض كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق، نقض كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين، رسالة في السيرة النبوية، موجز في آداب الحرب في الإسلام، القياس في اللغة العربية، بلاغة القرآن الكريم، محمد رسول الله، رسائل الإصلاح، السعادة العظيمة، أسرار التنزيل، الرحلات، تراجم الرجال، تونس وجامع الزيتونة، خواطر الحياة، ديوان شعر... إلخ.

مواقف صلبة:

إن أستاذنا الشيخ محمد الخضر حسين كان في القمة من علماء العصر، الذين قدَّموا القدوة وضربوا المثل لما يجب أن يكون عليه العالم المسلم، أمام التحديات التي يواجهها من خصوم الإسلام في الداخل والخارج، فلم يضعف أمام المغريات، ولم يهب التهديدات، بل وقف موقفاً صلباً رافع الرأس، يقول كلمة الحق ويقدم النصح للراعي والرعية، وينتصب أمام الطواغيت من عبيد الدنيا، والذين يأكلون الفتات من موائد الأعداء، ويتسلطون على أبناء جلدتهم من الضعفاء والمساكين الذين لا حول لهم ولا طول، ولا يملكون من الأمر شيئاً.

إن العلاّمة الشيخ محمد الخضر حسين، قد استعلى بإيمانه على كل أولئك، ولم تلن له قناة أو يتهالك على منصب، بل ركل المنصب بقدمه، حين رأى أنه صورة لا حقيقة، وألعوبة بيد الحاكم المتسلط يملي عليه ما يشاء.

هذا الموقف العظيم من العالم الكبير، كان العلامة البارزة، والصورة المشرقة المضيئة لما يجب أن يكون عليه علماء الإسلام ودعاته في كل عصر وحين.

وقد كنا ـ نحن الطلبة الوافدين للدراسة بمصر ـ ننظر إلى هذه الكوكبة من العلماء الرجال والفقهاء الأبطال، نظرة الإجلال والتقدير، لأنهم بسيرتهم أعادوا لنا سيرة السلف الصالح من علماء الإسلام الذين حفظوا كرامة العلم، ومنزلة العلماء، وقاموا بواجب النصح للراعي والرعية.



صورة أخذت في جمعية الهداية الإسلامية التي أسسها الخضر حسين الجالس في وسط الصورة
ويبدو على يساره أمين عام جامعة الدول العربية عبدالرحمن عزام

علماء الحق:

يقول الشيخ عبد العزيز البدري في كتابه القيم: (الإسلام بين العلماء والحكام):

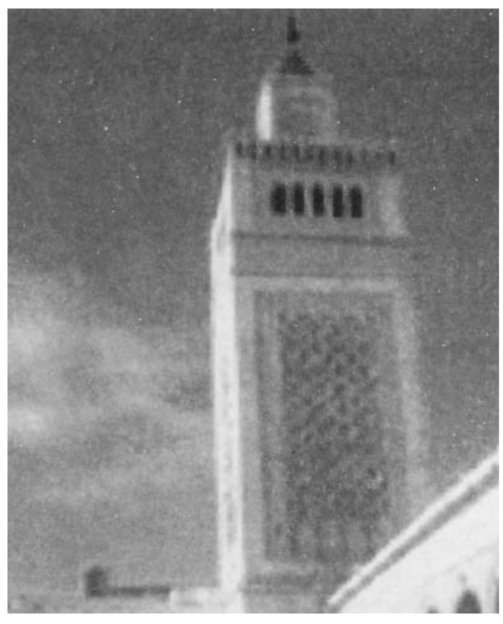
«... الناس بلا علماء هم جهال، تتخطفهم شياطين الإنس والجن من كل حدب وصوب، وتعصف بهم الضلالات والأهواء من كل جانب، ومن هنا كان العلماء من نعم الله تعالى على أهل الأرض، فهم مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، وحجة الله في أرضه، بهم يمحق الضلالة من الأفكار، وتنقشع غيوم الشك من القلوب والنفوس، فهم غيظ الشيطان، وركيزة الإيمان، وقوام الأمة، ومثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يُهتدى بهم في ظلمات الحياة في البر والبحر، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: «إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإذا طُمست النجوم أوشك أن تضل الهداة»، وهم ورثة الأنبياء، وحراس الإسلام، الأمناء على دين الله، الداعون الحكام لتطبيقه، يقولون للظالمين: ظلمتم، وللمفسدين: أفسدتم،

يصلحون ما فسد، ويقوّمون ما اعوج، لا يهابون سلطاناً جائراً، ولا حاكماً جباراً، ولا يسكتون عن حق وجبت إذاعته» انتهى.

وهكذا ـ وعلى مدى تاريخ الإسلام ـ كانت النماذج تتكرر من هؤلاء العلماء الأفذاذ، الذين يحملون أمانة العلم، ويبلغون رسالة الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة، ويتحملون في سبيل ذلك ما يصيبهم من ظلم الحكام، وجهل العوام، محتسبين الأجر والثواب من الله تعالى.

لقد عاش شيخنا العلاّمة محمد الخضر حسين حتى بلغ الرابعة والثمانين من عمره المبارك، إذ توفي سنة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م، ودُفن في مقبرة آل تيمور بالقاهرة، تاركاً أبلغ الأثر في تراثه العلمي الذي خلّفه، وسيرته الطيبة التي يتحدث بها القاصي والداني من العلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله.

رحم الله شيخنا الجليل محمد الخضر حسين التونسي رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيح جناته، وحشرنا الله وإياه في زمرة عباده الصالحين.



مسجد الزيتونة في تونس





العالم العامل الشيخ محمد سالم البيحاني

(١٣٢٦ ـ ١٣٩١هـ = ١٩٠٨ ـ ١٩٧٢م)

مولده ونشأته:

هو محمد بن سالم بن حسين الكدادي البيحاني مؤسس المعهد العلمي في عدن، وُلد سنة (١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م) في بيحان بعدن باليمن الجنوبي، تلقى علومه الدينية على يد والده ثم هاجر إلى حضرموت حيث أخذ العلم عن أستاذه الشيخ عبدالله بن عمر الشاطري. ثم عاد إلى عدن ومنها رحل إلى منطقة الشيخ عثمان، وأخذ العلم عن الشيخ أحمد العبادي ثم سافر إلى مصر للدراسة بالأزهر الشريف وهناك التقى إخوانه النعمان والزبيري والباحميش ومنهم تشكلت نواة أحرار اليمن وأصدروا جريدة (اليمن الخضراء) وكان لهم نشاطهم في سبيل تحرير اليمن من الاستبداد.

والتحق بكلية الشريعة لكنه لأسباب قاهرة توقف عن متابعة الدراسة وعاد إلى عدن، وعمل في حقل التربية والتعليم والوعظ والإرشاد وألّف

الكتب الكثيرة ونظم الشعر وألقى المحاضرات ونشر المقالات.

وكان رحمه الله فاقد البصر. يقول عن نفسه:

يقولون لي أعمى وما أنا بالأعمى ولكنما الأعمى الذي فقد العلما

والشيخ البيحاني رجل من الدعاة العاملين والعلماء المخلصين والمجاهدين الصابرين، يقول كلمة الحق بكل صراحة وجرأة، وقد انصرف لتربية الناشئة على مبادئ الإسلام الشامل الكامل لكل أمور الحياة، وتحدى الطغاة والأقزام من اللاهثين وراء سراب المادة والسائرين في ركاب الاستعمار، وكان من مؤسسي (الجمعية الإسلامية) في عدن التي حملت لواء الوعي الإسلامي، وكان يخطب في جامع العسقلاني ثم افتتح المعهد الإسلامي الذي احتله الماركسيون الجنوبيون واتخذوه مقراً لوزارة الداخلية وحاربوه منها ففر إلى اليمن الشمالي واستقبل أحسن استقبال من الإخوان المسلمين وغيرهم من رجالات اليمن أمثال المحسن الكبير الحاج هائل سعيد.

معرفتي به:

إن صلتي به قديمة فقد كانت تربطني به رابطة الأخوة في الله والعمل من أجل دينه الحنيف والدعوة إلى تحقيق رسالة الإسلام السامية باستئناف الحياة الإسلامية على هدى الكتاب والسُّنَّة، في وقت تنكر فيه الكثيرون لهذا الدين الذي جهله أبناؤه وعجز عن نصرته علماؤه وخذله حكامه وبخل عن البذل في سبيله أغنياؤه، وصار الدعاة الصادقون والعلماء المخلصون يلقون من البلاء والعنت ما الله به عليم.

إلا أن الثقة بالله الذي تكفل بحفظ كتابه والاطمئنان إلى أن المستقبل لهذا الدين والمجاهدة الصادقة لوضع معالم في الطريق لهذه الأمة التي تعيش في جاهلية القرن العشرين حتى تفيء إلى ظلال القرآن الكريم ومقوماته ودور الإنسان بين المادية والإسلام وتفقهه في رسالة التعاليم الإسلامية وأحوال

المسلمين بين الأمس واليوم ودعوة الإسلام في طورها الجديد وشخصية رجل العقيدة.

إن هذه وغيرها هي التي جعلت من أمثال الشيخ البيحاني ومن سبقه من المجاهدين يصرّون على حمل رسالة الدعوة إلى الله ومواجهة الطغاة أينما وجدوا ويتحملون التكاليف والأعباء مهما تساقط المتساقطون وتقاعس المتقاعسون من أصحاب الدنيا وأذناب السلطة من أدعياء العلم.

كانت معرفتي به قديمة ولكنها سماعية وعن طريق المراسلة فقط حتى شاء الله أن يسعدنا به بالزيارة إلى الكويت سنة (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م) وهي زيارته الثانية للكويت، وكانت الأولى سنة (١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م) وشرفت به في بيتي إذ حضر الندوة الأسبوعية العلمية التي نعقدها مع إخوان العقيدة مساء يوم الجمعة من كل أسبوع، فتحدّث الرجل المهيب والشيخ الجليل حديث العالم المتمكّن من مادته القوي في أسلوبه الذي رزقه الله بصيرة نفّاذة وذكاءً متوقداً وغيرة على الدين لا يخاف معها في الحق لومة لائم، فأخذ بمجامع القلوب وأفاض على الجميع من غزير علمه وأدهشهم بحسن أسلوبه وقوة حجته ونصاعة بيانه يجمع بين القديم النافع والجديد الصالح مشرباً بروح الإيمان ورقة العاطفة وصدق اللهجة وقوة اليقين.

ورغم كبر سنه وفقده نعمة البصر فقد عوضه الله بها نفاذ البصيرة ومنحه حيوية الشباب، وكم تمنينا أن يكون الكثير من مشايخ اليوم على شاكلة الشيخ البيحاني في مقارعة الظلم والتصدي للطغاة والثقة بما عند الله لا بما عند الناس وبذل العلم ونشر المعرفة لراغبيها ابتغاء وجه الله تعالى وطلباً لمرضاته وطمعاً في مثوبته.

أقوال العلماء فيه:

يقول الأستاذ عبدالله عبد الوهاب القدسي في تقديمه لكتاب (إصلاح المجتمع) للشيخ البيحاني:

«... إن الشيخ محمد بن سالم البيحاني قائد الحركة الدينية في الجنوب اليمني؛ قد كرّس جهوداً جبارة في نشر لواء الدين الحنيف، وأرسل صوت هدايته مدوياً في سماء هذا الجنوب، وعمل على بناء المشاريع الخيرية الكثيرة، وأهمها المعهد العلمي الذي يعد بحق مفخرة زماننا الحاضر، وآية خلوده وإعجابه، ولقد بذل شيخنا البيحاني قصارى جهده في تعليم مبادئ الدين الإسلامي، وتفهيمه تفهيماً صحيحاً خالصاً من الخزعبلات والخرافات التي ألحقت به، وحسبوها من الدين، وليست من الدين في شيء.

إنك حين تجلس إلى الشيخ البيحاني يتحدث إليك حديثاً له حلاوة وهو يمتاز على غيره بالحلم والورع وصلابة الرأي والصراحة في القول والتريث والثبات على المبدأ؛ وقد اشتهر صيته في الآفاق ووصلت فتاواه إلى أنحاء الجزيرة العربية وغيرها من البلدان الإسلامية...» انتهى.

ويقول عنه شاعر اليمن وأديبها الكبير (المجاهد الشهيد القاضي محمد محمود الزبيري):

«عرفت صاحب الفضيلة الأستاذ محمد سالم البيحاني في مصر، وسمعتُ به في اليمن، وصحبته في عدن؛ وعهدته في مصر رائداً من رواد العلم البارزين، وسمعته هنالك في الأندية والمحافل متكلماً لبقاً، وخطيباً لسناً، ومحاضراً بارعاً. لا أقول إنه كان في صف المثقفين من شباب العرب، بل أعتقد أنه كان من أرفعهم رأساً وأبعدهم صوتاً؛ ثم دارت الأيام دورتها وإذا أنا باليمن وهو في عدن، وإذا به يكتب إلى زميله الأستاذ الخطيب الشيخ أحمد محمد نعمان ويشكو إليه حياته في عدن ويتبرم بالدنيا وما فيها، فعجبتُ لهذه الظاهرة أشدّ العجب، فهو العالم المستنير الذي عبّ من معين الثقافة، وعرف القديم والحديث، واستفاد من ألوان التيارات الفكرية المختلفة. ثم لا يستطيع أن يكون سعيداً في البيئة العدنية. ثم عصفت بي الأقدار وساقتني إلى عدن حيث استطعت أن أفهم السبب لشكواه، فقد تبيّن لي أن الثقافة الإسلامية الصحيحة في عدن تكاد تكون مفقودة

لقلة العلماء، فما من مثقف يحاول الإصلاح في هذه البيئة إلا وتعترض سبيله صعوبة معضلة من الأوهام التي لا زالت هي معتقد الأغلبية الساحقة في عدن. وأعتقد أن هذا هو السبب لشكوى الأستاذ البيحاني إلى صديقه النعمان، لأن البيحاني قدم من مصر وعنده أمل واسع عريض يطمح به إلى أن يوجد في البيئة العدنية ثقافة إسلامية جديدة. وفي نفسي كلمة لا بد أن أكتبها لأنها متصلة بفن الخطابة من حيث هي، ذلك أن الأساليب الخطابية لها طبيعة خاصة تخالف سائر فنون الكلام، وتنفرد باعتبارات ومميزات آتية من شتى الملابسات التي تكتنف الخطيب والجمهور. ويجب أن نشير إلى أن البيئة التي يخلق فيها الأدب، إنما يُبتكر الأدب لأجلها وعلى غرارها، لاسيما إذا كان الأدب من النوع الذي يُقصد به التأثير على كل فرد من أفراد السامعين وذلك كالخطابة الدينية؛ فالخطيب الديني مرغم أن يفكر مع الجمهور ويتكلم مع الجمهور ويعالج خواطرهم برفق وحنان، وهذه هي الحقيقة الكبرى للبلاغة وأعني بها مطابقة مقتضى الحال.

فالموضوعات الدينية تفتح للخطيب آفاقاً واسعة لتوجيه المجتمع الإسلامي إلى كل سبب من أسباب القوة بأن يثير في المسلمين غريزة اللهفة على المجد الذاهب والحسرة على التاريخ الضائع ويقص عليهم عبرة الدهر في آبائهم وعظة الأيام في أنفسهم، ويربط الأسباب بالمسببات ويأسو الضعف بالقوة ويعالج الخور بالشجاعة والذلة بالصرامة، وأن لا يبعث لهم شجى إلا وأردفه بالسلوى، ولا خطأ إلا وكشف معه وجه الصواب ولا ألماً ماضياً إلا وذكر له علاجاً حاضراً، ويضع بين أيديهم المشاريع العملية التي يستطيعون بها أن يطفئوا ما تأجج من حماسهم واهتاج من عواطفهم، حتى لا يخرجوا عن موضوع الخطابة وفيهم شيء من الحيرة والارتباك أو الألم العابث الخاوي الذي يقذف بالروح الإسلامية إلى وهدة اليأس والركود.

وهناك سرٌّ من أسرار الإسلام أغفله المسلمون في عصور الانحطاط، ذلك هو الدعوة إلى القوة والاستعداد ولن تجد عملاً من أعمال النبوة إلاّ وفيه معنى من

معاني القوة أو سبب من أسبابها وبمثل تلك التربية النبوية العالية تنبع القوة الهائلة من أعماق النفس الإنسانية، ونحن نرى أن خطيبنا الأستاذ البيحاني يشير في كثير من خطبه إلى ما لا تتمُّ القوة الإسلامية إلاّ به، وهو تماسك الأخلاق ومحاربة الرذائل النفسيّة والحسيّة، والدعوة إلى العلم والصناعة والتفريق بين خير المدنيّة وشرها وذمّ البطالة وغير ذلك من الموضوعات المفيدة النافعة» انتهى.

مؤلفاته:

إن الشيخ البيحاني مفخرة من مفاخر اليمن ترك لنا تراثاً ضخماً من المؤلفات العلمية والأدبية والاجتماعية والشعر العربي الرصين المزين بالحكم والنصائح والمواعظ، ومن أشهر هذه المؤلفات:

إصلاح المجتمع.

عبادة ودين.

أستاذ المرأة.

كيف نعبد الله.

أشعة الأنوار على مرويات الأخبار (وهو ديوان يتألف من أربعة آلاف ومئتين وستة وستين بيتاً من الشعر السهل الممتنع في سيرة النبي محمد ﷺ والخلفاء الراشدين وخلافة بني أمية ودولة بني العباس إلى يومنا هذا) وقد كتب مقدمة هذا الديوان علاّمة الشام الشيخ محمد بهجت البيطار.

الفتوحات الربانية بالخطب والمواعظ القرآنية.

زوبعة في فنجان.

العطر اليماني في شعر البيحاني.

زيارتي الأخيرة لليمن:

ولقد أكرمني الله في زيارتي الأخيرة لليمن في شهر ربيع الآخر سنة (١٤٢١هـ

ـ يوليو ٢٠٠٠م) برفقة الأخ أبي أيمن الناصر والأخ خالد العقيل أن نزور المعهد الذي أسسه الشيخ البيحاني في عدن واطلعنا على نواحي النشاط المختلفة لجمعية البيحاني الخيرية للتربية والتعليم التي يقوم عليها تلامذة الشيخ من بعده حيث تقام الدورات التأهيلية والشرعية والحلقات القرآنية والكفالات التعليمية والحقيبة المدرسية والمراكز الصيفية. وهذه الجمعية التي أسسها تلامذة الشيخ البيحاني هي امتداد للجمعية الإسلامية للتربية والتعليم التي أسست عام ١٩٥٠م برئاسة الشيخ البيحاني نفسه رحمه الله، ويتبعها المعهد العلمي الإسلامي وقد أسهم في دعم الجمعية والمعهد الكثير من المحسنين في عدن والسعودية والكويت والبحرين وقطر وإريتريا والحبشة وجيبوتي وغيرها لما يتمتع به الشيخ البيحاني من ثقة في تلك الديار وقبول عند الناس في العالم العربي والإسلامي.

وإن بلاد اليمن السعيد حريّة بأن تتحفنا بأمثال الشيخ البيحاني كما أتحفتنا بأمثال الشوكاني والصنعاني والزبيري وغيرهم من أفذاذ الرجال.

ولنا في أبناء الصحوة الإسلامية المباركة في اليمن وغيرها أكبر الأمل في تقديم الإسلام للدنيا كلها بصورته المشرقة المضيئة النقية الصافية التي تتجاوز العقبات وتنصرف إلى البناء التربوي الذي يصوغ الرجال ذوي العزائم القوية والهمم العالية والمواقف العلية التي تستعصي على الذوبان وتتعالى عن الهبوط في منحدرات العصبيات الدينية أو القبلية أو الإقليمية وتجعل الإسلام نصب أعينها وتعمل جهدها لإقامة دولته وتحقيق رسالته وتطبيق شريعته وحماية ثغوره. والله غالب على أمره.

وفاته:

توفي الشيخ البيحاني في مدينة (تعز) يوم ٢٦ / ١٢ / ١٣٩١هـ. ولقد وفقني الله وإخواني محبي الشيخ البيحاني وتلامذته بإعادة طباعة كتابه (إصلاح

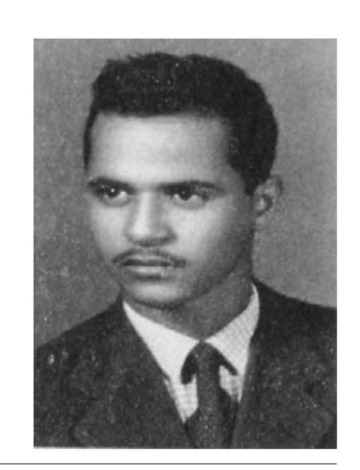
المجتمع) الذي لقي رواجاً كبيراً لدى الدعاة والخطباء وأئمة المساجد في الكويت وخارجها.

كما وفقنا الله لطباعته مرة أخرى بالمملكة العربية السعودية حين التحقت بالرابطة أميناً عاماً مساعداً وقد عهدنا إلى الأخ الدكتور أحمد المقري بتحقيق الكتاب وتخريج أحاديث الشواهد فقام بالعمل خير قيام وقد تكفّل بطباعته الشيخ محمد السبيع بادحدح على نفقته جزاه الله كل خير.

وما زال الكثير من مؤلفات شيخنا البيحاني في حاجة إلى إعادة الطبع مرات ومرات لتعم الفائدة منها، وتشيع المعرفة لدى جماهير الأمة وشبابها. كما أن هناك بعض المخطوطات المحتاجة لتهيئتها للطباعة ونشرها بين الناس، وآمل من شباب اليمن وطلاب الشيخ ومريديه أن ينهضوا بهذا العبء ويُشمِّروا عن ساعد الجد، وهم إن شاء الله أهل لذلك، فالإيمان يمان والحكمة يمانية كما قال المصطفى ﷺ.

كما أرجو من إخواني أساتذة الجامعات اليمنية أن يوجهوا طلابهم في الدراسات العليا للكتابة عن الشيخ ومنهجه في الإصلاح وتبليغ دعوة الله وبيان جهوده العلمية وآثاره الدعوية في اليمن شماله وجنوبه، وإسهامه في الحياة السياسية وتصديه للدعوات الماركسية والمبادئ المستوردة من الشرق والغرب على حدٍ سواء، ودعوته لإقامة نظام الحياة وفق المنهج الإسلامي المستقى من الكتابِ والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة مما فيه صلاح حال المسلمين والنهوض بهم من كبوتهم. والله الموفق لكل خير.

رحم الله شيخنا محمد سالم البيحاني العالم الرباني وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الضابط الشهيد محمد سعيد باعباد
(أبو السعيد)

(١٣٥٩ ـ ١٣٩٠هـ = ١٩٤١ ـ ١٩٧٠م)

معرفتي به:

أول من عرّفني به هو الأخ الكريم القاضي الفاضل عبد القادر العماري وأخبرني أنه من ضباط الإخوان المسلمين في اليمن، وأنه مجاهد صادق، وعسكري متمرس، ومسلم ملتزم، وأوصاني به خيراً.

وحين شرع إخواننا من مختلف البلاد العربية في استنفار الأمة لاستعادة كرامتها التي أهينت في نكبة (١٩٦٧م) تلك الهزيمة النكراء، التي قاد الجيوش العربية فيها المخمورون، والطغاة، والفراعنة من أدعياء الزعامة الكاذبة.

هذه الهزيمة المنكرة، التي لم تشارك فيها الشعوب المؤمنة، ولم يعط المجاهدون دورهم للتصدي لليهود، بل كان المجاهدون والدعاة يقبعون في أقباء السجون والمعتقلات في الوقت الذي ترقص فيه الراقصات وتغني المطربات لقادة الجيوش الرسمية، مكررين ما فعلته قريش في جاهليتها حين

مواجهتها للرسول ﷺ وأصحابه الكرام في معارك الإسلام الأولى فأخزاهم الله كما أخزى قريشاً وحطم كبرياءهم وغرورهم وأذاقهم الذل والهوان، على أيدي أذل خلق الله، من أبناء القردة والخنازير، الملعونين في كتاب الله، وعلى لسان أنبيائه ورسله.

تحرك الإخوان المسلمون هنا وهناك يهيبون بالأمة المسلمة، أن تثأر لكرامتها، وأن تمسح العار الذي ألحقه بهاالحكام المستبدون المتسلطون على شعوبهم الذين يصدق فيهم قول الشاعر:

عبيد للأجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود

فاستجاب نفر من شباب الإسلام، من مختلف البلاد العربية والإسلامية، ولبوا النداء مسرعين إلى ميادين التدريب، ومعسكرات الإعداد، التي أقامها الإخوان المسلمون على الحدود مع اليهود ١٩٦٨م، وكانوا من جنسيات وبلدان مختلفة، ومن هؤلاء أخونا محمد سعيد باعباد من اليمن الشقيق، حيث الإيمان يمان والحكمة يمانية، كما أخبر المصطفى ﷺ.

زيارته للكويت:

لقد سعدنا بزيارته لنا في الكويت، وحضر الندوة الأسبوعية مساء الجمعة، وكانت لنا معه أحاديث عن دور الحركة الإسلامية المعاصرة، وما يجب عليها في مثل هذه الظروف، وواجب الشباب المسلم تجاه ما يجري للأمة من تقطيع أوصالها وإبعادها عن دينها، وتنفيذ مخططات أعدائها، في حرب الإسلام وأهله والبطش بالدعاة والتنكيل بالعلماء وإسكات كلمة الحق، وإعلاء شأن الباطل، والركوع أمام مطامع اليهود والمستعمرين الصليبيين، ولقد كان ـ رحمه الله ـ جذوة متقدة من الحماس، ومرجلاً يغلي من الغضب على أعداء الإسلام وعملاء الاستعمار، والمرتزقة المأجورين.

توجه ـ رحمه الله ـ إلى مكان الرباط في سبيل الله مع إخوانه الذين سبقوه ولحق بهم إخوان آخرون، من مختلف البلاد العربية والإسلامية فكانت نواة العمل الجهادي باسم الله وعلى بركة الله، وفي سبيل الله والمستضعفين في الأرض الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق.

من كلماته:

«.. لا يهمني في أية لحظة يختارني فيها القدر؛ ولكن كل ما يهمني أن أكون في ساحة الجهاد المقدس لكي يكون موتي بداية لطريق الجنة التي وعد الله بها المجاهدين في سبيله وسأصدق الله إلى أن تتحقق الآية الكريمة: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣]. إن أقصى ما ابتغيه وأرجوه أن أسافر إلى الجنة بطلقة مدفع أو بصاروخ موجه. لي أملان أولهما الجهاد في سبيل الله وقد تحقق. والثاني أن أستشهد في سبيله وقد يتحقق إن شاء الله» انتهى.

مولده ونشأته:

لقد كان الأخ المجاهد (أبو السعيد) من طلاب ثانوية الشويخ بالكويت، ثم التحق بالكلية العسكرية في القاهرة وكان متفوقاً على زملائه في دراسته، شهد له بذلك زملاؤه، الذين كانوا في دفّة الحكم باليمن الجنوبي، وهو من مواليد اليمن الجنوبي سنة ١٣٥٩هـ ١٩٤١م.

جهاده واستشهاده:

قال عنه د. محمد أبو فارس في كتابه القيم (شهداء فلسطين):

«كان يرحمه الله جريئاً مقداماً متواضعاً أليفاً يألف ويؤلف، وكان ضابطاً برتبة

نقيب في الجيش اليمني، وبعد استيلاء الشيوعيين على السلطة، خرج من بلده وقد حكموا عليه بالإعدام، ولما حدثت نكبة عام ١٩٦٧م، حيث ضاعت كل فلسطين وسيناء والجولان بسبب تفريط الحكومات العربية، اتجهت الجهود نحو العمل الجهادي الفدائي، وكان شهيدنا ـ رحمه الله ـ مع وفد مهمته الطواف بالعالم الإسلامي يحض المسلمين على الجهاد بالنفس والمال، وجلب المتطوعين لقواعد الإخوان المسلمين، وكان زميلاه أحدهما تركي والآخر إندونيسي، وحين انتهى به المطاف إلى القواعد، رابط مع إخوانه المجاهدين وشاركهم في التدريب والقتال، وكان ذا خبرة عسكرية، يحتاج لمثلها المجاهدون في القواعد، وكان عالي الهمة، نشيطاً، سريع الاستجابة للخير، يلبي أمر قائده إذا ندبه دون تردد أو إبطاء، بل يهب مهرولاً، وقد يكون قائده أقل كفاءة منه فلا يؤثر ذلك في نفسه.

خرج ـ رحمه الله ـ في دورية استطلاعية على نهر الأردن ليستطلع منافذ العبور إلى الضفة الغربية المحتلة من فلسطين ولإجراء الدراسات العسكرية، والمسح للإعداد للعمليات القادمة، فلاحظه العدو، واكتشف أمره ومن معه ففاجأه بوابل من الرصاص ليلاً، فسقط على الفور شهيداً، وقد مزّق الرصاص جسده، وأصيب واحد ممن معه من الإخوان المجاهدين برصاصة، اخترقت فخذه وأخذت إحدى خصيتيه معها، فسار مسافة خمسة كيلومترات، حتى وصل إلى إخوانه فحملوه سريعاً إلى المستشفى، وأُجريت له عملية وهو الآن يعيش وقد تزوج امرأة ثانية وأنجبت منه بعد إصابته فسبحان الله العلي العظيم رب العرش الكريم إذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون» انتهى.

كان استشهاده يوم الاثنين ٢٤ / ٤ / ١٩٧٠م عن عمر يناهز الثلاثين سنة وقد نقل جثمانه إلى اليمن الجنوبي حيث مسقط رأسه وقد خرج الناس في عدن كلهم لتشييع الجنازة، وكانوا يرددون من أعماقهم هتاف (لا إله إلا الله محمد رسول الله، الشهيد حبيب الله، طريق فلسطين طريق الإسلام)، هذا الهتاف

المدوي من هذه الجماهير الغفيرة وبهذه الألفاظ الصريحة، وفي ظل النظام الشيوعي الحاكم لعدن في ذلك الوقت، يدل دلالة كبيرة على أن الأمة الإسلامية مهما تسلط عليها الطغاة والبغاة ومهما حاولوا طمس الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي فطرة الإســلام، فلن يستطيعوا ذلك أبداً.

نماذج كريمة:

إن هذه النماذج الكريمة من الإخوة المجاهدين الذين أرخصوا نفوسهم في سبيل الله دفاعاً عن دينهم وانتصاراً لإخوانهم المسلمين بفلسطين، هي التي كانت وما زالت أمل الأمة في حاضرها ومستقبلها فهي التي تبني وغيرها يهدم، وهي التي تجاهد وغيرها يلهو، وهي التي تعيش للآخرة وغيرها غارق في دنياه الفانية ولذاتها الزائفة.

إن أمثال هؤلاءهم الرجال بصدق الذين أعادوا سيرة المسلمين الأوائل، ولن تنهض الأمة الإسلامية ما لم يكن فيها مثل هذه النوعية من الرجال الذين يضعون أرواحهم على أكفهم فداء للإسلام ودفاعاً عن حرمات المسلمين ومقدساتهم كما يفعل أبطال حماس والجهاد الإسلامي بفلسطين والمجاهدون في كشمير والفلبين والشيشان وغيرها.

إن الإسلام ـ والإسلام وحده ـ هو القادر على أن ينقذ أمتنا من متاهات التشرذم والفرقة، ويعيد صياغتها من جديد كما أرادها الله عز وجل: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ [الأنبياء: ٩٢] كما أن الإسلام يقرر أن السبيل الوحيد للتصدي لليهود ومكرهم وحقدهم، هو سبيل القتال، لأنهم لا يصدقون الوعد، ولا يوفون بالعهد، وينقضون المواثيق والعهود، هذا شأنهم وديدنهم في القديم والحديث، ولا يصدقهم إلا جاهل أو عميل، أو أعمى البصيرة، مطموس القلب، وهم شعب ذليل مغضوب عليه من الله، ملعون من فوق سبع سماوات:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّة أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ الله وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ الله وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ الله وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وكَانُوا يَعْتَدُون﴾ [آل عمران: ١١٢].

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في رسالة (هل نحن قوم عمليون؟):

«إن الأمم في مسيس الحاجة إلى بناء النفوس وتشييد الأخلاق، وطبع أبنائها على خلق الرجولة الصحيحة، حتى يصمدوا لما يقف في طريقهم من عقبات، ويتغلبوا على ما يعترضهم من مصاعب، إن الرجال سر حياة الأمم ومصدر نهضاتها، وإن تاريخ الأمم جميعاً، إنما هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس والإرادات، وإن قوة الأمم أو ضعفها إنما تقاس بخصوبتها في إنتاج الرجال الذين تتوافر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة» انتهى.

وقد وفّق الله حركة الإخوان المسلمين ـ كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة ـ بعدد وافر من الرجال الذين توافرت فيهم شرائط الرجولة الصحيحة والحمد لله، فكان هؤلاء هم الذين جاهدوا اليهود في فلسطين عام ١٩٤٨م، وجاهدوا الإنجليز في قناة السويس عام ١٩٥١م، وجاهدوا اليهود ثانية بعد نكبة عام ١٩٦٧م، وفي كل هذه المواجهات مع الإنجليز واليهود، قدموا التضحيات الجسام، ومواكب من الشهداء، بعضها إثر بعض: **﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾** [آل عمران: ١٤٦].

ولم يكن هؤلاء الرجال من قطر واحد، بل من أقطار المسلمين كلها، يمثلون أمة الإسلام المجاهدة التي تأبى الظلم ولا تستسلم للضيم، وتصارع الباطل وتجالده وتتحدى الطواغيت وتستعلي بإيمانها على بطشهم وطغيانهم وتتمسك بحبل الله المتين، وكتابه المبين، وهدي النبي الأمين وقد عاشوا في معسكرات

التدريب وميادين الجهاد، إخوة متحابين تربطهم عقيدة الإسلام وتظلهم راية الأخوة الإسلامية ويجمعهم حب الجهاد، والرغبة في الاستشهاد، فالمصري والسعودي والسوري والسوداني والأردني والعراقي والفلسطيني واليمني والخليجي واللبناني والمغربي وغيرهم كلهم إخوة متحابون في الإسلام يعملون للإسلام ويجاهدون في سبيل الله والمستضعفين من المسلمين في كل مكان، لأن جنسية المسلم هي عقيدته، والمسلمون في جميع الأرض هم إخوانه، ونصرة المسلم لأخيه المسلم واجب وفريضة وكل مسلم على وجه الأرض هو حارس لمقدسات المسلمين غيور على حرماتهم يقول الله عز وجل:

﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِه الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرا﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أولِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٧٥، ٧٦].

رحم الله شهيدنا البطل المقدام المجاهد أبا السعيد وإخوانه الذين سبقوه والذين لحقوا به، وجمعنا وإياهم في دار كرامته ومستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وصدق الدكتور يوسف القرضاوي في قوله:

فما معنى فلسطين	بلا أقصى ولا قدسِ
فلسطين بلا قدس	كجثمان بلا رأسِ
فيا أرض النبوات	اصبري للكيد والدسِ
ويا أهل الجهاد امضوا	حداد العزم والبأسِ
(حماس) هي الرجاء غداً	براها باري القوسِ
يقين ما به ريب	يكاد يُحَسُّ باللمسِ

رثاؤه:

وقد رثاه الشاعر الإسلامي د. محمد محمود صيام بقصيدة عنوانها (دمعة على الشهيد) جاء فيها:

أيـهـا الـراحـل الـمـخـلِّـف فـيـنـا   جـمـرات تشـع تـحت الـرمـادِ
نـم قـريـراً فـلـيـس فـي الأرض خيرٌ   إي وربـي مـن نـيـل الاسـتـشـهـادِ
نـم قـريـراً (أبـا سـعـيـد) وهـاهـم   إخـوة الـروح مـن جـمـيـع الـبـلادِ
نـفـروا لـلـقـتـال يـرعـاهـم الله   بـعـزم وقـوة وعـنـادِ
نـم قـريـراً وسـوف نـبـقـى جـمـيـعـاً   لـجـمـيـع الـطـغـاة بـالـمـرصـادِ
نـم قـريـراً وسـوف نـكـمـل شـوطـاً   كـنـتَ فـيـه مـن خـيـرة الـروّاد
نم قريراً وسوف نمضي على الدرب   فـفـيـنـا آلاف (بـاعـبـادِ)

كما رثاه الشاعر الإسلامي د. كمال رشيد بقصيدة منها:

ثـائـر مـن ذرى الـيـمـن   جـاءنـا يـحـمـل الـكـفـنْ
عـاش عـمـراً مـجـاهـداً   مـا تـراخـى ولا وهـنْ
عـاش بـالله مـؤمـنـاً   حـارب الـكـفـر والـوثـنْ
راعـه أن يـرى الـعـدا   تـغـصب الـقـدس والـوطـنْ
تـحـرق الـمـسـجـد الـذي   عـزّ فـي سـالـف الـزمـنْ
وغـدا الـيـوم حـالـه   بـيـد الـكـفـر مـرتـهـنْ
هـالـه حـال أمـة   تـعـشـق الـنـوم والـوسـنْ
لست أبـكـيـك يـا أخـي   رغـم دمـعـي الـذي هـتـنْ
عـدن أنت شـبـلـهـا   عـد شـهـيـداً إلـى عـدنْ
جـنّـة الـخـلـد أبشـري   جـاءك الـسـيـد الـفـطـنْ

والحمد لله رب العالمين.



محمد سعيد باعباد وزملاؤه





د. محمد سعيد النجار

المسلم العامل والطبيب الإنسان

(١٣٣٤ ـ ١٣٩٢هـ = ١٩١٦ ـ ١٩٧٢م)

مولده ونشأته:

ولد الدكتور محمد السعيد النجار يوم ٢٧ / ١ / ١٩١٦م بمدينة (دمنهور) بالوجه البحري، بمصر، ووالده المهندس محمد علي النجار. أما جدّه فهو الشيخ العلامة عبدالوهاب النجار. التحق بمدرسة (دمنهور) الابتدائية، وبعد أن أكمل المرحلة الثانوية، التحق بكلية الطب بجامعة القاهرة، وكان مثال الطالب الناجح في دراسته العلمية، ومثال الطبيب الناجح في حياته العملية، وكان شعلة من النشاط في خدمة الناس وتقديم الخير لهم، وبذل المستطاع من الجهد لتخفيف معاناة الفقر والمرض عنهم، وله في هذا المجال سجل حافل هو برنامج حياته اليومية في مصر والكويت وغيرهما إلى أن لقي الله عز وجل، ولا أعرف من استطاع أن يسد مسده.

قدم إلى الكويت سنة ١٩٥٧ للعمل فيها بعد أن ضاقت نفسه بالأجواء التي

يعيش فيها الشعب المصري تحت وطأة الدكتاتورية العسكرية، التي أهدرت الدماء، ونهبت الأموال، وصادرت الحريات، وحاربت الدعاة، حتى عمَّ الفساد والخراب أرض الكنانة، وأصبح الإنسان غير آمن على نفسه من الجواسيس وجنود إبليس. وبقي في الكويت إلى أن توفاه الله في شهر أكتوبر سنة ١٩٧٢م، دون أن يزور مصر سوى مرة واحدة، عاد بعدها سريعاً إلى الكويت وقد أعيد إلى مصر ليدفن فيها بعد غربة طويلة.

شخصيته وصفاته:

كان مفتاح شخصيته: المحبّة والإيثار، والعمل لسعادة الإنسان وحفظ كرامته، وكان الإسلام هو الأساس في كل تحركاته ومنطلقاته، وطلب مرضاة الله عز وجل هو الهدف من كل أعماله.

والإسلام الذي يفهمه الدكتور محمد سعيد النجار هو الإسلام الشامل الذي ينظم شؤون الحياة كلها، وينظر إلى المسلمين كأمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم.

وهو يسعى في عمل الخير ليشمل كل الناس، المسلم وغير المسلم؛ باعتبار الأخوة الإنسانية التي تنتظم البشر جميعاً باعتبارهم أبناء آدم وحواء.. فكلهم إخوة في الإنسانية وأصلهم من تراب.

وهو يرى أن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ يُعنى بالفرد والأسرة والأمة والدولة على حد سواء. وأن العرب لم يصبح لهم شأن ولم تتجمّع منهم أمة، ولم يقيموا دولة ولا حضارة إلا بفضل الإسلام.

ومنهجه في العمل ليس فيه روح الحزبية والتعصب، بل كان يكره انحراف الأحزاب وإيثارها المصالح الحزبية على مصالح الأمة والوطن.

ولقد تألَّم غاية الألم من خطبة مصطفى النحاس باشا في وزارته الأخيرة حين قال: «إن كعبة قلوبنا اليوم هي (جزيرة كابري) حيث يصطاف الملك فاروق»!!

إن الدكتور محمد سعيد النجار صورة مشرقة للمسلم العامل، ترك آثاراً طيِّبة في نفوس الناس بمصر والكويت، لا يمكن أن تمحوها الأيام.

معرفتي به:

عرفت الأخ الدكتور محمد سعيد النجار من خلال نشاط إخواننا الأطباء بمصر، ودورهم في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م ومحاربة الإنجليز في قناة السويس، ثم سعدت به حين جاء إلى الكويت التي سبقني إليها قبل عامين، وكانت لقاءاتي به تتكرر في أماكن شتى، وجهوده في خدمة الناس تلتقي مع جهود إخواننا الآخرين أمثال: الحاج رسلان الخالد، والأستاذ محمد عبدالحليم الشيخ، والمهندس حلمي الكاشف، والحاج عبدالرزاق الصالح، والشيخ يوسف الحجي، والحاج علي الخضيري، والشيخ عبدالله النوري، ويعقوب الغنيم وغيرهم من روَّاد العمل الخيري بالكويت من الكويتيين والمقيمين على حد سواء.

ولا أظن أن من في الكويت ممن التقى أو سمع عن الدكتور محمد سعيد النجار إلا وفي جعبته من مآثره الكثير، فلا تكاد تدخل مجلساً إلا وتسمع من روَّاد ذلك المجلس، القصص والروايات التي لا تحصى عن هذا الرجل المبارك، الذي غمره الله بفيض من رحمته وأسبغ عليه نعمه، وصارت حياته كلها بركة للناس ورحمة لهم، فقد بورك له في وقته وجهده وماله وأهله وعياله وبدنه، حتى إن هذا الذي يقوم به في الليل والنهار ومع جميع الناس، لا يمكن النهوض به من طائفة كبيرة، وطاقات هائلة، ولكنه فضل الله يمنّ به على من يشاء من عباده، والأخ الدكتور محمد سعيد النجار أحسبه منهم إن شاء الله.

ولن أستطرد في ذكر رواية الآخرين وما عرفوه عنه وشاهدوه منه، ولكني أذكر حادثتين فقط جرتا معي وبيني وبينه فقط:

جاءني مرة في أول الشهر وبعد أن قبض الموظفون رواتبهم، وكان الوقت

ظهراً، وعقب عودتي من العمل، طرق جرس البيت، وحين استقبلته قال لي: يا أبا مصطفى.. هذا مبلغ بسيط أرجو أن توصله لفلان لعله يسهم في فك ضائقته، وهو من روَّاد الديوانية عندكم مساء الجمعة، وأرجو ألا يعلم مصدر العطاء. فذهلت لذلك وجادلته في الأمر، لأن الشخص المذكور معرفته بالدكتور قليلة، وأنا أعرف به منه، لأنه من المواظبين على حضور الندوة الأسبوعية مساء الجمعة في منزلنا، فكيف عرف عن أحواله وضائقته ولم أعرف أنا، وهو من الزوَّار الدائمين لنا؟! وبالفعل تبيَّن أن الدكتور سعيد النجار على صواب وأنه سبّاق في الخير لا يجاريه أمثالي.

والحادثة الثانية: أننا ـ ونحن نصارع الطغاة، ونبذل قصارى الجهد في كشف عوارهم، وبيان جرائمهم نحو شعوبهم، وبخاصة شعب الكنانة بمصر، الذي أصابه الطغيان بطامة كبرى، أحرقت الأخضر واليابس، وحاربت الدعاة الصادقين والعاملين المخلصين، واحتضنت المرتزقة من العملاء، الذين يتبعون كل ناعق، ويركضون وراء المطامع، ويدوسون على القيم والفضائل. وكنا عقب استشهاد الأستاذ سيد قطب وإخوانه الأبرار، قد أعددنا الكثير من الكتب والنشرات، والبحوث والمقالات وبذلنا قصارى الجهد لمساعدة الأسر وعوائلهم، وكان التحرك يشمل الإخوان المسلمين من الكويتيين والمقيمين على حد سواء، بالتعاون مع الإخوان الآخرين من الأقطار العربية الأخرى وفي المهاجر. ـ أقول بينما نحن كذلك، وإذا بالدكتور سعيد النجار يسهم بالمال دون توقف منه ومن الآخرين بوساطته، وإذا به يفاجئنا: أرجو ألا تتحدثوا أمامي في أي أمر ترون كتمانه فإنني أخشى أن ينزلق لساني، واطلبوا مني ما شئتم من المال أو الجهد فأنا جندي أنتظر الأمر.

هذا التواضع الجمّ والعمل الدؤوب، والبعد عن الظهور، والحرص على مرضاة الله عزّ وجلّ في نفع العباد، وتقديم الخير لهم، وقضاء حوائجهم، وفك أزماتهم، ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، والاستمرارية التي لا تعرف التوقف

والمبادرة التي لا تعرف التردد، كل هذه الصفات التي تميّز بها الدكتور سعيد النجار تجعلنا نتقاصر أن نصل إلى مستواها أو نقاربه فيها، فهو نسيج وحده.

قالوا عنه:

يقول رفيق دربه الدكتور حسَّان حتحوت مؤلف كتاب «الطبيب الإنسان» وهو الكتاب الذي اعتمدت عليه كثيراً:

«إن سعيد النجار هو القمة الوحيدة المتفرِّدة، وأشعر أن أمثاله كانوا قلة محدودة منذ الفترة التي تلت صدر الإسلام إلى يومنا هذا.

عرفت غربته في هذا الزمان منذ عرفته، وامتدت معرفتي به اثنتين وثلاثين سنة ويوم عرفته أبصرتُ رجلاً من أهل الجنة يمشي على الأرض، ويوم ودعته أبصرت رجلاً من أهل الأرض يمشي إلى الجنة.

من البداية ركز سعيد النجار حياته على دعامتين:

الأولى: أن تكون حياته من وسائل رحمة الله بعباده.

والثانية: أنه في كل الأمور يعامل الله لا الناس.. فهو في كل موقف طرف، والطرف الثاني هو الله.. وكانت حياته فعلاً من أسباب رحمة الله بعباده. كان في عون من يعرف ومن لا يعرف.. وفي عون من يثق به ومن لا يثق.. وفي عون من قصد إليه ومن لقيه مصادفة.. وظل سعيد النجار كالمصباح ليس في جعبته إلا النور.. ولقد عرفنا سعيد النجار فليس منا من لم يشعر أو يصرح بأن هذا الرجل ولي من أولياء الله الصالحين، وأن ولي الله قد يكون خريج جامعة، وأفندياً يلبس بدلة، وطبيباً يعالج المرضى، ورجلاً حليق اللحية، يسعى بينهم من بيت إلى بيت يؤدي هنا خدمة تبدو صغيرة وهناك خدمة أخرى وفي مكان ثالث خدمة ثالثة.

لقد عرفته أول ما عرفته، أيام كنا طلبة في كلية الطب، لم أكن زميلاً له، بل كان يسبقني ببضع سنوات. ولم يكن من خطباء المحافل، ولا كان من أبطال الرياضة، وإنما لفت نظري إليه وميّزه عندي وعند غيري صفة من أظهر صفاته،

هي التفاني في خدمة الغير، كنت لا ألقاه في المستشفى إلا وهو ممسك بذراع مريض فقير يسعى به إلى الطبيب ويوصيه به خيراً.

وظننتُ أول الأمر كما ظنَّ غيري أن هؤلاء المرضى لا بد أن يكونوا من أبناء قريته، وسألته عن هذا المعين الذي لا ينضب من المرضى الفقراء، فعلمت أن زميلنا لا تربطه بهم صلة ولا معرفة، ولكنه كلما وجد في المستشفى عاجزاً يؤوده أن ينهض، أو ضالاً لا يجد الطريق، أو ضعيفاً حيل بينه وبين الطبيب، أو مغترباً لا أهل له، توقف ركبه ليعين أخاه في الإنسانية، وليؤدي حق الله عليه في الفقراء والضعفاء، فإن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه.

حدث أن اتفقت مع السيدة زوجته على الشروع في شراء فيلا في مصر.. يدفع عربوناً ويفي بالباقي على أقساط.. وهي تجتهد في الادخار ومع ذلك تراه يعطي الناس حتى ظنَّت أنه لابد يدّخر مبلغاً من المال، فأرادت أن تطمئن على ذلك. ولكنه في بساطته قال لها عن النقود:

«أبداً.. أنا مش شايلهم إلا عند ربنا..».

ولما مات وجدوا في أوراقه أكداساً من كعوب الشيكات لا تنبئ كيف صرفت ولا كم ولا لمن..»

لطائف ومواقف:

«ومن اللطائف الظريفة أن الدكتور سعيد كان يقود سيارته مرة ليلاً عائداً من عيادة مريض.. ولحظ الشرطي أن السيارة تترنح يمنة ويسرة، فظن أن قائدها سكران، ولم يدر أنه النعاس.. وأخذه إلى المخفر، فما كاد الضابط المناوب «النوبتجي» يراه حتى قام فعانقه وقال للشرطي: إلا هذا.

تخرج قبلي بسنوات، فلم ألقه على الصعيد السياسي، إلا أوائل عام ١٩٤٨م، وكانت الثورة في فلسطين قد بدأت، احتجاجاً على قرار التقسيم، وكان الثوار عرباً من فلسطين، ومتطوعين من البلاد العربية، كان منهم من مصر بعض

الضباط، وفرق من متطوعي الإخوان المسلمين، وعناصر من حزب مصر الفتاة.. وكان له دور كبير بتأمين ما يُحتاج إليه من عتاد ومؤونة، أتيح لي أن أشهد طرفاً منه، وأنا أتأهب للسفر لعلاج المتطوعين في أبريل سنة ١٩٤٨م بعد تخرجي بكلية الطب بأشهر قليلة. وانتهت مأساة ١٩٤٨م، وصدر قرار حل جماعة الإخوان المسلمين، وأعيد متطوعوها تحت الحراسة من الميدان إلى المعتقلات.. ثم ما تلا ذلك من مقتل النقراشي ثم مقتل الإمام الشهيد حسن البنا مؤسس ومرشد الإخوان المسلمين.. وكانت هذه الفترة من أخصب فترات حياة سعيد النجار، وأغناها في العمل الوطني.. فقد فتح الشباب الجامعي معسكراً دائماً للتدريب على أرض جامعة القاهرة.. وجد ركيزته في شباب الإخوان المسلمين الذين حاربوا في فلسطين، وكان قائده حسن دوح الذي كان آنذاك طالباً بكلية الحقوق بجامعة القاهرة.

ووجد الدكتور سعيد النجار نفسه ملتحماً أشد الالتحام بهذا العمل، من حيث إقناع هيئة التدرس بالجامعات بتبني هذا الجهد الطلابي من الناحيتين الأدبية والمادية.. وجمع الأموال من هيئة التدريس لتمويل المعسكر. وما زلتُ أذكر بالفخر والعرفان أنه لما بدأت الجامعة معسكرها التدريبي لكفاح الإنجليز افتتحه أستاذنا الدكتور عبدالوهاب مورو.. وكان مدير الجامعة آنذاك وأعطاهم شيكاً على بياض وخصص مستشفى مورو «الخاص» لعلاج المصابين بالمجان».

ويقول تلميذه وزميله الدكتور عصام الشربيني: «إن الدكتور محمد سعيد النجار ظاهرة فذة جديرة بالتسجيل، لأنه لم يكد يعرفه أحد إلا كان لسعيد يد عليه في نفسه أو أهله أو أصدقائه، صورة تقفز إلى ذهني حين كان الطبيب منا يكاد يهلك من العمل في الحر القائظ، ويسرع الواحد منا إلى غرفة باردة، حتى نرى الدكتور سعيد النجار قد جاء بمريضه للمستشفى الأميري واستمر في علاجه ورعايته فننهض معه مستحيين من أنفسنا.

ولقد عرفته مدرساً لي بكلية الطب المصرية سنة ١٩٤٤م ثم لم أره بعدها إلا في المحكمة العسكرية في أوائل الخمسينيات، ومصر تمر بأعنف إرهاب بوليسي لم تشهده من قبل حتى كان من يسأل عن هؤلاء المتهمين يعرض نفسه لأشد أنواع الأذى.

في هذا الجو المشحون كان الدكتور سعيد النجار يدخل قاعة المحكمة العسكرية، وهي تحاكم بعض المتهمين الإسلاميين، ليدلي بشهادته وسط ذهول الحاضرين وهمس القضاة، ليقول عن التعذيب في السجون والزنازين، الذي شاهده حين استدعي لعلاج أحد المعذبين، وأصرَّ على نقله إلى المستشفى للعلاج رغم معارضة ضابط السجن.

وحينما قامت حركة الفدائيين في قناة السويس عام ١٩٥١م ظهر الدكتور محمد سعيد النجار عملاقاً بطلاً، فقد كان يصحب الفدائيين لشراء الأسلحة لمحاربة الإنجليز، ويجمع من أساتذة الجامعات وغيرهم الأموال اللازمة للجهاد وكان لا يرضى بالتبرع بالمال القليل بل يحث المتبرعين على المزيد...».

ويقول عنه الأستاذ الدكتور عبدالفتاح طيرة صديق عمره منذ الطفولة:

«كانت حياته أسطورة لا يكاد يصدقها الناس، لولا أنهم يرونها وينعمون بها.. كان مجرد وجوده في مجتمع ما كفيلاً بأن يجعل كل من فيه يشعر بالطمأنينة وعدم الخوف، وكأنه حصن يحمي كلاً منهم من الحاجة والضيم والمرض والوحدة واليأس والحزن.

عرفته منذ الدراسة الثانوية، ودخلنا معاً كلية الطب، فكنا رفيقين وصديقين حتى آخر حياته، كانت لديه مقدرة عجيبة على أن يؤلف بين قلوب الناس، ويقنعهم بأسلوب ما على التزاور وعلى أن يحب بعضهم بعضاً، وكانت صفة «قريب أو صديق محمد سعيد النجار» تصريح دخول إلى قلوب الناس وشهادة ثقة، وضماناً كنا نقضي نهارنا معاً في الكلية، ونقضي الليل معاً ساهرين نذاكر

وندرس، وأشهد الله أنه لم ينطق عيباً ولا غيبة ولا نميمة، كان يعطي الفقير بعض المال أو يشتري له الدواء، وكان المرضى يلقبونه بالشيخ سعيد. وكان الأساتذة يتنبؤون بفشله بالامتحان ففاجأهم بنجاح مبين.

بذل ما بذل في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م وفي حرب الفدائيين بالقناة سنة ١٩٥١م، ومنذ توظف كان سعيه في حاجات الناس مثار اعتراض رؤسائه أو أساتذته الذين ينهرونه لإحضار مرضى لهم فإذا به في اليوم التالي يحضر مزيداً من المرضى...».

وكتب الدكتور أحمد شوقي الفنجري في ٢٠ / ١٠ / ١٩٧٢م بجريدة «الرأي العام الكويتية» تحت عنوان: «من الأولياء الصالحين» ما خلاصته: «إذا كان ممكناً في عصرنا هذا أن يوجد على الأرض إنسان ممن نسميهم أولياء الله الصالحين، فلا ريب أنه كان المغفور له بإذن الله الدكتور محمد سعيد النجار.

ولقد مات سعيد النجار.. والأحرى أن نقول استشهد لأنه مات وهو يسعى على حاجات المحتاجين ويبحث عن عمل للعاطل، ومال للمدين، وحل لكل مشكلة.

تدخل بيته الفجر فتراه مليئاً.. وتذهب للمطار في الليل فتجده يودع أو يستقبل من يعرف ومن لا يعرف.. وتزور المستشفيات في حرّ الظهيرة فتجده يوصل مريضاً أو يعود مريضاً، ويأتيه الإنذار الأول بمرض القلب فيتصرف تصرف من لا يخاف الموت ولا يتمسك بأهداب الحياة ولا يغير من منهاجه شيئاً، أيام كان طالباً في الطب لفت نظر الأساتذة بالأعداد الكبيرة من المرضى الذين كان يحضرهم ويوصي عليهم وحسبوه سمسار مرضى، فأخذوا يسألون المرضى فعلموا ـ والحقيقة لا تقبل الشك والتأويل ـ أن ذلك الرجل الإنسان كان ظاهرة نادرة في مجتمعنا قل ما تجد إنساناً في مثل وضعه. وهذه الظاهرة النادرة الجميلة بوفاته تختفي من المجتمع، رحم الله الدكتور الإنسان محمد سعيد النجار».

قصص تروى عنه :

يُروى أنه حين كان معيداً في كلية الطب تسامع أن أربعة من طلبته سطا على مسكنهم لص وسرق ما كان منشوراً على حبل الغسيل من ثيابهم، ويفاجأ الطلبة في المساء بالدكتور النجار يطرق بابهم وقد حمل لكل منهم ثياباً جمعها من بيته.

ويطلب منه بعض طلبته أن يشرح لهم أحد الموضوعات ويضيق الوقت الرسمي، فيدعوهم إلى بيته ويشرح لهم الدرس ويطول الوقت فيقدم لهم العشاء المتيسر ثم يستأنف الشرح حتى يفهموا الدرس على خير وجه وينصرفوا.

ويروى أنه كان يركب الترام في القاهرة يوماً فإذا بشاب يعاكس إحدى الفتيات فيسمعها عبارات غير مهذبة، ويبدو أن الشاب ظن أنه في مأمن من الناس، لأنه كان ضخم الجسم، بارز العضل، فكأنه مصارع، وبالفعل سكت الناس عنه فلم يتصد له إلا سعيد النجار، بدأ بالحسنى معه وبصوته الناعم الخفيض يذكره أن المروءة تقتضي أن يعتبر كل فتاة كأخته، فيحافظ عليها ولا يرضى لها ما لا يرضاه لأخته، وهذا الأسلوب اللين الرقيق من الدكتور سعيد النجار أغرى الشاب به، فأقذع له القول والدكتور سعيد يزيد رقّة، وهو يحاول أن يقنع الشاب دون أن يحرجه أو يجرح كرامته، ولكن الشاب زاد نزقاً، فدفع سعيداً في صدره وهنا كانت المفاجأة، وفي لمحة طرف كان الشاب العملاق كالعصفورة في يد سعيد النجار، وذراعه ملوية وراءه وهو يتأوه من الألم، وسعيد يهمس في أذنه معتذراً بأنه هو الذي اضطره إلى هذا، ويستفسره إن كان في نيته أن يكف عن معاكسة الفتاة، وكانت الصدمة بالغة على نفس الشاب العملاق، فما أفلت سعيد يده حتى قفز الشاب من الترام أثناء سيره ليخفي خجلته وسوأته.

وقال أحدهم: «مرت بي ظروف ذات مرة فإذا أنا مودَع في السجن وأهمني أمر العيال ولا عائل لهم إلا ما أتكسبه من عملي يوماً بيوم، فلما خرجت من

السجن وجدت أن طعامهم كان يأتي إليهم كل يوم من بيت الدكتور سعيد النجار».

وقال آخر: «جمعنا مجلس مرة مع الدكتور سعيد النجار ودار الحديث بصدفة غير هادفة، فعلم أن ابني التلميذ يجد صعوبة في مادة الرياضيات.. وفوجئت بعد أيام بمدرس يطرق الباب ليعطي ابني درساً خصوصياً ويقول: إن حسابه خالص من سعيد النجار».

ولقد أثنى عليه الكثيرون ممن عرفوه فضلاً عن زملائه الأطباء ومن هؤلاء: الأخ الدكتور يعقوب يوسف الغنيم والدكتور عبدالوهاب راشد والأستاذ محمد محمود صيام والشيخ عبدالرحمن البرغوثي والأستاذ سعد الناهض وغيرهم كثير في الكويت وخارجها.

أما أستاذنا الداعية الكبير الشيخ البهي الخولي صاحب كتاب «تذكرة الدعاة» فقال عنه: «هذا رجل يغضب له كل ملاك في السماء وكل ملاك على الأرض».

من أقواله:

«أضيئوا الأنوار يتبين لكم الخبيث من الطيب، واعلموا أن الشعب الذي يخاف من العصا لن يثبت أمام الدبابة».

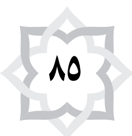
قال هذا الكلام في اجتماع لأعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة بحضور عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة، في الوقت الذي كان صاحب الرأي لا يستطيع الجهر برأيه من شدة الظلم والطغيان العسكري بمصر.

وفاته:

توفي إلى رحمة الله في شهر أكتوبر سنة ١٩٧٢م في الكويت وكان الأصل أن يدفن فيها لأن ذلك هو الأولى، حيث يدفن المسلم في المكان الذي يموت فيه ما

دامت من بلاد المسلمين لكن بعض أقاربه وأصدقائه استحسنوا أن يحمل جثمانه إلى مصر ليدفن في مقابر الأسرة هناك.

رحم الله أستاذنا الكبير الطبيب الإنسان الدكتور محمد سعيد النجار وحشرنا الله وإياه مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



العلاَّمة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

(١٣٤٧ ـ ١٤٢١هـ = ١٩٢٧ ـ ٢٠٠١م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وُلد في بلدة (عنيزة) في ٢٧ / ٩ / ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٧م، وحفظ القرآن الكريم على يد جده لأمه عبد الرحمن آل دامغ في سن مبكرة، وتلقى بدايات علمه على يد الشيخ عبد الرحمن السعدي، ثم التحق بالمعهد العلمي في الرياض، ودرس على المشايخ: محمد الأمين الشنقيطي، وعبد العزيز بن باز، وغيرهما، وكانت دراسته على شيخه الأول عبد الرحمن السعدي علوم التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصول الفقه والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف، وكان خلال ملازمته لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، قد قرأ عليه صحيح البخاري، وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وبعض الكتب الفقهية الأخرى.

سيرته العلمية والعملية:

مارس التدريس في المعهد العلمي في عنيزة، وفي المعهد العلمي بالرياض بعد تخرجه مباشرة، في الوقت الذي انتسب فيه للدراسة بكلية الشريعة التي تخرج فيها سنة ١٩٥٧م، وعندما توفي شيخه الأول عبد الرحمن السعدي، خَلَفه في إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وفي التدريس فيه، ثم التحق بالتدريس في كلية الشريعة، وهو إلى جانب ذلك، عضو في هيئة كبار العلماء، وقد عرض عليه منصب القضاء فاعتذر.

ألَّف الشيخ ما يزيد على ٣٥ كتاباً ورسالة، سدَّت جانباً مهماً في المكتبة الإسلامية، وأضافت الكثير من العلم الذي يحتاجه المسلم من علوم الدين، وقد اختير بعض هذه المؤلفات ضمن مقررات المعاهد العلمية في المملكة العربية السعودية. ولم يدَّخر وسعاً في سبيل الدعوة إلى الله، فكرَّس حياته كلها لهذه الرسالة بإلقاء المحاضرات العامة في سائر مناطق المملكة، ولم يتوقَّف عن تبصير الناس بدين الله بالإفتاء عن طريق الهاتف أو الكتابة أو التسجيل أو الإذاعة أو الصحف والمجلات ومن خلال البرنامج الإذاعي (نور على نور)، والمشاركة في المؤتمرات الإسلامية الكبيرة داخل المملكة، مثل مؤتمر رسالة المسجد، ومؤتمر الدعوة والدعاة، ومؤتمر الفقه الإسلامي، ومؤتمر مكافحة المخدرات وغيرها.

والشيخ ابن عثيمين منذ نشأته كان محباً للعلم، ويحرص على ملازمة العلماء، فبالإضافة إلى شيخه السعدي، وابن باز، والشنقيطي، تتلمذ على المشايخ بالقصيم، أمثال الشيخ علي حمد الصالحي، والشيَّخ محمد عبد العزيز المطوع، والشيخ عبد الرحمن بن عودان، والشيخ عبد الرحمن آل دامغ وغيرهم.

وكان أسلوب الشيخ ابن عثيمين في التدريس أسلوباً متميزاً في إيصال المعلومة بأسهل طريقة إلى المتعلمين والسامعين، فلم يكن من أنصار أسلوب

التلقين، بل كان يتَّبع أسلوب التفاعل عبر السؤال والجواب، الأمر الذي يشدّ انتباه الطلاب، ويضمن دوام المتابعة.

يروى أن الملك خالد بن عبد العزيز أهدى إليه عمارة، فجعلها الشيخ وقفاً لسكن طلابه مجاناً، وافتتح لهم مطعماً، وفرَّغ لهم عاملاً يعدّ لهم الطعام، وهيأ لهم مكتبة للكتب، وأخرى للأشرطة.

وكان مجتهداً يتبع قوة الدليل، ولا يُقيّد نفسه بمذهب معين، بل إن له اجتهادات خالف فيها المذهب الحنبلي، وخالف ابن تيمية، وقد ذكر الأستاذ سليمان الضحيان أن الشيخ ابن عثيمين خالف المذهب الحنبلي في ٨٩ مسألة في باب الطهارة فقط.

وكان واسع الصدر، يستمع لآراء مخالفيه، ولا يضيق ذرعاً بهم، ولا يجعل من الخلاف الفقهي سبباً للتشاحن والبغضاء، بل إنه يقول رأيه مستنداً إلى الدليل من الكتاب والسنَّة، وما آتاه الله من فهم لهما، وينهى عن تجريح المخالف، أو انتقاصه، فلكل مجتهد أجر عند الله.

كما كانت حياته المعيشية في غاية البساطة، بعيدة عن المظاهر والتكلّف، فهو زاهد في الحياة الدنيا، قضى معظم حياته في بيت من الطين، ولم يكن يلبس الملابس الفاخرة، ولا يركب السيارات الفارهة، بل التواضع ديدنه في كل شؤونه.

وهو يتمتع بمحبة الناس على مختلف مستوياتهم من الصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، وطلبة العلم من المواطنين والوافدين، ويعاملهم جميعاً على حد سواء.

ومن الطرائف التي تروى: أن الشيخ ركب سيارة أجرة في مكة المكرمة بعد الصلاة في الحرم، قاصداً مكاناً معيناً، ودار بينه وبين السائق حوار في بعض المسائل الشرعية، وكان السائق أعرابياً يجيب على سجيته، فسأله السائق:

ـ من الشيخ؟

فرد الشيخ: أنا محمد بن عثيمين.

فتعجب السائق وردّ مستفسراً: الشيخ؟

فأجاب الشيخ: نعم الشيخ!

فهزَّ السائق رأسه مشككاً لما اعتبره جرأة في تقمُّص شخصية الشيخ ابن عثيمين، وسأل الشيخ السائق: من الأخ؟

فأجاب السائق: الشيخ عبد العزيز بن باز.

فضحك الشيخ ابن عثيمين وسأله: أنت الشيخ عبد العزيز بن باز؟

فرد السائق: كما أنت الشيخ ابن عثيمين.

ولقد كانت له مواقف في أعمال الخير والبر أكثر من أن تُحصى، سواء من ماله الخاص، أو مما يتقدم به المحسنون، فكان يساعد الراغبين في الزواج من غير القادرين، ويدفع لهم نصف المهر، ويساعد الفقراء والمحتاجين، ويسهم في إنشاء المساجد ومراكز تحفيظ القرآن الكريم، وحفر آبار الشرب، والإغاثة للمنكوبين حيثما كانوا، بداخل المملكة أو خارجها، وكذلك دعم المراكز والمؤسسات الإسلامية في ديار الغرب للمهاجرين المسلمين والطلبة المغتربين.

وكان منظماً في حياته الخاصة، ودقيقاً في مواعيده، وبرامج حياته، مع أهله وأولاده، ومع طلابه وعامة الناس بحيث لا يطغى جانب على آخر، ولا تتشتت فيه الجهود، بل يسير الأمر حسب النظام والجداول المحددة، والمواعيد المنضبطة.

ويروي بعض أبنائه: أنه في مراحل حياته الأخيرة، وكان في المستشفى التخصصي في جِدة، وكانت آخر ليلة من رمضان، فأصرَّ على الذهاب إلى الحرم المكي، وقال: «إنها آخر ليلة في رمضان، فلا تحرموني من أجرها».

فنزلنا عند رغبته، وأخذناه إلى مكة محمولاً على نقالة، وأنابيب الأوكسجين موصولة به، ودخلنا الحرم، فتوضأ وصلى المغرب والعشاء، وما إن انتهت التراويح حتى قال:

ـ أعطني مكبر الصوت.

وبدأ يلقي درسه، وكان الأطباء قلقين على حالته الصحية، وأيديهم على قلوبهم، ولكن هذا الدرس من أيسر الدروس وأعظمها، وهذا الموقف في آخر أيامه، إذ انتقل يوم العيد إلى المستشفى.

وكان الشيخ قد حصل على جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام في عام ١٩٩٤م، وذلك تقديراً للجهود العلمية والعملية التي كان يبذلها في خدمة الإسلام والمسلمين في كل مكان.

من أقواله:

«تأثرت بالشيخ عبد العزيز بن باز من جهة العناية بالحديث، وتأثرتُ به من جهة الأخلاق أيضاً، وبسط نفسه للناس، وتأثرت بالشيخ عبد الرحمن ابن سعدي في طريقة التدريس، وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني، وكذلك تأثرت به من ناحية الأخلاق، لأن الشيخ عبد الرحمن كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، وكان على قدر في العلم والعبادة، يمازح الصغير، ويضحك إلى الكبير، وهو من أحسن من رأيت أخلاقاً».

ومن أقواله أيضاً:

«إن الفتن تسري إلى القلوب فتصدُّها عن ذكر الله وعن الصلاة، وتفتك بها كما يفتك السم بالجسم حتى يهلكه، وسهام إبليس نافذة، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما قال رسول الله ﷺ، وإن الرجل أمام الفتنة لا يضمن لنفسه العصمة، ولا يأمن على نفسه من شر تلك الفتنة، إننا في عصر كثرت فيه أسباب الفتن، وتنوَّعت أساليبها، وانفتحت أبوابها من كل وجه، وبدأت تدب شبهات البدع إلى قلوب السذج من الناس، فأَرْدَتْهم، وكثرت الفتاوى والنشرات الخالية من التحقيق، فذبذبت أفكار الناس وأقلقتهم، وانتشرت الصحف

والمجلات ووسائل الإعلام الداعية إلى المجون والفسوق والخلاعة، وصار الناس فريسة لهذا الداء العضال.. نسأل الله السلامة لنا ولهم».

قالوا عنه:

يقول د. عبد الله بن عبد المحسن التركي: «لا شك في أن التحصيل العلمي للشيخ محمد بن صالح العثيمين الذي وفقه الله إليه، كان له أثر كبير في حياته، فلقد انتفع الشيخ أيما انتفاع بما يسّره الله له من نهل للعلم، وفهم لمقاصد الشريعة الإسلامية حتى صار علماً من أعلامها، يدرس ويحاضر في علوم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه والفروع، وفي سيرته العلمية مثال فذ وشاهد كبير على أهمية طلب العلم والجد في تحصيله، وقد استفاد الناس داخل المملكة وخارجها من علمه الغزير، حيث كانوا يتحلقون في حلق العلم التي كان يقيمها في المساجد وفي الجامعات والمعاهد والمدارس والمؤسسات الإسلامية والهيئات الدعوية، ومن الفتاوى والإرشادات التي كانوا يستمعون إليها في المذياع، ويقرؤونها في الصحف والمجلات والنشرات الدعوية، ثم في كتبه ورسائله القيمة، وله العديد من المواقف التي انبثقت عن فهم صحيح للإسلام ووسطيته ومنهاجه العادل، وعن فهم سليم لمهمة العالم الداعية. فقد انتهج منهج علماء السلف في أعماله العلمية، ومنهجه الدعوي، وطرق التربية والتعليم.

ولعل أبرز الملامح في منهاجه:

- حرصه الشديد على التقيد بما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد.
- الحرص على صحة الدليل وصواب التعليل ووضوحه ومناسبته.
- الربط بين العمل الدعوي والتقعيد الفقهي.
- العناية بمقاصد الشريعة الإسلامية وقواعد الدين.
- الاعتدال والتوسط في المنهاج والسلوك والفهم والتقيد بمنهج السلف.
- الاهتمام بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج.

ـ التيسير الذي يبعد الداعية عن التعقيد، والتعصب والتقليد الأعمى، والحرص على التوفيق بين النص والمصلحة».

ويقول الأستاذ زين العابدين الركابي: «إن وفاة العالم الجليل الشيخ محمد ابن صالح العثيمين خسارة فادحة لكل محب للإسلام. لقيت الفقيه العظيم غير مرة في مخيمات جامعية وفي بيته بالقصيم، وفي مكة المكرمة، وفي الرياض، وكان آخر لقاء رأيته فيه في اثنينية الشيخ عثمان الصالح في الرياض، وكان حديثه عن «نعمة الأمن ومسؤوليتنا في المحافظة عليها» فقد تحدث عن الركيزة الكبرى للأمن، وهي الإيمان بالله وتوحيده، واستشهد بالأصل في ذلك، وهو قول الله جل ثناؤه: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾ [الأنعام ٨٢].

وقال: إن الانضباط المروري في السير، والتوقف والاتجاه يميناً أو يساراً وفق الأنظمة الموضوعة، ذلك كله من القربات إلى الله، لأنه من الطاعة في المعروف التي أمر الإسلام بها فيما يتخذه ولي الأمر ويسنه من أنظمة ترعى المصلحة العامة، وتضبط تصرفات الناس، حتى لا يبغي بعضهم على بعض، وهذا فقه حسن في المصالح المرسلة.

والشيخ عالم متبحر في علوم العقيدة والفقه والتفسير والفتيا، وله عشرات الكتب والرسائل، وألوف الأشرطة الصوتية، ومن منهج الشيخ: الدوران مع الدليل حيث دار، والتمتع بحقه العلمي في النظر إلى الدليل فهماً واستنباطاً».

ويقول د. جاسم مهلهل الياسين: «تلقينا ببالغ الأسى وعميق الحزن، وفاة علاَّمة الجزيرة، وشيخ الفقه والعقيدة والأدب، وجامع الفنون: سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فللَّه در الشيخ عالماً، فكم أفاد وأجاد وكشف عن دقائق الفقه، وجلّى عن أصول عقيدة السلف، وأخرج فيها قواعد مثلى، ولآلىء حسنى في توحيد الله سبحانه.. نفع الله بها العباد والبلاد.

ولله در الشيخ قامعاً للبدعة. مقيماً لبناء السنَّة، وذاباً عنها، وباعثاً لمعالمها، وحامياً لجنابها، وباسطاً لرحابها.

ولله در الشيخ من عابد زاهد، معرضاً عن اللهو والمفاسد، مخبتاً لربه، منيباً وقافاً عند حكمه، مستجيباً، نحسبه عند الله كذلك.

ولله دره من معلم ومربّ له مريدوه ومحبوه الذين نهلوا من فيضه، وعبّوا من نبع علمه.

ولله دره من صاحب مؤلفات حسان، علت به شريعة الرحمن، ما بين مقال وكتاب ورسالة ومحاضرة تشهد بعلو قدمه، وثقابة ذهنه، وبعد غوره، وسداد فكره».

معرفتي به:

حين زرت الشيخ عبد الرحمن السعدي في موسم الحج سنة ١٣٧٥هـ، مع زملائي أساتذة مدرسة النجاة، ونزلنا في ضيافته، عرفنا عدداً من تلامذته ومنهم: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وكان في العشرينيات من عمره، ثم تكررت لقاءاتي به في المؤتمرات التي حضرتها بالمملكة كمؤتمر رسالة المسجد بمكة المكرمة، ومؤتمر الفقه الإسلامي بالرياض، ومؤتمر الدعوة والدعاة بالمدينة المنورة وغيرها من اللقاءات في موسم الحج والعمرة في رمضان.

وبعد التحاقي بالرابطة، كنت أشترك معه في إلقاء محاضرات في التوعية الإسلامية للحجاج بإشراف سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، كما سعدتُ بسماع دروسه في الحرم المكي في العشر الأواخر من رمضان كل عام طوال مدة عملي في الرابطة، ثم سماعي لدروسه وفتاواه التي كان يلتزم فيها الحكم الذي يعضده الدليل دون الالتزام بمذهب معين، بل كانت له اجتهاداته الكثيرة، وفتاواه المسموعة والمقروءة التي ينفرد بها خلافاً للمذهب، منزلاً الحكم الشرعي على واقع الحال، وسالكاً مسلك التيسير والتسهيل على العامة الذين يجهلون الكثير

من أمور الأحكام المرعية، ومترفقاً بالشباب المندفع، ليردهم إلى جادة الصواب، وهدايتهم لالتزام الطريق الوسط، للوصول إلى الهدف بالحكمة والموعظة الحسنة.

وفاته:

في مساء يوم الأربعاء ٥ / ١٠ / ١٤٢١هـ - ١٠ / ١ / ٢٠٠١م)، انتقل إلى رحمة الله سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين في المستشفى التخصصي في جدة بعد إصابته بمرض السرطان الذي لازمه مدة عامين.

وصُلِّي عليه في الحرم المكي ودُفن في مقابر مكة المكرمة.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الداعية الشهيد محمد صالح عمر

(١٣٥٠ ـ ١٣٩٠هـ = ١٩٣٠ ـ ١٩٧٠م)

مولده ونشأته:

وُلد سنة (١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٠م) في مدينة الخرطوم بالسودان، وتخرج في كلية الحقوق قسم الشريعة بجامعة الخرطوم سنة ١٩٥٩م، ونال درجة الماجستير من جامعة لندن، وكان أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم، وهو من قادة الحركة الإسلامية في السودان، ومن الرواد الكبار لثورة أكتوبر سنة ١٩٦٤م، وكان وزيراً في حكومة الثورة سنة ١٩٦٤م، وقد أكرمه الله بالشهادة، حيث استشهد في أحداث جزيرة (أبا) بالسودان سنة ١٩٧٠م أيام الحكم الديكتاتوري في السودان.

معرفتي به:

التقيته أول مرة في بيروت أوائل الستينيات الميلادية من القرن العشرين، وكنا

نتدارس قضايا المسلمين وأوضاع العالم الإسلامي وموقف العاملين في الحقل الإسلامي من التحديات التي تواجههم، ومؤامرات قوى الكفر التي تكالبت على حرب الإسلام والمسلمين، وحرّكتْ عملاءها من الدمى والأقزام والفراعنة الصغار لضرب الحركة الإسلامية المعاصرة، وتصفية الدعاة إلى الله وقادة الفكر الإسلامي بكل وسائل البطش والتنكيل باعتبارهم الخطر الذي يهدد إسرائيل والشوكة التي تكدر صفو استقرارها بالمنطقة، وقد رسمت الخطط الجهنمية لتكون هذه الضربة للدعوة والدعاة أعظم وأعم من سابقاتها سنة ١٩٤٨م، وسنة ١٩٥٤م.

وبالفعل اعتقل عشرات الآلاف من الشباب المسلم وصُفي الكثير منهم بأيدي الجلادين في السجون، أو على أعواد المشانق، وعاش العالم الإسلامي في ظلام دامس لغياب مصابيح الهدى وأعلام الحق، وانطلق شياطين الإنس والجن وخفافيش الظلام وفئات المرتزقة والمنافقين والمتأكلين بالدين يصفقون للفرعون ويباركون إجرامه في حق المؤمنين، وانطلقت أبواق الطاغية وإعلامه الفاجر يرعد ويزبد ويتهدد ويتوعد، وصار التدين أو ارتياد المسجد أو إطلاق اللحية أو الحديث عن الإسلام جريمة يعاقب عليها قانون الفراعنة ولم يقف الأمر عند الدعاة وحدهم، بل شمل البطش عوائلهم من النساء والشيوخ والأطفال الذين زُجّ بهم في السجون، بتهمة إيصال بعض القروش للعوائل المحتاجة من أسر الشهداء والمعتقلين.

ولما بلغ السيل الزبى، تداعى رجال الحركات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، وكان منهم الأخ الشهيد محمد صالح عمر للبحث في سبل التصدي لهذه الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين عامة وعلى الحركة الإسلامية المعاصرة وقادتها خاصة.

والأخ محمد صالح عمر من شباب الحركة الإسلامية في السودان، نشأ في أحضان الدعوة الإسلامية وتربى على منهج الإسلام منذ كان في مقاعد الدراسة

ثمّ برز داعية مثقفاً واعياً، يتحرك بالإسلام وينتصب بقوة لتفنيد مقولات الشيوعيين والعلمانيين في أوساط الجامعة وخارجها حين تقام الندوات والمناظرات وتعقد الحلقات والاجتماعات.

وأثمرت هذه الجهود المباركة المبذولة من الأخ الشهيد محمد صالح عمر وإخوانه الإطاحة بالنظام الديكتاتوري في السودان، وتشكلت حكومة ائتلافية كان ـ رحمه الله ـ أحد وزرائها، ولم يدم الأمر كثيراً حيث تداعى أعوان الاستعمار وقاموا بانقلاب عسكري آخر نصبوا عليه إحدى الدمى المتعاونة معهم، ليستأنف الحرب على الإسلام ودعاته.

لقد كان الأخ الشهيد من رموز الحركة الإسلامية في السودان بل إنه انتُخب لقيادتها فترة من الفترات أثبت فيها حنكة وجدارة ومرانة في سياسة الأمور ومعالجة القضايا وحلّ المعضلات.

وحين شَكّلتْ الحركة الإسلامية أواخر الستينيات كتيبة لمناوشة اليهود على الحدود، وأقامت معسكراً لتدريب المجاهدين التحق فيه الكثير من الشباب المسلم، من مصر والسودان وسوريا والأردن ولبنان وفلسطين واليمن والعراق، وخاضوا المعارك الشرسة مع يهود التي طار صوابها حيث كانت تظن أن الضربات المتتابعة على الدعاة والتصفيات الجسدية والاعتقالات ستمنع أبناء الحركة الإسلامية من معاودة الكرة لحرب إسرائيل، وقد استشهد عدد من الإخوة الكرام من مصر وفلسطين وسوريا واليمن، كما سقط الكثير من الجرحى والمصابين بعد أن أصابوا من العدو اليهودي مقاتل موجعة وضربات قاتلة.

وحين استشرى الشر في السودان وأوغل الديكتاتور العسكري في الظلم والبطش وعمّ البلاء سائر طبقات الشعب واستعملت كل وسائل التنكيل، بما فيها هدم البيوت على ساكنيها، واستعمال الطائرات لقصف مناطق المسلمين، كان الأستاذ محمد صالح عمر مع إخوانه السودانيين في خط الرباط وميدان القتال

ضد يهود فاستأذن للعودة مع مجموعة من إخوانه إلى السودان لمحاربة الطاغية والتصدي لظلمه وشارك في المعارك التي خاضها الشعب السوداني في جزيرة (أبا) ولقي ربه شهيداً متقبلاً؛ إن شاء الله.

إن الأستاذ محمد صالح عمر داعية دمث الخلق لين الجانب مع إخوانه، صلب متمرس في ميادين القتال، سياسي محنك داهية يعرف ألاعيب السياسة ودروبها، فلا ينخدع بمعسول الكلام الذي يجري على ألسنة السياسيين، ولا يغتر بالوعود الكاذبة التي يطلقونها هنا وهناك.

وفي نفس الوقت هو داعية عالمي النزعة يتجاوز الحدود الإقليمية ويستعلي على الروابط الطينية وينتظم في صف العاملين لوحدة الحركة الإسلامية انطلاقاً من عالمية الإسلام ومن أمة الإسلام الواحدة.

لقد تكررت لقاءاتي مع الأخ الشهيد محمد صالح عمر، فلم تزدني إلاّ حباً له، وإكباراً لمواقفه، وثقة بدينه وإعجاباً بثاقب رأيه وبُعد نظره.

كما كنت أغبطه على الحرص الشديد للقاء ربه شهيداً في ميادين القتال ضد أعداء الله، وكان مستشرفاً للشهادة في فلسطين مع إخوانه الذين سبقوه، فشاء الله أن يكرمه بالشهادة مع إخوانه السودانيين في جزيرة (أبا).

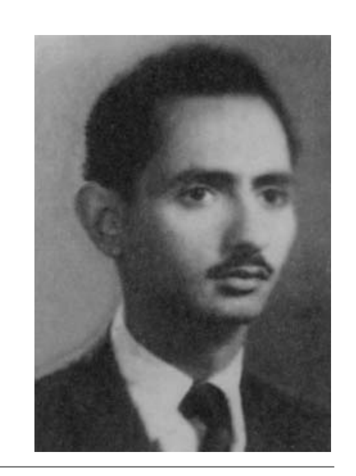
قال عنه الشهيد عبدالله عزام في كتابه: «الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية»:

«وهذا المجاهد محمد صالح عمر ـ الوزير السوداني ـ يدوس الدنيا بقدمه، ليعيش في الخيام مجاهداً فوق أرض فلسطين، ويواصل جهاده حتى يلقى ربه شهيداً في جزيرة أبا».

رثاه الأستاذ الداعية فتحي يكن بقوله: «.. عرفتكَ أيها الشهيد الجديد فعرفتُ فيك الإخلاص والصدق والجرأة في الحق والنظر الثاقب والفكر النّير والرأي السديد. إن خسارتنا بك كبيرة وإن تك خسارة السودان أكبر.. كان أمل الإسلام في السودان يلتمع في عينيك، وكانت الثقة بانتصار الإسلام تبدو من

خلال أفكارك وتصرفاتك فكنت ـ حقاً ـ صورة للمسلم داعيةً وجندياً وقائداً. واليوم نفتقدك في الليلة الظلماء، نفتقدك ونحن أحوج ما نكون إليك، نفتقدك وأنت في أوج عطائك ونضجك.. ولكنك أيها الراحل العزيز ستكون كما كان الذين سبقوك شحنة إيمان وقبساً من نور في طريق الزحف الإسلامي الكبير..» انتهى.

رحم الله أخانا الشهيد محمد صالح عمر، وجمعنا وإياه في الجنة مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





رفيق الدرب
الشهيد محمد الصوابي الديب

(١٣٤٧ ـ ١٣٧٥هـ = ١٩٢٧ ـ ١٩٥٥م)

معرفتي به:

تعرَّفتُ إليه منذ التحاقي بكلية الشريعة بالأزهر عام ١٩٤٩م عن طريق إخواني: محمد الصفطاوي وأحمد العسَّال وأحمد حمد وغيرهم من زملاء الدراسة بالكلية، الذين أثنوا عليه الثناء الحسن، وذكروا من سيرته وصفاته وإيمانه ورجولته وصدقه ووفائه، ما زادني فيه حباً ومنه قرباً، فقد كان نموذجاً من الشباب الصالح، ومن نوادر الزملاء في الكلية.

كان يؤثرني وغيري من طلبة البعوث الإسلامية الوافدين من خارج مصر بمحبته وخدماته ومذكراته الدراسية ومحاضرات الكلية.

خرجنا معاً في رحلات دعوية ورياضية وسياحية إلى حلوان والمعادي وجبل المقطم والقناطر الخيرية والأهرامات، فكان خفيف الحركة، سريعاً كالغزال في الركض والقفز والوثوب، لأنه كان من الفدائيين والمجاهدين بفلسطين عام

١٩٤٨م رغم صغر سنه، وحين قام العمل الفدائي ضد الإنجليز كان من أعمدة التدريب لطلبة الأزهر في المعسكر الأزهري الجامعي، كما شارك في العمليات الجهادية ضد قوات الاحتلال البريطاني في قناة السويس، وكان من أوائل المتطوعين.

تعلَّمتُ منه الكثير فترة الزمالة بالكلية، والتدريب بالمعسكر والرحلات الطلابية والجولات الدعوية، فقد كان قدوة للطلاب جميعاً.

والأخ الحبيب محمد الصوابي الديب عامل صامت ومجاهد صادق، يتصف بالهدوء والدعوة والخلق النبيل الفاضل والمشاعر الطيبة الصادقة، يحب إخوانه غاية الحب ويتفانى في خدمتهم بكل تواضع وحياء ودونما تكلف أو رياء.

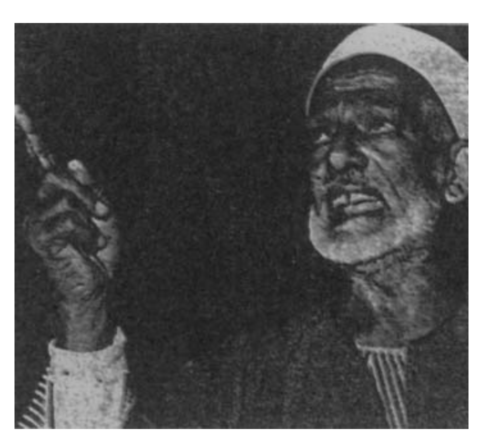
إنه نموذج من النماذج الكريمة لهذه الدعوة المباركة التي انطلقت بتوجيه مجدد القرن الرابع عشر الهجري بأرض الكنانة الإمام الشهيد حسن البنا ـ رحمه الله تعالى.

كان جاداً في دراسته، صارماً في مواقفه، لا يتراجع أمام الباطل، مهما طغى وتجبر، ولا يتردد عن الإقدام في مواطن الرجولة، وميادين الجهاد.

وهو مؤدب غاية الأدب في حواره ومناقشته مع أساتذته وزملائه، يقول ما يعتقد أنه الحق ويخضع لقوة الحجة ونصاعة الدليل، فلا يكابر ولا يراوغ، بل يدور مع الحق حيث دار، ولهذا كسب محبة الجميع واحترامهم، لعزوفه عن الصدارة والمظاهر وإيثاره العمل الصامت والكلام القليل إلا في مواطن الضرورة.

كثير الاتصال بالطلاب، يعرض عليهم دعوة الحق والقوة والحرية، ويهيب بهم بضرورة الالتزام بها، والالتحاق بركبها، ويهتم بالطلبة الأزهريين الوافدين من الأقطار الإسلامية ويؤثرهم على غيرهم ويقدم لهم كل عون مستطاع في الدراسة والخدمات العامة.

ظلت صلتي به قوية وعلاقتي به وثيقة، وكنا نتبادل الزيارات في المنازل، حتى


الشيخ حسنين مخلوف

تخرجتُ في الجامعة وغادرتُ مصر سنة ١٩٥٤م، فانقطعت أخباره وأخبار الإخوان الزملاء الآخرين عني، نظراً للجو الرهيب الذي عاشته مصر في عهد الطاغية عبد الناصر ـ عليه من الله ما يستحق ـ ثم سمعنا من وسائل الإعلام وعن طريق الثقات من أصحاب المروءات بما مرّ بالدعاة إلى الله من مآسٍ وابتلاءات، حيث أدخلوا السجون بالألوف، وأزهقت أرواح المئات منهم تحت التعذيب وعلى أعواد المشانق، وهرب من الظلم من استطاع الهروب، واختفى من استطاع الاختفاء، وقد بقي الأخ الشهيد مطارداً فترة من الزمن، متخفياً عن الأنظار، يسكن المقابر، ويجاور الأموات، حتى هداه الله إلى الالتجاء إلى جوار رجل شهم كريم، وعالم أزهري كبير، فآواه في بيته، وأكرم نزله، وعامله معاملة الأب لأبنائه، فكان هذا العالم قمَّة في الوفاء والكرم والمروءة، لم نعهدها في علماء السلطة، وأتباع الظالمين من المرتزقة وأدعياء العلم الذين يتاجرون بالدين في سبيل الدنيا، وينتصبون لحرب الدعاة طمعاً ورغباً من الحاكم الظالم الذي سخَّرهم أبواقاً تُسبِّح بحمده وتذكر مآثره وتبرر ظلمه وطغيانه وتفسِّر الدين على هواه!!

عالم عامل:

إن هذا المثل الرائع للعالم العامل في هذا الزمان هو فضيلة الشيخ الكبير مفتي الديار المصرية حسنين محمد مخلوف، وهو ليس في حاجة إلى تعريف، لأنه أكبر من أن يُعرَّف فسُمعته الطيّبة وذكره الحسن وسيرته العطرة معروفة في العالم العربي والإسلامي وليس في مصر وحدها، لقد عاش الشيخ العلاّمة مخلوف حياته

كلها يمثل عزة العالم المسلم، ورجولة الداعية إلى الله، وكان ـ رحمه الله ـ ولا نزكيه على الله ـ من عباد الله الأتقياء الصالحين، الذين يقفون مع الحق ويساندون دعاة الحق ويقولون الحق، ويعملون به ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلباً لمثوبته.

لقد بقي الأخ الشهيد والزميل الصديق محمد الصوابي الديب متخفياً حتى شهر ديسمبر سنة ١٩٥٤م، حين ذهب الساعة الثالثة ظهراً، وطرق باب منزل العلاّمة الشيخ حسنين مخلوف ـ مفتي الديار المصرية ـ الذي يقع في شارع نجيب باشا بكوبري القبة بالقاهرة.

وحين يفتح الخادم الباب يعود إلى الشيخ ليخبره عن الطارق فيقول:

ـ إنه شاب طليق اللحية، رث الثياب، ويريد مقابلتك.

يقول الشيخ مخلوف بنفسه: تعجبتُ من ذلك وظننتُ أنه عابر سبيل..

دخل الشاب المنزل، ولم أقابله في البداية، بل أعدَّ له الخادم طعام الغداء، فأكله بشهية وكأنه لم يأكل منذ مدة طويلة.. بعد الغداء ظننتُ أنه سينصرف، إلا أنه أصرَّ على مقابلتي وألحَّ في ذلك، فذهبتُ إليه وما إن رأيته حتى ظننتُ أنه سيطلب صدقة، فقد كان رثَّ الثياب تبدو عليه شدة التعب.

بدأ حديثه بأن عرَّفني على نفسه.. محمد الصوابي الديب طالب بكلية الشريعة بجامعة الأزهر.. ولقد اهتز بدني وأصبتُ برعشة عندما قال لي: «إنه كان من متطوعي الإخوان المسلمين في حرب فلسطين والقناة»، فقد كان الإخوان المسلمون في ذلك الوقت سنة ١٩٥٤م في أوج محنتهم، وكانت كلمة «الإخوان المسلمون» تترادف معها كلمات الاعتقال، والسجن، والتعذيب، والمحاكمات... إلخ.

نظر الشاب إليَّ في هدوء، والحديث للشيخ مخلوف، وقال بصوت منخفض ولكنه قوي: «أنا في محنة وأحتاج إليك، فأنا مطلوب القبض عليَّ، وقد مكثتُ أكثر من شهر هارباً متخفياً في المقابر نهاراً، ثم أخرج في الليل لأقتات الطعام... لقد كرهتُ الحياة بين الأموات وأريد أن أعيش بين الأحياء فهل تقبلني؟».

يقول الشيخ حسنين مخلوف: سيطر الذهول على نفسي تماماً، ولم أفق إلا عندما قال الشاب: ما رأيك؟.. استأذنت منه وذهبتُ إلى أولادي.. الدكتور علي وابنتي زينب، والذهول ما زال مسيطراً على نفسي... لاحظ أولادي ذلك على الفور فسألوني: «مالك يا أبي.. حصل إيه؟».

أخبرتهم بالقصة، وفجأة وجدت نفسي أردد قائلاً:

ـ إنه صادق... إنه صادق... إنه صادق.

قلت لأولادي: إنني متأكد أن هذا الشاب ليس من الشرطة أو المباحث، جاء ليختبرنا، بل إنني موقن أنه يقول الصدق فهو صادق... وأضفت: إنني لا أستطيع أن أرد مستجيراً في هذه المحنة، وأنا موقن أنه مظلوم، وقد قررتُ قبوله، ولكن الذي يقلقني هو ما ستفعله بكم أجهزة المباحث والدولة كلها إذا اكتشفوا وجوده بيننا، حيث هناك قانون أو فرمان جمهوري صدر في ذلك الوقت، يعاقب كل من يتستر على أي من الإخوان المطلوب القبض عليهم بالأشغال الشاقة لمدة خمس عشرة سنة، قال ابني علي ـ بعد فترة صمت ـ: افعل ما تراه من الناحية الإسلامية والله يتولانا جميعاً، ويضيف الشيخ حسنين مخلوف فيقول: خرجتُ مع ابني علي إلى الشهيد الصوابي، وعرَّفته بابني علي، وأخبرته بأننا قررنا قبوله عندنا، وأنه يشرفني ذلك.. ارتسمت أمارات الراحة والاطمئنان على وجه الشهيد.. وما زلت أذكر ابتسامته المضيئة على وجهه حتى الآن.

شخصية جديدة:

وسيطرت الدهشة على وجه الشهيد عندما قال له ابني الدكتور علي: «لا بد من أن تولد من الآن بشخصية جديدة وتدفن شخصيتك الحالية»، ويضيف الدكتور علي مخلوف الذي يعمل رئيس قسم أمراض النساء والولادة بطب عين شمس: كان في اعتقادي أنه لا يمكن إخفاء الشهيد محمد الصوابي الديب، وبخاصة في منطقتنا التي كانت تشتهر بكثرة ضباط البوليس الذين يسكنونها،

فكان الحل أنه لا بد من أن يولد الشهيد الديب بشخصية جديدة تماماً.. وأن أحسن طريقة لإخفاء أي شخصية هو أن تظهره بشخصية جديدة، وتكون جميع تصرفاته طبيعية، أما الهروب والاختفاء عن أعين الشرطة والناس، فإنها طريقة فاشلة ينكشف أمرها دائماً، عاجلاً أو آجلاً.

واتفقنا على أن يعمل الشهيد سكرتيراً لوالدي الذي كان فعلاً في حاجة إلى سكرتير، فقد كان مفتياً للديار المصرية في ذلك الوقت، وكانت ترد إليه استفسارات دينية كثيرة، بالإضافة إلى أنه يكثر من تأليف الكتب، واحترنا في الاسم الذي نطلقه عليه، وأخيراً قال والدي للشهيد: أنت صادق في جميع تصرفاتك وأقوالك، فاسمك منذ الآن «صادق أفندي»، وضحكنا جميعاً.

وفي اليوم التالي كان الشهيد محمد الصوابي الديب شخصاً آخر تماماً، نظيف المظهر، حليق الذقن، وهو أبيض اللون، واسع العينين، متوسط الطول، نحيف الجسم.

ويقول الشيخ حسنين مخلوف: إن الخطة التي تمَّ وضعها لإخفاء الشهيد نجحت تماماً، فقد أذعنا على كل أفراد الأسرة أنه جاء لي سكرتير جديد اسمه «صادق أفندي»، ولم يعرف بالسر سوى أربعة أشخاص: أنا وابني الدكتور علي وابنتي الدكتورة زينب، وزوجة ابني الدكتورة سعاد الهضيبي، التي لم تتردد في الترحيب بالشهيد رغم أن والدها المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي وجميع إخوتها في السجن.

ويضيف الشيخ حسنين مخلوف: إن الشهيد محمد الصوابي الديب أو صادق أفندي، كان فعلاً سكرتيراً ممتازاً، وعاونني كثيراً في عملي، وبخاصة في الكتب التي أخرجتها في ذلك الوقت، وكان الشهيد يصحبني دائماً، في كل مكان أذهب إليه، وقد اعتبرته فعلاً سكرتيري الخاص.

عاش صادق أفندي لمدة ثمانية أشهر كاملة مع أفراد أسرة الشيخ حسنين مخلوف كأنه واحد منهم، يأكل معهم ويعيش بينهم، إذ كان الشيخ يطلب منه

دائماً الإجابة عن الاستفسارات الدينية الكثيرة التي ترد إليه باعتباره مفتياً للديار المصرية، وكان الشهيد يسكن في حجرة منفصلة بحديقة المنزل فيها صالون ومكتبة كبيرة وغرفة نوم وحمام خاص، تمَّ تخصيصها لصادق أفندي.

يقول الشيخ حسنين مخلوف: وفي أحد أيام صيف ١٩٥٥م على ما أذكر، جاءني صادق أفندي وقال لي: إنه يريد السفر إلى السعودية ليعمل هناك، وحاولت أن أثنيه عن ذلك، ولكنه أصرَّ وأخبرني أن هناك شخصاً قد أعد له الرحلة بالباخرة عن طريق السويس إلى جدة.

إن قلبي لم يطمئن واستعنت بابني الدكتور علي لإقناعه بعدم السفر، ولكن دون جدوى، وقال: إنه يريد أن يكون نفيه هناك، ويستريح من القلق الذي يعانيه كهارب، رغم إجادته لشخصية صادق أفندي، وغادرنا الشهيد البطل بعد أن وعدنا بأن يرسل لنا برقية فور وصوله إلى السعودية لكي نطمئن، وأرسلتُ إلى المرحوم محمد سرور الصبان مستشار الملك سعود ليهيئ له عملاً عند وصوله إلى هناك، ولقد مضى على سفر الشهيد حوالي الشهر ولم تصل أي برقية تفيد بوصوله إلى هناك.

يقول الدكتور علي حسنين مخلوف: كانت الأسرة كلها قلقة، وبما أنني كنت أكثرهم هدوءاً، فقد حاولت دائماً أن أطمئنهم، ولكن دون جدوى، وضاع هدوء أعصابي في أحد الأيام عندما أخبرتني زوجتي الدكتورة سعاد الهضيبي أنها سمعت من إذاعة لندن أنه تمّ القبض على اثنين من الإخوان المسلمين في باخرة السويس، وهما في طريقهما إلى جدة، ولم تذكر الإذاعة أسماء، ولكننا شعرنا أن الشهيد محمد الصوابي الديب كان أحدهما.

رواية وهبي الفيشاوي:

ويروي الأخ وهبي الفيشاوي الذي عمل مديراً لمطبعة مصر: إن الشهيد محمد الصوابي الديب سجن معنا بعد القبض عليه في الزنزانة رقم ٤ بالسجن الحربي،

وقد علمنا أنه تم القبض عليه بواسطة شخص عراقي، وكان زبانية السجن الحربي يعذبون الشهيد تعذيباً وحشياً، حيث وضعوه في زنزانة تسمى «زنزانة الركن» وهي مخصصة للتعذيب الشديد، وكانوا لا يتركونه ينام أبداً، وكان الشهيد أشدنا تعذيباً لا يرحمه مجرمو السجن حتى في أوقات الراحة.

وتقول الدكتورة سعاد الهضيبي ابنة الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين: ذهبت يوماً إلى السجن الحربي لكي أسلِّم والدي بعض الحاجات، وعقب خروجي من مكتب مدير السجن حمزة البسيوني، شاهدتُ الشهيد محمد الصوابي الديب وهم يقومون بتصويره لعمل بطاقة اتهام، وكتمتُ صرخة كادت تنطلق منِّي، وأسرعتُ إلى المنزل وأخبرت زوجي بما شاهدته، فصاح قائلاً: «رحنا في داهية»، وأعد زوجي د. علي حقيبته التي سيأخذها معه إلى السجن، فقد كنا نتوقع في كل لحظة أن تأتي الشرطة العسكرية والمباحث العامة للقبض علينا.

ويقول الدكتور علي مخلوف: كنت خائفاً على والدي الشيخ حسنين مخلوف، فهو قد تجاوز الستين من عمره، ولا يستطيع أن يتحمل أهوال السجن الحربي، ولذلك كنت أنا وزوجتي لا نفارقه ليلاً أو نهاراً، متوقعين في أي لحظة مداهمة الشرطة لمنزلنا.

يقول العلاّمة الشيخ مخلوف: لم أكن أتوقع أبداً أن يتحمل الشهيد محمد الصوابي الديب هذا التعذيب الذي لا يصدقه عقل من أجلي، لم أكن أتوقع أن يضحي بحياته من أجلي، حقاً هذه هي تربية الإسلام الحق.

وتقول الدكتورة سعاد الهضيبي: تعجبنا جميعاً عندما مرَّت الأيام ولم تداهم الشرطة بيتنا كما كنا نتوقع، وفي أحد الأيام ذهبت لزيارة أبي المرحوم حسن الهضيبي بالسجن الحربي، وسألته عن محمد الصوابي الديب الذي كان يعرفه لأنه من الإخوان المسلمين، بالإضافة إلى أن بلدته «شبين القناطر» مجاورة لبلدة أبي وهي «عرب الصوالحة» بالقليوبية، فهز والدي رأسه بطريقة تدل على

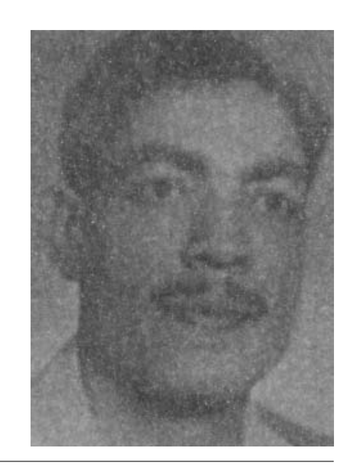
الأسى، وأخبرني أنه من الشهداء، وأضاف أبي قائلاً: لقد تعجبتُ له أن الذين كانوا يقومون بتعذيبه كانوا لا يسألونه إلا سؤالاً واحداً فقط وهو: «أنت كنت فين؟»، فلا يجيب إلا بآيات من القرآن الكريم، حتى كسروا عموده الفقري وبرزت عظامه وضلوعه، وكان ممرض السجن «التمرجي» يخرج من مكان تعذيبه وفي يده صفيحة مليئة بالدم.

ويقول الأخ وهبي الفيشاوي: إن بعض الإخوة المسجونين الذين كانوا يقومون بتوزيع الطعام علينا، كانوا يخبروننا بأحوال السجن والمعذبين فيه، وفي أحد الأيام أخبرني أحدهم أن جراح الأخ محمد الصوابي الديب فادحة جداً ومتقيحة، وأن حالته قد ساءت لدرجة أن الحشرات تسري بين جروحه، وأنه قد امتنع عن الطعام بعد أن مُنع عنه الماء، ولم تمض سوى أيام قليلة على هذا الحديث حتى أطفئت أنوار السجن الحربي كلها في إحدى الليالي، وشاهدتُ من ثقب زنزانتي حراس السجن الحربي يحملون ملفوفاً داخل بطانية ويضعونه داخل سيارة جيب مغلقة، وشعرتُ أنه الشهيد محمد الصوابي الديب، وقلت في نفسي: استرحتَ وفزتَ بالجنة إن شاء الله.

ويختم الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي الديار المصرية وبقية السلف الصالح حديثه عن الشهيد البطل قائلاً: «إذا كانت تربية الشهيد من تربية الإخوان المسلمين، فأنا أضم صوتي بقوة إلى علماء الأزهر في المطالبة بعودة الإخوان المسلمين، فتربيتهم هي خير تربية».

هكذا كان أخي ورفيق دربي الشهيد محمد الصوابي الديب، وتلك نبذة يسيرة عن سيرته وجهاده، نرجو أن تكون نموذجاً يحتذى لشباب اليوم، ليعرفوا كيف يصوغ الإسلام رجاله، وأي نوع من الدعاة هؤلاء الذين تخرجوا في مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يدخلنا وإياه الجنة مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الأستاذ المربي محمد عبدالحليم الشيخ
(أبو أحمد)

(١٣٤٤ ـ ١٤٠٧هـ = ١٩٢٥ ـ ١٩٨٦م)

أخلاقه وصفاته:

هو الأخ الوفي والصديق الصدوق والرجل النبيل، زميلي في الدراسة ورفيقي في طريق الدعوة ودرب الجهاد، سعدتُ بمعرفته في مصر سنة ١٩٥٠م حيث كان طالباً بكلية دار العلوم وكنت في كلية الشريعة، تربطني به رابطة الأخوة والعقيدة.

والأخ الكريم شعلة من الحماس والنشاط والحيوية والحركة، ينشر دعوة الإسلام ويجلّي محاسنه، ويتصدّى لدعوات التغريب وأحزاب الضلال والمذاهب المستوردة التي يروجها أعوان الاستعمار وتلامذته من المستغربين والإمّعات.

كان خطيباً مفوّهاً، صادق اللهجة جيّاش العاطفة يأسر السامعين بحلو حديثه وإشراقة ديباجته، ويثير الجماهير بقوة خطبه، ويستولي على القلوب بسلاسة أسلوبه وحسن عرضه وصدقه وإخلاصه.

له نشاط كبير في اتحاد الطلبة وأدوار مؤثرة في حرب الإنكليز بقناة السويس، متعاوناً مع إخوانه مسؤولي اتحادات الطلبة في الكليات الأخرى بالجامعات المصرية.

هجرته من مصر:

وبعد تخرّجه تعرّض للملاحقة من فرعون مصر، فهاجر بدينه إلى العراق حيث وفقه الله إلى تأسيس ركائز العمل الإسلامي وبخاصة في شمال العراق وفي مدينة كركوك بالذات التي أحبّه أبناؤها وتعلّق به تلامذتها وحظي بتقديره واحترامه شيوخها وأعيانها.

ولكن زبانية الطاغية ما تركوه، بل لاحقوه وأرغموا حكومة العراق لاعتقاله وزميله الأخ فؤاد مكاوي وإرسالهما لمصر، ففر إلى الكويت حيث عمل فيها في حقل التدريس والتوجيه والتفتيش، وكان الموجه العام للتربية الإسلامية في الكويت وكان درّة العاملين في وزارة التربية الكويتية من حيث الكفاءة والخبرة والأداء والسلوك، ونال تقدير جميع المسؤولين في الوزارة لإتقانه في عمله وتفانيه في أداء واجبه دون كلل أو ملل لا يبتغي إلا وجه الله والدار الآخرة، وظهر ذلك واضحاً جليّاً في مساهمته بوضع مناهج التربية الإسلامية لجميع المراحل الدراسية مما ترك أطيب الأثر في ناشئة الكويت وشبابها من حيث الفهم الصحيح والأسلوب التربوي الحكيم.

نشاطه الدعوي:

والأستاذ محمد عبد الحليم الشيخ رجل كريم النفس واليد ودود عطوف يحب الناس جميعاً ويبذل قصارى جهده لإكرامهم وخدمتهم وتقديم العون لهم في كل المجالات دون النظر إلى جنسياتهم، وكان له اعتناء خاص بالطلبة الوافدين على الكويت من الأقطار الإسلامية حيث يبالغ في إكرامهم وقضاء



محمد عبدالحليم الشيخ أمام المدخل القديم لجمعية الإصلاح عام ١٩٦٤م
وعبدالله المطوع، وعمر الدايل، وإبراهيم أبو جبارة، ومحمد مطر

حوائجهم، فقد كان ثالث ثلاثة من رجال الخير والبرِّ والإحسان والمعروف الذين عرفتهم ساحة العمل التعاوني لمساعدة الضعفاء والمحتاجين وأعني بهما الدكتور سعيد النجار والحاج رسلان الخالد اللذين كانا مضرب المثل في خدمة الناس رحمهم الله، كما كان صواماً قواماً يحيي ليالي رمضان بالقيام في مسجد الملا عثمان الذي كان يعتمد عليه في المتابعة للتلاوة وإلقاء الدروس.

إن الأخ الحبيب محمد الشيخ من خيرة شباب الإخوان المسلمين الذين تربوا على منهاجهم والتحقوا بركب الدعوة منذ نعومة أظفارهم، فكان من الأمثلة الصادقة للدعاة المخلصين الصابرين على مشاق الطريق المجاهدين في سبيل الله حيثما كانوا وأينما وجدوا سواء أكانوا في مصر أم العراق أو الكويت أو غيرها، تمثّلهم هذه الطلائع الإسلامية التي تحثّ الخطى نحو الغد المشرق بإذن الله تعالى.

إن من ينظر إلى سيرة هذا الرجل المربي والأستاذ المعلم الفاضل والعامل الدؤوب في عمله، المخلص في دعوته، الملتزم بمبادئه المحب لإخوانه، يدرك الأثر الكبير الذي أحدثته الحركة الإسلامية المعاصرة في أرض الكنانة، بحيث خرّجتْ هذه النماذج الفذّة من الشباب المهاجر بدينه إلى الله ورسوله، فكانت هجرتهم من مصر خيراً وبركة على البلاد التي هاجروا إليها واستقروا فيها فقد وضعوا لبنات العمل الدعوي الرشيد، ونشروا الفقه الإسلامي الأصيل، وأحسنوا تربية الأمة وبخاصة شبابها على الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله وإقامة شريعته.

وهكذا كلما أراد الطغاة النيل من الدعاة ومحاربتهم والتضييق عليهم، فتح الله لهم من الأبواب ويسّر لهم من السبل وهيّأ لهم من الأسباب وأعطاهم من الهمّة والنشاط ما يذللون به الصعاب، ويقتحمون به الميادين ويعلون به راية الإسلام.

لقد اتّحدتْ رغبة السلطات المحلية الغاشمة للأنظمة الديكتاتورية في العالم الإسلامي مع رغبة القوى الخارجية المعادية للإسلام على تصفية الحركات الإسلامية أينما كانت. ففي سنة ١٩٤٨م ضُربت حركة الإخوان المسلمين بتوجيه من بريطانيا وسنة ١٩٥٤م ضُربت الحركة الإسلامية بتوجيه من أمريكا وفي عام ١٩٦٥م ضُربت الحركة بتوجيه من روسيا التي رفضت أن تمد طاغية مصر بالسلاح إلا بعد تنفيذه هذا الأمر، ومع كل هذا باءت مخططات الأعداء بالفشل وظلّ الدعاة إلى الله يتحركون بالإسلام في كل مكان من بلاد الله الواسعة.

فكلما ضاق عليهم الأمر في مكان هاجروا بدينهم إلى غيره وظلّوا على الحق ثابتين، وبدين الله معتصمين وعلى ربهم متوكلين.

إن محنة الدعوة الإسلامية لم تنته بعد، وإن الصراع بين الإسلام والكفر سيستمر طالما ثمة طواغيت يحكمون بغير ما أنزل الله ويدينون بالولاء لأعداء الله في الشرق أو الغرب على حد سواء.

وإن الحركة الإسلامية التي كان من ثمارها أمثال الأستاذ المربي محمد

عبدالحليم الشيخ لا زالت ولوداً يخرج من رحمها هذا الموكب المتدفق من شباب الصحوة الإسلامية المباركة، الذين يضيئون الدنيا بنور الإسلام ويقدّمون الخير للناس جميعاً مما أطار صواب الحاقدين من الأعداء الصليبيين والصهيونيين والزنادقة الملحدين والأذناب المنافقين والعملاء المأجورين فانتصبوا لحرب الإسلام ودعاته بكل شراسة.

ولا ريب أن المستقبل لهذا الدين، أحبّ الأقزام أم كرهوا، رضوا أو سخطوا، ولن ينفعهم أسيادهم الطغاة، فالإسلام قادم بإذن الله لأنه دين الحق، والمسلمون هم أمل الدنيا كلها لإنقاذها مما هي متردية فيه من الضلال، فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين.

ولئن كان المخاض صعباً والتضحيات جساماً والثمن غالياً فإن العاقبة مضمونة والفوز متحقق بإذن الله، لأن الدعوة إلى الله هي مهمة الأنبياء ومن سار على نهجهم من العلماء والدعاة في كل عصر ومصر.

وإن أعداء الله مهما خططوا ودبّروا وكادوا ومكروا فتدبير الله أقوى من تدبيرهم وقوة الله أعظم من قوتهم، والمسلمون هم الفائزون إذا التزموا منهج الله وأطاعوا رسوله وأخذوا بالأسباب المستطاعة ونصروا الله إذ الأمر كله لله: ﴿**وَالله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: ٢١].

من أقواله:

ومن أقوال أستاذنا الداعية المربي محمد عبد الحليم الشيخ:

«... لا يختلف العقلاء في أن الدين حاجة إنسانية وله أثره الكبير في حياة الأفراد والجماعات وتهذيب النفوس وتقويم الأخلاق وتعديل السلوك وتنظيم علاقات المجتمع على أسس ربانية تكفل دوام التقدم والتطور والازدهار. والدين كذلك حاجة نفسية فطر عليها الإنسان فلو خلينا بين الإنسان وفطرته وأزلنا الحواجز والعقبات من طريق طاقاته الخيرية، فلن نجد هناك ما يرضي طموحه

الروحي والعقلي إلا الإيمان، لأنه طريق الحق والخير والجمال والاستقامة ومن هنا كان الحرص على تكريس الجهود لتكوين جيل مؤمن قادر على تغيير واقعنا وإنقاذ أمتنا، يستمد من إيمانه العميق قوة تعينه على خوض معترك الحياة في ثقة وشموخ واعتزاز ويستلهم أمجاد الماضي ليشيد على شواهقها أمجاد حاضر عزيز ومستقبل مشرق سعيد» انتهى.

وفاته:

وقد اختاره الله إلى جواره بمدينة الكويت حيث توفي وهو في سيارته التي يقودها إذ كان متوقفاً عند الإشارة الحمراء ولما أضيئت الإشارة الخضراء كان قد فارق الحياة ورأسه على مقود سيارته وذلك سنة ١٩٨٦م.

وقد نعته وزارة التربية الكويتية بكلمة نُشرت في عدة صحف أثنت فيها على جهوده بالوزارة ودوره في البرامج والمناهج وتربية الأجيال.

كما نعاه الإخوان المسلمون في أنحاء العالم وبخاصة تلامذته في مصر والكويت والعراق وعلى الأخص طلابه في ثانوية كركوك التي قضى فيها فترة من الزمن مدرساً ومربياً تخرّج على يديه جيل من أبناء الحركة الإسلامية في العراق من التركمان والعرب والأكراد على حد سواء، أولئك الذين أحبوه غاية الحب وتعلقوا به وتأثروا بأخلاقه وسيرته ولا زالوا أوفياء له ولدعوته.

رحم الله أخانا الحبيب (أبا أحمد) وأسكنه فسيح جناته، وألحقنا به مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الداعية محمد عبدالحميد أحمد
(أبو الجامعيين)

(١٣٢٩ ـ ١٤١٢هـ = ١٩١١ ـ ١٩٩٢م)

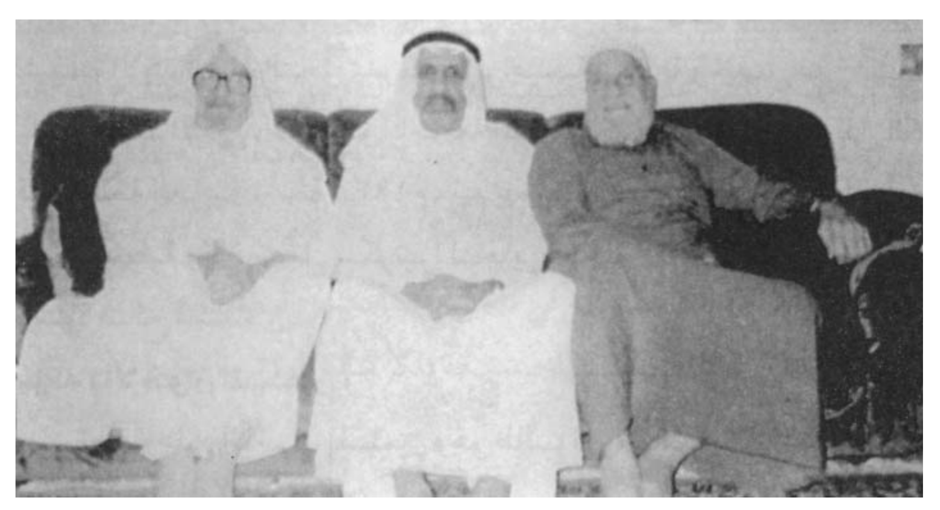
مولده ونشأته:

وُلد في محافظة البحيرة مركز شبراخيت يوم ٢٣ / ٩ / ١٩١١م ونشأ في أسرة دينية فوالده وجدّه من الأزهريين وقد حصل والده على شهادة العالمية واشتغل بالمحاماة الشرعية.

بدأ دراسته في كتّاب القرية فحفظ بعض سور القرآن الكريم ثم انتقل مع والده إلى القاهرة والتحق بمدرسة الجمعية الإسلامية وحصل على الشهادة الابتدائية ثم التحق بمدرسة الإبراهيمية الثانوية وحصل على الشهادة الثانوية القسم الأدبي، ثم التحق بالجامعة المصرية بكلية الآداب وتخرّج في الكلية ـ قسم اللغة العربية ـ سنة ١٩٣٨م، ثم عُين في مدرسة (الإخوان المسلمون) بالإسماعيلية وكان يعمل سكرتيراً لتحرير (مجلة النذير) التي يرأس تحريرها الأستاذ صالح عشماوي.

صلته بالإخوان المسلمين:

تعرّف على الإخوان المسلمين وهو طالب في الجامعة ١٩٣٣م بإرشاد من الشيخ طنطاوي جوهري، حين عرض عليه هو وإخوانه الطلاب تشكيل جمعية إسلامية، فأشار عليهم بالانضمام إلى الإخوان المسلمين، تلك التي تعتمد على الإسلام ديناً ودولة وعبادة وقيادة، وتعتمد على التربية لا على الكتب والنظريات وحدها، بل التربية العملية بالرحلات والكتائب والدعوات الفردية والجماعية في المساجد والأندية، وأثنى على مؤسس الحركة الإمام الشهيد حسن البنا الذي زكاه شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي لتولي مجلة (المنار) بعد وفاة مؤسسها الشيخ السيد محمد رشيد رضا، فما كان من الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد وإخوانه الطلاب الستة إلا الاستجابة لنصيحة الشيخ طنطاوي جوهري والانضمام إلى الإخوان المسلمين وقد اجتمعوا مع الإمام البنا في منزل الشيخ جوهري فكانت البداية واختير محمد عبد الحميد أحمد نقيباً للطلاب.



من اليمين محمد عبدالحميد أحمد (أبو الجامعيين) بمنزله بمكة المكرمة والمستشار العقيل، والحاج أحمد البس.

معرفتي به:

عرفتُ الأستاذ الكبير الداعية المسلم محمد عبد الحميد أحمد من خلال ما كان يكتبه في مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية أواخر الأربعينيات الميلادية من القرن العشرين، ثم التقيتُ به في مصر، وكان له نشاط بارز في محيط الطلاب بحكم خبرته الطويلة في العمل الطلابي وكان من أوائل الطلبة الذين التحقوا بالحركة الإسلامية يوم كان يدرس بكلية الآداب جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقاً) ولذلك لُقب بـ(أبو الجامعيين) من الإخوان المسلمين.

أعماله ونشاطه:

عقب تخرّجه عمل في حقل التدريس في مصر والعراق والأردن، فقد انتدب سنة ١٩٤١م للعمل بالعراق بالمدارس الثانوية ثم انضم إليه الدكتور حسين كمال الدِّين مدرّساً في كلية الهندسة ببغداد فتعاون الاثنان على نشر الدعوة الإسلامية في العراق، وكانا نواة العمل الإخواني هناك ثم لحق بهما الأستاذ محمود يوسف من إخوان مصر ثم تبعه كامل النحاس وغيرهم من الإخوان. وكان الأستاذ الصواف يدرس في الأزهر وبعد تخرّجه نشط معهما في الدعوة إلى الله في العراق. وفي ١٩٤٦م غادر العراق بعد انتهاء مدة انتدابه وعاد إلى مصر ليباشر عمله كمحاضر ومدرس، كما شارك في الكتابة في جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية التي صدرت في العام نفسه.

ثم انتُدب للعمل بالتدريس في الكلية العلمية الإسلامية بالأردن عام ١٩٤٧ / ١٩٤٨م، بناء على طلب الحاج عبد اللطيف أبو قورة ـ المراقب العام للإخوان المسلمين آنذاك ـ ثم عاد إلى مصر حيث واجه الإخوان المسلمون المحنة بحلّ الجماعة في ٨ / ١٢ / ١٩٤٨م واعتقل أعضاؤها وزجّ بهم في السجون والمعتقلات، كما اعتقل سنة ١٩٥٤م وسنة ١٩٦٠م وسنة ١٩٦٥م. وبعد خروجه من السجن ذهب إلى الحج ثم استقر في السعودية وعمل موجهاً للتربية

في رئاسة تعليم البنات بمكة المكرمة. وبعد عامين نقلت خدماته إلى وزارة المعارف وعين مديراً لمدارس منارات جدة ومدرساً فيها لمدة عامين ثم نقلت خدمته إلى وزارة الحج وعمل في تحرير مجلة التضامن الإسلامي التي تصدرها الوزارة.

ثم عمل في جامعة الملك عبد العزيز مدرّساً بقسم الدعوة الذي كان يرأسه الشيخ محمد الغزالي بكلية الشريعة، وزار بلاد الشام والخليج وكان آخر أعماله التدريس بجامعة أم القرى بمكة المكرمة مدة سبع سنوات لنهاية ١٩٨٥م.

آثاره وجهوده:

وقد تربى على يديه جيل من الشباب في العراق ومصر والأردن والسعودية هم طليعة الصحوة الإسلامية المباركة في تلك الأقطار وهم الأمل المرتجى الذين تعلّق عليهم الآمال لإنهاض الأمة من كبوتها وعودتها إلى الإسلام منهجاً ونظام حياة.

إن الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد علم من أعلام الإسلام المعاصرين، وداعية من دعاته الذين كرّسوا حياتهم لحمل رسالة الدعوة إلى الله، فقد كان شعلة من النشاط والحيوية والحركة المستمرة التي لا تهدأ رغم تقدّم السن ووطأة المرض والشيخوخة، فكان همّه إبلاغ الدعوة إلى الناس جميعاً وبخاصة الشباب والطلبة المثقفين، ولقد آتتْ هذه الجهود المباركة ثمارها الطيبة وحمل أمانة الدعوة جيل ضخم من الشباب الذين آمنوا بالإسلام عقيدة وعبادة ونظاماً وتشريعاً وسياسة وحكماً وعملوا به ودعوا الناس إليه وصبروا على البلاء فيه وقاوموا الطغاة واستعلوا بإيمانهم على زخارف الدنيا، ﴿**فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

لقد كانت له دروسه ومحاضراته وندواته وحواراته التي سعدنا بها فترة الدراسة الجامعية بمصر من سنة (١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م) إلى (١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م)،

وكنا نحرص على هذه الدروس التي كانت الزاد لأمثالنا من الشباب في ذلك الوقت أمام هذا الرُّكام من الأفكار الوافدة والمذاهب الدخيلة التي كانت تجتاح العالم العربي والإسلامي عقب الحرب العالمية الثانية، والتي كان يحمل لواءها المستغربون وأعوان الاستعمار وأذنابه الذين انسلخوا من دينهم وعروبتهم، وساروا في ركب المستعمر يقلدونه في كل شيء بالحق وبالباطل، بالنافع وبالضار على حد سواء، فمثلهم كمثل الإمّعات التي لا رأي لها وإنما تسير مع التيار حيث سار وتتبع الأهواء والشهوات ولو أوردتها المهالك.

ويعتبر الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد من التلامذة النجباء للإمام الشهيد حسن البنا فقد تتلمذ على يديه وأخذ عنه الكثير من أساليب الدعوة ومنهج السلوك وكان له التأثير العظيم في حياته الفكرية والروحية، لأن الإمام البنا كان مدرسة قائمة بذاتها من حيث الفقه الشامل للإسلام والتربية العملية للأفراد والاهتمام بكل المسلمين في كل مكان وترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس المسلمين وطرح الإسلام كحل بديل لكل الأنظمة المستوردة والقوانين الوضعية، فكانت حركة الإمام البنا من الحركات الإصلاحية الراشدة التي واكبتها أو سبقتها كالحركة السلفية على يد المجتهد الإمام محمد بن عبد الوهاب، والحركة السنوسية في ليبيا، وجمعية العلماء المسلمين في الجزائر وغيرها.

إن الدعاة الصادقين هم الذين يتحركون بالإسلام الحق الذي جاء بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فلا يخضعون لنزغات الشياطين ولا لشهوات السلاطين بل يمضون في الطريق المستقيم الذي يوصلهم إلى مرضاة الله.

يقول الأستاذ محمد حامد أبو النصر المرشد الرابع للإخوان المسلمين:

«المؤمنون بالله تعالى كثيرون، ولكن من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، ومن هؤلاء الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه أخي الكريم المربي الرائد محمد عبد الحميد أحمد وما أحسبه إلا كذلك ولا أزكي على الله أحداً.

إن الأخ الكريم هو أحد رجال جماعة الإخوان المسلمين ومن الرعيل الأول، إذ كان أول من حمل فكرة الإخوان المسلمين واقتحم بها الجامعة المصرية وغزا بها قلوب الشباب وجمعهم على كلمة التوحيد فاعتزوا به واعتز بهم ومن ثم انتشرت الدعوة الإسلامية في جميع دور العلم، وقاموا بنشرها في حماس وفهم واستقامة على أمر الله.

إن هذا الأخ الكريم الذي حمل هذه الرسالة قد بذل في سبيل نشرها كل غالٍ وثمين واستطاع في قوته وشبابه أن يلج كل المجتمعات حاملاً هذه الراية دون كللٍ أو ملل، بل إنه قد تعرّض لكثير من المتاعب والمشقات، وقامت في سبيله كثير من العقبات، لكنه استطاع بفضل من الله ومنّة، أن يزيل العقبات وأن يجمع الصفوف، وأن يجعل كلمة الله هي العليا في وقت كانت فيه الأفكار المحاربة للإسلام هي السائدة والمزودة بكثير من الإمكانات.ولكن الرجل صبر وصابر وعمل في دأبٍ حتى لقي الله صابراً محتسباً، لم يغيّر ولم يبدّل حتى استطاع أن يورث ذلك الجيل من الشباب الذي تعتز به الدعوة الإسلامية، والذي حملها بدوره إلى الأجيال التي تعاقبت.

كما أن الأخ الكريم كان من أوائل من نشروا دعوة الإخوان المسلمين في العراق حين عمل مدرساً هناك فبذر البذرة ونمت الشجرة وامتدت فروعها» انتهى.

منهاجه ومواقفه:

يحدّثنا الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد عن نشاطهم بالجامعة فيقول:

«كنا في الجامعات نتوسم الطلاب الصالحين منهم فندعوهم إلى حضور المحاضرات الإسلامية بدار الأستاذ الإمام حسن البنا رحمه الله.

ومما يساعدنا على التعرف على هؤلاء الطلاب الصالحين، حرصنا على إقامة مصلى لكل كلية من كليات الجامعة وأداء صلاة الظهر والعصر أحياناً فيقبل على

الصلاة الشباب المؤمن فندعوه إلى الإخوان فيستجيب لنا أكثرهم بحمد الله وكان معي الزميل عبد المحسن الحسيني، وعبد الحكيم عابدين، ثم إبراهيم العزبي، ومحمد محمود السيد غالي، وعبد المحسن شربي، ومحمود عبدالحليم، وغيرهم ولمَّا زاد عدد شباب الإخوان من الطلاب رأينا الاجتماع بدار المركز العام للإخوان المسلمين في ميدان العتبة الخضراء حيث نستمع إلى محاضرة الإمام الشهيد حسن البنا.

وقد وفقنا لاختيار غرفة مناسبة بالكلية لتكون مصلى ومركزاً للدعوة، كان أساتذة قسم اللغة الإنجليزية يستعملونها لحفظ أروابهم الجامعية واستأذنا عميد الكلية الدكتور منصور فهمي فأذن لنا بذلك.

وقد فوجئت الكلية بأذان الظهر في هذه الكلية التي يسيطر عليها الإنجليز ولم يكن فيها سوى مدرس مصري واحد.

وكان الإنجليز يغرون الطلاب بالمكافآت السخية والسفر على حساب القسم إلى إنجلترا وكان من أبرز الطلاب المتأثرين بالغزو الفكري الطالب لويس عوض» انتهى.

يقول الإمام الشهيد حسن البنا في خطبته في طلاب الإخوان المسلمين من شباب الجامعة المصرية سنة ١٩٣١م:

«... ولا يفوتني في مفتتح هذه الكلمة أن أحيي تلك الساعة المباركة التي جلست فيها إلى ستة من إخوانكم منذ أربعة أعوام نتذاكر فيها واجب شباب الجامعة نحو الإسلام... وفي نهاية العام الثاني جمع هذا الحفل أربعين من إخوانكم، وفي نهاية العام الثالث كان عددهم ثلاثمائة وهاأنتم الآن في عامكم الرابع تزيدون ولا تنقصون (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه)» انتهى.

يروي الأستاذ أحمد أبو شادي في كتابه (رحلتي مع الجماعة الصامدة):

«شاء الله أن أكون قريباً من الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد في محنة سنة ١٩٦٥م فأفدت من صحبته كثيراً وتعلمت منه بالقدوة والمعاشرة أكثر مما



عبدالله العقيل ـ أحمد العسال ـ محمد الصفطاوي ـ ياسين الشريف ـ محمد الدمرداش ـ سيد سابق ـ محمد عبدالحميد ـ محمود جودة ـ عزمي الجوهري ـ حامد التميمي ـ أحمد حمد أحمد ـ صالح قدور ـ هاني بسيسو ـ سليم شراب ـ يوسف القرضاوي... إلخ.
هذه الصورة أخذت في مصر، في مدينة حلوان عام ١٩٥١م

تعلمت بالدرس والمطالعة.. كان بحراً من العلم لا شاطئ له، فهو يحدث عن الدعوة التي اعتنقها في فجر شبابه، ويحدثنا عن الأدب في شعر إقبال، وقد كان حفيّاً به يحفظ أكثره ويزجيه لنا غضاً طرياً فننفعل به كما انفعل هو به، ثم هو يعيش بنا مع حِكَمِ ابن عطاء الله السكندري، وكثيراً ما كان يترنّم بهذه الحكم التي تثبّت قلوب المستضعفين إذا ادلهمت الخطوب وكشّرت المحنة عن أنيابها ويئس الجميع من الظفر بالحرية.. من هذه الحكم التي حفظناها منه:

ـ لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك فإن الله قد ضمن لك الإجابة فيما يختاره هو لك لا فيما تختاره أنت لنفسك، في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد.. لأنه فعّالٌ لما يريد.

ـ إذا كان الله معك فمن عليك؟.. وإذا كان عليك فمن معك؟» انتهى.

مؤلفاته:

وللأستاذ محمد عبد الحميد بعض المؤلفات والكتب منها:

كلمات وآراء.

في وجه الطوفان.

العقيدة وحياة رجل العقيدة.

ذكرياتي.

الاهتمام ودوافع القراءة (بحث).

المنظور الاجتماعي في دراسة وسائل الإعلام (بحث).

فضلاً عن الرسائل والمقالات التي كان ينشرها في مجلات النذير والإخوان المسلمون، والدعوة، والمباحث القضائية، وغيرها.

وقد بدأ الأستاذ محمد عبد الحميد الكتابة وهو طالب في المرحلة الجامعية في كلية الآداب، فقد خصص الإمام البنا في مجلته الأولى مجلة (الإخوان المسلمين) الأسبوعية باباً باسم (باب الطلبة) كان أبرز كتابه الأستاذ محمد عبد الحميد وذلك عام ١٩٣٣م.

يقول الأستاذ محمد عبد الحميد عن أستاذه الإمام الشهيد حسن البنا:

«... ذكرياتي مع الشهيد الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ ذكريات عطرة، فقد كان ـ رحمه الله ـ آية من آيات الله، كان اسماً على مسمى «حسن البنا»، لقد بنى فأحسن البناء، وربى فأحكم التربية، كان سمته سمت الحكماء، وروحه روح الأولياء، وفراسته فراسة الأصفياء، كلماته إيحاء، وتوجيهاته نور وشفاء، عرفته فعرفت الرجولة في رجل، والقيادة في قائد، والإسلام في مسلم، وبايعته على العمل للإسلام داعياً إلى الله ورسوله وإلى كتاب الله وسنة محمدﷺ، في مصر، والعراق، والأردن، والسعودية، وأحمد الله الذي وفقني لهذه الدعوة التي هي خير من الدنيا وما فيها، وأسأله أن يعصمني من الفتن ويثبتني على الدعوة حتى ألقى الله راضياً مرضياً» انتهى.

يقول الشيخ محمد الغزالي:

«من الخطأ القول بأن حسن البنا أول من رفع راية المقاومة في هذا القرن الذليل، لقد سبقه في المشرق العربي، والمغرب العربي، وأعماق الهند واندونيسيا وغيرهم، رجال اشتبكوا مع الأعداء في ميادين الحرب والسياسة والتعليم والتربية، وأبلوا بلاءً حسناً في خدمة دينهم وأمتهم.

وليس يضير هؤلاء أنهم انهزموا آخر الأمر، فقد أدوا واجبهم لله، وأتمّ من بعدهم بقية الشوط الذي هلكوا دونه.

إن حسن البنا استفاد من تجارب القادة الذين سبقوه، وجمع الله في شخصه مواهب تفرقت في أناس كثيرين.

كان مدمناً لتلاوة القرآن الكريم يتلوه بصوت رخيم، وكان يُحسن تفسيره كأنه الطبري أو القرطبي، وله مقدرة ملحوظة على فهم أصعب المعاني ثم عرضها على الجماهير بأسلوب سهل قريب.

إن أسلوبه في التربية وتعهد الأتباع وإشعاع مشاعر الحب في الله، كان يذكر بالحارث المحاسبي وأبي حامد الغزالي.

وقد درس السُّنَّة المطهَّرة على والده الذي أعاد ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل، كما درس الفقه المذهبي باقتضاب فأفاده ذلك بصراً سديداً بمنهج السلف والخلف.

ووقف حسن البنا على منهج محمد عبده وتلميذه صاحب المنار الشيخ محمد رشيد رضا، ووقع بينه وبين الأخير حوار مُهذّب، ومع إعجابه بالقدرة العلمية للشيخ رشيد، وإفادته منها، فقد أبى التورُّط فيما تورط فيه.

ولعله كان أقدر الناس على رفع المستوى الفكري للجماهير مع محاورة لبقة للابتعاد عن أسباب الخلاف ومظاهر التعصب.

وقد أحاط الأستاذ البنا بالتاريخ الإسلامي، وتتبع عوامل المد والجزر في مراحله المختلفة وتعمق تعمقاً شديداً في حاضر العالم الإسلامي ومؤامرات الاحتلال الأجنبي ضده.

ثم في صمت غريب أخذ الرجل الصالح يتنقل في مدن مصر وقراها، وأظنه دخل ثلاثة آلاف قرية من القرى الأربعة آلاف التي تُكوِّن القطر كله.

وخلال عشرين عاماً تقريباً صنع الجماعة التي صرعت الاستعمار السياسي والعسكري، ونفخت روح الحياة في الجسد الهامد.

ثم تحركت أمريكا وإنجلترا وفرنسا وأرسلت سفراءها إلى حكومة الملك فاروق طالبين حلّ جماعة الإخوان المسلمين.

وحُلَّت الجماعة وقُتل إمامها الشاب الذي بلغ اثنتين وأربعين سنة من العمر، وحملته أكف النساء مع والده الشيخ الثاكل إلى مثواه الأخير، فإن الشرطة كانت تطاردنا ـ نحن المُشيِّعين ـ حتى لا نقترب من مسجد (قيسون) الذي بدأت منه الجنازة.

لقد بدأ حسن البنا عمله من الصفر، وشرع دون ضجيج يُحيي الإسلام المُستكين في القلوب، ويُوجهه للعمل. ويكفي الإمام الشهيد شرفاً أنه صانع الشباب الذين نسفوا معسكرات الإنجليز على ضفاف القناة وما زالوا بهم حتى أغروهم بالرحيل.

ويكفيه شرفاً أنه صانع الشباب الذين ما اشتبكوا مع اليهود في حرب إلاّ ألحقوا بهم الهزيمة وأجبروهم على الهروب.

إن ذلك هو ما جعل الاستعمار مُصراً على معاداة هذه المدرسة وإلحاق الأذى بها حيثما ظهرت.

أنا لا أعتبر التتار هم مسقطي الخلافة في بغداد، إن الخلافة أسقطتها من قبل قصور مترعة بالإثم متخمة بالملذات الحرام.

أنا لا أعدّ الصليبيين هم مسقطي دولتنا في الأندلس، إن المُترفين الناعمين هم الذين أنزلوا راية الإسلام عن هذه الربوع الخضرة، إن ملوك الطوائف في الأندلس لم يكونوا أبناء شرعيين لطارق بن زياد، ولا لغيره من الأبطال الذين باعوا لله أنفسهم فأورثهم الأرضين».

(محمد الغزالي ـ من كتاب «دستور الوحدة الثقافية ص ٦ ـ ٨، ١٣ طبعة دار القلم بدمشق).

وفاته:

هذا ولم يغادر الأستاذ محمد عبد الحميد أحمد مكة المكرمة بعد تقاعده عن التدريس، بل أقام فيها مجاوراً إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم ٤ / ٥ / ١٩٩٢م بعد مرض عضال استمر شهوراً، وصلي عليه في المسجد الحرام ودفن في مقبرة (المعلاة) بمكة المكرمة. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي عباده الصالحين.





الزعيم الكبير محمد علال الفاسي

(١٣٢٨ ـ ١٣٩٤هـ = ١٩١٠ ـ ١٩٧٤م)

مولده ونشأته:

هو علال (أو محمد علال) بن عبد الواحد بن عبد السلام بن علال بن عبدالله بن المجذوب الفاسي الفهري، هاجرت أسرته إلى الأندلس.

وُلد بمدينة (فاس) بالمغرب سنة (١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م) وتعلّم بجامع القرويين حتى حصل على الشهادة العالمية عام ١٩٣٢م، ونشأ نشأة عصامية جمع بين العلم الديني والحماس الوطني فهو زعيم وطني منذ كان طالباً، ومن كبار الخطباء والشعراء والعلماء بالمغرب، وكان له دور في مقارعة الاستعمار الفرنسي ومحاربته بكل الوسائل وأهمها نشر التعليم وتنظيم قطاعات الأمة للعمل الجماعي وخوض المعارك السياسية والتصدي لكل مخططات الاستعمار.

جهاده وجهوده:

عارض منح الفرنسيين استغلال ماء مدينة فاس، وعارضهم حين أصدروا الظهير البربري لشقّ صفوف الأمة المغربية سنة ١٩٣٠م فاعتقلته السلطات الفرنسية وهو طالب بالعالمية، ويعمل مدرساً في المدرسة الناصرية، ونفته إلى بلدة (تازة) ثم عاد بعد الإفراج عنه إلى فاس سنة ١٩٣١م فمنعته من التدريس، فانصرف إلى جامع القرويين يلقي الدروس العلمية الليلية عن تاريخ الإسلام.

وفي عام ١٩٣٣م حاولت الإدارة الفرنسية اعتقاله فسافر إلى إسبانيا وسويسرا، واتصل بالأمير شكيب أرسلان وإخوانه المناضلين العرب والمسلمين، ثم عاد إلى البلاد عام ١٩٣٤م، وأسس أول نقابة للعمال سنة ١٩٣٦م، وأنشأ كتلة العمل الوطني السرية سنة ١٩٣٧م فأبعدته السلطات إلى (الغابون) منفياً من سنة ١٩٣٧م إلى سنة ١٩٤١م ثم نُقل إلى (الكونغو) من سنة ١٩٤١م إلى سنة ١٩٤٦م وهناك أُطلق سراحه فأنشأ مع رفاقه (حزب الاستقلال) ثم سافر متنقلاً بين البلاد العربية والأوروبية يدعو لاستقلال المغرب عن فرنسا، وعاد إلى المغرب سنة ١٩٤٩م فمنعه الفرنسيون من الدخول، فأقام بمدينة (طنجة) وكانت يومئذ منطقة دولية.

وحين أُبعد الملك محمد الخامس سنة ١٩٥٣م ونُفي من البلاد، دعا علال الفاسي الشعب المغربي للثورة ضد فرنسا وحين رجع الملك واستقرّت الأمور شارك في الحكم فترة قصيرة بعد وفاة محمد الخامس، حيث تولى وزارة الدولة للشؤون الإسلامية عام ١٩٦١م، ثم استقال عام ١٩٦٣م.

ثم انصرف من خلال الحزب (حزب الاستقلال) إلى المعارضة غير العنيفة في مجلس النواب الذي كان عضواً فيه وبقي رئيساً للحزب من ١٩٦٠م إلى عام ١٩٦٧م.

إن أستاذنا العلاّمة المجاهد والزعيم الكبير علال الفاسي رجل من رجالات الإسلام المعاصرين الذين حملوا دعوته وجاهدوا في سبيله وأمضوا حياتهم

يقارعون الظلم والاستبداد ويحاربون الاستعمار، وهو رئيس حزب الاستقلال المغربي الذي اضطلع في بواكير إنشائه بالتصدي للاستعمار الفرنسي ومحاولته لنيل حقوق الشعب المغربي.

وكان الأستاذ علال الفاسي العالم المبرّز الذي قاد المسيرة نحو استرداد الحقوق للشعب المغربي العربي المسلم وشارك في المقاومة الوطنية بلسانه وقلمه وبدنه، وصار يتحرك في طول البلاد وعرضها مشجعاً الناس على الجهاد ومقاومة الاستعمار والتصدي لأعداء الإسلام الذين احتلوا البلاد وأذلّوا العباد ونهبوا الخيرات ونشروا الفساد.

ثم هاجر من بلده مطارداً من الاستعمار وأعوانه، وطاف الأقطار العربية والإسلامية والعالمية معرِّفاً بقضية بلاده، معرِّياً أساليب الاستعمار ووسائله، كاشفاً خططه ومراميه، موضِّحاً الطريق لاسترداد الحق ونيل الاستقلال وإقامة الشرع. وقد حيّاه الأديب الكبير علي أحمد باكثير بقصيدة جاء فيها:

ذكرتك يا علال والناس هجّع ... وليس سوى جفني وجفنك ساهد
وللهمِّ حزٌّ في فؤادي قاطع ... ولليأس فتك في أمانيّ حاصد
تكاد الدّجى تقضي عليّ لأنها ... دجى العرب تاهت في عماها المقاصد
تداعت على قومي الشعوب فما وَنَتْ ... مصادرها عن حوضهم والموارد
ذكرتك يا علال فانتابني الأسى ... أكابد من آلامه ما أكابد
كأني أنا المنفي دونك فاصطبر ... فهذا شعور في بني العرب سائد
وددت لو اني في فلسطين ثائر ... لأهلي تنعاني الظبى لا القصائد
وفي برقة أو في الجزائر قاصم ... ظهور العدى والباترات رواعد
فتلك بلادي لا أفرق بينها ... لها طارف في مجد قومي وتالد

وقد استجاب لنداء علال الفاسي الكثير من داخل البلاد وخارجها والتفّ حوله الشباب واتخذوه زعيماً لهم وقائداً لمسيرتهم، فانطلق بهم مجمعاً

لصفوفهم، شارحاً لهم خطوات العمل ومراحل الجهاد وأعباءه وتكاليفه. وقد استطاع في هذه الجولات أن يتصل بالكثيرين من القادة والزعماء والمجاهدين في العالم الإسلامي أمثال الإمام حسن البنا ومحمد صالح حرب وأمين الحسيني والبشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني وحسن الهضيبي وغيرهم.

لقاءاتي به:

ولقد سعدت بلقائه مرات ومرات، واستفدتُ من دروسه ومحاضراته وندواته، حين كنا ندرس في مصر في أوائل الخمسينيات الميلادية.

وكنا نحن الطلاب الوافدين نشكّل جنسيات مختلفة من أنحاء الوطن الإسلامي ولكن رباط الإسلام وأخوته كانتا الأساس المتين الذي يقوم عليه تجمّع طلبة البعوث الإسلامية بمصر، وقد جرى حوار طويل معه أثاره بعض إخواننا الطلبة المغاربة المعارين الذين طالبوا الزعيم الفاسي بأن يُعنى حزب الاستقلال بالجانب التربوي بحيث لا يطغى الجانب السياسي على معظم نشاط الحزب، وقد تلقّى الزعيم الراحل هذه المناقشات بروح الود والإكبار واعتبرها بادرة طيِّبة من الشباب المغربي الذين استفادوا من وجودهم بمصر في الاتصال بالحركة الإسلامية المعاصرة.

مواقفه ورجولته:

كان الأستاذ علال الفاسي وثيق الصلة بالدعاة الإسلاميين والعاملين في الحقل الإسلامي، ينسّق العمل معهم ويقف إلى جانبهم في محنهم ويتصدى للذود عنهم والدفاع عن أهدافهم، وقد اضطلع بمهمة تصعيد الحملة ضد طغيان السلطة الحاكمة بمصر أيام عبد الناصر التي أقدمت على زج العاملين للإسلام ودعاته في السجن وتعليقهم على أعواد المشانق أمثال الشهداء: عبد القادر عودة ومحمد فرغلي وسيّد قطب ويوسف طلعت وإبراهيم الطيب وهنداوي دوير



ومحمود عبداللطيف وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش.

وقد أصدر علال الفاسي العديد من البيانات والتصريحات وعقد الكثير من المؤتمرات لتفنيد مزاعم السلطة واستنكار أعمالها وسطر المقالات الطويلة التي تتحدث عن جهاد هؤلاء الدعاة في (جريدة العلم) المغربية لسان حزب الاستقلال، كما أقام الحزب المهرجانات لاستنكار تلك المجازر البشعة لأولئك الدعاة المجاهدين في أرض الكنانة.

ولن أستطيع الاسترسال في تسجيل المواقف البطولية الرائعة التي كان يقفها المجاهد المرحوم علال الفاسي فهي أكثر من أن تحصى.

ومرَّت الأيام تجري سراعاً ثم التقيتُ به في زيارة قام بها إلى الكويت قبل سنوات وكان بيننا وبينه أحاديث عن هموم المسلمين ومشكلاتهم وطرائق العمل الناجح لإخراجهم من محنتهم.

وكانت أحاديث وخطب ومحاضرات وندوات خرج منها الفقيد رحمه الله بضرورة توثيق العمل مع الشباب المسلم باعتبارهم الركائز الأساسية لحمل دعوة الإسلام كما أيقن بأهمية البناء التربوي العقائدي للشباب حتى يكونوا طلائع البعث الإسلامي المرتقب لهذه الأمة التي طال أمد رقادها واستكانتها لوعود الحكام وخداعهم، أولئك الذين لا يهمّهم إلاّ البقاء على كراسي السلطة ولو هلكت الشعوب بكاملها ولو ضاعت المقدسات وديست الكرامات، ومن هنا أخذ رحمه الله يبحث عن العناصر المؤمنة الشابة ليوطد الصلة بها ويكسبها

من خبراته وتجاربه في ميدان السياسة والعلم والجهاد والكفاح.

وهكذا كان الزعيم الراحل لا يدع مجالاً من مجالات العمل الإسلامي إلاّ أسهم فيه وبذل من الجهد ما يستطيع، ورغم أننا نخالفه في بعض اجتهاداته السياسية فإنه ليس لنا إلا أن نعترف بأن مواقفه كانت تنبع من اقتناعه بأن الإسلام هو طريق الخلاص لهذه الأمة من كل ما تشكوه من ويلات وما تعانيه من محن وكوارث.

آثاره ومؤلفاته:

لعل الكثير من الناس لا يعرفون عن المرحوم علال الفاسي إلا أنه رجل من رجال السياسة وزعيم من زعماء الوطنية بينما هو علم من أعلام الفكر الإسلامي المعاصر، وداعية من دعاة المدرسة الإصلاحية التي بدأها المرحوم محمد رشيد رضا، كما أن له باعاً طويلاً وقدماً راسخة في الفقه الإسلامي وخاصة الفقه المالكي والفقه المقارن، وله اجتهادات فقهية يحتج بها علماء المغرب والجزائر وتونس، ولكن غلبة الطابع السياسي والوطني جعلتْ انصرافه للأمور الفقهية يحتل المرتبة الثانية من اهتماماته.

درّس في كلية الحقوق وأصدر كتباً كثيرة منها:

دفاع عن الشريعة ـ الحماية في مراكش ـ السياسة البربرية في مراكش ـ النقد الذاتي ـ الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ـ الحرية ـ الحماية الإسبانية في المغرب ـ واقع العالم الإسلامي ـ مهمة علماء الإسلام ـ منهج الاستقلالية ـ رأي مواطن ـ نحو وحدة إسلامية ـ دائماً مع الشعب ـ أناشيد وطنية ـ حديث عن التبشير المسيحي ـ كي لا ننسى ـ المدخل لعلوم القرآن والتفسير ـ المثل الأعلى ـ الديمقراطية وكفاح الشعب المغربي من أجلها ـ مقاصد الشريعة ومكارمها ـ المدخل لدراسة النظرية العامة للفقه الإسلامي ـ المدرسة الكلامية وآثار الشيخ الطوسي ـ المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى ـ أساطير مغربية ـ عقيدة

وجهاد - ديوان علال الفاسي (أربعة أجزاء) - حديث المغرب في المشرق - التقريب: شرح مدونة الأحوال الشخصية - معركة اليوم والغد - بديل البديل - نضالية الإمام مالك - دفاع عن وحدة البلاد - لفظ العبادة وهل يصح إطلاقه لغير الله؟ - نداء القاهرة - الجواب الصحيح والنصح الخالص - المختار من شعر علال الفاسي - رياض الأطفال.. وغيرها كثير لم يطبع بعد.

وهو عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. وله شعر كثير نذكر بعضه كنماذج:

نماج من شعره:

من قصيدة له بعنوان «ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن الكريم»، يقول:

يا أمةً قرآنها دستورها ... وزعيمها كان النبي المرسلا
عودي إلى الدين الحنيف عقيدة ... وشريعة وتخلقاً وتعقلا
ما في سوى القرآن خيرٌ يُجتبى ... أو في سوى الإسلام نهجٌ يبتلى
هذي فلسطين الجريحة أصبحت ... بيد اليهود أسيرة لن ترسلا
والقدسُ أولى القبلتين يُعِدُّه ... أعداءُ أحمد كي يقيموا الهيكلا
عودوا إلى الإسلام يصلح شأنكم ... ويُنِلْكم نصراً مبيناً في الملا

ومن قصيدته في رثاء الشهيد سيد قطب يقول:

في ظلال القرآن دوماً مشيتا ... فعليكَ السلامُ حيّاً وميتا
قد أنرت السبيل للسالك الحر ... وفي نورك البهيّ احترقتا
لم تزل في ضمائر الناس هدياً ... نبويّاً آياته ما شرحتا
دعوة الدين لم تخنها ولكن ... لم تطق عن خؤونها قط صمتا

ومن قصيدة له بعنوان «اضطهاد لغة القرآن» يقول:

إلى متى لغة القرآن تُضطهدُ ... ويستبيح حِماها الأهلُ والولدُ
أما دَرَوْا أنها في الدهرِ عُدَّتُهم ... وما لهم دونها في الكونِ مُلتحدُ
ولن تقوم لهم في الناس قائمة ... أو يستقيم لهم في العيش ما نشدوا
إن لم تَتِمَّ لهم بالضاد معرفةٌ ... أو يكتمل لهم بالضاد مُعتقدُ
إن العقيدة في الأوطانِ ناقصةٌ ... ما لم تكن للسان الشعبِ تستندُ

كما كان خطيباً مفوّهاً وفقيهاً عالماً وسياسياً بارعاً وداعيةً عاملاً يشدّ القلوب والعقول إليه ويستجيب لنداءاته الشباب، فكانوا يستضيفونه بالحلقات العلمية والتجمعات الطلابية والندوات الفكرية ويطرحون عليه كل تساؤلاتهم ومشكلاتهم والطريقة المثلى لتحرير بلادهم من نير الاستعمار، وفي الولايات المتحدة الأمريكية حين كنتُ أنا وهو والدكتور حسن الترابي والأستاذ إبراهيم الوزير مدعوين لحضور المؤتمر السنوي لاتحاد الطلبة المسلمين سنة ١٩٦٨م كانت فترة من أجمل الفترات وأياماً من أسعد الأيام حيث امتدت زيارتنا وتطوافنا في الولايات المتحدة قرابة شهر وقفتُ فيها على الكثير من جوانب شخصيته الفذّة التي تمثّل الرجولة والعصامية في أجلى صورها.

من أقوال علال الفاسي:

«تستطيع القوة أن تنال من جسم المسلم، وتستطيع أن تسلبه ماله وحياته أو تخرجه من أرضه وعشيرته، ولكنها لا تستطيع أن تسلبه الإيمان أو تزيل عنه اعتزازه بنفسه واعتداده بعقيدته».

«ما أحوج المسلمين اليوم للرجوع إلى الدين كما أُنزل غضاً طرياً، وما أحوجهم للتحرر من عقدة النقص التي ركّبها الاستعمار الأجنبي في بلادهم حتى أصبحوا لا يفهمون ولا يُقدِّرون إلا بمقاييس المستعمرين».

وكان آخر عمل مشكور قام به هو جهوده في حمل حكومة المغرب على التخلي عن موقفها في المساهمة بإخراج فيلم عن الرسول ﷺ الذي تكمن وراءه جهات تريد الإساءة لرسول الإسلام ودين الإسلام وأمة الإسلام.

ولقد كنت في زياراتي للمغرب العربي ألتقي العلماء والدعاة والمفكرين ورجال السياسة والأدب فأجد أن الجميع متفق على أن الأستاذ علال الفاسي من أفذاذ رجال المغرب المكافحين ضد الاستعمار والمنافحين عن العروبة والمجاهدين في سبيل الإسلام. فقد جمع من الصفات وتوفّر له من الإمكانات ما جعله في طليعة الرجال ومقدمة الأبطال الذين أرخصوا الغالي والنفيس في الذود عن حياض الإسلام ومقارعة الاستعمار والتصدي للتغريب والفرنسة.

ومن هنا كان له هذا الرصيد الضخم من التقدير والإجلال والمحبة في قلوب الجماهير فكان العلم المبرّز والفارس المقدام والداعية الواعي والسياسي القدير والقائد المُحنك الذي استقطب الجماهير الإسلامية والنخب المثقفة بالاحترام والإجلال من الجميع .

ولقد كان هدفه الأساس هو خدمة الإسلام والمسلمين والعمل الجاد الدؤوب لرفع المعاناة عن المظلومين وإحقاق الحق ومحاربة الفساد والطغيان وتربية النشء على منهج الإسلام وانتظام الدعاة في صف واحد للعمل الجاد لإنقاذ الأمة من آثار الاستعمار ومناهجه في التعليم والتربية والسلوك والاقتصاد والسياسة والاجتماع .

ولقد رأيت ثمار جهوده وجهود إخوانه وتلامذته في المغرب العربي في جيل الصحوة الإسلامية المباركة التي شملت المغرب كله في المدن والأرياف والمؤسسات والجامعات والمدارس والمساجد والنقابات المهنية والبلدية والنيابية وغيرها.

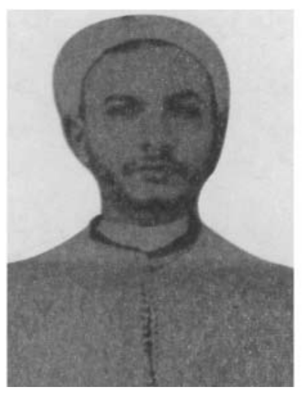
وفاته:

وقد انتقل إلى رحمة الله يوم الاثنين ٢٠ ربيع الثاني عام ١٣٩٤هـ - ١٣ / ٥ / ١٩٧٤م.

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وجزاه الله خيراً عن كل عمل صالح قدمه وتجاوز عن أخطائه وسيئاته وغفر الله لنا وله.

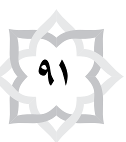


المؤلف مع رئيس وزراء السنغال في دكار
أثناء مؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
وعلى يسار المؤلف د. حسن باحفظ الله



البطل المجاهد السيد علال الفاسي
الذي نفته السلطة الفرنسية إلى
أواسط أفريقيا سنة ١٩٣٧م





الداعية المجاهد الشيخ محمد الغزالي

(١٣٣٥ ـ ١٤١٦هـ = ١٩١٧ ـ ١٩٩٦م)

تمهيد:

حين أكتب عن الشيخ محمد الغزالي السقا، فإنما أكتب من خلال معرفتي به عن قرب، ومعايشتي له، وقراءتي وسماعي له، وهذا بعض حقه عليّ، وشيء من الوفاء لمن تتلمذت على يديه، وهي ذكريات وخواطر مضى على بعضها قرابة نصف قرن، وقد سبقني للكتابة عنه في حياته وبعد مماته الكثير من الإخوان الذين يعرفون قدر الغزالي ومنزلته، وعلى رأسهم العلاَّمة الدكتور يوسف القرضاوي الذي كان أكثر قرباً، وأطول رفقة.

معرفتي به:

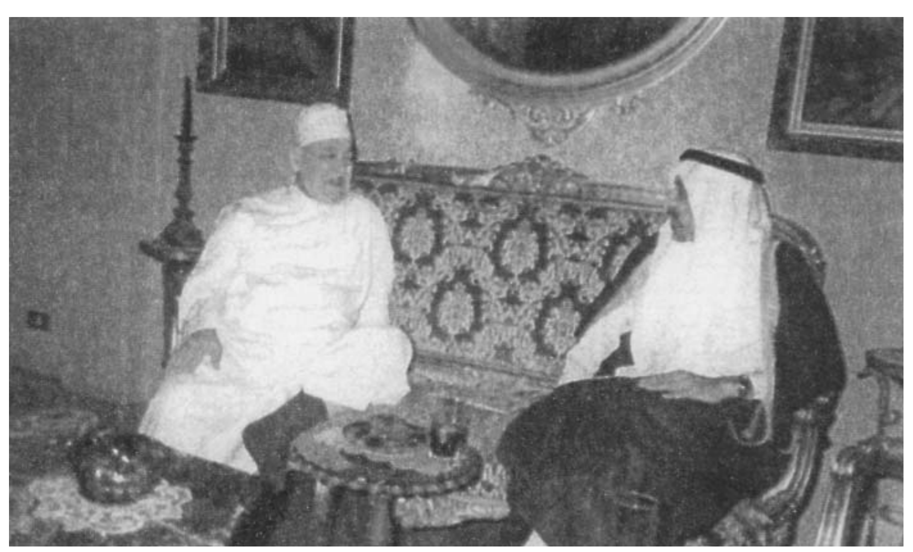
عَرفتُ أستاذنا الغزالي من خلال ما كنت أقرأ له من مقالات في مجلة (الإِخوان المسلمون) التي كانت تصل إلينا بمكتبة الإِخوان المسلمين في الزبير سنة ١٩٤٦م.


الشيخ الغزالي في لقاء مع الشيخ سعد العبدالله ولي عهد دولة الكويت

ولمَّا قدمت إلى مصر للدراسة الجامعية سنة ١٩٤٩م تعرّفت إليه عن طريق الإخوة الزملاء: مناع القطان، محمد بكري، يوسف القرضاوي، يعقوب عبد الوهاب، أحمد العسَّال، محمد الصفطاوي، محمد الدمرداش، والحاج وهبة حسن وهبة.

كانت لنا مع شيخنا الغزالي لقاءات متكررة كثيرة يزودنا فيها بالعلم النافع، ويثير في نفوسنا الحماس للعمل في سبيل الله والمستضعفين، ويبصرنا بمكائد الأعداء في الداخل والخارج، ويكشف مخططاتهم الماكرة لحرب الإسلام والمسلمين، ويفضح دعاوى الشيوعية والعلمانية والماسونية والإلحاد والوجودية والصليبية والصهيونية، ويحذِّرنا من التحالف المشؤوم بين قوى الشر ضد الإِسلام ودعاته، ويوضح لنا سبل التصدي لمقاومة هذه الهجمة الشرسة من قوى الكفر مجتمعة.

إن أستاذنا الشيخ الغزالي داعية متوقد الذهن، جياش العاطفة، عميق الإيمان، مرهف الإحساس، قوي العزم، شديد المراس، بليغ العبارة، يتأثر ويؤثر، حلو



الشيخ الغزالي في لقاء مع مؤلف الكتاب المستشار عبدالله العقيل

المعشر، رقيق القلب، كريم الطبع ... يلمس هذا فيه كل من عاش معه، أو رافقه أو التقاه، فهو لا يحب التكلف، ويكره التعالم والتحذلق، يعيش الواقع بكل مشكلاته، ويتصدى للمعضلات، ويكشف الحقائق، ويدق جرس الخطر، ليحذر الأمة من الوقوع في المهالك والسقوط في الهاوية التي يقود إليها شياطين الإنس والجن في الشرق والغرب على حدٍّ سواء.

والشيخ الغزالي من أعلام الإسلام في العصر الحديث، وهو داعية قل نظيره في العالم الإسلامي اليوم، يتمتع ببديهة حاضرة، وديباجة مشرقة تأخذ بمجامع القلوب، حتى إنني كنت أحفظ مقاطع بل صفحات كاملة من كتبه، وأرتجلها في الخطب بنصها، وقد ذكر ذلك الدكتور القرضاوي في كتابه (الشيخ الغزالي كما عرفته) فقال: «أذكر أن الأخ عبدالله العقيل حين كان يدرس في كلية الشريعة بالأزهر في أوائل الخمسينيات، كان يحفظ مقدمة الطبعة الثانية لكتاب (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) ومطلعها: لم تستذلّ شعوب كما استذلت شعوب الشرق، ولم يُستغل شيء في هضم حقوقها كما استغلّ الدين.. إلخ» انتهى.

لقاؤه الندوي:

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في كتابه القيِّم (مذكرات سائح في الشرق العربي): «كنت حريصاً على الاجتماع بالشيخ محمد الغزالي الذي حدثني عنه الطالب عبد الله العقيل وأثنى عليه بصفة خاصة وأهداني بعض مؤلفاته، فهو من شخصيات الإخوان المسلمين البارزة، وأحد كتَّاب النهضة الدينية بمصر، وقابلت مؤلف (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) و(الإسلام والمناهج الاشتراكية) و(الإسلام المفترى عليه) و (من هنا نعلم)، قابلت الرجل الذي يغذي جماعة الإخوان المسلمين بالغذاء الفكري والروحي الصحيح والأدب الإسلامي الدسم، وسررت لهذه المقابلة لأني رأيت فيه رجلاً صالحاً مثقفاً نشيطاً صاحب قلب حيٍّ وعقل نيِّر، ووجه يفيض بالبشر، ورأيت أن كلاً منا يعرف صاحبه عن طريق الكتب والرسائل ويرى في هذه الكتب صورة أفكاره ومبادئه...» انتهى.

مولده ونشأته ومشايخه:

ولد شيخنا الغزالي في يوم ٢٢ / ٩ / ١٩١٧م في قرية (نكلا العنب) من إيتاي البارود بمحافظة البحيرة بمصر.

ونشأ في أسرة محافظة يغلب عليها العمل بالتجارة، وكان والده من حفظة القرآن الكريم، وقد نشأ الابن على ذلك، فحفظ القرآن الكريم وعمره عشر سنوات، وتلقى تعليمه في كتّاب القرية، ثم التحق بالمعهد الديني بالإسكندرية، حيث أكمل المرحلتين الابتدائية والثانوية، ثم انتقل إلى القاهرة، ودرس بكلية أصول الدين سنة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٧م، وحصل على الشهادة العالمية سنة ١٣٦١هـ ـ ١٩٤١م، ثم تخصص في الدعوة والإرشاد، حيث نال شهادة الماجستير ١٣٦٢هـ ـ ١٩٤٣م، وتزوج وهو طالب بكلية أصول الدين ورزق بتسعة من الأولاد.



الشيخ الغزالي بين الجماهير التي كانت تلتف حوله في كل مكان
السهم يشير إلى محمد عبدالقدوس

من أهم مشايخه الذين تأثر بهم فترة الدراسة: الشيخ عبد العزيز بلال، والشيخ إبراهيم الغرباوي، والشيخ عبد العظيم الزرقاني وغيرهم.

عمله:

بعد تخرّجه عمل إماماً وخطيباً في مسجد (العتبة الخضراء) ثم تدرّج في الوظائف حتى صار مفتشاً في المساجد، ثم واعظاً بالأزهر ثم وكيلاً لقسم المساجد، ثم مديراً للمساجد، ثم مديراً للتدريب فمديراً للدعوة والإرشاد. وقد قضى في معتقل الطور سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م، حوالي السنة، وقضى في سجن طرة عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م فترة من الزمن. وفي سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م أعير للمملكة العربية السعودية أستاذاً في (جامعة أم القرى) بمكة المكرمة، ودرّس في كلية الشريعة بقطر وفي سنة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، عُيِّن وكيلاً لوزارة الأوقاف

بمصر، كما تولى رئاسة المجلس العلمي لجامعة الأمير عبد القادر الجزائري الإسلامية بالجزائر لمدة خمس سنوات وكانت آخر مناصبه.

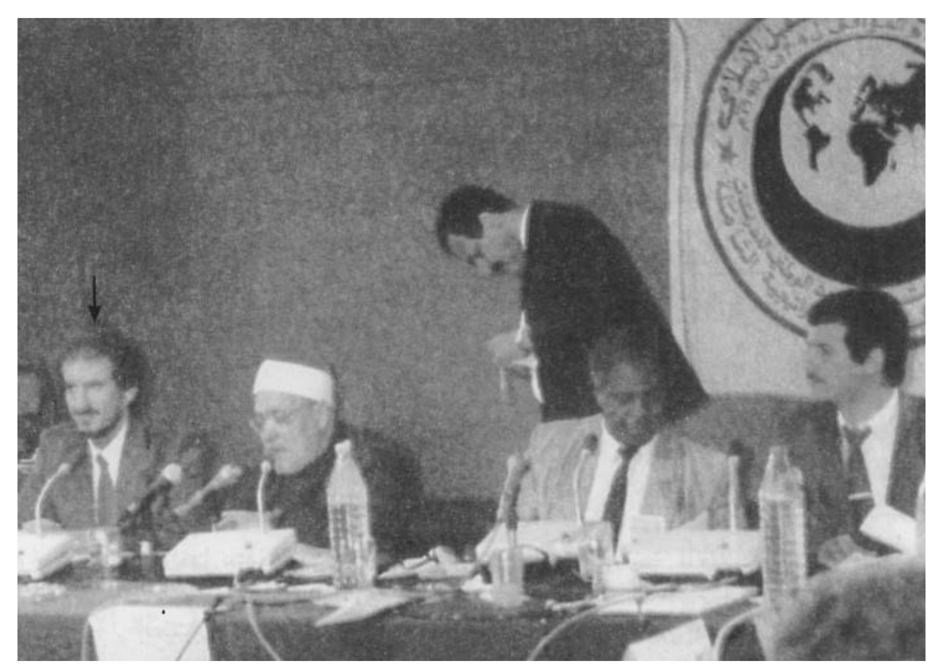
أول معرفته بالإمام البنا:

وعن صلته بالإمام الشهيد حسن البنا، يروي الأستاذ محمد المجذوب في كتابه (علماء ومفكرون عرفتهم) على لسان الغزالي قوله:

«... كان ذلك أثناء دراستي الثانوية في المعهد الديني بالإسكندرية، وكان من عادتي ملازمة مسجد عبد الرحمن بن هرمز في منطقة رأس التين بعد المغرب من كل يوم لمذاكرة الدروس، وذات مساء، وإذا بالإمام البنا يلقي على الناس موعظة قصيرة شارحاً فيها الحديث الشريف: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»، وكان حديثاً مؤثراً يتصل بأعماق القلب، فما إن فرغ منه حتى وجدت نفسي مشدود القلب إليه، ومنذ تلك الساعة توثقت علاقتي به، ومضيت معه عقب صلاة العشاء إلى مجلس يضم بعض رجال الدعوة، ثم استمر عملي في ميدان الكفاح الإسلامي مع هذا الداعية العملاق إلى أن استشهد سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م» انتهى.

علاقة الغزالي بمرشدي الإخوان المسلمين:

وكتب الغزالي في مقدمة كتابه (دستور الوحدة الثقافية للمسلمين) فقال: «... مُلْهم هذا الكتاب وصاحب موضوعه الأستاذ الإمام حسن البنا، الذي أصفه ويصفه معي كثيرون، بأنه مجدد القرن الرابع عشر للهجرة. فقد وضع الإمام البنا جملة من المبادئ تجمع الشمل المتفرق، وتوضح الهدف الغائم، وتعود بالمسلمين إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم، وتتناول ما عراهم من خلال الماضي من أسباب العوج والاسترخاء بيد آسية، وعين لماحة، فلا تدع سبباً لضعف أو خمول...» انتهى.



في أحد المؤتمرات
السهم يشير إلى أحمد عثمان التويجري

وعن الأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين، كتب الغزالي يقول: «... من حق الرجل أن أقول عنه، إنه لم يسع إلى قيادة الإخوان المسلمين، ولكن الإخوان هم الذين سعوا إليه، ومن حقه أن يعرف الناس عنه، أنه تحمل بصلابة وبأس، كل ما نزل به، فلم يجزع ولم يتراجع، وبقي في شيخوخته المثقلة عميق الإيمان واسع الأمل حتى خرج من السجن.

الحق يُقال إن صبره الذي أعز الإيمان، رفعه في نفسي، وإن المآسي التي نزلت به وبأسرته، لم تفقده صدق الحكم على الأمور، ولم تبعده عن منهج الجماعة الإسلامية منذ بدأ تاريخها. وقد ذهبت إليه بعد ذهاب محنته وأصلحت ما بيني وبينه، ويغفر الله لنا أجمعين» انتهى.

وعن الأستاذ عمر التلمساني المرشد الثالث للإخوان المسلمين كتب الغزالي يقول: «... في سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م، ونحن في معتقل الطور مع الألوف من

الإخوان بعد استشهاد الإمام حسن البنا، رأيت الأستاذ عمر التلمساني في خطواته الوئيدة، ونظراته الهادئة، يمشي في رمال المعتقل باسماً متفائلاً، يُصبِّر الإخوان على لأواء الغربة وقسوة النفي ويؤمل الخير في المستقبل، ورأيتني أمام رجل من طراز فذ، تحرِّكه في الدنيا مشاعر الحب والسلام، وكان يكره الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، ويؤثر العزلة، ويرى أنسه في الانقطاع إلى الله، ولم تكن رذائل الرياء والتطلع تعرف طريقاً إلى فؤاده، ذهبت إليه لأتعاون معه في خدمة الإسلام فقال لي: تعلم أن هذا عبء ثقيل تحملته برغمي وقبلته وأنا كاره؟! قلت: نعم أعلم ذلك، فأنت ما سعيت إلى صدارة، ولا تطلعت إلى إمارة، ومثلك جدير برعاية الله وتسديده..» انتهى.

هذا الذي قاله الغزالي عن الإمام البنا ثم الهضيبي ثم التلمساني يكشف لنا عن نفسية الشيخ الغزالي وأصالته ونفاسة معدنه.

شهادات بحق الغزالي:

وحسبه فخراً واعتزازاً أن يتلقى وهو في مرحلة الشباب الرسالة التالية من الإمام حسن البنا سنة ١٩٤٥م وهذا نصها: «... أخي العزيز الشيخ محمد الغزالي.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد... قرأتُ مقالك (الإخوان المسلمون والأحزاب) في العدد الأخير من مجلة (الإخوان المسلمون) فطربت لعبارته الجزلة، ومعانيه الدقيقة، وأدبه العف الرصين، هكذا يجب أن تكتبوا أيها الإخوان المسلمون، اكتب دائماً وروح القدس يؤيدك، والله معك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حسن البنا» انتهى.

يقول د. عبد الصبور شاهين: «... ما أكتبه هنا شرف لي قبل أن يكون تقديماً للكتاب، والحق أن كتاباً يوضع على غلافه اسم الأستاذ الغزالي لا يحتاج إلى تقديم، فحسبه في تقديري أن يتوج بهذا العلم الخفاق وقد قرأت الدنيا له عشرات الكتب في الإسلام ودعوته، وتلقت عنه ما لم تتلق عن أحد من

معاصريه، حتى إن عصرنا هذا يمكن أن يطلق عليه في مجال الدعوة عصر الأستاذ الغزالي» انتهى.

ويقول الأستاذ عمر عبيد حسنة ـ مدير تحرير مجلة الأمة القطرية ـ: «... كتابات الشيخ الغزالي تحمل عاطفة الأم على وليدها المريض، الذي تخشى أن يفترسه المرض، وبصيرة الطبيب الذي يقدم العلاج، وقد يكون العلاج جراحة عضوية إن احتاج الأمر إلى ذلك، وكانت كتبه تواجه التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء، ونجد الشيخ الغزالي في الخندق الأول، حيث أدرك الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها أعداء الإسلام» انتهى.

ويقول الأستاذ قطب عبد الحميد قطب: «إنني واحد من عشرات الألوف المؤلفة التي تعشق من أعماق قلوبها الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي.. وأشهد أن حبي لهذا العالم الكبير والداعية الشهير أكبر من حبي لنفسي، فهو من القلة النادرة التي تربّى على علمها وفضلها أكثر من جيل، لا في مصر وحدها، ولكن في كثير من البلدان العربية والإسلامية، كيف لا وهو الذي تربى في أحضان الدعوة ورضع من لبانها وتتلمذ على جهابذة العلم وأساتذة الفكر وأساطين الدعوة، وعلى رأسهم الإمام الشهيد حسن البنا» انتهى.

ويقول د. عبد الستار فتح الله سعيد: «.. لا ينسى تاريخ الإسلام، ما قام له الأئمة الأعلام من جهد ناصب لرد الغارة الجاهلية العارمة، وحشد الأمة حول معالم الإسلام الشامل، الذي لا يقبل التجزئة والتفريق، ولقد قامت أفواج متلاحقة تذود عن معالم الوحي والحق، وفي ظلال المدرسة الربانية المجاهدة، التي أسسها الإمام الشهيد حسن البنا تربى شيخنا محمد الغزالي وحمل أعباء الدعوة مع رجالها الكبار، ثم صار ـ بفضل الله ـ علماً من أعلامها، ومضى يرفع لواءها شامخاً في وجه الاستبداد والإلحاد، ويذود عن شرف الإسلام بقلمه ولسانه، ويجلي حقائق الوحي الأعلى، ويقارع الجاهلية الطامسة يوم ضرب الطغيان على أمتنا ليلاً بهيماً» انتهى.

أما شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود، فقد كان يقدِّر الشيخ الغزالي ويعرف له حقه وفضله، ويفخر به ويعتز ويقول: «ليس لدينا إلاَّ غزالي الأحياء والإحياء» يعني الغزالي المعاصر، والغزالي أبا حامد صاحب إحياء علوم الدين.

لقد استفاد شباب الصحوة الإسلامية المباركة من علم الشيخ الغزالي وجرأته وصراحته، وصدقه ووضوحه، وكان له تلامذة في الأزهر في مصر وفي أم القرى في مكة المكرمة وفي كلية الشريعة في قطر وفي جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية في الجزائر، ومن خلال الخطب والدروس والمحاضرات والندوات والكتب والمقالات، والاجتماعات والمؤتمرات.

وهؤلاء التلامذة يعدون بالألوف من أنحاء العالم الإسلامي، وهم أوفياء لدعوة الإسلام حملوا الراية مع أستاذهم وشيخهم وانطلقوا يبلغون دعوة الله وينشرون رسالة الإسلام ويقودون الأمة إلى مواطن الخير والفلاح والنصر والنجاح.

وقد برز منهم أساتذة كبار وعلماء فحول، تقرّ بهم العيون وتعلّق عليهم الآمال، ومن هؤلاء العلامة الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ منَّاع القطان والشيخ محمد الراوي والدكتور أحمد العسَّال وغيرهم.

إنتاجه العلمي:

إن لشيخنا الغزالي مؤلفات كثيرة جاوزت الستين كتاباً في موضوعات مختلفة، بالإضافة للمحاضرات والندوات والخطب والمواعظ والدروس والمناظرات التي كان يلقيها داخل مصر وخارجها، وإن خطبه في الجامع الأزهر وجامع عمرو بن العاص وخطب العيد في ميدان عابدين وجامع مصطفى محمود لها شأن عظيم وأثر بالغ كبير، حيث كان يحضرها الألوف من الناس.

مؤلفاته:



ومن أهم مؤلفاته التي طبعت أكثر من مرة في مصر وخارجها: الإسلام والأوضاع الاقتصادية، الإسلام والمناهج الاشتراكية، من هنا نعلم، الإسلام والاستبداد السياسي، عقيدة المسلم، فقه السيرة، ظلام من الغرب، قذائف الحق، حصاد الغرور، جدد حياتك، الحق المر، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام، مع الله، جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، الطريق من هنا، المحاور الخمسة للقرآن الكريم، الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، دستور الوحدة الثقافية للمسلمين، الجانب العاطفي من الإسلام، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، السُّنَّة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، سر تأخر العرب والمسلمين، كفاح دين، هذا ديننا، الإسلام في وجه الزحف الأحمر، علل وأدوية، صيحة تحذير من دعاة التنصير، معركة المصحف في العالم الإسلامي، هموم داعية، مئة سؤال عن الإسلام، خطب في شؤون الدين والحياة (خمسة أجزاء)، الغزو الفكري يمتد في فراغنا، كيف نتعامل مع القرآن الكريم، مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟ نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، من كنوز السُنَّة، تأملات في الدين والحياة، الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين، كيف نفهم الإسلام؟، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، قصة حياة، واقع العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر، فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، الإسلام والطاقات المعطلة،

الاستعمار أحقاد وأطماع، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، نظرات في القرآن، ليس من الإسلام، في موكب الدعوة، خلق المسلم... إلخ.

ولقد تُرجم الكثير من هذه المؤلفات القيمة إلى العديد من اللغات كالإنجليزية والتركية والفارسية والأوردية والإندونيسية وغيرها. ومعظم الذين قاموا بهذه التراجم هم من تلامذة الشيخ الغزالي ومحبيه وعارفي فضله الذين استفادوا من فيض علمه وعطائه.

صفاته:

يقول العلاَّمة الدكتور القرضاوي:

«قد تخالف الغزالي أو يخالفك في قضايا تصغر أو تكبر وتقل أو تكثر، ولكنك ـ إذا عرفته حق المعرفة ـ لا تستطيع إلا أن تحبه وتقدِّره، لما تحسه من إخلاص لله، وتجرد للحق واستقامة في الاتجاه، وغيرة صادقة على الإسلام. صحيح أنه أُخذ على الشيخ أنه سريع الغضب، وأنه إذا غضب هاج كالبحر حتى يغرق، وثار كالبركان حتى يُحرق، وسر هذا أن الرجل يبغض الظلم والهوان لنفسه وللناس، ولا يحب أن يَظلم أو يُظلم، ولا أن يستخف بكرامة أحد، كما لا يستخف بكرامته أحد، كما أنه لا يطيق العوج والانحراف، وبخاصة إذا لبس لبوس الاستقامة، أو تستر بزي الدين، فهو الذي يقاتله سراً وعلانية.

ثم إن من صفات الشيخ الغزالي أنه ـ إن كان سريع الغضب ـ فهو سريع الفيء، رجاع إلى الحق إذا تبيَّن له، ولا يبالي أن يعلن خطأه على الناس علانية، وهذه شجاعة لا تتوافر إلاَّ للقليل النادر من الناس.. فهو شجاع عندما يهاجم ما يعتقده خطأ، شجاع عندما يعترف بأنه لم يحالفه الصواب فيما كان قد رآه.

قد يأخذ الناس على الشيخ الغزالي بعض آرائه وفتاويه، لأنها ليست على مشربهم ولكن الذي أعلمه أن الشيخ الغزالي لم يخرج في فتوى أو رأي على



إجماع الأمة المستيقن، وقد اتُّهم شيخ الإسلام ابن تيمية قديماً، بأنه خرق الإجماع في قضايا الطلاق، وما يتعلق به، وهي التي قال فيها تلميذه الحافظ الذهبي: «وله فتاوى نيل من عرضه بسببها وهي مغمورة في بحر علمه».

والغزالي يعترف بالفضل لإخوانه وزملائه أمثال الشيخ سيد سابق والشيخ عبد المعز عبد الستار والشيخ زكريا الزوكة والشيخ إسماعيل حمدي وغيرهم.

بل كان يُخجلني بقوله أمام الملأ: (اسألوا يوسف القرضاوي فهو أولى مني، لقد كان فيما مضى تلميذي، وأما اليوم فأنا تلميذه). وهذه منزلة لا يرقى إليها إلا الصادقون» انتهى.

لقد كثرت لقاءاتي مع الشيخ الغزالي وتعددت منذ التقيته أول مرة بمصر سنة ١٩٤٩م وإلى أن لقي ربه.

فقد زار الكويت أكثر من مرة وخطب وحاضر، وسعدنا به في الندوة

الأسبوعية مساء الجمعة وكانت آخر ندوة له هي التي شاركه فيها الشيخ عبد العزيز المطوع والدكتور عصام البشير، كما كانت زياراتي له بالقاهرة أكثر من مرة وآخرها قبل فترة وجيزة من وفاته.

ثم شاء الله أن يحضر مؤتمر الجنادرية ليشارك في ندوة (الإسلام والغرب) وكنت وقتها في زيارة لسورية بدمشق، فإذا بالأنباء توافينا بالخبر الذي زلزل كياني حزناً على فقده، فهو شيخي وأستاذي وأنا مدين له بفضل كبير.

لقد كان الغزالي علماً شامخاً، وداعية مجدداً، ومجاهداً صلباً، ومقاتلاً شجاعاً، وكاتباً قمة في البلاغة والأدب قل نظيره في دنيا العروبة والإسلام، كما ذكر ذلك الأستاذ عبد العزيز عبدالله السالم في جريدة الرياض.

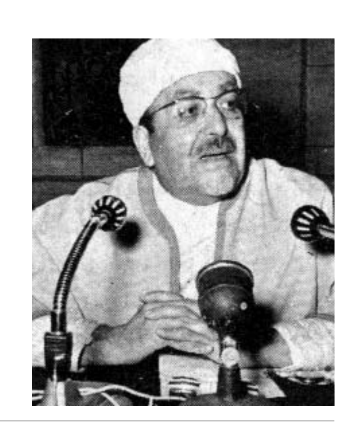


المؤلف في المؤتمر الإسلامي بالجزائر، مايو سنة ١٩٩٠م أثناء محاضرة الغزالي ـ راشد الغنوشي ـ مصطفى مشهور ـ حسن الترابي ـ عبدالله العقيل ـ مانع الجهني ـ توفيق القصير ـ محمد عمارة ـ أحمد الحجري ـ محفوظ نحناح ـ محمد الوزاني

وفاته:

وقد توفي في الرياض يوم ٩ / ٣ / ١٩٩٦م - ١٤١٦هـ ونُقل إلى المدينة المنورة، حيث دفن في مقابر البقيع. وكان لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله ابن عبد العزيز آل سعود دوره المشكور في تقدير الرجل وتكريمه في حياته وبعد مماته ومواساة أسرته.

رحم الله شيخنا الجليل الشيخ محمد الغزالي السقا وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي عباده الصالحين، وحشرنا الله وإياه مع الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الفقيه العلامة..
محمد الفاضل بن عاشور

(١٣٢٧ ـ ١٣٩٠هـ = ١٩٠٩ ـ ١٩٧٠م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ محمد الفاضل بن محمد الطاهر بن الصادق عاشور، ولد في المرسى، إحدى ضواحي مدينة تونس يوم ٢ شوال سنة (١٣٢٧هـ ـ ١٦ / ١٠ / ١٩٠٩م) وتربى في بيت كريم من بيوتات الدين والعلم، وكان والده من كبار العلماء في تونس، فتتلمذ عليه وتعهده بالرعاية والتعليم وتحفيظه القرآن الكريم وهو في الثالثة من عمره، وما كاد يبلغ التاسعة، حتى أتمَّ حفظ بعض المتون القديمة كالأجرومية وألفية ابن مالك في النحو، ثم بدأ بتعلم الفرنسية على أيدي معلمين خصوصيين في المنزل، ولما بلغ الثالثة عشرة، بدأ يدرس القراءات والتوحيد والفقه والنحو، ثم التحق بجامع الزيتونة فحصل على الشهادة الثانوية سنة (١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م).

ثم استكمل دراسته العليا في الشريعة واللغة وأصول الدين، ودرس على يد

والده التفسير، وقرأ عليه الموطأ للإمام مالك، والمطوَّل للتفتازاني في البلاغة، وديوان الحماسة، كما درس علم الكلام على يد الشيخ أبي الحسن النجار، وأصول الفقه على الشيخ محمد بن القاضي، كما كان يقرأ على والده كل ليلة من ليالي رمضان بعد صلاة التراويح قدراً من كتب الحديث والرجال واللغة مثل: صحيحي البخاري ومسلم، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ولسان العرب لابن منظور.

وبعد تخرجه عمل مدرساً في جامع الزيتونة سنة (١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م)، ثم انتسب إلى كلية الآداب في جامعة الجزائر لاستكمال دراسته في اللغة الفرنسية، وتخرج فيها سنة (١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م) حاملاً أعلى درجاتها العلمية.

وقد أصبح عميداً لكلية الشريعة وأصول الدين في جامعة الزيتونة بتونس سنة (١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م) وهذه الجامعة هي التي تخرج فيها جهابذة العلماء أمثال: عبدالحميد بن باديس، وعبدالعزيز الثعالبي، ومحمد بيرم، وسالم أبوحطاب، والطاهر بن عاشور وغيرهم.

وكان الفاضل بن عاشور خطيباً مفوَّهاً، وأديباً بليغاً، وفقيهاً متمكناً في علوم الدين، ويعتبر من طلائع النهضة الإسلامية الحديثة بتونس، شارك في التصدي للاستعمار الفرنسي مع إخوانه التونسيين وغيرهم.

نشاطه العلمي والدعوي:

سافر في مهمات علمية ودعوية إلى خارج تونس، وألقى محاضرات عدة في فرنسا بالسوربون، وفي تركيا بجامعة إستانبول، وفي الهند بجامعة عليكرة، وفي الكويت بجمعية الإصلاح الاجتماعي، وجامعة الكويت، وفي الموسم الثقافي لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويتية.

كما شغل منصب القضاء، ثم منصب مفتي الجمهورية التونسية، وقاضي

القضاة، ورئيساً للمحكمة الشرعية العليا، ثم رئيساً لمحكمة النقض والإبرام، وظل يتولى عمادة كلية الشريعة بالزيتونة حتى وفاته.

كما شارك في ندوات علمية كثيرة في أنحاء العالم، وفي بعض مؤتمرات المستشرقين بباريس، وهو عضو في المجمع اللغوي بالقاهرة، كما هو عضو برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وعضو مراسل بالمجمع العلمي العربي بدمشق، ومجمع البحوث الإسلامية بمصر، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وكان لوالده الشيخ الطاهر بن عاشور مكتبة عامرة بنفائس التراث الإسلامي والعربي، واستفاد منها الفاضل كثيراً، وأضاف إليها ما استجدَّ من المؤلفات الإسلامية المعاصرة.

كما كان له نشاط في التأليف وكتابة المقالات والبحوث والدراسات.

ومن أهم مؤلفاته:

فلسطين الوطن القومي للعرب.

الاجتهاد.. ماضيه وحاضره.

المصطلح الفقهي في المذهب المالكي.

تراجم الأعلام.

أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي.

الحركة الأدبية والفكرية في تونس.

أركان الحياة العلمية في تونس.

التفسير ورجاله.

روح الحضارة الإسلامية

المحاضرات المغاربية.

ومضات فكر... (عدة أجزاء) وغيرها.

من أقواله:

«... إذا تقوَّمت شخصية الفرد المسلم على المنهج التربوي الذي أخذت به على سبيل الدعوة الدينية، فتحركت في النفس غريزة التطلع إلى المعرفة، ثم ثارت فيه داعية الفكر، فجعلت الموجودات على اختلاف أصنافها مجالاً للحركة الفكرية، وأصبحت الكائنات بأسرها آلات للعمل الفكري، وأدوات يحقق بها قصده من الوصول إلى المعرفة، لكونها المحصلة للعلم الجامع لأصناف المعلوم كله، المتناول للوجود من حيث هو، بقطع النظر عن مظاهره المتباينة، وعناصره المختلفة، وبذلك يتحقق معنى الانسجام والأمن، اللذين امتازت بهما الحضارة الإسلامية، فلا يبقى في نفس المسلم على ذلك مجال للصراع بين عناصر مدركاتها.. تأنس بالعقل، فلا تتجافى عن الدين.. وتطمئن إلى الدين، فلا تنفر من المدنية، وتؤخذ بالعادة، فلا تضيع المقياس الخلقي.. وتراض على السلوك، فلا تتعطل فيها ملكة النقد الذاتي، فيكون العقل سند الحقيقة الدينية وبرهانها، كما كان الإيمان أصل توجهها إلى مناهج السلوك، فجاءت الوحدة الاجتماعية منسجمة فيما بين عناصرها مع المعاني المكوِّنة لمنهج النظر الإسلامي الذي تقاربت فيه المدركات العالمية.

هذه الحقائق الدقيقة السامية هي سر أن الإسلام عقيدة وعمل، أو أنه عبادة ونظام اجتماعي، أو هو دين العقل أو دين العلم أو دين المدنية.

إن العامل التربوي الإسلامي هو الذي كوَّن الفرد قبل أن يكوِّن المجتمع، ومهَّد للثقافة طريقها.

لقد كان العامل التربوي الذي كوَّن الفرد، عقلاً ونفساً، وخلقاً، وسلوكاً، هو العامل الأصلي الذي ولَّد الحضارة، وكوَّن المجتمع الأمثل، ومهَّد للثقافة طريقها، إلى أن تتناول عناصر المعرفة، وتؤلف كيانها، فقامت الحضارة الإسلامية على ذلك المجتمع المتلائم، وبرزت الثقافة بأزهارها اليانعة، من بذور تلك العناصر المتلاقحة.

إن المجتمع الإسلامي مجتمع ديني بالمعنى الأخص، كان الدين فيه العامل الأول المباشر.. ومن دعوة الدين، والإيمان بها، اكتسب الشعب ـ الذي استجاب لتلك الدعوة، وامتاز بذلك الإيمان ـ خِلالاً نفسية جديدة.

لقد فتحت المدارك الدينية أمام نظر المسلم، آفاق الكون، للتأمل والاعتبار والمعرفة والإيمان، فاصطنع العلوم التي هي من التراث الإنساني المشترك، وابتكر العلوم التي هي من التراث الإسلامي الخاص، وجعل من مجموعة تلك العلوم الإنسانية المشتركة، والإسلامية الخاصة، مجالاً لتصريف المدارك الدينية، التي التأمت تلك العلوم على محورها، مع اختلاف عنصريها.

إن موقع العقيدة الدينية من مقومات الكيان الاجتماعي للأمة الإسلامية، باعتبارها مجتمعاً دينياً بالمعنى الأخص، وهو موقع رئيس جوهري، كان فيه الدين العامل الأول المباشر لصنع المجتمع، والحافز لنهضته الفكرية، فبالدين فكّر.. وبالدين تحضَّر.. وبالدين أنتج آثار حضارته.. وبالدين أقام الدولة الصائنة للمجتمع وحضارته» انتهى.

معرفتي به:

سعدت بمعرفته حين دعوناه إلى المشاركة في الموسم الثقافي الذي تقيمه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، وقد صحبته طيلة إقامته، حيث كنت رفيقه في الزيارات للشخصيات والمؤسسات والجمعيات، وقد ألقى العديد من المحاضرات، وأهمها كانت في جمعية الإصلاح الاجتماعي، حيث أثنى على الدعاة المجاهدين، والعلماء العاملين، الذين يتصدون للطواغيت، ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وقول كلمة الحق أمام السلطان الجائر، وخص بالثناء بالاسم الإمام الشهيد حسن البنا مجدد الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، كما أشاد بأفكار الشهيد سيد قطب وصلابته ورجولته، وكنتُ أقدّمه في تلك المحاضرة، وعقَّبت عليها، وأرجو من جمعية

الإصلاح الاجتماعي أن تتولى طباعتها، وإعادة تسجيلها بصوته، ليستفيد منها من لم يحضرها، وليعرف الناس أن الأمة الإسلامية ليست عقيماً، فما زال الخير فيها والحمد لله.

وكنا نقيم ندوة أسبوعية مساء كل جمعة يجتمع فيها الدعاة وطلبة العلم، ويستفيدون من زوَّار الكويت ومحاضريها في المواسم الثقافية.

وفي أحاديثنا معه، مع مجموعة من إخواننا أثنى الثناء العاطر على جماعة الإخوان المسلمين ومؤسسها الإمام الشهيد حسن البنا، وتمنى على الله أن يمتد أثرها إلى كل أنحاء العالم العربي والإسلامي، وقلت له: إنني وإخواني الذين تجمعوا حولك، من ثمار هذه الدعوة المباركة الطيبة، دعوة الحق والقوة والحرية، فسُرّ غاية السرور، وانشرح صدره لذلك، وحمد الله على أن الكويت على صغر حجمها فيها هذا النشاط الإسلامي المبارك، المتمثل في جمعية الإصلاح الاجتماعي وغيرها من التجمعات الشبابية التي يلتقي فيها الشباب المسلم على منهج الإسلام، ويتربون على برامجه، ويسيرون في ركب الدعاة العاملين، والعلماء المخلصين، ويقفون إلى جانب إخوانهم المسلمين المستضعفين في كل مكان، فتلك ولا شك هي علامة الجماعة الناجحة، وأحسب أن جماعة الإخوان المسلمين في عصرنا هي الجماعة التي تمثل الإسلام بكل شموله، ومن مصدريه: كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

قالوا عنه:

يقول عنه الدكتور إبراهيم مدكور: «كان عالماً كبيراً، وإماماً من أئمة الأدب واللغة والفقه والتشريع، ورائداً من روَّاد الإصلاح والتجديد.. كان حجة في تراثنا الإسلامي جميعه، وبخاصة ما خفي منه من أخبار المغرب وبلاد الأندلس، وكان محيطاً بثمار الثقافة العربية، وما انتهت إليه من علم وثقافة».

وقال عنه الشاعر عبدالسلام محمد خليل:

يــا فــاضــلٌ مــا كــنت إلا فــاضــلاً   وســواك مـن أهـل الـنهى المفضـول

قــد كـنت عــالــمَ تـونس تشـدو بـه   مــزهــوة وعــلــى الـزمـان تـطـول

بـل كـنت مـن آي الـفـخـار لشـرقـنا   تــعــلــي مــنــارة مـجـده وتـطـيــل

حـتى بـكت مسـراك مـن أعـمـاقـهـا   زَوْراؤه وشـــآمـــه والـــنـــيـــل

وهــنــا يشــاد بـفـاضـل وعــلــومـه   ولــه يصــاغ مــن الـثـنـا إكــلـيـل

وتـترجم الـخطب الـجسيم محافلٌ   فـيـهـا شـآبـيب الـدمـوع تسـيـلُ

ويســودهــا جــوٌّ كــئـيب غــائــمٌ   وأسـىً يـريـن عـلـى الـنفـوس ثـقـيلُ

وهـنـاك تـروى لـلـفـقـيـد مـنـاقبٌ   وضَّــاءة كــالشـمـس حـيــن تـزولُ

إنــا عــرفــنــاه خــلــيـفــة «مــالك»   قـد زانـه الـمـعـقـولُ والـمـنـقـولُ

وســمــا بــه أدبٌ رفــيــعٌ مــا لــه   فـيـمـا رأيت ومـا سـمـعت مـثـيـلُ

وإذا تـفـجَّـر بـالـبـيـان مـحـاضـراً   شُــدَّت إلــيــه مســامــعٌ وعــقــولُ

فـهـو «ابـن رشـد» بـاحـثـاً ومـفـكـراً   وتـخـالـه «الـنـعـمـان» حـيـن يـقـولُ

لا يسـتـثـيـر ولا يـهـيـج حـمـاسـة   فسـبـيـلـه الإقـنـاع والـتـدلـيـل

يسـمـو ويـبـدع مـجـملاً ومـفصلاً   ولـحـبـذا الإجـمـال والـتـفصـيـلُ

أمـا الـكـتـاب فـقـد وعـى أسـراره   ويـبـيـن عـن إلـهـامـه الـتـنـزيـلُ

والسـنّـة الـغـراء خـاض غـمـارهـا   مـتـجـاوزاً مـا لـم تصـلـه فـحـولُ

فـي خـدمـة الإسـلام كـان لـفـاضـل   والــعــلــم دورٌ رائــدٌ وجــلــيــلُ

مــا كــان إلا عــبــقــريــاً لامــعــاً   فــي كـل حـقـل جـهـده مـبـذولُ

مـتـفـهـمٌ لـلـعـصـر مـنـفـتـح عـلـى   آفـاقـه رحب الـمـجـال أصـيـلُ

فـالله يـجـزيـه الـمـثـوبـة جـنـة   الــظــل فــيــهــا وارف وظــلــيــلُ

والله يــلــهــم أهــلــه مــن فضــلـه   صـبـراً وأجـر الصـابـريـن جـزيـلُ

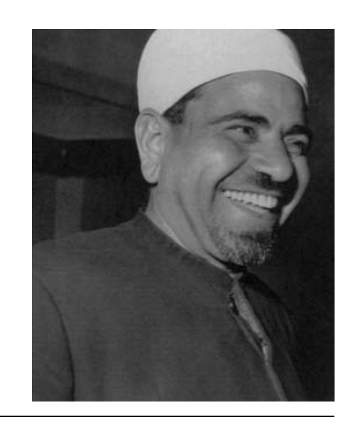
والـقـدس مـن رجس الـيهـود تطهرت   ودم الشـهـيـد بسـاحـهـا مـطـلـول

والكرم والزيتون هبَّ مزغرداً وجبالها قد حررت وسهولُ
وتدفق الطوفانُ يكتسحُ العدا وهتافه التكبير والتهليلُ
فلتمض في جمع الصفوف ولا يكن من بيننا متخاذلٌ وعميلُ
والدين إن لم تقتحم بحسامه لهب الوغى فسلاحنا مفلولُ
فإذا استظلَّ جنودنا بلوائه صبراً هوى «الميراج» والأسطول
فلتضربوا صدقاً بعزمة «خالد» ما فيكمو جزِع ولا مدخولُ
وشعار إحدى الحسنيين شعاركم والحقُّ سيفٌ لا يُفلّ صقيل
والله أكبر في الجهاد نشيدكم يعلو «وأحمد» رائدٌ ودليلُ
إن خضتموها تحت راية دينكم فالله بالنصر المبين كفيلُ

وفاته:

وبعد حياة علمية حافلة بالآثار الطيبة توفي شيخنا العلامة.. الفاضل بن عاشور يوم (١٢ / ٢ / ١٣٩٠هـ ـ ١٩ / ٤ / ١٩٧٠م) في تونس، وبفقده انطوت صفحة من صفحات الفخار للعلماء العاملين والدعاة المصلحين.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الدّاعية المجاهد الشهيد محمد فرغلي

(١٣٢٦ ـ ١٣٧٤هـ = ١٩٠٦ ـ ١٩٥٤م)

معرفتي به:

كانت بداية معرفتي بالداعية المجاهد الشيخ محمد فرغلي أواخر ١٩٤٩م حين قدمت إلى مصر للدراسة الجامعية فقد التقيته محُدِّثاً وموجهاً للإخوان في دروس الكتائب والمعسكرات والأسر والرحلات، فقد كانت مجموعة من قادة الإخوان تتعاقب عليها أمثال: البهي الخولي، وعبد العزيز كامل، ومحمد فرغلي، ومحمد عبد الحميد أحمد، ومحمد الغزالي، وسيد سابق، وغيرهم.

وكنت أرى في الشيخ فرغلي المهابة والوقار، وعزة المؤمن، وفقه المجاهد، يتكلم بهدوء وبعبارات موجزة، عظيمة الدلالة، عميقة المغزى، فيها الحنان والعطف والحب للإخوان، والثقة والطمأنينة بما عند الله من نصر لهذا الدين ولعباده المؤمنين إن هم صدقوا مع الله وأخلصوا النية له.

وكان يهوِّن من شأن أعداء الله من الإنجليز واليهود وغيرهم من العملاء

والمأجورين، ويصفهم بأنهم عبيد المادة والهوى والشهوات والشبهات، ويؤكد أن مناهج التربية لدى الإخوان هي الكفيلة بصياغة المسلم الحق، لأنها مستقاة من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة، وهي الكفيلة بإعداد الجيل المؤمن المجاهد، الذي يتصدى للكفر بكل أنواعه دونما خوف أو وجل، وأن الميدان اليوم يتطلب حشد الألوف من الشباب المؤمن، من جميع أنحاء العالم الإسلامي ليملؤوا الساحة ويتصدوا للمفسدين في الأرض الذين وجدوا الميدان خالياً فصالوا وجالوا، وعاثوا في الأرض فساداً، وانتفش باطلهم، وعلا صوتهم، وتجرؤوا على الدين وأهله وساموا الأمة الخسف والهوان، لأن الشعوب عزلاء، مجردة من سلاح الحق والقوة، يتحكم في رقابها أذناب الاستعمار وعملاؤه من الحكام المرتزقة، الذين يدورون في فلك الأعداء، وينتصبون لحرب الدعاة إلى الله، والوقوف أمام دعوة الحق والقوة والحرية، دعوة الإسلام العظيم، التي جدد أمرها في أرض الكنانة مجدد القرن الرابع عشر الهجري الإمام الشهيد حسن البنا.

في مواجهة الطغاة:

كان الشيخ المجاهد محمد فرغلي رجلاً عميق الإيمان شديد المراس، قوي العزيمة زاهداً في المظاهر، يؤثر العمل على القول، يحب الناس جميعاً، ويتفانى في خدمتهم وبخاصة الضعفاء منهم، يقف إلى جانبهم لأخذ حقوقهم ورفع الحيف والظلم عنهم.

يتصدى للظالمين والطغاة والمتسلطين على الضعفاء، ويجالدهم بكل قوة وصلابة، فكانوا يخشونه أشد الخشية، ويحسبون له ألف حساب، وكان مجرد ذكر اسمه يُرعب الإنجليز واليهود والعملاء، وقد وضعوا الجوائز الكبيرة لمن يعثر عليه ويسلمه لهم حياً أو ميتاً.

وكان إخواني الزملاء في الجامعة، يحدثونني عن هذا الرجل الفذ، والداعية

المجاهد، وعن محبة الإمام البنا له، وثقته به، واعتماده على الله ثم عليه في المهمات العظام والأحداث الجسام، فكان نعم الرجل في كل موقع ومهمة.

إن الشيخ فرغلي كان جزءاً مهماً من تاريخ حركة الإخوان المسلمين العالمية منذ نشأتها والتحاقه المبكر بها إلى أن أكرمه الله بالشهادة على يد فرعون مصر الطاغية عبد الناصر عميل اليهودية والصليبية وصنيعة الأمريكان.

ولقد كان الإخوان المسلمون شيوخاً وشباباً، ينظرون لهذا الرجل العظيم الشيخ فرغلي، نظرة الإكبار والإجلال، والحب والوفاء، لما يتمتع به من خصال الخير وصفات الرجولة.

وكانت أحاديثه في مخيمات الإخوان وكتائبهم ومعسكراتهم وأسرهم، تأخذ بمجامع قلوب السامعين، لما يجدونه فيها من الصدق والوضوح، والبساطة والحلاوة والإيمان والإخلاص، فحديثه حديث القلب إلى القلوب ومناجاة الروح للأرواح، يثير العواطف، ويحرك المشاعر، ويدعو للعمل الجاد الدؤوب في سبيل الله ومن أجل المستضعفين في الأرض، ويوضح لجماهير الإخوان أن أعداء الإسلام من اليهود والصليبيين والمستعمرين هم أتفه وأحقر من أن يصمدوا أمام عزائم الرجال المؤمنين، وأن تجارب الحرب معهم في فلسطين، كشفت عن جبنهم وتخاذلهم، وهشاشة قوتهم، فكانوا يفرون كالفئران المذعورة أمام مجاهدي الإخوان المسلمين، ولولا المؤامرات الدولية الكبرى، وتخاذل بعض الأنظمة في ديار العرب والمسلمين لما ضاعت فلسطين، ولما كان للإنجليز أو الفرنسيين أو الأمريكان وجود في البلاد الإسلامية.

يقول الأستاذ عباس السيسي في كتابه القيم (في قافلة الإخوان المسلمين):

«... لقد كان الشيخ محمد فرغلي داعية من دعاة الإسلام ومن الرعيل الأول من الإخوان المسلمين، عمل مع الإمام الشهيد حسن البنا منذ بدأ دعوته في مدينة الإسماعيلية، واختاره الإمام الشهيد لمسؤوليات كبار، فكان عند حسن الظن، حيث شمّر عن ساعد الجد، وسط مدينة كانت ترابط حولها من كل جانب قوات

الاحتلال البريطاني، فجعل الأرض تميد من تحت أقدامهم...».

ويتحدث الإمام الشهيد حسن البنا في (مذكرات الدعوة والداعية) عن الشيخ فرغلي فيقول: «.... حين تمَّ بناء المسجد، الذي طالب به عمال الشركة بالجباسات بالإسماعيلية انتدب للإمامة والتدريس فضيلة الأخ المفضال الأستاذ الشيخ محمد فرغلي المدرس بمعهد حراء حينذاك. وصل الأستاذ فرغلي وتسلَّم المسجد، وأُعدّ له سكن خاص بجواره، ووصل روحه القوي المؤثر بأرواح هؤلاء العمال الطيبين، فلم تمض عدة أسابيع وجيزة حتى ارتفع مستواهم الفكري والنفساني والاجتماعي ارتفاعاً عجيباً، لقد أدركوا قيمة أنفسهم، وعرفوا سمو وظيفتهم في الحياة وقدَّروا فضل إنسانيتهم، فنزع من قلوبهم الخوف والذل والضعف والوهن، واعتزوا بالإيمان بالله وبإدراك وظيفتهم الإنسانية في هذه الحياة؛ خلافة الله في أرضه - فجدوا في عملهم اقتداءً بقول رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»، عفُّوا عمّا ليس لهم، فلم تأسرهم المطامع التافهة، ولم تقيدهم الشهوات الحقيرة، وصار أحدهم يقف أمام رئيسه عالي الرأس في أدب، شامخ الأنف في وقار، يحدثه في حجة ومنطق، لا يقول ولا يقبل منه كلمة نابية، أو لفظة جافية، أو مظهراً من مظاهر التحقير والاستصغار، كما كان ذلك شأنهم من قبل، تجمعوا على الأخوة، واتحدوا على الحب والجد والأمانة، ويظهر أن هذه السياسة لم تعجب الرؤساء وقرروا أنه إذا استمر الحال على ذلك فسوف تكون السلطة كلها لهذا الشيخ، ولن يستطيع أحد بعد ذلك أن يكبح جماحه وجماح العمال.

ظنَّ الرؤساء هذا في الشركة، وفكَّروا في إقصاء هذا الشيخ القوي الشكيمة عن العمل، وأرسل إليه الرئيس المباشر، فلما توجه إليه قال له: إن المدير أخبرني بأن الشركة قد استغنتْ عن خدماتكَ وأنها تفكِّر في انتداب أحد العمال للقيام بعملكم في المسجد، وهذا حسابكم إلى اليوم حسب أمر المدير.

فكان جواب الشيخ له بكل هدوء: ما كنت أظن يا (مسيو فرانسوا)، أنني

موظف بشركة جباسات البلاح، لو كنت أعلم هذا ما قبلت العمل معها، ولكني أعلم أنني موظف من قِبَلِ الإخوان المسلمين بالإسماعيلية، وأتقاضى راتبي منهم محولاً عليكم، وأنا متعاقد معهم لا معكم على هذا الوضع، وأنا لا أقبل منك مرتباً ولا حساباً، ولا أترك عملي في المسجد ولا بالقوة، إلا إذا أمرني بذلك رئيس الجمعية التي انتدبتني هنا، وهو أمامكم بالإسماعيلية اتفقوا معه كما تريدون. واستأذن وانصرف».

حجة معقولة:

ويضيف الإمام البنا في مذكراته: «وأُسقط في يد إدارة الشركة وصبرت أياماً، لعل الشيخ يطلب منها مرتبه، ولكنه كان قد اتصل بي في الإسماعيلية فأوصيناه بالتمسك بموقفه وألا يدع مكانه بحال، وحجته معقولة ولا شيء لهم عنده، لجأت الشركة إلى الإدارة، واتصل مديرها «المسيو ماينو» بمحافظ القنال الذي اتصل بدوره بالمأمور بالإسماعيلية وأوصاه أن يقوم على رأس قوة لعلاج الموقف، وحضر المأمور ومعه قوته، وجلس في مكتب المدير، وأرسل في طلب الشيخ الذي اعتصم بالمسجد وأجاب الرسول: لا حاجة لي عند المأمور، ولا عند المدير، وعملي بالمسجد، فإذا كان لأحدهما حاجة، فليحضر إليّ، وعلى هذا فقد حضر المأمور إلى الشيخ، وأخذ يطلب إليه أن يستجيب لمطالب المدير، ويترك العمل ويعود إلى الإسماعيلية، فأجاب بمثل ما تقدم، قال له: تستطيع أن تأتيني من الإسماعيلية بكلمة واحدة في خطاب فأنصرف، ولكنك إذا أردت استخدام القوة، فلك أن تفعل ما تشاء، ولكني لن أخرج من هنا إلا جثة لا حراك بها، ووصل النبأ إلى العمال، فتركوا العمل في لحظة واحدة، وأقبلوا متجمهرين صاخبين، وخشي المأمور العاقبة فترك الموقف وعاد إلى الإسماعيلية، واتصل بي للتفاهم على الحل، ولكني اعتذرت له، بأنني مضطر إلى التفكير في الأمر، وعقد مجلس إدارة الجمعية للنظر ثم أجيبه بعد ذلك، وفي هذه

الأثناء يؤسفني أن أقول: إنني حضرت إلى القاهرة لمقابلة العضو المصري الوحيد في مجلس إدارة الشركة، فوجدت منه كل إعراض عن مصالح العمال، وكل انحياز إلى آراء الشركة ومديرها، وكل تجرد من أي عاطفة فيها معنى الغيرة الوطنية.

قابلت بعد ذلك مدير الشركة، وسألته عما ينقمه من فضيلة الشيخ، فلم أجد عنده إلا أنهم يريدون شخصاً يستسلم لمطالبهم، وكان من كلامه كلمة لا أزال أذكرها: «إنني صديق للكثير من زعماء المسلمين، ولقد قضيت في الجزائر عشرين سنة، ولكني لم أجد منهم أحداً كهذا الشيخ، الذي ينفذ علينا هنا أحكاماً عسكرية كأنه جنرال تماماً».

فناقشته في هذا الكلام وأفهمته أنه مخطئ، وأن الشركة هي التي تقسو على العمال وتنتقص من حقوقهم، وتستصغر إنسانيتهم، وتبخل عليهم، وتقتِّر في أجورهم، في الوقت الذي يتضاعف ربحها، ويتكدس، وأن من الواجب علاج هذه الحال بعلاج نظم هذه الشركات، ووجوب إقناعها باليسير من الربح، واتفقنا أخيراً على أن يبقى الأستاذ الشيخ فرغلي شهرين حيث هو، وأن تقوم الشركة بتكريمه عند انتهاء هذه المدة، وأن تطلب رسمياً من الإخوان من يحل محله من المشايخ، وأن تضاعف للشيخ الجديد راتبه، وتعنى بسكنه ومطالبه، وفي نهاية المدة عاد فضيلة الشيخ فرغلي وتسلم مكانه فضيلة الأستاذ شافعي أحمد، واستمرت الدعوة تشق طريقها، في هذه الصحراء بسم الله مجريها ومرساها». انتهى.

الجهاد في فلسطين:

كان الشيخ محمد فرغلي من المبادرين إلى الجهاد في فلسطين ١٩٤٨م، وقد دخلها على رأس قوة من مجاهدي الإخوان المسلمين، فقد أعلن الإمام حسن البنا أن تحرير فلسطين عن طريق المجاهدين المؤمنين، أقرب منه عن طريق

الجيوش النظامية، التي يُحكم الاستعمار قبضته حول أعناقها، ورغم أن حكومة النقراشي أحكمت قبضتها على الحدود لمنع المجاهدين من التسلل إلى فلسطين، ورغم أن الاحتلال البريطاني لفلسطين، أغلق الحدود الفلسطينية في وجه المجاهدين، لكن مجاهدي الإخوان المسلمين أمكنهم التسلل واختراق كل الحواجز والدخول إلى فلسطين، ليقفوا إلى جانب إخوانهم المجاهدين الفلسطينيين، وكان الشيخ محمد فرغلي من أبرز قادة الإخوان المسلمين الذين شرعوا بتدريب إخوانهم الفلسطينيين، وشاركوهم في اقتحام مواقع اليهود، وأقضّوا مضاجعهم، وهاجموا مستعمراتهم.

بطولات:

ومن أعمال الشيخ فرغلي البطولية في فلسطين، أنه خرج وثمانية من إخوانه المجاهدين وراء خطوط اليهود، وتسللوا إلى مستعمرة قرب الفجر، وصعد الشيخ فرغلي أعلى مكان فيها، وأذن الفجر، وظنَّ اليهود أن الإخوان المسلمين داهموهم بليل، فولوا الأدبار هاربين وفي مقدمتهم حراس المستعمرة، وفي الصباح سلَّم مجاهدو الإخوان المستعمرة إلى الجيش المصري دون استخدام سلاح أو إراقة دماء، وهكذا كانت جرأة الشيخ فرغلي وشجاعته وإقدامه، وإلى هذا الحد كان خوف اليهود وهلعهم من الإخوان المسلمين.

وفي سنة ١٩٥١م ألغت الحكومة المصرية معاهدة ١٩٣٦م مع بريطانيا، فقابل الإنجليز الأمر باستخفاف، ونزل الشيخ فرغلي وإخوانه إلى المعركة بعزم وصدق وجلد على ضفاف قناة السويس، مما جعل الزعيم البريطاني «تشرشل» يطلق تصريحه المشهور في لندن حيث قال: «إن عنصراً جديداً قد نزل إلى ساحة المعركة».

وقد دارت معارك طاحنة بين الفدائيين المصريين وقوات الاحتلال البريطاني، على أرض القناة وفي معسكرات التل الكبير، ووسط ثكنات الجيش البريطاني،

وفي بورسعيد والإسماعيلية والسويس، حيث سالت الدماء وفاضت أرواح الشهداء، وتأكد للإنجليز أن بقاءهم لن يطول أمام هذا العنصر الجديد الذي دخل المعركة من مجاهدي الإخوان المسلمين، وكانت المواقف البطولية للشيخ المجاهد محمد فرغلي تزرع الرعب في قلوب الإنجليز، مما دفعهم لإعلان جائزة كبرى ثمناً لرأسه حياً أو ميتاً، ولكنهم لم يفلحوا.

لقد كان الداعية المحنك الشيخ المجاهد محمد فرغلي هو رئيس الإخوان المسلمين بمنطقة الإسماعيلية، وكان ساعده الأيمن الذي يشد أزره، هو المجاهد الجسور يوسف طلعت، وكان الاثنان مصدر الخوف والرعب لقوات الاحتلال البريطاني بالقناة.



جمال عبدالناصر بين الشيخ محمد فرغلي ومحمد حامد أبو النصر
قبل أن ينقلب على الإخوان

عبد الناصر يحاول الوقيعة:

يقول الأستاذ كامل الشريف في كتابه القيم (المقاومة السرية في قناة السويس): «.... لقد عرفت الشيخ محمد فرغلي ـ أول ما عرفته ـ يوم كان يرافق الإمام الشهيد حسن البنا في جولته على خطوط القتال في فلسطين، ثم توثقت بيننا عرى الأخوة، حين عملنا معاً، خلال الحملة الفلسطينية، فازددت به معرفة وإعجاباً، فقد كان من الصنف الذي يفرض عليك ـ رغم تواضعه الشديد وأدبه الجم ـ أن تحترمه وتقدِّره، وكان مفتاح شخصيته هو «الترفع»، الترفع عن الصغائر، والترفع عن الخصومات، والترفع عن كل ما يشين، وكان شديد الحرص على سمعة الدعوة ونظمها، غيوراً إلى أبعد الحدود، على هيبتها وكرامتها، وأذكر أن الشيخ فرغلي وأنا، كنا نمثِّل الإخوان في لقاء بمكتب البكباشي عبد الناصر، وكان وقتها وزيراً للداخلية في وزارة محمد نجيب، وقد ضم الاجتماع رجال الانقلاب: عبد الحكيم عامر، وصلاح سالم، وكمال الدين حسين، فأراد ضباط الانقلاب، أن يوقعوا بين الشيخ فرغلي، والمرشد العام الهضيبي بذكرهم جهاد الشيخ فرغلي في فلسطين والقناة، وثنائهم عليه، والنيل من شخص المرشد العام، فما كان من الشيخ فرغلي، إلا أن قطع عليهم الحديث وقال غاضباً: «يجب أن تدركوا أن هذا الذي تتحدثون عنه هو زعيمنا وقائد جماعتنا، وإنني أعتبر حديثكم هذا إهانة للجماعة كلها ولشخصي بصفة خاصة، وإذا كان هذا أسلوبكم فإنكم لن تصلوا إلى شيء»، فكان هذا القول كافياً لإقناعهم أنهم أمام رجل صلب العود، قوي الشكيمة، فانصرفوا بالحديث إلى جهة أخرى.

لم يكن الشيخ فرغلي من ذلك النوع من شيوخ الدين، الذين يتعلقون بالقشور ويبحثون عن المناصب والمراكز، ولكنه كان مجاهداً بحق، وحسبه أنه ترك وظيفته وأهله، وذهب إلى فلسطين مع رجال جماعته من المجاهدين، وحين نشبت معركة قناة السويس، ترك أهله مرة أخرى واندمج بكليته في المعركة».


الشهيد الشيخ محمد فرغلي
عند النطق بالإعدام

ويستطرد كامل الشريف: «وحين بدأ الإنجليز التحرش بأهالي منطقة القناة، والتعدي على الناس، عمَّت المظاهرات الشعبية المنطقة كلها، وانعقد مؤتمر كبير بالإسماعيلية برئاسة الشيخ محمد فرغلي حيث تقرر فيه التصدي للإنجليز بالقوة ومقاومتهم وضربهم في أوكارهم ومعسكراتهم، وقد حمل الشيخ فرغلي هذا القرار بوصفه رئيس المؤتمر إلى مكتب الإرشاد العام للإخوان المسلمين بالقاهرة، وقد أعلن إضراب عام للعمال العاملين في قناة السويس وأضرب التجار عن إمداد الجيش الإنجليزي بالمواد التموينية، واندفع الشعب يساند مجاهدي الإخوان المسلمين، لمناجزة الإنجليز ومحاربتهم، وقد قتل الإخوان الكثير من جنود الإنجليز، وجرحوهم ودمروا الكثير من المنشآت العسكرية، والجسور والدبابات والمصفحات، فخاف الجنود وأعلنت حالة الطوارئ عندهم ومُنعوا من الخروج من معسكراتهم بعد الغروب، وانكسرت هيبتهم أمام الناس، وصار الأطفال يرمونهم بالحجارة، وتحمَّس بعض ضباط الجيش المصري واندفعوا مع الإخوان يدرِّبون الشباب على أنواع الأسلحة وفنون القتال، وقد أتيح لي شخصياً أن أحضر اجتماعات متعددة، كانت تعقد ـ في منزل الشيخ محمد فرغلي بالإسماعيلية ـ يحضرها بعض الضباط المصريين وبعض قادة الإخوان المسلمين، وكان الشيخ فرغلي ويوسف طلعت يحسب لهما الإنجليز وأعوانهم حساباً شديداً، ويرصدون تحركاتهما من خلال الجواسيس والعملاء المأجورين، وقد نشرت مجلة (روز اليوسف) حديثاً مطولاً للشيخ فرغلي مع مندوبها وقد وصفته المجلة بأنه الشيخ الغامض الذي يحسب له الإنجليز ألف حساب، حيث قال في حديثه للمجلة: «إن الإخوان المسلمين لا يستطيعون الكف عن محاربة الإنجليز


صورة لمحمد فرغلي قبل تنفيذ حكم الإعدام بدقيقتين

حتى يتمّ جلاء القوات البريطانية، وإن أفضل طريقة أمام القيادة البريطانية لحماية جنودها هي سحبهم من قناة السويس».

هذا هو الشيخ فرغلي، الذي عرفته منذ كنت طالباً في السنة الأولى بجامعة الأزهر إلى أن تخرجت فيها، وهذا هو البطل الفذ، والمجاهد الشجاع، والداعية الحكيم، الذي دوّخ اليهود والإنجليز، وتلك هي سيرته العطرة وتاريخه المجيد. وها هو الطاغية عبد الناصر يتطوَّع بتقديم رأس الشيخ على حبل المشنقة إرضاء لسادته اليهود والإنجليز والأمريكان والروس، هدية مجانية مع إخوانه الشهداء الخمسة الذين أعدموا جميعاً يوم ٧/ ١٢/ ١٩٥٤م، حيث وقف الشيخ المجاهد شامخ الرأس أمام حبل المشنقة، باسماً في إقدام، فرحاً في إيمان، مردداً قول من سبقوه من إخوانه وهم يمضون في طريق الشهادة، ﴿**وعجلت إليك رب لترضى**﴾ [طه: ٨٤]، وقال قولته الشهيرة: «إنني مستعد للموت فمرحباً بلقاء الله»، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣].

ولقد أوردت مجلة (باري ماتش) الفرنسية في عددها الصادر يوم ٨/ ١٢/ ١٩٥٤م الخبر التالي: «في الساعة السادسة من صباح يوم أمس ٧/ ١٢/ ١٩٥٤م رُفع العلم الأسود على سجن القاهرة وسيق المحكوم عليهم بالإعدم يسيرون بأقدام عارية، وملابس الإعدام الحمراء، وبدأ تنفيذ الأحكام في ستة من الإخوان المسلمين هم: محمود عبد اللطيف، يوسف طلعت، هنداوي دوير، إبراهيم الطيب، محمد فرغلي، عبد القادر عودة»، الساعة الثامنة، وقد ذهب المحكوم عليهم إلى المشنقة بشجاعة منقطعة

النظير، وهــم يحمدون الله على حصولهم على شرف الشهادة، وقال الشيخ محمد فرغلي: «أنا على استعداد للموت.. مرحباً بلقاء الله» انتهى.

ولقد عمَّ العالم العربي والإسلامي موجة من السخط الشديد، والاستنكار الغاضب، وأعلن الحداد في بلاد الشام وغيرها، على هؤلاء الشهداء، ونكتفي بإيراد مقتطفات من كلمة الأستاذ الكبير علي الطنطاوي التي أذيعت من الإذاعة السورية في دمشق ونُشرت في عدد من الصحف العربية والإسلامية حيث قال: «لو كان الأمر لي، لما جعلته يوم حداد، بل يوم بشر وابتهاج، ولما صيَّرته مأتماً بل عرساً، عرس الشهداء الأبرار على الحور العين، ولما قعدت مع الإخوان أتقبل التعزيات بل التهنئات، وهل يرجو المسلم إلا أن يموت شهيداً؟ وهل يسأل الله خيراً من حسن الخاتمة؟، إني لأتمنى ـ والله شاهد على ما أقول ـ أن يجعل منيتي على يد فاجر ظالم فأمضي شهيداً إلى الجنة، ويمضي قاتلي إلى النار، فتكون مكافأتي سعادتي به، ويكون عقابه شقاؤه بي.

هذا هو العقاب لا عقابك يا جمال، عقاب الناصر لأوليائه، القاهر فوق أعدائه، الذي ستقف أمامه وحدك ليس معك جيشك ولا دباباتك ولا سلاحك، ولا عتادك، تساق إليه وحيداً فريداً، ليسألك الله عن هذه الدماء الزكية فيم أرقتها؟ وعن هذه الأرواح الطاهرة فيم أزهقتها؟ وعن هاتيك النساء القانتات الصابرات فيم رملتهن؟ وعن أولئك الأطفال البرآء، فيم يتمتهم؟ وعن هذه الجماعة الداعية إلى الله المجاهدة في سبيله، فيم شمَّت بها أعداء الله ورسوله؟

فإن كان عندك دفاع فأعده من الآن، لتدلي به أمام محكمة الجبار، التي لا تحكم بالموت شنقاً، بل بالحياة الدائمة في النار، التي يصغر الشنق ألف مرة من عذاب لحظة منها، يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا حزب ولا أعوان ولا سيف ولا سلطان، يوم تتبدل الموازين وتتغير المقاييس ويكون الفضل للفاضل، والصدر للصالح، وتنزل ملوك وتعلو سوقة، يوم ينادي المنادي لمن الملك اليوم؟

للطغاة! للبكباشية! لسادة بكنجهام والبيت الأبيض والكرملين! كلا، إنه لله الواحد القهار.

فهل تجد لك طريقاً لا يمر بك على المحشر؟ ولا يقف بك موقف الحساب؟ هل تعرف ملكاً تفر إليه؟

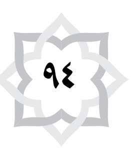
ولقد حكم مصر من قبلك فاروق ومن قبله المماليك ومن قبلهما فرعون وهامان فأين اليوم فرعون والمماليك وفاروق؟

أين من طغى وبغى وقال أنا ربكم الأعلى؟

لقد ساروا جميعاً في ركاب عزرائيل، تشيعهم دعوات المظلومين» انتهى.

رحم الله شهيدنا الشيخ محمد فرغلي ورحم الله كوكبة الشهداء الذين أعدموا معه والذين سبقوهم ولحقوا بهم ورحمنا الله معهم وجمعنا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والحمد لله رب العالمين.





الداعية المجاهد محمد كمال الدين السنانيري

(١٣٣٦ ـ ١٤٠١هـ = ١٩١٨ ـ ١٩٨١م)

توطئة:

هو الأخ الحبيب والخل الوفي والتقي الورع والمسلم الصادق والداعية المجاهد، والمؤمن الصابر والرجل الصلب والمعدن النفيس والعامل بصمت، الصوّام القوّام، التالي الذاكر، الذي ضرب أروع الأمثلة في الثبات على الأمر، والجرأة في الحق والصبر على البلاء، فكان المثل لإخوانه الدعاة داخل السجون، يرونه القمّة الشامخة والطود الأشم، المعتز بربه المستعلي بإيمانه على الأقزام المهازيل من الفراعنة الصغار وزبانيتهم المرتزقة أشباه الرجال ولا رجال.

مولده ونشأته:

وُلد في القاهرة في الحادي عشر من شهر مارس سنة ١٩١٨م في أسرة ميسورة، ودرس المراحل الابتدائية والثانوية ثم التحق بوزارة الصحة قسم

مكافحة الملاريا سنة ١٩٣٤م ثم استقال من وزارة الصحة سنة ١٩٣٨م وفكّر في الالتحاق بإحدى الجامعات الأمريكية لدراسة الصيدلة للعمل في صيدلية (الاستقلال) التي يملكها والده؛ إلاّ أن أحد علماء الدين أقنعه بعدم السفر إلى أمريكا لما فيها من الموبقات، فعدل عن السفر بعد أن هيأ حقيبة السفر واتجه إلى الإسكندرية لركوب الباخرة المتجهة إلى هناك، وذلك عام ١٩٣٨م.

ارتباطه بالإخوان المسلمين:

انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤١م، وكان من الوعي والإخلاص والحركة ما جعله يبرز ويتقدم الشباب ويكلف بعدد من المهمات.

وكان السنانيري التلميذ الوفي لمبادئ شيخه وأستاذه الإمام الشهيد حسن البنا والذي وعى الدرس من أول مرة، وأدرك أن طريق الدعوة محفوف بالمخاطر، مليء بالأشواك، لأنه الطريق إلى الجنة، المحفوفة بالمكاره، لقد كان يردّد عن ظهر قلب ما كتبه الشيخ لتلامذته حيث قال: «سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة أمامكم وسيحاربكم العلماء الرسميون السائرون في ركاب السلطة، وستحاول كل حكومة أن تحدّ من نشاطكم وأن تضع العراقيل في طريقكم، وستستعين بذوي النفوس الضعيفة، والقلوب المريضة والأيدي الممتدة إليها بالسؤال، وإليكم بالإساءة والعدوان، فتسجنون وتعتقلون وتشردون وتفتش بيوتكم، وتصادر أموالكم، وتثار ضدكم الاتهامات الظالمة، والافتراءات الكاذبة لتشويه سمعتكم والنيل من أقداركم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان، وعند ذلك فقط تكونون قد بدأتم تسلكون طريق أصحاب الدعوات.. إلخ».

وكان الأستاذ السنانيري يُترجم هذا الكلام إلى واقع حيّ مشاهد، عاشه هو وإخوانه قرابة ربع قرن في غياهب السجون وظلمات الزنازين وتحت سياط الجلادين من عبيد السلطة وزبانيتها، فلم تلن لهم قناة، ولم ينطقوا ببنت شفة، بل كان ذكر الله على ألسنتهم دائماً وهم يستشعرون معية الله ورعايته لهم،

فيستعذبون العذاب ويلتذون السياط، ويزداد قربهم من الله وشوقهم إلى لقائه.

يقول عنه الأخ عبدالله الطنطاوي في جريدة (اللواء) الأردنية:

«.. لقد وجد فيه الإمام الشهيد مصعباً جديداً يتفانى في خدمة الدعوة وأبنائها، ويسهر على فهمها واستيعاب أبعادها الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والجهادية، فكان مناط الرجاء والقدوة العملية للشباب باستقامته وورعه وزهده وحركته وبذله من ذات نفسه وماله ووقته وجهده، وبتدينه، فقد كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم الليل مصلياً وتالياً القرآن، وذاكراً ربه بدموع سخية سخينة، وبتواضعه لإخوانه من أبناء مصر ومن الوافدين من الأقطار العربية والإسلامية.

لقد توفي أبوه وترك له أُسرة مؤلفة من ثلاثة أشقاء، وثلاث شقيقات، وأمه، فكان المعيل لهم، وكان الأب الشفيق الرحيم، وإن كان بعضهم يكبره في السن، وهكذا أضيف إلى أعباء الدعوة عبءُ الأُسرة، بل أعباؤها، والأخ كمال راضٍ بما قسم الله وقدره له، يسعى على أسرته ويحرث في حقول الدعوة ويجاهد في ميادينها ويغرس الغراس التي ستؤتي أُكلها في قابل الأيام.

عمل من أجل فلسطين، كما عمل من أجل مصر، وقدم جهده في خدمة القضايا العربية والإسلامية فازدادت مهماته وازداد معها نشاطه وتضحياته حتى إنه لم يفكر في شراء بيت وأثاث، فهو كثير التنقل والأسفار، وإذا أراد أن يأوي إلى فراش سارع إلى بيت أخته الكبرى ليستريح لحظات ويأكل لقيمات، ثم يبادر، ما ترك أمسه ليومه، وما سيفعله في غده.

ويتآمر المتآمرون على الدعوة ورجالها، ويصيب شهيدنا ما أصاب إخوانه من ألوان الأذى.

في ٢٨ / ٢ / ١٩٥٤م تحركت جماهير الشعب نحو قصر عابدين تنادي بالحريات التي طغى عليها وبغى ناصر وزبانيته، وكان لشهيدنا السنانيري دورٌ كبير في تنظيم هذه المظاهرة التي ضمت مئات الألوف بقيادة العالم الجليل الشهيد عبد القادر عودة، وانهمر الرصاص الآثم على المتظاهرين، وارتفعت

أرواح الشهداء عن يمينه وعن شماله، وكمال السنانيري صامد يقود وينظم ويرفع قمصان الشهداء المضرجة بالدماء، يرفعها ويهتف ليرى الناس ويعلموا أي حكم هذا الذي يحكم مصر، وماذا يريد رجال الثورة بمصر وشعبها.

وكان كلاب النظام يرصدون القادة الفاعلين في قيادة تلك المظاهرات وكان فيهم ومنهم كمال السنانيري الذي قضت محكمة الشعب (مهزلة المحاكم التاريخية) قضت عليه بالحكم بالأشغال الشاقة مدة عشرين عاماً.

اعتقل كمال السنانيري في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٥٤م وأفرجوا عنه في كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٧٣م بالتمام والكمال، ولم يكن للسادات فضل في الإفراج عنه فقد أمضى محكوميته في سجون الواحات في وهج شمسها المحرقة، ولهيب هواء الصحراء، واشتعال الرمال بالأقدام الحافية.

بعد الحكم عليه ضغطوا على زوجته وأمه لعلهما تثنيانه عن عناده، ويكتب سطرين في تأييد عبد الناصر فأبى بشدة، وقال لأمه التي طلبت منه أن يكتب رسالة استعطاف وشفعت كلامها بدموع سبعينية، فاعتذر لها وقال بشموخ الداعية: «كيف يكون موقفي بين يدي الله إذا أرسلت هذه الرسالة ثم مت، هل ترضين يا أمي أن أموت على الشرك؟».

وخيّر زوجته بين البقاء زوجة له أو الطلاق، فالتقطت دمعاتها وقالت: «أبقى زوجة لك أيها الحبيب»، ولكن رجال المباحث الناصرية ضغطوا على أهلها فأجبروها على الطلاق منه.

حدثني اللواء الركن الكاتب المؤرخ محمود شيت خطاب في منزله ببغداد قال: «في سنة ١٩٧٣م زارني الأستاذ كمال السنانيري ومعه زوجته السيدة أمينة قطب في الفندق الذي أقيم فيه في بيروت، وفرحت بهذه الزيارة، وكانت دموع الفرح تمتزج بدموع الحزن، مما أصاب آل قطب على أيدي العملاء والطغاة، وكانت مسحة الحزن في عيني أمينة وفي وجهها، وكان كمال هادئاً سارحاً لا تفارق البسمة محياه». انتهى.

اعتقاله وسجنه:

اعتُقل في أكتوبر سنة ١٩٥٤م وحكمت عليه المحكمة التي أنشأها الطاغية عبدالناصر بالسجن الذي أمضى فيه كامل الحكم حتى أُفرج عنه في يناير سنة ١٩٧٣م. أصيبت أذنه بأذى شديد من التعذيب فنُقل إلى مستشفى قصر العيني، وكان يحمد الله بعد خروجه من السجن لأنه صار يسمع بأذنه المصابة أفضل مما يسمع بأذنه السليمة.

ومن شدة التعذيب الذي لقيه في السجن كان معه شقيــق زوجته - التي طلّقها وهو في السجن - فأُصيب بالذهول من فظائع التعذيب الذي لقيه السنانيري حتى إن هذا الشاب جُنّ وفقد عقله ونقل إلى مستشفى الأمراض العصبية.

وكانتْ والدة السنانيري وشقيقته الكبرى تواظبان على حضور جلسات المحاكمة الهزلية سنة ١٩٥٤م وفي الجلسة الأولى لم تتعرّف الوالدة على ابنها كمال لما أصابه من التشويه نتيجة التعذيب، فسألتْ ابنتها: أين أخوك كمال؟ فقالت لها: إنه الذي في القفص. فردّتْ عليها الأم: لا يا بنتي هو أنا (عبيطة) حتى لا أعرفه؟!

وكان السنانيري قد نحف جسمه حتى باتت ثيابــه فضفــاضة عليه وحلـقوا شعر رأســه ولحيته وكسروا فــكه حـتى تغيّر كلامه، كما أن أذنه اليســرى فقدت سمعها.. وبقيــتْ والدته في تلك الجلسة مصرّة على أن هذا ليس ابنها كمال.

زواجه في السجن:

وفي فترة سجنه الطويل عقد قرانه على الأخت الفاضلة (أمينة قطب) شقيقة الشهيد سيّد قطب وتزوج بها بعد الخروج سنة ١٩٧٣م ولم يرزق منها بأولاد، لأنها قد تجاوزت الخمسين من العمر.

زهده وورعه:

كان بطبعه لا يحب المظاهر ويميل إلى البساطة، ويحب البسطاء من الناس ويهتم بوعظهم وتوجيههم وجمعهم على العقيدة الصحيحة النقية الصافية من البدع والخرافات، وكان زاهداً في الحياة، يقوم الليل ويصوم الأيام الطويلة.. وعاش في السجون لا يلبس إلا الثياب الخشنة.

ورجل هذه حياته وهذا زهده لم يكن غريباً أن يأبى ما يطلبه منه ضباط السجن وضباط المباحث ـ طوال مدة سجنه عشرين عاماً ـ من تأييد لنظام عبد الناصر، آخذاً بالعزائم معرضاً عن الرخص.



الأستاذ كمال السنانيري في الوسط مع المستشار العقيل

معرفتي به:

إن معرفتي بالأستاذ السنانيري كانت منذ وصولي إلى مصر عام ١٩٤٩م حيث سكنت منطقة (حي عابدين) فكان هو المشرف عليها والمسؤول عن نشاط طلبة البعوث الإسلامية فيها. وقد أعجبني فيه بساطته وتواضعه، وخدمته لإخوانه، رغم أن معظمهم أصغر منه سناً وأقل خبرة وتجربة.

لقد كانت رؤيتي له ولأخلاقه وسلوكه، تذكّرني بسيرة السلف الصالح، الذين نقرأ عنهم في الكتب، فقد كان السنانيري رحمه الله صورة صادقة عنهم.

كتب لي مرة قصاصة من السجن وأرسلها لي وكنت وقتها في الكويت وفيها يوصيني بأحد الإخوة القادمين من مصر إلى الكويت، وتأملت الرسالة، فوجدت فيها روح المؤمن المطمئن لقضاء الله، المُسلِّم أمره إليه، الراغب فيما عنده، لم يشر البتة إلى حاله وحال إخوانه في السجون، ولكن كانت التوصية لهذا المسافر فقط.

خروجه من السجن وجهاده:

وبعد خروجه من السجن كثرت لقاءاتي به في مصر وخارجها فوجدته أكثر مما عرفته أول مقدمي إلى القاهرة، وكأن السجن الذي جاوز العشرين عاماً قد زاده نقاء إلى نقائه وصفاء إلى صفائه وصلابة إلى صلابته. وكان حريصاً على جمع صفوف الإخوان في العالم كله.

وقد عملت معه وتحت إمرته في أكثر من ميدان، وبخاصة ميدان الجهاد في أفغانستان، الذي أعطاه جهده وطاقته، وبذل أقصى ما يستطيع لدعمه ورفده وإصلاح ذات البين بين قادته الذين أحبوه جميعاً ودانوا له بالأستاذية فلا يكادون يخالفون له أمراً في وجوده بينهم.

أما عن جولاته في البلاد العربية والإسلامية وغيرها فالحديث عنها يطول والأثر الذي يتركه في نفوس من يلقاهم لا يمكن أن ينسى، لأن كلماته البسيطة

تنفذ إلى القلوب وتوجيهاته الصادقة يتسارع الجميع إلى تنفيذها.

لقد عرفتُ عنه أموراً تمنيت أن أظفر بعشر معشارها لأكون من الفائزين ولكن شتان بين الثرى والثريا، ولن أنسى له وقفته معي ومع الأخ عبد العزيز الناصر (أبي أيمن) حين ذهابنا للعلاج بمصر سنة ١٩٧٥م.

إن الأخ الحبيب والرجل الصالح محمد كمال الدين السنانيري، ثمرة من الثمار اليانعة لمدرسة حسن البنا، ومن إخوان الصدق الذين قل أن يجود بهم الزمان، وإن أمثاله من إخوانه وتلامذته، هم الأمل المرتجى لهذه الأمة لإنقاذها من كبوتها وإيقاظها من رقادها وعودتها إلى منهج ربها.

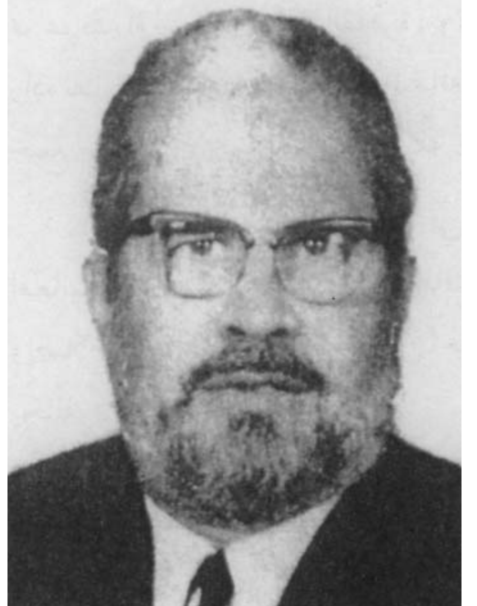
والأمل بعد الله في هذه الصحوة الإسلامية المباركة، التي تنتظم العالم الإسلامي كله، لتردّ للإسلام مجده، وللمسلمين عزتهم وسيادتهم، وتقتص من الطغاة والظلمة، الذين فجروا في خصومتهم وأذلوا العباد وأفسدوا البلاد.

أولئك هم الرجال الذين تفخر بهم الدعوات، وهم الذين يكثرون عند الفزع ويقلّون عند الطمع ويثبتون في الشدائد ويصدقون عند اللقاء.

مواقفه:

أذكر مرة أن الأخ السنانيري كان في زيارة إلى الكويت في مهمة دعوية، وشاء الله أن يبتليني بفقد أحد أبنائي وهو في العشرين من عمره بحادث سيارة، فلم يفارقني الأخ السنانيري وظلّ يواسيني وكأنه المفجوع بالمصاب.

وحين اعتُقل بعد عودته من أفغانستان، ظلّ العذاب يُصبّ عليه



من جلاوزة السلطة، ليعرفوا دوره في الجهاد الأفغاني، ودور من معه، فاستعصى عليهم، ولم يخرجوا بشيء رغم الأيام والليالي المتوالية، التي أمضوها وهم ينهالون عليه تقطيعاً وتمزيقاً، حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ولقي ربه شهيداً من شهداء الحق والصدق إن شاء الله يوم ٨ / ١١ / ١٩٨١م.

وقد نعاه التنظيم العالمي للإخوان المسلمين بقوله: «إن التنظيم العالمي للإخوان المسلمين ينعى للعالم الإسلامي الأخ المجاهد الشهيد محمد كمال الدين السنانيري أحد روّاد الحركة الإسلامية في العالم ومن جماعة الإخوان المسلمين الذين قبض عليهم السادات في أوائل سبتمبر سنة ١٩٨١م عقب عودته من واشنطن مباشرة، حيث زار أسياده في البيت الأبيض لتلقي الأوامر.

وكان ـ رحمه الله ـ في أيامه الأخيرة رهن التحقيق الذي أشرف عليه الجلادون حسن أبو باشا وفؤاد علام وغيرهما حين ودّع الحياة الدنيا أزهد ما يكون فيها، ليستقبل ريح الجنة أشوق ما يكون إليها.

لقد سقط الشهيد بين جلاديه وهم يحاولون انتزاع ما يرضيهم من الطعن في الجماعات الإسلامية، ولكنه استمر يقول: إن السادات قد فتح قبره بيديه بتوقيعه معاهدة الذل (كامب ديفيد) التي تقضي بتسليم رقاب الشعب المصري المسلم لإسرائيل وأمريكا». (مجلة المجتمع ١١ / ١١ / ١٩٨١م).

كتب عنه الأستاذ صلاح شادي: «.. عاش كمال السنانيري حياته في سجون عبد الناصر أكثر من تسع عشرة سنة، لا يلبس إلا ثياب السجن الخشنة.. وحتى الثياب الداخلية التي كان لكل سجين حق شرائها من مقصف السجن كان يرفضها لا لقلة من ماله وإنما كان يأبى إلاّ أن يعيش متجرداً من كل ما يعتبره ضباط السجن منحة توهب للسجين ترغيباً أو يحرم منها ترهيباً.. فآثر رحمه الله أن يتجرد من كل ما يمكن أن يحرم منه، ليملك من نفسه ما يعجز الغير أن يملكه منه. كان هذا مفتاح شخصيته الزاهدة المتجردة وكان دأبه على هذا السلوك

موضع عجبنا وإعجابنا. فقد كنا نأخذ أنفسنا بالرفق لنستطيع أن نتحمل مشقة الطريق الطويل الذي قدر الله لنا أن نسلكه، أما هو فقد كانت نفسه أطوع لديه من بنانه، فما عاد يحس بمشقة تدعوه إلى الرفق بها..» انتهى.

وكانت مجلة (المجتمع) طلبت مني أن أحدثها عنه بعد استشهاده بأيام فكتبت أقول:

طلبت مني مجلة المجتمع أن أحدثها عن الأخ الشهيد محمد كمال الدين السنانيري الذي فاضت روحه قبل أيام في زنازين الظلمة وعلى أيدي الجلادين من زبانية العذاب وجلاوزة السلطة الذين سخروا طاقاتهم وإمكاناتهم لحرب الإسلام والتنكيل بدعاته في كل مكان وبخاصة في أرض الكنانة التي كان لها النصيب الأوفى من هذه المحن الأربع المتتابعة، حيث كانت محنة ١٩٤٨ / ١٩٤٩م التي كان فيها اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا واعتقال المجاهدين في أرض فلسطين ووضعهم في معتقل الطور، ثم كانت محنة سنة ١٩٥٤م التي أُزهقت فيها أرواح الشهداء: محمد فرغلي، عبد القادر عودة، يوسف طلعت، إبراهيم الطيب، هنداوي دوير، محمود عبد اللطيف وغيرهم بالعشرات والمئات في سجون ليمان طرة والحربي والقلعة وأبو زعبل وغيرها.

ثم تتبعها محنة سنة ١٩٦٥م التي استشهد فيها: سيّد قطب، عبد الفتاح إسماعيل، محمد يوسف هواش وغيرهم من كرام الإخوان.

ثم جاءت محنة سنة ١٩٨١م على يد من باع البلاد والعباد لليهود والأمريكان وكمّم الأفواه وصادر المساجد والجمعيات والصحف والمنابر وفتح السجون على مصاريعها لاستقبال قوافل الدعاة إلى الله من الشيوخ والشباب والنساء والأطفال، واستعان بكل عقل باع نفسه للشيطان على إيذاء المؤمنين وأولياء الله الصالحين، الذين رفضوا أن يحنوا ظهورهم لغير الله واستعلوا بإيمانهم على كل الطغاة مؤثرين ما عند الله على كل ما في الدنيا من متاع.

ولقد ظن هؤلاء الأقزام المهازيل من أصحاب الكراسي المتداعية أنهم بهذا

البطش يسكتون صوت الدعاة إلى الله ويوقفون القافلة عن المسير، وفاتهم أنهم بهذا إنما يحاربون الله وهو أقوى من كل قوي وأكبر من كل كبير، ولن تنفعهم فتاوى المرتزقة وكتابات الأدعياء باسم الدين من العلماء الرسميين وأشباههم من الذين يزينون لهم أفعالهم..» (مجلة المجتمع شهر نوفمبر سنة ١٩٨١م).

وقد رثته زوجته أمينة قطب في أكثر من قصيدة وكانت لها قصيدة حزينة مؤثرة في ذكراه كل سنة بعد استشهاده.

وكانت أولى تلك القصائد بعد استشهاده هي قولها:

ما عدت أنتظر الرجوع ولا مواعيد المساء
ما عدت أحفل بالقطار يعود موفور الرجاء
ما عدت أنتظر المجيء أو الحديث ولا اللقاء
ما عدت أرقب وقع خطوك مقبلاً بعد انتهاء
وأضيء نور السلم المشتاق يسعد بارتقاء
ما عدت أهرع حين تقبل باسماً رغم العناء
ويضيء بيتي بالتحيات المشعة بالبهاء
وتعيد تعداد الدقائق كيف وافانا المساء؟
وينام جفني مطمئناً لا يؤرِّقه بلاء
ما عاد يطرق مسمعي في الصبح صوتك في دعاء
ما عاد يرهف مسمعي صوت المؤذن في الفضاء
وأسائل الدنيا: ألا من سامع مني نداء؟
أتراه ذاك الشوق للجنات أو حب السماء؟
أتراه ذاك الوعد عند الله؟ هل حان الوفاء؟
فمضيت كالمشتاق كالولهان حُبّاً للنداء؟
وهل التقيت هناك بالأحباب؟ ما لون اللقاء؟
في حضرة الديّان في الفردوس في فيض العطاء؟

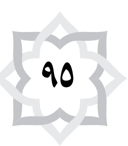
أبـدار حـق قـد تـجـمّـعـتـم بـأمـن واحـتـمـاء؟
إن كـان ذاك فـمـرحـبـاً بـالـمـوت مـرحـى بـالـدمـاء
ولسـوف ألـقـاكـم هـنـاك وتـخـتـفـي دار الشـقـاء
ولسـوف ألـقـاكـم أجـل. وعـد يصـدقـه الـوفـاء
ونـثـاب أيـامـاً قضـيـنـاهـا دمـوعـاً وابـتـلاء
وسـنـحـتـمـي بـالـخـلـد لا نـخشـى فـراقـاً أو فـنـاء

رحم الله أستاذنا السنانيري رحمة واسعة وألحقنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.



المؤلف مع الشيخ محمد مرزوق في منزلنا بالكويت سنة ١٩٧٧م





الداعية المجاهد محمد كمال سيد القزاز (أبو طارق)

(١٣٤٤ ـ ١٤٠٥هـ = ١٩٢٥ ـ ١٩٨٥م)

معرفتي به:

عرفته حين قرأتُ اسمه مع مجموعة من الإخوان المجاهدين الذين كان لهم دور أساس في حرب اليهود وإعداد العدة لمناجزتهم وتهيئة الأمة للتصدي لمكرهم وكيدهم، وقد اعتقل مع إخوانه فيما يسمى بقضية (السيارة الجيب) سنة (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م)، فكان السجن للدعاة مدرسة أخرى يعيدون فيها تربية أنفسهم ويراجعون فيها مواقفهم ويسددون خطاهم بهدى الشرع، على ضوء التجارب التي خاضوا غمارها ومدى فاعليتها في تحقيق أهدافهم الإسلامية.

وحين قدمتُ مصر أواخر الأربعينيات حرصت على زيارة الإخوة المعتقلين بصحبة الشيخ منّاع القطان الذي كان في السنوات الأخيرة من كلية أصول الدين وقد كانت له صفحة يحررها في مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية عن الأزهر وعلاج مشكلاته.

صفاته ومواقفه:

ولقد كان الأخ القزاز من العاملين بصمت والباذلين بسخاء في سبيل الدعوة، وكان يتوقد حماسة ويتصف بالصدق والوضوح والجرأة والإقدام، كما كان يؤمن بأنه لا خلاص لأمة الإسلام إلا بالجهاد الذي هو سر حياتها، ومن دونه تكون لا شيء، ومن هنا كان الجهاد هو ذروة سنام الإسلام كما قال المصطفى ﷺ.

إن القزاز واجه المشكلات التي تعرضت لها الدعوة الإسلامية بمصر برباطة جأش وصبر منقطع النظير، وكان كتوماً عجز الخصوم عن الوصول عن طريقه إلى إخوانه في درب الجهاد وطريق الدعوة.

وبعد أن ادلهمت الخطوب وكشّر الطاغية بمصر عن أنيابه وأخذ يعمل على نشر الفرقة بين الصفوف والتفريق بين جنود الدعوة وقيادتها، كان للأخ القزاز موقف حازم صارم حيث وضع الأمور في نصابها والتزم السمع والطاعة للقيادة الشرعية المتمثلة بالمرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي وواجه بكل قوة من أرادوا غير ذلك ممن انخدعوا بألاعيب الطاغية وغرتهم وعوده الكاذبة.

نشاطه:

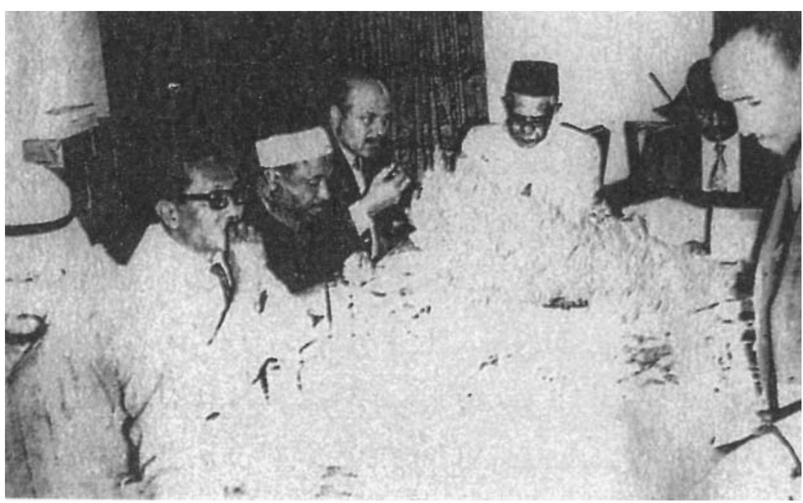
ولما فجر الطاغية في خصومته ولاحق الدعاة وزج الألوف منهم في غياهب السجون غادر الأخ القزاز مصر إلى الكويت مع ثلة من إخوانه، وبهم وعلى أيديهم أجرى الله الخير الكثير حيث نشطوا في رفد الدعوة وتجميع إخوانهم وتجديد العهد معهم للمضي قدماً في طريق الحق والخير والعمل المنظم الذي ربط الإخوان المهاجرين في أنحاء العالم العربي والإسلامي والغربي في حلقة متصلة تحمل العبء وتنهض بالواجب ودعوا إلى الله على بصيرة متعاونين مع إخوانهم في البلاد التي هاجروا إليها.

وقد نظموا الاتصال مع إخوانهم داخل السجون بطرق شتى بحيث يحيطونهم بأخبارهم ويتلقون منهم أخبارهم وطلباتهم ويقدمون العون المادي لأسر

المعتقلين والشهداء بسخاء منقطع النظير حتى إن الكثير منهم كان يقسم المال بين أسرته وإخوانه بمصر.

إيمانه باستمرارية الجهاد:

وظل الأخ القزاز وإخوانه عبد العزيز علي، وصلاح حسن، ومحمود حسن وغيرهم يصرون على استمرارية الجهاد ضد اليهود وأنهم السوس الذي ينخر في جسد الإنسانية، والداء الخطير الذي يجتاح العالم، والعدو اللدود للإسلام والذي بمكره ودهائه أغرى الحكام العرب والدول الغربية بحرب الإسلام ودعاته وتصفية جماعة الإخوان المسلمين بمصر واغتيال مرشدها حسن البنا، ثم الإعدامات لزعمائها وقادتها: عبد القادر عودة، ويوسف طلعت، ومحمد فرغلي، وإبراهيم الطيب، وهنداوي دوير، ومحمود عبد اللطيف، وعبد الفتاح إسماعيل، وسيّد قطب، ومحمد هواش وغيرهم، وما زال اليهود ينظرون إلى الإخوان المسلمين على أنهم الخطر الأكبر على كيانهم ووجودهم، ومن ثم فهم يروجون مصطلحات الأصولية والإرهاب والتطرف وغير ذلك من المسميات التي تصنع



عبدالمنعم مشهور ـ كمال القزاز ـ محمد ناصر ـ محمد الصفطاوي ـ سعيد أوكجي ـ العقيل

في الدوائر الصهيونية وينطلق بها الإعلام الغربي ويكررها الإعلام العربي الهزيل التابع للدوائر الصهيونية والصليبية والاستعمارية والذي يقف على صدارته العلمانيون من أبناء العرب الذين تنكروا لدينهم وأمتهم ووطنهم وصاروا كالإمعات والببغاوات تردد ما يقال وتجتر ما تسمع دون وعي أو إدراك، ولو كان في هذا الإعلام الإساءة إلى دين الأمة ومقدساتها وعلمائها ودعاتها وتفريق شملها وتحطيم مقوماتها.

إن كتائب الإخوان المسلمين التي دخلت فلسطين سنة ١٩٤٨م لمجاهدة اليهود استطاعت بفضل الله أن تفك الحصار عن الجيش المصري وأن تبطش باليهود بحيث كانوا يفرون من مواقع المجاهدين ويهربون من مواجهتهم، في الوقت الذي كانوا يصولون ويجولون في التصدي للجيوش العربية التي كانت بعض أسلحتها فاسدة وليس عندها أوامر بمقاتلة حقيقية لليهود بل مناوشات فقط حسب أوامر الأسياد الذين فرضوا الهدنة الأولى والثانية والثالثة من أجل أن يتقوى اليهود ويزداد المدد الأمريكي والأوروبي لهم.

إن هؤلاء المجاهدين من الإخوان الذين حرروا (تبة اليمن) من اليهود وقدّموا قوافل الشهداء، كان جزاؤهم من طغاة مصر هو السجن وهم في ميدان القتال وبحراسة قادة الجيش الذي جاء ليحارب اليهود كما يقال!!

ثم نقلوا المجاهدين إلى مصر في معتقل الطور بعد أن اغتالوا الإمام الشهيد البنا وحلوا جماعته تنفيذاً لقرار السفراء الثلاثة لأمريكا وفرنسا وبريطانيا الذين اجتمعوا في منطقة فايد العسكرية وأمروا النقراشي أن يحلّ تنظيم الإخوان الذين يشكلون خطراً يمنع قيام إسرائيل التي اعترفوا باغتصابها لفلسطين وتشريدها لشعبها المسلم الأبي.

وبعد نكسة سنة ١٩٦٧م التي أخزى الله فيها ديكتاتور مصر الذي ملأ الدنيا جعجعة بأنه سيلقي بإسرائيل في البحر فكانت النتيجة الخزي والعار والهزيمة

المروعة التي جعلت الجنود يهيمون على وجوههم هرباً من اليهود نتيجة السياسة الخرقاء للقادة السياسيين والعسكريين على حد سواء.

أمام ذلك أصر الإخوان المسلمون على أن لا يتركوا اليهود يتلذذون بهزيمة الجيوش العربية فسارعوا إلى إقامة معسكر للشباب المسلم من سوريا والعراق والأردن ولبنان وفلسطين واليمن ومصر والسودان حيث كان الأبطال من شباب الإخوان في العالم العربي يتسابقون إلى مناجزة اليهود عبر النهر ويقدمون الشهيد تلو الشهيد، وكان الأخ القزاز وإخوانه الدعامة الأساسية لقيام هذا المعسكر للمجاهدين ودعمه بكل وسائل الدعم المستطاع، وقد أكرم الله العديد من شباب الإخوان الفلسطينيين والأردنيين والمصريين والسوريين واليمنيين بالاستشهاد في ميدان الشرف وصدق فيهم قول الشاعر د. يوسف القرضاوي:

يا سيد الرسل طب نفساً بطائفة ... باعوا إلى الله أرواحاً وأبدانا
أعطوا ضريبتهم للدين من دمهم ... والناس تزعم نصر الدين مجانا
أعطوا ضريبتهم صبراً على محن ... صاغت بلالاً وعماراً وسلمانا

فاستشهد الكثير من الإخوة الكرام أمثال الأخ اليمني محمد سعيد باعباد، والأخ الفلسطيني إبراهيم عاشور، والأخ المصري صلاح حسن، والأخ السوري زهير سعدو والأخ الأردني محمود البرقاوي أما الأخ عبدالله عزام فشاء الله له الشهادة في أفغانستان، والأخ محمد صالح عمر فكان استشهاده في جزيرة (أبا) في السودان..

رحم الله هذه الكوكبة من الشهداء الذين سلكوا طريق إخوانهم شهداء (١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م) وبارك الله في شباب الانتفاضة المباركة بفلسطين التي جاءت كتائب حماس الإسلامية لتذيق اليهود كؤوس الذل والهوان ولتقول لليهود في كل وقت: إن المجاهدين المسلمين لهم بالمرصاد مهما تكالب الأعداء وتكاثروا.

كلمتي عنه في المجتمع:

وبعد وفاة الأخ القزاز بأيام قليلة كتبت عنه أقول:

«إن الرجولة صفة قلّ أن يفوز بها الكثير من الناس فهي خصيصة لنوعية معينة تتصف بمواصفات معينة يصدق فيها قول أبي الطيب المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهمو   الجود يفقر والإقدام قتّال

ومن هنا جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صدقوا مَا عاهَدُوا الله عَلَيْه فَمنهم من قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهم مَّن يَنتظَرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿**فِي بُيُوت أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوّ وَالآصَال**﴾ ﴿**رِجَالٌ...**﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَة رَجُلٌ يَسْعَى**﴾ [يس: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ...**﴾ [غافر: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ...**﴾ [النساء: ٣٤].

والآيات في هذا الباب كثيرة، وكلها تتحدث عن المواطن التي تبرز فيها معادن الرجولة وتنتصب فيها قامات الرجال وتشرئب فيها أعناق الناس متطلعة إلى هذه المعادن النفيسة والنماذج الكريمة من الرجال المؤمنين الصادقين.

والأخ الكريم «كمال القزاز» رجل عرفته منذ أكثر من ثلاثين عاماً، منذ هاجر من مصر فاراً بدينه ١٩٥٤م وأقام في الكويت ليعمل في النجارة وهي المهنة التي حذقها في مصر، وأنشأ معملاً للنجارة بالكويت كان قمّة في جودة الصناعة وصدق المعاملة التي استقطبت الزبائن وتفوّقت على مستوردات الغرب ونافستها.

لقد كان الأخ القزاز رحمه الله من الروّاد الأوائل من شباب الحركة الإسلامية الذين سعدوا بلقاء الإمام الشهيد حسن البنا وتتلمذوا على يديه وكان من الصفوة المختارة التي عاهدت على نصرة هذا الدين وإعلاء كلمته وبذل كل نفيس وغالٍ في الذود عن حمى الإسلام والمسلمين بالتصدي لليهود بفلسطين وللإنجليز في

قناة السويس والوقوف أمام الطغاة المتسلطين على البلاد والعباد، ومقارعتهم بكل شجاعة ورجولة، فكان نصيبه كغيره من طلائع المجاهدين العاملين: السجن والاعتقال والمطاردة فلم يثنه كل ذلك عن الاستمرار في الجهاد والجلاد والصبر والمصابرة حيثما كان؛ في مصر أو الكويت أو الأردن أو لبنان.

كان رحمه الله يتميّز بالصدق في القول، والصراحة في الحق، والعمق في التفكير، والنضج في التخطيط، والكتمان للسر، والتضحية بالمال والنفس، والإصرار على تحقيق الهدف، والبعد عن المظاهر، والسبق في مواطن الخير، والقدرة الفائقة على الإقناع، حتى تأثر به كل من عرفه عن قرب واحترمه وأكبر مواقفه لقلة كلامه وكثرة عمله، كما كان عزيز النفس كريم الخلق لا يقبل ضيماً ولا يخضع لجور، يتعالى أمام المتجبرين ويذل أمام المؤمنين، ويزن من معه بموازين الرجولة دون النظر إلى جاه أو منصب أو مال، ومن هنا لم تبطره النعمة التي حصل عليها بكفاحه بل كان ينفق منها بسخاء منقطع النظير في وجوه الخير وميادين الجهاد وطرق البر دون أن يعلم بذلك أقرب المقربين إليه.

إن معرفتي بالأخ القزاز رحمه الله علمتني منه الكثير رغم أنه لم يتخرج من جامعة ولم يتصدر المنابر، لأن أخلاقه النبيلة ورجولته الصلبة في المواقف الحاسمة، وثباته في مواجهة الباطل، وإصراره على تحدي الظلم، وثقته بمستقبل الإسلام، جعلته من القلائل الذين يجود بهم زماننا الذي شاع فيه التراخي والتواكل وعدم التميّز في المواقف وحسم الأمور.

كان يحدثني كثيراً عن زميله وشقيق روحه المهندس سيّد فايز رحمه الله ويثني عليه ويذكره بالخير، كما كان يكثر من ذكر الشهيد صلاح حسن رفيقه في الجهاد، وكان يرفض الحديث عن إخوانه بسوء رغم هفوات البعض منهم، ولكنه يواجههم ويقول ما يعتقد بأنه الحق دون مواربة، وكان يكرر المطالبة بالتزام منهج الإمام البنا في التربية والإعداد، والجهاد والدعوة، ويرى الخروج عن هذا المنهج خروجاً عن الجماعة ونظامها ومفاهيمها، لأن هذه التعاليم

والمناهج مبنية على الكتاب والسُّنَّة ومنهج أهل السنة والجماعة من سلف الأمة.

رحم الله أبا طارق رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته وغفر الله لنا وله وللمسلمين جميعاً وإنا لله وإنا إليه راجعون». (مجلة المجتمع الكويتية).

حديث رفيق دربه:

يقول أحد رفقاء دربه:

«على مدى أربعين عاماً ونيّف منذ أواخر الحرب العالمية الثانية، مرَّت بنا صروف الدهر، وتقلبات الأيام، على كثير من الأحداث، فكنا حيناً على مسرحها وأحياناً بين كواليسها، وتارة نرقبها من قريب.

ومن خلال ذلك تعرّفنا في أكثر من بلد، إلى كثير من الناس، أفراداً وجماعات، اختلفت مشاربهم، وتباينت غاياتهم، وتنوّعت وسائلهم في السعي إلى أهدافهم.

وبين أولئك وهؤلاء، برزت مجموعة انتظمت أكثر من جيل، تميزت بأهدافها، ووسائلها، وسلوكها، ونمط حياتها، ونشأتها على البذل والعطاء، مجموعة اختارت أن تجعل الله غايتها، وكتابه منهاجها، ورسوله ﷺ قدوتها.

وبين هؤلاء المتميّزين كان الأخ كمال القزاز رحمه الله، صفوة بين الصفوة، ونادراً بين القلة.

وقد كانت الرجولة وصدق العهد، والثبات، والبذل والعطاء هي الصفة البارزة، والسمة المميّزة التي يراها فيه كل من عرفه.

قست عليه الحياة، وسجنته سنين في غياهبها، فلم تلن عزيمته، ثم لان له العيش من بعد فلم ينصرف عن غايته، أو ينحرف عن هدفه، أو يقعد عن واجبه، بل كان دائماً سباقاً رائداً.

وعلى مدى سنين طويلة، ما اجتمع نفر من إخوانه على أمر من أمور الخير إلا قدموه، فيكون دائماً قدوة سباقاً، لا يخلف عهداً، ولا يخيّب ظناً، بل يقوم بواجبه، وبما عجز أو قعد عنه سواه.

خرج من مصر قبل أكثر من ثلاثين عاماً، وهو يحس أن الدعوة التي تفيأ ظلّها، ونذر نفسه لها، ظلمها أعداؤها، وظلمها أصدقاؤها، وظلمها نفر من أبنائها، وعاش ما عاش في أي بلد نزل، وفي أي مكان وجد، يسعى إلى غايته، ويدعو إلى رسالته، ويبصر من حوله بكيد الأعداء، وتردد الأصدقاء، وواجب الأبناء، ويذكّر بذلك في بيته، وفي عمله، وفي أسرته، وبين أصدقائه، وجيرانه، في صحته وفي مرضه، وفي عسره ويسره، فكان ذلك آخر ما يوصي به قبل أن يستسلم لمبضع الجراح، أكثر من مرة، وأول ما يتحدث فيه عندما يفيق من أثر التخدير.. ومات ولسانه رطب من ذكر الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نحتسبه عند الله، والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحداً.. اللهم اجزه أحسن ما عمل، وتجاوز عن سيئاته في أصحاب الجنة، ولا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، إنك سميع مجيب» انتهى. (مجلة المجتمع الكويتية).

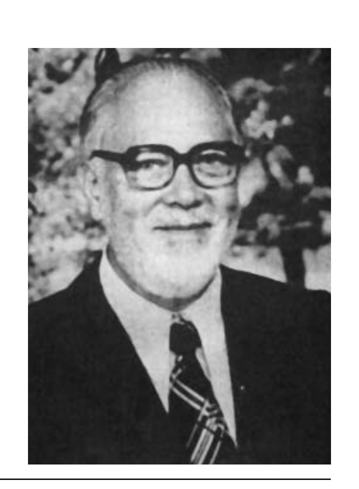
ولقد توفي الأخ القزاز إثر مرضه بتليف الكبد الذي لم تنفع معه العمليات الجراحية، فغادر دنيانا الفانية إلى الدار الباقية أواخر سنة ١٩٨٥م.

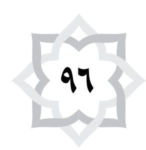
رحم الله الأخ القزاز وإخوانه الذين شاركوه إحياء روح الجهاد ورفع رايته وبارك الله في هذه الطلائع المؤمنة والأيدي المتوضئة التي ألقمت اليهود حجراً وأفقدتهم صوابهم حتى صاروا يبحثون عمن يتولى أمر التصدي لهؤلاء الشباب الذين لا يرهبون الموت، فوجدوا ضالتهم في دعاة الاستسلام من المهزومين الذين باعوا الأرض والعرض وصافحوا اليد الملوثة بدماء الفلسطينيين وساروا في موكب الذل خانعين مستسلمين لأبناء القردة والخنازير يصدق عليهم قول الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

ألا شاهت هذه الوجوه وخنست هذه النفوس، فالمستقبل لهذا الدين والنصر لعباد الله المؤمنين.

﴿وَالله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].





محمد عبد القادر المبارك

العالم والمفكر الداعية

(١٣٣١ ـ ١٤٠٢هـ = ١٩١٢ ـ ١٩٨٢م)

مولده ونشأته:

هو العالم الوزير، والمفكر الداعية: محمد بن عبد القادر بن محمد المبارك الحسني. ولد في دمشق سنة ١٣٣١هـ ـ ١٩١٢م، ونشأ في رعاية والده العلامة اللغوي عبد القادر المبارك، وأصل أسرته من الجزائر، هاجر منها والد جدّه إثر الاحتلال الفرنسي سنة (١٢٦٢هـ ـ ١٨٤٥م)، وقد درس العلوم الدينية، وتابع دراسته النظامية بدمشق وبثانويتها سنة (١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م)، كما قرأ على علماء الشام، وبخاصة العلاّمة الشيخ بدر الدين الحسني، ثم درس الحقوق والآداب بجامعة دمشق، وتخرج فيها سنة (١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م).

كما حصل على درجة الليسانس في الآداب من جامعة (السوربون) بباريس في فرنسا سنة (١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م)، وكذا حصل على دبلوم في علم الاجتماع

والأخلاق سنة (١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م). وفي فترة دراسته في فرنسا، اطلع على الثقافة الغربية مباشرة، وعرف كبار المفكرين في الغرب.

عمل مدرساً للأدب العربي في المدارس الثانوية بدمشق، ثم مفتشاً عاماً للغة والدين، ثم محاضراً في كلية الآداب، ثم أستاذاً فعميداً لكلية الشريعة بجامعة دمشق خلفاً لصديقه الحميم الدكتور مصطفى السباعي، ثم عمل أستاذاً ورئيساً لشعبة الدراسات الإسلامية بجامعة أم درمان الإسلامية سنة (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م)، ثم رئيساً لقسم الشريعة بكلية الشريعة بمكة المكرمة سنة (١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م)، ثم مستشاراً لجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ثم أستاذاً في الجامعة الأردنية.

وكان له نشاط سياسي بارز، وإسهام في الحركة الوطنية في سورية، وانتخب نائباً عن مدينة دمشق سنة (١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م)، ثم وزيراً للأشغال العامة والمواصلات، ثم وزيراً للزراعة، في الفترة من (١٣٦٩هـ ـ ١٣٧٢هـ/ ١٩٤٩ ـ ١٩٥٢م)، وعاد بعدها إلى مجلس النواب، نائباً عن دمشق من (١٣٧٤هـ ـ ١٣٧٩هـ / ١٩٥٤م ـ ١٩٥٩م).

شارك في العديد من المؤتمرات العلمية العالمية، وأسهم في وضع المخططات التعليمية والجامعية في البلاد العربية والإسلامية.

وفي أثناء دراسته بفرنسا، التقى الأمير شكيب أرسلان، والأستاذ الفضيل الورتلاني، وكان له معهما نشاط في مجال الدعوة الإسلامية، ومحاربة الاستعمار بكل أشكاله في البلاد العربية والإسلامية.

ولقد تأثر الأستاذ المبارك بكتابات الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزية، بعد اطلاعه على كتاب (الحسبة) لابن تيمية، وكتاب (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و(إعلام الموقعين) لابن القيم.

وكانت سنة ١٩٤٧م من السنوات التي شهدت نشاطاً سياسياً كبيراً، وخاصة بعد استقلال سورية، وخلاصها من الاحتلال الفرنسي.

وحين تشكلت جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٥م، كان المبارك، وعمر بهاء الأميري، وعبدالقادر السبسبي من مؤسسيها، وانتخب الدكتور مصطفى السباعي مراقباً عاماً لها، وفي العام ١٩٤٧م ترشح عدد من الإخوان لمجلس النواب، وكان منهم الأستاذ المبارك نائباً عن دمشق.

وكانت مهمة المجلس النيابي الجديد، هي وضع الدستور الذي سيحكم البلاد فيما بعد، وكان الصراع على أشده بين العلمانيين المستغربين الذين يطالبون بتحكيم القوانين الغربية الوضعية في البلاد، وإقصاء الدين من الحكم والسياسة، وبين الحركة الإسلامية، ولكن وجود جماعة الإخوان المسلمين والمفكرين الإسلاميين الواعين، حال دون ذلك، واستعرت «معركة الدستور» ونجح الإسلاميون في إقرار دستور للبلاد ينص على اعتبار الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع في سورية، وهذا بفضل الله أولاً، ثم بجهود الإخوان المسلمين وعلى رأسهم أميرهم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي.

أهم مؤلفاته:

فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ.

من منهل الأدب الخالد.

عبقرية اللغة العربية.

فقه اللغة وخصائص العربية.

الأمة العربية في معركة تحقيق الذات.

المجتمع الإسلامي المعاصر.

الأمة والعوامل المكوِّنة لها.

جذور الأزمة في المجتمع الإسلامي.

نحو صياغة إسلامية لعلم الاجتماع.

نحو إنسانية سعيدة.

العقيدة في القرآن الكريم.
نظام الإسلام.. العقيدة والعبادة.
نظام الإسلام.. الحكم والدولة.
نظام الإسلام.. الاقتصاد.
نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث.
ذاتية الإسلام أمام المذاهب والعقائد.
الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيمية.
نظرة الإسلام العامة إلى الوجود وأثرها في الحضارة.
الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية.
القرآن عربي الخطاب.
نحو وعي إسلامي جديد.
المشكلة الثقافية في العالم الإسلامي.
مذكرات في الثقافة الإسلامية.
الإسلام والفكر العلمي.
بين الثقافتين: الغربية والإسلامية.

وله عشرات البحوث والمقالات المنشورة عن موسوعة الفقه الإسلامي، وعن تاريخ الرياضيات عند المسلمين، والتجارب العلمية عند المسلمين، ومذكرات في التشريع الإسلامي مع مقارنته بالتشريع الغربي... إلخ، فضلاً عن الكثير من المحاضرات في مكة المكرمة والجزائر ولاهور ودمشق والرياض، والخرطوم، وأمريكا، وقطر، وباريس، والرباط، وجدة، وإسطنبول، وأبوظبي، وعمَّان وغيرها، بالإضافة لزياراته المتعددة للمدن السورية، وإلقاء المحاضرات والدروس، وعقد المؤتمرات والندوات، لشرح الفكرة الإسلامية، وبيان منهج الإسلام الحق.

من أقواله:

«لا بد لنا ونحن في ميدان العلوم المادية، والحياة العلمية في الحضارات الغربية الأجنبية المعاصرة، أن نستفيد من تجربة اللغات الأجنبية، ما يعيننا في تجربتنا، على أن نعرف لكل لغة خصائصها وطرائقها في الاشتقاق والتوليد، مع الحذر من التقليد الحرفي، والنقل الآلي، والخلط بين خصائص اللغة وفنون آدابها، والانسياق في تيار نظريات المستشرقين وأصحاب المذاهب الاجتماعية.

ولو نظرنا إلى اللغات الأخرى التي كانت حين ظهور الإسلام، كالفارسية واليونانية، لوجدنا أنها تبدَّلت على مر العصور، حتى غدت اليوم لغة أخرى، ولو نظرنا كذلك إلى اللغات المنتشرة في عصرنا، والتي هي لغة الثقافة والعلم، كالفرنسية والإنجليزية والألمانية والروسية، لوجدنا أنها لا تكاد تفهم من أصحاب اللغة أنفسهم، لشدة ما أصابها من التبديل الأساسي في ألفاظها وفي معاني ألفاظها، وليس ذلك في العربية التي تميزت من سائر اللغات بخاصية عظيمة النتائج، جليلة الفوائد، ذلك أن ألفاظها كلها ترجع إلى أصول ثابتة، ومهما يكن تطور الكلمة العربية في معناها، فإنها ترجع إلى أصل ثابت في حروفه وفي معناه الأصلي العام.

إن الإسلام ثابت في مفاهيمه العامة، واتجاهاته والمعالم الكبرى التي رسمها للحياة الإنسانية، قابل لتنوع الأساليب في التطبيق، ومراعاة مختلف الأحوال والمراحل والشروط الاجتماعية، وكذلك اللغة العربية، فهي ثابتة الأصول والجذور، قادرة على متابعة تطور الإنسان في التعبير عن مختلف حالاته، وبذلك يلتقي الإسلام على أنه رسالة، والعربية على أنها وسيلة للتعبير، وتلك هي الحكمة في نزول القرآن بالعربية، وفي النص على ذلك في محكم الكتاب: ﴿**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون**﴾ [يوسف: ٢] مع أن خطاب القرآن عام للناس جميعاً، ولم يرد فيه تخصيص كونه للعرب، واللغة العربية هي التي حملت

رسالة الإسلام، فغنيت بألفاظ كثيرة جديدة للتعبير عن المفاهيم والأفكار والنظم وقواعد السلوك التي جاء بها الإسلام.

ولقد آثرت ولا سيما بعد اشتغالي بالتدريس الجامعي أن أحافظ على خطوط فكرية ثلاثة، كنت دوماً أتنقل بينها، وأتابع الدراسة والبحث في آفاقها، وهي: اللغة، والفكر الإسلامي، وخصائص الأمة العربية.. وذلك حفاظاً على لغة القرآن التي هي أداة تفكيرنا، وفن تعبيرنا، ووسيلة أدائنا لرسالتنا، والتي بها توارثنا مكارم أمتنا، وبها نـزل كتـاب الله علينا، وفيها يكمن الكثير من قــوتنا، والثمين من تراثنا.

فالأمة العربية بمكانها الثقافي والجغرافي، وموقعها القيادي في العالم الإسلامي، تستطيع أن تقوم بدور المنقذ، وأن تكون رائدة للحضارة الإنسانية المقبلة، وطليعتها.

فلا بد من التحرر من آثار التشويه والانحراف الذي أصاب الإسلام في فهم المسلمين له.

والتحرر من نقائص الحضارة الأوروبية الحديثة الفلسفية الفكرية والعملية السلوكية، مع استبقاء مكاسبها الصالحة النظرية والعملية، وإحلال الإسلام باعتباره نظاماً عقائدياً كاملاً محل ذلك.

ولقد كانت الأحداث التي عاصرتها، تشهد الصراع بين أنصار الدين وأنصار الإلحاد والعلمانية، والصراع عن الاستعمار، وكانت الثورة السورية على فرنسا من الأحداث التي عشت في أجوائها، كما كان لكثير من الأحداث في شتى البلدان الإسلامية أصداء قوية، كإلغاء أتاتورك للخلافة، وإمعانه في محاربة أي صلة للأتراك بالإسلام واللغة العربية، وكالظهير البربري، أعني المرسوم الفرنسي القاضي بفصل البربر عن العرب في المغرب، لقد كنا نعيش بعواطفنا وعقولنا في جانب المناصرين للدين، والثائرين على الاستعمار، والداعين إلى وحدة المسلمين، فضلاً عن وحدة العرب».

معرفتي به:

حين كنت أدرس في بغداد في الثانوية الشرعية بالأعظمية سنة ١٩٤٧م، وكان زملائي إبراهيم المدرس ويوسف العظم، ونعمان السامرائي، وحافظ سليمان، كان لنا نشاطنا الإسلامي المتميز في الثانوية الشرعية، ومع إخواننا في الأعظمية وبغداد عموماً، وكان الإخوان المسلمون في العراق، وعلى رأسهم الأستاذ محمد محمود الصواف، المراقب العام للإخوان المسلمين، يتابعون النشاط الإسلامي المكثف في سورية، الذي يقوده الإخوان المسلمون من خلال البرلمان السوري الذي نجحوا في دخول بعض شخصياتهم فيه، وكان لهم الدور الفاعل والمؤثر بالمناداة في جعل الدستور السوري يستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية، باعتبارها المصدر الرئيس للدستور، وقد نجحوا في ذلك والحمد لله، مما أعطانا الشجاعة للتحرك في أوساط الجماهير، للمناداة بأن تكون الشريعة الإسلامية المصدر الأساس للتشريعات في الدساتير العربية.

وكانت لي زياراتي لسورية فيما بعد، ولقاءاتي مع أستاذنا الدكتور السباعي وإخوانه: الأستاذ المبارك، وعبدالفتاح أبوغدة، وسعيد العبار، وبشير العوف، وزهير الشاويش، ومحمد خير العرقسوسي، وعصام العطار، وغيرهم من رجالات الدعوة في بلاد الشام.

وكانت مكتبات الإخوان المسلمين في العراق تحرص على توفير الكتاب الإسلامي لشباب الرافدين، وبخاصة مؤلفات الأعلام من الدعاة ورجال الفكر الإسلامي، ومنهم الأستاذ محمد المبارك الذي اتسم بالشخصية المتميزة، والمنهجية الموضوعية، وسعة الأفق الثقافي، حيث جمع بين الدراستين: دراسة الشرق العربي الإسلامي في الفقه والتوحيد والتاريخ واللغة والتراث، ودراسة الغرب في الفلسفة والفكر واللغات.

فكان يرى أن أهم خصائص الحضارة العربية الإسلامية: اتصال العقيدة بالنظام، والنظام بالعقيدة، وأن الغزو الفكري الغربي للعالم الإسلامي، قد

أحدث أزمة جذرية عنيفة، وثورة فكرية تشكك في قيم الإسلام ومفاهيمه وتاريخه.

وأن الواجب على الدعاة والمفكرين، التصدي لهذه الهجمة الشرسة على الإسلام كدين، وعلى المسلمين كأمة، وهذا ما اضطلع بمسؤوليته دعاة الإخوان المسلمين في مصر والسودان وبلاد الشام والعراق، فكانوا فرسان الميدان، الذين يصولون ويجولون ويكشفون زيف الدعاوى المناهضة للإسلام التي يتبناها المستشرقون، وتلامذتهم في البلاد العربية والإسلامية.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ مصطفى الزرقا: «كان الأستاذ محمد المبارك أوّل من فكر بضرورة إعادة النظر في علم الاجتماع الذي يدرس بوضعه الحالي الذي يؤدي إلى الإلحاد، حيث يرى ضرورة كتابة علم اجتماع إسلامي متفق مع مسلمات الإسلام وثوابته في القرآن والسنَّة النبوية، وقد كلف في آخر حياته في الجامعة الأردنية بتدريس علم الاجتماع الإسلامي على صعيد الجامعة للطلاب من جميع الكليات.

وقد تولى الأستاذ المبارك عمادة كلية الشريعة في جامعة دمشق بعد مرض عميدها الأول الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي، فأدارها خير إدارة، وخلف الدكتور السباعي خير خلافة.

حدثني الأستاذ المبارك عن أستاذه المستشرق (ماسينيون) أنه قال لمجموعة من الطلاب وفيهم المبارك: نحن المستشرقين بذلنا جهوداً كبيرة خلال ثلاثة أجيال في تتبع مخطوطات القرآن الكريم من أقدم ما هو محفوظ في دور الآثار والمكتبات العالمية، حتى الأوراق المفردة المقطوعة من مصاحف قديمة فقدت، وقارنا كل ذلك بالمصاحف المطبوعة، لكي نعثر على أي اختلاف بين المصاحف، من مصحف عثمان إلى مختلف العصور، حتى المصاحف في

عصرنا، ولو كان اختلافاً في آية أو جملة أو كلمة، فلم نجد أي اختلاف، مما جعلنا نعتقد مستيقنين أن القرآن الذي نطق به محمد صلى الله عليه وسلم باق إلى اليوم، كما نطق به لم يتبدل فيه شيء».

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: «كان الأستاذ محمد المبارك أحد الذين يفكرون بالإسلام، ويفكرون للإسلام، وهكذا عاش لهذا الدين، وعاش بهذا الدين، فهو أحد العقول القلائل في هذا العالم الإسلامي التي تفكر بالإسلام وتفكر للإسلام، إن من خصائص تفكير الأستاذ المبارك، النظرة الشمولية للإسلام، فالإسلام وحدة لا تتجزأ، الإسلام كلٌّ شاملٌ، كذلك يتميز الأستاذ المبارك بالاعتدال والتوازن، إنه لا يقف على طرف ضد طرف آخر، إنه يحاول أن يقف الموقف الذي وصف الله به أمة الإسلام: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**﴾ [البقرة:١٤٣] ومن كلماته التي سمعتها منه أنه يقول: «إن منهجي هو تسليف الصوفيين، وتصويف السلفيين» فلابد أن نطعّم الصوفية بالسلفية المعتدلة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، ولابد أن نطعّم السلفية بقدر من الروحانية المشرقة المعتدلة، وهكذا كان منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فقد كانوا ربانيين أهل روحانية وإشراق، وعلى هذا المنهج سار الأستاذ محمد المبارك».

ويقول شقيقه الدكتور مازن المبارك: «أشهد أنني قضيت مع شقيقي الأستاذ محمد المبارك عمراً في الطفولة والشباب، في البيت وفي العمل، في السفر وفي الإقامة، فما عرفت له نظيراً ولا شبيهاً، وإن أبرز ما يميزه عندي أمران:

الأول: أنه لا يعرف الراحة التي يعرفها الناس، ولا يطلبها، فما رأيته في حياتي كلها إلا وهو في عمل جاد.. فإذا تعب جسمه، أو اعتلَّ وذهب ليستريح، كان له عمل آخر، من قراءة كتاب، أو كتابة بحث، لا يفتر عن واحدة منهما حتى بين الرشفة والرشفة من الشاي الأخضر الذي كان مغرماً به.

الثاني: أنه كان ينسى أكثر ما يتصل به أو بأهله، ولا ينسى أحداً يتصل

بمصلحة إسلامية، فإذا أوصته زوجه على دواء نسيه، وإذا أوصيته على كتاب نسيه، وإذا كان له موعد عند طبيب أو خياط نسيه أو تأخر عنه.. بل هل رأينا أو سمعنا أن أحداً نسي ليلة عرسه!! لقد نسي ليلة عرسه، وظلّ يخطب في احتفال أقيم لزميل له لم يفز بالنيابة في الدورة الأولى من الانتخابات التي فاز هو فيها، وكان على زميله أن يدخل المعركة ثانية، وتوافد المدعوون إلى حفل زفافه، وحان الوقت، وقلق الناس الذين ينتظرون ليأخذوه بموكب عرس إلى دار العروس.. وهو ذاهل عن كل هذا، وأنا أبحث عنه، حتى وجدته على المنبر، فأرسلت إليه ورقة كتبت فيها: لقد تأخرت كثيراً.. والناس ينتظرون، والعروس تنتظر، هل نسيت ليلة عرسك؟!».

ويقول الأستاذ أنور الجندي: «من خلال التأمل في شخصية الأستاذ محمد المبارك، تبدو لنا ملامح شخصية باحث عربي إسلامي نابه، يلفت النظر بأصالته ومرونته وعمقه في تناول القضايا المصيرية للعالم العربي والأمة الإسلامية، وهو واحد من روَّاد المدرسة التأصيلية التي تجمع بين التجديد والبناء على أساس من القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية.

ويقول الأستاذ محمد المجذوب: «كان أول لقاء جمعني بأبي هاشم محمد المبارك في مدينة طرطوس من الساحل السوري قبل ثلث قرن، يوم دخل عليَّ الفصل وأنا أشرح بعض النصوص من شعر ابن الرومي، ثم تتابعت الأيام والشهور لتزيد صلتنا قوة ورسوخاً، حيث اجتمعنا في سبيل الأخوة في الله تحت راية العمل الإسلامي مع الثلة المختارة من حملة الدعوة الذين كانوا يتحلقون حول رجلها الملهم المجاهد الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية.

إن المتأمل في مراحل هذه الشخصية للأستاذ محمد المبارك يلمح غاية الله في إعدادها لحمل هذه الأمانة منذ تفتحها في ذلك الوسط الإسلامي العريق من دمشق، حيث غذي بحب الإسلام والعروبة ثم زود بالمقومات التربوية والثقافية

التي حفظت عليه ذاتيته من الذوبان أمام إغراءات الغرب».

ويقول الأستاذ عبدالله الطنطاوي: «كان الأستاذ محمد المبارك يحب الناس ويمشي في حاجاتهم، ولما كان وزيراً كان الوزير القدوة في كل وزارة دخلها، يخدم إخوانه ويدعو إلى جماعته بسلوكه الإسلامي المتزن، وبلسانه العف الذي اعتاد على أن يقول الخير أو يصمت، وفي الجامعة كان مثال الأب الحاني على أبنائه الطلاب والطالبات، وكان الذين يعملون بإمرته يحبونه ويجلّونه، لما يرون فيه من استقامة.

كان يعيش حياة وسطاً، حتى إنه عندما كان وزيراً لم يكن يملك سوى معاشه الشهري الذي ينفقه على أسرته، ولم يكن له بيت يملكه إلا في عام ١٩٦٣م بفضل قطعة أرض اشتراها منذ زمن طويل، ثم ارتفع ثمنها فتفاوض مع بعض الناس على أن يعمروها ويعطوه شقة فيها.

كان المبارك يقرأ بنهم، ويذكر أهله أنه كان لا يدع الكتاب من يده، تراه يقرأ في مكتبه، وعلى سريره، وفي غرفة الجلوس، وفي النزهة والسفر. ويطالب أهله بالقراءة، فالقراءة ديدنه في سائر أحواله.

وكان من أبرز مفكري الإخوان المسلمين، ليس على مستوى سورية وحدها، بل على مستوى العالم الإسلامي، وكتبه جديرة بإعادة طباعتها، والترويج لها، ودراستها، ففيها ما ليس في سواها من كتب الدعاة.. فيها وعي عميق، وثقافة نادرة، في أسلوب عربي قرآني متميز وكان يطبق ما يدعو إليه على نفسه، وعلى زوجته وأولاده، يهتم بتربيتهم، ويدعوهم إلى مشاركته فيما يقوم به من توعية ودعوة إلى الإسلام وإلى مكارم الأخلاق في المجتمع، وكان أسلوبه في تربية أولاده، وتعامله مع أسرته وأهله وإخوانه وتلاميذه أسلوباً فذاً يدعو إلى إمعان النظر فيه، والإفادة منه، فقد كان المبارك من القلائل في هذه البابة. ولقد كانت حياته الأسرية الناجحة من أسباب نجاحه في دعوته، فهو القؤول الفعّال لما يقول».

ويقول الأستاذ حسني أدهم جرار: «العالم المفكر، والسياسي المتمرس،

والداعية المربي، الأستاذ محمد المبارك كان فقيهاً باحثاً، وأديباً متميزاً، ورائداً من روَّاد الفكر العربي الإسلامي المعاصر.

كان عالماً متفتح الذهن.. آتاه الله علماً واسعاً، وذكاء حاداً، ورأياً سديداً، وبصيرة نافذة، وقدرة على الحوار.

وكان من الناس الذين جمعوا بين الثقافتين: الثقافة العربية الإسلامية، والثقافة الغربية، وجمع بين الدراسة الدينية وبين الدراسة المدنية، وكان لهذا الجمع أثر واضح في وعيه وتفكيره ونشاطه».

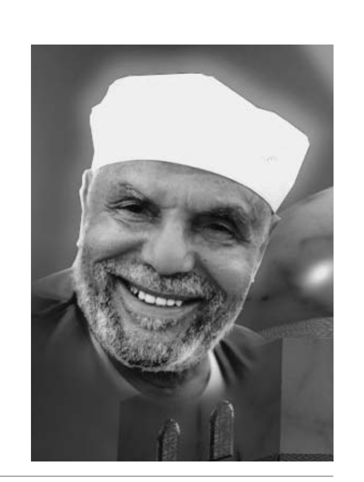
وقد أصدر الأستاذ حسني أدهم جرار كتاباً قيماً عن الأستاذ محمد المبارك، استفدت منه كثيراً.

وفاته:

كان من عادة الشيخ محمد المبارك أن يتوجه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة بين فترة وأخرى للصلاة في المسجد النبوي.

وفي إحدى المرات، وهو متوجه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، بعد محاضرة ألقاها في جامعة الملك عبد العزيز في جدة، يوم الاثنين ٤ / ٢ / ١٤٠٢هـ، وبعد مكوثه لمدة يومين بالمدينة المنورة مع أسرته، وفيما كان الشيخ المجذوب يستعد لاستضافته على طعام الغداء في منزله يوم الخميس ٨ / ٢ / ١٤٠٢هـ الموافق ٥ / ١٢ / ١٩٨١م، إذا بالهاتف ينقل له خبر وفاة الأستاذ المبارك وهو في طريقه إلى مستشفى المدينة المنورة، إثر نوبة قلبية، بعد وقت قصير من عبارة قالها وهو يمرُّ من أمام مقبرة البقيع: «هنيئاً لمن يُدفن في البقيع» قبل وصوله للمستشفى، وقد صُلي عليه في المسجد النبوي الشريف عقب صلاة الجمعة، ودُفن في مقبرة البقيع بالمدينة، حيث كان يتمنى ذلك.

رحم الله أستاذنا أبا هاشم محمد المبارك رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الشيخ محمد متولي الشعراوي

الداعية الإسلامي والمفسر اللغوي

(١٣٣٠ ـ ١٤١٩هـ = ١٩١١ ـ ١٩٩٨م)

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد متولي الشعراوي بقرية (دقادوس) مركز (ميت غمر) في محافظة الدقهلية بمصر، سنة ١٩١١م.

ألحقه والده بكتاب الشيخ عبد المجيد باشا، حيث أتم حفظ القرآن الكريم وعمره أحد عشر عاماً، ثم التحق بالمعهد الابتدائي الأزهري في (الزقازيق) سنة ١٩٢٦م، وحصل على الشهادة الابتدائية الأزهرية سنة ١٩٣٧م، ثم التحق بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة ١٩٣٧م، أثناءها ذهب إلى الحج مع البعثة الطلابية الأزهرية سنة ١٩٣٨م. وتخرج في كلية اللغة العربية سنة ١٩٤١م، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس سنة ١٩٤٣م.

حياته العملية:

بدأ حياته العملية مدرساً بمعهد (طنطا) الأزهري، ثم انتقل إلى التدريس

بمعهد (الإسكندرية) الأزهري، ثم معهد (الزقازيق) وبعدها سافر إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٥١م، وعمل بكلية الشريعة بمكة المكرمة مدرِّساً للتفسير والحديث، ثم عاد إلى مصر وعمل وكيلاً بمعهد «طنطا» الثانوي سنة ١٩٦٠م، ثم تولى منصب مدير الدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف المصرية سنة ١٩٦١م، ثم مفتشاً للعلوم العربية، سنة ١٩٦٢م، وقد اختاره شيخ الأزهر حسن مأمون مديراً لمكتبه سنة ١٩٦٤م.

ثم تولى رئاسة البعثة الأزهرية بالجزائر سنة ١٩٦٦م، عقب حصولها على الاستقلال، وهناك ساعد الحكومة الجزائرية في التخلص من آثار الاستعمار الفرنسي، بإشرافه على وضع مناهج دراسية جديدة باللغة العربية، وفي سنة ١٩٧٠م عين أستاذاً زائراً بكلية الشريعة بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة ثم رئيساً للدراسات العليا فيها.

برز الشيخ الشعراوي كداعية إسلامي سنة ١٩٧٣م، عندما قدَّمه الإذاعي أحمد فراج في برنامجه الإذاعي (نور على نور) الذي استمر عشر سنوات، كان الضيف الدائم فيه هو الشيخ الشعراوي مفسراً للقرآن الكريم.

وقد اختير وزيراً للأوقاف سنة ١٩٧٦م، ثم اعيد اختياره سنة ١٩٧٧م، وفي يوم ١٥ / ١٠ / ١٩٧٨م، قدم استقالته من الوزارة.

وقد حصل على وسام الجمهورية سنة ١٩٧٦م، ثم سافر إلى لندن سنة ١٩٧٧م لحضور مؤتمر الاقتصاد الدولي بالمركز الإسلامي الأوروبي، وفي سنة ١٩٨٠م عين عضواً في مجمع البحوث الإسلامية ، وفي سنة ١٩٨٣م منح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى في الاحتفال بالعيد الألفي للأزهر الشريف، وقد سافر إلى نيويورك وحاضر بمقر الجمعية العامة للأمم المتحدة وألقى خطبة الجمعة بالمسجد الملحق بمبنى الأمم المتحدة، كما أجرى مقابلات إذاعية وتلفازية مع شبكات التلفاز الأمريكية، عن وجود الله تعالى والأدلة القائمة على ذلك، وبعدها سافر إلى كندا وألقى محاضرة ناقش فيها مزاعم المستشرقين

وافتراءاتهم ضد الإسلام، وفندها وأبطل مقولاتهم ودعاواهم، كما زار المركز الإسلامي في «لوس أنجلوس» بالولايات المتحدة الأمريكية، وألقى محاضرة عن قضايا المسلمين والمجتمعات الإسلامية، وبعدها في سنة ١٩٨٤م قام بجولة في أوروبا، واستمرت نحو أربعة أسابيع، شملت فرنسا وسويسرا وألمانيا وبريطانيا والنمسا وغيرها، وألقى سلسلة من المحاضرات وأجاب على استفتاءات أبناء المسلمين، ووضع حجر الأساس للمركز الإسلامي في روما والمسجد الكبير في حي (باري لولي) بحضور رئيس جمهورية إيطاليا وعمدة روما ومندوب عن الفاتيكان، وفي سنة ١٩٨٥م شارك في أعمال مؤتمر السنة النبوية الثاني في (لوس أنجلوس) بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي ديسمبر ١٩٨٦م، اختير رئيساً لمؤتمر السنَّة النبوية المنعقد بلوس أنجلوس وألقى محاضرات عدة في أماكن شتى بالمراكز الإسلامية، ثم سافر إلى النمسا بمناسبة إنشاء مصرف إسلامي في العاصمة النمساوية (فيينا) وتكلم عن الفكر الاقتصادي الإسلامي، وفي سنة ١٩٨٧م اختير عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، كما حصل على وسام الجمهورية وجائزة الدولة التقديرية سنة ١٩٨٨م.

أهم مؤلفاته:

للشيخ الشعراوي الكثير من المؤلفات من أهمها: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، الفتاوى، معجزة القرآن الكريم، من فيض القرآن الكريم، نظرات في القرآن الكريم، على مائدة الفكر الإسلامي، الإسلام والفكر المعاصر، أسرار بسم الله الرحمن الرحيم، الصلاة وأركان الإسلام، هذا هو الإسلام، المرأة كما أرادها الله، لبيك اللهمّ لبيك، الإسلام والمرأة عقيدة ومنهج، الشورى والتشريع في الإسلام، الطريق إلى الله، الإسراء والمعراج، القضاء والقدر، الإنسان والشيطان، مئة سؤال وجواب في الفقه الإسلامي، قصيدة الباكورة، وغيرها من الكتب والأشرطة والمحاضرات والندوات.

نماذج من شعره:

الشيخ الشعراوي كان يقرض الشعر في مراحل متقدمة من عمره وله قصائد في أغراض متنوّعة، نورد فيما يلي بعض النماذج المختارة:

يقول بمناسبة الإسراء والمعراج:

يا ليلة «المعراج» و«الإسراء» وحي الجلال وفتنة الشعراء
الدهر أجمع أنت سر نواته وبما أتاك الله ذات رواء
فلك العلا دارت عليك شمسه والشمس واحدة من الإنشاء
من ذا الذي يحظى بما استعصى على «موسى» و«عيسى» صاحب الإحياء
لله عذراء بتيل خصرها من ذا الذي يحظى بتي العذراء
لا غرو أن كانت عروس محمد إن العظيم يكون للعظماء

يا فتاة الإسلام

قصرت أكماماً وشلت ذيولا هلا رحمت إهابك المصقولا
أسئمت من برد الشتاء سجونه فطلبت تحرير المصيف عجولا
وخطرت تحت غلالة شفافة في فتنة تدع الحليم جهولا
محبوكة لصقت بجسم مشرق دفعته ثورته فبان فصولا
هل قصر الخدان في صرعاهما أم كان طرفك في الطعان كسولا
حتى استعنت على القلوب بمغمد وجعلت جسمك كله مسلولا
ألححت في عرض الجمال وغرك الغرار حتى أسمعوك فضولا
من نال منك رضاً فأنت ملاكه ومن انتهرت قسا فكان عزولاً

قالوا عنه:

يقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: «لقد فقدت الأمة الإسلامية بموت الشيخ محمد متولي الشعراوي علماً من أعلامها وكوكباً من كواكب الهداية في سمائها، فقدت رجلاً عاش عمره في خدمة العلم وخدمة القرآن الكريم، وخدمة الإسلام، وموت العلماء لا شك مصيبة على الأمة خصوصاً إذا تكرر فقدهم واحداً بعد الآخر، وقد فقدنا في هذه الفترة عدداً من هؤلاء النجوم، فقدنا الشيخ محمد الغزالي، والشيخ خالد محمد خالد، والشيخ جاد الحق علي جاد الحق، والشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، والشيخ عبدالفتاح أبو غدة.

لقد رحل عنَّا رجل القرآن وهو الشيخ الشعراوي، فلا شك أنه كان أحد مفسري القرآن الكبار، وليس كل من قرأ القرآن فهمه، ولا كل من فهم القرآن غاص في بحاره، وعثر على لآلئه وجواهره، ولا كل من وجد هذه الجواهر استطاع أن يعبر عنها بعبارة بليغة، ولكن الشيخ الشعراوي كان من الذين أوتوا فهم القرآن، ورزقهم الله تعالى من المعرفة بأسراره وأعماله ما لم يرزق غيره، فله لطائف ولمحات وإشارات ووقفات ونظرات استطاع أن يؤثر بها في المجتمع من حوله، وقد رزق الشيخ الشعراوي القبول في نفوس الناس فاستطاع بأسلوبه المتميز أن يؤثر في الخاصة والعامة من المثقفين والأميين، في العقول والقلوب، وهذه ميزة قلما يوفق إليها إلا القليلون، اتفق الناس مع الشيخ الشعراوي، واختلفوا معه، وهذه طبيعة العلم والعلماء، لا يمكن أن يوجد عالم يتفق عليه الناس كل الناس:

ومن في الناس يرضي كل نفس وبين هوى النفوس مدىً بعيد

كما قال الشاعر، وقديماً قالوا: «رضى الناس غاية لا تدرك»، والله تعالى يقول: ﴿**وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون * ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت**

كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٧ - ١١٩]، قال كثير من المفسرين: «ولذلك: أي للاختلاف خلقهم، لأنه حين خلقهم، منح كلاً منهم حرية العقل وحرية الإرادة، وما دام لكل منهم عقله الحر وإرادته الحرة، فلا بد أن يختلفوا، ولقد اختلف الناس من قبل على الرسل والأنبياء واختلفوا على المصلحين والعظماء، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه: «هلك فيّ اثنان: محبٌّ غالٍ، ومبغض غال» وهذه طبيعة الحياة.

ولقد عرفت الشيخ الشعراوي وأنا طالب في المرحلة الثانوية، فقد درَّسنا حينما جاءنا مدرساً للبلاغة في معهد طنطا، وتسامعنا نحن الطلاب أن جاء الشيخ الشعراوي وهو مدرس عظيم وشاعر عظيم، أما تدريسه فقد كان فعلاً مدرساً جذاباً، كان يستطيع أن يوصل المعلومة إلى طلابه بطريقته بالإشارة والحركة وضرب الأمثلة وغير ذلك».

ويقول الدكتور محمد عمارة:

«إن الشيخ الشعراوي عليه رحمة الله كان واحداً من أعظم الدعاة إلى الإسلام في العصر الذي نعيش فيه، والملكة غير العادية التي جعلته يطلع جمهوره على أسرار جديدة وكثيرة في القرآن الكريم، وكانت ثمرة لثقافته البلاغية التي جعلته يدرك من أسرار الإعجاز البياني للقرآن الكريم ما لم يدركه الكثيرون، وكان له حضور في أسلوب الدعوة يشرك معه جمهوره ويوقظ فيهم ملكات التلقي، ولقد وصف هذا العطاء عندما قال: «إنه فضل جود لا بذل جهد» رحمه الله وعوض أمتنا فيه خيراً».

ويقول الدكتور عبدالحليم عويس:

«لا ينبغي أن نيأس من رحمة الله، والإسلام الذي أفرز الشيخ الشعراوي قادر على أن يمنح هذه الأمة نماذج طيبة وعظيمة ورائعة، تقرب على الأقل من الشيخ الشعراوي، ومع ذلك نعتبر موته خسارة كبيرة، خسارة تضاف إلى خسائر الأعوام الماضية، حيث فقدنا أساتذتنا الغزالي وجاد الحق وخالد محمد خالد

وأخشى أن يكون هذا نذير اقتراب يوم القيامة، الذي أخبرنا الرسول ﷺ أن من علاماته أن يقبض العلماء الأكفياء الصالحون وأن يبقى الجهال وأنصاف العلماء وأشباههم وأرباعهم فيفتوا بغير علم ويطوّعوا دين الله وفقاً لضغوط أولياء الأمور، ويصبح الدين منقاداً لا قائداً نسأل الله أن يجنب الأمة شر هذا، وأن يخلفها في الشيخ الشعراوي خيراً».

ويقول الدكتور محمود جامع مؤلف كتاب (وعرفت الشعراوي) الذي اعتمدت عليه كثيراً:

«أيها الإمام الغالي كانت رحلتي معك في الحياة منذ الأربعينيات هي رحلة الفرار إلى الله دائماً، غذاؤنا وزادنا القرآن، والقرآن تلاوة وحفظاً وترتيلاً وتفسيراً سراً وعلانية، أفراداً وجماعات في مصر بمدنها وقراها وريفها وحضرها هي رحلة الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا دون زيف أو بهتان. عايشتك يا إمامنا الغالي في الحلو والمر والليل والنهار، وتتلمذت على يديك الكريمتين وأسقيتني بحنان وحب كؤوس العلم والمعرفة؛ في منهل القرآن والسنة المطهرة وعلمتني بيقين كيف يكون الصبر والاحتمال في سبيل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وإن طريق الدعوة إلى الله دائماً مليء بالأشواك والمحاذير والابتلاء. وعرفت طريقك يا أستاذي جيداً إلى ربك مبكراً وأخذتني معك في رحابك الفسيحة الطاهرة وحنانك الفياض، وكنت دائماً ودائماً تدعو وتدعو وتتضرع إلى رب العزة بكل قوة وثبات ويقين، ونحن نردد من خلفك الدعاء من قلوبنا وأرواحنا: «اللهم إن هذه القلوب قد اجتمعت على محبتك والتقت على طاعتك، وتوحّدت على دعوتك، وتعاهدت على نصرة شريعتك فوثق اللهم رابطتها وأدم ودَّها، واهدها سبلها، واملأها بنورك الذي لا يخبو واشرح صدورها بفيض الإيمان بك وجميل التوكل عليك وأحيها بمعرفتك وأمتها على الشهادة في سبيلك، إنك نعم المولى ونعم المصير».

من أقواله:

«القدس درة الإسلام والمسلمين وليتني أستطيع فعل شيء من أجلها، وما أتمناه من الله أن يمد في عمري لكي أصلي بالمسلمين في بيت المقدس وهو محرر من أيدي اليهود الغاصبين فليس عليه ببعيد. والتعنت الذي تقوم به الحكومة الإسرائيلية ليس سليماً، والقضية ليست قضية حرب وسلام ولكنها قضية شعب ضاعت حقوقه، وضاع قدسه ونحاول أن تعطينا الحكومة الإسرائيلية المتعجرفة حقوقنا التي اغتصبوها، إنها لن تعيش في سلام مادامت نهبت حقوق الغير وإذا لم نتفاهم لابد أن يجتمع العرب والمسلمون جميعاً ضد إسرائيل ولا بديل إلا القوة، ولو كانت إسرائيل تريد السلام لأسرعت إليه ولكنها تفاوض على السلام من جانب وتنقض المواثيق من جانب آخر، فهي تتفوه بالسلام وتعتقل الإخوة الفلسطينيين وتهدم منازلهم في الوقت نفسه فضلاً عن بناء المستوطنات».

معرفتي به:

أول لقاء لي مع الشيخ محمد متولي الشعراوي كان في إندونيسيا في شهر مارس سنة ١٩٦٥م، حين حضوري مع الوفد الكويتي للمؤتمر الإسلامي في «باندونج» وكنت مع الأخ عبدالرحمن الفارس، والأخ محمد العمر، نمثل وفد دولة الكويت في المؤتمر المذكور، وكان الشيخ الشعراوي بصحبة شيخ الأزهر الشيخ حسن مأمون لأنه كان مدير مكتبه آنذاك، وقد ألقى كلمة الوفود الإسلامية الشيخ أحمد كفتارو مفتي سورية فبالغ بكلمته في الثناء على أحمد سوكارنو المدعوم من الحزب الشيوعي الإندونيسي مما أغضبنا فعاتبناه على ذلك عتاباً شديداً.

وبعدها بسنوات التقيت الشيخ الشعراوي في الكويت، حين قدم للموسم الثقافي، وكانت لنا معه حوارات ومناقشات وطرائف ونكات بحضور إخواننا بوزارة الأوقاف وبخاصة شيخنا الفاضل حسن مناع الذي كان يتبارى وإياه في

الطرائف والنكت، فتوثقت الصلة فيما بيننا رغم أن ميول الشيخ الشعراوي كانت مع حزب الوفد المصري ورئيسه مصطفى النحاس، الذي كان الشعراوي يقبِّل يده، وأنا مع الإخوان المسلمين، ولكن كان يجمعنا العمل معاً لخدمة المسلمين ونشر الإسلام وتبصير الأمة الإسلامية بما يحوكه الأعداء في الداخل والخارج على حد سواء.

ثم تكررت اللقاءات به في مصر والسعودية، وكان آخر لقاء لي معه بالقاهرة حين حضوري لمؤتمر مجمع البحوث الإسلامية ممثلاً رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وكان هناك لقاء مختصر مع الرئيس حسني مبارك، ضمني مع الإخوة: عبدالوهاب عبدالواسع وزير الأوقاف السعودي، والدكتور محمد عبده يماني وزير الإعلام السعودي السابق، والدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف المصري، والمشير عبدالرحمن سوار الذهب السوداني، وبعض الوزراء المصريين وهذا آخر عهدي بالشيخ الشعراوي رحمه الله لكن مشاهداتي لبرامجه التلفازية ما زالت مستمرة حتى بعد وفاته، لأنني أجد فيها فائدة متجددة وغوصاً على معاني الآيات القرآنية على ضوء المعنى اللغوي: لأن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، ولأننا درسنا في «رسالة التعاليم» الأصول العشرين لفهم الإسلام الصحيح، ومنها قول الإمام الشهيد حسن البنا: «ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف»، وكان الشيخ الشعراوي يلتزم بهذه القاعدة من قواعد الفهم وهو يفسر القرآن الكريم ويقربه بأسلوب سهل يدركه العامة والخاصة من الناس لا في مصر وحدها، بل على مستوى العالم العربي والإسلامي وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

مواقفه وآثاره:

كان الشعراوي صاحب دور كبير في إقناع كثير من الفنانات بالاعتزال والانسحاب وارتداء الحجاب والتفرغ للعبادة والدعوة الإسلامية وعمل الخير

وتحفيظ القرآن الكريم وحفظه وتجويده، وأفتى بأن فلوس الفن حرام حرام، وممن هداهن الله على يديه الفنانات: «شادية، ياسمين، شمس، سهير، عفاف، هناء، كاميليا، هالة، مديحة، شهيرة، نسرين، وغيرهن كثيرات من الوسط الفني والحمد لله».

كان الشيخ الشعراوي أول من طور الملابس الأزهرية، فكان لا يعجبه لبس القفطان المشقوق من الأمام فذهب إلى الترزي وطلب منه ألا يكون القفطان مفتوحاً وأن يكون مخيطاً ثم صمم لنفسه طاقية يلبسها بدل العمامة وطربوشها.

بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م سجد الشيخ الشعراوي شكراً على الهزيمة، بينما كان الناس في مصر في شبه مأتم وقلوبهم دامية وعيونهم باكية في ذلة وانكسار بسبب انتصار اليهود الساحق نتيجة لسياسة عبدالناصر الخرقاء وخططه الغبية التي وصفها الشعراوي بقوله: «كانت عملية فتونة غبية طائشة غير محسوبة من عبدالناصر». واعتبر الشعراوي أن الهزيمة جاءت لتصويب الأخطاء التي ارتكبها عبدالناصر ومن معه.

كتب توفيق الحكيم مقالاً في جريدة «الأهرام» عنوانه «حديث مع الله» وحين قرأ الشعراوي العنوان ثار ثورة عارمة وأرسل رداً مكتوباً إلى جريدة الأهرام ليصحح عقيدة توفيق الحكيم ويعلمه أدب الحديث، ويبين له خطأه في العنوان، وأنه كان الأجدر به أن يكتب «حديث إلى الله» وليس «مع الله» وحدثت مبارزة كلامية وكتابية، وأخيراً صحح توفيق الحكيم نفسه بناء على نصيحة الشيخ الشعراوي واعتذر.

أثناء وجود الشعراوي في فندق الحرم في مكة المكرمة سمع صوت السيدة الفنانة تحية كاريوكا وقد أراد الله لها التوبة في آخر سنوات حياتها، وأخذت تتعبد وتتقرب إلى الله وتؤدي فرائضه وتفعل الخير في سبيل الله، فقالت: أنا الفنانة السابقة تحية كاريوكا أريدك يا شيخ شعراوي أن تدعو لي فدعا لها دعاء حاراً وهي تبكي من أعماق قلبها من خشية الله.

في إحدى المرات، دعت السيدة جيهان زوجة السادات الشيخ الشعراوي لإلقاء محاضرة على مجموعة من سيدات الروتاري في مصر الجديدة، فاشترط الشعراوي أن يكنَّ جميعاً محجبات، ووافقت جيهان، ولكنه حين ذهب «وكان وزيراً للأوقاف» وجدهن كاسيات عاريات فغادر القاعة غاضباً، وقال لها: «تقدري حضرتك تقومي بالمهمة بدلاً مني»، فأسقط في يدها، وواجهت حرجاً شديداً وحقداً على الشيخ، وظلت تهاجمه وتهاجم الأستاذ عمر التلمساني المرشد العام للإخوان المسلمين وبخاصة حينما هاجمتها مجلات الحائط بالجامعات المصرية على أثر ظهورها بالتلفاز وهي تراقص الرئيس الأمريكي «كارتر» وهو يقبّلها ومن قبله كان تقبيل الرئيس اليهودي (بيجن) لها، ونشرت تلك الصور في مجلة (بلاي بوي الجنسية) مع حديث لها في المجلة نفسها. وقد شنَّ عليها الداعية الكبير الشيخ أحمد المحلاوي في مسجده في الإسكندرية حملة عنيفة ووصفها بأنها «سيئة مصر»، وليست سيدة مصر، مما جعل السادات يخطب في مجلس الشعب المصري ويعلن عن اعتقال الشيخ المحلاوي وقال عنه: «إنه مرمي زي الكلب في السجن لأنه هاجم زوجتي على المنبر» وعلى أثرها أرسل الشيخ الشعراوي برقية للسادات قائلاً له: «الرئيس أنور السادات رئيس الجمهورية: إن الأزهر الشريف لا يخرج كلاباً ولكنه يخرج علماء أفاضل ودعاة أمجاداً».

يقول الدكتور محمود جامع: «أما الشعراوي فقد أحب الإمام حسن البنا واحترم آراءه وانضم للإخوان المسلمين تحت قيادته رغم أنه كان وفدياً محباً للوفد وزعيمه مصطفى النحاس، ولكن دعوة الإخوان المسلمين ومبادئها جذبته علاوة على جاذبية الإمام البنا، كما أن صلته بدعاة الإخوان كالشيخ الباقوري، والشيخ أحمد شريت، والشيخ محمد الغزالي، والشيخ سيد سابق وغيرهم لم تنقطع . والذي لم يعرفه الشعراوي أن الإمام البنا رد على النحاس باشا حين اعتبر «أتاتورك» المثل الأعلى وتركيا الحديثة هي القدوة، مع أن أتاتورك هو الذي أسقط الخلافة الإسلامية بتركيا وأقام الدولة العلمانية».

أمر السادات بإيقاف تسجيلات الشيخ الشعراوي بناء على احتجاج إسرائيل لأنه يهاجم اليهود في أحاديثه في تفسير سورة البقرة وآل عمران والإسراء وغيرها، ويؤلب المسلمين على اليهود، وهذا من وجهة نظر إسرائيل ضد معاهدة السلام التي أبرمها السادات، كما أن الصحف الأمريكية نشرت المقالات عن الشيخ الشعراوي، وقالت: أسكتوا هذا الرجل. وقال وزير التعليم الإسرائيلي (هامير): لا أمل أن يتحقق السلام بين مصر وإسرائيل إلا إذا حذف المصريون الآيات القرآنية التي تهاجم اليهود.

كان للشيخ الشعراوي دور كبير في إنشاء البنوك الإسلامية بمصر كالمصرف الدولي الإسلامي للاستثمار، وبنك فيصل الإسلامي، حيث إن الدكتور حامد السايح وزير الاقتصاد والمالية المصري وقف في مجلس الشعب وأشاد بتجربة التعامل بأحكام الشريعة الإسلامية في الاقتصاد المصري، وفوَّض الشيخ الشعراوي بذلك، بينما كان وزير الداخلية زكي بدر يصلي الجمع في المساجد ثم يقف أمام الميكرفون بعد الصلاة ويهاجم البنوك والشركات الإسلامية، ويتهم القائمين عليها باللصوص ويسبّ الشيخ الشعراوي.

وفاته:

توفي فضيلة الشيخ محمد المتولي الشعراوي يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر صفر سنة ١٤١٩هـ، الموافق ١٧ / ٦ / ١٩٩٨م، ودفن بمصر. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وحشرنا الله وإياه مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين.





الداعية الأديب
الشيخ محمد المجذوب

(١٣٢٧ ـ ١٤٢٠هـ = ١٩٠٧ ـ ١٩٩٩م)

مولده ونشأته:

ولد عام ١٩٠٧م بمدينة (طرطوس) إحدى محافظتي الساحل السوري، في بيت متدين يعمل في التجارة، وله صلة بعلوم الدين والعربية.

تلقى دراسته الأولية في الكتّاب، ثم في مدارس الدولة العثمانية، ثم على الشيوخ ومنهم عمه الشيخ عبدالله المجذوب.

توفي والده وهو في الخامسة عشرة، فتحمَّل عبء الأسرة وحده، وفي السادسة عشرة تمّ زواجه.

شارك في النضال ضد الفرنسيين، وتعرض للسجن والمطاردة والاضطهاد مع إخوانه المناضلين.

وفي سنة ١٩٣٦م، بدأ عمله في سلك التعليم في سورية، ثم هاجر إلى المدينة

المنورة سنة ١٣٨٣هـ، وعمل مدرساً بالجامعة الإسلامية إلى نهاية سنة ١٤٠٣هـ، التي تقاعد فيها، وبقي بالسعودية.

نشاطه العلمي والأدبي:

بدأ نشاطه العلمي والأدبي وهو دون العشرين من عمره، وقد نظم قصيدة وطنية نشرتها له إحدى الصحف المحلية، ثم أتبع ذلك بإصدار رسالة يرد فيها على دعاة النصرانية بعنوان: (فضائح المبشرين)، ثم توالى إنتاجه العلمي والأدبي والدعوي حتى بلغت مؤلفاته قرابة الخمسين مؤلفاً، تنطلق معظمها من الرؤية الإسلامية، وتعكس أحداث عصره في سورية وعلى مستوى العالم الإسلامي، وكان من أول الداعين إلى الأدب الإسلامي من خلال مقالاته وبحوثه في مجلة (حضارة الإسلام) ثم جُمعت فيما بعد في كتابه (مشكلات الجيل في ضوء الإسلام).

ولأنه بدأ حب المطالعة منذ طفولته، إذ كان يستأجر الكتب ليقرأها على ضوء السراج، وفي مهب الرياح اللاسعة، وأهله نيام، فقد استمرت المطالعة دأبه حتى وفاته رحمه الله.

والأستاذ المجذوب رجل عصامي مكافح، قضى شبابه كله في الكدح بمختلف الأعمال، للنهوض بمسؤولياته نحو إخوته وأولاده. وقد نال الجائزة الأولى لجامعة الدول العربية سنة ١٩٤٨م على نشيده الوطني الذي نظمه، وتم اختياره من بين مئة نشيد.

أهم مؤلفاته:

وقد مضى في طلب المزيد من العلوم والثقافة، معتمداً، بعد الله، على جهده الشخصي ومثابرته، ومن بين مؤلفاته التي قاربت الخمسين نذكر أهمها:

فضائح المبشرين.
اليوبيل الفضي الذهبي.
المرشد في الأدب العربي (مع آخرين).
نار ونور (ديوان شعر كتب مقدمته الشاعر الكبير بدوي الجبل).
من تراث الأبوة (مسرحية).
قصص من الصميم.
صور من حياتنا.
فارس غرناطة وقصص أخرى (مجموعة قصصية).
الأدب العربي (للسنة الأولى للجامعة الإسلامية).
الأدب العربي «للسنة الثانية للجامعة الإسلامية).
دروس من الوحي.
قصص وعبر.
مشكلات الجيل في ضوء الإسلام.
تأملات في المرأة والمجتمع .
مشاهد من حياة الصديق.
همسات قلب (ديوان شعر كبير).
قصص من سورية.
مدينة التماثيل.
قاهر الصحراء.
ثورة الحرية.
الكواكب الأحد عشر.
بطل إلى النار.
من أجل الإسلام وحواريات أخرى.
الآيات الثلاث.

كلمات من القلب.
بطل من الصعيد وقصص أخرى.
دماء وأشلاء.
قصص لا تنسى من تاريخنا.
أفكار إسلامية.
كلمات مضيئة.
الألغام المتفجرة.
اللقاء السعيد وقصص أخرى.
علماء ومفكرون عرفتهم (ثلاثة أجزاء).
خواطر ومشاعر.
قصص لا تنسى.
ذكريات لا تنسى.
ردود ومناقشات.
السبيل القريب إلى صناعة الأديب.
صرخة الدم (رواية).
ألحان وأشجان (الديوان الثالث).
الإسلام في مواجهة الباطنية (نشره باسم: أبوهيثم).

من أقواله:

«نشأتُ في بيت ملتزم بأركان الإسلام عبادة وسلوكاً، وأذكر أنني كنت في سن الحداثة، ولما أتجاوز الثانية عشرة من العمر، أقوم بصلاة التسابيح في الليل، ثم انتقلت إلى المدرسة التركية في المعهد العثماني.

وكانت الكتب التي أقرؤها منطلقة من التوجه الإسلامي، وفي مقدمتها مجلة «المنار» التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا، وكتب الشيخ محمد عبده،

ومحمد فريد وجدي، ومصطفى صادق الرافعي، وأمثالهم، ومن شأن هذا كله أن يضبط خُطاي في الطريق الإسلامي.

ثم جاءت الحركات الوطنية في مقاومة الانتداب، وفي سبيل الاستقلال، فشاركنا فيها من منطلق الروح الإسلامي نفسه، وضاعف من شعورنا هذا ما عانيناه من مضايقات الفرنسيين وأعوانهم في السجون وغير السجون.. وفي هذا الجو بدأت أنشر أفكاري الإسلامية في مختلف الصحف، سواء عن طريق المراسلة أو المقالة أو الشعر أو القصة.. ولقد قضيتُ في التعليم ما يزيد على الأربعين سنة، درّست خلاله العربية، والأدب، والسيرة النبوية، والحديث الشريف، ملتزماً في كل ذلك الخط الإسلامي، وأخرجت كذلك قرابة الخمسين من الكتب، وقدَّر الله لي أن أشارك مع نخبة من خيرة العاملين للإسلام وفي مقدمتهم الدكتور مصطفى السباعي، والأستاذ محمد المبارك، والأستاذ عصام العطار، والشيخ عبدالفتاح أبوغدة، وغيرهم من رجال الدعوة الإسلامية في سورية، في النشاط الإسلامي في مختلف المحافظات والمدن السورية والحمد لله.

صفوة القول: فنحن أمة اصطفاها الله لرسالته التي عليها يتوقف إنقاذ الإنسانية من الضياع، وقد وعدنا الله بالعزة والنصر ما التزمنا سبيله، واعتصمنا بحبله ورضي الله عن الفاروق عمر القائل لأخيه أبي عبيدة: «نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما نبتغ العزة بغيره أذلَّنا الله»، ولقد مضينا في طريقنا، نبذل الجهود المضنية في إحياء الروح الإسلامي، وإيقاظ الوعي وتعميق الانتماء إلى منهج القرآن والسنَّة.. وقد بدأنا ذلك في «طرطوس» بالتعاون مع نخبة من شبابها، وبلغنا مرحلة لا بأس بها من النجاح، على الرغم من العقبات التي كان يقيمها في طريق الدعوة بعض ذوي الأغراض المشبوهة، ويريدون إقصاء الشباب المسلم عنها، ولكن استجابة هؤلاء الشباب كانت أكبر من دسائسهم، والحمد لله، ثم شاء الله أن أنتقل إلى اللاذقية للتدريس، فكلفتُ الإشراف على مراكز الدعوة على امتداد الساحل».

معرفتي به:

كانت معرفتي به من خلال ما كنت أقرأ له في مجلة (حضارة الإسلام) التي كان يصدرها الدكتور مصطفى السباعي وفي مجلة (التمدن الإسلامي) التي كان يصدرها الأستاذ أحمد مظهر العظمة، ومحمد كمال الدين الخطيب بسورية من مقالات وقصص وقصائد وبحوث وفي غيرهما من المجلات الإسلامية.

كما كنتُ أسمع عن نشاطه في العمل الإسلامي مع إخوانه: مصطفى السباعي، ومحمد المبارك، وعبدالفتاح أبوغدة، وغيرهم.

ثم كان لقائي به في المدينة المنورة حين حضوري لاجتماعات المجلس الاستشاري للجامعة الإسلامية الذي كنت عضواً فيه طوال خمس سنوات، وقد التقيته مع إخواني د. محمد السيد الوكيل، والأخ عبدالعزيز الناصر، ود. عبدالله القادري، وغيرهم من الإخوان المقيمين بالمدينة المنورة مرات كثيرة.

وتوثقت الصلة الروحية والعلمية معه من خلال ما كنتُ أقرؤه من مؤلفاته، التي تناولت موضوعات شتى في الأدب والقصة والمسرحية والشعر، فضلاً عن الدروس والمحاضرات واللقاءات والندوات.

وحين شرعتُ في إصدار كتابي «من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة» كان للأستاذ محمد المجذوب الفضل الكبير بعد الله، في تزويدي بمعلومات مفيدة عن بعض الشخصيات التي كتبتُ عنها في كتابي آنف الذكر، وقد أشرتُ إلى ذلك في ثنايا الترجمات للأعلام الذين كتبت عنهم، فجزاه الله خير الجزاء، على ما قدم من جهود علمية ودعوية، تركت أطيب الأثر في المدينة المنورة، بين طلاب الجامعة الإسلامية، وجماهير الناس عموماً، من خلال دروسه في المساجد، ومحاضراته في الأندية، وأحاديثه في المجالس العامة والخاصة بالمدينة المنورة، وقد كسب حب الجميع .

قالوا عنه:

يقول الدكتور شوقي عبدالحليم حمادة:

«الأستاذ محمد المجذوب هو الأديب النابه، والقاص البارع، والشاعر العملاق، والخطيب المفوّه، والكاتب الموهوب.. تتميز آثاره في مختلف حقول المعرفة، بأنها دائماً حديث القلب إلى القلب، لأنه من قلم مجاهد، يصدع بكلمة الحق، ولا تأخذه في الله لومة لائم، فهو لذلك مرتاح الضمير مطمئن القلب، على الرغم من مسؤوليته التي تنوء بها العصبة أولو القوة».

ويقول الأستاذ عبدالله الطنطاوي: «الأستاذ محمد المجذوب علم من أعلام الفكر، والشعر، والأدب، والدعوة إلى الله على بصيرة.. كان يعدُّ في الرعيل الأول من الشعراء السوريين، أمثال: بدوي الجبل، وعمر أبي ريشة، وعمر بهاء الدين الأميري، وعندما أصدر ديوانه الأول: «نار ونور» عام ١٩٤٩م، قرأنا كلاماً منصفاً لمقدّم الديوان الشاعر الكبير بدوي الجبل، فقد أطرى الشاعر وشعره، ووقف عند قصيدته (نجوى قبّرة) وعدَّها من الأدب العالمي لما فيها من روح إنسانية شفيفة، وأسلوب مرهف، وصور أدت الغرض الإنساني الذي رمى إليه الشاعر في قصيدته البديعة هذه.

والأستاذ المجذوب من رواد القصة والرواية في سورية خاصة، وفي الوطن العربي عامة، يقف إلى جانب الدكتور شكيب الجابري، والدكتور عبدالسلام العجيلي، من الرواد في سورية.

وهو ذو باع طويل في مجال المقالة والبحوث الفكرية..

أما في ميدان الدعوة إلى الله، فكان من الرعيل الأول أيضاً، فقد كان أحد المؤسسين لجماعة الإخوان المسلمين في الساحل السوري، وكان رفيق درب الأستاذين الكبيرين الداعيتين: الدكتور الشيخ مصطفى السباعي، والأستاذ المفكر المبدع محمد المبارك، رحمهم الله جميعاً.

نماذج من شعره:

نجوى قُبّرة

حنانَك لا تخشي أذاي ولا ضُرّي
فما أنا ذو ناب ولا أنا ذو ظفر

حنانك، لا يخفقْ جناحاك رهبة
ولا ترمني عيناك بالنظر الشزر

أحذراً وفي جنبيَّ، يا طير، للورى
وللطير دنيا من رؤى الحب والشعر!

أراعك هذا الحمل ينأى تحته
مطاي فلا ينفكُّ ينجده صبري

وخطو يثير الأرض لولا نداوة
ذرتها على ميت الثرى أدمع القطرِ

وسَورة أنفاس يكاد زفيرها
يسيل شعاعاً في لوافحه سحري

فلملمت أطراف الجناح تحفزاً
وأمسكت خوف الغائلات عن النقر

وقلت، وقد أسرفت: باغٍ من الورى
أخو شرك يطوي الضلوع على مكر!

حنانك.. بعض الظن إثم فما أنا
ودنيا الورى إلا الغريب مع السفر

حنانك.. لستُ المرء يطلب يسره
بآلام مخلوق سواه على عسري

سلي خفقات النجم في لُجة الدجى
وعربدة الأسحار في يقظة الفجر

سلي عرف هاتيك الأزاهير في الرُّبى
وهينمة الصفصاف في عُدوة النهر

سلي الواديَ النشوان بالعطر والندى
يطلُّ عليه السفح بالحلل النُّضْر

سليها فمن قلبي على كل نفحة
بها أثر يروي المكتَّم من سري

سلي عن أغانيَّ الحياة فلم يزل
بمسمعها رجع من النغم البكر

لئن أخفتتها قسوة الدهر فترة
لفي النفس لحنٌ عز عن قسوة الدهر

فقد يخرسُ الطير الحبيس وملؤه
حنين يهزُّ الروح للأفق الحر

***

وددت لو اني جارك العمر كله
أذود بنفسي عنك عادية الغدر

تضوء عشياتي بريّاك فتنة
وتسكرني نجواك في البُكَر الخُضر

ويسبقني في الحقل ظلُّك عابثاً
فأقفز فوق الشوك في إثره أجري

وأنعمُ تحت العش في حضن مضجع ... يسيل عليه الطلُّ من أكؤس الدهر
فراشيَ فيه العشب غضاً ممهداً ... وثيراً، ولكن الوساد من الصخر
ومن ورق الدِّفلى عليَّ غلالة ... تقي جسميَ العاري أذى البرد والحر
مُنى من تهاويل الخيالات حاكها ... صناع من الوهم المجنح في صدري
حلمت بها في غفوة الخطب برهة ... فلما صحا جفَّت رؤاي من الذعر
وهمتُ بذكراها وقد حال بيننا ... غياهب من ليل الحقيقة والفكر
أعدت إلى القلب المحطم طيفها ... جديداً فعاد السحر في دمه يسري
وأنسيتِه أوجاع دنيا هوت بها ... زعازعُ تَذرو الموت في البر والبحر
طغا في مغانيها الدمار وصوَّحت ... مفاتنها رغم النُّهى شهوة الشر
فخلِّي جفوني المغمضات تضمها ... قليلاً وخلّي الطيف يلمسه ثغري
ولا تفسدي بالشك نشوة حلمنا ... فما هي إلا فترة ثم.. لا ندري!

في ظلال الكعبة

سعيد أنا في ظلال الحرم ... فلا تسألوني بماذا؟ ولم؟
أحسُّ بجسميَ فوق الأثير ... وقد شفَّ بل خفَّ حتى انعدم
فلا عجبٌ أن يموت البيان ... ويعيا بوصف رُؤاي القلم
أكاد أرى «هاجراً» والصغير ... يروعه الظمأ المحتدم
فتجري هناك وتعدو هنا ... وفي سمعها صرخات الألم
تفتش عن جرعة تنقذ ... الوليد وتطفئ بعض الضرم
وقد أوشك اليأس يجتاحها ... فتُسلم ذا ثديها للعدم
ولكن ربك لم ينسها ... وأدركها بجزيل النعم
فذلك جبريل يحبو الثرى ... بريِّ النفوس وبرء السقم
يمس بقادمتيه التراب ... فيدفُق بالعذب حتى يطم

وهـا هـي ذي زمـزم لا تـزال … إلـى الـيـوم والـغـد وردَ الأمـم

***

.. وألـمـح ثَـم أبـا الأنـبـيـاء … وبـيـن يـديـه فـتـاه الـعـلـم
يـقـيـم قـواعـد هـذا الـبـنـاء … وقـد خـطـط الـرسـم بـاري الـنسـم
ويـؤمـر إذ يـنـتـهـي أن يُـذيـع … عـلـى الـكـون بشرى الـذي قـد أتـم
فـيـهـتـف فـي الـنـاس: هـذا الـمـقـام … الـذي شـاء ربُّـكـم أن يُـؤَم
فـتـنـداح صـيـحـتـه فـي الـسـهـول … وخـلـف الـبـحـار وفـوق الأكـم
ويـأتـيـه سـعـيـاً وفـوق الـمـتـون … أولـو الـحـظ مـن كـل فـج ويـم

***

وأُبـصـر «أبـرهـة» فـي الـجـيـوش … ومـن تـحـتـه الـفـيـل طـوداً أشـم
يـطـاول بـالـكـبـريـاء الـنـجـوم … ويـحـسـب فـي قـبـضـتـيـه الـسـدم
يـسـيـر إلـى مـكـة مـنـذراً … بـنـيـتـهـا بـالـبـلاء الأعـم
ويـيـأس «شـيـبـة» مـن حـولـهِ … ومـن حَـولَـه فـيـنـادي: هـلـم
دعـوا الـبـيـت وانـجـوا بـأنـعـامـكـم … فـبـيـتُ الـمـهـيـمـن لا يُـقـتـحـم
سـيـحـمـيـه مـنـهـم غـداً مـثـلـمـا … حـمـاه عـلـى الـدهـر مـنـذ الـقـدم
.. وفـر عـن الـبـيـت حُـراسـه … سـوى واحـد عـيـنـه لـم تـنـم
وحـاول ذو الـفـيـل تـسـيـيـره … إلـى مـكـة فـأبـى وانـهـزم
عـلـى أنـه كـلـمـا رده … إلـى غـيـرهـا خـف، لا بـل هـجـم
وجـاء الـقـضـاء بـأجـنـاده … مـن الـطـيـر كـالـقـسـطـل الـمـدلـهـم
فـراحـت تـصـب مـنـاقـيـرهـا … عـلـى الـظـالـمـيـن رجـوم الـنـقـم
ومـا هـي إلا الـهـنـيـهـات حـتـى … اسـتـحـال الـغـزاة كـعـصـف هُـضـم

***

وتـمـضـي المشـاهـد حـتـى أرى … إمـام الـنـبـيـيـن يـمـحـو الـظُّـلـم

ينادي: إلى الله يا ضائعون ... ومن يتَّبعْ هديه لم يضم
وعن كثب ندوة المشركين ... تحوك لحرب الحبيب التهم
وترمي بلالاً وإخوانه ... من القارعات بسيل عرم
يريدون منهم ولو لفظة ... تسجل نصراً لحزب الصنم
فلا يسمعون من المؤمنين ... سوى ما يضاعف تلك الحمم!
كأني بآذانهم كلما ... دعاها الطغاة اعتراها الصمم
وألسنهم كلما روودت ... على الكفر أفضى إليها البكم
وتهتف: بل أحد أحد ... فتصغي البطاح وتهفو القمم

***

وينطلق الروح في مده ... إلى عالم قبله لم يُرم
فأشهد عودة خير الأنام ... إلى ها هنا في ليوث الأجم
وقد ذلل الله أعداءه ... فليس لهم دونه معتصم
يقول لهم: ما تظنون بي؟ ... فيضرع كلهم في ندم:
ألست الجواد الذي لا يزال ... يقابل زلاتنا بالكرم!
أخ فوق ما قد عهدنا الإخاء ... وفاء وبراً بحق الرحم
فيرسلها بشريات سرت ... بسمع الزمان كأشهى النغم
ألا فاذهبوا.. أنتم الطلقاء ... ولا تجزعوا.. لست بالمنتقم
ويومي لرمز الضلال الذي ... على البيت منذ «لُحَيٍّ» جثم
فتهوي الطواغيت من فوقه ... منكسةً بعد ذاك العظم
كذلك يعلو بناء الأباطيل ... حتى إذا الحق جاء انهدم
ويزجي بلال نشيد السماء ... بأعلاه عذباً يهزُّ الأصم
ولكن «عَتَّاب»[١] والحائرين ... يرون بذاك انتهاك الحرم

---

(١) عتاب بن أسيد.. والحارث بن هشام.. وأبو سفيان بن حرب.

أعــبــدُ أمــيــة نســلُ الســواد عـلا البيت!.. يا للبلاء العمم!

ولا ريب أن امــرءاً آثــر الـحـمـام عـلـى هـذه لـم يُـلـم!

ويـهـمس وابـنـيْ هشـام وحـرب(١) حـديـثـاً يـفـيض بـمـثـل الـلـمـم

وقـد حسـبـوا أنـه قـد ثـوى بـأعـمـاقـهـم حيث لا مـقـتـحـم

ولـكـنـهـم فـوجـئـوا بـالـنـبـي يُـمـيـط الـلـثـام عـن الـمـكـتـتَـم

يـنـبـئـهـم بـالـذي غـيَّـبت صـدورهـم مـن رهـيب الـكـلـم

فـلا يسـتـطـيـعـون رداً وقـد دروا أنـه الـحـق مـن ربـهـم

***

ووافـى «فضـالـة» مسـتـخـفـيـاً ويُـخـفـي وراء الـرداء الـخَـذِم

يُـمـنِّـي «مـنـاة» بـألا يـعـود إذا لـم يـخضِّـبـه مـن خـيـر دم!

وأطـمـعـه أن رأى الـمـصـطـفـى نـجـيّ الإلـه لـدى الـمـلـتـزم

فـأحـكـم قـبضـتـه فـي الـحُـسـام وراح يُـراقـبـه مـن أمَـم

وهـمَّ ولـكـن سـرت رعـدة بـه تـتـلاشـى لـديـهـا الـهِـمـم

ولـمـا أتـمَّ الـرسـولُ الصـلاة تـطـلـع فـي وجـهـه وابـتـسـم

وأدنـاه يسـألـه: مـا بـه؟ فـلـم يـبـدأ الـرد حـتـى وجـم

فـمـدَّ إلـى صـدره راحـة بـلـمسـتـهـا كـم شـقـاء حُـسـم

وعـاد «فضـالـة» فـي غـمـرة مـن الـوجـد فـوق مـجـال الـحُـلـم

ولـيس أحب إلـى قـلـبـه من المصطفى بعد مُحيي الرمم!

فـفـي لـحـظـة طـهـرت روحـه فـلـيس لـهـا فـي سـوى الله هـمّ

ويـعـبـر بـامـرأة طـالـمـا غـزت قـلـبـه قـبـلـهـا فـانـهـزم

فـتـهـتـف: هـيـا إلـى شـأنـنـا ويـهـتـف: يـأبـى الـهـدى والشـمـم

تـنـحَّـي فـبـالـحق ثـاب الـنُّـهـى وبـالـنـور لـيـل الضـلال انـحـسـم

---

(١) عتاب بن أسيد.. والحارث بن هشام.. وأبو سفيان بن حرب.

ولـن يـنـكـأ الإثـم جـرحـاً أُمـرَّت يــدا أحــمــد فــوقــه فــالــتــأم
ولـن يـقـرب الـغـي صـدراً أضـاء جــوانــحــه حبٌّ خــيــر الأمــم

وفاته:

عاد الشيخ الجليل من السعودية، إلى مدينته (اللاذقية) السورية عام ١٩٩٦م ولزم بيته، فلم يغادره إلا لضرورة، واعتزل الناس، وأكبّ على أوراقه وقلمه، وألف أربعة كتب، ثم وافاه الأجل المحتوم في شهر يونيو ١٩٩٩م، وتناقل العلماء والأدباء والكتاب في أنحاء سورية ولبنان نبأ وفاته، وطالبوا بتأخير دفنه حتى يتمكنوا من الحضور إلى اللاذقية من أجل المشاركة في تشييعه، وكان لهم ما أرادوا، وبعد ثلاثة أيام من الوفاة شيعه الآلاف من تلاميذه وإخوانه وأصدقائه، وألقوا أمام قبره كلماتهم وقصائدهم، وبكاه كل من عرفه، ودعوا الله أن يرحمه ويسكنه الجنة، فلطالما عمل في ميادين الدعوة إلى الله، وامتُحن بالسجن والاغتراب عن وطنه من أجل دينه وجماعته، رحمه الله رحمة واسعة. والحمد لله رب العالمين.





الشاعر المجاهد محمد محمود الزبيري

(١٣٢٨ ـ ١٣٨٤هـ = ١٩١٠ ـ ١٩٦٥م)

مولده ونشأته:

وُلد الشاعر المجاهد محمد محمود الزبيري سنة (١٣٢٨هـ ـ ١٩١٠م) في حارة بستان السلطان بمدينة صنعاء باليمن حيث تعيش أسرة الزبيري وهي من الأسر الصنعانية العريقة التي نبغ فيها قضاة وعلماء وشعراء، فقد كان جدّه القاضي لطف الباري الزبيري شاعراً؛ وكان من أسرته أيضاً القاضي لطف الله بن محمد الزبيري من العلماء حفظة كتاب الله ومن شعراء اليمن المعروفين، كما اشتغل والده محمود الزبيري بالقضاء، فأسرة الزبيري أسرة قضاة، وكثيراً ما رأينا لقب القاضي مقترناً باسم شاعرنا ولقد حفظ الزبيري القرآن الكريم صغيراً، وكان نديّ الصوت بالقرآن، يحب الناس أن يستمعوا إليه، وإذا استمعوا إليه أنصتوا وخشعوا، وقد أمَّ الناس في صلاتهم وهو لم يزل دون العشرين من عمره.

بدأ دراسته في الكتّاب ثم بالمدرسة العلية ثم بجامع صنعاء الكبير؛ وكان هاوياً للمطالعة هواية ملكت عليه لبّه. ونظم الشعر وهو دون العشرين من عمره أيضاً.

ذهابه للحج ثم مصر:

وفي سنة ١٩٣٧م ذهب إلى الحج والتقى الملك عبد العزيز آل سعود وألقى قصيدة في الحفل السنوي الذي يقيمه الملك لكبار الحجاج نشرت بجريدة (أم القرى) وبقي مجاوراً في مكة المكرمة ثم سافر إلى مصر سنة ١٩٣٩م حيث التحق بكلية دار العلوم. وهناك تعرّف على الإمام حسن البنا والأستاذ الفضيل الورتلاني واطلع على مبادئ الإخوان المسلمين بمصر وعلى الفكر الثوري الجزائري. وشرع في تجميع اليمنيين الدارسين في المعاهد المصرية.

وفي سنة ١٩٤١م قطع دراسته وعاد إلى اليمن وهناك قدّم مذكرة للإمام يحيى تتضمن مشروعاً لإنشاء جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صنعاء، مما أغضب الإمام يحيى، كما ألقى خطبة في الجامع الكبير بصنعاء فكان جزاؤه السجن مع عدد من شباب اليمن في سجن (الأهنوم) حيث انصرف للصلاة وتلاوة القرآن والذكر والتأمل وبعد خروجه من السجن بمساعدة إخوانه ومحبيه لم يطق البقاء في اليمن فذهب إلى عدن حيث بدأ مرحلة الكفاح المنظم فألف (حزب الأحرار) اليمني ثم أصدر صحيفة (صوت اليمن) سنة ١٩٤٦م واستمر في كفاحه حتى قامت ثورة اليمن سنة ١٩٤٨م حيث قُتل الإمام يحيى وعيّن عبد الله الوزير إماماً جديداً وكان للعالم الجزائري المجاهد الفضيل الورتلاني الدور الرئيس في الحركة. فعاد الزبيري من عدن إلى اليمن، وتولى وزارة المعارف. وحين فشلت الثورة غادر اليمن ولم يجد بلداً عربياً يستقبله فذهب إلى باكستان وتعرّف هناك على سفير مصر عبد الوهاب عزام وسفير سوريا عمر بهاء الدين

الأميري وأقام حتى سنة ١٩٥٢م ثم غادرها إلى مصر بعد قيام الانقلاب العسكري على الملك فاروق.

وفي مصر بدأ نشاطه في صفوف اليمنيين وامتد نشاطه إلى اليمنيين في السودان وفي سنة ١٩٥٥م حدثت محاولة الضابط أحمد الثلايا ضد الإمام أحمد ابن يحيى بن حميد الدين ولكنها فشلت وأُعدم الثلايا.

عودته لليمن:

وحين قامت الثورة اليمنية سنة ١٩٦٢م التي أطاحت بالحكم الحميدي بادر الزبيري بالسفر إلى اليمن وعُين وزيراً للمعارف في حكومة الثورة ثم حصلت التدخلات من الدول العربية وغيرها فدخلت اليمن في حرب أهلية أهلكت الحرث والنسل. فسارع الزبيري لإصلاح ذات البين بين القبائل واشترك في مؤتمرات الصلح بين اليمنيين في مؤتمر (كرش) ومؤتمر (عمران) ليحل اليمنيون مشكلاتهم بأنفسهم؛ كما تولى رئاسة مؤتمر (آركويت) في السودان سنة ١٩٦٤م وقد تبيّن له أنه ينفخ في رماد وأن الملكيين والجمهوريين سواء في المطامع، فأعلن تأسيس (حزب الله) وأخذ يزور القبائل والمدن اليمنية داعياً له واستجاب له الكثيرون.

تأثري به:

لقد كنت شغوفاً بالأدب والشعر في مراحل مبكرة من حياتي الدراسية، وكان إعجابي الكبير بشعر أبي الطيب المتنبي، وشعر معروف الرصافي، كما كنت مولعاً بأدب مصطفى صادق الرافعي، وحفظت الكثير من شعر الأول والثاني، واستظهرت الكثير من نصوص أدب الثالث.

وحين توجّهتُ إلى مصر للدراسة الجامعية من ١٩٤٩م إلى ١٩٥٤م، شرعت في القراءة للكثيرين من الأدباء والشعراء القدامى والمحدثين، وأحببت مجالسة

المعاصرين للسماع منهم مباشرة، من خلال الندوات الأسبوعية التي أحرص على حضورها والاستمتاع بها، والاستفادة مما يدور فيها من مساجلات أدبية ممتعة، وقصائد شعرية رائعة.

وكانت مصر إذ ذاك تضم الكثير من أحرار العرب ورجالات العروبة والإسلام، ومن هؤلاء الشاعر اليمني الكبير الأستاذ المجاهد محمد محمود الزبيري رئيس اتحاد أحرار اليمن، الذي عاد إلى مصر ثانية عام ١٩٥٢م قادماً من باكستان.

وقد رغبتُ في التعرّف إليه وزيارته والالتقاء به، بعد قراءتي لقصيدته العصماء التي يعرض فيها أوضاع المسلمين وأحوالهم ومعاناتهم ومنها قوله في قصيدة (عالم الإسلام):

هذه روحه وهذي جنوده	فليحاذر من بشرّ يريده
نام نوم الموتى فظنوه ميتاً	وازدهاهم هجوعه وهموده
وإذا عالم من البأس والإقدام	يستقبل الحياة وليده
ما رأينا الأوطان تُشْرى بمال	إنما يملك التراب شهيده
وفلسطين ذلك الوطن الغالي	أحقاً قد اضمحل وجوده
أرض كشمير أرضه والثرى	الطاهر فيها آباؤه وجدوده
يا وفود الإسلام تاريخكم ضخم	ولكن هل فيكم من يعيده
أنتم عالم من المغرب الأقصى	إلى الشرق خافقات بنوده
عالم واحد وإن زعمته	ألف شعب ثغوره وحدوده
عالم مسلم عنيد فلا	تهنيده ممكن ولا تهويده
سوف يبقى حقيقة تملأ	الأرضَ ويفنى عدوه وحسوده

وحين توثّقت الصلة أدركتُ أن الرجل ليس شاعراً فحسب، بل قائد متمرس، ومجاهد صلب، وسياسي بارع، ومثقف واعٍ، له اطلاع واسع على مجريات

الأحداث وأوضاع العالم العربي والإسلامي ومشكلات المسلمين وقضاياهم.

لقد كان الأستاذ الزبيري من العاملين بجد وإخلاص لرفع الظلم عن الشعوب، وإقامة العدالة بين الناس، وتحقيق الشورى بين الحاكم والمحكوم.

وقد جعل من مقر الاتحاد ومن منزله، مأوى للوافدين إلى مصر من أحرار اليمن، الذين فرُّوا من الظلم والاضطهاد، وانتصبوا لمحاربة الجور والطغيان، وكانوا يمثلون شرائح المجتمع اليمني، فيهم الأديب المثقف، والزعيم السياسي، والعالم الديني، والشباب والشيوخ على حد سواء.

وهم جميعاً ينظرون إلى المجاهد الزبيري نظرة التجلة والاحترام، والإكبار والتقدير، ويكثرون من مشورته، وينصتون إلى آرائه وتوجهاته.

وكان طلق المحيا، يهشّ في وجوه الجميع، ويتناول القضايا والمشكلات بأسلوب متوازن من حيث بسطها ودراسة جوانبها وتشخيص عللها وبيان طرق علاجها، فيستمع إلى آراء الجميع وينحاز إلى الرأي الذي يعضده الدليل وقوة البرهان، ويفند الرأي المرجوح ويبطل مقولته، فيخرج الجميع برأي واحد عن اقتناع ورضا وتسليم.

صلاته واتصالاته:

والأستاذ الزبيري له اتصالات واسعة، ومعارف كثيرون معظمهم من العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، كالأستاذ الإمام حسن البنا الذي التقاه أول مرة عام ١٩٣٩م بمصر، والأستاذ الفضيل الورتلاني والأستاذ عبد الحكيم عابدين والأستاذ عمر بهاء الدين الأميري والأستاذ علي أحمد باكثير والدكتور عبد الوهاب عزام وغيرهم.

وحين كان الزبيري في بلده اليمن، سعى بكل طاقته لإخراج بلاده من عزلتها، وفتح آفاق المعرفة أمام أبنائها، وإطلاعهم على ما وصل إليه العالم المتحضر من تقدم علمي تكنولوجي في مجالات شتى يحسن الاستفادة منها، لأن الحكمة

ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها، غير أن المشكلة تكمن فيمن بيدهم الأمر في ذلك الوقت، الذين يريدون تجهيل الشعب، وعزله عن العالم، لئلا يفتح عينيه وينظر فيما حوله، فهم في واد والشعب اليمني في واد آخر، حتى استشرى الظلم وزاد الطغيان فضج الناس، وكان الطوفان بسبب هذا التزمت المقيت، الذي لا أصل له في الدين ولا صلة له بالإسلام، حيث بلغ التعصب أقصى مداه، وانتشر الجهل وعم الفقر وساد الظلم، وتحول الشعب إلى طبقة من المسحوقين والعبيد المسخرين لخدمة فرد على حساب الأمة بكاملها، حتى لقد قال أحد الغربيين في ذلك الوقت: «إن مصر متخلفة عن أوروبا مئة عام. أما اليمن فإنها لا زالت تعيش عصر ما قبل التوراة».

كل هذه الآفات من الظلم والجهل والجوع والفقر والمرض، فضلاً عن الكبت والتضييق، والحرمان من إبداء الرأي أو تقديم النصيحة وإبداء المشورة، جعلت الأستاذ الزبيري وإخوانه الأحرار المخلصين والمسلمين العاملين من أهل الحل والعقد يبحثون لهم عن مكان يلتقون فيه وإخوان يشدون أزرهم ويقفون إلى جانبهم لإنقاذ أمتهم وتحرير شعوبهم من القيود التي تكبلهم وتثقل كاهلهم فكانت مصر هي المقر وكان رجال الحركة الإسلامية فيها هم الأنصار الذين شدّوا أَزر إخوانهم اليمنيين، ووقفوا إلى جانبهم، وقدموا كل ما يلزم من المال والرجال، وأخذوا بكل الأسباب المستطاعة والإمكانات المتوافرة.

وإذا كان ما حصل في اليمن سنة ١٩٤٨م من إرادة التغيير، التي لم يكتب لها النجاح، قد انعكس بآثار سلبية زادت من حجم المعاناة وشردت الكثير من الأحرار الشرفاء والرجال المخلصين، فإن الإرادة الصلبة التي تميز بها الأستاذ الزبيري، والعمل الدؤوب الذي هو طابعه بالليل والنهار، والإصرار العنيد على تحقيق الهدف، قد جعلت من الزبيري وإخوانه نماذج متميزة في النشاط والحركة بحيث استقطبوا الكثير من رجال اليمن وشبابها، للسير معهم في طريق الدعوة الإسلامية، باعتبار أن الإسلام هو المنهج الأمثل لحياة الأمم والشعوب والأفراد

والجماعات والدول والحكومات، ومن ثم فلا بد من توحيد كل الجهود لاستئناف الحياة الإسلامية وفق منهج الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة مما لم يرد فيه نص.

وقد وفق الله تعالى الأستاذ الزبيري وإخوانه إلى قطع مراحل طيبة في هذا السبيل، حيث كان التجمع اليمني يتخذ الإسلام أساساً لتحركه، ويلتزم أفراده منهج الإسلام خلقاً وسلوكاً وعقيدة وشريعة ونظام حياة للأفراد والمجتمعات والدول، فكان هذا الشباب المسلم اليمني في صفائه ونقائه يمثل أهل اليمن الأصلاء الذين قال رسول الله ﷺ فيهم: «جاءكم أهل اليمن ألين قلوباً وأرق أفئدة» وقال: «الإيمان يمان، والحكمة يمانية».

شعره:

ذلكم هو الأستاذ الزبيري زينة رجال اليمن و(أبو الأحرار) الذي اجتمعت عليه القلوب، ووثق به الناس لإخلاصه وصدقه ونزاهته وطهارته، فكان يتحرك بالإسلام وللإسلام وفي سبيل الله وابتغاء مرضاته.

وقد نظم قصيدة بعنوان (ثورة) جاء فيها:

سَجّل مكانك في التاريخ يا قلمُ ... فها هنا تُبعث الأجيال والأممُ

هنا القلوب الأبيّات التي اتّحدت ... هنا الحنان، هنا القربى، هنا الرحمُ

هنا الشريعة من مشكاتها لمعتْ ... هنا العدالةُ والأخلاقُ والشيمُ

هنا البراكينُ هبّت من مضاجعها ... تطغى وتكتسح الطاغي وتلتهمُ

شعبٌ تفلّتَ من أغلال قاهره ... حرّاً فأجفل منه الظُّلْم والظُّلَمُ

نبا عن السجن ثم ارتدّ يهدِمه ... كي لا تُكبّل فيه بعده قدمُ

قد طالما عذبوه وهو مصطبرٌ ... وشدّ ما ظلموه وهو محتكمُ

إن القيود التي كانت على قدمي ... صارت سهاماً من السجان تنتقمُ

إن الأنـيـن الـذي كـنّـا نـردده سرّاً غدا صيحة تُصغي لها الأممُ
والحق يبدأ في آهات مكتئبٍ وينتهي بزئير ملؤهُ نقَمُ
جودوا بأنفسكم للحق واتحدوا في حزبه، وثقوا بالله واعتصموا

وقال بعد خروجه من السجن:

خرجنا من السجن شمَّ الأنوف كما تخرج الأُسد من غابها
نمرّ على شفرات السيوف ونأتي المنية من بابها
ونأبى الحياة إذا دُنّستْ بعسف الطغاةِ وإرهابها
ونحتقر الحادثات الكبار إذا اعترضتنا بأتعابها
ونعلم أن القضا واقعٌ وأن الأمور بأسبابها
وإن نلق حتفاً فيا حبذا المنايا تجيء لخُطّابها

ويقول في قصيدة عنوانها (في سبيل فلسطين):

ما للدماء التي تجري بساحتها هانت، فما قام في إنصافنا حكم
ما للظلوم الذي اشتدّتْ ضراوته في ظلمنا، نتلقاه فنبتسم
نرى مخالبه في جرح أمتنا تدمى، ونسعى إليه اليوم نختصم
يا قادة العرب والإسلام قاطبة قوموا فقد طال بعد الصبح نومكم

وفي وصف حال الشعب اليمني يقول:

ماذا دهى قحطان في لحظاتهم بؤس، وفي كلماتهم آلامُ
جهلٌ وأمراضٌ وظلمٌ فادحٌ ومخافةٌ ومجاعةٌ و(إمامُ)!
والناس بين مُكبَّلٍ في رجله قيدٌ وفي فمه البليغ لجام

وفي محاربة الظلم يقول:

علتْ بروحي هموم الشعب وارتفعتْ بها إلى فوق ما كنت أبغيه
وخوّلتني الملايين التي قُتلتْ حق القصاص على الجلاد أُمضيه
أحارب الظلم مهما كان طابعه البراق أو كيفما كانتْ أساميه
جبين جنكيز تحت السوطِ أجلده ولحم نيرون بالسفود أشويه
سيّان من جاء باسم الشعب يظلمه أو جاء من (لندن) بالبغي يبغيه
(حجاج حجة) باسم الشعب أطرده وعنق (جونبول) باسم الشعب ألويه

يقول الأستاذ أحمد الجدع: «إذا أردتَ أن تتحدث عن اليمن الجمهورية فلا بد لكَ أن تذكر الزبيري.. وإذا أردتَ أن تتحدث عن الشعر في اليمن فلا بد لكَ أن تذكر الزبيري أيضاً.. وإذا تحدثتَ عن الثورة اليمنية ولم تتحدث عن الزبيري وشعره فإنكَ لم تتحدث عن أهم دعائم هذه الثورة.. فالزبيري شاعر أشعل ثورة اليمن بشعره، وقاد مسيرتها بشعره أيضاً، وهو لذلك استحق من مواطنيه أن يُلقب بأبي الأحرار وشاعر الثوار. ولا أبالغ إذا قلت إن من يريد الاطلاع على أحوال اليمن وعلى تطورات الثورات والانتفاضات فيه، فإن خير مصدر يستطيع أن يطلع عليه ويطمئن إليه هو حياة الزبيري وشعر الزبيري، بل أستطيع أن أقول مطمئناً بأن ثورة الشعب اليمني على ظالميه قد تجسدت في هذا الشاعر العملاق، وأن الشعب كان يجد له متنفساً في شعر الزبيري وأن هذا الشعب الثائر كان يستلهم ثورته من شعر الزبيري، ذلك الشعر الذي كان يجلجل في سماء اليمن كأنه هدير المدافع وأزيز الرصاص» انتهى.

ومما لا يعلمه كثير من القراء عن الزبيري: أنه كان ملماً إلماماً شديداً باللغة الأوردية وقد نشرت مجلة (المسلمون) في عام ١٩٥٣م قصيدة كتبت في الأصل باللغة الأوردية، ترجمها إلى العربية وأعاد نظمها الزبيري (رحمه الله).

ومن مؤلفاته المطبوعة:

ديوان (ثورة الشعر).

ديوان (صلاة في الجحيم).

الإسلام دين وثورة.

دعوة الأحرار ووحدة الشعب.

المنطلقات النظرية للثورة اليمنية.

الإمامة وخطرها على وحدة اليمن.

ديوان (نقطة في الظلام).

الخدعة الكبرى في السياسة العربية.

مأساة واق الواق.

بحوث ومقالات سياسية وأدبية.

شعر كثير لم يُجمع ويشكل ديواناً ضخماً.

أما المخطوط فهو كثير جداً لدى أصدقائه وأفراد أسرته. ويروي الأستاذ أحمد الجدع أن الأستاذ الشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري أنشده مساجلات شعرية كانت تدور بين الأميري والزبيري تربو أبيات القصيدة الواحدة على مئتي بيت في بعض الأحايين. وأنه يُعدّ هذه المساجلات ليطبعها في كتاب بعنوان (مع القاضي الزبيري).

ولا ندري هل طُبعت قبل وفاة الأميري أم لا؟ وعسى أن يقوم أبناء الأميري بهذه المهمة التي ينتظرها محبوه وتلامذته.

دراسات عنه:

لقد كان الزبيري محور الكثير من الدراسات والكتب التي تناولت جوانب من حياته ونضاله وشعره نذكر منها:

ـ الزبيري أديب اليمن الثائر: رسالة علمية للدكتور عبد الرحمن العمراني.

- الزبيري شاعر اليمن: للأستاذ هلال ناجي.
- الزبيري ضمير اليمن الثقافي: للدكتور عبد العزيز المقالح.
- الزبيري شاعراً ومناضلاً: لمجموعة من الكتّاب اليمنيين.
- الزبيري من أول قصيدة وحتى آخر طلقة: للأستاذ عبدالله البردوني.
- الزبيري الشهيد المجاهد: للأستاذ عبد الرحمن طيب بعكر.
- التاريخ يتكلم ـ وثائق ـ: للأستاذ عبد الملك الطيب.
- شعر الزبيري: للدكتور رياض القرشي.

يقول الأستاذ أحمد محمد الشامي في مذكراته (رياح التغيير في اليمن):

«... وعلى العموم فلا يستطيع أحد أن يشكك في نبوغ الشاعر اليمني الكبير محمد محمود الزبيري ولا في عبقريته، ولا في إخلاصه لله ثم الوطن، ولا في نزاهته وحيوية ضميره، ومحاولته أن يجتهد في عمل ما يعتقده نافعاً لدينه وأمته، منذ غادر اليمن مع علي بن عبدالله الوزير وابنه عبدالله بن الوزير لأداء فريضة الحج سنة (١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٧م) حيث مدح الزبيري الملك عبد العزيز آل سعود بقصيدة جاء فيها:

قلب الجزيرة في يمينك يخفقُ		وهوى العروبة من جبينك يشرقُ

ثم ذهب إلى مصر عام ١٩٣٩م مع زميله عبدالله بن علي الوزير وكان له نشاط أدبي وسياسي، وقوّى صلته بالإمام حسن البنا والسيد الفضيل الورتلاني وأقطاب الإخوان المسلمين وحين عاد إلى اليمن سنة (١٣٦٠هـ ـ ١٩٤٢م) حاول تأليف (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وانتهى به الأمر إلى اعتقاله ونفيه مع زميله محمد أبو طالب إلى جبل الأهنوم» انتهى.

ويقول علي ناصر العنسي: «أول تجمع لنا كان ونحن في القاهرة، عندما كنا ندرس في الأزهر، وبدأنا الاتصال بالإخوان المسلمين ومنهم الشيخ حسن البنا الذي كان يرى أن اليمن أنسب البلاد لإقامة الحكم الإسلامي الصحيح، وأن المناخ مناسب للإخوان المسلمين ليعملوا فيها. فكان يهتم بنا اهتماماً خاصاً

ويولي عنايته بشكل أخص لكل من الزبيري والمسمري اللذين كان يعتبرهما شخصيتين متميزتين. ومن هنا بدأت الحركة الوطنية بين الطلاب اليمنيين؛ وقد أرسل الفضيل الورتلاني إلى صنعاء حيث عمل عملاً كبيراً» انتهى.

ومن أقوال الشهيد الزبيري: «إن حكاية وحدة الصف بدون وحدة الهدف حكاية تافهة وخرافة ولا تعدو أن تكون في الواقع غير اتفاق على نفاق متبادل وغش مشترك ولقد أنكرنا الظلم في العهد الإمامي ثم أنكرنا الخطأ في العهد الجمهوري، لأن المبدأ لا يتغير بتغير الأشخاص والأسماء والأشكال. الحكم الجمهوري الذي نريده هو الحكم الجمهوري الإسلامي الصحيح الذي يقوم على أساس الشورى والذي يتمكن فيه أبسط أبناء الشعب أن يقوِّم رئيس الجمهورية وأن ينتقد أي وزير دون خوف من حبس أو لغم ينفجر في بيته أو عزله من الوظيفة، فذلك واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمرنا الله به ورسوله» انتهى.

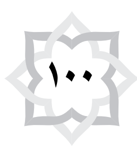
يقول عنه الشيخ عبد المجيد الزنداني: «... ذلك هو العالم المسلم الواعي المجاهد الصادق محمد محمود الزبيري الذي ما تخلى عن دينه ولا تخلى عن عقيدته ولا تلوث في سلوكه ولا في خلقه، بل كان نبراساً منيراً للأجيال يتحرك بوعي وعلم وبصيرة» انتهى.

ويقول الأستاذ عبد الملك الشيباني في كتابه (أيام من حياة الشهيد عبده محمد المخلافي): «.. وفي هذا الجو المشحون بالظلم والسجن والمتابعة لجماعة الإخوان المسلمين بمصر سنة ١٩٦٥م نجد الشهيد محمد عبده المخلافي ينضم إلى صفوفهم، وكان للشهيد محمد محمود الزبيري أثر بالغ في استقطاب المخلافي إلى جماعة الإخوان المسلمين، لأن الشهيد الزبيري كان إخوانياً قديماً مرتبطاً بالجماعة. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على رجولة المخلافي وهمته العالية وشجاعته، وبذلك وضع المخلافي حجر الأساس لبناء الإخوان المسلمين في اليمن...» انتهى.

التآمر عليه:

لقد خشي الكثيرون من الزبيري وحزبه الذي يشكل خطراً على مطامعهم فحاربوه ثم دبروا اغتياله وهو خارج من المسجد في الحادي والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٦٥م. فخرّ شهيداً ودفن في تراب اليمن الحزين على فراقه قبل أن تنضج الثمرة ويقرّ عيناً بتوحيد اليمنيين.

رحم الله الأستاذ الزبيري رحمة واسعة وأفاض عليه من شآبيب رحمته ورزق الله أهل اليمن التوفيق للالتفاف حول نظرائه من قادة الحركة الإسلامية المعاصرة في اليمن السعيد والحمد لله رب العالمين.





الداعية المجاهد محمد محمود الصواف (أبو مجاهد)

(١٣٣٤ ـ ١٤١٣هـ = ١٩١٥ ـ ١٩٩٢م)

معرفتي به:

من منا لا يعرف الأستاذ محمد محمود الصواف، ومَنْ مِنَ المسلمين يجهل قدره وجهوده ومساهماته، فالأستاذ الصواف علم من أعلام الإسلام وداعية من دعاته ومجاهد من مجاهديه ليس على مستوى العالم العربي فحسب بل على مستوى العالم الإسلامي كله، ولقد شرفت بالتلمذة عليه والاغتراف من علمه والالتزام بمنهجه وطريقته، وصحبته في جولات كثيرة في البلاد العربية في الأربعينيات والخمسينيات الميلادية من القرن العشرين.

ميلاده ونشأته:

وُلد في مدينة (الموصل) أول شوال سنة (١٣٣٣هـ ـ ١٩١٥م) بالعراق وينتسب إلى طيِّءٍ، من قبيلة شمّر المعروفة. نشأ في بيت علم وجهاد وتجارة.

تتلمذ على شيخه الفاضل عبدالله النعمة، وعلى الشيخ صالح الجوادي، وعلى الشيخ أمجد الزهاوي عالم العراق الفريد.

ودرس بالمدرسة الفيصلية وحصل على إجازتها العلمية والتحق بالأزهر عام ١٩٤٣م وكان من المتفوقين في كل مراحل دراساته وأبرزها الأزهر، فقد كان لتخرجه ضجة في أوساط العلماء والصحافة العربية، وذلك حين استطاع أن يختصر دراسته في الأزهر من ست سنوات إلى ثلاث، وحصل على شهادة العالمية في سنتين بدل أربع وعلى التخصص في سنة بدل سنتين، حتى قال شيخ الجامع الأزهر في زمانه الشيخ محمد مصطفى المراغي:

«لقد فعلت يا بني ما يشبه المعجزة، وسننتَ سنة في الأزهر لم تكن».

لقاؤه الإمام البنا:

عاد الصواف إلى العراق بعد أن اغترف من العلم الشرعي والعلم الدعوي؛ الأول اكتسبه من الأزهر، والثاني من خلال لقائه بالإمام الشهيد حسن البنا؛ وقد اقتنع بفكرة البنا الإسلامية وعاهده وبايعه وكان من المبرّزين في الدعوة إلى الله وشغل منصب المراقب العام للإخوان المسلمين في العراق وكان له دور في تأسيس قسم الاتصال بالعالم الإسلامي بالتعاون مع الأخ عبد الحفيظ الصيفي من مصر والفضيل الورتلاني من الجزائر وإسماعيل مندا من أندونيسيا وقد عُيّن الصواف مدرساً بكلية الشريعة ببغداد بعد تخرجه، بعد أن رفض منصب القضاء الذي عرضه عليه وزير العدل العراقي جمال بابان باعتباره مختصاً بالقضاء الشرعي، وكانت كلية الشريعة أُسست في الأعظمية في سنة تخرج الصواف سنة ١٩٤٦م وتتبع مديرية الأوقاف العامة التي كان مديرها تحسين علي، وكان للصواف الدور البارز في توجيه الطلاب للدعوة إلى الله.

نشاطه الدعوي والعلمي:

اشتغل بالعمل الشعبي والتوجيه الإسلامي في المساجد والجمعيات، فانتسب إلى جمعية الشبان المسلمين بالموصل، وأنشأ جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها، كما أسس مع شيخ علماء العراق الشيخ أمجد الزهاوي جمعية الأخوة الإسلامية التي قامت بدور رئيس في الدعوة إلى الله في أنحاء العراق.

جهاده وجهوده:

عمل مدرساً بكلية الشريعة في الأعظمية ببغداد، وكان يقود المظاهرات الشعبية لمقاومة المعاهدات الاستعمارية التي تقيد العراق وتربطه بالإنجليز، مثل (معاهدة بورتسموث) التي أسقطتها العمائم البيضاء بقيادة الصواف، كما كان لقضيّة فلسطين والقدس السهم الأكبر من كفاحه حيث أسس مع الشيخ الزهاوي (جمعية إنقاذ فلسطين) التي ضمَّت نخبة المجاهدين والعاملين لقضية الإسلام الأولى في هذا العصر، وقامت الجمعية بجمع الأموال، وتجهيز المتطوعين،



محمد محمود الصواف أمام قبة الصخرة في المسجد الأقصى

وتقديم الشهداء في سبيل الله للدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات. وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة إلى مؤتمر القدس سنة ١٩٥٣م بالتعاون مع مؤتمر العالم الإسلامي، الذي حضره مجموعة كبيرة من العلماء من أنحاء العالم الإسلامي أمثال أمجد الزهاوي، وعلي الطنطاوي، وسيّد قطب، ومحمد أمين الحسيني، ومحيي الدين القليبي، ومصطفى السباعي، وعصام العطار، وسعيد رمضان، ومحمد الصواف، وعبد اللطيف أبو قورة، وأحمد الخطيب وغيرهم.

كما كانت له مع الشيخ الزهاوي وعلي الطنطاوي جولات في الأقطار العربية والإسلامية لشرح قضية فلسطين وتوحيد الجهود لتحريرها. كما كان لكتيبة المجاهدين العراقيين التي دخلت فلسطين مع كتائب الإخوان المسلمين من مصر وسوريا والأردن دورها الفاعل والمؤثر في قتال اليهود بفلسطين.

مطاردته وسجنه:

وعندما قام الانقلاب العسكري عام ١٩٥٨م في العراق بقيادة عبد الكريم قاسم، وسيطر الشيوعيون على مقاليد الأمور، انصب غضب هؤلاء على الشيخ الصواف ودعوته، يؤازرهم أعداء الإسلام من العلمانيين والقوميين وعملاء الاستعمار، الذين عمدوا إلى الهجوم على مطبعة (لواء الأخوة الإسلامية) وتحطيمها ثم الهجوم على بيته والقبض عليه وسجنه في سجن أبو غريب مع الكثير من رجالات العراق أمثال اللواء محمود شيت خطاب وبعد خروجه من السجن استمرت الملاحقة له ومحاولة اغتياله من قبل الشيوعيين مما اضطره إلى مغادرة بغداد في شهر سبتمبر سنة ١٩٥٩م في رحلة رهيبة شاقة تحفها المخاطر عن طريق الصحراء الفراتية. وقد تجلت عناية الله ورعايته وتعمية عيون الجواسيس والأعداء عنه حتى وصل إلى الحدود السورية، واستقبل في (البو كمال) و(دير الزور) ثم حلب ودمشق استقبالاً رائعاً مشهوداً على

المستوى الشعبي، وكانت فرحة اللقاء به ـ بعد شائعة مقتله من قبل الشيوعيين ـ كبيرة من قبل علماء سوريا وشعبها. وعقدت له الاجتماعات الخطابية بكل مكان.

هجرته إلى المدينة:

وبعد ذلك قدم إلى المدينة المنورة، وكان سبقه الشيخ الزهاوي إليها ثم إلى مكة المكرمة، وأقام بها منذ سنة ١٩٦٢م وعمل مدرساً بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، واختير عضواً بالمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضواً بالمجلس الأعلى العالمي للمساجد، وعضواً بالمجمع الفقهي الإسلامي للرابطة، ثم مستشاراً بوزارة المعارف السعودية، فمبعوثاً للملك فيصل إلى الملوك والرؤساء، من أجل الدعوة الإسلامية والتضامن الإسلامي، وكانت آخر جولاته رئاسته لوفد المصالحة بين الأحزاب الأفغانية في بيشاور وباكستان.

محاربته الاستعمار والصهيونية:

لقد صدع الأستاذ الصواف بكلمة الحق وأهاب بالمسلمين أن يرجعوا إلى دينهم واستنهض الهمم لإنقاذ فلسطين حين صدر قرار التقسيم الجائر سنة ١٩٤٧م وأنشأ (جمعية إنقاذ فلسطين) وسارع إلى الجهاد يُعِدُّ الكتائب ويجهز المجاهدين ويجمع الأموال لدعمهم، كما أسهم وتلامذته في العراق بإسقاط معاهدة (جبر ـ بيفن) الاستعمارية، وظل هذا دأبه وشأنه مع المجاهدين في كل مكان سواء أكانوا في فلسطين أم في الجزائر أم في أفغانستان أم في الفلبين أم في كشمير.

جولاته الدعوية:

وكان لجولاته الدعوية في أفريقيا وجنوب شرقي آسيا ـ التي لقيت كل دعم من الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز آل سعود ـ أكبر الأثر فقد أحيت روح



محمد محمود الصواف يخطب وهو بلباس المجاهدين الأفغان

التضامن الإسلامي ووطدت العلاقات بين المسلمين قادة وشعوباً بعد أن كان المد القومي العلماني يجتاح المجتمعات العربية بدعم من أمريكا وعملائها بمصر.

ولقد كانت له مواقف بطولية أمام تجبر الطغاة والمستعمرين تمثّلت فيها العزّة والإباء والصلابة والرجولة والجرأة والصراحة، تلمس هذا في خطبه ومحاضراته وأحاديثه وكلماته وتآليفه ومصنفاته التي تلهب الحماس وتستجيش المشاعر، فقد كان أول كتاب صدر له أوائل الأربعينيات هو كتاب (صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات) الذي كان له أعظم التأثير في دعوة الشباب إلى الحق والخير والالتزام بالإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً ومنهج حياة إذ أقبلوا على الإسلام إقبال الظمآن على الماء.

مواقفه:

ولم يتأخر الأستاذ الصواف عن موقف من مواقف المروءة والشهامة، فقد كان كريم النفس واليد، يجود بكل ما عنده في سبيل الإسلام والمسلمين، وهذا بشهادة كل من عرفه عن قرب وعايشه أو رافقه في أسفاره ورحلاته.

كما كانت مواقفه من ثورة التحرير الجزائرية ومساندتها مشهودة، متعاوناً مع علمائها أمثال البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني وغيرهما، إذ دعاهم لزيارة العراق وعقد لهم المؤتمرات الشعبية لشرح قضية الشعب الجزائري وجهاده ضد المستعمرين الفرنسيين وسافر معهم إلى الأقطار العربية للتعريف بالقضية والدعوة لمؤازرتها.

والأستاذ الصواف لم يترك مدينة في العراق إلا زارها ودعا جماهيرها وخاصة شبابها إلى منهج الإسلام وطريق الدعوة، كما زار معظم الأقطار الإسلامية ينشر دعوة الإسلام ويتصدى للمفسدين في الأرض من أصحاب المبادئ المستوردة وينبري لتفنيد دعاواهم وكشف زيفهم ودحض شبهاتهم، لما كان يتمتع به من جرأة في الحق وقوة في الحجة والبرهان.

وفي السنوات العشر الأخيرة من عمره أعطى معظم جهده للجهاد الأفغاني الذي ملك عليه كل جوانب نفسه وأصبح القضية الأولى والهم الأكبر الذي يسخر له طاقاته ويدعو الأمة الإسلامية كلها إلى مؤازرة المجاهدين الأفغان والوقوف إلى جانبهم ومساندتهم في جهادهم الإسلامي.

بل كان لجهوده الإصلاحية والتوفيقية بين فئات المجاهدين وقادتهم الدور الكبير في وأد الفتن التي يثيرها الأعداء، وكم كانت خطبه ومواعظه تبكي الحاضرين وتستل السخائم من النفوس ويعود الجميع إخوة متحابين متعاونين في جو من الصفاء والروحانية، ورغم كبر السن وضعف الجسم ووهن العظم فإن روحه كانت روح الشباب والفتوة وعزيمته لا تلين ولا تضعف أمام العقبات أو المغريات لاعتماده على الله في كل خطواته.

إن الأستاذ الصواف، مدرسة قائمة بذاتها هابه الطغاة وأحبه الناس، فقد كان صادق اللهجة، طيب القلب، ودوداً متحبّباً إلى الصغير والكبير، يعيش هموم الناس ومشكلاتهم ويتفاعل مع الأحداث التي تواجه المسلمين في كل أقطارهم، ويبذل قصارى جهده لعلاجها وحل معضلاتها.

ولقد ترك جيلاً، بل أجيالاً من الشباب في العالم الإسلامي وبخاصة في العراق والمملكة العربية السعودية، كلهم يعتز بالتلمذة عليه ويذكره بكل الخير.

وفاته:

توفي يوم الجمعة ١٣ ربيع الآخر سنة (١٤١٣هـ ـ أكتوبر ١٩٩٢م) بينما كان في انتظار إقلاع الطائرة من مطار (استانبول) في طريق عودته إلى مكة المكرمة وقد صُلي عليه بالمسجد الحرام ودفن في مقابر المعلاة بمكة المكرمة.

من مؤلفاته:

أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب.
أم القرآن وخير ثلاث سور أُنزلت.
بين الرعاة والدعاة.
تعليم الصلاة.
دعاء السحر.
رحلاتي إلى الديار الإسلامية (أفريقيا المسلمة).
زوجات النبي الطاهرات وحكمة تعددهن.
صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات.
صفحات من تاريخ الدعوة الإسلامية في العراق.
الصيام في الإسلام.
عدة المسلمين في معاني الفاتحة وقصار السور من كتاب رب العالمين.

العلاّمة المجاهد أمجد الزهاوي.
فاتحة القرآن وجزء عم الخاتم للقرآن.
القرآن: أنواره، آثاره، أوصافه.
القيامة رأي العين.
لا اشتراكية في الإسلام.
المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام.
معركة الإسلام أو وقائعنا في فلسطين بين الأمس واليوم.
من سجلّ ذكرياتي.
من القرآن وإلى القرآن.
نداء الإسلام.
نظرات في سورة الحجرات.
أُم القرآن.
مقدمتان.. إلخ.

شهادة بحقه:

يقول الأستاذ يوسف العظم الداعية والشاعر المعروف عضو البرلمان الأردني ومدير مدارس الأقصى: «.. وفي بغداد عرفت عدداً كريماً من أساتذتي ومعلميّ الذين لا أنسى عطاءهم وإخلاصهم وفي طليعتهم العالم الشاب الشيخ محمد محمود الصواف المدرس بكلية الشريعة ببغداد، كان يفيض إيماناً بالله ورسوله ويتفجر عاطفة صادقة وحباً لأمته ووعياً لدينه، وكان قريباً من نفوسنا، فلم يكن مجرد معلّم يلقي الدرس أو يلقي المحاضرة بل يقوم بدور المرشد والموجّه وولي الأمر أحياناً فيحلّ لنا المشكلات ويقدّم لنا النصيحة، وكان من المعجبين بفكر الإمام الشهيد حسن البنا ودعوته لوحدة الأمة، مما حببنا بالأستاذ البنا ودعوته وكان يفهم الإسلام بكماله وشموله كدين ينظم شؤون الحياة كلها فهو

عقيدة أمة ومنهج حياة وكان له دور كبير في فضح الاستعمار البريطاني الذي أفسد المجتمع العراقي وأبعد الدين عن ميدان الحياة، كما كان يحثّ الجماهير للمطالبة بالحرية والعمل على تحرير فلسطين قاطبة من اليهود وأعوانهم. وكانت خطبه الجماهيرية في الرجال والنساء تستجيش المشاعر فيقدم الناس تبرعاتهم وتخلع النساء حليهن متبرعات للجهاد في فلسطين من خلال جمعية إنقاذ فلسطين التي أسسها بالتعاون مع علامة العراق الشيخ أمجد الزهاوي...» انتهى.

رحم الله الأستاذ الصواف رحمة واسعة وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي عباده الصالحين ووفق الله علماء الأمة ودعاتها لتحمل التبعة وإبلاغ الرسالة، فإن الطريق طويلة والرحلة شاقة والمخلصين قلة، ولكن التوكل على الله والاعتماد عليه وطلب العون منه والأخذ بالأسباب والصبر والمصابرة على مشاق الطريق ووعورة المسالك واحتساب كل ذلك في سبيل الله، كلها كفيلة ـ بإذن الله ـ بتحقيق النصر لدعوة الله في الأرض وهداية الناس إلى طريق الحق والخير وإقامة منهج الله في واقع الناس: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ الله مَن يَنصُرُهُ إِنَّ الله لَقَوِيٌّ عَزِيز**﴾ [الحج: ٤٠].

وقد رثاه الشاعر الإسلامي الكبير وليد الأعظمي بقصيدة جاء فيها:

أكبرت يومك أن يكون وداعا ... يا مالئ الوادي هدىً وشعاعا

يا باعثاً همم الشباب إلى العلى ... لولاك كادوا يذهبون ضياعا

يا داعياً لله أفنى عمره ... سعياً ليهدم للفساد قلاعا

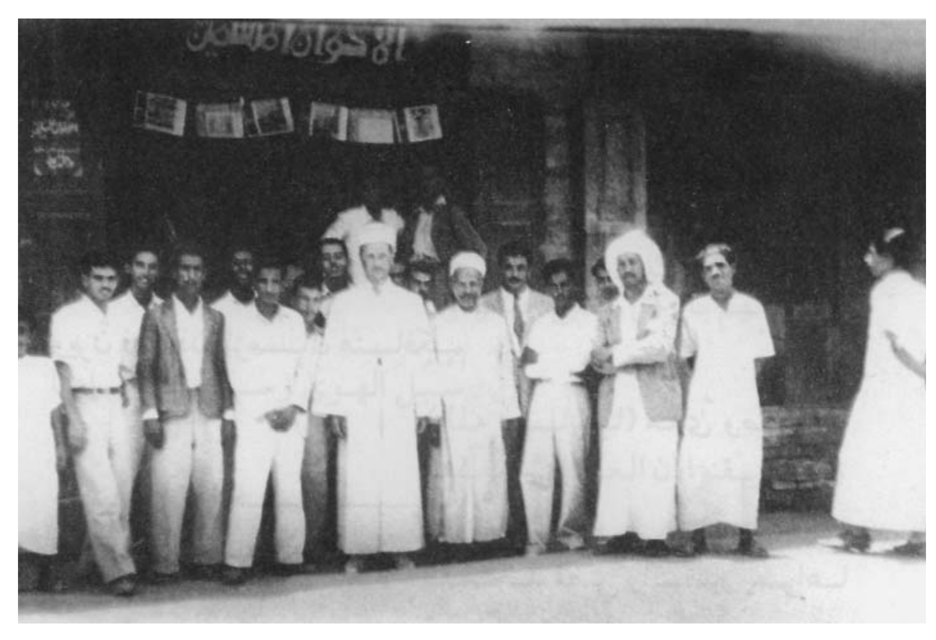
ومربياً للناشئين موجّهاً ... أفكارهم كي يبدعوا إبداعا

وأخذتهم بالرفق حتى جانبوا ... سُبُلَ الهوى وسرابها اللماعا

واستيقنوا أن العقيدة نعمة ... من حقها أن تُفتدى وتُراعى

يا شيخ أُمَّتنا وحامل همّها ... أفنيت عمرك متعباً ملتاعا

جاهدت في عرض البلاد وطولها ... تتجاوز الأقطار والأصقاعا
تبكي على (القدس الشريف) وأهله ... باتوا عراةً في الخيام جياعا
و(القادة العظماء) كل جهادهم ... خُطَبٌ ولا تتجاوز المذياعا
هم كالأسود على الشعوب وفي الوغى ... كانوا هناك ثعالباً وضباعا
قد كنت ربان السفينة عندنا ... تمضي وترفع للنجاة شراعا
وإذا خطبت فأنت سيل دافق ... ملأ الوهاد هديره دفّاعا
وحديثك العذب الزلال بهديه ... يحيي القلوب ويبهج الأسماعا
ويرنّ في أذن الزمان هتافكم ... (الله غايتنا) هدىً وصراعا
علّمْتَنَا أن (الجهاد سبيلنا) ... للمجد نمضي راكضين سراعا
وصرخت في وجه الطغاة مغاضباً ... وكشفت عن تلك الوجوه قناعا
وصدعت بالحق الصراح ولم تلن ... عند الشدائد همّةً وقراعا
ولويت أعناق الطغاة بصولة ... وتركتهم لا يرفعون ذراعا
وملكت أفئدة الرجال وغيركم ... يسعى ليملك (منصباً) و(ضياعا)
أنا من ثمارك شاكر لك شاهد ... ما كان سعيك في الجهاد مضاعا
أبشر بفضل الله يوم لقائه ... بركاته تترى عليك تباعا



خليل العقرب ـ عبدالصمد الرديني ـ الشيخ محمد العسافي ـ المستشار العقيل ـ
الشيخ محمد محمود الصواف ـ توفيق الصانع ـ عبدالرحمن الخزيم ـ طالب السامرائي ـ
عبدالقادر الأبرشي ـ يعقوب الباحسين ـ عبدالواحد أمان ـ عبدالرزاق المسعود ـ
عبدالجبار مال الله ـ عبدالرزاق مال الله
أخذت الصورة أمام مكتبة الإخوان المسلمين بالبصرة سنة ١٩٤٦م





القائد المجاهد الدكتور محمد ناصر

(١٣٢٦ ـ ١٤١٣هـ = ١٩٠٨ ـ ١٩٩٣م)

مولده ونشأته:

هو محمد بن ناصر بن إدريس داتوسيتاريو العالم العلاَّمة والداعية الكبير والسياسي القدير والمربي الفاضل.

وُلد يوم ١٦/ ٧/ ١٩٠٨ في بلدة (مانتجاو) بجزيرة سومطره بإندونيسيا، وتربى في بيت صلاح وتقوى فقد كان والده من كبار علماء المسلمين بإندونيسيا، فكان لهذا أثره على تنشئته النشأة الصالحة، لذا فقد جمع بين الدراستين الدينية والحكومية، فنال الإجازة من كلية التربية في (باندونج)، كما نال الدكتوراه الفخرية من الجامعة الإسلامية في مدينة (جاكرتا). وقد تقلّد وظائف متعددة، فعمل في حقل التدريس وفي مجال التربية في عهد الاستعمار الهولندي في مدينة (باندونج)، ثم عُيِّن مديراً لإدارة التربية في العاصمة الإندونيسية. وفي عام ١٩٤٥م طلب إليه الدكتور محمد حتى نائب رئيس

الجمهورية بعد الاستقلال مساعدته في مكافحة الاستعمار، ثم كان أحد أعضاء مجلس النواب. وفي عام ١٩٤٦م أنشأ حزب (ماشومي) وهو اختصار لمجلس شورى مسلمي إندونيسيا، كما شغل منصب وزير الإعلام لمدة أربع سنوات.

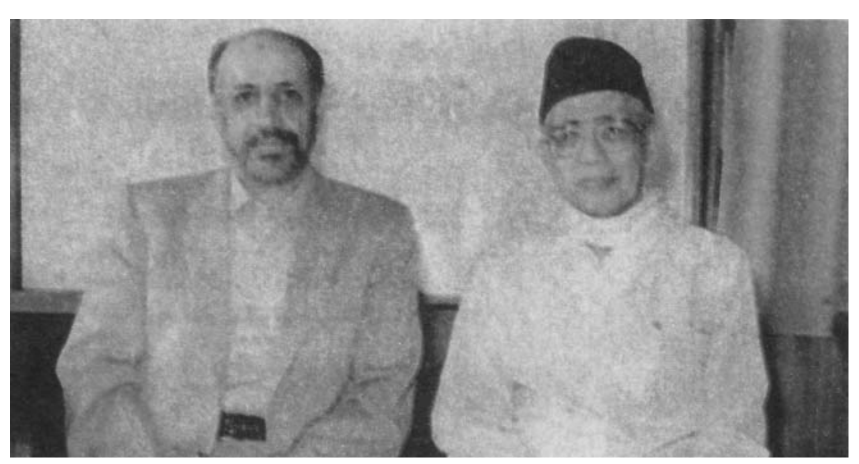
جهوده ومواقفه:

وفي هذه الفترة كان يوجد مشروع هولندي بأن تتكون إندونيسيا من عدة دول كونفدرالية، وقد رفض الدكتور محمد ناصر هذا المقترح وقدّم مشروع إندونيسيا الموحدة الذي وافق عليه ٩٠٪ من أعضاء ماشومي، وفي سنة ١٩٥٠ طُلب منه تشكيل الوزارة فأصبح رئيساً للوزراء، ولكنه اصطدم مع الرئيس سوكارنو، فاستقال من رئاسة الوزارة قبل أن يُكمل السنة. وبقي رئيساً لحزب ماشومي وعضواً في البرلمان إلى سنة ١٩٥٨م.

إن دولة الدكتور محمد ناصر علم من أعلام الإسلام المعاصرين، ومجاهد من مجاهديه، خاض المعارك الشرسة مع الخصوم في كل صعيد بما فيه حمل السلاح للتصدي للأعداء المستعمرين، وكان من رجال السياسة المحنكين. تولى المناصب العليا في بلاده إندونيسيا، وبذل قصارى جهده ليأخذ الإسلام مكانه كنظام حكم لإندونيسيا كلها وقاوم من أجل ذلك كل المتصدين للإسلام من دعاة العلمانية والشيوعيين وعملاء الشرق والغرب على حد سواء.

ولقد كانت لكلمته الرائعة في البرلمان الإندونيسي التي كانت بعنوان (اختاروا إحدى السبيلين الإسلام أو اللادينية) أبلغ الأثر في نفوس النواب وجماهير الشعب الإندونيسي المسلم، وقد نشرت في مجلة (المسلمون) وصدرت فيما بعد بكتاب.

لقد خاض الدكتور محمد ناصر الميدان السياسي فكان المحنك الداهية، واشترك في المعارك فكان القائد الشجاع، وناظر الخصوم بالكلمة المسموعة والمقروءة فكان الفارس المجلّي في ميدان العلم والدعوة.



لقاء بين محمد ناصر والمستشار العقيل

كما وقف في وجه الحملات المسعورة التي تولى كبرها دعاة النصرانية وأذناب الاستعمار وعملاء الشرق والغرب وأصدر مجلة بعنوان (الدفاع عن الإسلام) وكان ينادي إلى الإسلام كمنطلق للتحرر والسيادة في الوقت الذي كان سوكارنو وأعوانه يدعون إلى القومية الأندونيسية كمنطلق للتحرير. وقد تحالف سوكارنو مع الشيوعيين الممثلين في الحزب الشيوعي الإندونيسي، للوقوف ضد الدكتور محمد ناصر وحزب ماشومي الإسلامي، واستمر هذا الصراع حتى قام سوكارنو في عام ١٩٦١م بحل حزب ماشومي واعتقل زعماءه وفي مقدمتهم الدكتور محمد ناصر. ولكن مقاومة المسلمين لم تتوقف واستمرت حتى جاء أكتوبر ١٩٦٥م وتمت الإطاحة بسوكارنو بانقلاب عسكري.

منهاجه الدعوي:

وقد أنشأ الدكتور محمد ناصر وإخوانه بعد خروجهم من السجن (المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية) للاهتمام بتربية الجماهير وتوجيه الشباب وإعداد الدعاة وانتشرت فروعه في جميع أنحاء إندونيسيا، وانطلق الشباب المسلم يمارس الحياة الإسلامية العملية، ويتغذى بالفكر الإسلامي الصحيح،



د. محمد ناصر في أحد لقاءاته وعلى يساره الشيخ نادر النوري

وينبري لتوجيه الجماهير، وإنشاء المراكز الإسلامية والمساجد، ونشر الكتاب الإسلامي، وتكوين الاتحادات الطلابية الإسلامية والنقابات المهنية للمهندسين والمزارعين والعمال وغيرهم، وإقامة الصلات مع الحركات الإسلامية في العالم، لتبادل النصائح والخبرات والتجارب وإشاعة وحدة المفاهيم وتبادل الزيارات.

وفي سنة ١٩٦٧م تمّ اختياره نائباً لرئيس المؤتمر الإسلامي العالمي بباكستان.

معرفتي به:

كانت بداية معرفتي به من خلال ما كنت أقرأ له في مجلة (المسلمون) التي كان يصدرها د. سعيد رمضان ثم زرته في إندونيسيا وزارنا في الكويت.

لقد أحبه كل من عرفه وتعلّق به كل من عمل معه لأدبه الفاضل، وتواضعه الجم وبساطته وحسن معشره. وكان الاهتمام بقضايا الإسلام والمسلمين في كل مكان

هو الشغل الشاغل له بالليل والنهار، وبالسفر والترحال حيث جاب العالم العربي والإسلامي مدافعاً عن مبادئ الإسلام، معالجاً لمشكلات المسلمين، مشاركاً في كل مؤتمر أو ندوة أو عمل فيه مصلحة للإسلام والمسلمين.

وفي أول زيارة لي إلى إندونيسيا في مارس ١٩٦٥م لحضور المؤتمر الإسلامي في باندونج حرصت على مقابلته، ولكن فوجئت بأنه في السجن مع قادة المجاهدين من حزب (ماشومي) الإسلامي، حيث غدر بهم سوكارنو الذي باع نفسه للشيوعيين، وصاروا يحكمون البلاد من خلاله، ويحاربون الإسلام ودعاته، ثم **زرت إندونيسيا** بعد ذلك أربع مرات والتقيت فيها جميعاً بالدكتور محمد ناصر رئيس المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية (ديوان الدعوة الإسلامية) بعموم إندونيسيا، وقد استفدت الكثير من عمله وخبرته وتجاربه. كما سعدنا بزيارته عام ١٩٦٨م للكويت، وشرفني بمنزلي وحضر الندوة الأسبوعية.

المستشار العقيل يصافح د. محمد ناصر في بيته
حين أجرى اللقاء مع زعماء المسلمين بإندونيسيا عام ١٩٧٨م

اهتماماته:

كان دولة الدكتور ناصر مهتماً غاية الاهتمام بقضية فلسطين، فقد قام برحلات مع بعض الدعاة العرب لمقابلة المسؤولين من قادة الدول لاستنهاض هممهم للدفاع عن فلسطين وذلك في أعقاب نكبة ١٩٦٧م.

كما كان يولي أمر الدعوة الإسلامية في إندونيسيا جل اهتمامه ويواصل العمل في الليل والنهار ويجول في مختلف المناطق وفق خطط مبرمجة ومناهج مدروسة ودعاة من إخوانه وتلامذته يعرفون واجبهم ويدركون مسؤوليتهم ويبذلون قصارى جهدهم.

كان التبشير النصراني على أشدّه وبخاصة بعد سقوط سوكارنو في أكتوبر سنة ١٩٦٥م، فقد ضاعفوا جهودهم وأخذوا يقيمون الكنائس وينشرون ويوزّعون الإنجيل وينشئون المدارس التنصيرية وكانوا يطمعون في تنصير إندونيسيا كلها حتى عام ٢٠٠٠ للميلاد.

ورغم التسهيلات التي يجدها النصارى من أعوانهم في الداخل، والأموال الضخمة التي ينفقونها، والإمكانات المتوفرة لديهم، فإن جهود الدكتو محمد ناصر وإخوانه وتلامذته كانت تقف عقبة أمام نشاط هؤلاء المبشرين، وتحبط الكثير من مخططاتهم ومؤامراتهم الخبيثة، لأن الإخلاص في العمل، والنية الصادقة، والأخذ بالأسباب وفق مقتضيات الشرع، كانت المفتاح لأعمال الخير التي أخذت تتسع دائرتها في جميع أنحاء إندونيسيا. وأقبل الشعب الإندونيسي على الدعاة المسلمين ليعلّموه حقيقة الدين ويعرّفوه دوره في الحياة ورسالته في نشر دعوة الإسلام والالتزام بتعاليمه، فانتشرت الصحوة الإسلامية في أوساط الطلاب الجامعيين والثانويين، وسائر طبقات المثقفين، وقامت المؤسسات الطلابية والشبابية بدورها في حمل رسالة الإسلام ونشر دعوته بين الناس والذود عن حياضه والتصدي لأعدائه.

وكان للدكتور محمد ناصر الدور الكبير في توجيه هذه المؤسسات الشبابية

للعمل بحكمة وبصيرة ووعي وإدراك لتنهض بمسؤوليتها على ضوء الكتاب والسنّة وما أجمع عليه سلف الأمة الذين أخذوا الإسلام كنظام وتشريع وعقيدة وتوحيد وعلم وعمل وجهاد ودعوة وجيش وفكرة وعبادة صادقة لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي له ملك السموات والأرض.

أقواله:

ومن أقوال الدكتور محمد ناصر: «إن الإسلام ليس فقط ديناً يقتصر فيه عمل المسلم على العبادة بالمعنى الضيّق، بل إن الإسلام هو طريق الحياة للفرد والمجتمع والدولة. والإسلام يقف ضد استبداد الإنسان بأخيه الإنسان، لذلك يتعيّن على المسلمين أن يجاهدوا من أجل الحصول على الاستقلال. والإسلام يؤمّن الأسس السليمة للدولة الحرة. إن المسلمين يتعيّن عليهم أن يديروا بلادهم بعد تحريرها على أساس القيم الإسلامية. إن هذا الهدف لن يتحقق قط إذا لم يكن لدى المسلمين الشجاعة للجهاد من أجل الحرية. لذلك يتعيّن على المسلمين أن يعزّزوا جهادهم لنيل الاستقلال طبقاً للمُثل التي يدعو إليها الإسلام، وبتبنّي أسلوب يقوم من خلاله بإعداد الكوادر من الشباب المسلم المتعلم» انتهى.

وفي مقابلة لمجلة الوعي الإسلامي الكويتية أجراها محررها الأستاذ محمد ياسر القضماني مع الدكتور محمد ناصر في منزله بإندونيسيا في ٩ شعبان ١٤٠٩هـ ـ فبراير ١٩٨٩م قال: «...أنا لا أخاف من المستقبل وليس هناك خطر، بل المستقبل للمسلمين بشرط الاستقامة، وبذل أقصى الجهد لتحقيقها في أنفسنا وفي مجتمعاتنا لنرى الغد المشرق.

ولمَّا سأله المحرر مَنْ مِنَ العلماء أو الرجال الذين تأثر بهم قال: الحاج المجاهد الشيخ محمد أمين الحسيني، والإمام الشهيد حسن البنا، والإمام حسن الهضيبي. هذا من خارج إندونيسيا، أما من داخلها فهم: الشيخ أغوس سالم والشيخ أحمد سركتي» انتهى.

ولا يتسع المجال ولا تكفي الصفحات للحديث عن هذا العالم الجهبذ والمجاهد الصابر والداعية الحكيم الذي طبّقت شهرته الآفاق وعرفه القاصي والداني من رجال الفكر والدعوة والسياسة والجهاد.

بحوثه ومؤلفاته:

كانت له دراساته الدعوية وبحوثه الفكرية التي نشر بعضها باللغة العربية مثل (فقه الدعوة)، (اختاروا إحدى السبيلين)، (الصوم)، (المرأة المسلمة وحقوقها)، (الحضارة الإسلامية)، (البناء وسط الأنقاض)، (التركيب الطبقي للمجتمع)، (الثورة الإندونيسية)، (قضية فلسطين)، (هل يمكن فصل الدين عن السياسة؟)، (إسهام الإسلام في السلم العالمي)، (العلم والسلطة والمال أمانة)، (ابذروا البذور)، (الإسلام والنصرانية في إندونيسيا)، (طوبى للغرباء)، (اليد التي لم يتقبلها أحد)، (الإيمان مصدر القوة الظاهرة والباطنة)، (الخوف والاستعمار)، (حينما لا يستجاب الدعاء)، (الدين والأخلاق)، (الدعوة والإنماء)، (خطبة عيد الفطر)، (مع الإسلام نحو إندونيسيا المستقبلة)، (تحت ظلال الرسالة)، (زينوا الدنيا بأعمالكم وأضيئوا العصر بإيمانكم)، (أحيوا روح المثالية والتضحية مرة أخرى)، (الإسلام وحرية الفكر)، (الإسلام كأساس للدولة)، (الإسلام كإيديولوجية)، (القلق الروحي في ديار الغرب)، (المسجد والقرآن والانضباط)، (الثقافة الإسلامية) وغيرها.

كما كانت له محاضراته وبحوثه ومقالاته وهي أكثر من أن تحصر، فضلاً عن اضطلاعه بمسؤولية المجلس الأعلى الإندونيسي للدعوة الإسلامية الذي استطاع أن يجمع كل المسلمين على المنهج الواضح الأصيل وأن يرسم خطط العمل الدعوي المبني على الدراسات الميدانية التي من خلالها تُصاغ البرامج ويربى الدعاة على الأسلوب الأمثل لنشر الإسلام وتفنيد دعاوى خصومه وإزالة الشبهات والعقبات التي يثيرها أعداء الإسلام.

هذا بالإضافة إلى عضويته في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي والمجلس الأعلى العالمي للمساجد بمكة المكرمة ومؤتمر العالم الإسلامي بباكستان.

وفاته:

وقد انتقل إلى رحمة الله يوم ١٥ شعبان ١٤١٣هـ ـ ٥ فبراير ١٩٩٣م في مدينة جاكرتا.

رحم الله القائد المجاهد والعالم العامل والداعية الموفق الدكتور محمد ناصر وعوض الله المسلمين من ينهض بدوره ويؤدي مهمته من إخوانه وتلامذته في إندونيسيا المسلمة. والله الموفق لكل خير.





محمد ناصر الدين الألباني

محدث العصر.. وناصر السُّنَّة

(١٣٣٢ ـ ١٤٢٠هـ/١٩١٤ ـ ١٩٩٩م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ المحدث محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، ولد في مدينة (أشقودرة) في ألبانيا.

نشأ في أسرة فقيرة متدينة، وهاجر مع أبيه إلى دمشق الشام فراراً من حكم الطاغية (أحمد زوغو) الذي اقتفى أثر الماسوني «أتاتورك» في تغريب البلاد، ومحاربة الإسلام والتبعية للغرب، وإلغاء الحجاب الإسلامي، وغير ذلك، وكان عمر الألباني حين هجرته مع أبيه تسع سنوات، فدرس في المدارس الابتدائية بدمشق، واهتم والده بتحفيظه القرآن الكريم وتجويده، وعلمه النحو والصرف والفقه الحنفي، كما درس على يد الشيخ محمد سعيد البرهاني والشيخ محمد بهجت البيطار.

ثم توجه بعد ذلك إلى طلب علم الحديث رواية ودراية وعمره عشرون عاماً،

وقد أجازه الشيخ محمد راغب الطباخ بمروياته يوم أجاز صاحبه الشيخ زهير الشاويش بوساطة الأستاذ محمد المبارك سنة ١٩٤٦م، كما تعلم الألباني مهنة إصلاح الساعات على والده، بحيث يوفر لعائلته القوت الضروري ويصرف بقية الوقت في طلب العلم وتحصيل المعارف.

وقد تعرّض الشيخ الألباني لخصومات من بعض المشايخ الذين رأوا في انصرافه إلى علم الحديث ومعرفة الدليل وعزوفه عن الالتزام بالمذهب خروجاً على المألوف، فاتهموه بالوهابية ومحاربة المذاهب، وكتبوا العرائض ضده، وهاجموه على المنابر، غير أن كل ذلك لم يفت في عضده، ولم يمنعه من الاستمرار في نهجه بالاستدلال بالحديث الصحيح والحسن، وترك ما عداهما، وأخذ الحكم المعزز بالدليل من الكتاب والسنة، وظل يعقد الدروس لقراءة الحديث وشروحه وأسانيده في بيوت إخوانه مثل عبدالرحمن الباني، ونديم ظبيان، وزهير الشاويش، ونسيب الرفاعي.. بعد أن منعوه من المساجد، ولم يقتصر الأمر على مدينة دمشق وحدها بل منعوه حتى من إلقاء الدروس في مساجد حلب واللاذقية وغيرهما، وكان بعض محبيه وتلامذته يأخذون عليه الشدة في الأسلوب التي قد تبلغ حد العنف أحياناً، وكانوا يتمنون له الحلم والأناة، وطول النفس، وسعة الصدر مع المخالفين، لأن هذا هو سمت العلماء. والكلمة الطيبة مقرونة بالابتسامة الرضية أنجح الوسائل في كسر شوكة المكابرين.

والشيخ الألباني تزوج أربع نساء، ماتت الأولى منهن، وطلّق الثانية، وخالعته الثالثة، وبقيت عنده واحدة، وهي التي مات عنها وكنيتها (أم الفضل)، وليس له منها ولد، وأولاده الذكور هم: عبد الرحمن، وعبد اللطيف، وعبد الرزاق، وعبدالمصوِّر، وعبد المهيمن، وعبدالأعلى، ومحمد. ويقول رحمه الله إن ابنه الرابع (عبدالمصوِّر) لم يسبقه أحد إلى التسمية بهذا الاسم.

منهجه في الدعوة:

يقول الشيخ الألباني في تلخيص منهجه في الدعوة: إن دعوته تقوم على:

١ ـ الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة وفهمهما على النهج الذي كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم.

٢ ـ تعريف المسلمين بدينهم الحق ودعوتهم إلى العمل بتعاليمه وأحكامه، والتحلي بفضائله وآدابه التي تكفل لهم رضوان الله وتحقق لهم السعادة والمجد.

٣ ـ تحذير المسلمين من الشرك على اختلاف مظاهره من البدع والأفكار الدخيلة والأحاديث المنكرة والموضوعة التي شوهت جمال الإسلام وحالت دون تقدم المسلمين.

٤ ـ إحياء التفكير الإسلامي الحر في حدود القواعد الإسلامية، وإزالة الجمود الفكري الذي ران على عقول كثير من المسلمين، وأبعدهم عن منهل الإسلام الصافي.

٥ ـ السعي نحو استئناف حياة إسلامية، وإنشاء مجتمع إسلامي وتطبيق حكم الله في الأرض.

٦ ـ تقديم حلول إسلامية «واقعية» للمشكلات العصرية الراهنة.

رحلاته الدعوية:

للشيخ الألباني سفرات ورحلات في داخل القطر السوري وخارجه، وقد زار معظم المدن السورية مثل: حلب، وإدلب، واللاذقية، وحماة، وحمص، والجزيرة، وغيرها. كما قام برحلات خارج القطر شملت الأردن ولبنان والكويت والإمارات وقطر والسعودية وفلسطين ومصر والمغرب وإسبانيا وغيرها. وكان في كل هذه الرحلات يعقد الندوات، ويلقي الدروس والمحاضرات، ويجيب عن الأسئلة والاستفسارات، ويصدر الفتاوى والأجوبة

مسموعة ومكتوبة ومسجلة على الأشرطة، كما يجيب عن الرسائل الواردة من أنحاء العالم، وكذا الاتصالات الهاتفية.

وقد وفقه الله تعالى للصلاة في المسجد الأقصى، كما انتُدب للتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من بداية سنة ١٣٨١هـ إلى نهاية ١٣٨٣هـ، كما حضر مؤتمر الطلبة المسلمين بغرناطة بإسبانيا سنة ١٣٩٢هـ مع الشيخ زهير الشاويش..

وكان في كل دراساته وإصداراته حريصاً على المشروع العلمي الذي نذر حياته من أجله وهو تقريب السنة بين يدي الأمة، وقد قطع فيه مراحل واسعة وأثمر ثماراً طيبة، وأصبح كثير من الدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي يهتمون بهذا الأمر ويلتزمون به، وهذا من بركات جهوده وعمله في السنة. ولقد وفق الله الشيخ الألباني لإحياء كثير من السنن التي هجرها الناس ومنها: صلاة العيدين في المصلى، وليس في المساجد بالتعاون مع الإخوان المسلمين في منطقة الميدان بدمشق، ثم في بيروت، وبعد ذلك شاعت في البلاد سنة العقيقة للمولود وسنة قيام الليل في رمضان، بإحدى عشرة ركعة فقط، وسنة خطبة الحاجة واستهلال خطبة الجمعة، وسنة جلباب المرأة، والتحذير من بناء المساجد على القبور، والصلاة فيها، كما كان للشيخ الألباني الباع الطويل في توجيه كثير من الشباب للعناية ببحوث السنة وتطويع الأجهزة الحديثة والمبتكرات العلمية الجديدة لخدمة السنة النبوية الشريفة وتيسيرها للناس.

روايات:

يروى أن الشيخ الألباني دخل على واحد يزعم أنه يحضر الأرواح، وطلب منه أن يحضر روح الإمام البخاري ليسأله بعض الأسئلة. فقال المشعوذ الدجال: اليوم انتهيت من الأرواح، تعال إليّ يوم الاثنين. ولما ذهب إليه الألباني لم يجده، بل هرب إلى مكان مجهول!

ويروى أنه صام عن الطعام أربعين يوماً مقتصراً على الماء فقط، وذلك لعلاج أمراض كان يشكو منها وقد شفاه الله من بعضها.

من أقواله:

قال الألباني: «لو لم يكن للشيخ حسن البنا رحمه الله من الفضل على الشباب المسلم سوى أنه أخرجهم من دور الملاهي والسينما والمقاهي وجمعهم على دعوة الإخوان المسلمين لكفاه فضلاً وشرفاً».

ومن أقواله: «أنا أعلّم ولا أربّي».

ومن أقواله: «إن نعم الله عليَّ كثيرة لا أحصي لها عداً، ولعل من أهمها اثنتين: هجرة والدي إلى الشام ثم تعليمه إياي مهنته في إصلاح الساعات، أما الأولى فقد يسَّرت لي تعلم العربية، ولو ظللنا في ألبانيا لما توقعت أن أتعلم منها حرفاً، ولا سبيل إلى كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، إلا عن طريق العربية. وأما الثانية وهي تعلم مهنة الساعات فقد قيضت لي فراغاً من الوقت أملؤه بطلب العلم، وأتاحت لي فرصة التردد على المكتبة الظاهرية وغيرها ساعات طويلة كل يوم.

وأول ما ولعت بمطالعته من الكتب القصص العربية، كالظاهر، وعنترة، والملك سيف، وما إليها، ثم القصص البوليسية المترجمة ك«آرسين لوبين» وغيرها، ثم وجدت نزوعاً إلى القراءات التاريخية، وذات يوم لاحظت بين الكتب المعروضة لدى الباعة جزءاً من مجلة المنار فاشتريته ووقعت فيه على بحث بقلم السيد محمد رشيد رضا، يصف فيه كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، ويشير إلى محاسنه ومآخذه، ولأول مرة أواجه مثل هذا النقد العلمي، فاجتذبني ذلك إلى مطالعة الجزء كله، ثم أمضي لاتباع موضوع (الإحياء في الأحياء) وفي الطبعة التي تحتوي على تخريج الحافظ العراقي ورأيتني أسعى لاستئجاره لأنني لا أملك ثمنه، ومن ثم أقبلت على قراءة الكتاب، فاستهواني ذلك التخريج الدقيق حتى صممت على نسخه أو تلخيصه بعدما خططت في ذهني صوراً لنسخ

التخريج الذي هو مطبوع على هامش (الإحياء). بدأت أنسخ الأحاديث ووضعت خطة هذه منها قائلاً: «إن العبد لينشر له من الثناء من بين المشرق المغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة». هكذا ورد في (الإحياء) يقول الحافظ العراقي. وقد نقلته منه ولكني لم أجده هكذا، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يو م القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» انتهى كلام العراقي.

ولكن أنا ماذا فعلت؟ وضعت شرطة وأتممت الحديث من الصحيحين، واصطلحت على هذا، حتى ما أنسب إلى الحافظ العراقي شيئاً ليس له، اصطلحت الزيادة التي أنقلها من الأصل الذي عزا الحديث إليه أضعه بين شرطتين، وهكذا وأحسب أن هذا المجهود الذي بذلته في دراستي تلك هو الذي شجعني وحبب إلي المضي في الطريق».

ومن أقواله: «قدِّر عليَّ أن أسجن سنة ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م مع عدد من العلماء من غير جريرة اقترفناها سوى الدعوة إلى الإسلام وتعليمه للناس، فأُساق إلى سجن القلعة وغيره في دمشق ثم أُفرج عني بعد مدة لأساق مرة ثانية وأُنفى إلى الجزيرة لأقضي في سجنها بضعة أشهر أحتسبها في سبيل الله عز وجل».

«وقد هاجرت بنفسي وأهلي من دمشق الشام إلى عمان بالأردن أول شهر رمضان سنة ١٤٠٠هـ، ثم في ١٩ شوال سنة ١٤٠١هـ، اضطررت اضطراراً لا خيار لي فيه مطلقاً للسفر إلى دمشق ثم إلى بيروت فوصلت إلى بيروت في الثلث الأول من الليل قاصداً دار أخ قديم وصديق وفيٍّ حميم هو زهير الشاويش، فاستقبلني بلطفه وأدبه وكرمه المعروف، وأنزلني عنده ضيفاً معززاً مكرماً جزاه الله خيراً، فاهتبلت فرصة هذه الغربة الطارئة بالدراسة والمطالعة في مكتبته العامرة الزاخرة بالكتب المطبوعة منها والمخطوطة النادرة وفيها أكثر المصادر التي تلزمني وكثير مما ليس في مكتبتي بدمشق».

قالوا عنه:

يقول الشيخ محمد المجذوب مادحاً إياه:

قالوا ألا كلمة في الشيخ تنصفه فقد طغى الجور حتى في الموازين
شُنت عليه حروب لا يسوغها عقل يرى الحق في ظل البراهين
فقلت: فوق ثنائي ما يبلغه محمد الشام عن خير النبيين
ورده الجيل للوحي الجليل يد ما إن يكابر فيها غير مفتون
وحسبه أنه هز العقول وقد باتت من الحَجر والتقليد في هون
فأصبحت ذات وعي ليس يعجزه التمييز ما بين مفروض ومسنون
والدين سر من الرحمن بيَّنه رسوله وسواه محض تخمين
والجامدون حيارى ليس في يدهم إلا رواية مجروح لموهون
فما عسى أن يقول الشعر في رجل يدعوه حتى عداه ناصر الدين
وأي ضير إذا فرد تجاهله وقد فشا فضله بين الملايين؟

ويقول عنه الشيخ محمد صالح المنجد: «إذا أردنا أن نلخص حياة الألباني بكلمة أو أن نصفه بكلمة فإنك تعرف مع الألباني الجلد، فالجلَد هو خلاصة حياته، وللشيخ الألباني شيء من الحدة، وبعض الشباب مع الأسف يقرؤون للألباني ويأخذون شيئاً من حدته وليس لديهم علم الشيخ».

ويقول عنه الشيخ محمد إبراهيم شقرة: «وأجاء الله قدره إلى الروح القوية التي ظلت زهاء ستة عقود تحتضن لواء السنة في عزيمة لا تعرف التردد، وصبر لا يعرف الضجر وإقدام لا يعرف النكوص ودأب موصول لا يعرف الوهن وسهر عميت الطرائق على الاجتهاد إليه ودقة صبور تقاصر عنها الهمم وأمانة واعية أذكرت أهل العلم بما يجب عليهم من حقوقها، واستقصاء أحاط علماً بكل ما ند من قواعدها وخفي من أصولها وشغف ظل مشبوباً به قلبه حتى سقط القلم من بين أصابعه، واستحضار للنصوص والآثار والسنن والبلاغات بأحكامها

وعزوها إلى مظانها والتأليف بينها والناسخ والمنسوخ منها والاستنباطات الفقهية الحسنة.. إلى غير ذلك من علوم السنة التي وضع لها خده وعشقها قلبه وأناخ على صدره منه همها واستوى عليها سوقها وأصاب كل طالب علم محب للسنَّة ما قدر عليه من ثمرها».

ويقول المؤرخ الرحالة السعودي والنسابة الشهير حمد الجاسر: «ولقد عرفت في دمشق عدداً من أجلة المعنيين بتحقيق التراث كما عرفت الشيخ ناصر الدين الألباني بكثرة ترددي على «دار الكتب الظاهرية» إذ كان يعد من أحلاسها، وقد كتب كثيراً من فهارسها ونقب عن نوادر مخطوطاتها وفي الوقت نفسه كان يعمل في إصلاح الساعات».

وقال عنه الشيخ العلاَّمة عبدالعزيز بن باز: «الألباني مجدد هذا العصر في علوم الحديث».

وقال عنه الشيخ محمد صالح العثيمين: «إن الألباني ذو علم جم في الحديث دراية ورواية وهو محدث العصر».

وقال العلاَّمة المحقق محب الدين الخطيب: «إن الألباني من دعاة السنة الذين وقفوا حياتهم على العمل لإحيائها».

وقال عنه الأديب العلامة علي الطنطاوي: «الشيخ ناصر الدين الألباني أعلم مني بعلوم الحديث، وأنا أحترمه لجده ونشاطه وكثرة تصانيفه التي يطبعها له أخي وولدي النابغة زهير الشاويش، وأنا أرجع إلى الشيخ ناصر في مسائل الحديث ولا أستنكف أن أسأله عنها معترفاً بفضله، وأنكر عليه إذا تفقه فخالف ما عليه الجمهور لأنه ليس بفقيه».

وقال عنه الدكتور محمد لطفي الصباغ: «ثم ظهر في كل قطر من يسير على طريقة الألباني، وكان بعضهم أهلاً لهذا وكثير منهم لم يكن كذلك، بل تسرع وتعجل قبل أن يستكمل الآلة».

وقال عنه الشيخ إبراهيم محمد العلي: «يؤخذ على الشيخ الحدة الشديدة

التي كان يواجه بها المخالفين له من العلماء القدامى والمحدثين، مما زاد من خصومه، ولذلك يحتاج القارئ في أخذ المسائل التي رد فيها على أهل العلم وردوا عليه إلى الوعي والبصيرة والحذر لأن الشيخ يخطئ ويصيب كسائر أهل العلم، كما أن تعامله مع التيار الحركي الإسلامي «الجماعات الإسلامية» كان فيه الكثير من الجفاء والغلظة والأحكام القاسية بحقها».

من تلاميذه:

إن تلامذة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في العالم العربي والإسلامي كثير عددهم لا أستطيع ذكرهم في هذه العجالة ولكني أذكر بعضهم على سبيل المثال لا الحصر ومنهم: ناصر الترماني، نافع الشامي، عبدالرحمن الباني، زهير الشاويش، عبدالرحمن النحلاوي، محمد نسيب الرفاعي، محمد عيد العباسي، خير الدين وانلي، راتب حموش، محمود مهدي الاستانبولي، محمد إبراهيم شقرة، علي خشان، محمود الجزائري، عبدالله السبت، حسين العوايشة، علي الحلبي، مشهور حسن، محمد موسى نصر، صفوت نور الدين، عصام موسى هادي، محمد إبراهيم الشيباني، عبدالرحمن عبدالخالق، عمر الأشقر، محمد هاشم الهدية، حمدي السلفي، وغيرهم كثير في العالم العربي والإسلامي الذين استفادوا من الشيخ الألباني مثل الشيخ محمد المجذوب ورضا نعسان الحموي، وعبدالقادر الأرناؤوط، وشعيب الأرناؤوط، وعصام العطار، وغيرهم.

معرفتي به:

كنت من قراء مجلة (التمدن الإسلامي) الصادرة من دمشق لصاحبها أحمد مظهر العظمة ومحمد كمال الخطيب، ولاحظت مقالات الشيخ الألباني لأول مرة تحت عنوان سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وأكبرت هذا الجهد المضني في التحقيق للأحاديث والنظر في الروايات والرجال. ثم التقيته

بالمكتب بالإسلامي بدمشق لصاحبه الأخ زهير الشاويش أوائل الستينيات وكان يشرف على الكتب التي كانت تطبع بالمكتب الإسلامي على نفقة أمير قطر الأسبق الشيخ علي آل ثاني، وقد حدثني الأخ زهير الشاويش عن الألباني وأثنى على كفاءته العلمية والحديثية وأخبرني بأنه يعمل معه في العناية بأحاديث كتب الحنابلة، وإشاعة توزيعها بعد تحقيقها وطباعتها. كما وفقنا الله لطباعة «مختصر صحيح مسلم» في سلسلة التراث بوزارة الأوقاف الكويتية وهو من تحقيق الألباني.

ثم كانت لقاءاتي بالألباني في المدينة المنورة حيث كنت عضواً بالمجلس الأعلى الاستشاري للجامعة الإسلامية لمدة خمس سنوات، ومما أذكره جيداً لقائي به مع الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالرحمن الدوسري على طعام الغداء عند أحد إخواننا في المدينة المنورة، حيث جرى بعد الغداء حوار طويل ومساجلة بين الشيخين ابن باز والألباني عن بعض الأحاديث ورواتها وكانت محاورة علمية في منتهى الروعة؛ حيث كان الشيخان المتساجلان على درجة عالية من الكفاءة العلمية والمقدرة الفائقة في الحوار والمناظرة وقوة الحجة لدى الطرفين معاً. وكنت قبل هذه المناظرة العلمية بينهما أظن أن الشيخ ابن باز فقيه متمكن في الفقه فقط، ولم أكن أتصور أنه على هذه الدرجة العالية والاطلاع الواسع في علم الحديث رواية ودراية، فقد تبين لي أن الشيخ ابن باز والشيخ الألباني كلاهما فارس من فرسان ميدان الحديث يتباريان بقوة الدليل والبرهان وليس أحدهما بأقل معرفة من الآخر في هذا المجال.

ثم تكررت لقاءاتي بالشيخ الألباني في مكة المكرمة حين مجيئه إلى الحج أو العمرة وكذلك في الأردن. وكانت آخر زياراتي له بصحبة الأخ عبدالله علي المطوع، والأخ محمد إبراهيم شقرة، والأخ عبدالعزيز أسعد، حيث زرناه في بيته بعمان فرحب بنا وسر بزيارتنا وجرت بيننا وبينه أحاديث كثيرة عن أحوال الأمة الإسلامية وطلبة العلم والدعاة إلى الله وضرورة التعاون فيما بينهم واجتماع

كلمتهم لمواجهة الهجمة الشرسة على الإسلام كدين وعلى المسلمين كأمة، فلا يصح بحال أن يجتمع الكفر العالمي كله لحرب الإسلام ويتفرق المسلمون في مواجهته أو ينشغلوا عن التصدي له بالخلافات وتشتت الجهود فيما بينهم، بينما العدو يتربص بالمسلمين الدوائر ويدبر المكائد والمؤامرات لتفريق كلمة المسلمين وزرع الخلافات فيما بينهم، مع أن الخير موجود في أمة محمد ﷺ في كل عصر ومصر والواجب على كبار العلماء والدعاة الانتصاب لمهمة توحيد الأمة وجمعها على كلمة سواء، مستهدين بكتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وهذا هو السبيل للخروج من هذاالمأزق.

من مؤلفاته:

للشيخ الألباني أكثر من مئتي كتاب ما بين تأليف وتحقيق، ونورد فيما يلي بعضها:

سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها.

سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة.

تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد.

حجة النبي كما رواها جابر.

جلباب المرأة المسلمة وحجابها.

نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق.

منزلة السنَّة في الإسلام.

وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة.

فهرس المخطوطات بعلم الحديث بالمكتبة الظاهرية بدمشق.

صحيح الجامع الصغير وزياداته بترتيب الشيخ زهير الشاويش.

ضعيف الجامع الصغير وزياداته.

مشكاة المصابيح، بمساعدة الشيخ محمد الصباغ والشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

شرح العقيدة الطحاوية (تخريج أحاديثها).
مختصر صحيح مسلم للمنذري.
صحيح ابن خزيمة (بالاشتراك مع محمد مصطفى الأعظمي).
مختصر صحيح البخاري.
الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب.
الروض النضير في ترتيب معجم الطبراني الصغير.
آداب الزفاف في السنة المطهرة.
الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة (السورية).
أحاديث الإسراء والمعراج.
تخريج أحاديث (مشكلة الفقر) للقرضاوي.
أحكام الجنائز.
إرواء الغليل في تخريج أحاديث (منار السبيل).
تحريم آلات الطرب.
خطبة الحاجة.
قيام رمضان.
صحيح سنن ابن ماجه، بترتيب الشيخ زهير الشاويش وطبع مكتب التربية لدول الخليج.
صحيح سنن أبي داود.
صحيح سنن الترمذي.
صحيح سنن النسائي.
صحيح الكلم الطيب.
صلاة التراويح.
صلاة العيدين في المصلى خارج البلد هي السنة.
ضعيف الأدب المفرد.

ضعيف الترغيب والترهيب.

ضعيف سنن ابن ماجه.. بترتيب الشيخ زهير الشاويش.

مساجلة علمية.. مع أخيه الشيخ زهير الشاويش.

تحقيق معنى السنَّة مع مجموعة.

كلمة الإخلاص، مع الشيخ زهير الشاويش.

إزالة الدهش عن ماء زمزم، مع الشيخ زهير الشاويش.

وقد استمر الشيخ الألباني يعمل في المكتب الإسلامي مع أخيه الشيخ زهير الشاويش قرابة الأربعين سنة. ثم شجر بينهما خلاف وتدخل الكثيرون لإصلاح ذات البين.

وفاته:

كانت وفاة الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني في يوم السبت الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة لسنة ١٤٢٠هـ الموافق ١ / ١٠ / ١٩٩٩م بعد صلاة العصر عن عمر يناهز الثامنة والثمانين في مدينة عمان بالأردن، وقد صلى عليه الشيخ محمد إبراهيم شقرة ودفن في مقبرة حي هملان في ماركا الجنوبية بعمّان، وكان عدد المشيعين قريباً من الألفين رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.. والحمد لله رب العالمين.

وصيته:

أوصي بمكتبتي كلها سواء ما كان منها مطبوعاً أو تصويراً أو مخطوطاً بخطي أو بخط غيري لمكتبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، لأن لي فيها ذكريات حسنة في الدعوة للكتاب والسنة على منهج السلف الصالح يوم كنت مدرساً فيها، راجياً من الله أن ينفع بها روادها كما نفع بصاحبها يومئذ طلابها، وأن ينفعني

بهم وبإخلاصي ودعواتهم ﴿**رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين**﴾ [الأحقاف: ١٥].

الفقير إلى رحمة ربه: محمد ناصر الدين الألباني





العالم الوجيه الشيخ محمد نصيف

(١٣٠٢ ـ ١٣٩١هـ = ١٨٨٤ ـ ١٩٧١م)

مولده ونشأته:

هو محمد بن حسين بن عمر بن عبدالله بن أبي بكر بن محمد نصيف، وُلد بمدينة جدة في الثامن عشر من شهر رمضان المبارك ١٣٠٢هـ ـ الموافق لعام ١٨٨٤م في بيت علم وأدب وريادة، وهو من علماء جدة ووجهائها، بل إنه كان عين أعيانها، كما يصفه الشيخ علي الطنطاوي، ينتسب إلى قبيلة حرب، وكان والده كبير أعيان جدّة أيام الحكم العثماني، وكان منزله موئل كبار زوّار جدة ومكة المكرمة، وكان قصره هو القصر الوحيد الذي ينزل به كبار المسؤولين وضيوف الدولة.

وقد حلّ فيه الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود لأخذ البيعة على العلماء والأعيان من أهل الحجاز، كما نزل به آخر خلفاء بني عثمان ـ السلطان محمد وحيد الدين ـ الذي غدر به الطاغية أتاتورك.

مات والده وهو صغير فتولى تربيته ورعايته جدّه عمر، الذي هيأ له الجو العلمي والبيئة الصالحة، ومن أبرز الشيوخ الذين تتلمذ عليهم الشيخ عبد القادر التلمساني، قرأ عليه أبواباً من التوحيد والفقه والتفسير. والشيخ أحمد بن إبراهيم ابن عيسى، والشيخ أحمد النجار من علماء الطائف، والشيخ محمد حامد من علماء جدة، وغيرهم كثير.

وكان مولعاً بالقراءة، كما كان يعنى بجمع الكتب الأمات من المراجع والمخطوطات حتى أصبحت مكتبته من أشهر المكتبات الخاصة في العالم الإسلامي لاحتوائها على أكثر من ستة آلاف مجلد في مختلف علوم الدين والدنيا. وكانت مفتوحة للعامة ينهلون مما في خزاناتها من المراجع والكتب، كما اهتم بنشر الكثير من الكتب السلفية التي كانت توزع بالمجان.

وكان الشيخ محمد نصيف مرجعاً للباحثين وطلاب العلم وكل من يسأل عن نسب أهل الحجاز. وقد أجمع الناس على محبته لما كان يتحلى به من الصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة.

يقول الشيخ علي الطنطاوي: «وصلنا جدة بعد أن وصلت أرواحنا إلى التراقي في رحلة بالسيارات من دمشق إلى مكة، امتدت ثمانية وخمسين يوماً، اعتسفنا فيها الصحراء، وواجهنا فيها الموت.

توجهنا حين وصلنا جدة إلى دار الأفندي الشيخ محمد نصيف، وكانت داره محطة لكبار الحجاج من أهل العلم وأهل الصدارة في كل بلد، وكنت أعرف عنه الكثير من خالي محب الدين الخطيب ومن الشيخ بهجة البيطار فلما التقينا وجدت الشيخ محمد نصيف أنبل وأفضل مما سمعت عنه، كان نبيلاً أصيلاً لا متكلفاً، كان النبل طبعاً فيه لا تطبعاً، فلو أراد العدول عنه لما استطاع.

وكان عالماً بالحجاز وأهله وحكامه، فكأنه تاريخ يمشي على قدمين، يعرف الدول والناس كما يعرف الكتب، وعنده مكتبة من أنفس ما عرفت من المكتبات، ولقد عرفت مكتبة أستاذنا محمد كرد علي في دمشق وإسعاف النشاشيبي في

القدس وأحمد تيمور باشا، وأحمد زكي باشا في مصر، ومكتبة ندوة العلماء في «لكنو» في الهند، ومكتبة الحاج حمدي الأعظمي في بغداد، ومكتبات لا أحصيها الآن، فوجدت مكتبة الشيخ محمد نصيف من أكبرها وكانت مكتبة مفتحة الأبواب ـ مثل مائدته ـ لكل قادم».

دائرة معارف ناطقة:

وقال عنه أمين الريحاني في كتابه «ملوك العرب»: «إن الشيخ محمد نصيف دائرة معارف ناطقة، يجيب عن السؤالات التي توجه إليه ويهدي إلى مصادر العلوم الأدبية والتاريخية والفقهية».

وقال عنه الشيخ محمد بن مانع: «لم نعلم في الحجاز رجلاً يساويه في الكرم وحسن الخلق».

وكتب عنه العلاّمة السيد محمد رشيد رضا في مجلته (المنار) فصلاً كاملاً بعنوان «محمد نصيف نعم المضيف».

وقال عنه الشيخ زهير الشاويش: «إن محمد نصيف كان يملأ الدنيا، وهو الرجل الكبير في كل مراحل حياته، لقد كان يصل ويواصل كل أحبابه في جدة، والحجاز وفي كل مكان وليس هناك مكتبة عامة أو خاصة عرف أصحابها الشيخ محمد نصيف وليس فيها كتاب أو كتب هدية منه».. انتهى.

معرفتي به:

بدأت معرفتي به عام ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م حين توجهتُ مع زملائي مدرسي مدرسة النجاة الأهلية في الزبير إلى الحج ، وهناك التقيناه في منزله فأحسن استقبالنا وبالغ في إكرامنا وإهدائنا الكثير من الكتب، ورأينا فيه من الصفات والشمائل ما ذكرنا بالسلف الصالح من العلماء العاملين الذين يزينهم التواضع وتكسوهم المهابة ويفيضون الخير على كل الناس.

هذا هو اللقاء الأول بالشيخ محمد نصيف، وكنت قبله أقرأ مقالاته وتعليقاته وأخباره في مجلة (المنار) لمحمد رشيد رضا، ومجلة (الفتح) لمحب الدين الخطيب، وكانت له صلة طيبة بالإمام الشهيد حسن البنا الذي تولى إصدار مجلة (المنار) بعد وفاة الشيخ محمد رشيد رضا، بناءً على طلب الورثة، فأصدر منها خمسة أعداد ثم توقفت.

ولما التحقت بالعمل بوزارة الأوقاف الكويتية مديراً للشؤون الإسلامية وأنشأنا لجنة إحياء التراث الإسلامي ولجنة الموسوعة الفقهية، كتبت إليه في ٦ رجب عام (١٣٨٥هـ ـ ٣٠ / ١٠ / ١٩٦٥م) أقول: «إن من أهداف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت إحياء التراث الإسلامي، وذلك بطباعة المخطوطات الإسلامية النادرة التي امتازت بدقتها العلمية وأهميتها في الثقافة الإسلامية، لذا يرجى التكرم بتزويدنا بأسماء الكتب المخطوطة التي تعتمدونها ومدى استعدادكم للتحقيق فيها والتعاون معنا في هذا المجال».

مكانته ومنزلته:

وكان الشيخ محمد نصيف على صلة وثيقة بعلماء الإسلام داخل المملكة وخارجها، تميز بفراسة في معرفة الرجال، ومن كلامه في إنصاف بعضهم وصفه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بأنه: «جبل علم يُخيف من حوله»، ووصفه الشيخ عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ بأنه: «ملك آل الشيخ»، ووصفه الشيخ محمد بهجة البيطار بأنه: (بهجة الشام)، ووصفه الشيخ مصطفى السباعي بأنه: «يطيع من كان عليهم أن يطيعوه».

كما كان الشيخ محمد نصيف مقدَّراً من ولاة الأمر غاية التقدير، كان الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود، وولداه الملك سعود والملك فيصل، يبالغون في إكرامه ويزورونه في بيته، ولقد أمر الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز بشراء «قصر نصيف ومكتبته» وجعلهما ملكاً للدولة وإبقائهما أثراً وتاريخاً، يسميان باسم



الشيخ محمد نصيف مع جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز

نصيف، وما زال الأمر كذلك إلى يومنا هذا حيث كتبت لوحة: «وزارة المعارف ـ إدارة الآثار والمتاحف ـ مكتب الآثار بجدة ـ بيت نصيف».

وقد أهدى حفدة الشيخ محمد نصيف مخطوطات مكتبته إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

ومن أولاده: الشيخ حسين الذي تولى رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجدة، والشيخ عمر الذي كان مديراً لأوقاف جدة ورئيساً لبلديتها وهو والد الدكتور عبدالله عمر نصيف مدير جامعة الملك عبد العزيز ثم الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ثم نائب رئيس مجلس الشورى السعودي.

وإنني لأعتبر فترة تولي د. عبدالله نصيف أمانة رابطة العالم الإسلامي العصر الذهبي للدعوة الإسلامية، فقد عمّت أرجاء الدنيا بفضل جهوده المباركة الخيرة، ولذلك لم أتردد في الالتحاق بالعمل في الرابطة أميناً عاماً مساعداً حين طلب مني ذلك.. وكانت زمالة ورفقة، عرفت فيها الحفيد عن قرب، بعد أن كنت أعرف الجدّ ولا غرو فهذا الشبل من ذاك الأسد.

وحين سُئل الشيخ محمد نصيف من الإذاعة السعودية عن ذكرياته عن اللقاء الأول مع الملك عبد العزيز الذي نزل بدار آل نصيف أجاب:

«من عام ١٢٤٣هـ إلى ١٣٤٤هـ كان أشراف مكة وضيوفهم من ولاة الحجاز ينزلون بدورنا لأن جدي عمر وأبوه عبدالله وأنا محمد بن حسين بن عمر نصيف كنا وكلاء الإمارة بجدة، وكان الملك الراحل عبد العزيز ينزل بدارنا عدّة مرات، حتى بُنيت له القصور فصار ينزل في قصوره الخاصة، ومن الذكريات التي لم أنسها موقف الملك الراحل عبد العزيز آل سعود من المعاهدة الإنجليزية التي عُقدت في جدة في الكشك العلوي من داري، وكان المستر كليتون يريد أن يُدخل فيها أشياء تنافي الاستقلال، فقال له جلالة الملك عبد العزيز: إننا خضنا الحرب، وكانت الدماء إلى ركبنا، فلا أرضى ولا يرضى الجندي الذي خاض

المعارك أن تكون المعاهدة مخلة بالاستقلال». (مجلة الإذاعة السعودية العدد (٥٥) شوال عام ١٣٧٩هـ).

لباقة وهدوء:

تميز الشيخ محمد نصيف بأسلوبه المقنع في الحوار، ولباقته، وهدوئه وتفكيره الرصين، ورباطة جأشه، وسلامة ذوقه، وسعة علمه، وقدرته على توجيه وقيادة مجالس العلم وحصر المساجلات العلمية في مجال الإفادة والاستفادة والابتعاد عن الجدل العقيم أو المراء المذموم والتعصب.

كما كان منظماً في وقته يبدأ يومه بقراءة القرآن الكريم والذكر والدعاء، ثم الجلوس بعد ذلك لأصحاب الحاجات، ثم يتفرغ ـ بعض وقته ـ لضيوفه وجلسائه ويقوم على خدمتهم بنفسه، ثم يلتفت إلى طلابه من محبي العلم، ثم يخلو مع نفسه للنظر في بعض المسائل العلمية التي تحتاج إلى تأمل وبحث ومراجعة وتثبت، وهكذا يقضي نهاره وليله في العلم والتعلم والتلاوة والذكر والقيام بشؤون الناس وحاجاتهم وإكرام الضيوف والزوار والعبادة لله والاهتمام بشؤون الأُسرة.

صلاته بالعلماء:

كانت للشيخ محمد نصيف رحلات كثيرة إلى مصر، وسورية، ولبنان؛ يلتقي علماء وقادة تلك البلاد مع من يفد إليها من العلماء والزعماء العرب فكانت لقاءاته بالسيد محب الدين الخطيب وأحمد محمد شاكر وحسن البنا والشيخ حسنين مخلوف، والشيخ طه الساكت، والشيخ أحمد الباقوري، والشيخ بهجة البيطار، والشيخ ناصر الدين الألباني، والشيخ محمد بن كمال الخطيب، والشيخ علي الطنطاوي، والشيخ مصطفى السباعي، والشيخ زهير الشاويش، والأستاذ سعيد الأفغاني، والأستاذ عصام العطار، والحاج عبد اللطيف أبو قورة، والأستاذ

محمد عبد الرحمن خليفة، والأستاذ أحمد الخطيب والشيخ سعدي ياسين، والشيخ حسن خالد، والشيخ عبد الرحمن عاصم، والحاج محمد أمين الحسيني، والأستاذ سعيد العبار وغيرهم فضلاً عن الذين راسلهم أمثال السيد أبي الأعلى المودودي، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، واللواء محمود شيت خطاب، والأستاذ كامل الشريف، والدكتور تقي الدين الهلالي، ومحمد هاشم الهدية وغيرهم ممن التقاهم عندما نزلوا عنده، وقد كانت بينه وبين الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (والد الإمام الشهيد حسن البنا) مراسلات كثيرة من عام ١٣٥٥هـ.

ففي رسالته المؤرخة ٧ رمضان ١٣٥٥هـ يقول محمد نصيف للشيخ أحمد البنا: «.. ويعلم الله أني أحببتكم على الغيب لآثاركم النافعة، وأي شيء أكثر من خدمة السُّنَّة النبوية وإرشاد الأمة الإسلامية بمجلة الإخوان المسلمين، وما بها من نصائح غالية في هدوء وسكون وبُعدٍ عن الجدال بالباطل، فجزاكم الله خيراً. وسلموا على الأستاذ الشيخ حسن البنا، وقد اطلعت على رسائل الإخوان المسلمين المسماة «نحو النور» وسررتُ بها كثيراً، ولم تغادر صغيرة ولا كبيرة من النصائح الغالية للراعي والرعية إلا أتت بها بصورة معقولة مقبولة، مراعية ظروف الأحوال وحال الناس.. والله أسأل أن يكلل أعمالكم بالنجاح، ويوفق رجال الدولة الإسلامية للعمل بما في الرسالة..» انتهى.

كما كانت له علاقات طيبة بعلماء المملكة كالشيخ عبد العزيز العثيمين، والشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ أحمد بن عيسى والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ عبدالله البسام وغيرهم.

قصة طريفة:

جاء في كتاب (محمد نصيف حياته وآثاره) قصة غاية في الطرافة خلاصتها:

«كان محمد نصيف شغوفاً بجمع الكتب حريصاً على اقتنائها لينتفع وينفع بها، وكان أول عهده بالكتب عام ١٣١٩هـ حين أرسله جده إلى السوق ليشتري جارية تخدمه ـ أي تخدم محمد نصيف ـ ولما وصل إلى سوق العبيد ومعه حاجب القصر، ومع الحاجب ستة دنانير من الذهب، نظر محمد نصيف نظرة عابرة على الإماء اللاتي وجدن في هذا السوق، فإذا نفسه تشمئز من سوء معاملة الدلالات لهن وامتهانهن لكرامة هؤلاء الإماء، ثم قال في نفسه: إنني لا أريد أن أشتري جارية ربما تكون في يوم من الأيام أماً لأولادي وهي تباع والحالة هذه كما يباع الحُمر والنَّعم، ثم عاد راجعاً من السوق وأمر الحاجب بالذهاب إلى القصر بعد أن أخذ منه الدنانير الست، وفي أثناء عودته مرّ بمكتبة لأحد العلماء يعرضها ورثته للبيع، فأقدم على شرائها بكاملها ثم عاد إلى جدِّه وأخبره بما حدث، ففرح بذلك واستبشر خيراً لأنه تفرَّس فيه رغبة جامحة لطلب العلم وتحصيله، ومن ثم أوكل تعليمه إلى بعض المعلمين البارزين منهم الشيخ محمد باصبرين».

تقدير العلماء له:

وكانت الرسائل التي ترد إليه من العلماء من أنحاء العالم الإسلامي تخاطبه بأسمى عبارات التقدير والثناء لمعرفتهم بمكانته.

كتب إليه العلاّمة المغربي د. محمد تقي الدين الهلالي رسالة يقول في مقدمتها: «إلى الأخ الكريم بقية السلف، وعمدة الخلف، محيي السنة ومميت البدعة الأستاذ السيد محمد نصيف أدام الله ارتقاه وأطال بقاه، حصناً منيعاً لكتاب الله وسُنَّة رسوله».

ووصفه ابن اليمني الناصري المغربي بقوله:

بعلم صحيح ورأي حصيف ... قد امتاز شيخ الحجاز نصيف

كما امتدحه الشيخ عيسى بن يحيى بقصيدة جاء فيها:

بجدة طود ينطح النجم في السما ... وعون لملهوف إذا الخطب أدهما

لـه أذعـن الأحـبـار فـي كـل بـلـدة   مـحـيـط عـلـوم لا يـبارى إذا طما
سـلـيـل نصيف من غطارفة لـهـم   مواقف سل عنهم تجدهم ضراغما
تفرد عنهم في المعالي محمد   به المجد يزهو ضاحكاً متبسما

هكذا عاش الشيخ محمد نصيف داعية للدين، خادماً للعلم، مكرماً لأبناء السبيل وضيوف الرحمن ناشراً للكتب، مصلحاً بين الناس.

لحظات الموت:

وحين سُئل الحفيد د. عبدالله عمر محمد نصيف عن اللحظات الأخيرة من حياة جده أجاب: «كنت معه في بريطانيا لعلاج ركبته قبل موته بأقل من شهر، وعندما عاد من بريطانيا كان في قمة صحته، ثم فجأة أحسَّ ببعض الضيق، فذهبنا إلى الطائف وهناك قال لنا الأطباء: هذه الشيخوخة ليس لها علاج، وبعد مرور عدة ساعات فاجأنا جدّي بقوله: لا تتعبوا أنفسكم، ثم طلب الأطفال الصغار، فأحسست أنه يشعر بدنو أجله، وعندما جاءت سكرة الموت وكانت والدتي بجواره، قال لنا: اذهبوا بي إلى السرير لعل الأجل قد أتى، وبالفعل خرج من الشرفة ومدد على السرير وصعدت روحه من تلك اللحظة إلى بارئها رحمه الله رحمة واسعة».

وكان ذلك يوم الخميس السادس من شهر جمادى الآخرة عام ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م بمدينة الطائف ثم نقل جثمانه إلى جدة في موكب مهيب، وقد خرجت جدة كلها لتشييع جنازته، وصلّي عليه بعد صلاة العصر في مسجد المعمار ودفن في مقبرة الأسد في مدينة جدة وكان عمره يناهز التسعين عاماً.

رحم الله شيخنا محمد نصيف وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به عباده الصالحين وغفر الله لنا وله وجمعنا وإخواننا المسلمين في مستقر رحمته مع الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





١٠٤

سعادة السفير محمد هارون المجددي

(١٣٤٣ ـ ١٤٠٥هـ = ١٩٢٥ ـ ١٩٨٥م)

معرفتي بوالده:

عرفتُ سعادة الشيخ محمد صادق المجددي سفير أفغانستان الأسبق بمصر وهو والد الأخ هارون، من خلال ما قرأته في صحف الإخوان المسلمين التي كانت تنشر أخبار نشاطه الإسلامي ولقاءاته مع الإمام الشهيد حسن البنا سنة ١٩٤٦م، وزعماء العالم الإسلامي الذين يقصدون المركز العام للإخوان المسلمين في الحلمية الجديدة، حيث يستمعون لمحاضرات الإمام الشهيد ودرس الثلاثاء.

ثم يجتمعون بقسم الاتصال بالعالم الإسلامي لدراسة قضايا البلاد الإسلامية وعلاج مشكلات المسلمين والتصدي للمستعمرين الذين يحتلون البلاد الإسلامية وينهبون خيراتها ويسرقون ثرواتها، ويسخِّرون أبناءها لخدمة مصالحهم، كما كان الشيخ المجددي يقيم ندوة أسبوعية في منزله بالقاهرة

يستقبل فيها الزعماء والقادة والطلاب واللاجئين السياسيين إلى مصر من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

معرفتي به:

ولما ذهبتُ إلى مصر للدراسة الجامعية سنة ١٩٤٩م سعدتُ بالاتصال المباشر بالأخ محمد هارون المجددي ابن السفير الأفغاني، فقد كان شعلة من النشاط والحيوية والعمل الدؤوب مع الإخوان المسلمين للنهوض بالشعوب الإسلامية لتأخذ مكانها اللائق بها في ظل الإسلام وتحت راية التوحيد، وكان متأثراً بوالده من حيث الالتزام بالإسلام كنظام شامل لأمور الدين والدنيا والاهتمام بأمور المسلمين في كل مكان والعمل في حقل الدعوة الإسلامية دون كلل أو ملل، لأنه نشأ في عائلة متدينة عريقة معظم أفرادها من العلماء وطلبة العلم، فكان عمه «نور المشايخ» من كبار علماء أفغانستان ومن أهل الحل والعقد الذين يرجع إليهم الناس في مهمات الأمور ومدلهمات الخطوب.

مولده ونشأته:

كانت ولادته عام ١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٥م في «كابل» ثم سافر مع والده الذي عُيِّن سفيراً بمصر والتحق بكلية (دار العلوم) بالقاهرة وتخرَّج فيها وعيِّن بوظيفة (قائم بأعمال السفارة) وعاش وسط رجال السلك الدبلوماسي معتزاً بدينه، ملتزماً بأحكامه، مطبقاً لتعاليمه، وثيق الصلة برجال الدعوة الإسلامية وخاصة (الإخوان المسلمين) الذين التقى مرشدَهم الإمام الشهيد حسن البنا وتأثر به وأعجب بطريقته في الدعوة إلى الله وفهمه للإسلام كما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ كما أعجب بمناهج وبرامج الحركة الإسلامية من الأسر والكتائب والجوالة والمعسكرات التي تصوغ الفرد وفق منهج الإسلام.

أصدقاؤه:

وكان من أصدقائه المقربين من الإخوان المسلمين الأستاذ عبد الحفيظ الصيفي، والأستاذ صالح أبو رقيق، والأستاذ محمد المسماري، والأستاذ منير دلة، والأستاذ حسن العشماوي، والأستاذ فريد عبد الخالق، وعن طريق هؤلاء تعرَّف إلى جمال عبد الناصر، الذي استغل هذه المعرفة ولم يقدِّرها حق قدرها، بل غدر وفجر فيمن وقفوا إلى جانبه، وقلب لهم ظهر المجن بعد أن استولى على السلطة وتفرَّد بها.

وذلك أن عبد الناصر استعان بالأخ محمد هارون المجددي لينقل الأسلحة بسيارته الدبلوماسية واستعان بالأخ حسن العشماوي لإخفائها في مزرعة والده بالقليوبية، فكان ما كان من المكر والخديعة والبهتان والافتراء من الطاغية وزبانيته عليهم من الله ما يستحقون.

نشاط والده:

كانت دار السفير المجددي والد الأخ هارون ملتقى العلماء والقادة ورجال الفكر وزعماء حركات التحرير للبلاد الإسلامية أمثال الأمير عبد الكريم الخطابي من المغرب، وإدريس السنوسي من ليبيا، والفضيل الورتلاني من الجزائر، كما كان شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي صديقاً حميماً لوالده، وكانت هيئة كبار العلماء في ذلك الوقت هي التي تنتخب شيخ الأزهر ولا يعينه حاكم مصر، ولا تأثير لجنسيته أو قوميته في هذا الانتخاب، لأن الدين والخلق وسعة العلم والأهلية هي المقياس في الاختيار، حتى جاء حكم الدكتاتور عبد الناصر فجعل ذلك بالتعيين لأصحاب الولاء لسلطته والمؤيدين لتصرفاته.

أخلاقه وخدماته:

إن الأخ الداعية هارون المجددي، كان مثال المسلم الصادق والمجاهد

العامل بصمت، الذي يحب أن يُرى أثره ولا يُعرف شخصه، لأنه يبتغي بعمله وجهاده وجه الله عز وجل، فقد تعلّم في مدرسة الإخوان المسلمين وأدرك معنى هتافهم «الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا»، وكم من خدمات قدّمها لطلبة البعوث الإسلامية الذين يدرسون بمصر وهم من جميع أنحاء العالم الإسلامي، لأنهم إخوان العقيدة، ورابطة العقيدة أقوى الروابط على الإطلاق، وأخوة الإسلام تسمو على ما عداها من روابط الجنس والنسب.

اعتقاله وسجنه:

تعرّض الأخ هارون المجددي إلى السجن سنة ١٩٥٤م وبقي في السجن الحربي فترة من الزمن، معتقلاً دون محاكمة وأجريت له عملية في المرارة وهو رهن الاعتقال، ثم تدخّل بعض أصدقائه السياسيين من خارج مصر، أمثال الملك محمد الخامس من المغرب، والزعيم محمد خيضر من الجزائر، فأُخرج من السجن الحربي ونُفي من مصر، رغم أن زوجته مصرية وأولاده من مواليد مصر وأخته الكبرى متزوجة من مصري هو الدكتور شفيق الخشن، الذي كان عميداً لكلية الزراعة في الإسكندرية، ثم وكيلاً لمجلس الشعب الذي يرأسه أنور السادات في ذلك الوقت، ومن هذا الموقع وبحكم الصلة بين أخته وزوجة عبد الناصر، سُمح له بالعودة إلى مصر على أن يجدد إذن العودة سنوياً، ثم حين أصدر عبد الناصر أوامر الاعتقال من موسكو سنة ١٩٦٥م التي تنص على اعتقال كل من سبق اعتقاله، فكانت الموجة المحمومة التي شملت اعتقال أكثر من خمسة وستين ألفاً من الدعاة المسلمين والعلماء العاملين، وبخاصة الإخوان المسلمين، فكان منهم الأخ هارون وكان التحقيق شديداً معه في المعتقل، لسؤاله عن علاقته بصديقه الحميم (المهدي بن بركة) الزعيم المغربي المعروف الذي اغتيل في فرنسا في الوقت الذي كان فيه الأخ هارون بالسجن، وحتى الآن لم

يعرف من قتل المهدي بن بركة وإن كان الاتهام يشير إلى السلطات المغربية.

ثم تدخلت أخته مرة أخرى لدى زوجة عبد الناصر فأخرج من السجن ونُفي خارج مصر، فذهب إلى ألمانيا ومنها إلى ليبيا، ورغم أن الملك إدريس السنوسي كان صديقاً حميماً لوالده ولم يكن يجد مكاناً يؤنسه عندما كان لاجئاً في مصر إلا منزل آل المجددي وديوانيته، إلا أنه لم يلجأ إليه في ليبيا بل قضى عاماً كاملاً مع إخوانه ورفاقه السابقين في المعتقل، عاش وإياهم في بيت متواضع بطرابلس الغرب ـ ليبيا.

مواقفه ووفاؤه:

يحدثني رفيقه الذي كان معه في السجن وفي ليبيا فيقول: «إنني كنت أرى فيه مثلاً للخلق والوفاء، ومن هذا الوفاء الذي ترك أثراً في نفسي لا ينسى، أنه في الشهر الأول من عودته إلى مصر، بإذن يتجدد سنوياً، اصطحبني معه في سيارته حوالي ست ساعات، نسير في طرق زراعية غير معبدة، يبحث في (الدلنجات) وهي آخر المناطق الزراعية في (أبو المطامير) بالبحيرة ليرى أطفال صديقه المحكوم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة، والذي كان من مؤسسي الجامعة العربية مع عزام باشا، ذلكم هو الأخ المجاهد صالح أبو رقيق وحين رآهم قبّلهم وضمهم إلى صدره، وذرف الدموع ولم يتمالك نفسه أمام هؤلاء الأطفال الذين يحبهم كأبنائه وفلذات كبده، ثم عدنا سريعاً، ولم تزد الزيارة على خمس دقائق خوفاً من أعين الرقباء والجواسيس وحين تغير الملك في أفغانستان عيَّن سفيراً جديداً بدل المجددي وعامل هذا السفير آل المجددي معاملة غير كريمة وقاطعهم، وشاء الله أن يمرض السفير الجديد فما كان من الأخ هارون إلاّ أن يعوده في المستشفى ويرسل له باقات الورد مقرونة بالدعاء له بالشفاء فتأثر السفير من هذا النبل في الأخلاق، واعتذر عمّا بدر منه وزار الأخ هارون في منزله بعد خروجه من المستشفى مباشرة.

وكان الأخ هارون يملك مزرعة في (أبو حمص) بالبحيرة فاستولى عليها الإصلاح الزراعي، فلم يقطع عادته السنوية في الذهاب إلى المزرعة وتوزيع الملابس والأرز والدقيق والزيت وبعض المال على الفقراء من الفلاحين.

وأفلس صديق له كان تاجراً أفغانياً في ألمانيا فأرسل إلى هارون يطلب عونه، فلم يرد طلبه رغم أن هارون نفسه في ضائقة مالية بعد مصادرة مزرعته فكلف صديقاً أن يعينه بكفالته ولم يف التاجر الأفغاني بالسداد فاضطر هارون لوفاء الدين عنه باعتباره كفيلاً له» انتهى.

أقوال الندوي عن والده:

ويتحدث الشيخ أبو الحسن الندوي عن والد الأخ هارون فيقول في كتابه القيم (مذكرات سائح في الشرق العربي):

«وفي يوم ١١ / ٦ / ١٣٧٠هـ ـ ١٩ / ٣ / ١٩٥١م خرجنا لزيارة سعادة الشيخ محمد صادق المجددي سفير أفغانستان بمصر وجلسنا معه مجلساً طويلاً، وصلينا خلفه المغرب وتعرفنا إلى نجليه هارون وأخيه وسررنا بهذه الزيارة، فسعادته لا يمثل الحكومة الأفغانية فحسب، بل يمثل ذلك البيت العظيم الذي له منة على كل مسلم في الهند، وتربطنا به روابط دينية وصلات روحية قديمة.

وقد شرَّفنا فيما بعد بزيارته لنا في محلنا المتواضع وجلس معنا ووعدنا بالتشريف مرة أخرى، فأكبرنا منه هذا التواضع والإكرام، ولا غرو فإنه سليل مجدِّدنا العظيم الشيخ أحمد الفاروقي.

وحين زرنا القدس يوم ٢٦ رمضان سنة ١٣٧٠هـ وصلينا العشاء والتراويح في المسجد الأقصى سمعنا بأن الشيخ المجددي معتكف في بعض حجرات المسجد ـ فقد كان من عادته ذلك كل عام في القدس فدخلنا عليه وسلمنا ورجعنا إلى محلنا، وفي يوم ٢٧ رمضان دعانا سعادته إلى العشاء وطلب منا الإقامة معه، فاعتبرنا هذا من تيسير الله سبحانه وتعالى، وأقمنا معه في راحة وسعة.

وفي يوم ٣٠ رمضان رأينا الهلال وتعشينا مع السيد المجددي، وجاء كثيرون من وجهاء المدينة وكبار الموظفين يسلمون عليه ويهنئونه، وانتهزت الفرصة فألقيت كلمة بمناسبة العيد» انتهى.

إن الأخ الكريم والداعية المجاهد محمد هارون المجددي كان من النوادر في حسن خلقه وتواضعه ونجدته ومروءته وإخلاصه ووفائه وقد أحبه كل من عرفه رغم موقعه الدبلوماسي فإن الدعوة كانت هي كل شيء في حياته يقدّمها على ما سواها ويفتديها بروحه وأهله وماله.

وقد انقطعت الصلة به بعد تخرجي فلم أسعد بلقائه، ولكن أخباره وجهاده داخل مصر وخارجها كانت تصلنا عن طريق الخلصاء من الإخوان.

زيارته لنا بالكويت:

وقد أكرمني الله بزيارته للكويت حيث زارني في داري وشرفت به ندوة الجمعة الأسبوعية وكان ذلك بداية الجهاد الأفغاني، وقد حدثنا حديث العالم البصير الملمّ بالأمور الأفغانية دقيقها وجليلها والأطراف الصادقة المخلصة المجاهدة بصدق والعناصر التي تؤثر العاجل على الآجل، وكان له من عمق التجربة وفقه الواقع وما تعلمه في مدرسة الإمام الشهيد حسن البنا من الإيمان العميق والتكوين الدقيق والعمل المتواصل وإخلاص النية لله وصدق التوجه له وطلب مرضاته، الأثر الطيب المبارك.

توجيهاته ونصائحه:

كتب إلى زوج ابنته الذي يعيش في الغرب رسالة سنة ١٩٨٥م يهنئه فيها بالمولود الحفيد، فقال: «... مرحباً ألف مرحب بعضو الأُسرة الذي أنعم الله عليكم وعلى الأسرة به، أنبته الله نباتاً حسناً، ورزقه حياة طيبة مباركة في خدمة الإسلام العظيم، ومثله العليا، ومبادئه السامية، فعبء جيله سيكون عبئاً ثقيلاً،

ذلك أن جيلنا قد حيل بينه وبين أن يحيا مسلماً له حقوقه الإسلامية والإنسانية، وله عزته الإيمانية وحريته البشرية، تلك الحرية التي قامت وتقوم عليها الحياة الآمنة المستقرة، وهكذا فالميراث ثقيل، أما نحن فلم يبق من حياتنا إلا قدر ضئيل، ولقد فقدت خلال شهرين أخوين كنا على صلة مستمرة معهما، وكان كل منا يفرغ همومه لدى الآخر، هما المرحومان: محمد المسماري وعبد الحفيظ الصيفي، وقد فارقاني خطفاً وتركا في حياتي فراغاً كبيراً، وتركا في قلبي أثراً دفيناً، تغمدهما الله بواسع رحمته ورضوانه، وأحسن جزاءهما وأسكنهما فسيح جناته.

أما ما يحدث على أرض الإسلام الغالية أفغانستان، وما يحدث بين المرتزقة وما يرتكبه الخونة العملاء المرتدون داخلها في ظل قوة معادية غادرة، وما يحدث في بيشاور من تفريط في حق أفغانستان فالذي أتصوّره أن الأوضاع في تدهور، لأن المراقبين للأحداث عن فهم يدركون أن المتاجرين يعلو صوتهم، وأن المجاهدين المؤمنين تضعف شوكتهم، وأن الشعب المسكين يزداد آلاماً



محمد حامد أبو النصر ـ مصطفى مشهور ـ خليل الحامدي ـ إبراهيم شرف
في زيارة اللاجئين الأفغان

وخراباً، وأن نزيف الدماء، يزداد على مر الأيام، وأن موقف المسلمين يزداد سكوناً ودعوات وأقوالاً.

إن الفرق بين جيلكم وبيني، أني نشأتُ وترعرتُ ووصلت مرحلة الشيخوخة في عالم المحن، ولكني لمست رعاية الله جل شأنه الكبيرة العظيمة في كل خطوة من خطوات حياتي، بالرغم من أنني غريق الذنوب والآثام، والحمد لله الذي يزيدني إيماناً بالرغم من الحياة التي تبدو قلقة منطقياً، لكني بفضل الله أزداد إيماناً ويقيناً أن الله عز وجل شأنه لن يحرمني من رعايته فضلاً وكرماً ولطفاً وإحساناً.

إننا أبناء أفغانستان منذ سنين عديدة في محنة قاسية تزداد قسوة على مر الأيام، فنحن نُذبح، وديارنا تُدمّر، ويهلك فينا الحرث والنسل، والمسلمون بل المنتمون إلى الإسلام في يسر ورخاء، يمرحون ويضحكون» انتهى.

لقد كان الأخ هارون نموذج المسلم الذي يسخِّر كل طاقاته وإمكاناته لخدمة دينه وعقيدته وقد وجد في الإخوان المسلمين ضالته فكان ارتباطه بالدعوة التي بقي وفياً لها حتى لقي ربه عام ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل ما قدَّم في ميزان حسناته وأن يتغمدنا الله وإياه بواسع رحمته وأن يدخلنا معه فسيح جنته ويحشرنا وإياه وسائر إخواننا المجاهدين الأبرار، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





اللواء الركن محمود شيت خطاب

القائد المحنك والمؤرخ الموسوعي

(١٣٣٧ ـ ١٤١٨هـ = ١٩١٩ ـ ١٩٩٨م)

مولده ونشأته:

ولد سنة ١٩١٩م بمدينة الموصل من أسرة تعمل في التجارة، وقد تولت جدته لأبيه حضانته لأن والدته سرعان ما رزقت بأخ له بعد سنة من ولادته، وكان لجدته الدور الكبير في تربيته على الإسلام، والأخلاق الإسلامية، فقد كانت تصحبه إلى المسجد لصلاة المغرب، وتبقى معه حتى تصلي العشاء ثم تعود به إلى البيت، واستمرت رعايتها إياه إلى أن توفاها الله وعمره ستة عشر عاماً.

وكانت البيئة التي نشأ فيها، والمحيط الذي عاش فيه يلتزمان العبادة، من صلاة، وصيام، وزكاة، وتلاوة للقرآن الكريم، ويلتزمان الخلق الإسلامي من تعاون وإخاء وتواصل وتزاور.

درس في الكتّاب مبادئ الإسلام، وتجويد القرآن وتلاوته وحفظه وتعلم فيه الخط، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية في السنة الثامنة من عمره، وواصل

تعليمه فيها حتى أكمل المراحل الثلاث: الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

وكان يصحب والده إلى مجالس الحيّ، حيث يجتمع الأعيان في مجلس يسهرون فيه على سماع الأخبار وقراءة الكتب النافعة، وتدارس مشكلات الناس، ومساعدة من يحتاج إلى المساعدة، وحلّ المعضلات التي تعترض الأفراد والأسر.

وكان والده يكلفه بقراءة أحد كتب التاريخ على الحضور، ومعظمهم من أهل العلم واللغة، فكان ذلك سبباً من أسباب حرصه على إتقان القراءة، وعشقه للتاريخ، وانصرافه للكتابة فيه، وكانت باكورة إنتاجه كتابه «الرسول القائد» الذي صدر سنة ١٩٥٨م ثم تتابعت كتبه الأخرى بعد ذلك.

حياته العلمية والعملية:

كان يرغب بدراسة الحقوق بعد حصوله على الثانوية، ولكن شاء الله غير ذلك، حيث التحق بالكلية العسكرية سنة ١٩٣٧م وتخرّج فيها برتبة ملازم في سلاح الفرسان، وقد سأله آمر السرية:

ـ أتشرب الخمر؟ أتلعب القمار؟ أتحب النساء؟

ولما نفى خطاب ذلك، قال آمر السرية:

ـ إن انضمامك إلى سريتي نكبة عليّ!!

واستكمل مراحله العسكرية، وتخرج برتبة ضابط ركن، وابتعث إلى دورة في بريطانيا لمدة سنتين، وهكذا حتى وصل إلى رتبة لواء أركان حرب.

شارك في ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١م، وأصيب بشظايا من قنابل الإنجليز، ولكن شاء الله له الشفاء، رغم شكوك الأطباء، كما تعرض لمؤامرات الشيوعيين أيام عبدالكريم قاسم بعد ثورة الشواف بالموصل، وناله التعذيب الشديد وأصابته كسور كثيرة، وبقي في المعتقل لمدة ثمانية عشر شهرا.

مارس التدريس في الكليات العسكرية في العراق ومصر، وكان من فراسته

ودقة دراسته للعدو الصهيوني، أنه حدد اليوم الذي عزمت فيه إسرائيل أن تضرب ضربتها وهو يوم ٥ / ٦ / ١٩٦٧م، ونشر هذا في جريدة (العرب) البغدادية يوم ١ / ٦ / ١٩٦٧م، حتى إن المؤلف الإسرائيلي صاحب كتاب (الحرب بين العرب وإسرائيل) أثنى على عبقرية اللواء محمود شيت خطاب ووصفه بأنه أكبر عقلية استراتيجية في العرب، ولكنه لا يجد من يستفيد منه.

اختير رئيساً للجنة توحيد المصطلحات العسكرية في الجيوش العربية، ودعا لوضع معجم عسكري موحد، وصدر المعجم في أربعة أجزاء: بثلاث لغات هي: العربية، والإنجليزية، والفرنسية، كما ألف كتاب «المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم»، وشارك في عضوية كثير من المجامع العلمية واللغوية والمؤسسات الإسلامية وتولى عدداً من الحقائب الوزارية، فقد كان:

- عضو المجمع العلمي العراقي.
- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- رئيس لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية في جامعة الدول العربية.
- عضواً مؤسساً لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- عضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد بمكة المكرمة.
- مناصب وزارية لعدة مرات.

وهو إلى جانب ذلك، يقرض الشعر، وله فيه إسهام طيب، وإن كان مقلاً فيه.

معرفتي به:

زارنا بالكويت أواخر سنة ١٩٦٩م بدعوة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لحضور الموسم الثقافي، وإلقاء المحاضرات، وقد كنتُ أقدّمه في المحاضرات، وأصحبه في الزيارات للشخصيات والهيئات والمؤسسات، وقد ألقى محاضرات عدة، كانت إحداها بعنوان (إرادة القتال) وفيها تطرق بصراحة

ووضوح إلى عدم جدية الحكومات العربية في محاربة إسرائيل، فالحكام يضطهدون شعوبهم، ويتصرفون في مقدرات البلاد وفق أهوائهم ونزواتهم، وتعبئة الجنود لم تكن إيمانية، ولم يكن ثمة إرادة للقتال ولا تدريب على مستوى المواجهة مع العدو الصهيوني، فكانت الأغاني هي زاد الجنود، وصور الزعيم والممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات هي سلاحهم، ومن هنا كانت الهزيمة الكبرى وضياع المقدسات، وانتهاك الحرمات.

كانت محاضراته وندواته وأحاديثه دواء وبلسماً، وكانت توجيهاته للشباب بالكويت وبخاصة للشباب المسلم بجمعية الإصلاح الاجتماعي ذات أثر بالغ في تجديد العزم، ورفع الروح المعنوية، لأن الإسلام لم يخض المعركة، ولكنها الزعامات الفارغة التي كشف الله عوارها، وأبان هزالها، وأسقط دعاواها وشعاراتها، وليس سوى الإسلام طريقاً لعزتها وسيادتها، وكل ما عداه باطل وهراء.

وتكررت اللقاءات به بعد ذلك في المملكة العربية السعودية وغيرها، وكان آخرها حين قدم للعلاج في الرياض سنة ١٤١٠هـ بالمستشفى العسكري، وزرته مع الأخ أبي غزوان، فإذا هو ذاك الرجل الفذ، والقائد الشجاع، والمؤمن الصادق الذي يعيش الإسلام بكل جوارحه، ويدعو إليه، وهو في أشد حالات مرضه، لأنه يؤمن بقضاء الله وقدره صابراً محتسباً.

مؤلفاته:

له أكثر من مئة وعشرين كتاباً، منها: الرسول القائد، الوجيز في العسكرية الإسرائيلية، العسكرية الإسرائيلية، حقيقة إسرائيل، دراسات في الوحدة العسكرية العربية، أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية، طريق النصر في معركة الثأر، الأيام الحاسمة قبل معركة المصير وبعدها، بين العقيدة والقيادة، الإسلام والنصر، عدالة السماء، تدابير القدر، تاريخ جيش النبي، دروس عسكرية في السيرة النبوية، غزوة بدر الكبرى، العسكرية العربية الإسلامية،

المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم، الصديق القائد، الفاروق القائد، عمرو بن العاص، خالد بن الوليد المخزومي، قادة فتح المغرب العربي، قادة فتح مصر، القتال في الإسلام، جيش النبي، العدو الصهيوني والأسلحة المتطورة، التصور الصهيوني للتفتيت الطائفي، التدريب الفردي ليلاً، القضايا الإدارية في الميدان، تعريف المصطلحات العسكرية وتوحيدها، المعجم العسكري الموحد، الشورى في المواثيق والمعاهدات النبوية، ومضات من نور المصطفى، قادة فتح الجزيرة، قادة فتح فارس، إرادة القتال في الجهاد الإسلامي، الشورى العسكرية النبوية، قادة النبي ﷺ، قادة فتح السند وأفغانستان، قادة الفتح الإسلامي في بلاد ما وراء النهر، قادة الفتح الإسلامي في بلاد أرمينيا، سفراء النبي، عقبة بن نافع الفهري، قادة فتح بلاد الشام، قادة فتح بلاد الروم، قادة فتح بلاد الأندلس، الرسالة العسكرية للمسجد، دروس في الكتمان، أسباب انتصار الرسول القائد، التوجيه المعنوي للحرب، الرقيب العتيد، اليوم الموعود، أقباس روحانية، نفحات روحانية، السفارات النبوية، أسرار الحرب العالمية الثانية، الأمثال العسكرية في كتاب «مجمع الأمثال»، أهمية توحيد المصطلحات العسكرية، وله عدد كبير من الأبحاث والمقالات المنشورة في عدد من الصحف والمجلات العربية والإسلامية.

مقتطفات من شعره:

قال في رثاء جدته:

أجهدتِ نفسَكِ فاسترحتِ قليلا ... قد كان عبئك في الحياة ثقيلا

نزلت عليك مصائب الدنيا ولو ... نزلت على جبل لخرَّ مهيلا

وجد القنوط إلى الرجال سبيله ... وإليك لم يجد القنوط سبيلا

ولربَّ فرد في سمو فعاله ... وعلوه خُلقاً يعادل جيلا

معركة جنين

وقال بعد استرداد قواته لمدينة جنين من اليهود، وقبل انصراف قواته إلى العراق بعد الهدنة:

هذي قبور الخالدين وقد قضوا شهداء حتى ينقذوا الأوطانا
المخلصون تسربلوا بقبورهم والخائنون تسنموا البنيانا
لا تعذلوا جيش العراق وأهله بلواكمُ ليست سوى بلوانا
أ(جنينُ) يا بلد الكرام تجلدي ما ضاع حق ضرَّجته دمانا
إني لأشهد أن أهلك قاوموا غزو اليهود وصاولوا العدوانا
فإذا نُكبتِ فلست أول صارم بهظته أعباء الجهاد فَلانا
مرجُ ابن عامر خضبته دماؤنا أيصير مُلكاً لليهود مهانا
إنَّ الخلود لمن يموت مجاهداً ليس الخلود لمن يعيش جبانا

من أقواله:

«لما ذهبت للدراسة في الكلية العسكرية بلندن، سألني عميد الكلية: لماذا قدمت؟

قلت: لتجديد معلوماتي العسكرية، ولتلقي أي جديد في العلم.

فعقَّب العميد على كلامي: بل قدمت لتتعلم مغازلة الفتيات.

فكظمت غيظي وقلت في نفسي:

إن هذا لا يلقي كلامه جزافاً، وإنما يحكم عليَّ بما شاهده في سواي.

ولما ذهبت إلى السكن المخصص لي، وجدت فتاة تعمل على ترتيب غرفة نومي، فانتظرت في البهو دون أن أعيرها اهتماماً، حتى إذا خرجت سألتني:

ـ هل لديك توجيهات؟

قلت: شيء واحد، هو أن تحضري لأداء مهمتك عندما لا أكون حاضراً».

ويروي أيضاً فيقول:

«بعد تخرجي ضابطاً سنة ١٩٣٨م كان من تقاليد الجيش أن تولم وليمة للضباط الجدد، وشهدت الحفلة مع زملائي، فجاء قائد الكتيبة وقد ملأ كأساً بالخمر، وأمرني أن أبدأ حياتي بشرب الخمر، وكان الليل قد أرخى سدوله، وكانت السماء صافية تتلألأ فيها النجوم، وكان قائد الكتيبة برتبة عقيد يحمل على كتفيه رتبته العسكرية وهي بحساب النجوم: اثنتا عشرة نجمة، فقلت له:

إني أطيعك في أوامرك العسكرية، وأطيع الله في أوامره، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنك تحمل على كتفيك اثنتي عشرة نجمة، فانظر إلى سماء الله لترى كم تحمل من نجوم.

فبُهت القائد وردد: السماء.. السماء.. نجوم السماء!

ومضى غضبان أسفاً، وشعرتُ بأن موقفي هذا ليس مصاولة بيني وبين القائد، ولكنها مباراة بين إرادته بشراً، وبين إرادة الله خالق البشر».

ويقول: «إن الدعوة التي تبناها المبشرون وعملاء الاستعمار وأذنابهم في إبعاد الدين الإسلامي عن الحياة، دعوة مريبة، هدفها إبعاد العرب عن الناحية المعنوية في حياتهم، فالعرب جسم والإسلام روحه، ولا بقاء للجسم بدون الروح.

إن قوى هائلة تعمل على تحطيم هذا الجيل، وتفتيت قدراته، وكانت قبل مقصورة على العدو الخارجي، أما اليوم فقد وجدت لها مرتكزات لا تحصى في الداخل، وإن ارتباط مستقبل هذا الجيل صعوداً أو هبوطاً بمدى التزامه هداية الإسلام، أو إعراضه عنه.. إن المسلمين اليوم في حاجة ماسة إلى قادة كخالد والمثنى وغيرهم، إلا أن حاجتهم إلى العلماء العاملين أمسّ وأشدّ.

هناك أزمة ثقة بين الشيوخ والشباب.. ومردُّ ذلك إلى فقدان عنصر القدوة الصالحة في معظم الذين يُعدُّون في الشيوخ، ويظنون أن كل ما عليهم هو أن يحسنوا عرض الموعظة السطحية، ولو كان سلوكهم الشخصي أبعد ما يكون عما يدعون إليه».

مواقفه:

يروي الأخ عبدالله الطنطاوي عن اللواء الركن محمود شيت خطاب أنه حدثه عن رحلته إلى مصر بصحبة رئيس الجمهورية العراقية المشير عبدالسلام عارف، وهناك في القاهرة طلب من عبدالسلام عارف أن يتوسط لدى صديقه عبدالناصر للإفراج عن سيد قطب، وتحدث عارف مع ناصر بحضور خطاب، ووافق عبدالناصر على الإفراج عن سيد قطب، وعندها طلب خطاب من عبدالناصر أن يسمح له بزيارة سيد قطب في سجنه، فسمح له بذلك، وحين قابله وأخبره بالوساطة، قال سيد قطب في حزن:

سامحكم الله.. لو شاورتموني لرفضتُ الوساطة، ولما خرجتُ بهذه الصورة.

وحين خرج سيد قطب أهدى مؤلفاته لعبدالسلام عارف، ومحمود شيت خطاب، وكتب لهما عليها إهداءً لطيفاً بخط يده.

وتكرر الموقف مع العلامة أبي الأعلى المودودي، حيث كان في السجن في زمن أيوب خان، ورفض المودودي الوساطة من عبدالسلام عارف للإفراج عنه، وأصر على البقاء في السجن.

كما كان للواء الركن محمود شيت خطاب موقف مجيد في الدفاع عن اللغة العربية، ومحاربة الدعوة إلى اللهجة العامية، والشعر الحر، فهو يرى أن الشعر الموزون المقفى هو من دعائم اللغة العربية، كما حارب الدعوة لكتابة العربية بالأحرف اللاتينية، ورحب بالجانب العلمي من الحضارة الغربية، ورفض ما عداه من المبادئ والأخلاق والعادات والسلوك الغربي الذي انحدر إلى الحضيض في العلاقات الجنسية والإباحية والمادية وغيرها من المبادئ المادية، وما تتركه من آثار على إنسانية الإنسان وروحه، وسلوكه.

وقد كانت الصهيونية أعدى أعدائه، ومحور تفكيره وهمومه، كان يرى أن العلاج لها هو الجهاد، فإسرائيل لا تفهم غير لغة القوة، وهي الطريق لتحرير فلسطين، وسحق إسرائيل العنصرية.

وأن الإسلام هو الحل لسائر القضايا السياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية للأمة الإسلامية، ونحن أمة أعزنا الله بالإسلام، فإذا طلبنا العزة بغيره أذلنا الله، وأن الوحدة قدر، والقدر أقوى من البشر، ويجب العمل للوحدة من أجل العزة والمجد، ومن أجل القضاء على إسرائيل.

قالوا عنه:

يقول الدكتور يوسف إبراهيم السلوم:

«زرته في المستشفى العسكري بالرياض عام ١٤١٠هـ قبل وبعد إجراء العملية التي أجريت له في القلب، ولمست منه الشجاعة الأدبية، والإيمان القوي، والرضا بالقدر، وصبره على الآلام، مع كبر سنه، ورغم ذلك كانت حقيبته لا تخلو من بعض المؤلفات الجديدة له، وتفضل مشكوراً بإهدائي نسخاً منها، وكان يتحدث مع زواره بروح عالية، فازددت تعلقاً به، ومحاولة معرفة المزيد عن سيرته وحياته، وقد كنت أتابع ما يصدر له من كتب ومؤلفات وبحوث ومقالات، فأجد فيها المعين لي في حياتي العسكرية، لتأصيل العلوم والثقافة العسكرية حتى أصبحت مدرسة متميزة».

ويقول الأديب عبدالله الطنطاوي:

«عاش اللواء خطاب عصراً متفجراً من أعنف العصور، وكان نصيب العراق كبيراً من الحرائق والمعاول بعد فلسطين الذبيحة، وكان اللواء خطاب شاهد القرن على تلك الكوارث والمآسي التي اجتاحت العراق والشعوب العربية والإسلامية، فكان ميلاد الكيان الصهيوني، ثم شهد هزيمة الأنظمة العربية في حرب حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧م.

عاش محمود شيت خطاب عصره بكل ما فيه، وناله الكثير مما فيه، وعاه بعقله وذكاء قلبه، وأسهم في إطفاء بعض الحرائق».

ويقول الإمام العلامة الشيخ محمد أبوزهرة:

«إن صديقي الكريم اللواء الركن محمود شيت خطاب القائد العظيم المدرك، والوزير المخلص ـ وقليل ما هم ـ سعدت بمعرفته، وأحسست بأني أعرفه منذ سنين، يسير بفكره، وقوله وعمله في خط مستقيم كاستقامته، وقد جمع الله له من الصفات ما تسمو به واحدة منها عن سفاسف الأمور، وتتجه إلى معاليها:

أولها: الإخلاص في القول والعمل.

وثانيها: الإدراك الواسع، والعلم بما حوله، وتعرف الأمور من وجوهها، وإدراكها من مصادرها، فقلمه نقي وفكره ألمعي.

وثالثها: إيمان صادق بالله ورسوله النبي الأمين.

ويكمل هذه الصفات همة عالية، وتجربة ماضية، وخبرة بالعلم والحرب، وخصوصاً ما كان بين العرب واليهود، وهو عالم بالعربية، وملم إلماماً عظيماً في شؤون الدين، وقارئ يتقصّى الحقائق فيما يقرأ، ينفر من التقليد للفرنجة، ويؤثر ما في القرآن والسنَّة، وهو قائد يعرف خصمه، ويدرك مراميه، حتى إنه ليتوقع الحرب أو الهجوم من عدوه في ميقاتها وقبل أن يعلنها، وقبل أن يفكر فيها من سيكونون حطبها، لأنه يعلم الخصم ومآربه وحاله، ويتعرف من ذلك مآله، لقد علم بهجوم اليهود سنة ١٩٦٧م، قبل أن يعلنوه، وقبل أن يقدره الذين كانوا في زعمهم يديرون الأمور، ويلبسون لكل حال لبوسها».

تكريمه:

وفي حفل تكريمه ألقى الشاعر وليد الأعظمي هذه القصيدة:

اليوم أنشد في تكريم «محمود»	شعراً يعبر عن حب وتمجيد
أشدو به بين أهل الفضل مبتهجاً	ولا ابتهاجيَ في عُرس وفي عيد
هذا سروريَ لم أنعم به زمناً	مما أكابد من همٍّ وتسهيد
موكّل بهموم الناس أحملها	وقراً على كاهلي المكسور أو جيدي

أسعى وأركض في إطعام ذي سغب ... ودفن موتى المساكين المناكيد
واليوم ألقي همومي جانباً لأرى ... هذا التجمع من أعلامنا الصيد
جاؤوا يُحيُّون «محمود» الصفات صفت ... أخلاقه وزهت بين الأماجيد
ويصدحون بألحان الثناء كما ... تشدو الطيور بتطريب وتغريد
هذي سجاياه كالريحان عاطرة ... كالمسك ديف بأطياب من العود
يفوح منها أريج العلم ينعشنا ... كالبارد العذب للظمآن في البيد

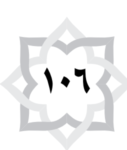
***

له أياد علينا جِدّ سابغة ... بالفضل والعلم والإحسان والجود
يراقب الله في سرٍّ وفي علن ... يقضي الليالي بتسبيح وتحميد
لسانه الرطب بالأذكار منشغل ... عن ذم «سعد» وعن إطراء «مسعود»
وبالتلاوة في الأسحار متعته ... وبالمناجاة للمولى وتوحيد
ذاق الأذى في سبيل الله محتسباً ... ما كان عاناه في أيامنا السود
من اضطهاد وتعذيب وسخرية ... يشيب من هولها شَعر المواليد
وهو الصبور على ما ذاق من محن ... وكان أصلب من صمِّ الجلاميد
فما استكان لطاغوت ولا صنم ... ولا تهيَّب من أحفاد «نمرود»
أخباره من ظلام السجن نافذة ... تسري على ألسن النجوى بترديد
وسنة الله في الأبرار ماضية ... بالابتلاءات من ضيق وتشريد
يُمحص الله أحوال الرجال بها ... بين الصناديد منهم والرعاديد
أقلامه لسطور المجد راقمة ... سفر الفتوحات من خير الأسانيد
و«قادة الفتح» نبراس يضيء لنا ... نهج البطولات في عزٍّ وتخليد
وفي «السفارات» عند المصطفى خطط ... تدعو لحسن اتباع في التقاليد
لطف ورأي وإخلاص وتضحية ... وحكمة ووفاء بالمواعيد
مضى يدافع عن تاريخ أمتنا ... يردُّ شبهة تنصير وتهويد

يردُّ كيد العدى في نحرهم قلم ... يأتي على حجج الأعدا بتفنيد
وفي «فلسطين» أيام له سلفت ... مجاهداً مع أبطال صناديد
يصول كالليث في غاراته جلداً ... يطارد البغي في الوديان والبيد
وذكريات له في «القدس» باقية ... لا ينمحي ذكرها من قلب «محمود»
يا رب بارك له في سعيه وأدم ... عليه فضلك بالإنعام والجود

وفاته:

في صباح اليوم الثالث عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٩٨م، كان اللواء خطاب يجلس على كرسي عتيق تحت درج منزله، وجاءت ابنته تودعه، وقبل أن تغادر المنزل إلى الجامعة، طلب منها أن تجلس معه لتقرأ سورة «يس» فجلست وجاءت زوجته وجلست وقرأت البنت سورة «يس» وكان يقرأ معها، فأحس بجفاف في حلقه بعد الانتهاء من قراءة السورة، فطلب من زوجته أن تأتيه بكأس من الشراب، وأسرعت الزوجة إلى المطبخ وهي تسمع زوجها يردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.. وكررها مراراً ثم سكت، وابنته تنظر إليه وتردد معه شهادة الحق، فأسرعت زوجته إليه لتراه كالنائم، قد أسلم الروح لبارئها. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع النَّبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الشاعر الإسلامي

محمود غنيم

(١٣٢٠ ـ ١٣٩٢هـ = ١٩٠٢ ـ ١٩٧٢م)

مولده ونشأته:

ولد الشاعر الكبير محمود غنيم في قرية (مليج) في محافظة المنوفية بمصر يوم ٣٠/ ١١/ ١٩٠٢م، وقضى فيها أربع سنوات، ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي، وأتم الدراسة الثانوية في المعاهد الدينية ١٩٢٤م، وبعدها التحق بكلية دار العلوم، وأنهى دراسته في سنة ١٩٢٩م. وعمل في حقل التدريس في المدارس الأولية، ثم في مدرسة (كوم حمادة) بمحافظة البحيرة حتى ١٩٣٨م، ثم بمدرسة (الأورمان) بالقاهرة، ثم مفتشاً أول للغة العربية، ثم عميد اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم، كما اختير عضواً في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.

وقد نشر شعره في عدد من المجلات والجرائد منها: السياسة الأسبوعية، والبلاغ الأسبوعي، والرسالة، والثقافة، والأهرام، وأبولو، ودار العلوم وغيرها.

ومن مؤلفاته:

صرخة في واد (ديوان شعر).
في ظلال الثورة (ديوان شعر).
مع الإسلام والعروبة (ديوان شعر).
المروءة المقنعة (مسرحية شعرية).
غرام يزيد (مسرحية شعرية).
يوما النعمان (مسرحية شعرية).
الجاه المستعار (مسرحية شعرية).
رجع الصدى (ديوان شعر).
وغيرها كثير مخطوط لم يطبع .

نماذج من شعره:

قال في قصيدة ثمينة لمجلة (الشهاب) التي أصدرها الإمام الشهيد حسن البنا وفيها يقول:

أرســـل ومـــيضك يـــا شـــهـــاب ... واكشـف عـن الـحـق الـحـجـاب
رنت الـــمـــحـــاجـــر واشـــرأبت ... نـــحـــو مـــطـــلـــعك الـــرقـــاب
الـمصلـحـو ن دعـوا فـكـنت لـهم ... مـــــن الله الـــــجـــــواب
بَـشِّـرْ بـمـجـد الشـرق وانـفض ... عـــن مـــفـــاخـــره الـــتـــراب
وارفـــع لـــواء الـــديـــن ... واهـد الـحـائـريـن إلـى الصـواب
وانـــقـــعْ نـــفـــوســاً طـــالـــمـــا ... رجت الـــغـــمـــام مـــن الســـراب
حـــيـــيت فـــيك عصـــابـــة ... لـبسـوا عـلـى الـطـهـر الـثـيـاب
هـم فـي الـمصـلـى خـاشـعـون ... وفـــي الـــكـــريـــهـــة أسـد غـــاب
لـــيس الـــتـــديـــن عـــنـــدهـــم ... مـــحض الســـجـــود والاقـــتـــراب
الـــديـــن زهـــد واحـــتســـا ... ب وهـــو ســـعـــي واكـــتســـاب

وقال في قصيدة أخرى بعنوان: (يا أخت عمورية):

قلنا وأصغى السامعون طويلا — خلوا المنابر للسيوف قليلا
سقنا الأدلة كالصباح لهم فما — أغنت عن الحق الصراح فتيلا
من يستدل على الحقوق فلن يرى — مثل الحسام على الحقوق دليلا
إن صمت الآذان لم تسمع سوى — قصف المدافع منطقاً معقولا
لغة الخصوم من الرجوم حروفها — فليقرأوا منها الغداة فصولا
لما أبوا أن يفهموا إلا بها — رحنا نرتلها لهم ترتيلا
أدت رسالتها المنابر وانبرى — حد السلاح بدوره ليقولا
ولقد بحثت عن السلام فلم أجد — كإراقة الدم بالسلام كفيلا

وله قصيدة بعنوان: (تكلمي يا كتائب):

غض المفاوض صوته فتكلمي — بلسان نار يا كتائب أو دم
لم يفهم المحتل من خطبائنا — فلتفهموا المحتل ما لم يفهم
ما أيد الحق المضاع كمنطق — تدلي به شفة السلام الأبكم
تتحرر الأوطان بالدم وحده — إن الخطابة رأس مال المعدم
اليوم قد وضح النهار لمدلج — ومشى الدليل على السبيل الأقوم
قل للشبيبة أنت مصباح الحمى — وصباحه في كل داج مظلم
قد دق ناقوس الجهاد فأنصتي — ودعا الحمى أبطاله فتقدمي

معرفتي به:

كنت وزملائي الطلاب في المدرسة الابتدائية نحفظ قصيدته العصماء التي تتحدث عن أحوال المسلمين ومطلعها:

مالي وللنجم يرعاني وأرعاه — أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصاً جناحاه

وقد تأثرنا غاية التأثر رغم صغر سننا في ذلك الوقت حتى إذا كبرت حصلت على ديوانه الشعري وحفظت الكثير من قصائده، وجاءت فترة دراستي الجامعية بمصر من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٤م من أجمل الفترات التي سعدت بها في الاجتماع بكبار الأدباء والشعراء بمصر ومنهم أستاذنا الكبير محمود غنيم، وقد قرأت مسرحيته الرائعة: «المروءة المقنعة» وأعجبت بها فأرسلتها إلى أخي وزميلي الأستاذ عمر الدايل المدرس بمدرسة النجاة الذي قام بتدريب تلامذته على تمثيل هذه المسرحية وأخرجها في الحفل السنوي لمدرسة النجاة الأهلية في الزبير، وكانت رائعة نالت إعجاب الأساتذة والطلاب والحضور من ضيوف المدرسة ثم انقطعت الصلة بعد تخرجي وعودتي إلى الزبير.

وأثناء عملي بالكويت مديراً للشؤون الإسلامية، زارني الأستاذ محمود غنيم عام ١٩٦٩م بمكتبي بالوزارة، وكان لقاءً حاراً وذكرته بالقصيدة، وقلت: إذا كنت تقول قبل أكثر من ربع قرن: إن الإسلام كالطير مقصوصاً جناحاه فماذا تقول الآن بعد هذه النكسة والهزيمة التي مُنيت بها بعض الجيوش العربية بزعامة أشباه الرجال من الحكام الطغاة؟!

فقال: في السابق كان الإسلام مقصوص الجناحين، أما اليوم فإن السهام تطعن في القلب فتنزف الدماء.. وكانت أحاديث ذات شجون عن أحوال المسلمين في العالم، وواجب الدعاة ومسؤوليتهم تجاه إخوانهم المسلمين، وبخاصة المستضعفين في الأرض.

قالوا عنه:

يقول الأستاذ الكبير محمود عبدالحليم مؤلف كتاب «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ»: «محمود غنيم شاعر عربي عظيم، يعتبر بلبل الإسلام الصدّاح، وكانت قصائده التي تنشر في مجلة (الرسالة) القاهرية

لصاحبها أحمد حسن الزيات في المناسبات الإسلامية، أنشودة يتغنَّى بها الأدباء، ويقتبس منها الخطباء، ويحفظها النابهون من الشباب. وقد نشرت له (الرسالة) في عددها الخاص بالهجرة سنة ١٩٣٦م قصيدة عامرة لروعتها وتعبيرها أدق التعبير عن فكرة الإخوان المسلمين، حيث تقول:

ما لي وللنجم يرعاني وأرعاه ... أمسى كلانا يعاف الغمض جفناه

إني تذكرتُ والذكرى مؤرقة ... مجداً تليداً بأيدينا أضعناه

ويح العروبة كان الكون مسرحها ... فأصبحت تتوارى في زواياه

كم صرّفتنا يد كنا نصرّفها ... وبات يملكنا شعب ملكناه

كم بالعراق وكم بالهند ذو شجن ... شكا فرددت الأهرام شكواه

هي الحقيقة عين الله تكلؤها ... فكلما حاولوا تشويهها شاهوا

هل تطلبون من المختار معجزة ... يكفيه شعب من الأجداث أحياه

ووحَّد العرب حتى كان واترهم ... إذا رأى ولد الموتور آخاه

وكيف كانوا يداً في الحرب واحدة ... من خاضها باع دنياه بأخراه

وكيف ساس رعاة الإبل مملكة ... ما ساسها قيصر من قبل أو شاه

وكيف كان لهم علم وفلسفة ... وكيف كانت لهم سفن وأمواه

سنّوا المساواة لا عرب ولا عجم ... ما لامرئ شرف إلا بتقواه

وقررت مبدأ الشورى حكومتهم ... فليس للفرد فيها ما تمنّاه

ورحّب الناس حين رأوا ... أن السلام وأن العدل مغزاه

يا من يرى عمراً تكسوه بردته ... والزيت أدم له والكوخ مأواه

يهتز كسرى على كرسيه فرقاً ... من بأسه وملوك الأرض تخشاه

سل المعالي عنا إننا عرب ... شعارنا المجد يهوانا ونهواه

هي العروبة لفظ إن نطقت به ... فالشرق والضاد والإسلام معناه

استرشد الغرب بالماضي فأرشده ... ونحن كان لنا ماض نسيناه

إنا مشينا وراء الغرب نقبس من ضيائه فأصابتنا شظاياه

بالله سل خلف بحر الروم عن عرب بالأمس كانوا هنا ما بالهم تاهوا

أين الرشيد وقد طاف الغمام به فحين جاوز بغداداً تحدّاه

ماض نعيش على أنقاضه أمماً ونستمد القوى من وحي ذكراه

إني لأعتبر الإسلام جامعة للشرق لا محض دين سنّه الله

أرواحنا تتلاقى فيه خافقة كالنحل إذ يتلاقى في خلاياه

دستوره الوحي والمختار عاهله والمسلمون وإن شتوا رعاياه

ويقول الأستاذ أحمد الجدع: «زار الشاعر محمود غنيم بلاد الأندلس، تجوّل في ربوعها.. زار قرطبة.. إشبيلية.. غرناطة، طافت به ذكريات الماضي.. ماضي أجداده من المسلمين عندما كانوا لهذه الربوع حكاماً وسادة.. كانوا لها سادة عندما حكموها باسم الله وبشرعه المبين، فلما انحرفوا ونسوا ذكر الله انتزعها منهم من هم دونهم، وضاعت من أيديهم. وفزع الشاعر إلى قوافيه يبثها الشكوى وينفث في كلماتها حرقته على ما ضاع من بلاد الإسلام.

وفاته:

انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، بعد عمر طويل قضاه في الدفاع عن الإسلام وقضايا المسلمين، ودفن بالقاهرة رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





الزعيم المجاهد محيي الدين القليبي

(١٣١٨ ـ ١٣٧٤هـ = ١٩٠١ ـ ١٩٥٤م)

مولده ونشأته:

وُلد في بلدة (اقليبية) في تونس سنة ١٣١٨هـ ـ ١٩٠١م) تعلم في جامعة (الزيتونة) واشتغل بالصحافة وتولى تحرير جرائد (الإرادة) اليومية و(الصواب) الأسبوعية و(لسان الشعب) الأسبوعية وترأس تحرير صحيفة (الزهرة) وهي أقدم صحف تونس العربية؛ وأدار أعمال الحزب الدستوري التونسي بعد سفر رئيسه (عبد العزيز الثعالبي) إلى الشرق. وقد قال له الثعالبي: جعلت الحزب أمانة في عنقك.

اعتقله الفرنسيون سنة ١٩٣٤م ونُفي إلى الصحراء ثم أطلق سراحه بعد سنتين تقريباً. وحج إلى بيت الله الحرام سنة ١٩٤٧م ثم سافر إلى مصر واستقر فيها مواصلاً العمل لقضية بلاده، وهناك التقى الإمام الشهيد حسن البنا ـ المرشد العام للإخوان المسلمين ـ الذي عاونه وساعده في

التعريف بقضايا المغرب العربي من خلال صحف الإخوان المسلمين ومجلاتهم.

صفاته:

هو الرجل الفذ والزعيم بحق والمجاهد بصدق، الذي يؤثر العمل على القول، ويجول في البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً، معرفاً بقضية بلاده المسلمة تونس، التي استعمرها الفرنسيون وأذاقوا شعبها ألوان البلاء وأنواع العذاب، ونشروا فيها الفسق والفساد، وأحلوا فيها الدمار والخراب، وعملوا على سلخها من دينها ولغتها، وتجريدها من أخلاقها وتقاليدها، لتحويلها إلى قطعة من فرنسا بمفاسدها ورذائلها ومباذلها.

اتصف هذا الزعيم التونسي الكبير بالالتزام الإسلامي في قوله وعمله، وأخلاقه وسلوكه، كما كان النموذج الصادق للمسلم المعتز بدينه المستعلي بإيمانه، المترفّع عن مراتع خفافيش الظلام وأشباه الرجال من أدعياء الزعامة الفارغة والأمجاد الكاذبة من الدمى المتحركة، التي يسلّط عليها المستعمرون أضواءهم، ليصنعوا منهم أبطالاً يخدعون بهم الشعوب وهم في حقيقة أمرهم عبيد للمستعمرين مسخرون لخدمتهم وترسيخ أقدامهم في ديار المسلمين.

معرفتي به:

رأيت صورته المنشورة في صفحة التعارف الإسلامي بمجلة (الشهاب) الشهرية التي كان يصدرها الإمام الشهيد حسن البنا سنة ١٩٤٧م؛ وقرأت تعريف الإمام البنا بشخص الزعيم القليبي فتعلّق قلبي به وأكبرت جهاده وجهوده في سبيل الإسلام والمسلمين وبخاصة المغرب العربي؛ وحين سعدتُ بلقائه وجدته أكبر مما كنت أتصور؛ فهو شخصية فذّة وداعية مجاهد، صلب العود، قوي

العزيمة، دائم العمل في الليل والنهار، كثير التجوال والترحال في سبيل الله والمستضعفين في الأرض.

جولاته ورحلاته:

قام المجاهد المسلم محيي الدين القليبي بجولات أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات الميلادية في كل من مصر وسوريا والعراق والأردن وغيرها من ديار العروبة والإسلام، التقى خلالها رجالات الإسلام وأعلام الحركة الإسلامية أمثال الإمام الشهيد حسن البنا بمصر والشيخ الصواف بالعراق والدكتور السباعي بسورية وغيرهم من قادة الفكر ورجال الدعوة وزعماء المشرق العربي والمغرب العربي على حد سواء، وكانوا يتدارسون الأوضاع في بلدان المغرب العربي بخاصة والعالم العربي والإسلامي بعامة، وكان الصراع المحتدم بين دعاة العروبة والإسلام من جهة، وبين دعاة التغريب والفرنسة من جهة أخرى، وكان الاستعمار الفرنسي يمدّ الفريق المعادي للعروبة والإسلام بكل وسائل الدعم والمساعدة والتأييد والمساندة والعون والتعضيد.



محيي الدين القليبي والشيخ الإبراهيمي الجزائري

وكانت لقاءات القليبي مع القادة والزعماء المسلمين ذات مردود طيب وأثر نافع، حيث أقيمت المؤتمرات وعقدت الندوات وقامت المظاهرات الصاخبة وارتفعت الأصوات تدين فرنسا وتطلب منها رفع يدها عن تونس وغيرها من بلاد المغرب العربي، كما أصدرت مجلة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية أعداداً خاصة عن شعوب المغرب العربي ومعاناتها من الاستعمار وجهادها ضد فرنسا وكشفت عن جرائمها البشعة بحق هذه الشعوب المسلمة.

بساطته وزهده:

كان الأستاذ القليبي بسيطاً في مظهره غاية البساطة، حتى إن أحد الإخوة السوريين المكلّف بمرافقته اقترح عليه أن يرتدي ثياباً جديدة لمقابلة رئيس الوزراء الذي كان على موعد معه، فغضب القليبي غضباً شديداً وقال للأخ: إننا لا نقابل الناس بثيابنا ولكن بنفوسنا، والرجال بمخابرها لا بمظاهرها، فسكت الأخ وردد قول الشاعر:

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام

واستقبل رئيس الوزراء السوري الأستاذ القليبي بكل احترام وتقدير وإكبار وتوقير، للمهابة التي يتميز بها والأخلاق العالية التي يتصف بها، وكان الرئيس أذناً صاغية لما يقوله هذا الزعيم المجاهد عن أحوال الشعب التونسي المضطهد ومعاناته من ظلم الاستعمار الفرنسي وصنائعه من العملاء المرتزقة.

توجيهاته:

كان القليبي في أحاديثه للشباب المسلم الذين التقاهم في مصر وسوريا والعراق والأردن وفلسطين، يؤكد على ضرورة بناء الشخصية الإسلامية، المتميزة بصفاء العقيدة، وقوة الشخصية، ومتانة الخلق، ورجاحة العقل، والحكمة والتروي في محاكمة القضايا والأحداث، ويثير فيهم معاني الاعتزاز

بالإسلام، والانتساب لهذه الأمة، التي هي خير أمة أخرجت للناس، كما كان يؤكد على عالمية الإسلام ووحدة الشعوب الإسلامية وضرورة انصهارها في بوتقة واحدة، ترفع راية التوحيد، وتستظل في ظلال الإسلام، وتحكِّم شرعه بين الأنام، كما كان يوضح بأن الطريق لتحقيق ذلك إنما يكون ببناء الرجال الأشداء الذي يسلكون مسلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين والسائرين على نهجهم دون التفات للمتخلفين أو المثبطين، لأن الحياة صراع بين الحق والباطل والكفر والإيمان، والإسلام دين لا يهزم ألبتة، ولكن المسلمين ينهزمون إذا تخلوا عن منهج الله وسنة رسوله ﷺ وينتصرون إذا تمسكوا بهما، وإن سنن الله ماضية لا تحابي أحداً، فمن زرع حصد ومن جد وجد ومن سار على الدرب وصل.

فعلى الشباب الأخذ بالأسباب، وإعداد العدة ليوم النزال، فأعداء الإسلام لن يتوقفوا عن حرب الإسلام والمسلمين حتى يدع المسلمون دينهم ويسيروا في ركاب الكافرين: ﴿**ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة: ٢١٧].

فخذوا حذركم يا شباب الإسلام فأنتم أمل هذه الأمة، وعليكم معقد رجائها، فلا تخيبوا آمالها فيكم وكونوا غدها المشرق وعدتها في الملمات.

محبة الشباب له:

كان للقليبي مع الشباب المسلم بمصر والعراق وسوريا والأردن وفلسطين جلسات وسهرات، وأحاديث وندوات، ومحاورات ومساجلات، استفادوا فيها من خبراته وتجاربه، وتوجيهاته وتوصياته، فأحبوه كما يحب الابن أباه والتلميذ أستاذه، وعاهدوه على أن يكونوا رجال الإسلام وحملة دعوته، ولقد صدق الكثير منهم فيما قالوا، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

نعم لقد احتلّ الأستاذ القليبي سويداء قلوبنا، وأحببناه من أعماقنا ووجدنا فيه

الأب الحاني والأستاذ المربي، والداعية الحكيم، والعامل المخلص والرجل الشجاع، لأنه من نوادر الرجال الذين آثروا ما عند الله على ما عند الناس، وخرجوا من الدنيا الفانية وليس لهم من متاعها إلا الجهاد والمجاهدة والصبر والمصابرة، فكان الدرة الثمينة في جبين الحركة الإسلامية، ومهما حاول الأقزام وأشباه الرجال أن يسدلوا الستار على ذكره وأن يعفوا على رسمه، فإن أصحاب الحق في كل مكان يعرفون من هو الزعيم المجاهد محيي الدين القليبي، كما أن المخلصين من أبناء الشعب التونسي المسلم والأوفياء من الرجال يدركون الدور العظيم الذي قام به من أجل دينه وأمته ووطنه، والعالم الإسلامي يعرف للرجل مواقفه المشهودة في المؤتمرات وجهاده في سبيل الإسلام والمسلمين سواء في تونس أو غيرها من ديار المسلمين.

شهادة بحقه:

يقول الأستاذ عصام العطّار:

«رأيته أثناء انعقاد المؤتمر الإسلامي في القدس سنة ١٩٥٣م وقد طلع بقامته الطويلة الهزيلة المحنية قليلاً عند الكتفين ووجهه المستطيل الحزين وجبهته الواسعة وعينيه الصغيرتين المفكرتين ولحيته القليلة وخطها الشيب، كان يجلس وراء الصفوف في الحفلات والاجتماعات حيث يتقدم الآخرون، وكنا نفتقده في مجالات المجاملة والظهور، كما نفتقد بعضهم في مجال العمل المستور.. وإذا كان هناك من حضر المؤتمر لإبراز شخصه، فقد حضر هذا الرجل لخدمة قضيته فهو يطلب دوماً العمل المنتج ويؤثر السبيل المثمر، فلا تراه إلا حيث النظر الجاد والتنظيم العملي والتنفيذ السريع.. لقد كان رائعاً هذا (الشيخ) الطويل الهزيل الحزين، كان أعظم من المظاهر التي استولت على بعض الحضور؛ وكأنما كان به يأس من جيل مضى وأمل في جيل أقبل.

لقد امتاز القليبي بنظرة إسلامية خالصة، تكلم مرة في جمهور ضخم في قاعة

الجمعية الغراء في دمشق بمناسبة حل جماعة الإخوان المسلمين بمصر سنة ١٩٥٤م فأعلن أنه لا يقبل أن يقال: هذه قضية داخلية لا يتكلم فيها غير مصري وأنه لا يعترف بحدود الأرض ولا اللغة بين المسلمين ولا يؤمن إلاّ بوطن واحد هو وطن (الدين) لا وطن العصبية و(الطين).

ثم عرض لحل الإخوان المسلمين فوصل هذه القضية بالمشكلة الإسلامية الكبرى وعاد بنا إلى جذور هذه المشكلة في الزمان والمكان وإلى ظواهرها في الماضي والحاضر وإلى نتائجها المنتظرة في المستقبل.. ثم أشار إلى السبل الصحيحة في العمل.

زرته في بيت محمد كامل التونسي وكان مريضاً ممدداً على السرير متورم الأطراف مصفر الوجه بادي الإعياء. وذهبت بعد ذلك بأيام لزيارة الأستاذ المرشد حسن الهضيبي في بلودان أثناء زيارته التاريخية لسوريا سنة ١٩٥٤م فسألني: كيف حال الأستاذ القليبي؟ فأخبرته باشتداد المرض عليه، فقال: إذا رجعت إلى دمشق فأبلغه سلامي وقل له على لساني: إن المسلمين لا يريدون منك الآن إلا أن تهتم بصحتك وزرته في المستشفى الجراحي في (دوما) وقد نقلوه إليه لاشتداد المرض، وأبلغته سلام المرشد الهضيبي وأنه حملني إليه رسالة.. قال: وما هي؟ قلت: إنه يقول لك: إن المسلمين لا يريدون منك الآن إلا أن تهتم بصحتك وتترك ما تقوم به. فانتفض انتفاضة شديدة وقال: وما هي فائدة حياتي وصحتي إذا لم أؤد حق الله عليّ وأقم بواجبي. إنني أعيش للعمل في سبيل الله، فلا أقبل أبداً أن أترك العمل للعيش. ثم قال بصوت رزين عميق وقد ترقرقت في عينيه الدموع: إنني لأشعر باقتراب نهايتي ولديَّ أشياء أريد أن أقولها للمسلمين وأشياء أريد عملها لهم ولم يعد في العيش فسحة للانتظار، فلا بد إذن أن أجهد نفسي لتحقيق ما أريد قبل حلول أجلي، إنني لن أترك خدمة عقيدتي للاحتفاظ بهذا الجسد الفاني، ولن أؤثر سلامتي على أداء رسالتي، فإذا قتلني الإجهاد ـ كما تخشون ـ فمرحباً بالموت في طاعة الله.

وبعد عدة أيام حُمل الأستاذ القليبي إلى مستشفى المجتهد في الميدان بدمشق وفي الساعة العاشرة من آخر ليلة في شهر نوفمبر سنة ١٩٥٤م زرته مع الدكتور مصطفى السباعي وكان غائباً عن الوعي، فدعونا الله بقلوبنا الواجفة أن يكون مع هذا الرجل العظيم. وفي اليوم الثاني كنت أسير في جنازة المرحوم القليبي وتكلم د. سعيد رمضان وتكلم الأستاذ التونسي وتكلمت فقلت: «ما فقدنا الأستاذ القليبي.. لقد انتقل من عالمنا الخارجي إلى عالمنا الداخلي؛ لقد انطوت عليه الجوانح قبل أن ينطوي عليه القبر، واشتمل عليه التاريخ قبل أن يشتمل عليه التراب، إنه مثل رائع للنظرة الإسلامية الخالصة والقيادة الواعية والاستشهاد في الجهاد رحمه الله» انتهى.

آثاره:

كان الجانب العملي والطبيعة التنفيذية هي الطابع الواضح للأستاذ القليبي وكان يؤثرها على ما عداها ورغم أنه صحفي في الأساس ولكن حركته في أوساط الجماهير ودعوته العامة لنصرة الإسلام والمسلمين حيثما كان هي المحرك لكل نشاطاته، ومع هذا فقد أصدر بعض الكتب منها على سبيل المثال لا الحصر:

مأساة عرش.

رسالة عن التعليم في تونس.

ذكرى الحماية.

وغير ذلك من البحوث والمقالات والمحاضرات في مختلف الصحف والمجلات العربية بتونس وغيرها.

وشباب الصحوة الإسلامية في تونس يعرفون رجالها من أصحاب السابقة وذوي الفضل والرواد الأوائل الذين شقوا الطريق، ورسموا معالمه، وبينوا للأمة دورها وأهابوا بها للسير فيه إلى مواطن النصر.

وإنني لأدعو قادة الحركة الإسلامية المعاصرة في تونس لتقديم سيرة القليبي

لإخوانهم العاملين معهم، ليقفوا على الجوانب المشرقة والصفحات المضيئة من سجل جهاده الدائب، وعمله الموصول ومواقفه الصلبة وآرائه السديدة، وهذا أقل ما يجب من الوفاء لمثل هذا العالم العامل، والمجاهد الصادق، الذي جاد به الزمان في أحرج الفترات، فكان طليعة الركب وقائد المسيرة وبطل الأزمات ورجل المواقف.

نسأل الله العلي القدير أن يجزي أستاذنا الكبير محيي الدين القليبي خير ما يجزي عباده الصالحين وأن يوفق العاملين في حقل الدعوة الإسلامية بتونس وغيرها إلى الثبات على الحق والصبر على البلاء واستشراف النصر من واهب النصر: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾ [الحج: ٤٠].



العالم الداعية مسعود عالم الندوي

(١٣٢٨ ـ ١٣٧٣هـ = ١٩١٠ ـ ١٩٥٤م)

معرفتي به:

كان من أوائل من عرفتهم من الدعاة ـ غير العرب ـ عام ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م عن طريق أستاذنا الشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي المغربي الذي أوصاني به خيراً وطلب مني ومن إخواني عبد العزيز الربيعة وعبد الواحد أمان وعمر الدايل وعبدالله الرابح وعبد الهادي الباحسين وعبد الصمد الرديني، مساعدته في جولته في البلاد العربية، لأنها أول زيارة يقوم بها وقد ذكرها في كتابه (شهور في ديار العرب) بقوله: «.. بعد وصولنا البصرة يوم الخميس ٦ رجب ١٣٦٨هـ الموافق ٥ / ٥ / ١٩٤٩م ذهبنا نبحث عن عبدالله العقيل حيث كان الأستاذ الكريم الفاضل الدكتور تقي الدين الهلالي قد أعطانا عنوانه وكان على علم بوصولي لكنه لم يكن يعرف تاريخ الوصول بالضبط ولهذا لم يستطع القدوم لاستقبالنا في الميناء، لقينا الرجل بترحاب وبحب وإخلاص وود، رجل في عنفوان الشباب له

مكانة طيبة، سلفي العقيدة ليس بضيق الأفق ولا بقصير النظر، ظل يسأل عن الحال بكل ود ومحبة ويتحقق من أن أمورنا تمضي على ما يرام، عاطفة دينية صادقة، وحماس فياض، لغته سهلة بسيطة مستواها أعلى من اللغة العادية، ربما كان هذا من فيض الأستاذ الهلالي؛ تأثرت كثيراً بهذا الشاب، فما يتصف به من حماس وما بداخله من عاطفة قوية لخدمة الدين أمر يستحق التقدير العظيم.

في صحبة عبدالله العقيل التقيت بعدد من الشباب، حلقة طيبة، تضم طلاب علم، وموظفين في مكاتب رسمية، يعملون في صمت، فإذا ما وجدت أدنى شبهة في انتمائهم إلى حركة دينية مثل الإخوان المسلمين بدأت المحاسبة والمؤاخذة، فالتشدد مع الإخوان المسلمين في العراق ومصر على حد سواء.

وقد رافقنا عبدالله العقيل وعبد الهادي الباحسين إلى الفندق وشرحنا لهما أوضاع الجماعة الإسلامية بالهند وباكستان وأخذا نسخة من كل كتيب باللغتين العربية والإنجليزية من مطبوعات الجماعة الإسلامية وقلت لهما: هذه هدية مشتركة للإخوان بالبصرة. وفي يوم الجمعة صلينا الجمعة بمسجد المقام بالعشار والتقينا مساء بشباب الإخوان وكان الحديث حول الدعوة الإسلامية وقد امتدح عبد الهادي الباحسين كتاب (النظرية السياسية) وكتاب (الحكومة الإسلامية) للسيد أبي الأعلى المودودي.

وفي يوم السبت جاء عبدالله العقيل عصراً فذهبنا معه إلى مكتب جمعية الآداب الإسلامية في جامع الخضيري بالعشار حيث يتجمع هناك شباب الإخوان يومياً وبعد صلاة المغرب ذهبنا إلى بيت عبد الهادي الباحسين وقد أوضحت للإخوان أسلوب ومنهج الدعوة لدى الجماعة الإسلامية فقال عبد الهادي الباحسين كلاماً كان له أعظم الأثر على قلبي، فقد شرح خطر فكرة القومية العربية وأنها أخطر من القومية الهندية لأن ما كسبه العرب وحصلوا عليه كان عن طريق الإسلام وبسببه فكيف نأتي بها بديلاً عن الإسلام.

وفي يوم الأحد زرنا مدينة الزبير التي تبعد عن البصرة مسافة عشرة أميال

تقريباً وتقع في سوق المربد القديم وفيها قبور الزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله، والحسن البصري، وغيرهم.

وسكان الزبير كلهم من القبائل النجدية التي استوطنتها منذ ثلاثة قرون، والحالة الدينية في البلدة طيبة وفيها من العلماء: محمد أمين الشنقيطي وتقي الدين الهلالي وناصر الأحمد ومحمد السند وعبد الله الرابح وغيرهم، وفيها مدرستان أهليتان (مدرسة النجاة الأهلية) و(مدرسة الدويحس الدينية) وفي الزبير جماعة من الشباب المحافظين على دينهم المتحمسين لعقيدتهم كما توجد (مكتبة المنار) التي يشرف عليها عبد العزيز سعد الربيعة وهو شاب ممتاز جداً التقى بي ورحب بي ترحيباً حاراً حيث كان عبد الله العقيل قد أخبره بوجودنا، وبقينا معاً إلى المساء حيث تناولنا العشاء في بيته.

إن الاستقبال الذي شهدناه في البصرة من عبدالله العقيل ثم من عبد العزيز الربيعة في الزبير وما اتصفا به من حسن خلق ومحاولاتهما توفير جميع سبل الراحة لنا بجميع الأشكال أمر لا يمكن لأحد أن يتصوّره لا في الهند ولا في باكستان ورغم هذا فهما دائماً يعتذران ويرددان هذه العبارة: (والله إننا مقصرون).

إن شباب الإخوان المسلمين هم محطّ آمالنا في العراق وتعتبر محاولة هؤلاء الشباب العودة إلى الدين ودعوة الآخرين للدين عمل شجاع وهمة عالية، وسط هذا الجو الذي يسوده خراب الأخلاق ونزعة الابتعاد عن الدين، وهم متحمسون تماماً ومخلصون، والحب الذي يجمعهم يدعو للغبطة والسرور وقد تحدثت مع هؤلاء الشباب لفترة طويلة فمطبوعاتنا تجد قبولاً لديهم ومعظمهم متأثر بها.

بعد المغرب ذهبنا إلى بيت عبدالله العقيل حيث تناولنا بعض الأطعمة والمشروبات فلا يوجد أحد في بيته ليلة الجمعة لأن أسرته تذهب إلى الزبير. ولا بد أن أشير هنا إلى أن والده وأسرته قلقون جداً بسبب علاقته بالحركات الدينية

وبسبب نشاطه الواسع ومن ناحية أخرى فهو أكثر الشباب هنا تحمساً لقد أعجبني كثيراً أسلوب هذا الشاب ومسلكه وطريقته في التعامل ومن المفرح أيضاً أنه لا يغيب عن نظره قوله تعالى: ﴿**وصاحبهما في الدنيا معروفاً**﴾.

وفي الزبير التقيت الحاج محمد العقيل والحاج سعد الربيعة والحاج فهد الراشد والشيخ عبدالله المزين وقد دعانا هؤلاء جميعاً إلى بيوتهم وزرناهم وتناولنا الطعام فيها. كما دعانا عبد الصمد الرديني وهو من شباب الإخوان المسلمين بالبصرة إلى تناول طعام الغداء في بيته مع عبدالله العقيل وطالب السامرائي وشباب الإخوان المسلمين في البصرة والزبير...» انتهى.

حدثنا الشيخ الهلالي بقوله: «إنني عملت في ندوة العلماء بلكنهؤ بالهند كمدرّس وأصدرت مع سليمان الندوي مجلة عربية باسم «الضياء» وذلك في ١٩٣٢م قبل سفري إلى ألمانيا».

والأستاذ مسعود الندوي من العلماء المتمكّنين في العلوم الإسلامية والعلوم العربية كزميله الشيخ أبي الحسن الندوي ـ رحمهما الله ـ وكان من المؤسسين للجماعة الإسلامية في الهند وباكستان التي يرأسها السيد أبو الأعلى المودودي، كما أنه مدير دار العروبة للدعوة الإسلامية بباكستان، وقد بدأ الأستاذ مسعود بترجمة مؤلفات المودودي إلى العربية، وكانت ترجمته إلى العربية من أقوى التراجم وأدقها ومن هذه الكتب التي تم ترجمتها سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م: الدين القيم، وشهادة الحق، ومنهاج الانقلاب الإسلامي، ونظرية الإسلام السياسية، والإسلام والجاهلية، ونظام الحياة في الإسلام، ومعضلات الاقتصاد وحلها في الإسلام.. إلخ.

والأستاذ مسعود الندوي من العلماء الذين يزينهم التواضع والبساطة في المظهر والملبس والحديث والمعاملة، كما هو الشأن الغالب في علماء شبه القارة الهندية، ولكنه على قدر كبير من المعرفة بالعلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية، كما أن له اطلاعاً واسعاً على الأدب العربي شعراً ونثراً، وله إسهامات في

الكتابة عن الموضوعات الإسلامية والقضايا المعاصرة باللغتين الأردية والعربية على حد سواء.

وكان رفيقه في رحلته إلى البلاد العربية الأخ محمد عاصم الحداد، الذي تولى أمر إدارة دار العروبة للدعوة الإسلامية بعد وفاة الأستاذ مسعود الندوي.

إن لقاءنا بالأستاذ مسعود عالم الندوي، يعتبر فاتحة اطلاعنا على فكر الأستاذ المودودي إذ إن الكتب التي اصطحبها بالعربية والمطبوعة في باكستان سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٧م والمذكورة آنفاً، هي أول زاد نتلقاه عن فكر المودودي، كما أننا من خلال الأستاذ مسعود وتلميذه الأخ عاصم، عرفنا الكثير عن الجماعة الإسلامية التي يرأسها المودودي وأدركنا الشبه الكبير بينها وبين جماعة الإخوان المسلمين في العالم العربي.

وحين ذهبتُ إلى مصر للدراسة الجامعية أواخر سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م أخذت نسخاً من تلك الكتب، وأطلعت عليها إخواننا الزملاء في الدراسة، فأعجبوا بها غاية الإعجاب واعتبروها ظهيراً لفكر الإخوان المسلمين وكثيرة الشبه ـ إلى حد كبير ـ بما كتبه الأستاذ حسن البنا في رسائله الدعوية والحركية، وتحمسوا لطباعتها بمصر، وقام الأخ عبد العزيز السيسي ـ رحمه الله ـ بطباعتها عن طريق مكتبة الشباب المسلم بالحلمية الجديدة بالقاهرة، وتم توزيعها بأعداد كبيرة في أوساط الإخوان والشباب المثقف بجامعات مصر.

ألّف الأستاذ مسعود الندوي كتابه عن رحلته إلى البلاد العربية (شهور في ديار العرب)، ولكن باللغة الأردية، وقد حدثنا عن هذا الكتاب أستاذنا السيد أبو الحسن الندوي حين زار مصر سنة ١٩٥١م والتقينا به، فإذا به يعرفني من خلال الأستاذ مسعود وقال لي: عرفتك قبل أن أراك، لأن الأستاذ مسعود ذكرك في كتاب رحلته (شهور في ديار العرب) وفي هذا الكتاب يقول مسعود الندوي عن الإخوان المسلمين: «في بغداد شعرنا بوجود حسد شديد بين العلماء، فالطبقة الجديدة منهم طبقة بعيدة عن الدين وينتشر فيها سوء الخلق؛ وفي دائرة الإخوان

المسلمين يوجد عدد لا بأس به من الشباب الصالح يتحلون بالشجاعة وفيهم أيضاً عاطفة التضحية. فهؤلاء الشباب هم محط آمالنا في العراق وتعتبر محاولتهم العودة إلى الدين ودعوة الآخرين للدين عملاً شجاعاً وهمّة عالية وسط هذا الجو الذي يسوده خراب الأخلاق ونزعة الابتعاد عن الدين، وهم متحمّسون تماماً ومخلصون والحب الذي يجمعهم يدعو للغبطة والسرور ففيهم حماس ورغبة في العمل تجمعهم محبة شديدة ويضمهم انسجام يفوق ما نشاهده لدى رفاقنا في الهند وباكستان إلاّ أنهم يفتقدون ما لدى رفاقنا من عمق الفكر وبعد النظر والفهم الصحيح للقضايا وهذا هو الفرق بين الأسلوب الأساسي للدعوة فرئيس جماعتنا المودودي يخلو من العواطف ويعتمد كلية على الفكر والنظر، وعلى العكس منه كان المرحوم حسن البنا الذي كان يميل كلية إلى العواطف والحماس، وقد أدركت ذلك بعد قراءة مذكرات الدعوة والداعية لحسن البنا.

ويمكن أن لا يكون رأيي صحيحاً تماماً، ولكن هذا لا يعني أيضاً أن فهمه للدين لم يكن صحيحاً فالإخوان لا يكتفون ـ مثل جماعة مولانا الياس التبليغية ـ بنطق كلمة الشهادة فقط، بل يوجد في دعوتهم تصور شامل وجامع للدين» انتهى.

كما ألّف الأستاذ مسعود كتاباً عن المصلح المجدد الإمام محمد بن عبد الوهاب، ودافع عنه، ورد كيد الذين تطاولوا عليه كذباً وزوراً، وبيَّن دعوته وأهدافها، وأنها دعوة سلفية تتخذ الكتاب والسُّنَّة منهجها، وتتصدى للبدع والخرافات وما أُلصق بالدين وليس منه، وقد أحدث هذا الكتاب أثره في القارة الهندية لأن الكثير من المسلمين قد شوهت في أذهانهم حركة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب نتيجة كتابات بعض الجهلة والمرتزقة وأدعياء العلم.

وصفوة القول: إن الأستاذ مسعود عالم الندوي، رجل اجتمعت فيه صفات عدة، فهو عالم وداعية وأديب وكاتب ومؤلف ومترجم، فضلاً عن أنه رحالة

يجوب الأقطار ويتصل بالدعاة والعاملين في الحقل الإسلامي بكل مكان، ويدعو إلى توحيد جهود العاملين للتصدي لأعداء المسلمين الذين أجمعوا أمرهم على حرب الإسلام والمسلمين.

ومسعود عالم يُنسب إلى الندوي، لأنه خريج ندوة العلماء بلكنو بالهند، وهو من زملاء علماء الندوة وأبي الحسن الندوي وغيرهم ممن سبقهم أو زاملهم أو أتى بعدهم، فكلهم ولله الحمد علماء غيورون على الإسلام، دعاة إلى الله يعنون بالعربية عناية تامة، باعتبارها لغة القرآن الكريم والنبي العظيم ولذا نجد معظم الندويين أدباء باللغة العربية، وكتاباتهم وخطبهم ومحاضراتهم في غاية البلاغة والفصاحة بخلاف الكثيرين من علماء الهند، رغم تبحرهم في العلوم الإسلامية الأخرى.

وأخيراً فقد كان للأستاذ مسعود عالم الندوي فضله في التعريف بفكر المودودي والجماعة الإسلامية بين المسلمين خاصة في البلاد العربية وعلى الأخص وسط العاملين في الحقل الإسلامي بعد أن قام بترجمة أكثر مؤلفات السيد أبي الأعلى المودودي ونشرها كما أن له مؤلفات كثيرة باللغة الأردية وباللغة العربية منها كتاب (نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند وباكستان) وكتاب (الشيخ محمد بن عبد الوهاب الداعية المظلوم والمفترى عليه) وكتاب (شهور في ديار العرب) الذي قام بترجمته من الأردية الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقامت بطباعته مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض وذلك بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية سنة ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

والأستاذ مسعود عالم الندوي من المهتمين بنشر اللغة العربية وآدابها باعتبارها لغة القرآن الكريم حتى إنه سمى الدار التي تتولى طباعة الكتب الإسلامية (دار العروبة للدعوة الإسلامية) وهو مديرها ويساعده الأستاذ محمد عاصم الحداد رفيقه في الرحلة إلى البلاد العربية والحج والذي تولى الإدارة بعد وفاة الشيخ

مسعود الندوي ثم بعد وفاة الأستاذ محمد عاصم الحداد تولى إدارة دار العروبة للدعوة الإسلامية الأستاذ خليل أحمد الحامدي رحمهم الله جميعاً وجزاهم كل خير على ما قدموا.

نسأل الله المولى القدير أن يتقبل عمل أستاذنا مسعود الندوي وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي عباده الصالحين، وأن يتغمده برحمته ورضوانه، ويجمعنا وإياه في جنته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.



المؤلف يلقي محاضرة في المؤسسة الإسلامية بمدراس بالهند سنة ١٩٧٠م





الشيخ مشهور الضامن

رائد الإخوان في فلسطين..

(١٣٣٧ ـ ١٤١٩هـ =١٩١٨ ـ ١٩٩٨م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ مشهور ضامن بركات.. ولد سنة ١٩١٨م في مدينة (نابلس) بفلسطين، وهو من عشيرة المساعيد المنتسبة إلى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه من قبيلة هذيل. ونشأ في بيئة محافظة، وكانت أمه امرأة صالحة، أحسنت رعايته، فنشأ نشأة متدينة، وكان يلتزم بصلاة الفجر في المسجد منذ صغره، وقد رأى أكثر من رؤيا تحثه على طلب العلم، فكان قراره الذهاب لمصر لمتابعة الدراسة الشرعية في الأزهر.

سيرته العملية:

وفي مصر تعرّف إلى الإمام حسن البنا (رحمه الله) ودخل جماعة الإخوان المسلمين، كما تعرّف في مقاعد الدراسة بالأزهر في منتصف الثلاثينيات

الميلادية إلى الشيخ مصطفى السباعي، الذي أصبح فيما بعد المراقب العام للإخوان المسلمين في سورية، وتعمقت الصلة بينهما، ولعله يكون أول الإخوان المسلمين من فلسطين.

وخلال دراسته في الأزهر، قام الشيخ مشهور الضامن مع صديقه الشيخ مصطفى السباعي، بمجهود مميز في التعريف بقضية فلسطين، حين قامت الثورة الكبرى في فلسطين (١٩٣٦م ـ ١٩٣٩م)، فقد وقف في مكان يطل على كلية الشريعة بالأزهر، وخطب في الطلاب عن تاريخ فلسطين وجهاد شعبها وواجب المسلمين نحوها، وكان هذا على مسمع ومشهد من الشيخ محمود شلتوت، الذي هنأه بعد كلمته ودعا له بالتوفيق.

وتشاور الضامن مع السباعي وقررا العمل على توعية الناس بالقضية الفلسطينية، وقاما بدعوة الشيخ إبراهيم قطان، والشيخ هاشم خازندار، والشيخ راتب الدويك، والشيخ يوسف المشاري، للانضمام إليهما والعمل معاً، وبعد اجتماعهم قرروا طبع بيان يتضمن شرح قضية فلسطين، ومكانتها المقدسة في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وواجب العالم الإسلامي تجاهها، والدعوة لمقاومة الاحتلال البريطاني والعملاء، كما قرروا توزيع البيان يوم الجمعة في مساجد مصر وخارجها، وتمّ توزيع البيان وخطب بعضهم ومنهم السباعي في عدد من المساجد، داعين للجهاد في فلسطين أرض الإسراء والمعراج، الأرض المقدسة، وفي منتصف الليل، داهمت سكنهم في الأزهر قوة شرطة أخذتهم إلى التوقيف، وهناك طلب المحقق من الشيخ الضامن أن يدلّه على مكان الشخصية الوطنية الفلسطينية المعروفة «محمد علي الطاهر» فرفض الشيخ الضامن برغم علمه بالمكان، وشجّعه الشيخ السباعي على موقفه، ولما حان موعد الامتحانات النهائية، أدى المعتقلون الستة الامتحانات في السجن.

وبعد الامتحانات تمّ إخراجهم من مصر، ونقلوا عبر (غزة) إلى معتقل (صرفند) في فلسطين. وبعد أن استقر الشيخ الضامن في فلسطين، عيِّن مدرساً

في المدرسة الأحمدية في (عكا) ١٩٤٣م كما كان نائباً لمدير المدرسة الشيخ جمال السعدي.

جهوده ومواقفه:

رغم وجود أفراد من الفلسطينيين المنضمين إلى دعوة الإخوان المسلمين، والمؤمنين بفكرتهم، والملتزمين بمنهجهم منذ فترة مبكرة، إلا أنهم انتظروا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، للقيام بتشكيل فروع علنية لجماعة الإخوان المسلمين، وكان من أوائل هذه الفروع، فرع الإخوان المسلمين في مدينة نابلس الذي قام بإنشائه الشيخ مشهور الضامن سنة ١٩٤٦م، وكان هذا الفرع من أنشط فروع الإخوان المسلمين العلنية حتى منتصف الستينيات، وقد استمر الشيخ مشهور الضامن رئيساً له حوالي عشرين عاماً أو أكثر.

وفي حرب ١٩٤٨م كان للشيخ مشهور وإخوانه جهودهم الطيبة، وبلاؤهم الحسن، برغم إمكاناتهم المحدودة، ولم يكن وقع الكارثة وهزيمة الجيوش العربية، لينال من عزيمتهم وإخوانهم، فقام بإنشاء (جمعية التضامن الخيرية في نابلس) في نفس السنة، وأسهم في بناء المدارس والمعاهد الشرعية، وساعد أهل الخير ببناء دار كبيرة للإخوان المسلمين، صارت مركز إشعاع إسلامي في المنطقة، وأصبح الشيخ مشهور الضامن «مفتي نابلس» وكانت شعبة الإخوان المسلمين في نابلس من أنشط الشعب في الضفة الغربية، خلال الخمسينيات مع شعب (الخليل) و(القدس) و(عقبة جبر) وغيرها.

وقد ذكر الشيخ مشهور الضامن في تقريره سنة ١٩٥٠م، أن أعضاء فرع نابلس زادوا من مئتين إلى ثلاث مئة عضو خلال سنة واحدة من سائر طبقات المجتمع، وكانت شعبة نابلس أهم مراكز الإخوان المسلمين التي تقام فيها الأنشطة العامة والمهرجانات الخطابية، وكان يشارك فيها رجال المدينة وخطباؤها، فضلاً عن العديد من الزوار والضيوف أمثال الأستاذ عمر الداعوق

من لبنان، والشيخ محمد محمود الصواف من العراق، والأستاذين محمد عبدالرحمن خليفة ويوسف العظم من الأردن، وقد حظي فرع «نابلس» بزيارة للأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين في أواخر شهر يونيو سنة ١٩٥٤م.

وشكل إخوان نابلس فرقاً للكشافة والجوالة، وكان المشرف على التدريب السيد ممدوح النابلسي، وحين ارتكب اليهود مجزرة «قبية» في أكتوبر ١٩٥٣م، عقد اجتماع كبير من أهالي فلسطين في مدينة نابلس، وطالبوا بطرد الجنرال البريطاني كلوب باشا من الجيش الأردني، وقامت مظاهرات عارمة، وفي شهر نوفمبر ١٩٦٢م فاز الشيخ مشهور الضامن بأغلبية كبيرة في انتخابات البرلمان الأردني عن مدينة نابلس، كما فاز الأستاذ يوسف العظم عن مدينة معان، والأستاذ عبد المجيد شريدة عن مدينة إربد، وشكلوا كتلة الإخوان المسلمين في المجلس النيابي الأردني.

وقد سبق أن تولى الشيخ مشهور الضامن مسؤولية المراقب العام للإخوان للمسلمين بالنيابة سنة ١٩٥٧م، كما كان للإخوان المسلمين بفلسطين دور كبير في مؤازرة إخوانهم في المغرب العربي، وشكلوا (لجنة الدفاع عن المغرب العربي) ومحاربة فرنسا في تونس والمغرب والجزائر، وفي منتصف الستينيات حلت الحكومة الأردنية مجلس النواب الأردني، فغادر الشيخ مشهور الضامن الأردن إلى المملكة العربية السعودية للعمل كخبير للخطوط العربية، فقد كان هذا مجال تخصصه، بالإضافة لدراسته الشرعية الأزهرية.

من أقواله:

يقول في مقابلة له مع د. محسن محمد صالح:

«إنني تتلمذتُ على الإمام البنا، والتحقت بجماعة الإخوان المسلمين أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات أثناء وجودي للدراسة في مصر، وكان الإمام البنا

يؤمّل مني القيام بدور كبير في فلسطين، وقد دعاني قبيل عودتي إلى فلسطين وطلب مني أن أقوم سراً بجمع عناوين رجالات وشخصيات فلسطين وأرسلها إليه، وقد قمت بذلك والحمد لله خير قيام، وتواصلت من خلال هذه العناوين المراسلات بين الإمام البنا ورجالات فلسطين، وكان عنواني الشخصي يُستخدم لإيصال المراسلات إلى هذه الشخصيات».

قالوا عنه:

يقول الأستاذ الدكتور محسن محمد صالح:

«التقيته ثلاث مرات وأنا أحاول تسجيل جانب من التاريخ الشفوي للتيار الإسلامي الفلسطيني، وكان ابن الثمانين عاماً يتمتع بروح حيوية شابة، وبنفسية إيمانية عميقة واثقة بربها، لم يهزمها النوم على فراش المرض طوال سنتين بسبب آلام مبرحة في الظهر أصابته في اليوم التالي للقائه قيادات الحكم الذاتي الفلسطيني، بعد أن عاد محبطاً منهم حسبما ذكر لي لعدم الاستجابة لنصحه لهم، وقد دعاني الشيخ الوقور بروح دعابته الخفيفة إلى الانضمام إليه في عضوية (فرقة الشباب) التي قال لي إن شعارها: «لا تقل شاب قلبي، ولكن قل شاب ذقني، لا يشيب القلب وذكر الله فيه».

وتصاب بالخجل وهو يحرص على إكرامك وضيافتك بنفسه، ويقوم ليصافحك برغم آلامه ويضغط على يديك بقوة لتحس بنفسك (شبابه) يرحمه الله.

وربما لا يعرف كثيرون من أبناء الدعوة الإسلامية في هذه الأيام وحتى من الفلسطينيين أنفسهم الشيخ مشهور الضامن بركات، وربما كان عذرهم أنه ليس من الأسماء اللامعة في زماننا هذا، ولكنه على أي حال كان أحد أعلام الحركة الإسلامية الكبار في فلسطين والأردن منذ منتصف الأربعينيات وحتى منتصف الستينيات».

ويقول الأستاذ حسني أدهم جرار:

«الشيخ مشهور الضامن.. عالم جليل من العلماء الروّاد في أرض الإسراء والمعراج، وأحد أعلام الحركة الإسلامية الكبار في فلسطين والأردن، ومؤسس شعبة الإخوان المسلمين في نابلس عام ١٩٤٦م، وأول رئيس لها.. كان مفتياً لمدينة نابلس وقضائها منذ عام ١٩٥٢م، وعضواً في الهيئة العلمية الإسلامية بالقدس، ورئيساً لجمعية التضامن الخيرية بنابلس، وخطيباً لجامع الحاج نمر النابلسي.

كان من أبرز وجوه نابلس الذين يثق الناس بهم ويحترمونهم، وكان خير ممثل لهم في مجلس النواب الأردني عندما اختاروه عام ١٩٦٢م بأغلبية كبيرة.

كان مصلحاً كبيراً، ومربياً فاضلاً، ومعلم أجيال.. وكان داعية عاش لدعوة الإسلام، يدعو الناس للتمسك بها والسير على هداها، ولم يكن يعنيه في حياته إلا أن يطمئن على نجاحها قبل مماته.

كان صاحب همّة عالية، وعزيمة قوية، وإخلاص للدعوة، قلّ أن تجد له مثيلاً في فترة الخمسينيات من القرن الماضي تلك الفترة التي طغت فيها الأفكار القومية والناصرية والشيوعية في نابلس ومنطقتها.. فوقف هذا الشيخ الجليل ومعه نفر من إخوانه، وفي مقدمتهم: شريف صبوح «مدير أوقاف نابلس»، وصبحي العنبتاوي، ونبيل بشتاوي، وناجي صبحة، وأحمد الحاج علي، وسعيد بلال.. وقفوا بهمة وعزيمة وثبات ينشرون أفكار دعوة الإخوان، ويربون الشباب على منهج الإسلام.

كانت بداية معرفتي بالشيخ مشهور في أوائل الخمسينيات، حيث كان بينه وبين أعمامي الشيخ فريز والشيخ توفيق، علاقة مودة وأخوة ودعوة... وفي بداية عام ١٩٥٣م التحقت بالمدرسة الصلاحية في نابلس للدراسة، وكنت أتردد على دار الجماعة، والتقيت فيها الشيخ مشهور، وزرته في بيته مرات كثيرة.. ومن خلال هذه الزيارات وجدت فيه داعية كريم النفس، شفاف الروح، حسن

الحديث، وفياً وقوراً، يؤثر أن يعيش بعيداً عن الأضواء.. وصرت أحرص على لقائه والاستفادة من تجاربه، كما أحرص على سماعه في خطبة الجمعة في جامع الحاج نمر النابلسي، واستمرت صلتي به في نابلس وفي عمان، وعرفت الكثير من أخباره منذ التقيته وحتى وفاته عام ١٩٩٨م، رحمه الله.

وبعد طول معرفة، فإني أقول: إن في سيرة هذا الشيخ وفي نشاطه ومواقفه الكثير من الدروس التي يستفيد منها الشباب، ومن ذلك:

ـ أن الشيخ مشهور منذ بداية شبابه كان على وعي وإدراك لما يُخطط للأمة الإسلامية، وإن من أخطر تلك المخططات (الغزو الثقافي) الذي أدركه الشيخ أيام كان طالباً في المرحلة الثانوية، في فترة الاحتلال البريطاني في فلسطين، وقد ذكر لي ذلك فقال: كنا ونحن ندرس في المدرسة الصلاحية نتلقى حصة واحدة فقط في التربية الإسلامية، في الأسبوع، وأما حصص اللغة الإنجليزية فقد بلغت ثلاث حصص يومياً، فكانت سبع عشرة حصة في الأسبوع، أما التاريخ المقرر على الطلاب في المناهج فكان من تأليف مستشرق بريطاني اسمه «بريستد» وكان يخوض في تاريخ الإنسان على الأرض بما يخالف عقيدة المسلمين ويخالف ما أنزله الله في كتابه الكريم، وبما يبعدنا عن تاريخنا المجيد، وكانوا يوزعون علينا كتاباً اسمه (الشخصية) يتحدث فيه المؤلف عن رجال الغرب العظماء، ولا يتحدث عن رجال المسلمين العظماء، وقد شعرت بعد أن أنهيت الدراسة الثانوية ضمن تلك المناهج، أنني غير متفقه في ديني التفقه اللائق بالمسلم، فأنا إذن أحد ضحايا المناهج التي فرضت علينا من قبل الغزاة الغربيين.

ـ عندما ذهب إلى مصر للدراسة في الأزهر الشريف، اشترك مع إخوانه هناك في العمل الوطني، وشارك في المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني، مما دعا المستعمرين الإنجليز إلى القبض عليه وسجنه.. وفي عام ١٩٤١م قبض عليه الإنجليز وسجنوه مرة ثانية.. وفي مقابلة أجريتها معه في عام ١٩٩٤م روى لي هذا الحدث فقال: «كنا ونحن ندرس في الأزهر نخطب في المساجد ونتكلم ضد

الاحتلال الإنجليزي، وبعد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، اتفقنا مع مصطفى السباعي أنا وهاشم الخازندار وإبراهيم القطان على إصدار بيان للشعب المصري للتعريف بالقضية الفلسطينية، ومهاجمة السياسة البريطانية في فلسطين والمنطقة العربية.. وقررنا توزيعه يوم الجمعة على المصلين في المساجد... وثارت ثائرة الإنجليز، وبدأوا يفتشون عن الذين خططوا لهذا العمل، وبعد ثلاثة أيام اعتقلونا، ووضعونا في سجن التخشيبة، وبقينا فيه ثلاثة أشهر.

وتدخل الشيخ المراغي في موضوعنا، فأخرجونا من مصر، وتسلمتنا السلطات البريطانية في فلسطين وأحلَّتنا معتقل صرفند مدة أربعة أشهر.. وتدخل أخي الأمير عبدالله الضامن عميد عشيرة المساعيد، وكانت له منزلة في منطقته، وطلب من المندوب السامي إخراجي من المعتقل... فأرسل من يخرجني فرفضت إلا مع إخواني الذين دخلوا السجن معي وتم الإفراج عنا جميعاً».

ـ في أواخر الخمسينيات شاع بين الناس انتساب بعض كبار المسؤولين في الأردن إلى الماسونية، فاعترض الشيخ مشهور على هذا الانحراف، وكلم قاضي القضاة في ذلك، وقال له كلمة الحق، فرفض الشيخ الشنقيطي كلامه واعتراضه، وحجب عنه الراتب وأوقفه عن العمل في الإفتاء.. فذهب الشيخ مشهور إلى مزرعته في الغور واعتكف فيها، وحمل الطورية «الفأس» وعمل مع المزارعين تسعة أشهر، واحتج عدد من وجهاء نابلس على ما حدث وطلبوا من الحكومة إعادة الشيخ مشهور إلى الإفتاء.

ـ في عام ١٩٦٦ ذهب الشيخ الضامن إلى السعودية للعمل خبيراً للخطوط العربية هناك، وهي الخبرة والمهارة التي أجادها عندما كان يدرس في الأزهر في الثلاثينيات، إذ درس الخطوط العربية إلى جانب دراسته الشرعية.

وبعد ستة أشهر من ذهابه قامت إسرائيل باحتلال الضفة الغربية في حرب ١٩٦٧م، فرجع إلى عمان ودخل إلى نابلس خفية عن طريق الغور، وصار يدعو إلى مقاومة الاحتلال.. فاتصل موشى ديان بالحاج معزوز المصري رئيس بلدية

نابلس وأخبره بأن إسرائيل لا تقبل وجود الشيخ مشهور في نابلس، وعليه أن يغادر البلد.. فخرج الشيخ إلى الحجاز.

ـ عندما كان الشيخ محمد أبو سردانة قاضي القضاة في السلطة الفلسطينية، كان يختار العلماء المخلصين لتولي مناصب القضاء والإفتاء.. وقد عمل على عودة الشيخ مشهور إلى نابلس لتولي الإفتاء، ووافق رئيس السلطة ياسر عرفات على ذلك، وعاد الشيخ إلى نابلس... وكان من مخططه العمل على تشييد صروح للعلم الشرعي في أرض الإسراء والمعراج، ودعوة الناس إلى ذلك، والعمل على ربطهم بعلمائهم السابقين، والسير على هداهم.

وفي إحدى جولاته زار بلدة جماعين وتسمى في الأصل «جُمَّاعيل» وهي بلدة العلامة الشيخ ابن قدامة، وتذكر وهو في طريقه إليها قول الشاعر:

عرفت الدار دار بني قدامة ... ودار الأكرمين لها علامة

ولما وصل إلى البلدة توجه إلى الدار، فهاله ما رأى!! فقد وجدها مكباً للنفايات في البلدة... فجمع الناس وتكلم فيهم عن ابن قدامة العلامة الكبير الذي انتشر علمه في كل مكان، ودعاهم إلى إكرام هذا العالم الجليل بتكريم داره التي كانت مناراً للعلم وقبلة للعلماء.. وعمل معهم على إزالة القمامة وتنظيف الدار.. وقال لهم: سنعمل إن شاء الله على إنشاء جامعة في هذه الدار نسميها «جامعة ابن قدامة».

وبدأ الشيخ يحضّر لمشروع الجامعة.. ولما قام الرئيس ياسر عرفات بزيارة لنابلس عرض عليه المشروع، واستعد للقيام بجولة لجمع التبرعات لإنجازه.. فطلب منه الرئيس أن يعدّ دراسة ويرسلها له عن طريق أحد المسؤولين في نابلس، وسيرعاها الرئيس بنفسه.

وأعد الشيخ الدراسة وقدمها!!! وتأخر الجواب.. وأعدها مرة ثانية وذهب بها إلى غزة لمقابلة الرئيس، فقال له السكرتير (واسمه موسى): إن الرئيس مشغول!! ثم جاء الجواب بإحالته إلى بعض المسؤولين الذين لم يعيروا

الموضوع أي اهتمام.. وطلبوا من الشيخ أن يريح نفسه وسيتولون هم العمل على إنجاز المشروع!

وكانت الصدمة قاسية.. وفوق التحمل!! وأصيب الشيخ بإحباط وبآلام مبرحة في الظهر، أصابته في اليوم التالي للقائه تلك القيادات، وأقعدته في الفراش، ونام ليلته عند صديق له كان يعمل رئيساً للجامعة الإسلامية في غزة.. ونُقل الشيخ إلى نابلس، ثم نقله ابنه عبدالكريم إلى عمان.

ويقول الأستاذ زهير الشاويش:

«كانت معرفتي به مطلع سنة ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م عندما حملت إليه رسالة من أستاذنا الشيخ مصطفى السباعي الذي كان زميله أيام الدراسة في مصر، وفي العمل مع جماعة الإخوان المسلمين والصلة مع الأستاذ محب الدين الخطيب، يطلب فيها تعريفي بمنطقتهم حول القدس والطرق المؤدية إلى القدس وأماكن التحرك في منطقة الغور، حيث كانت النية منعقدة أن تكون هذه المنطقة مجال تحركنا في الجهاد دفاعاً عن فلسطين، وعقد الصلات مع المجاهدين السابقين، كما زرت مختلف مدن وقرى فلسطين، وقد استقبلني بترحيب ظاهر وكرم زائد، واهتمام كبير وذهبت معه إلى الغور، وهو يمثل فيه إحدى أكبر العشائر «المساعيد» وله الإمارة على بعضها، اتباعاً لميراث العشائرية هناك، ووجدت منه كل لطف وكان يناديني يومها بـ(الرائد) ويكرر المثل المشهور: «إن الرائد لا يكذب أهله» وكنت في تلك الأيام أحاول حفظ ألفية ابن مالك «الخلاصة» وندَّت مني كلمة أثناء الحديث معه، حيث أوردت فيها شطراً من أبياتها وهو:

ورغبة في الخير خير وعمل   بر يزين وليقس ما لم يقل

فما كان منه إلا أن جعل يروي على مسمعي محفوظاته من الألفية وغيرها من المتون التي يحفظ الكثير منها.

ولما ذهبنا في كتيبة الإخوان المسلمين السورية إلى فلسطين سنة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م كان مكان وجودنا في القدس، ولم نتمكن من زيارتهم في نابلس، غير

أنني عبرت مع بعض إخواني ومنهم العالم الشهيد الشيخ راضي الجوهري إلى مكان كان فيه مجموعة من إخوانه محاصرة لمساعدتهم، وبعد فك الحصار عنهم رجعنا ولم نجتمع بهم لإحاطة الأعداء بنا وبهم.

وبعد ذلك أقمت والأستاذ عصام العطار في الأردن، وكانت بيننا وبين الشيخ مشهور الضامن وإخوانه العلاقات الطيبة الوثيقة، ووجدنا منه المعونة الصادقة في الدعوة والرأي الصائب وكان يومها مفتي مدينة نابلس».

معرفتي به:

سعدت بمعرفة الشيخ مشهور الضامن من خلال ما حدثني به الإخوة الحاج عبدالرزاق الصالح المطوع، وعبدالله سلطان الكليب اللذان زارا الأردن واطلعا على مخيمات اللاجئين فيها، وكان بصحبتهم الأخ الداعية الشيخ مشهور الضامن، حضرا من الكويت ممثلين عن جمعية الإرشاد الإسلامي، وحاملين للاجئين في المخيمات المساعدات العينية والنقدية، لتخفيف معاناتهم والوقوف إلى جانبهم في محنتهم، وكان هذا هو شأن الإخوان المسلمين في جميع الأقطار العربية الذين استنفروا جهودهم، وبذلوا طاقاتهم تجاه إخوانهم الفلسطينيين، الذين هُجّروا من ديارهم بغير حق وبتواطؤ الدول الكبرى مع الصهيونية العالمية، وخيانة الأنظمة الحاكمة التي أسلمت قيادة جيوشها إلى ممثل الاستعمار الجنرال كلوب، الذي لعب دور الخيانة، وسلّم المدن الفلسطينية دون قتال لليهود الغاصبين، ومنع القادة الوطنيين من ممارسة دورهم في كسر شوكة اليهود والتصدي لهم، وتلك ولا شك هي المأساة، لأن الأمر لو كان بيد الشعوب وبقيادة المجاهدين المسلمين، لكان الحال والمآل غير ذلك.

كما شرفتُ بلقياه في مكة المكرمة والرياض والأردن مرات عدة، وبخاصة في مكتب الرابطة بعمان، وفي منزلي، وفي منزله، برفقة الإخوة حسني أدهم جرار، ومحمد عبدالرحيم، ويوسف الزرعيني، ووليد أبو حجير، ومحمد عبدالوهاب،

وغيرهم من الإخوة الكرام الذين يعرفون قدر الرجل وجهاده ومكانته.

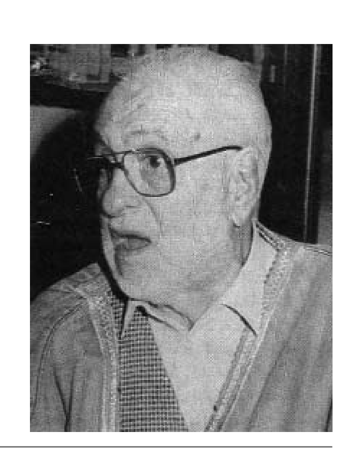
وكانت همته همة الشباب، وعزيمته عزيمة المجاهدين المرابطين الذين بقوا على العهد محافظين، ولدعوة الإسلام مخلصين عاملين، لا تؤثر فيهم جسامة الأحداث، ولا فداحة الخطوب، بل الثبات على الحق ديدنهم، والعمل في سبيل الله لإعلاء كلمة الله هدفهم، ونيل الشهادة أسمى أمانيهم، فكان القدوة لنا في الاستمرار على حمل عبء الدعوة، مهما كانت العقبات والصعوبات، والعمل الجاد لتربية الشباب على منهج الإسلام، ليحملوا الدعوة بقوة إلى الناس جميعاً، وليأخذوا دورهم الطليعي للتصدي لأعداء الأمة من اليهود، وغيرهم من المفسدين في الأرض.

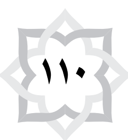
ولقد كتب قطعة فنية رائعة بخطه الجميل، لآيات من القرآن الكريم، أهداها إليَّ للذكرى باسمي مذيلة بتوقيعه عليها، مازلت أحتفظ بها وأعتز من يد هذا الشيخ الصالح المجاهد.

وفاته:

انتقل فضيلة الشيخ مشهور بركات الضامن إلى رحمة الله تعالى يوم ٣١ / ١٠ / ١٩٩٨م في مدينة عمان بالأردن، حيث شيعه الكثير من إخوانه ومحبيه وتلامذته، ودفن في مقابر عمان.

رحم الله أستاذنا الجليل رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، والحمد لله رب العالمين.





العلاَّمة مصطفى الزرقاء..

الفقيه المجدد

(١٣٢٢ ـ ١٤٢٠هـ = ١٩٠٤ ـ ١٩٩٩م)

مولده ونشأته:

هو مصطفى بن أحمد بن محمد الزرقاء، ولد في مدينة حلب بسورية ١٣٢٢هـ ـ ١٩٠٤م، وبدأ دراسته في كتاتيب القرآن على يد الشيخ محمد الحجار، وتعلم القراءة والكتابة والحساب وتلاوة القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية (الخسروية) الشرعية، مع الحرص على تلقي العلم من والده، فقد كان يحضر دروسه وخطبه في المسجد، وبعد امتحان البكالوريا التحق بالجامعة السورية، حيث درس الحقوق والآداب في وقت واحد.

وفي سنة ١٩٣٣م، تخرج في الكليتين بدرجة التفوق، وهو يتكلم الفرنسية جيداً، وعمل محامياً أمام المحاكم الوطنية والمختلطة في حلب.

شيوخه:

جده العالم الكبير محمد الزرقاء، ووالده العالم الجليل أحمد الزرقاء، والشيخ محمد الحنفي، والشيخ محمد راغب الطباخ، المؤرخ المشهور والمحدث المعروف.

حياته العملية والعلمية:

شارك أقرانه، ومنهم الدكتور معروف الدواليبي، في التصدي للاستعمار الفرنسي، وكان يخطب في المظاهرات الوطنية، والتحق بالكتلة الوطنية، وقادتها: إبراهيم هنانو، وسعد الله الجابري، وإخوانهما.

عُيِّن بجامعة دمشق أستاذاً لتدريس الحقوق المدنية والشريعة الإسلامية سنة ١٩٤٤م، وكان أساس هذه الحقوق مجلة الأحكام العدلية المستمدة كلياً من الفقه الإسلامي، وقد أصدر في هذه الفترة سلسلته الفقهية في أربعة مجلدات بعنوان: (الفقه الإسلامي في ثوب جديد) الذي يعتبر من المراجع المعتمدة لدى القانونيين والشرعيين والأساتذة الجامعيين، كما أصدر السلسلة الثانية بثلاثة مجلدات بعنوان: «شرح القانون المدني السوري» الذي حلّ محل مجلة الأحكام الملغاة بالقانون المدني عام ١٩٤٩م.

شارك في الحياة النيابية، وانتخب نائباً في البرلمان السوري عن مدينة حلب، وشكَّل مع إخوانه النواب الكتلة الإسلامية برئاسة د.مصطفى السباعي. وكذلك تولى حقيبة وزارتي الأوقاف والعدل سنة ١٩٥٦م ثم سنة ١٩٦١م.

وكان للزرقاء دوره في مشروع الموسوعة الفقهية بكلية الشريعة بدمشق مع زملائه: الدكتور الشيخ مصطفى السباعي، ود.معروف الدواليبي، والأستاذ محمد المبارك، وكان التفكير في المشروع عقب مؤتمر أسبوع الفقه الإسلامي الذي عقد في كلية الحقوق بالسوربون بباريس سنة ١٩٥١م، وصدرت عنه توصية، وشارك في الموسوعة من مصر: الشيخ الجليل محمد أبوزهرة، والشيخ

الفقيه علي الخفيف، وقد تعطل عمل الموسوعة بعد الانفصال بين مصر وسورية سنة ١٩٦١م.

وفي سنة ١٩٦٦م، فكَّرت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت في تبني المشروع، ووقع الاختيار على الشيخ مصطفى الزرقاء ليكون خبيراً للموسوعة الفقهية، وباشر العمل لمدة خمس سنوات، ثم توقف بعدها المشروع وغادر الزرقاء الكويت إلى الأردن حيث عمل أستاذاً في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، كما عمل عضواً بالمجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، التابع لرابطة العالم الإسلامي.

هذا وقد حصل أستاذنا الزرقاء على جائزة الملك فيصل سنة ١٤٠٤هـ للدراسات الإسلامية على كتابه (المدخل إلى نظرية الالتزام العامة في الفقه الإسلامي).

وكانت آخر أعماله: مستشاراً لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار.

نماذج من شعره:

القرآن الكريم

كتاب من العلم المحيط مداده ... به صفحات الكون تتلى وتسمع

فآياته مرآة صدق جلية ... يُرى ما مضى فيها وما يتوقع

عظات وأمثال وهدي وحكمة ... وشرع جليل نيّر الحكم مبدع

ألا إنه القرآن فاعلم ملاذُنا ... فما دونه خير، ولا عنه منزع

به قارعات كالصواعق قوة ... ونور رفيق بالعيون «مشعشع»

بلاغ كساه الله ثوب بلاغة ... ترد بليغ القوم عياً فيخضع

علاج لبؤس البائسين محقق ... ورَوْح لروح اليائسين مشجع

كفاء لحاجات الحياة جميعها ... فللفرد تقويم وللقوم مهيع

شفاء لأدواء النفوس ورحمة وتكراره أحلى لسمع وأمتع
تراه جديداً كلما جئت سامعاً كأن المعاني من مثانيه تنبع

معرفتي به:

عرفت أستاذنا الزرقاء من خلال ما كان يقوم به من دور في البرلمان السوري، ضمن الكتلة الإسلامية بالمجلس، وباعتباره من أقطاب الحركة الإسلامية في سورية التي كانت تناهض التوجهات العلمانية واليسارية، وتسعى ليكون الإسلام هو الأساس في الدستور.

ثم كانت لقاءاتي به في أثناء الموسم الثقافي في الكويت، حيث تشرفت بتقديمه في المحاضرات والندوات، ومرافقته في الجولات والزيارات.

وحين وفقنا الله سنة ١٩٦٦م للنهوض بمشروع موسوعة الفقه الإسلامي بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، كان اختيار الأستاذ الزرقاء ليكون خبير الموسوعة الفقهية، يضع برنامج العمل فيها، ويختار الأعضاء العاملين من الفقهاء في إدارتها، ويرسم الخطط العملية لاستكتاب علماء الأمة الإسلامية، للإسهام في كتابة البحوث التمهيدية لموضوعاتها. وبالفعل تمّ ذلك بفضل الله، ثم بالجهود المشكورة التي بذلها أستاذنا الفاضل، فصدرت تلك البحوث التمهيدية، وكان أولها عن الأطعمة والأشربة والحوالة وغيرها.

وبقي معنا في الوزارة أكثر من خمس سنوات، كنت فيها قريباً منه، بحكم طبيعة العمل، فضلاً عن التزاور فيما بيننا، في منزله أو في منزلي، حيث يحضر الندوة الأسبوعية يوم الجمعة، ويشارك فيها ويجيب عن أسئلة الحضور واستفساراتهم، وحين ترك الوزارة، بعد توقف المشروع فترة من الزمن، غادرنا إلى الجامعة الأردنية بعمان، فكنت ألتقي به في منزله بعمان، مع مجموعة من تلامذته ومحبيه.

وبعد التحاقي للعمل برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، أميناً عاماً مساعداً، كنت أسعد بمشاركته في جلسات المجمع الفقهي، وأستمتع بحواراته ومناقشاته مع أعضاء المجمع ، وأعجب باجتهاداته للقضايا المعاصرة التي جدت في حياة الناس، وطرحه للحلول المقترحة على ضوء هدي الكتاب والسُّنَّة، وما أجمع عليه سلف الأمة والقياس على الأشباه والنظائر، والحرص على التيسير على الناس في الفتيا.

وقد استمرت الصلة به حتى بعد تقاعدي من العمل بالرابطة، فقد كنت ألتقي به في الرياض، حيث يسكن كلانا فيها، ويعمل هو مستشاراً بشركة الراجحي للاستثمار.

قالوا عنه:

يقول عنه د. يوسف القرضاوي: «عرفت العلاَّمة الشيخ مصطفى الزرقاء أول ما عرفته في صورة له في مجلة (الشهاب) المصرية التي أصدرها في أواخر حياته الإمام حسن البنا رحمه الله وكان فيها مقال للزرقاء بعنوان: (العقل العلمي والعقل العامي) كما كتب مقالاً في عدد آخر من أعداد المجلة عن العصبية المذهبية، وقد وجدت فيما كتبه الشيخ الزرقاء حينئذ وأنا طالب في المرحلة الثانوية أفكاراً علمية، وروحاً تجديدية، مع بلاغة وبيان مشرق.

وبعد ذلك قرأت للشيخ الزرقاء بعض مقالات في مجلة (المسلمون) التي كان يصدرها الداعية المعروف د.سعيد رمضان مثل مقاله (العبادة: جوهرها وآفاقها) كما قرأت للفقيه الضليع الشهيد عبدالقادر عودة، صاحب كتاب (التشريع الجنائي الإسلامي) تعريفاً بكتاب الشيخ الزرقاء (الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد) أثنى فيه ثناءً عاطراً على الكتاب، مما شوقني إليه، وشدني للاطلاع عليه، وعندما أتيح لي الاطلاع على عمل الزرقاء، وجدته جديراً بما قال عنه الأستاذ عبدالقادر عودة رحمة الله عليهما، وكان أول لقاء لي مع الشيخ الزرقاء في

مصر في عهد الوحدة مع سورية، عرفني به الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر حينئذ، وكنت أعمل معه في ذلك الوقت، وكان الشيخ الزرقاء يشارك مع رفقائه الثلاثة في وضع مناهج كلية الشريعة وكلية أصول الدين في الأزهر، وأعني بهم: شيخ الدعاة الدكتور مصطفى السباعي، والمفكر المربي الأستاذ محمد المبارك، والمفكر السياسي الدكتور محمد معروف الدواليبي، وكان كتابي (الحلال والحرام في الإسلام) قد ظهر في طبعته الأولى سنة ١٩٥٩م، وكنت أرسلت إليه نسخة هدية مني فقرأه وسُرَّ به، وأثنى عليه، وقال كلمته الشهيرة: «إن اقتناء هذا الكتاب واجب على كل أسرة مسلمة».

ومن ذلك الوقت من أربعين سنة والمودة بيني وبين شيخنا موصولة، وكلما ظهر لي شيء من الإنتاج العلمي، هشّ له، ورحّب به، وحثّ طلابه على قراءته، مثل «فقه الزكاة» وغيره من الكتب.

لقد كان الزرقاء جبلاً من جبال العلم، وبحراً من بحور الفقه، ولساناً من ألسنة الصدق، وقبساً من مشكاة النبوة، وستظل الأجيال تنتفع بعلمه الغزير وعمله الكبير».

ويقول الأستاذ عصام العطار:

«ما تزال جراحاتنا تنزف لفقد الطنطاوي... واليوم نفقد أيضاً علامتنا الكبير مصطفى الزرقاء تغمده الله بالرحمة والرضوان، كان الطنطاوي والزرقاء أخوين وفيين، وصديقين حميمين، جمعهما على خدمة الإسلام والمسلمين عمر مديد على كل صعيد، وكان كل منهما يحمل لأخيه وصديقه أصدق المحبة والتقدير، وكانت معرفتي وعلاقتي بالأستاذ الزرقاء من خلال لقاءاتنا بإخواننا: الدكتور مصطفى السباعي، والأستاذ علي الطنطاوي، والأستاذ محمد المبارك، والأستاذ عمر بهاء الأميري، رحمهم الله جميعاً.

وكان الأستاذ الزرقاء فقيهاً كبيراً مجدداً، اجتمعت له أداة الفقه والتجديد على أفضل وجه، وكان ضليعاً في الشريعة والفقه، أخذه عن والده، ودرسه في

المدرسة الخسروية في حلب، ثم درس الحقوق والآداب في دمشق، فاجتمع له في وقت واحد، المعرفة بالشريعة والقانون واللغة والأدب، وكان يعرف اللغة الفرنسية، مما مكنه من الاطلاع على المراجع القانونية الأجنبية المعتبرة، واقتبس ما رآه مناسباً من الأساليب الحديثة في البحث الفقهي وترتيبه، ومن التعرف إلى بعض الأحكام الجديدة التي نظمتها التشريعات للأوضاع الحقوقية، والاقتصادية الحديثة، كالشركات المساهمة، وعقود التأمين، وقد أعانه هذا كله على أن يعرض الفقه الإسلامي في ثوب قشيب، وأسلوب جديد يساير ذوق العصر ولغته.

لقد كان رحمه الله آية في صدقه ووفائه ودأبه ومثابرته وإرادته وهمته وحرصه على أداء واجبه على أفضل وجه، قبل ساعتين من وفاته كان عنده زائرون وناس يستفتونه وهو يجيبهم بكل صبر ورحابة صدر، ثم انطفأ هذا السراج المنير، وسكت هذا اللسان البليغ، وتوقف هذا القلب الكبير، ومات مصطفى أحمد الزرقاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون».

أهم مؤلفاته:

الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد.

شرح القانون المدني السوري.

أحكام الفقه.

في الحديث النبوي.

الاستصلاح والمصالح المرسلة في الفقه الإسلامي.

الفعل الضار والضمان فيه.

عقد البيع في الفقه الإسلامي.

نظام التأمين والرأي الشرعي فيه.

الفقه الإسلامي ومدارسه.

عظمة محمد مجمع عظمات البشرية.

عقد الاستصناع وأثره في نشاط البنوك الإسلامية.

باب تمهيدي لقانون مدني إسلامي.

صياغة شرعية لنظرية التعسف في استعمال الحق.

فتاوى مصطفى الزرقاء.

هذا، بالإضافة إلى عدد كبير من البحوث والمقالات المنشورة في عدد من المجلات والصحف العربية والإسلامية، وهي تحتاج إلى طالب مجد من طلاب الدراسات العليا، ليقوم بجمعها، وإصدارها في كتب.

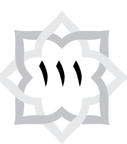
وفاته:

انتقل إلى رحمة الله مساء يوم السبت ١٩ / ٣ / ١٤٢٠هـ ـ الموافق ٣ / ٧ / ١٩٩٩م في بيته بمدينة الرياض عن عمر يناهز ٩٥ (خمسة وتسعين عاماً) قضاها في رحاب العلم الشرعي، والفقه الإسلامي، والدعوة إلى الله، ودفن في مقبرة العود بالرياض، وشارك في تشييعه كبار القوم وطلبة العلم، وكنت مع بعض أبنائي في التشييع إلى المقبرة.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين.





مصطفى السباعي

العالم المجاهد الداعية

(١٣٣٣ ـ ١٣٨٤هـ = ١٩١٥ ـ ١٩٦٤م)

مولده ونشأته:

هو مصطفى بن حسني السباعي من مواليد مدينة حمص في سورية عام ١٩١٥م، نشأ في أُسرة علمية عريقة معروفة بالعلم والعلماء منذ مئات السنين، وكان والده وأجداده يتولون الخطابة في الجامع الكبير بحمص جيلاً بعد جيل، وقد تأثر بأبيه العالم المجاهد والخطيب البليغ الشيخ حسني السباعي الذي كان له مواقف مشرّفة ضد الأعداء المستعمرين، الذين قاومهم بشخصه وجهده وماله.

كما كان أحد محبي الخير ومؤسسي الجمعيات الخيرية الإسلامية والمشاريع الاجتماعية، مما كان له الأثر الكبير في نشأة ابنه مصطفى السباعي.

كان مصطفى يصحب أباه إلى مجالس العلم، التي يحضرها علماء حمص، أمثال طاهر الريس وسعيد الملوحي وفائق الأتاسي وراغب الوفائي، وحين خطب

للزواج أخبر الخاطبون أهل الفتاة أن السباعي مشغول في معظم أوقاته بأعباء الدعوة الإسلامية، ليكونوا على علم بذلك فوافقوا وتمت الخطبة.

شارك السباعي في مقاومة الاحتلال الفرنسي لسورية، وكان يوزع المنشورات ويلقي الخطب ويقود المظاهرات في حمص وهو في السادسة عشرة من عمره، وقد قبض عليه الفرنسيون واعتقلوه أول مرة عام ١٩٣١م بتهمة توزيع منشورات في حمص ضد السياسة الفرنسية، كما اعتقل مرة ثانية من قبل الفرنسيين أيضاً، بسبب الخطب الحماسية التي كان يلقيها ضد السياسة الفرنسية والاحتلال الفرنسي، وآخرها خطبة الجمعة في الجامع الكبير بحمص حيث ألهب حماس الجماهير، وهيّج مشاعرهم ضد الفرنسيين، بل قاوم الفرنسيين بالسلاح، عندما قاد مجموعة من إخوانه في حمص وأطلقوا الرصاص على الفرنسيين رداً على اعتداءاتهم.



د. مصطفى السباعي مع الإمام حسن البنا

وفي عام ١٩٣٣م ذهب إلى مصر للدراسة الجامعية بالأزهر، وهناك شارك إخوانه المصريين عام ١٩٤١م في المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني كما أيَّد ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الإنجليز، فاعتقلته السلطات المصرية بأمر من الإنجليز مع مجموعة من زملائه الطلبة وهم: مشهور الضامن وإبراهيم القطان وهاشم الخازندار وفارس حمداني وعلي الدويك ويوسف المشاري، وبقوا في المعتقل قرابة ثلاثة أشهر، ثم نُقلوا إلى معتقل (صرفند) بفلسطين حيث بقوا أربعة أشهر، ثم أطلق سراحهم بكفالة.

وكان الشيخ السباعي في فترة الدراسة تلك قد تعرَّف إلى الإمام الشهيد حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين بمصر، وظلت الصلة قائمة بينهما بعد عودته إلى سورية، حيث اجتمع العلماء والدعاة ورجال الجمعيات الإسلامية في المحافظات السورية وقرروا توحيد صفوفهم، والعمل جماعة واحدة وبهذا أسست منهم (جماعة الإخوان المسلمين) لعموم القطر السوري، في عام



د. مصطفى السباعي مع الإمام حسن البنا في فلسطين وسعد الدين الوليلي يشير بيده



الإمام حسن البنا بين د. مصطفى السباعي وعمر بهاء الدين الأمير في فلسطين

١٩٤٥م، واختار الجميع الأستاذ مصطفى السباعي ليكون أول مراقب عام للإخوان المسلمين في سورية.

ومن الجدير بالذكر أن جريدة (الإخوان المسلمون) بمصر نشرت صورة البنا والسباعي وكُتب تحتها: (قائد وجندي)، فكتب الأستاذ البنا إلى رئيس التحرير يقول:

«... كما قرأت كذلك تحت الصورة التي نشرتموها بالأمس أيضاً تقديماً لي ولفضيلة الأخ الأستاذ مصطفى السباعي، وفي نهايتها هاتان الكلمتان (قائد وجندي)، فإن أردتم بالقائد فضيلة الأستاذ مصطفى السباعي وبالجندي هذا الضعيف الذي ما اعتبر نفسه يوماً من الأيام إلاّ أصغر جنود دعوة الحق، فقد أحسنتم وصفاً وشكراً لكم.. وإن كنتم تقصدون ما تبادر إلى الأذهان من أول وهلة وحين يرون مرشداً ومراقباً فإلى الله أبرأ مما صنعتم وإلى الإخوان أعتذر عمّا وضعتم، وأرجو ألا تحملنكم المداعبات الصحفية على مثل هذه المتعبات النفسية، والله أسأل أن يوفقنا جميعاً للخير، وأن يسدد خطانا لما يحب ويرضى، وأن يجمع القلوب على ما فيه خير الوطن العزيز» انتهى.



د. مصطفى السباعي مستقبلاً المرشد الثاني المستشار حسن الهضيبي في دمشق

وقد حدّد الأستاذ السباعي في كتابه (دروس في دعوة الإخوان المسلمين) الأهداف والمهمات وميادين الإصلاح، حيث نادت جماعة الإخوان المسلمين في سورية بالإصلاح السياسي، والكفاح الوطني، وإزالة آثار الاستعمار، ورفع المظالم عن العمال والفلاحين، وإنشاء المدارس والمعاهد والأندية الرياضية، والمخيمات الكشفية، ومراكز الفتوَّة في مختلف المحافظات، وكان الأستاذ السباعي هو القائد العام للفتوَّة، كما قام الإخوان المسلمون بتشكيل لجان الإصلاح بين الناس وتقديم الخدمات الصحية والاجتماعية والخيرية، وزيارة القرى والأرياف.

وفي عام ١٩٤٤م ذهب السباعي إلى الحج لأول مرة وفي عام ١٩٤٥م أنشأ جريدة (المنار) حتى عطلها حسني الزعيم بعد الانقلاب العسكري الذي قاده بتدبير ودعم من الأمريكان عام ١٩٤٩م، وفي نفس العام حصل على الدكتوراه في التشريع الإسلامي وتاريخه، وقدّم أطروحته العلمية (السُّنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي).

وقد شارك الإخوان المسلمون السوريون في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م مع إخوانهم المصريين والأردنيين والفلسطينيين، حيث قاد الأستاذ السباعي الكتيبة السورية، وشاركوا في معركة القدس بخاصة ومعارك فلسطين بعامة، وأبلوا البلاء الحسن في الوقوف مع إخوانهم المجاهدين الفلسطينيين الذين تكالبت على حربهم دول الكفر مجتمعة لتشريدهم وإخراجهم من ديارهم ومصادرة أموالهم وهدم بيوتهم.

وبعد أن تمت المؤامرة وتمثيلية الحرب المصطنعة بين الدول العربية وإسرائيل، جُرِّد المجاهدون الفلسطينيون من أسلحتهم وسُلِّمت البلاد لليهود لقمة سائغة، واعتقل مجاهدو الإخوان المسلمين المصريين، وزج بهم في معسكرات الاعتقال، ثم نقلوا إلى سجون مصر، حيث قامت حكومة النقراشي العميلة بحل جماعة الإخوان المسلمين في ٨ / ١٢ / ١٩٤٨م، وعاد السباعي إلى سورية غاضباً يصب جام غضبه على المأجورين والعملاء، ويفضح خطط المتآمرين، ويكشف عمالة الأنظمة، ويشرح ما جرى من مهازل القادة العسكريين الذين كانوا تحت إمرة الجنرال (كلوب) الإنجليزي، ويكشف قضية الأسلحة الفاسدة التي زود بها الجيش المصري، ويفضح تصريحات القادة العراقيين عن عدم وجود أوامر لضرب اليهود (ماكو أوامر) وأنه لولا جهاد المتطوعين من الفلسطينيين والمصريين والسوريين والأردنيين والعراقيين من الإخوان المسلمين، لما وجد ثمة قتال حقيقي ضد اليهود، بل هدنة ثم هدنة لتمكين اليهود من العرب، وإمدادهم بالأسلحة الأوروبية والأمريكية والمقاتلين الأجانب لترجيح كفة اليهود على الفلسطينيين، ثم تسليم البلاد وتهجير أهلها واعتقال المجاهدين المتطوعين في سبيل الله للذود عن ديار المسلمين المقدسة.

يقول الأستاذ مصطفى السباعي في كتاب (الإخوان في حرب فلسطين): «كنا نشعر ونحن في قلب معارك القدس، أن هناك مناورات تجري في الصعيد الدولي، وفي أوساط السياسات العربية الرسمية، فتشاورنا في كتيبة الإخوان



د. مصطفى السباعي منفعلاً... ويكاد يبكي في إحدى خطبه

المسلمين فيما يجب علينا فعله، بعد صدور الأوامر إلينا بالانسحاب من القدس، فقرَّ رأينا على أننا لا نستطيع مخالفة الأوامر الصادرة إلينا بمغادرة القدس لاعتبارات متعددة، وأننا بعد وصولنا إلى دمشق سنرسل بعض الإخوان المسلمين خفية إلى القدس مرة ثانية، لدراسة ما إذا كان بالإمكان عودتنا بصورة إفرادية، لنتابع نضالنا في الدفاع عن فلسطين، وعدنا إلى دمشق مع سائر أفراد الحامية وقيادتها، التابعة لجيش الإنقاذ حيث تسلمت قيادة جيش الإنقاذ أسلحتنا ووعدت باستدعائنا مرة ثانية عند الحاجة.

وقمتُ بجولة في سورية تحدثتُ فيها عن معارك فلسطين وألقيتُ في ذلك محاضرات في كل مكان من دمشق وحمص وحماه وحلب واللاذقية ودير الزور وغيرها من المدن السورية، وذهل الجمهور لما أبديته من حقائق لم تكن معروفة لديهم تماماً، حتى شك بعضهم فيها، ثم انكشف الأمر وتبيّن صدق ما أدعي من العوامل الخفية والظاهرة التي كانت تُسيِّر معركة فلسطين، هذا بينما كان فريق من إخواننا المجاهدين قد عادوا إلى فلسطين خفية، لتنفيذ ما اتفقنا عليه» انتهى.

عاد السباعي إلى سورية ليخوض الحرب لإصلاح الفساد في الداخل، وتربية الأمة من جديد على منهج الإسلام الصحيح، منهج الإخوان المسلمين الذي يعنى بتربية الفرد المسلم، ثم الأُسرة المسلمة، ثم المجتمع المسلم، لتكون الثمرة قيام الحكومة المسلمة التي تحكم بشرع الله وتنفذ أحكامه وترعى مصالح البلاد والعباد، وتقضي على الشر والفساد، وتحارب الزيغ والإلحاد.

ولقد عمل السباعي وإخوانه على إدخال مواد التربية الإسلامية إلى المناهج التعليمية، كما سعى لإنشاء كلية الشريعة في الجامعة السورية عام ١٩٥٥م وكان أول عميد لها، ثم شرع في إنشاء موسوعة الفقه الإسلامي التي أسهم فيها العلماء من جميع أنحاء العالم الإسلامي لتقديم الفقه الإسلامي في ثوب جديد، يعالج قضايا العصر ويحل مشكلاته على ضوء الكتاب والسُّنَّة وفقه السلف الصالح، واجتهاد العلماء الذين يملكون وسائل الاجتهاد وأدواته، وكان أول رئيس لهذه الموسوعة.

واختارت دمشق الدكتور مصطفى السباعي نائباً في الجمعية التأسيسية عام ١٩٤٩م وهو ابن حمص ولم يمض على إقامته في دمشق سوى بضع سنين، وسرعان ما لمع نجمه كبرلماني شعبي متفوق، إذ كان الصدى الحقيقي المعبر لأماني الشعب وآلامه، والصوت المدوي الذي يصدع بالحق ولا يداري، ويقارع الباطل ولا يهادن، ويترفع عن المكاسب والمغانم ولا يساوم، فاتجهت إليه الأنظار والتفَّت حوله القلوب، وانتخب نائباً لرئيس المجلس، وقد بذلت له العروض بإلحاح وإغراء للدخول في الوزارات المتعاقبة فرفضها، مؤثراً العمل الشعبي والعيش مع مشكلات الجماهير وقضاياها، وكان عضواً بارزاً في لجنة الدستور وأحد الأعضاء التسعة الذين وضعوا مسودة الدستور، ولقد قاد معركة القرآن تحت قبة البرلمان، كما قاد المظاهرات في دمشق من أجل الدستور، وتمكّن السباعي وإخوانه من استبعاد الطابع العلماني عن الدستور، وفرض الطابع الإسلامي على معظم أحكامه الأساسية سنة ١٩٥٠م.


د. مصطفى السباعي مستقبلاً الملك فهد عند زيارته دمشق

قال الأستاذ السباعي في كتابه القيم (دروس في دعوة الإخوان المسلمين): «نحن نعتقد أن كل نظام صالح في العالم، لا يمكن أن ينتفع به ما لم تؤيده حكومة حرة قوية صالحة، ومن أجل ذلك آمن الإخوان المسلمون بوجوب تحرير العالم العربي والعالم الإسلامي من الاستعمار مهما كان شكله أو لونه، كما آمنوا بتوحيد البلاد العربية في الوطن العربي الكبير والتعاون مع البلاد الإسلامية والصديقة بأي شكل من أشكال التعاون الذي يحقق قوة العالم الإسلامي ونجاته من الاستعمار ونهوض شعوبه من الفقر والجهل والتأخر، وفي سبيل هذه الغاية عمل الإخوان المسلمون في حقل القضايا العربية والإسلامية بنشاط لم يعهد في غيرهم من الهيئات والجماعات» انتهى.

وفي هذا العام ١٩٥٠م عُيِّن السباعي أستاذاً في كلية الحقوق بالجامعة السورية، وفي عام ١٩٥١م حضر الدكتور السباعي المؤتمر الإسلامي العام، الذي انعقد في باكستان وحضرته وفود من جميع أنحاء العالم الإسلامي، كما ذهب السباعي في العام نفسه إلى الحج للمرة الثانية، وفي عام ١٩٥٢م تقدّم السباعي وإخوانه بطلب إلى الحكومة السورية للسماح لهم بمشاركة إخوانهم

المصريين لمحاربة الإنجليز في قناة السويس، فما كان من رئيس الحكومة أديب الشيشكلي إلا أن أمر بحل جماعة الإخوان المسلمين واعتقال السباعي وإخوانه وإلقائهم بالسجن.

ثم أصدر أمره بفصل السباعي من الجامعة السورية وأبعده خارج سورية إلى لبنان.

وفي عام ١٩٥٣م عقد المؤتمر الإسلامي العام في القدس وحضره ممثلو الإخوان المسلمين من جميع الأقطار، وكذا الجمعيات وممثلو الشعوب الإسلامية، وفي السنة نفسها سعدنا بزيارته لمصر، حيث التقيته لأول مرة مع إخواني الزملاء يوسف القرضاوي وأحمد العسّال ومحمد الدمرداش.

وفي عام ١٩٥٤م عقد المؤتمر الإسلامي المسيحي في بحمدون بلبنان، وشارك فيه السباعي للرد على أعداء الإسلام من المستشرقين والصليبيين، كما حضر الاجتماع الذي دعا إليه الأستاذ حسن الهضيبي ـ المرشد الثاني للإخوان المسلمين ـ في لبنان، وضم قادة الإخوان المسلمين في البلاد العربية، وحضره من مصر مع الأستاذ الهضيبي كل من: عبد الحكيم عابدين وسعيد رمضان وصالح أبو رقيق ومنير دلة، ومن سورية مصطفى السباعي، ومن الأردن محمد عبد الرحمن خليفة، ومن السودان علي طالب الله، ومن العراق محمد محمود الصواف، ومن الكويت عبد العزيز المطوع.

وبعد عودة الهضيبي إلى مصر واعتقاله من الطغمة العسكرية الحاكمة فيها مع جميع قادة الإخوان المسلمين، شكَّل الإخوان المسلمون في البلاد العربية مكتباً تنفيذياً تولى الدكتور مصطفى السباعي رئاسته، وفي عام ١٩٥٥م ذهب الدكتور السباعي مع أساتذة وطلاب الجامعة السورية إلى الحج وهي المرة الثالثة بالنسبة له. وهي السَّنة التي ذهبت فيها مع مدوسي مدرسة النجاة بالزبير إلى الحج.

وفي السَّنة نفسها أسس مع إخوانه مجلة (الشهاب) الأسبوعية، التي



د. مصطفى السباعي بلباس الجندية مع إخوانه في فلسطين

استمرت في الصدور إلى قيام الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨م، وفي العام نفسه ١٩٥٥م حصل على ترخيص إصدار مجلة (المسلمون) الشهرية بعد توقفها في مصر، وظلت تصدر في دمشق إلى عام ١٩٥٨م ثم انتقلت إلى صاحبها د. سعيد رمضان في جنيف بسويسرا، فأصدر السباعي بدلها مجلة (حضارة الإسلام) الشهرية سنة ١٩٦٠ وظل السباعي قائماً على هذه المجلة حتى توفاه الله، وتولى إصدارها د. محمد أديب الصالح بدمشق، ثم توقفّت فيما بعد.

وفي عام ١٩٥٦م عقد المؤتمر الإسلامي بدمشق وفي السنة نفسها أوفدته الجامعة السورية إلى ديار الغرب لزيارة الجامعات الغربية والاطلاع على مناهج الدراسات الإسلامية فيها، فزار إيطاليا، وبريطانيا، وإيرلندا، وبلجيكا، وهولندا، والدنمارك، والنرويج، والسويد، وفلندا، وألمانيا، والنمسا، وسويسرا، وفرنسا، واجتمع فيها بالمستشرقين وناقشهم في مؤلفاتهم عن الإسلام وكشف لهم أخطاءهم العلمية والتاريخية.

وفي عام ١٩٥٧م ذهب السباعي مع عمداء الكليات في الجامعة السورية إلى روسيا بدعوة من جامعة موسكو زار خلالها معظم الجامعات الروسية في مختلف

الأقاليم، والتقى أساتذة الدراسات الشرقية والتاريخية والاجتماعية، وناقشهم وفنَّد مقولاتهم وأبطل مزاعمهم الخاطئة عن الإسلام والمسلمين.

مؤلفاته:

والدكتور السباعي له باع طويل في التأليف، فهو من العلماء المحققين، والفقهاء المجتهدين، الذين استوعبوا الفقه الإسلامي من أصوله المعتمدة ودرسوا قضايا العصر المستجدة وقاسوها على ما سبق من أحكام مستمدة من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة، ومن أهم مؤلفاته:

ـ شرح قانون الأحوال الشخصية (جزءان) ـ من روائع حضارتنا ـ المرأة بين الفقه والقانون ـ عظماؤنا في التاريخ ـ القلائد من فرائد الفوائد ـ دروس في دعوة الإخوان المسلمين ـ السُّنَّة ومكانتها في التشريع ـ هكذا علمتني الحياة (جزءان كتبهما في فترة المرض) ـ اشتراكية الإسلام ـ أخلاقنا الاجتماعية ـ أحكام الصيام وفلسفته ـ الدين والدولة في الإسلام ـ نظام السلم والحرب في الإسلام ـ هذا هو الإسلام (جزءان) ـ السيرة النبوية دورس وعبر ـ الاستشراق والمستشرقون ـ المرونة والتطور في التشريع الإسلامي ـ منهجنا في الإصلاح ـ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في التاريخ ـ التكافل الاجتماعي في الإسلام ـ جهادنا في فلسطين ـ مشروعية الإرث وأحكامه ـ آلام وآمال ـ الصراع بين القلب والعقل ـ أصدق الاتجاهات الفكرية في الشرق العربي ـ مقدمات حضارة الإسلام.

ومن الغريب أن فترة مرضه على قساوتها وشدتها، كانت من أخصب أيام حياته، وأكثرها إنتاجاً من الناحية العلمية، يقول د. محمد أديب الصالح: «كان السباعي ـ رحمه الله ـ حريصاً كما علمت منه قبل وفاته بيوم واحد على كتابة مؤلفات ثلاثة هي: العلماء الأولياء، والعلماء المجاهدون، والعلماء الشهداء».

وقد ذهب السباعي إلى الحج للمرة الرابعة وهي الأخيرة عام ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م حيث كان يعاني من المرض العضال والآلام المبرحة، التي لم تكن

تبارحه، ولكن فضل الله عليه في هذه الرحلة المباركة كان عظيماً، حيث يقول بنفسه: «لأول مرة منذ سبع سنوات يهدأ الألم في دماغي وأقوى على الصلاة واقفاً على قدمين، وأجلس للتشهد فيها، ولقد قدمت مكة المكرمة، فطفت طواف العمرة محمولاً على المحفة، ثم غادرتها وطفت طواف الوداع على قدميّ، وأكرمني الله بزوال آثار مرض السكر منذ وصلت المدينة المنورة، فكنت أتصبّح بسبع تمرات من تمرها، إيماناً مني بالحديث الصحيح الوارد في التمر وهو من الطب النبوي.



د. مصطفى السباعي في صفوف الجماهير وخلفه محمد المبارك

زاره أحد أصدقائه مواسياً فكان جواب السباعي: «إني مريض أتألم ليس في ذلك ريب، وإنك لتشاهد الألم على وجهي وعلى يديَّ وفي حركتي، ولكن انظر إلى حكمة الله فيَّ، إن الله قدير على أن يشل حركتي وقد شل بعض حركتي ولكن انظر ماذا شل، لقد شل طرفي الأيسر وأبقى لي الطرف الأيمن فما أعظم النعمة التي أبقى لي: أكنت أستطيع أن أخط بالقلم لو شل اليمنى مني؟».

واستمر المرض ثماني سنوات ضرب السباعي فيها أروع آيات الصبر على البلاء، والتسليم لقضاء الله، والرضا بحكم الله عز وجل، وكان كثير الحمد لله والتسبيح له والاستغفار، آناء الليل وأطراف النهار، ولم يمنعه هذا المرض العضال، من النهوض بواجباته كصاحب دعوة حق، وداعية مسلم.

يروي الأخ عبد العزيز الحاج مصطفى عن الدكتور حسن هويدي في وصف حال السباعي في مرضه حيث يقول:

«ولقد رأيته في مرضه، يتكئ على العصا، غادياً إلى الجامعة ورائحاً، في الوقت الذي قعد فيه الأقوياء، وخمل فيه الأصحاء، ويا رُب مريض مشلول أشد من سيف مسلول، وما كان استمراره في الجهاد (رحمه الله) على الرغم من شلله وإصابة قلبه وضغط دمه، إلا دلالة صادقة وحجة ساطعة، على أن الرجل سجيته الجهاد، وطبيعته الكفاح، وغريزته التضحية، وفطرته الشجاعة والفداء، فأنى يجد الرياء إلى نفسه سبيلاً، أو الفتور إلى نفسه مسلكاً أو التردد إلى عزيمته منفذاً فسبحان من منحه وأعطاه وتفضل عليه وأرضاه» انتهى.

ويقول عنه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في مجلة (حضارة الإسلام):

«كان، طيب الله ثراه، عذب النفس، رقيق الحاشية، مرهف الذوق، والشعور، يستجيب للدعابة، ويجيدها ولا يبذلها إلا في مواطنها، وكان صافي النفس وفياً، محبب العشرة، شهم الإخاء، سريع النجدة كريمها، وكانت له مسامرات ومحاورات تفيض ذوقاً وعذوبة نفس مع صديقه الصفي وأخيه

الكريم الشيخ محمد الحامد، وإن الإنسان قد يعجب ـ ولا عجب ـ حين يقرن بين وقار النابغة السباعي في مواطن الجد ومخاشنته لأعداء الله والأمة وانقباض نفسه عن المنافقين والنفعيين، وبين شفافية روحه وانطلاق جنانه وتلطف لسانه في معاشرة أحبائه وإخوانه ولكن لا عجب فهو للإسلام والعمل به على بصيرة». انتهى.

وفاته:

وفي يوم السبت ٢٧ / ٥ / ١٣٨٤هـ ـ ٣ / ١٠ / ١٩٦٤م انتقل المجاهد العامل والداعية الصابر، الأستاذ الدكتور مصطفى حسني السباعي إلى جوار ربه بمدينة دمشق، بعد حياة حافلة بالجهاد المتواصل، وقد شيعت جنازته في احتفال مهيب وصلي عليه في الجامع الأموي بدمشق، وتوالى الخطباء يؤبنون الفقيد بكلمات مؤثرة وهم: الدكتور حسن هويدي، والأستاذ محمد المبارك، والأستاذ محمد المجذوب، والأستاذ مشهور حسن، والشيخ عبد الرؤوف أبو طوق، والدكتور محمد أديب الصالح، والشاعر محمد الحسناوي وغيرهم.

ولقد كتب سماحة مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني كلمة في رثاء السباعي، نقتطف منها: «فقدت سورية علماً من أعلامها، ومجاهداً من كبار مجاهديها، وفقد العالم الإسلامي عالماً من علمائه الأجلاء، وأستاذاً من أساتذته الفضلاء، وداعية من دعاته البلغاء، ولقد عرفته، فعرفت فيه الصدق والإخلاص، والصراحة ومضاء العزيمة والاندفاع في سبيل العقيدة والمبدأ، وكانت له قدم صدق، ويد بيضاء، في خدمة القضايا الإسلامية والعربية، وفي طليعتها قضيتا سورية وفلسطين، وكان على رأس كتيبة مجاهدي الإخوان المسلمين دفاعاً عن بيت المقدس عام ١٩٤٨م» انتهى.

ويذكر أبو الحسن الندوي عن لقاءاته مع السباعي حين زار سورية عام ١٩٥١م فيقول: «لقد أعطاني الحاج محمد أمين الحسيني كتاب تعريف للشيخ

السباعي وأثنى عليه ثناءً عاطراً، فلما زرت مركز الإخوان المسلمين في السنجقدار بدمشق، كان لقائي الحار بالأستاذ السباعي.

وقد حضرتُ مع السباعي جلسات البرلمان السوري كما زرتُ معه الجمعية الغراء والتقينا معظم علماء سورية كالأستاذ عمر بهاء الأميري والأستاذ محمد المبارك، والشيخ محمد نمر الخطيب، والشيخ أحمد الدقر، والشيخ عبد الرؤوف أبو طوق، والشيخ محمد بهجت البيطار، والدكتور أمجد الطرابلسي، والأستاذ سعيد الأفغاني، والأستاذ أحمد مظهر العظمة وغيرهم، وقد استضافني أكثر من مرة في بيته، كما ذهبنا معه إلى مصيف الأشرفية وزرتُ معه حمص حيث ألقيتُ محاضرة بمركز الإخوان المسلمين، وزرنا مسجد خالد بن الوليد، والشيخ عبد العزيز عيون السود، والشيخ محمد توفيق الأتاسي، حتى غادرت سورية حيث كان في وداعي بالمطار» انتهى.

أما الأستاذ حسني أدهم جرار فيقول في كتابه القيّم: (مصطفى السباعي قائد جيل ورائد أمة) الذي استفدت منه كثيراً:

«كان السباعي علماً بارزاً من أعلام الفكر والدعوة والجهاد في زماننا المعاصر، وكان منارة من منارات الإسلام الشامخة، ونموذجاً مشرقاً على امتداد تاريخنا الطويل، وكان عالماً متفتح الذهن، آتاه الله علماً واسعاً، وذكاءً حاداً، وبديهة حاضرة، وأسلوباً في الحوار نادراً، وجرأة في الحق، وقدرة على التصدي للباطل، وقوة في الإيمان، ويقظة في الضمير».

ويقول العلاّمة الكبير محمد أبو زهرة: «إنني لم أر في بلاد الشام، أعلى من السباعي همة، وأعظم منه نفساً، وأشد منه على الإسلام والمسلمين حرقةً وألماً».. انتهى.

أما العلاّمة د. يوسف القرضاوي فيقول عن السباعي: «الداعية الفقيه، الصابر المجاهد، صاحب الروح المشرقة، والبيان المغدق، والعقل المتفتح، الذي قاوم أعداء السُّنَّة فأسكتهم، ودعاة العلمانية فأفحمهم، مؤسس الحركة

الإسلامية في سورية، ومنشئ مجلة (حضارة الإسلام) وصاحب الكتب القيمة والرسائل النافعة الشيخ الدكتور مصطفى السباعي».

ومن قصيدة للشاعر محمد الحسناوي يرثي فيها السباعي قال:

كم جاء يخطب كلُّ عملاق ودا   دَكَ بالمنى والأصفر الرنانِ
كم دولة كبرى دعتك فما استجبت   لغير صوت الحق والإيمانِ
وسَخِرْتَ بالإغراء والتهديد لا   قرّتْ بفقدك مقلة الخُوّانِ
ومشيت إذ قعد الورى لتغيث أر   ضَ الأنبياء بغيثك الرباني
بكتائب الرحمن تجتاح اليهو   د تذود عن دين وعن أوطانِ
ورجعت صلب العود عالي النفس تُر   سي الأُسَّ فيما انهار من بنيانِ
ورجمت أصنام الخيانة والهوى   ودمغتَ كل مداور وجبانِ
فيك الأبوة والقيادة والتقى   والعلم والإخلاص للرحمنِ
فيكَ الجهادُ شجاعة وريادة   لله كم أصفاك من إحسانِ
أولست من هزّ المنابرَ والعرو   شَ وزلزلَ الطاغوت بالإيمانِ؟

خصائص حضارتنا:

قال السباعي في كتابه الرائع: (من روائع حضارتنا):

«لقد تميزت حضارتنا بالخصائص التالية:

١ ـ قامت على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة، فهي أول حضارة تنادي بالإله الواحد الذي لا شريك له في حكمه وملكه. هو وحده الذي يُعبد، وهو وحده الذي يُقصد ﴿إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥] وهو الذي يعز ويذل ويعطي و يمنع، وما من شيء في السماوات والأرض إلاّ وهو تحت قدرته وفي متناول قبضته.

هذا السمو في فهـم الوحدانيـة كان له أثرٌ كبير في رفع مستـوى الإنسـان وتحرير الجماهير من طغيان الملوك والأشراف والأقوياء ورجال الدين.

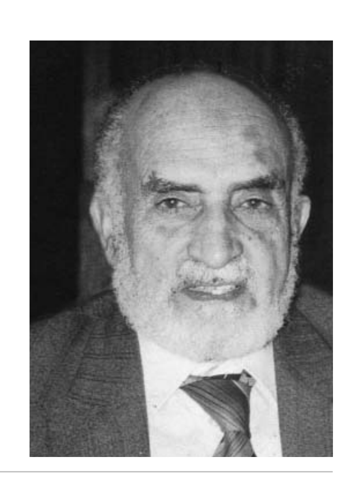
٢ ـ وثاني خصائص حضارتنا أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأُفق والرسالة، فالقرآن أعلن وحدة النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

٣ ـ وثالث خصائص حضارتنا أنها جعلت للمبادئ الأخلاقية المحل الأول في كل نظمها ومختلف ميادين نشاطها في الحكم وفي العلم وفي التشريع وفي الحرب وفي السلم وفي الاقتصاد وفي الأُسرة.

٤ ـ ورابع هذه الخصائص أنها تؤمن بالعلم في أصدق أصوله، وترتكز على العقيدة في أصفى مبادئها فهي خاطبت العقل والقلب معاً، وأثارت العاطفة والفكر في وقت واحد.

٥ ـ وآخر ما نذكره من خصائص حضارتنا: هذا التسامح الديني العجيب الذي لم تعرفه حضارة مثلها قامت على الدين».

رحم الله أستاذنا الجليل الدكتور مصطفى حسني السباعي، فلقد كان رجلاً في أمة، وكان زينة الدعاة في عصره، وقرّة عين ديار الشام، وابن حمص، الذي تفخر به وتعتز، لقد كان السباعي ملك الإسلام والمسلمين وكانت وفاته خسارة على الإسلام والمسلمين.





مصطفى مشهور..

المرشد الخامس للإخوان المسلمين

(١٣٤١ ـ ١٤٢٢هـ = ١٩٢١ ـ ٢٠٠٢م)

مولده ونشأته:

ولد يرحمه الله يوم ١٥ / ٩ / ١٩٢١م في قرية السعديين من أعمال منيا القمح (محافظة الشرقية) من عائلة عريقة في بيئة محافظة، وكان والده الحاج مشهور مشهور يحرص كل الحرص على تحفيظ ابنه مصطفى وإخوانه القرآن الكريم، وملازمة المسجد، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية في مركز منيا القمح التحق بمدرسة الزقازيق الثانوية لمدة عامين، ثم انتقل إلى مدرسة العباسية الثانوية بالقاهرة.

وبعد إكمال المرحلة الثانوية التحق بكلية العلوم بجامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقاً) وتخرج فيها بدرجة جيد جداً سنة ١٩٤٣م، وتخصص في العلوم الفلكية، والتحق بمصلحة الأرصاد الجوية.

وفي سنة ١٩٤٥م، تزوج من ابنة عمه، التي فاجأها بقوله:

«إن زوجتي الأولى هي (الدعوة) وأنت الزوجة الثانية، فلا تغاري منها إذا تأخرت أو شغلتُ بسببها عنك».

فكان جواب زوجته: «وأنا خادمتها».

وقد كان زواجاً مباركاً موفقاً، وعهداً موثقاً، ووفاء متصلاً حتى الممات.

تعرّفه إلى الإخوان المسلمين:

فيما كان يصلي في مسجد الحي الذي يقطنه بالقاهرة، رأى أحد المصلين يوزع مجلة (التعارف) وسمعه يدعو الناس إلى درس في الحي، فحضر ذلك الدرس، وسمع أحد الإخوان يتحدث عن الإسلام حديثاً أعجبه، وفي المسجد نفسه، أعلن المتحدث أن الأستاذ حسن البنا سيعطي دروساً كل يوم ثلاثاء في المركز العام للإخوان المسلمين في منطقة الحلمية، فذهب الشاب مصطفى مشهور، وحضر درس الثلاثاء للإمام البنا، فأعجب بحديثه أيما إعجاب، وحرص على المداومة على حضور الدرس كل أسبوع، وتعرّف إلى بعض الإخوان الذين ضمّوه إلى إحدى الأسر التنظيمية سنة ١٩٣٦م، وبايع مسؤول الأسرة على الالتزام بدعوة الإخوان، والعمل في سبيل الله، ونشر دعوة الإسلام، وكان عمره آنذاك خمسة عشر عاماً.

وقد لازمته أثناء دراسته فكرة الجهاد ضد الاستعمار الإنجليزي الذي يجثم على أرض مصر، ويحتلها، ويذل أهلها، ويسخرهم لخدمته، ويستنزف خيرات البلاد، ويعيث في الأرض الفساد، فكان مشهور يرى أن الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة بمصر، لمقاومة هذا المستعمر المحتل، لذا كانت دعوته لزملاء الدراسة، إلى الانضمام لصفوف الإخوان المسلمين، تبدأ من ضرورة مقاومة المستعمر المحتل البغيض. وكانت دعوته هذه تجد آذاناً صاغية لدى الطلبة، لأن الأمة كانت مشحونة لمقاومة المشروع الصهيوني على أرض فلسطين المدعوم من الإنجليز الذين يحتلون مصر

وفلسطين، ويسهِّلون هجرة اليهود من أنحاء العالم إلى فلسطين العربية الإسلامية.

رحلاته في السجون:

اعتقل سنة ١٩٤٨م في حادثة السيارة الجيب وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، وكانت هذه المحكومية وساماً على صدره وصدور إخوانه، كما جاء في حيثيات الحكم الذي أشاد بالإخوان المسلمين، وجهادهم في الدفاع عن قضايا الوطن، وبخاصة في فلسطين، حتى إن رئيس المحكمة المستشار أحمد كامل بك الذي حاكم الإخوان المسلمين تأثر بهم وبدعوتهم من خلال المحاكمة، ووقف على حقيقة أهدافهم، وصار فيما بعد واحداً منهم.

واعتقل مرة ثانية سنة ١٩٥٤م، بعد حادثة المنشية المفتعلة، ثم أفرج عنه سنة ١٩٦٤م بعد قضاء فترة السجن عشر سنوات، وبعد أقل من سنة أعيد اعتقاله مرة ثانية سنة ١٩٦٥م، وأفرج عنه سنة ١٩٧١م.

يقول الأستاذ مصطفى مشهور: «في يونيو ١٩٥٤م أُبعدت عن العمل المهني إلى (مرسى مطروح) ثم وقع حادث المنشية المفتعل، فاعتقلت بعد أسبوعين، وأُحضرت من (مرسى مطروح) إلى السجن الحربي، وكان التعذيب شديداً بمجرد الدخول من باب السجن. عُذبتُ كثيراً في السجن الحربي، وشكَّلوا محكمة لمحاكمتي لم تستغرق أكثر من ثلاث دقائق، وحكموا عليَّ بعشر سنوات أشغال شاقة. بعد الحكم نقلوني إلى (ليمان طرة) ثم أبعدوا عن الليمان عدداً من الإخوان وكنت منهم إلى سجن (الواحات) الخارجية، وكان السجن عبارة عن خيام محاطة بالحرس، وبسلك شائك، ومفتوحة طول الليل والنهار، وكان الجو صعباً، فتأقلمنا معه، وكان ذلك سنة ١٩٥٥م.

وقبل انتهاء مدتي بستة أشهر، أخلوا السجن فرحلوني إلى «أسيوط» فقضيت بها المدة المتبقية وخرجت سنة ١٩٦٤م.

وفي سنة ١٩٦٥م افتعل عبدالناصر محنة سيد قطب ومحمد يوسف هواش وعبدالفتاح إسماعيل، وأصدر مرسوماً باعتقال كل من سبق اعتقاله وأذاعه من موسكو، حيث كان في زيارة لروسيا، وأقام المحاكم العسكرية، وحُكم بالإعدام على سيد قطب، ومحمد يوسف هواش، وعبدالفتاح إسماعيل، وعلى الآخرين بأحكام المؤبد والسنوات، وكنت ممن اعتُقلوا في يوليو سنة ١٩٦٥م وبقيت في السجن إلى ما بعد موت عبدالناصر.

وفي سنة ١٩٥٧م ونحن في السجن كان عبدالناصر يخطط لخلع الملك حسين، ولكن ضباط الإخوان في الأردن كشفوا هذا المخطط وأفشلوه، فاغتاظ منهم عبدالناصر، وأراد أن ينتقم منهم ومن الإخوان المسجونين في سجن طرة، حيث دخلت مجموعة من الجنود يحملون الرشاشات، والإخوان في الزنازين والعنابر، فصوَّبوا الرشاشات نحوهم بعشوائية وهمجية، فاستشهد منهم واحد وعشرون شهيداً، فضلاً عن الأعداد الكبيرة من المصابين والجرحى، وسميت هذه المذبحة بـ(مذبحة طرة).

كان مصطفى مشهور من أعضاء النظام الخاص، بل كان من قيادييه، وهذا النظام أنشأه الإمام حسن البنا للتصدي للإنجليز المحتلين لمصر، ولليهود الغاصبين لفلسطين، وقد أشاد به القادة العسكريون وغيرهم لما رأوا من جهاد أعضائه وبطولاتهم في فلسطين ضد اليهود، وفي مصر ضد الإنجليز، وتلك كانت مهمة النظام الخاص البطولية التي حاول تشويهها الاستعمار وأعوانه في الداخل والخارج، من الحكومات العميلة، وأبواق السلطة، وأذناب الاستعمار، في الوقت الذي كانت للملك فاروق منظمة الحرس الحديدي للاغتيالات، ولحزب الوفد منظمة القمصان الزرق لمحاربة خصوم الوفد، ولمصر الفتاة القمصان الخضر، وغيرها.

معرفتي به:

بداية معرفتي بالأستاذ مشهور يرحمه الله كانت حين زرته وإخوانه في

السجن، برفقة الشيخ مناع القطان يرحمه الله سنة ١٩٤٩م، وحين حضرت محاكمات قضية السيارة الجيب سنة ١٩٥١م بصحبة أستاذنا الشيخ أبي الحسن الندوي، حيث كنا نشاهده وإخوانه في قفص الاتهام، والمحامي الشاب سعيد رمضان يلقي مرافعته الرائعة عن المتهمين التي أبكت الحاضرين بقوة تأثيرها، وبلاغة عرضها، وصدق براهينها.

ثم كانت لقاءاتي المتكررة معه بمصر حين زرته بعد موت الطاغية عبدالناصر، وسعدت بزيارته في داره، وفي مكتب المرشد العام الأستاذ عمر التلمساني يرحمه الله بالتوفيقية، وفي بيت د.أحمد الملط يرحمه الله ومنزل الحاج حسني عبدالباقي، ومنزل الأستاذ عمر التلمساني يرحمه الله وفي مخيمات الشباب بالإسكندرية، وفي منزلنا بمصر الجديدة، ومنزل الحاجة زينب الغزالي - يرحمها الله -.

وبعد خروجه من مصر سنة ١٩٨١م تكررت اللقاءات به في الكويت والسعودية وألمانيا وفرنسا وسويسرا وتركيا والجزائر وغيرها، وكانت دروسه الدعوية في الأسر والكتائب والمخيمات من أعظم الدروس التربوية في الدعوة الفردية والجماعية التي استفدنا منها كثيراً في الثبات أمام التحديات، والعمل الدؤوب لخدمة الإسلام والمسلمين، والصبر على الأذى في سبيل الله، وتعميق معنى الأخوة الإيمانية في صفوف الجماعة.

نشاطه الدعوي:

بعد خروجه من السجن كثَّف جهوده الدعوية مع الشباب، وبخاصة طلاب الجامعات المصرية الذين أعطاهم جل وقته في الرعاية والتوجيه والترشيد والتسديد، حتى يفهموا الإسلام على حقيقته، ويلتزموا به وفق منهج الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة. كما كانت له زياراته إلى البلاد العربية والأجنبية، والالتقاء بالإخوان المسلمين والعاملين للإسلام في كل قطر، وبهذا

وصل ما قُطع من اتصال بسبب السجون التي غيبت قادة الإخوان المسلمين بمصر عن إخوانهم في البلاد العربية والإسلامية وفي المهاجر.

وكان لجهود الأستاذ مصطفى مشهور وإخوانه الدعاة أمثال الدكتور أحمد الملط، والأستاذ كمال السنانيري، والأستاذ محمد مهدي عاكف، والدكتور علي جريشة، وغيرهم من الإخوة المصريين، الأثر الكبير في إثارة الهمم، وشحذ العزائم لدى الإخوان المسلمين في أنحاء العالم.

وكان لمجلة (الدعوة) التي أصدرها الأستاذ مشهور خارج مصر، أعظم الأثر في توحيد المفاهيم والمنطلقات، وجمع الإخوان على المنهج الأصيل لدعوة الحق والقوة والحرية.

وقبيل أحداث سبتمبر سنة ١٩٨١م التي اعتقل فيها السادات عدداً من قيادات القوى السياسية في مصر، ومنهم الإخوان المسلمون، كان الأستاذ مصطفى مشهور خارج مصر، حيث بقي خمس سنوات في أوروبا، وأسهم مع إخوانه من البلدان العربية في تأسيس التنظيم العالمي للإخوان المسلمين، الذي اضطلع بدور التنسيق بين هذه التنظيمات الإخوانية، والحركات والجماعات والجمعيات والأحزاب الإسلامية في أنحاء العالم كله.

وفي سنة ١٩٨٦م عاد الأستاذ مشهور إلى مصر، بعد أن تولى الأستاذ محمد حامد أبوالنصر يرحمه الله منصب المرشد العام للإخوان المسلمين، بعد الأستاذ عمر التلمساني، فاختير الأستاذ مصطفى مشهور نائباً للمرشد العام. وبعد وفاة الأستاذ المرشد محمد حامد أبو النصر، انتخب الأستاذ مصطفى مشهور مرشداً عاماً للإخوان المسلمين، فكان المرشد الخامس.

أفكاره ونشاطه العلمي:

إن من يقرأ كتب ومقالات فضيلة الأستاذ مصطفى مشهور، يتوقف أمام فكرة أساسية هي: المضي في طريق الدعوة مهما كانت العقبات، وامتزاج شخصه بها،

وتغلغلها في أعماقه، حتى لقبه البعض بـ(الشارح الأول) لمبادئ دعوة الإخوان المسلمين، وقد احتلت فكرة ضبط الدعوة بأصولها، ووزنها بميزان مبادئها، حيزاً كبيراً في فكره وكتاباته، وكان أبرز ما شغله في حياته، التوازن بين الدعوة في حركتها العامة، وخاصة على صعيد العمل السياسي، وبين ميدانها الأصيل وهو ميدان العمل التربوي. كما احتلت فكرة الدولة الإسلامية مكاناً بارزاً في تفكيره وكتبه، بمعناها الحضاري الواسع، ورأى أن الدولة بناء ضخم يحتاج إلى أساس عريض وعميق ومتين، وبالتالي يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، على اعتبار أن الأساس أشق مراحل البناء، وكان دائماً يردد: لا نريد لبنائنا أن يقوم ثم ينهار.

ومن أهم أفكاره:

«إن بناء الذات الإنسانية المسلمة لرجل الدعوة، هي أهم وأصعب ميادين البناء، لأن بناء الرجال أشق من بناء المؤسسات».

لهذا اتجه في كثير من كتبه إلى تقوية هذه الذات، وتدعيمها، وإكسابها الصلابة، فكان كتاب «عقبات في الطريق» الذي تناول فيه المحن وما تتركه من إرباك للعاملين في الصف الإسلامي، ربما دفعهم للتشكك في صحة الطريق، أو رشد القيادة، ويرى «أن الإيمان أهم سلاح نتسلح به، يصبِّرنا ويثبتنا ويطمئننا أن المستقبل للإسلام، فعلينا أن نصبر ونثابر حتى يتحقق وعد الله بالنصر إن شاء الله فأين فرعون وهامان؟ وأين الاتحاد السوفييتي وغيره؟

و«إسرائيل» إلى زوال إن شاء الله، إذا واصلنا مسيرتنا على هذا الطريق. فالتربية، واستغلال الوقت، والمحن التي نتعرض لها، ليست ضربات معجزة أو معوقة، ولكنها سنة الله في الدعوات، في الصقل والتمحيص والتمييز بين الثابت والمنهار، لأن أهم مرحلة في الدولة المستقبلية هي أساسها، فإذا كان الأساس متيناً يعلو البناء ويرتفع، أما إذا كان ضعيفاً فسينهار، فهذه المحن للصقل والتمحيص وإعداد القيادة الصلبة التي يثبت عليها البناء.

ـ يجب على الإخوان ألا ينزعجوا من هذه المحن، بل يعتبرونها شرفاً، فالزمن لا يقاس بعمر الأفراد، بل بعمر الدعوات والأمم، وليس هذا بالكثير من أجل تحقيق هذا الهدف الكبير.

ـ علينا أن نتواصى بالجيل الجديد، ونهتم به، ونورِّثه الدعوة، وندعوه لمواصلة المسيرة بالإيمان والدعاء والصبر والاحتساب والاستبشار بأن المستقبل لهذا الدين، ونهتم بالتربية، وبالأشبال، وبأبناء الإخوان، وهذا معنى مهم جداً، فالأستاذ البنا قال: نريد الفرد المسلم، والبيت المسلم، والمجتمع المسلم الذي يرفض أن يستقر عليه غير الحكم الإسلامي. إن هذا الجيل من الأشبال، وأولاد الإخوان، ربما يتحقق على يديه النصر، فعلينا أن نهتم به.

ـ الصحوة في العالم الإسلامي قابلها انهيار الأخلاق في العالم الغربي، دخل كثيرون في الإسلام وانتشر الإسلام في أوروبا وأمريكا، فلابد لنا أن نستبشر ونشعر بالعزة: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ [المنافقون:٨].

ـ الموت يأتي بغتة، فلابد من الاستعداد للقاء الله، ولحساب الآخرة، فنخلص النية في كل عمل نعمله ونجعله دعوة لله وعبادة له، لأننا لم نخلق إلا لعبادة الله: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [الذاريات: ٥٦]، فهذه هي مهمتنا في هذه الدنيا فلنحرص على دعم هذه الصورة، ولنقوها بازدياد القاعدة، وبالالتحام بالشعب، فنكوّن رأياً عاماً إسلامياً، يساند هذه الدعوة، فهذا ما نحرص عليه، ونتوقع النصر بعد حين إن شاء الله.

أهم مؤلفاته:

طريق الدعوة.

زاد على الطريق.

تساؤلات على طريق الدعوة.

الحياة في محراب الصلاة.

الجهاد هو السبيل.

قضية الظلم في ضوء الكتاب والسنَّة.

القائد القدوة.

التيار الإسلامي ودوره في البناء.

القدوة على طريق الدعوة.

قضايا أساسية على طريق الدعوة.

من التيار الإسلامي إلى شعب مصر.

وحدة العمل الإسلامي.

طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف.

مناجاة على طريق الدعوة.

بين الربانية والمادية.

مقومات رجل العقيدة.

الإيمان ومتطلباته.

الدعوة الفردية.

من فقه الدعوة (جزءان).

الإسلام هو الحل.

قالوا عنه:

يقول الشيخ محمد عبدالله الخطيب: «إن الحديث عن الأستاذ مصطفى مشهور، رحمه الله، حبيب إلى كل قلب، وإن بيان قدره ومنزلته كقائد من قادة الدعوة الإسلامية في العصر الحديث، يحتاج إلى صفحات طوال، فهو المؤمن المجاهد، والصابر المحتسب، والمربي والداعية الذي مهَّد الأرض، وبذر الحب، وغرس الثمار، ثم تعهد النبتة فسقاها لفترة تزيد على ستين عاماً عاشها

متجرداً لهذه الرسالة الخالدة.. الدعوة المباركة لإعلاء كلمة الله وحده، ولقد جاءت الثمار طيبة مباركة، وكان رحمه الله، يحمّل الأجيال التبعة، ويذكّر بالمسؤولية، فكان يقول:

«الدعوة إلى الله واجب كل مسلم ومسلمة، لتحقيق شهادتنا على الناس، إنها مهمة الأنبياء والرسل، صلوات الله وسلامه عليهم، فهي شرف عظيم، ومنزلة سامية، وثوابها عند الله عظيم، وهي في نفس الوقت مصدر وافر، وزاد عظيم.

إن كل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله يدخل في الأمة الإسلامية، ويكون له كل الحقوق لأيّ مسلم في المجتمع، وواجبنا أن نعلمه ونربيه ونأخذ بيده».

وكان رحمه الله ينصح الشباب دائماً بالتأني وعدم العجلة، ويكره الاندفاع والتشدد.

جزى الله الأستاذ المرشد عنا خير الجزاء، وتقبّله في الصالحين مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً».

ويقول الشاعر الكبير الدكتور جابر قميحة:

في جمعة الأحزان ماذا أرى؟ ... سيلاً من البشر الطهور يمور

عجباً ولكن كيف كيف تجمعوا ... عجباً!! وإن نشاطهم محظور

لا تعجبوا: فالله جمَّع جنده ... والحظر محظور هنا مقهور

والظالم الباغي ضلال سعيه ... وعليه دائرة البوار تدور

هذي الجحافل في الظلام منارة ... عجباً!! أيحظر في الظلام النور

ورأيت منهم ألف ألف موحد ... من جند طه قادهم مشهور

بالحب يا «مشهور» أنت تقودهم ... وبذاك أنت على القلوب أمير

والحب في فن القيادة جامع ... والحقد في كل الأمور يضير

الله غايتهم ونور قلوبهم ... وهمو لشرعته فدى ونصير

تـخـذوا كـتـاب الله دسـتـوراً فـلا ... يـعـلـوه قـانـون ولا دسـتـور
جعلوا الجهاد سبيلهم فتقدموا ... ودمـاؤهـم فـي الـنـازلات مـهـور
عـنـد الـمـطـامع لا تـراهـم إنـما ... عـنـد الـكـوارث إنـهـم لـكـثـيـر
مـهـمـا ذكـرت مـحـاسـنـاً ومـآثـراً ... فـالشـعـر عـجـز شـابـه الـتـقـصير
يـكـفـيك فـي الـتـاريـخ أنك مـرشـد ... يـكـفـيك أنك مـصـطـفـى مـشـهـور

***

ويقول الشاعر الأستاذ شريف قاسم:

أيـهـا الـراحـل الـكـريـم رويـداً ... فـحـواليـك لـلـوداع رواء
عـتب الأمـة الـجـريـحـة أدمـى ... مـقـلـتـيـهـا ولـلـقـلـوب نـداء
في يـديـكـم لـمـجـدهـا خـير نـهج ... حـاربـتـه الـجـهـالـة الـجـهـلاء
أنـتـم الـخـيـرة الـتـي لا تـمـارى ... فـي عـلاهـا، وأنـتـم الـغـربـاء
فيك تبكي جموعنا حسن البنا ... ويـبـكـي عـلـى الـرجـال الـوفـاء
والـهـضيبي والـتـلـمساني وتـنـعى ... لأولـي الـفـضـل مـوتك الأتـقـيـاء
وأبا الأعلى والفتى الندوي الحر ... صـيـداً وكـلـهـم أكـفـيـاء
والسـبـاعـي وسـيـداً والـغـزالـي ... وابـن بـاز وتـزدهـي الأسـمـاء
مـن كـرام أئـمـة ونـجـوم ... بـكت الأرض فـقـدهـم والسـمـاء
غـبت يـا مصطفى ومصر تـنادت ... لـلـعـزاء، وفـيك جـل الـعـزاء
ذاك يـا مـصـطـفـى بـيـانك يـروي ... سـفـر مـا بشـرت بـه الأنـبـيـاء

موقف شخصي كريم:

شاء الله عز وجل أن يبتليني بفقد أخ كريم وصديق عزيز خر صريعاً في ديار الغربة برصاصات الغدر، وترك خلفه ثلاثة أطفال، أكبرهم عمره خمس سنوات، وقد عاشوا بعد اغتياله ظروفاً صعبة جداً، وانتظرنا طويلاً من

يتطـوع لرعايـة هذه الأسـرة، وكفالة الأيتـام، وطـال الانتظار، فكـانت إرادة الله أن أتقـدم لـزواج الأرمـلـة، وكفـالة أبناء أخـي في الله، وتمّ الأمـر بتـوفيـق الله.

وكانت المشكلة الكبرى هي الثورة العارمة من الزوجة الأولى التي أقامت الدنيا ولم تقعدها، ولم تنفع معها نصائح الوالد والعم، رحمهما الله، ولا نصائح كبار الإخوان المسلمين، وعلى رأسهم المرشد العام الأستاذ عمر التلمساني، وحين زارنا الأستاذ مصطفى مشهور في شهر رمضان سنة ١٤٠٤هـ بالكويت شرحت له ما أعانيه من ابنة عمي زوجتي الأولى التي لم أقصّر في حقها، لا قبل الزواج الثاني ولا بعده، فكانت مبادرة الأستاذ مشهور بكتابة هذا الخطاب الشخصي لها، مما هدأ شيئاً من ثورتها، وطامن قليلاً من غضبها، وبمرور الأيام عادت الأمور إلى نصابها والحمد لله رب العالمين.

وهذا هو نص رسالة الأستاذ مشهور بخط يده:

الأخت المؤمنة الفاضلة (أم مصطفى):

السلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد:

فما جعلني أقدم على الكتابة إليكِ إلا من منطلق معرفتي بتقديرك لي، ومن منطلق اهتمامي وانشغالي بما تعيشينه هذه الأيام من ظروف ومشاعر، وأحب أن أؤكد لك ابتداء وأشهد الله على ذلك أنني في كتابتي هذا الخطاب لا أشعر بانحياز لأي منكما، ولكن من منطلق حب الخير لكما على السواء، لذلك أرجو أن تستقبلي كتابتي هذه في جو هادئ بعيد عن الانفعال وبعيداً عن أي تشكك أو ريبة أو ظنون.

أنا أعلم ابتداء ما يجيش في صدر أي امرأة في مثل ظروفك هذه من مشاعر وألم، ولا ننكر عليك ذلك، ولكن أحياناً ينتهز الشيطان الفرصة فيضخم القضية أكثر من حجمها بما يؤجج المشاعر بصورة شديدة يخشى منها أن تؤثر على الصحة أو أن تؤدي إلى إفساد العلاقة لا قدر الله فالذي أوصي وأؤكد عليه عدم

الاسترسال في هذا الجو من توتر الأعصاب والأحاسيس، لما يترتب على ذلك من أضرار صحية أو غير ذلك، وسأعينك بعون الله على ذلك لو أحسنت استقبال كلامي، وإذا لم تهتز ثقتك بإنصافي وعدم انحيازي.

قد لا تستطيعين أن تضبطي مشاعرك بحيث تقرئين خطابي القراءة الأولى بهدوء واستيعاب، فأرجو أن تعيدي قراءته مرات أخرى في جو أهدأ، كما أرجو ألا يكون حظه الإهمال أو سلة المهملات.

سأذكر لك بعض النقاط أرجو أن تقفي مع كل نقطة منها وتحكّمي عقلك قبل عاطفتك وبالله التوفيق:

ـ أنبه أولاً إلى عدم المغالاة في التبرّم والشعور بالضيق كي لا يقترب بك ذلك إلى دائرة عدم الرضا بتشريع الله الذي أباح هذا التصرف، ففي ذلك خطر عظيم.

ـ لا شك أن معرفتك الطويلة والقريبة بزوجك أوجدت عندك ثقة كبيرة بدينه وخلقه وكذا تقديره لك، فلا يتصور أن تهتز هذه الثقة بنفسك بسبب تصرفه هذا، فليس معقولاً أن يتخلى عن قيمه ومثله وأسلوب معاملته هكذا فجأة.

ـ أرجو أن تكون نظرتك لتصرفه من خلال هذه الثقة القوية بدينه وخلقه وإعزازه، ولا تنساقي وراء الهواجس كي لا تقتربي أيضاً من دائرة من يكفرن العشير وينسين كل خير سابق بسبب موقف لاحق، نتيجة التأثر بالوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

ـ تقديري أن ما تشعرين به من حزن أو قلق سببه ما لمسته في حياتكما الزوجية من حسن معاملة وجميل عشرة مما جعلك تتخوفين من تغير هذا المستوى من المعاملة، ولو أنه فرضاً كان سيئ العشرة ما تأثرت ولا حزنت على شيء لزواجه بأخرى، وما نحسبه هو أنه لن ينقص شيئاً من مسلكه وواجبه نحوك، فقد عرف بيننا بالوفاء والصدق والإخلاص.. نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً.

ـ رجائي أن تطردي الشيطان بل تطارديه ولا تستسلمي له، وألا تسلمي

خواطرك وآذانك لوساوس الجن والإنس، وأقبلي على كتاب الله وسيرة رسوله ﷺ، وعلى ذكر الله والدعاء في هذا الشهر الكريم لعل الله أن يشرح صدرك ويذهب عنك الهم والحزن.

ـ لا تنسي ولا تنكري فضل الله عليك بتوفيقه بزواجك به فهناك غيرك كثيرات يتعرضن إلى حياة زوجية بائسة لبعد أزواجهن عن تعاليم الإسلام وآداب الإسلام فلتحمدي الله على هذه النعمة.

ـ ما دام لم يقصر في حق من حقوقك، ولم يتغير في مستوى معاملته لك أو شعوره نحوك، فماذا يكون جديداً غير غيابه أياماً معدودة كل فترة؟ وقد تعودتم على هذا الغياب في أسفار له كثيرة.

ـ وما يعينك على تهدئة ما في نفسك والتغلب على هذه الخواطر المقلقة أن تتفكري في حالة زوجات غيرك لتقدري ما أنت فيه من خير رغم ما حدث.

ـ فمثلاً هناك زوجات غاب عنهن أزواجهن سنوات طوالاً بلغت أحياناً عشرين عاماً وتعرضن لكثير من العنت وقد صبرن حتى خرج لهن أزواجهنَّ فكان لهن أجر الصابرات «وما أم هاني عنك ببعيدة».

ـ وهناك زوجات يلقين عنتاً شديداً من سوء معاملة أزواجهن لهن، وما هم عليه من قسوة وغلظة.

ـ وهناك زوجات بائسات يعشن حياة لا طعم لها بل كلها عنت بسبب انحراف أزواجهن وفساد أخلاقهم وإهمالهم لهن.

ـ هل ترضين أن تكوني في مثل هذه الحالات ولو لم يتزوج عليك؟

ـ وهل يكون جزاء حسن معاملته وعدم انحرافه وإكرامه لك أن تحرِّمي عليه شيئاً أحلّه الله، وقد قصد به ثواب الله في إنقاذ هؤلاء اليتامى، وأمهم من التشرد والملاحقة؟ فلا تحرمي نفسك من المشاركة معه في ثواب الله بسبب سخطك وتبرمك بهذا الزواج.

ـ معذرة إذا قلت لك: تصوري نفسك فرضاً أنك تعرضت لنفس ظروفها، ومدّ

أحد الإخوان يده لينقذك وأولادك من التشرد والعنت وأنت في أشد الحاجة إلى ذلك، ألا تشعرين أن ذلك عمل جليل يستحق التقدير والجزاء الحسن من الله؟

ـ كلي أمل ورجاء أن تهدأ نفسك وتطمئن وتشفى، فلن يرضى هو بأي انتقاص لشيء مما كنت تسعدين به من حقوق ومعاملة، ونحن لن نرضى لو فرض جدلاً وحدث شيء من ذلك، ولن يكون بإذن الله فكوني راضية مطمئنة، وأغلقي على الشيطان منافذه، ولا تحرمي نفسك أجر الصابرات.

ـ ليكن همنا جميعاً السعي إلى الآخرة بطاعة الله وبالرضا والصبر والدعاء أن يختم لنا بخير، وأن نكون ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه، فلحظات الدنيا قصيرة وزائلة، فلتكن في طاعة ورضاً وشكر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رمضان سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

مصطفى مشهور

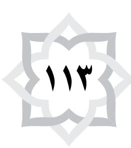
وفاته:

توفي فضيلة الأستاذ مصطفى مشهور المرشد الخامس للإخوان المسلمين يوم الخميس ليلة الجمعة ١٢ رمضان سنة ١٤٢٣هـ الموافق ١٥ / ١١ / ٢٠٠٢م بعد غيبوبة دامت ثمانية عشر يوماً، وصلى عليه ما يقرب من نصف مليون فرد بعد صلاة الجمعة.

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





الأخ الداعية الشيخ مناع خليل القطان

(١٣٥٤ ـ ١٤٢٠هـ = ١٩٢٥ ـ ١٩٩٩م)

مولده ونشأته:

هو الأخ الكريم والداعية العامل والمجاهد الصلب الشيخ مناع خليل القطان، ولد في شهر أكتوبر سنة ١٩٢٥م ـ ١٣٤٥هـ في قرية (شنشور) مركز (أشمون) من محافظة المنوفية بمصر من أسرة متوسطة الحال، وفي بيئة إسلامية مترابطة، حيث كان المجتمع الريفي يعتمد على الأرض الزراعية.

بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في الكتاب، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، ثم التحق بالمعهد الديني الأزهري بمدينة (شبين الكوم) ثم التحق بكلية أصول الدين في القاهرة.

مشايخه:

ومن مشايخه الذين تأثر بهم: الشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ عبدالمتعال

سيف النصر، والشيخ علي شلبي، والشيخ محمد زيدان، والدكتور محمد البهي، والدكتور محمد يوسف موسى، وهو يعتبر أن والده خليل القطان، ثم الشيخ عبدالرزاق عفيفي، والإمام الشهيد حسن البنا أكثر الشخصيات تأثيراً فيه.

نشاطه العملي والدعوي:

التحق بجماعة الإخوان المسلمين في أثناء دراسته، وعمل في صفوفها في محيط الطلاب والوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله، وانتخب رئيساً للطلبة بكلية أصول الدين، وقد شارك في نشاط الإخوان الوطني سنة ١٩٤٦م في التصدي للاستعمار الإنجليزي حتى ألغيت معاهدة سنة ١٩٣٦م المشؤومة.

كما شارك في التطوع للجهاد في فلسطين سنة ١٩٤٨م، وقد دخل السجن بعدها، كما شارك في المقاومة السرية ضد الاحتلال الإنجليزي في منطقة قناة السويس سنة ١٩٥١-١٩٥٢م، وكل هذه المشاركات كانت من خلال جماعة الإخوان المسلمين وشبابها المكافح المجاهد. وكان وثيق الصلة بالشيخ محمد الغزالي، والشيخ سيد سابق، والشيخ أحمد حسن الباقوري.

وقد غادر مصر سنة ١٩٥٣م إلى المملكة العربية السعودية للتدريس في مدارسها ومعاهدها إلى سنة ١٩٥٨م، حيث انتقل للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، ثم كلية اللغة العربية، ثم مديراً للمعهد العالي للقضاء، ثم مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالإضافة إلى عضويته في مجلس الجامعة، ورئاسة اللجنة العلمية لكلية البنات، وكذلك لجنة السياسة التعليمية بالمملكة، وكان يشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعات محمد بن سعود، وأم القرى، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وقد بلغ عددها ١١٥ رسالة، وقد وفقه الله لإقامة مجمع إسلامي خيري كبير سنة ١٩٩٣م في قريته (شنشور) بمحافظة المنوفية، على نفقته الخاصة، افتتحه وزير الأوقاف المصري محمود حمدي زقزوق بحضور عدد كبير من علماء الأزهر.

شارك في الكثير من المؤتمرات الإسلامية والعلمية في داخل المملكة وخارجها، وأهمها: المؤتمر الأول لرابطة العالم الإسلامي، المؤتمر الإسلامي في كراتشي بباكستان، المؤتمر الإسلامي العالمي في بغداد، المؤتمر الإسلامي بالقدس، مؤتمر المنظمات الإسلامية، مؤتمر رسالة الجامعة بالرياض، أسبوع الفقه الإسلامي بالرياض، أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، المؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي بمكة المكرمة، المؤتمر الجغرافي الإسلامي بالرياض، مؤتمر رسالة المسجد بمكة المكرمة، مؤتمر الدعوة والدعاة بالمدينة المنورة، مؤتمر مكافحة الجريمة بالرياض، ندوة مكافحة المخدرات، مؤتمر الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض، ندوة انحراف الأحداث، وغيرها من المؤتمرات والندوات في أنحاء العالم الإسلامي.

معرفتي به:

بدأت معرفتي به أواخر سنة ١٩٤٩م حين ذهبت إلى مصر للدراسة الجامعية، وكان وقتها يدرس في كلية أصول الدين بالأزهر، ويقوم بدور دعوي نشط في محيط الطلاب، ويشرف على توزيع نشرة (البناء) التي يوزعها تنظيم الإخوان المسلمين.

ثم اصطحبني معه لزيارة بعض الإخوان المسجونين بقضية السيارة الجيب في السجون المصرية أمثال: أحمد حسنين، ومصطفى مشهور، وأحمد عادل كمال، ومحمود الصباغ، وحلمي الكاشف، وأحمد زكي، وأحمد حجازي، وجمال فوزي وغيرهم.

وكان، وهو طالب، له صفحة كاملة في مجلة الإخوان الأسبوعية، يكتب فيها مقالات مسلسلة عن إصلاح الأزهر وتطويره.

وحين غادر مصر إلى المملكة العربية السعودية سنة ١٩٥٣م التقيته حين ذهابي إلى الحج مع مدرسي مدرسة النجاة سنة ١٩٥٥م ـ ١٣٧٥هـ، وكان برفقة

الشيخ عبدالرزاق عفيفي، وحضر مؤتمر الإخوان بفندق مصر بمكة المكرمة، وقد ظلت الصلة به من خلال اللقاءات بالكويت والرياض ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والدمام، وسورية، ولبنان، والأردن، وتركيا، وأوروبا.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ مناع القطان غادر مصر دون أن يتزوج، وعندما راسل والدته أثناء إقامته في السعودية، رشحت له شريكة العمر التي قدمت وعاشت معه في السعودية، وكان قدومها من مصر عن طريق مطار البصرة الدولي جنوب العراق مروراً إلى مطار الظهران، وصادف أن كنتُ مع الشيخين: ناصر الأحمد، وجاسم الجامع، في نفس الطائرة المغادرة من البصرة إلى الظهران، متوجهين لمقابلة الملك سعود بن عبدالعزيز في الرياض لمساعدة مدرسة النجاة الأهلية في (الزبير)، ولقد سعدنا برؤية الشيخ مناع القطان بمطار الظهران، مستقبلاً زوجته القادمة من مصر، فكانت فرحته فرحتين: لقاء زوجته، ولقاء إخوانه في الله.

وحين غادرت الكويت سنة ١٩٨٦م، واستقر بي المقام في الرياض، ازدادت الصلة، وكثرت اللقاءات معه في منزلي ومنزله، وفي مسجده الذي يخطب فيه بالمطار القديم، وفي جامعة الإمام، والمؤتمرات والندوات العامة.

وقد تميّز بالهدوء والاتزان في معالجة الأمور، كما كان واسع الثقافة، وبخاصة في الأمور الشرعية والقضايا الفقهية، لمعالجة المشكلات المعاصرة للأفراد والجماعات، وكان في خطبه ومحاضراته يجمع شتات الموضوع في عناصر ونقاط، ويعرضها بسلاسة ووضوح، معززة بالدليل والبرهان.

مؤلفاته:

وله مؤلفات كثيرة في موضوعات شتَّى، وأهمها:

مباحث في علوم القرآن الكريم.

تفسير آيات الأحكام.
التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً.
الحديث والثقافة الإسلامية.
نظام الأسرة في الإسلام.
نزول القرآن على سبعة أحرف.
الدعوة إلى الإسلام.
معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية.
موقف الإسلام من الاشتراكية.
إقامة المسلم في بلد غير مسلم.
الإسلام رسالة الإصلاح.
رعاية الإسلام للمعاقين.
التكييف الفقهي للتبرع بالأعضاء وزراعتها.
رفع الحرج في الشريعة الإسلامية.
وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية.
الحاجة إلى الرسل في هداية البشرية.
مباحث في علوم الحديث.
تاريخ التفسير ومناهج المفسرين.
الفرق الإسلامية.
العقيدة والمجتمع.
القضاء في العهد النبوي والخلافة الراشدة.
الزواج بالأجنبية.

بالإضافة إلى بعض المخطوطات التي نأمل من أبناء الفقيد المبادرة إلى طباعتها.

من أقواله:

«لكل مجتمع آلامه وآماله التي تنبعث من صميم بيئته، فهو يتطلع إلى مبضع يبرئ سقمه في لطف، ويعيد إليه عافيته، وما لم تلمس موعظة الداعية حقائق مشكلاته، يسبر أغوارها، ويشخص علاجها، صمّ آذانه عن الاستماع إليها، ولكل عصر مشكلاته التي تتجدد معه بتجدد الحياة وأفكارها، ونظرة العقل البشري إليها، فالذي يخاطب عصره بمشكلات عصر آبائه وأجداده، أو معضلات بيئته، كالذي يصيح في واد، أو ينفخ في رماد.

على كاهل العلماء يقع العبء الثقيل في مسيرة الجيل، والوقوف في وجه التيارات الغازية، واستئناف حياة إسلامية صحيحة.

إن الأمة قد ترزأ في اقتصادها، واحتلال أرضها، أو تخلف حياتها، ولكنها تظل أمة حية تنبض بمعاني القوة، ما دامت معتصمة بدينها، مؤمنة بعقيدتها، واثقة بنصر الله لها.

لقد كان العلماء على مر العصور والأجيال، يختلفون في المسائل الفرعية الاجتهادية، ولكن هذا الاختلاف لم يفسد ما بينهم من رابطة الجهاد، فقد كانوا يوقنون بأنهم جميعاً جنود للإسلام في صف المعركة. إن الإسلام عقيدة وشريعة، وإن الولاء الذي يجمع الشمل ويصلح الناس، هو الولاء للدين، والإسلام دين عالمي للبشرية كلها، يترفَّع في بناء الأمة عن ولاء الجنس والعنصر والأرض، ويجعل العقيدة هي الوحدة المشتركة بين الناس جميعاً في ظل الإسلام، فكانت الأخوّة الدينية بين المسلمين، هي هذه الوحدة المشتركة التي قررها القرآن الكريم: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ [الحجرات:١٠]، وقررها الرسول العظيم ﷺ: «المسلم أخو المسلم»، فغلبت أخوّة الإيمان على كل صلة سواها، حتى صلة النسب، فنسي المرء بها قبيلته، وخرج على عشيرته، وخاصم الولد أباه، وقاتل الأخ أخاه: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**﴾

[المجادلة:٢٢]، وأخوّة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوّة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب».

قالوا عنه:

يقول الدكتور عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل السعودي: «لقد تتلمذت على الشيخ مناع القطان في المعهد العلمي، وفي كلية الشريعة، وقد كان له أكبر الأثر في نفوسنا، عندما كنا طلاباً للعلم، وقد غرس فضيلة الشيخ القطان في قلوبنا حب الخير والمعرفة والاطلاع والسعي دائماً بحثاً عن العلم».

ويقول الدكتور عبدالله الشبل مدير جامعة الإمام سابقاً: «لقد كان الشيخ مناع القطان أحد العلماء البارزين الذين احتلوا مكانة مرموقة من خلال مشاركاته العلمية، وتواجده المكثف في مختلف القضايا التي تهم الإسلام والمسلمين، إضافة لحضوره البارز في الأبحاث الإسلامية».

ويقول عنه تلميذه د. إبراهيم السماري: «تتلمذت على فضيلة الشيخ مناع القطان في كلية الشريعة، وكان مشرفاً على رسالتي للماجستير، ثم توفي رحمه الله وهو مشرف على رسالتي للدكتوراه، فعرفت الكثير من أخلاق فضيلته، وسمو نفسه، وعلو همته، وصدق صبره.

وحين أتحدث عن شيخي مناع القطان، أجد القلم مخنوقاً بعبرة الحسرة على فراق هذا الشيخ الجليل، وعلى فقد علمه الغزير الذي طالما أسعدني الاغتراف منه، ومما يميز هذا العالم الفاضل مع طلابه، تحليه بحليتي الصبر والتواضع، فبرغم مرضه في الآونة الأخيرة، لم يظهر تذمراً حين أراجعه في موضوع دراستي، بل كان يشجعني ويحثني على بذل أكبر جهد، ويفتح لي آفاقاً جديدة، أو مداخل قد أستفيد منها».

ويقول عنه مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ: «إن الشيخ

مناع القطان داعية إسلامي معروف، وقد درست عليه مادة التفسير عندما كنت طالباً في جامعة الإمام محمد بن سعود لعامين في السنتين الثالثة والرابعة، وكان يرحمه الله من الدعاة المعروفين، وله عناية كبيرة بتفسير القرآن، وفد إلى المملكة قبل أربعين عاماً، ودرّس في معهد الرياض، وكلية الشريعة بجامعة الإمام».

وفاته:

توفي يوم الاثنين ٦ ربيع الآخر سنة ١٤٢٠هـ ـ الموافق ١٩ / ٧ / ١٩٩٩م وصُلي عليه في مسجد الراجحي بمنطقة الربوة، ودفن في مقابر النسيم بالرياض، بعد مرض عضال نتيجة إصابته بسرطان الكبد الذي استمر أكثر من ثلاث سنوات، وكان عمره خمسة وسبعين عاماً، وترك خلفه خمسة من الأولاد، ثلاثة أبناء، وبنتين، والخمسة جميعهم أطباء في تخصصات مختلفة في مستشفيات الرياض.

وقد فاضت مشاعر أحد تلاميذه المحبين فرثاه بهذه الأبيات العفوية:

شيخي مناع القطان ـ رحمه الله ـ

أبـي فـالأبـوة عـطـف ولـيـن ... أخـي فـالأخـوة عـقـد مـتـيـن
وإن لـفـقـدك صـوت الـرنـيـن ... يـهـز الـقـلـوب كـفـقـد الـيـمـين
وتـدمـع عـيـني ووجـهـي حـزيـن ... إلـى الله أشـكـو لـفـقـد الـحـنـين
فـمـا خـاب شـاكٍ لـربٍّ كـريـم ... ونـدعـوك يـا أرحـم الـراحـمـين

***

أشـيـخـي أراك بـكـل صـبـاح ... وكـل مسـاء ووقت ضـنـيـن
وأنـهـل مـن عـلـمك الـمسـتـنـير ... دروسـاً وعـلـمـاً لـعـقـل رصـين
فـهـذا «مـبـاحث عـلـم الـكـتـاب» ... وأخـرى فـفـيـهـا عـلـوم لـديـن

فــأدعــو لك الله رب الــعــبــاد ... لـيـجـمـعـنـا مـعـك فـي الـخـالـديـن
فـبـيـنـي وبـيـنك حب مـتـيـن ... وبـيـن السـطـور أمـور تـبـيـن
وفاضت شعوري بصدق الوفاء ... فـروحـي وروحك تـبـر وطـيـن
يـعـز عـلـيـهـا الـفـراق الـحـزين ... فـدنـيـا الـفـنـاء زوال مـبـيـن
ولــكــن قــلــبـي يــراك يــراك ... إذا أظـلـم الـلـيـل هـاج الأنـيـن
أبــي إن رحــلـت فــإنــا وراك ... فــأنت ونــحــن مـعــاً سـائـرون
بإذن الـكـريـم الـرحـيم الـعـظـيم ... ومـالك يـو م الـحساب الـمـبـين
بصحبة أحـمـد فـي الـخـالـديـن ... وأتـبـاعـهـم أمـة الـمـرسـلـيـن
إلــى جــنــة الله دار الــخــلــود ... فـفـيـهـا السـعـادة حـق الـيـقـيـن

***

لـقـد زاد شـوقـي كـأنـي يـتـيـم ... وإن طـال شـعـري أردت أبـيـن
لـعـلـي أهـدئ لسع الـفـراق ... ويسـكـن قـلـبـي ولا يسـتـكـيـن
فــحــبّــي إلــى الله لا غــيــره ... فـذاك هـو الـحـبُّ حبُّ الـفـطـيـن
لـيَ الله مـن بـعـد فـقـد الـكـرام ... «ومـنَّـاع» شـيـخي في الأكرمين
أراك بــأحـمـد عـنـد الـلـقـاء ... وإخــوتــه نســوة أو بــنــيــن
يــداوون كــل مـريض عـلـيـل ... بـعـلـم وفـهـم وعـقـل رصـيـن
يـنـالك أجـر وفضـل عـظـيـم ... ودعـوة شـيـخ وطـفـل جـنـيـن
زرعت رجـالاً فـنـعـم الـرجـال ... فـهـم ثـمـر الـغـرس لـلـغـارسـيـن

***

عـزائـيَ أن الـيـهـود الـطـغـاة ... يـمـوتـون رعـبـاً بـخـوف دفـيـن
فـهـم يـعـرفـون الـرجـال الـعـظـام ... وصـدق الـجـهـاد مـن الـمـدَّعـيـن
لأنك سـيـف ولا كـالسـيـوف ... يـقـطـع مـنـهـم عـروق الـوتـيـن
فـأنت تـقـاتـل وضـح الـنـهـار ... وهـم خـلـف سـور ومـاء وطـيـن

فـيـا شـيـخـي أنت دروس لـنـا حـيـاتك أو مـوتـة الأكـرمـيـن

***

وداعـــاً أقـــول وكـــلـــي رجـــاء بـــرحـــمـــة ربـــي فـــي الآخـــريـــن

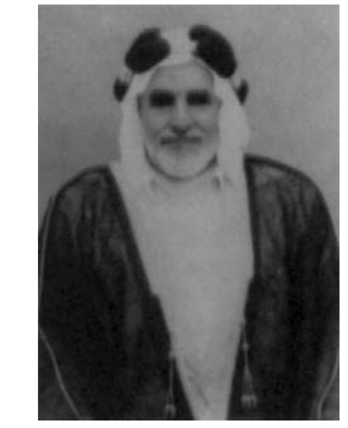
عـلـى ديـن أحـمـد خيـر الأنـام حـنـيـفـيـة دعـوة الـمـرسـلـيـن

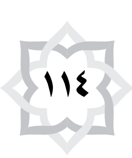
فـفـيـهـا الـنـجـاة وفـوز عـظـيـم بـجـنـة خـلـد مـع الصـالـحـيـن

صـــلاة وتســـلـيـــم رب رحـــيـــم عـلـى رحـمـة الله لـلـعـالـمـيـن

***

رحم الله أستاذنا الجليل، وتقبله في الصالحين من عباده، وحشرنا الله وإياه مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





علاَّمة الزبير الشيخ ناصر الأحمد

(١٣٠٨ ـ ١٣٨٢هـ = ١٨٩١ ـ ١٩٦٢م)

مولده ونشأته:

هو الشيخ العلاّمة زينة علماء الزبير والفرضّي الذي لا يُبارى في عصره ناصر ابن إبراهيم الأحمد، ولد في (الزبير) سنة ١٣٢٢هـ ـ ١٨٩١م وهو من أهل (التويم) في نجد، ثم نزح والده إبراهيم إلى الزبير وتزوج فيها، وقد توفي والده وهو ابن ست سنوات، فنشأ في بيت عمه عبد الرحمن الأحمد.

تلقى العلم على بعض المشايخ في الزبير كالشيخ عبدالله بن حمود والشيخ محمد بن عوجان والشيخ عبد العزيز الناصري وغيرهم.

تأسيس مدرسة النجاة:

حين أسس العلاّمة الموريتاني الشيخ محمد الأمين الشنقيطي مدرسة النجاة الأهلية في الزبير سنة ١٣٤٠هـ ـ ١٩٢٠م بالتعاون مع أهل الزبير الذين انتخبوا من

بينهم هيئة إدارية ضمَّت كلاً من: (محمد الأمين الشنقيطي، محمد العسافي، أحمد التركي، سليمان السويدان، إبراهيم البسام، محمد العقيل، عبد المحسن المهيدب، عبد الرحمن الفريح، داود البريكان) باشرت بتجميع التبرعات واستئجار بيت كبير ليكون مدرسة مؤقتة لحين الفراغ من مشروع البناء، وفتحت المدرسة أبوابها وكان من أوائل المدرسين فيها: (عبد الرزاق الدايل، أحمد الخميس، علي السبيعي، أحمد العرفج، عبدالله المزين، يوسف الجامع، جاسم العقرب، ناصر الأحمد، عبد الرحمن الهيتي، عيسى الشرهان)، وبعد عامين تم بفضل الله بناء المدرسة، فانتقل المدرسون والطلبة والإدارة إليها، وكانت ثمرة من ثمار التعاون على البر والتقوى.

معرفتي به:

عرفتُ أستاذي الجليل ناصر الأحمد منذ كنت في المرحلة التمهيدية بمدرسة النجاة سنة ١٩٣٦م، وكان ـ يرحمه الله ـ مديرها آنذاك، وكنت رغم صغر سني،



الشيخ ناصر الأحمد في الوسط وعن يمينه الشيخ إبراهيم محمد المبيض، وعن يساره الشيخ عبدالله المزين

أدرك أن الرجل فيه من الصفات التي تجعله محبوباً ومحترماً من الناس جميعاً، لما يتصف به من المهابة والوقار، والبشاشة وحسن الخلق، كما أن نور الإيمان يشع من وجهه، ومظاهر الجد والحزم واضحة في تصرفاته.

وحين كبرتُ في السِّنِّ، توثقتْ علاقتي به، وازددت قرباً منه، بحكم الجوار في السكن وكثرة اللقاء به، ولم تمنعني الدراسة في البصرة ثم بغداد فالقاهرة عن التردد على مجلسه وزيارته، حتى إذا تخرجت في الجامعة والتحقت مدرساً في مدرسة النجاة صار لقاؤنا به كل يوم في الصباح بالمدرسة وفي المساء بمجلسه العلمي في بيته.

وكان ـ يرحمه الله ـ بارعاً في علوم كثيرة كالتفسير والحديث والسيرة والتراجم والفقه وبخاصة الفرائض والرياضيات ومسك الدفاتر والفلك والجغرافيا وعلم النبات والحيوان، فهو بحق موسوعة علمية تجمع بين القديم والجديد والأصالة والمعاصرة يعيش أحداث عصره ويواكب تطورات الحياة ويرقب ما يستجد من الأحداث بعين الناقد البصير، ويؤكد على صلاحية دين الإسلام لكل زمان ومكان، وكنا مجموعة من طلبة العلم ومدرسي النجاة نواظب على حضور مجلسه ونستفيد من توجيهاته وإرشاداته فقد كان مخلصاً في قوله وعمله، يؤثر التدرج على الطفرة، والهدوء على الضجيج ويبتعد عن الأنظار ولا يحب المظاهر ولا يتصدَّر الصفوف ولا يكثر الاختلاط إلا بالقليل من الصالحين من طلبة العلم والدعاة العاملين لمصلحة الإسلام والمسلمين.

وهو من المقلين في الفتاوى، حيث يجيب السائلين والمستفتين عن استفساراتهم بإيراد أقوال المذاهب مع أدلتها ويترك للسائل اختيار ما يراه منها دون ترجيح لشدة ورعه وزهده وعزوفه عن الفتيا وتواضعه.

مجلس العلم:

وكان مجلس العلم في بيته يضم الكبار في السن والشباب من طلبة العلم

وأذكر منهم على سبيل المثال: «عبد المحسن المهيدب، عبد العزيز السويلم، ناصر الزير، وإبراهيم الناصر، ناصر السويدان، عيدان الحدبان، إبراهيم المبيض، جاسم الجامع، يعقوب العقيلي، سعود العقيل، عبد العزيز السنيد، إبراهيم الصقير، محمد الخضيري، محمد الصفطاوي، عبد العزيز الربيعة، عبدالله العقيل، عمر الدايل، هاني بسيسو، وعبد الرحمن الديحان، ومحمد العرفج، ويعقوب الصالح، وعبدالله الرابح.. وغيرهم»، بل كثيراً ما يفد إلى المجلس أناس من خارج الزبير للتزود من علمه والتعرف إلى شخصه، والاستفادة من توجيهاته.

وهو عالم ورع وتقي وزاهد ترى إشراقة النور في وجهه، يلقاك بكل الحب والتقدير ويرحب بك ويفسح لك في مجلسه، ويستمع إليك بكل مشاعره وأحاسيسه، ويأسرك بحديثه، ويغمرك بعطفه وكثيراً ما يكرر في مجلسه، بأن فساد الزمان وهوان الناس وضعفهم أمام الأعداء والانغماس بالمادة، لا علاج له إلا بالعودة إلى الدين الصحيح والمنهج القويم الذي جاء بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وأن التربية الروحية والبناء الخلقي والتسلح العلمي، هو خير الزاد بعد تقوى الله وإخلاص النية له، في مواجهة التحديات الكبرى ضد الإسلام والمسلمين، وأن منهج الإمام الشهيد حسن البنا في تربية الشباب وجمع المسلمين على كلمة سواء أثبتتْ أنه أنجح المناهج المعاصرة لإقامة المجتمع الإسلامي لأن العمل الجماعي هو خير وسيلة للوقوف أمام الأفكار الوافدة، والمبادئ الهدامة، فالسيل لا يوقفه إلا سيل أشد منه، والتيار لا يصدّه إلا تيار أقوى منه.

إن تجربة الإخوان المسلمين التربوية بمصر من أنجح التجارب التي وفق الإمام البنا لإرساء قواعدها، فقد وفقه الله أن يجمع سائر طبقات المجتمع على منهج الإسلام المستقى من الكتاب والسُّنَّة وما أجمع عليه سلف الأمة، وخير مثال على هذا: هذه النماذج من المدرسين بمدرسة النجاة من الإخوان

المسلمين، الذين تربّوا بمدرسة حسن البنا، فهم ترجمة صادقة عن الإسلام قولاً وعملاً، وقد نجحوا في تربية تلامذة النجاة وأبناء الزبير حتى أحبَّهم الصالحون من أهل الزبير.

يقول العلاّمة د. يوسف القرضاوي في كتابه القيم (التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا):

«.... إن تربية المسلم الذي يكتفي من الإسلام بالصلاة والصيام والذكر والدعاء، وإذا ذُكر أمامه حال الإسلام والمسلمين اقتصر على الحوقلة والاسترجاع، غير تربية المسلم الذي يغلي صدره غيرة على الإسلام، كما يغلي القِدر فوق النار، ويذوب قلبه أسى على المسلمين، كما يذوب الملح في الماء، ثم يحوِّل ذلك الأسى وتلك الغيرة إلى قوة دافعة للعمل وانطلاقة باعثة على التغيير، هذا هو المسلم المنشود الذي لا يستسلم للواقع، بل يعمل على تغييره كما أمر الله، ولا يعتذر بالقضاء والقدر، بل يؤمن بأنه هو قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يرد، إنه المسلم الذي يعمل لإقامة رسالة، وبناء أمة، وإحياء حضارة...».

ولقد قال لي يرحمه الله أكثر من مرة وفي أكثر من مجلس: «إن خير ما قدّمته لمدرستك وأهل بلدك هو هذا الاختيار الموفق للمدرسين من الإخوان المسلمين الذين كانوا نماذج صادقة للمدرس المسلم، وخيراً وبركة على أهل الزبير بعامة ومدرسة النجاة بخاصة ونرجو أن يكون ذلك في ميزان حسناتك».

لقد كان أستاذنا الشيخ ناصر الأحمد قمة في الخلق والعلم والدين والزهد والورع والتقوى والبعد عن مواطن الشبهات، فيه عزة المسلم، وأنفة المؤمن، وإخلاص العالم، وكان كثير الاهتمام بشؤون المسلمين، يتقصى أخبارهم ويسأل عن أحوالهم، فيفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ويدعو للدعاة الصالحين والعلماء العاملين، ويدعو على الظلمة المستبدين والحكام المتسلطين ويبشر بقرب الفرج للمسلمين.

حلِم وتواضع:

وهو واسع الصدر حليم على الجهلة، يتبسَّط معهم، ويصغي بكليته إلى مشكلاتهم، ويرأف بهم، ويخاطبهم عى قدر عقولهم، ويستوعب ما يُعرض عليه من المشكلات والمعضلات، ويشير بالحل الذي يوفقه الله إليه ويراه مناسباً، كما أنه متواضع مع الصغير والكبير والغني والفقير يتعفف عن هدايا الكبراء ويبتعد عن غشيان مجالسهم، باستثناء الصالحين منهم وأهل الخير والإحسان الذين يعرفون حق الله في أموالهم ويوطئون أكنافهم للناس جميعاً.

وهو لطيف المعشر يحب الدعابة في حدود الأدب الإسلامي، فيمزح مع محبيه وتلامذته ورواد مجلسه ويشارك في الرحلات الخلوية الجماعية مع مدرسي النجاة في العطل وأيام الربيع ويسرد القصص والحكايات التاريخية والواقعية لإدخال السرور على قلوب الجميع ويشير إلى الحكمة والعبرة في كل قصة من تلك القصص للاستفادة منها.

وهو حين تنتهك حُرمات الدين أو يُساء إلى الصحابة والتابعين ومن سار على منهجهم من الدعاة العاملين يثور كالأسد الهصور، ويغضب حتى يحمرَّ وجهه ويقول كلمة الحق لا يخاف لومة لائم، ولم يأخذ من المدرسة سوى مرتب رمزي يستعين به مع إيراد النخيل الذي يملكه بالبصرة لسد حاجته وأهله، ولم يسبق له أن طلب من أحد شيئاً لنفسه، ولكنه فيما يتعلق بجمع التبرعات للمدرسة، لا يتردد في مخاطبة أهل الخير من التجار المحسنين، لأنه يريد لهذه المدرسة الاستمرار في النمو المطرد لأداء رسالتها السامية، وله خطبة سنوية في الحفل الذي تقيمه المدرسة لجمع التبرعات من أهالي الزبير، يهيب بهم إلى البذل من أموالهم لدعم المدرسة ويغلب عليه الانفعال والبكاء أثناء إلقائها.

مقابلة الملك سعود:

إن الشيخ العلاّمة ناصر الأحمد من الأعلام المعاصرين الذين كان لهم دور

مهم في رفد الصحوة الإسلامية ونشر العلم الديني وتربية أبناء الجيل على منهج الإسلام القويم، وقد صرف جل اهتمامه لمدرسة النجاة وكان يعمل الليل والنهار ويبذل قصارى جهده لتؤدي رسالتها وتنهض في تربية الجيل المؤمن الذي يحمل رسالة الإسلام ويؤدي دوره في الحياة على أكمل وجه، وحين تعرَّضت المدرسة لأزمات مالية بسبب قلة الموارد من جهة وتوسع المدرسة من جهة أخرى لم يهدأ له بال حتى شمَّر عن ساعد الجد وقام بنفسه رغم كبر سنه برئاسة وفد إلى المملكة العربية السعودية، ضم كلاًّ من: ناصر الأحمد، وجاسم الجامع ، وعبدالله العقيل، وقابل الوفد جلالة الملك سعود بن عبد العزيز الذي قدَّم له الدعم السخي، كما تبرَّع الكثيرون من أهالي الرياض والدمام والخُبَر، وبخاصة خريجي مدرسة النجاة بمبالغ طيبة وشكَّل وفداً آخر لزيارة الكويت وجمع التبرعات من أهل الخير فيها الذين لم يتأخروا عن رفد المدرسة ومساعدتها، كما أوصاني حين استقرَّ بي المقام في الكويت بالاتصال بجميع من درس بمدرسة النجاة سواء كانوا في الكويت أو المملكة العربية السعودية لدعوتهم للإسهام المستمر بدعم نشاط المدرسة، وكان يحرص على أن يكون أساتذة المدرسة من أصحاب الدعوة وذوي الكفاءات العلمية الذين يتركون الأثر الطيب والقدوة الصالحة في نفوس تلامذتهم.

ولقد استمرت المراسلة بيننا وأنا في الكويت وهو في الزبير وكنت أنتفع بتوجيهاته وإرشاداته وأستشيره في الكثير من أموري الخاصة والعامة وأسعد بآرائه الصائبة ونصائحه الغالية.

علمه وتواضعه:

إن أستاذنا العلاّمة الشيخ ناصر الأحمد شيخ العلماء بالزبير بلا منازع وهو الصورة المشرقة المضيئة لما يجب أن يكون عليه العلماء من حيث سعة الاطلاع والتبحر في العلم ومتابعة ما يستجد في واقع الحياة المعاصرة.

ولقد كان يستدرك على الشيخ محمود شلتوت فتاواه في المواريث المنشورة بمجلة الأزهر، كما كان يستدرك على الشيخ محمد أبو زهرة فتاواه في المواريث المنشورة في مجلة لواء الإسلام.

كما كان علماء الموصل وبغداد والقضاة الشرعيون في مختلف المناطق يرجعون إليه في المشكل من مسائل المواريث التي تعرض عليهم، في الوقت الذي يتهيب فيه من أن يؤم المصلين في المساجد أو يخطب الجمعة، بل كان يقدم تلامذته وتلامذة تلامذته على نفسه في الإمامة والخطابة من شدة زهده وورعه حتى إنه لم تطبع له كتب رغم غزارة علمه، باستثناء كُتيب صغير عن مناسك الحج، لأنه كان عزوفاً عن التأليف كعزوفه عن الإمامة في المصلين وخطبة الجمعة في المساجد، وكان كل حرصه منصبّاً على الاهتمام بتلامذة النجاة ليكونوا في المقدمة من الناحية العلمية والخلقية والدينية وقد حقق الله أمنيته فقد كان أكثرهم كذلك والحمد لله، وقد أخذوا مواقعهم واحتلوا مكان الصدارة في مختلف ميادين الحياة بالجد والمثابرة والصدق والأمانة فخدموا أنفسهم وأمتهم ودينهم ووطنهم.

ترغيبه بالهجرة إلى المدينة المنورة:

وكان ـ يرحمه الله ـ يُرغب في الهجرة إلى المدينة المنورة باعتبار أن الإيمان يأرز إليها، ويورد الكثير من الأحاديث النبوية عن فضل المدينة وضرورة الحرص على السكنى فيها والموت فيها.

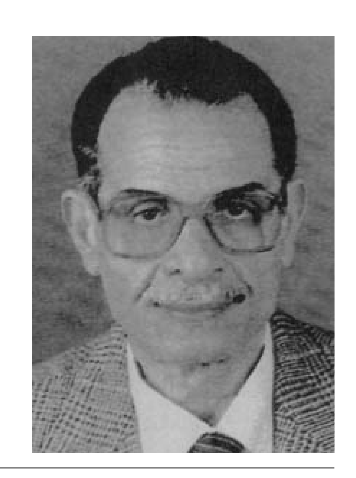
ولقد استجاب لدعوته بعض رواد مجلسه أمثال الشيخ إبراهيم الناصر والحاج عيدان الحدبان، وعبد المحسن البابطين، وآخرون، هاجروا إليها، وكان يتمنى ذلك لنفسه لولا حرصه الشديد على مدرسة النجاة وخوفه من التفريط بمسؤوليتها، لأنه يعتبر القيام بشؤونها نوعاً من الرباط في سبيل الله وثغرة من الثغرات التي لا بد من حراستها.

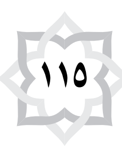
وفاته:

انتقل إلى جوار ربه يوم ٢٥ / ٧ / ١٩٦٢م وهو يتجول في بستان النخيل الذي يملكه بالبصرة، حيث أصيب بنزيف في المخ توفي على أثره مباشرة.

وقد شُيع في جنازة مهيبة حضرتها جموع غفيرة من البصرة والزبير وصُلِّي عليه في (مصلى العيد) لعدم اتساع المسجد الجامع لجموع المشيّعين فكانت أكبر جنازة في العقود الأخيرة، ودفن في مقبرة الزبير.

نسأل الله عز وجل أن يتولاه برحمته وأن يسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





١١٥

الأديب الموهوب نجيب الكيلاني

(١٣٥٠ - ١٤١٥هـ = ١٩٣١ - ١٩٩٥م)

معرفتي به:

جاءت صلتي بالأخ الأديب الشاعر الدكتور نجيب الكيلاني من خلال الارتباط العقدي والأخوَّة الإيمانية، والعمل المشترك في طريق الدعوة إلى الله، من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض، وفي سبيل المستضعفين من المسلمين، وكانت لقاءاتي به في مصر، والكويت، والسعودية، والإمارات، من أجل العمل الجاد لخدمة الإسلام والمسلمين، حيثما كانوا وأينما وجدوا؛ فإن العمل لدين الله ينهض بتبعته كل مسلم حسب إمكاناته، ووفق مؤهلاته، وبقدر طاقته.

ولقد كان الأخ د. نجيب.. نعم الأديب الشاعر، الذي وظّف أدبه لخدمة دينه، وإخوانه المسلمين في ربوع الدنيا كلها، وكانت قصصه ورواياته ومسرحياته وشعره وأدبه، بل ومهنته الطبية كلها في سبيل هذا الهدف الكبير، والغاية العظمى

التي تبتغي مرضاة الله عز وجل، وتنشد العزة للإسلام والمسلمين، والحرية والاستقلال لأوطان المسلمين.

وإنني لأعتبر الكيلاني وباكثير من الأدباء الموفقين، الذين أحسنوا عرض الأفكار الإسلامية، وعالجوا تاريخ الإسلام وواقع المسلمين وفق التصور الإسلامي الصحيح، مما ترك أطيب الأثر في نفوس الشباب والشابات بوجه خاص، وعامة المسلمين بشكل عام.

ولن أنسى ذلك الإقبال المنقطع النظير على مسرحية «ملحمة عمر» لعلي أحمد باكثير التي تولى طباعتها الأخ عبد العزيز السيسي ـ صاحب مكتبة دار البيان بالكويت ـ بإذن من المؤلِّف حين زارنا بالكويت، حتى إننا ـ وكنتُ مديراً للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بالكويت ـ اشترينا آلاف النسخ من هذه الملحمة ووزّعناها مع الكتب التي نرسلها للمراكز والجمعيات والمؤسسات الإسلامية في أنحاء العالم.

وقد تكررت طباعتها مرات ومرات، وسرعان ما تنفد من الأسواق لشدة الإقبال عليها.

كما كان لروايات الدكتور نجيب الكيلاني: (عمالقة الشمال)، و(ليالي تركستان)، و(عذراء جاكرتا) الإقبال الكبير من الشباب والشابات والطلاب والطالبات في أنحاء الوطن الإسلامي الكبير.

لقد أصاب البلاء الدكتور الكيلاني كما أصاب إخوانه العاملين في حقل الدعوة الإسلامية بأرض الكنانة، فسجن لفترة طويلة، ثم أفرج عنه، ثم سجن مرة أخرى، وبعد خروجه غادر ديار الظالمين عام ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م، حيث سعدنا به في الكويت مع ثلة من إخوانه الأطباء والأساتذة والعلماء والمهندسين الذين أخذوا مواقعهم في الكويت ودول الخليج، التي استفادت من خبراتهم وكفاءاتهم وعرفت أقدارهم، وأنزلتهم منازلهم، وكان قراره في دولة الإمارات العربية المتحدة طبيباً، ثم مديراً للثقافة الصحية.

لقد كانت لنا مع الدكتور نجيب الكيلاني مداعبات لطيفة، فهو حاضر النكتة كإخوانه الطيّبين من مصر الحبيبة، ولقد كانت طرائفه في كل أحاديثه ومحاضراته وكتاباته، ولا تزال شفافية روحه تتراءى لناظِريَّ حين كنا نلتقي على وليمة طعام أو في ندوتنا الثقافية الأسبوعية مساء الجمعة، حيث كان هو والأخ الأستاذ عبد الحليم خفاجي مؤلف كتاب (حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون)، وكتاب (عندما غابت الشمس) يتباريان في إدخال السرور على إخوانهم بالملح والطرائف في حدود الأدب الإسلامي.

نشأته:

وُلد الدكتور نجيب الكيلاني عام ١٣٥٠هـ ١٩٣١م في قرية «شرشابة» في أُسرة تعمل في الزراعة في الريف المصري، نال الشهادة الثانوية عام ١٣٦٩هـ ١٩٤٩م في طنطا، ثم التحق بكلية الطب بجامعة القاهرة، وقد اعتقل وهو في السنة الجامعية الأخيرة عام ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م بسبب انتمائه إلى جماعة الإخوان المسلمين، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، وتعرّض لألوان شتى من التعذيب في السجن الحربي، وسجن أسيوط، وسجن القناطر، وسجن مصر العمومي، وسجن القاهرة، وأبو زعبل، وطره، ثم أفرج عنه عام ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م لأسباب صحية، بسبب إصابته بأعصاب القدمين، فعاد يتابع دراسته الجامعية، إلى أن تخرّج في كلية الطب عام ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م، وانطلق يعمل في مهنة الطب وتأليف القصص والروايات والمسرحيات الهادفة، وفي عام ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م أصدر الطاغية عبد الناصر قراره من موسكو ـ التي كان يزورها ـ باعتقال كل من سبق اعتقاله، فدخل الكيلاني السجن مرة ثانية، ثم أفرج عنه بعد هزيمة يونيو (حزيران) ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

ولقد كان لمعاناته في السجون، أثر كبير في كراهيته للظلم والطغيان، ودعوته للحب والتسامح واحترام إنسانية الإنسان، مما طبع أدبه كله بهذا الطابع الإنساني الرفيع.

إنتاجه:

ويعتبر الكيلاني في مقدمة الأدباء الإسلاميين المعاصرين، من حيث غزارة الإنتاج وتنوعه وتألقه، فقد كتب أكثر من سبعين كتاباً في الرواية، والقصة، والشعر، والنقد، والفكر، والطب، وكان في سائر كتاباته أديباً موهوباً محلّقاً مُتمكِّناً من أدواته الفنية، داعياً إلى الخير والفضيلة والتسامح وغيرها من القيم الإنسانية والإسلامية.

والأديب الكيلاني يرى أنه لا خصومة بين الدين والفن والأدب، ويرى أنها خصومة مغرضة، يروّج لها كل حاقد على الإسلام، أو غير فاهم لشريعته السمحة، لأن الإسلام لا يحارب الفن والأدب الراقي، بل إنه يشجِّعه ويحثُّ عليه، فالمسلم روح وجسد، ولا يرفض المتعة والتسرية لكل منهما، ما لم يخرج عن الآداب والأخلاق الإسلامية.

كان على جانب كبير من دماثة الخلق والتواضع، فابتسامته الدائمة، ووجهه البشوش، وتفاؤله بالخير والمستقبل، وثقته واتزانه، ورويته وهدوؤه، والمنطق السليم، والأسلوب السلس، صفات ملازمة له في كل أحواله، حتى وهو في أقباء السجون وتحت سياط الجلادين من أزلام السلطة وجنود الفرعون.

يقول الكيلاني في كتابه (لمحات من حياتي): «... ولهذا عندما التقيتُ الأخ الصديق الأستاذ عبدالله العقيل بالقاهرة، وكان يعمل مديراً للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف الكويتية، وعرض عليَّ التعاقد مع وزارة الصحة بالكويت للعمل بها، اعتذرتُ له شاكراً، وأخبرته أن نجاحي الأدبي قد تحقق لحدٍّ ما بالقاهرة، وأن تركي لها سوف يُفقدني الكثير، وربما نسيني الناس إذا اغتربتُ عنهم سنوات، فضلاً عن أن وضعي السياسي لا يبعث على الخوف، ولو كان لديَّ ذرة شك فيما أقول لوافقت فوراً على عرض أخي عبدالله العقيل، وفررت بجلدي ولا أدخل تجربة السجن المريرة مرة أخرى، واتضح فيما بعد أنني نسيتُ أمراً مهماً كان يجب أن أذكره، ألا وهو أن النظام الدكتاتوري يفتقد المنطق السليم، ويدوس

العدالة وحقوق الإنسان، إذا شعر بأن وضعه مهدد، وفي هذه الحالة يتخبَّط ويضرب ضربات عشوائية ولا يحترم ضميراً، أو يرعى حرمة شيء، ولا يُفرِّق بين حق وباطل، وشر وخير، وأمانة وخيانة، ويصبح كل شيء عنده مباحاً، ولا يفكر في حلال أو حرام...» انتهى.

السجين الفائز:

ويقول في حديث أجرته معه جريدة «القبس» الكويتية بتاريخ ١٩ / ١ / ١٩٨١م: «بدأتُ حياتي شاعراً، أكتب الشعر فقط، وكان أغلبه شعراً سياسياً وعاطفياً، ثم اتجهتُ إلى القصة ودخلتُ مسابقة كبرى لوزارة التربية والتعليم برواية (الطريق الطويل) التي تعبر عن فترة الحرب العالمية الثانية وانعكاساتها على المجتمع المصري، وفي القرية بخاصة، وكانت المحاولة الأولى، وفُزتُ بالجائزة وأنا سجين، ومن حسن حظي أن الأسماء كانت مستعارة وبأرقام سرية، ولم يكتشف أنها من سجين إلا بعد إعلان النتيجة.



د. نجيب الكيلاني يتسلم جائزة الأدب الإسلامي العالمية

وكَتبتُ مجموعة من القصص القصيرة حول دراسة قضايا المجتمع العربي والإسلامي مثل: (أرض الأنبياء)، و(عمر يظهر في القدس)، ورواية (ليالي تركستان)، و(عمالقة الشمال)، و(عذراء جاكرتا)، وكتبتُ رواية (اليوم الموعود) عن الحروب الصليبية، ورواية «قاتل حمزة» عن العصر الإسلامي الأول...» انتهى.

إن رواية (الطريق الطويل) وهي أول رواية له والتي فازت بجائزة وزارة التربية والتعليم قُرِّرت على المدارس الثانوية عام ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م، كما تُرجمت إلى اللغة الروسية.

وكان لكتابات الشاعر الإسلامي محمد إقبال أثرها على الدكتور نجيب الكيلاني، حيث كان يقرأ ترجمات الدكتور عبد الوهاب عزَّام لتراث شاعر الإسلام محمد إقبال، بل إن الدكتور ألَّف بعد ذلك كتابه القيِّم «إقبال الشاعر الثائر» الذي نال جائزة وزارة التربية أيضاً.

شهادتان في حق الكيلاني:

يقول الأستاذ الكبير أبو الحسن علي الحسني الندوي في تقديمه للعدد الخاص من مجلة (الأدب الإسلامي) عن الدكتور نجيب الكيلاني:

«... إن حياة الدكتور نجيب الكيلاني حافلة بالعطاءات الأدبية، وقد خلّد بقلمه آثاراً قيِّمة نالت الاعتراف من رجال الفن والأدب، وغطّتْ أعماله جميع أقسام الأدب، فقد كان كاتباً قصصياً، له اتجاه خاص في القصة، ولم يكن الكاتب كالأدباء الآخرين مصوراً لواقع الحياة، وإنما كان معالجاً ومحللاً لقضايا الحياة، وكانت كثير من قصصه مستوحاة من واقع الحياة التي عاشها الأديب أو عايشها، ثم كان الكيلاني شاعراً له مكانة معروفة في مجال الشعر، وألَّف كذلك في النقد والدراسات الأدبية، كما أسهم في كتابة السيرة الذاتية وشرح فكرة (الأدب الإسلامي) وتصوّره، وبذلك كان بحق

من روّاد الفكر الإسلامي المعاصر والمنظّرين المبدعين لفكرة الأدب الإسلامي.

إن حياة الكيلاني ليست حياة أديب أو شاعر - مهما كانت قيمته ومكانته الأدبية وثراؤه الأدبي - إنها كانت حياة مكافح ومناضل في سبيل الحق والكلم الطيِّب، وقد وعد الله برفع الكلم الطيِّب، ورفع شأن من يرفع الكلم الطيب، وإعلاء شأن من يسعى إلى اعتلاء الحق، ولذلك من حقه ومن حق الأدب الإسلامي أن تُخلّد آثاره، وتذكر مناقبه، لتكون إرشاداً وريادة للأجيال الناشئة من الأدباء الذين يحبّون أن يسيروا على درب الكفاح من أجل كلمة الحق...».

ويقول رئيس تحرير مجلة (الأدب الإسلامي) الدكتور عبد القدوس أبو صالح:

«... كان أول ما رأيتُ الدكتور نجيب الكيلاني - رحمه الله - في إحدى قدماته من دبي إلى الرياض، حيث كان يعمل طبيباً في الإمارات، وكان أول ما أحببت فيه، تلك الابتسامة الوديعة، التي تُشعر كل من يلقاه بالمودة والألفة، وتجعله يحسّ أنه يعرف الدكتور الكيلاني من زمن بعيد.

فإذا تحدث إليك راعتك دماثته و «نجابته» فيما يتحدث به، وفيما يُدلي من آراء يسوقها في عفوية ويسر، فإذا بك تتقبلها قبولاً حسناً، دون أن يحتاج صاحبها إلى أخذ ورد أو مراء وجدال!.. وهو في أثناء ذلك يُمتِّعك بروحه السمحة، ودعابته الحلوة، وتفاؤله الذي تنتقل عدواه إليك، مهما كنت مثقلاً بالهموم والتباريح، ولم تكن سجاياه مقصورة على مجالسه الخاصة، وأحاديثه الفردية، بل كانت تتألق في اللقاءات العامة وفي الندوات والمؤتمرات.

وعندما قررت رابطة الأدب الإسلامي تكريم الدكتور نجيب الكيلاني «رائد القصة الإسلامية» وذلك في مكتبها الإقليمي في القاهرة، وقبل وفاة الرجل بسنة أو ما يزيد على السنة، إذ أجمع القائمون على الرابطة أن تكريم من يستحقون التكريم، ينبغي أن يكون في حياتهم حتى تقرّ عيونهم بما قدموه إلى أمتهم، قبل أن يغمض الموت أجفانهم، ثم كانت محنة الدكتور نجيب في مرضه الأخير،

وكانت لفتة سامية من خادم الحرمين الشريفين في علاج الدكتور الكيلاني في المستشفى التخصصي بالرياض، وامتدت المحنة شهوراً طويلة قاربت السنة، ولم يكن يعلم بخطورة المرض الذي كتمه الطبيب عنه كما كتمته زوجته الصابرة، وابنه الطبيب المرافقان له، وكنا نلتقي حول سريره ونحبس في مآقينا الدموع حتى لا تفضح ما نعلم من خطورة مرضه» انتهى.

إن الدكتور نجيب الكيلاني من أبناء الدعوة الإسلامية، الذين تربّوا في أحضانها ورضعوا من لبانها، وكان له نشاطه الإسلامي وهو طالب، واستمر هذا النشاط بعد تخرّجه فهو من الأوفياء لدعوته وإخوانه، ويرى أن الحركة الإسلامية الكبرى التي أنشأها الإمام الشهيد حسن البنا هي التجربة التاريخية المهمة في القرن العشرين، حيث يقول في كتابه (لمحات من حياتي):

«... إن مصر اليوم والأمس هي مركز الإشعاع الإسلامي في العالم دون ريب، وإن مصنّفات علمائها ومفكريها الإسلاميين، هي الزاد الذي يتغذى عليه أبناء الأمة الإسلامية في كل أنحاء الأرض، وإن حركتها الإسلامية الكبرى في الثلث الأوسط من القرن العشرين، والتي أشعل شرارتها الإمام الشهيد حسن البنا، لم تزل نبراساً لكل العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، تلك الحركة بأحداثها وتراثها ورجالاتها ومعاركها الدائمة، تجربة تاريخية مهمة، ما زالت تشدّ الانتباه وتُغري بالمتابعة، وقد حظيتْ باهتمام المؤرخين والدارسين في كل مكان، حتى في روسيا وأمريكا وأوروبا الغربية والشرقية...» انتهى.

تنوع إنتاجه:

ونحن إذا ما نظرنا إلى إنتاج أديبنا الكبير الدكتور نجيب الكيلاني، نجد أنه يبعد عن الإسفاف والإباحية والعري، ويهتم بمشكلات الشعوب الإسلامية والعالم الإسلامي.

ففي عالم الرواية ـ وهو ميدانه الأخصب ـ استلهم التاريخ الإسلامي في كتبه:



(نور الله)، و(قاتل حمزة)، و(عمر يظهر في القدس)، وغيرها، واستلهم واقع الشعوب الإسلامية في كتبه: (عذراء جاكرتا)، التي تناولت الحرب الضروس بين الشيوعية والشعب الإندونيسي المسلم، والتي راح ضحيتها أكثر من ربع مليون مسلم، وقد ترجمت هذه الرواية إلى الإندونيسية، و(ليالي تركستان) التي عرض فيها لمشكلات شعب تركستان المسلم المضطهد، و(عمالقة الشمال) التي تناولتْ مشكلة المسلمين في نيجيريا، حتى إن أحد المهندسين النيجيريين قال للمؤلف: «إنها من أصدق ما كُتِب عن نيجيريا، حتى كأنك كنت معايشاً لهذه المشكلات»، رغم أن المؤلف لم يسافر قط إلى نيجيريا.

و(الظل الأسود) التي تناولت مشكلات المسلمين في الحبشة، وسردت الكثير من الحقائق التاريخية التي يجهلها أهل إثيوبيا عن أنفسهم، حيث حصل المؤلف على الوثائق التاريخية من ثوار إريتريا.

هذا المنهج الرائع الذي كشف عن معاناة المسلمين في هذه الأقطار: منهج متفرد للكيلاني، ويعتبر الرائد فيه.

وكما استلهم التاريخ الإسلامي وواقع المسلمين فإنه أيضاً استلهم الواقع الاجتماعي المعاصر في رواياته: (امرأة عبد المتجلي)، و(مملكة العنب)، و(أقوال أبو الفتوح الشرقاوي).. وغيرها.

أما في القصة القصيرة فقد استلهم التاريخ والواقع والمهنة، كما نرى ذلك في كتبه: (فارس هوازن)، و(موعدنا غدا)، و(حكايات طبيب)... إلخ.

وفي الشعر ترك حوالي عشرة دواوين منها: (عصر الشهداء)، و(أغاني الغرباء)، و(أغنيات الليل الطويل)، و(مدينة الكبائر)، و(نحو العُلا)، و(مهاجر)، و(كيف ألقاك؟).

وفي ميدان النقد أصدر كتاب «(لإسلامية والمذاهب الأدبية)، و(إقبال الشاعر الثائر)، و(مدخل إلى الأدب الإسلامي)، و(رحلتي مع الأدب الإسلامي)، و(آفاق الأدب الإسلامي).

وفي مجال المسرح: (على أسوار دمشق)، و(حول المسرح الإسلامي)، و(على أبواب خيبر)، و(نحو مسرح إسلامي).

وفي ميدان الفكر أصدر: (تحت راية الإسلام)، و(الطريق إلى اتحاد إسلامي)، و(أعداء الإسلامية)، و(حول الدين والدولة).

وفي مهنته كطبيب أصدر: (الغذاء والصحة)، و(مستقبل العالم في صحة الطفل)، و(احترس من ضغط الدم)، و(الدين والصحة)، و(في رحاب الطب النبوي)، بالإضافة إلى (دموع الأمير)، و(المجتمع المريض)، و(ليالي السهاد)، و(ليل وقضبان)، و(في الظلام)، و(قصة الإيدز)، و(مملكة البلعوطي)، و(الكابوس)، و(مواكب الأحرار)، و(نحن والإسلام)، و(النداء الخالد)، و(أهل الحميدية)، و(الإسلامية والقوى المضادة)، و(اعترافات عبد المتجلي)، و(العالم الضيق)، و(طلائع الفجر)، و(الصوم والصحة)، و(شوقي في ركب الخالدين)، و(الإسلام وحركة الحياة)، و(رجال الله)، و(أدب الأطفال في ضوء الإسلام)، و(رجال وذئاب) و(الرجل الذي آمن)،

و(حكايات جاد الله)، و(حمامة السلام) و(حول القضية الفلسطينية)... إلخ.

ويرى البعض أن الدكتور الكيلاني قد تساهل في بعض رواياته من الالتزام الكامل بالأدب الإسلامي كرواية (رأس الشيطان)، و(الربيع العاصف)، و(النداء الخالد)، و(الذين يحترقون)، و(الكأس الفارغة)، و(ليل العبيد)، و(ليل الخطايا) ولكن هذا يضيع في بحر حسناته وإخلاصه في خدمة دينه، ودعوته من خلال الأدب: قصة، ورواية، ومسرحية، ونقداً، وشعراً، والكمال لله وحده.

إن هذا العملاق في عالم الأدب، والذي عاش مغموط الحق لأنه صاحب اتجاه إسلامي لا يكفيه أن تكون بعض كتبه قد تُرجمتْ لبعض اللغات العالمية: كالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والأردية، والإندونيسية، والفارسية، وغيرها.

ولا يكفيه ويوفيه حقه أن يتناوله بعض النقاد العرب، وأن تُقدم عن أدبه دراسات الماجستير والدكتوراه، لأن نجيب الكيلاني وعلي أحمد باكثير يجب الاحتفاء بهما والعناية بإنتاجهما، ونشره وتوزيعه، لأنهما محاربان ومحاصران من العلمانيين والحداثيين ودعاة التغريب، والمضبوعين بثقافة الغرب وتلامذة المستشرقين، ولازالت الصورة ماثلة أمامنا في الموقف الذي وقفه أعداء الإسلام من أديب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي، وتلميذه محمود محمد شاكر، وعلي الطنطاوي، وسعيد العريان، وسيد قطب... وغيرهم.

وإنني لآمل من الإخوة الأدباء في رابطة الأدب الإسلامي والمتعاونين معها، أن يولوا الأمر مزيداً من العناية، فالمعركة الفكرية التي تدور رحاها تسخّر القصة والرواية والمسرحية والشعر وكل فنون الأدب في حربها للإسلام وأهله، فليكن للأدباء دورهم في منازلة هؤلاء ومقارعتهم، ولهم في لغة القرآن الكريم خير زاد.

وبعد أربع وعشرين سنة عاد الكيلاني إلى مصر، وقضى أواخر أيامه صابراً محتسباً يصارع المرض حتى وافاه الأجل المحتوم في الخامس من شهر شوال ١٤١٥هـ ـ الموافق السادس من شهر مارس ١٩٩٥م، حيث توفي ودفن بمصر.

وقد رثاه الدكتور حسن الأمراني ـ رئيس تحرير مجلة (المشكاة) المغربية بقصيدة جاء فيها:

هـا أنتَ تـرحلُ فـالـقـلـوبُ وَجِيبُ قـد شـيّـعـتْـكَ مـدامـعٌ وقـلـوبُ
تـبـكـيـكَ «جـاكـرتـا» وقـد غـنّـيـتـها تبكيك «تركستانُ» وهي تذوبُ
أعليتَ بالحرفِ المقدَّسِ شامخاً دانت لـه الأهـرامُ وهـي حـروبُ
ورفعتَ في وجه الجبابر صارماً تـعـنـو الـرقـابُ لـبأسِـهِ وتـؤوبُ
وبَـنـيـتَ لـلـمستضعفين ممالكاً هَـذْي الـنـبـوّةِ شـوقُـها مسكوبُ
وبسَطْتَ «للغرباء» ضوءَ منارةٍ يـزهـو ونـورُ الـحـقِّ لـيس يـغـيبُ
وهـتـفـتَ بالشهداء: هذا عصرُكم حُـلَـلُ الشـهـادة نـورُهُـنَّ نـهـيبُ
وإذا يُقال مَنِ الأديبُ؟ مَنِ الفتى؟ نـطـقَ الـزمـانُ وقـال ذاك نـجيبُ

كما أصدر صديقه الأديب الناقد حلمي القاعود كتاباً باسم: (الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني).

رحم الله أديبنا الراحل نجيب الكيلاني.. وغفر الله لنا وله، وأسكنه فسيح جناته، وألحقنا وإياه بعباده الصالحين.





الداعية الشهيد نزار أحمد الصباغ

(١٣٦١ ـ ١٤٠٢هـ = ١٩٤١ ـ ١٩٨١م)

مولده ونشأته:

وُلد نزار أحمد الصباغ في مدينة (حمص) بسوريا يوم ١٥/ ٧/ ١٩٤١م، ودرس في مدارسها الابتدائية والإعدادية والثانوية، ثم تتلمذ على يدي الشيخ عبد العزيز عيون السود والشيخ عبد الغفار الدروبي.

وخلال المرحلة الثانوية انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين في حمص. وقد ألقي القبض عليه في أعقاب الانقلاب البعثي عام ١٩٦٣م، ثم خرج من السجن ليتابع نشاطه الإسلامي وسافر إلى مصر ١٩٦٤م ليكمل دراسته الجامعية هناك وانتسب إلى كلية الهندسة المدنية بجامعة القاهرة؛ ولم يمض على وجوده هناك عدة أشهر، إلا وجاء أمر من المخابرات المصرية بترحيله عن مصر، فعاد إلى مدينته: (حمص) سنة ١٩٦٥م.

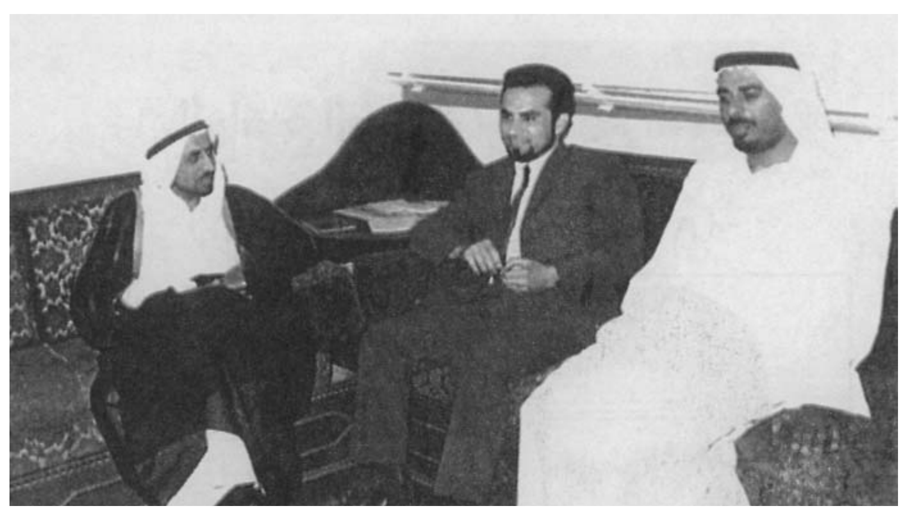
ثم اقترح عليه بعض إخوانه السفر إلى إسبانيا للاستفادة من نشاطه الإسلامي

هناك فرحل إليها سنة ١٩٦٧م على أمل أن يلتحق بكلية الصيدلة في جامعة غرناطة، ولكنه انشغل في أمور المسلمين ولم يتابع الدراسة وانطلق يعمل في حقل الدعوة الإسلامية بين الطلبة العرب والجاليات العربية والإسلامية ووسط الإسبان أنفسهم، فأسّس أول كيان إسلامي في إسبانيا منذ سقوط آخر معاقل الدولة الأندلسية سنة ١٤٩٢م، كما أقام في العام نفسه أول اتحاد للطلبة المسلمين في إسبانيا.

وقد كرّس جهوده لفتح المراكز الإسلامية والمساجد وتربية النشء تربية إسلامية وأسس داراً للترجمة والنشر قدّم من خلالها ثلاثة عشر كتاباً باللغة الإسبانية آخرها (حياة محمد).

بداية صلتي به:

بدأت صلتي بالأخ الشهيد نزار أحمد الصباغ في الستينيات الميلادية حيث كان يدرس بكلية الصيدلة في إسبانيا ويعمل في حقل الدعوة الإسلامية هناك بين الطلبة العرب والجاليات العربية والإسلامية ووسط الإسبان أنفسهم.



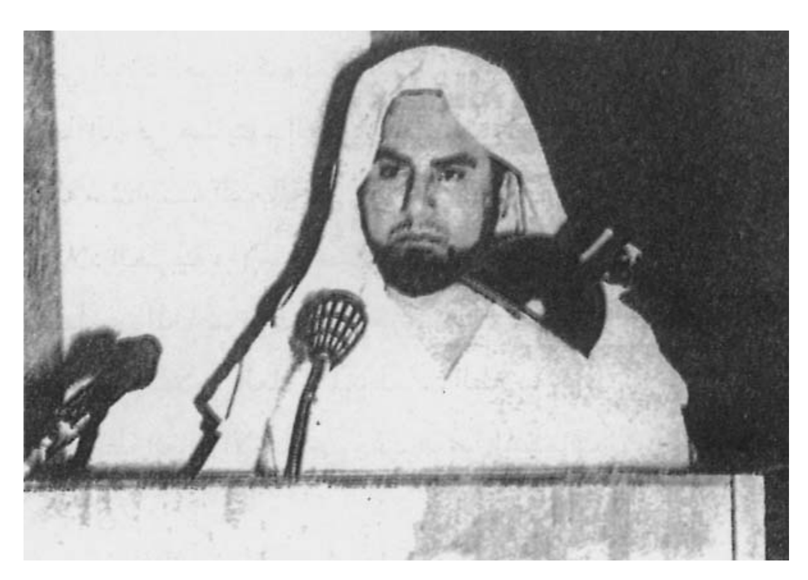
نزار الصباغ يتوسط عمر الدايل على اليسار والمستشار العقيل على اليمين ١٩٧٠/٥/٢٥م

ولقد أجرى الله على يديه الخير الكثير، حيث تمكّن بفضل الله ثم بمساعدة بعض الشباب العرب المسلمين من تجميع صفوف الشباب المسلم وبخاصة الطلاب وإنشاء المراكز الإسلامية التي يمارسون من خلالها نشاطهم، وعقد المؤتمرات والندوات والمخيمات والدورات وإلقاء الخطب والمحاضرات، وكانت إقامته الأولى في (غرناطة) لسنين طويلة انتقل بعدها للإقامة في (برشلونة)، وقد تعدّدت المراكز الإسلامية وأقيمت المساجد في أكثر من مكان.

كان نزار الصباغ خطيب الجمعة بالمركز الإسلامي في (برشلونة) التي انتقل إليها سنة ١٩٧٨م والذي تؤمّه جموع كثيرة من الطلاب والمقيمين والمسلمين الإسبان، وكانت خطبه الحماسية تستجيش مشاعر المصلين وتلهب عواطفهم وتستنهض هممهم حيث يعرض أوضاع المسلمين في العالم وما يتعرضون له من المحن على أيدي البغاة والطغاة الذين يكيدون للإسلام والمسلمين ويمكرون الليل والنهار لمحاربة دعاة الحق وأعلام الهدى وجند الله ودعاته، ويناشد المسلمين للعمل الجاد المنظم للتصدي لأهل الباطل من عملاء الشرق والغرب على حد سواء.

صفاته ومواقفه:

كان صلباً قوي الحجة ثابت الجنان رابط الجأش لم تلن له قناة ولم تزده الأحداث الجسام إلا قوة ورسوخاً وصلابة وثباتاً، حيث يفزع إليه الشباب المغترب حين تدلهمّ الخطوب وتشتد الأمور فيواسيهم ويثبّتهم ويبذل وقته وعافيته وماله وجهده لقضاء حوائجهم وتفريج كربهم وإزالة العقبات التي تعترض طريقهم متوكلاً على الله ومستعيناً بإخوانه من أهل السابقة بالدعوة الذين خرجوا من أتون المحن أصلب عوداً وأشد مراساً فكانوا نماذج صادقة للإسلام الحق بعلمهم وعملهم وخلقهم وسلوكهم، رهباناً في الليل فرساناً في النهار، يعيشون الإسلام بشموله وكماله وينتصبون لحمل الدعوة الإسلامية وإبلاغها للناس كافة.



نزار الصباغ يلقي خطبة الجمعة في المركز الإسلامي الإسباني

جهوده العلمية والدعوية:

كان نزار الصباغ صوت الحق في إسبانيا ومركز الثقل لتحمّل مسؤولية الدعوة الإسلامية فيها وكان من الشخصيات القيادية المميّزة. فلقد أسهم في نشر الكتب باللغة الإسبانية، وترجمة معاني القرآن الكريم، التي استشهد قبل أن يكملها، وترجم كتب الحديث الشريف والسيرة النبوية إلى اللغة الإسبانية، واعتنق الإسلام على يديه كثيرون من الإسبان وغيرهم رجالاً ونساء، شيباً وشباناً حتى تكونت منهم مجموعات تشكّل مجتمعات صغيرة تعيش في أجواء الإسلام وتستظل في ظلاله.

ولقد سعدنا بلقاء الكثير من هؤلاء الإسبان المسلمين في إسبانيا وأثناء زيارتهم لنا في البلاد العربية كانوا يذكرون الشهيد نزار الصباغ بكل خير ويردّون له الفضل بعد الله في هدايتهم إلى الطريق المستقيم، طريق الإسلام الصحيح. كما كانت له مشاركته الفعالة في المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في إسبانيا وأوروبا والبلاد العربية والإسلامية حيث يصدع بكلمة الحق، ويطرح الحلول

لمشكلات المسلمين المعاصرة على ضوء الكتاب وهدي السُّنَّة، كما كان عضواً عاملاً في الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، وفي الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي وغيرها من المنظمات الإسلامية ذات الطابع العالمي الإسلامي.

كما كانت له جهود مشكورة في رفد العمل الإسلامي في شمال إفريقيا وبخاصة في المغرب والجزائر وفي أوروبا عموماً حيث كان من مراكز التنسيق فيما بينها.

وكان كخلية النحل دائم الحركة والتنقل في أنحاء المدن الإسبانية، ودول المغرب العربي وتركيا، وبلدان الجزيرة والخليج.

وقد أسهم أيما إسهام في رفد العمل الإسلامي في أوروبا عموماً وإسبانيا والمغرب العربي خصوصاً، وكان له الكثير من الأتباع والمحبين الذين يُجاهدون الليل والنهار لإعلاء كلمة الله، ونشر دينه والتصدي لدعاة العلمانية والفرق الهدامة وأنصار الاستعمار الشرقي والغربي على حد سواء، مما أسخط الكثير من الجهات ضده وتحالفت جميعاً على وقف نشاطه وشل حركته بكل وسائل المكر والكيد والمحاصرة والتضييق والمطاردة، بتسخير العملاء وشراء الذمم لوقف هذا النشاط الإسلامي، وعرقلة سير دعاته وبخاصة في ديار الغرب حيث كانت الحرية النسبية تعطي المجال للدعاة المسلمين ليقولوا كلمة الحق، ويُسمعوا رأيهم للناس دون خوف أو وجل.

هكذا كان نزار الصباغ وتلك كانت سيرته، ومن أجل هذا ضاق به الطغاة ودبروا المؤامرات للتصدي له والنيل من جهاده مرات ومرات.

استشهاده:

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل لجؤوا إلى اغتياله بأيدي عملائهم أمام باب مكتبه في (برشلونة) جهاراً نهاراً فخرَّ مضرجاً بدمه شهيداً في سبيل الله، وسجّل

بذلك اسمه في سجل الشهداء الذين سبقوه إلى الله وكان ذلك ليلة السبت ٢٢ / ١١ / ١٩٨١م وقد أوردت وكالات الأنباء المحلية والعالمية نبأ استشهاده وأذيع في الإذاعات ونشر في الصحف وتوجّهت أصابع الاتهام إلى عملاء السفارة السورية المأجورين هناك.

وفي يوم ٢٥ / ١١ / ١٩٨١م نقل جثمانه إلى مدينة (غرناطة) ودفن في السفح المطل على (قصر الحمراء) بالقرب من (جنة العريف) حيث توجد مقبرة إسلامية كان قد دفن فيها فيما بعد المفكر المسلم النمساوي الأستاذ محمد أسد سنة ١٩٩٢م. وقد حضر تشييع الشهيد الصباغ وفود غفيرة من الجاليات والجماعات الإسلامية من عدة دول أوروبية وعربية ومن المسلمين المقيمين بإسبانيا ومن أبناء البلاد والطلاب والعمال وغيرهم.

ومن الجدير بالذكر: أن استشهاده كان وهو في طريقه إلى المركز الإسلامي ببرشلونة ليكمل موضوع الأسبوع السابق وكان بعنوان (الشهادة ومكانة الشهيد في الإسلام) وهذه من المبشرات التي يفرح بها المؤمنون.

ولقد كانت بينه وبين أستاذنا الشهيد محمد كمال الدين السنانيري بيعة وميثاق كنت من الحضور الشاهدين عليها، فشاء الله أن يستشهد نزار الصباغ بعد استشهاد السنانيري ببضعة أيام في نوفمبر ١٩٨١م ليلحق به إن شاء الله في جنة عرضها السموات والأرض أُعدّت للمتقين.

رحم الله أخانا نزاراً وألحقه بالنبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.





١١٧

المجاهد الثائر هاني مصطفى بسيسو
(أبو سهل)

(١٣٤٩ ـ ١٣٩٠هـ = ١٩٢٩ ـ ١٩٧٠م)

تمهيد:

كانت فترة دراستي بمصر من سنة ١٩٤٩ ـ ١٩٥٤م من أخصب الفترات في النشاط الإسلامي الذي ينتظم عقد الشباب المسلم وبخاصة طلبة الجامعات الأربع بمصر.

وكنا نحن الطلبة الوافدين من خارج مصر ينتظمنا أكثر من رباط ويجمعنا أكثر من لقاء حيث مشكلات المسلمين وقضايا الإسلام في كل مكان هي الشغل الشاغل لنا بعد دراستنا.

الاهتمام بقضية فلسطين:

وكان في مقدمة القضايا التي تشغلنا قضية فلسطين وما آلت إليه نتيجة التخطيط الصليبي اليهودي العالمي الذي شرّد الشعب الفلسطيني وأسلم البلاد

إلى الطغمة اليهودية والعصابات الصهيونية بعد المهزلة التمثيلية التي شاركت فيها الجيوش العربية تحت القيادة الفعلية للجنرال الإنجليزي كلوب باشا. فكنا نتحرّق شوقاً للعمل الجاد الذي يعطي فلسطين حقها ويمكّن لشعبها المسلم من استرداد حقوقه المشروعة وبخاصة أن قضية فلسطين هي قضية المسلمين جميعاً وليست قضية الشعب الفلسطيني وحده لأنها بلاد المقدسات فيها أولى القبلتين وثالث المساجد التي تُشّد إليها الرحال وهي وقف للمسلمين جميعاً.

وكان طريقنا لخدمة هذه القضية هو تعبئة الجماهير وبخاصة الطلاب وعلى الأخص الفلسطينيون منهم ليكونوا نواة عمل منظم يأخذ أبعاد القضية ويدرس سبل تحقيق الأهداف وفق التصور الإسلامي ويربي الشباب على الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

بروز دوره:

ومن هنا برز دور الأخ المجاهد هاني مصطفى بسيسو وهو من الإخوان



ياسين الشريف ـ عزمي الجوهري ـ محمد الدمرداش مراد ـ محمود جودة ـ محمد الصفطاوي ـ عبدالله العقيل ـ أحمد العسال ـ أحمد حمد ـ يوسف القرضاوي ـ هاني بسيسو ـ عزت الشريف
مصر، حلوان عام ١٩٥١م



الأخ المناصير ثم المستشار العقيل، ثم هاني بسيسو، ثم الأخ الصفطاوي

الفلسطينيين في (حي الشجاعية) من أحياء غزة، التي كان فيها شعبة للإخوان المسلمين، ومن العائلات المرموقة والمعروفة، درس في مدرسة الإمام الشافعي في غزة ثم انتقل إلى القاهرة ليدرس في كلية الحقوق، حيث كان مثال العامل الصامت والمجاهد الدؤوب والعالم العابد الذي يؤثر العمل على الكلام ولا يكلّ ولا يملّ من الاتصال بالأفراد والجماعات شارحاً لهم الدور المنوط بهم كمسلمين لهم رسالة في الحياة وهي إعلاء كلمة الله ونشر دعوته وتحرير بلاد المسلمين من كل سلطان أجنبي وتطهير أرض الإسراء والمعراج من رجس الصهاينة وأعوانهم.

وكان في المركز العام للإخوان المسلمين قسم الاتصال بالعالم الإسلامي وقسم طلبة البعوث الإسلامية ومن خلالهما كان للأستاذ هاني جهوده المشكورة وأعماله المبرورة.

صفاته وخلقه:

وقد ساعده على أداء مهمته والقيام بدوره، صلاحه وتقواه وزهده وعفته ودماثة خلقه وحسن معاملته للجميع ، فكان صديق الجميع يحبونه أكثر من أترابه

ويؤثرونه على من عداه، ويجعلونه في المقدمة رغم حرصه على التواري عن الأنظار وإيثاره العمل في الصفوف الخلفية بحيث يرى أثره ولا يعرف شخصه، وكان سباقاً إلى المكرمات والبذل للنفس والوقت والمال في سبيل مرضاة الله وخدمة المسلمين حيث كان المسؤول عن الإخوان الفلسطينيين.

جهاده وجهوده:

لقد أسهم في أكثر من ميدان وكان كخلية النحل في نشاطه الإسلامي في محيط الطلاب وغيرهم وقد أثمر جهده الثمار الطيبة بهذه البراعم المؤمنة التي حملت رسالة الإسلام عقيدة وشريعة وخلقاً وسلوكاً ومنهج حياة.

كانت التجمعات الفلسطينية تضم أشتاتاً من أصحاب المبادئ من اشتراكية وشيوعية وعلمانية وإسلامية. ولكن التوجه الإسلامي كان له الدور الريادي والهيمنة على معظم الشباب الفلسطيني بفضل الجهود المباركة التي يبذلها هاني بسيسو وإخوانه.

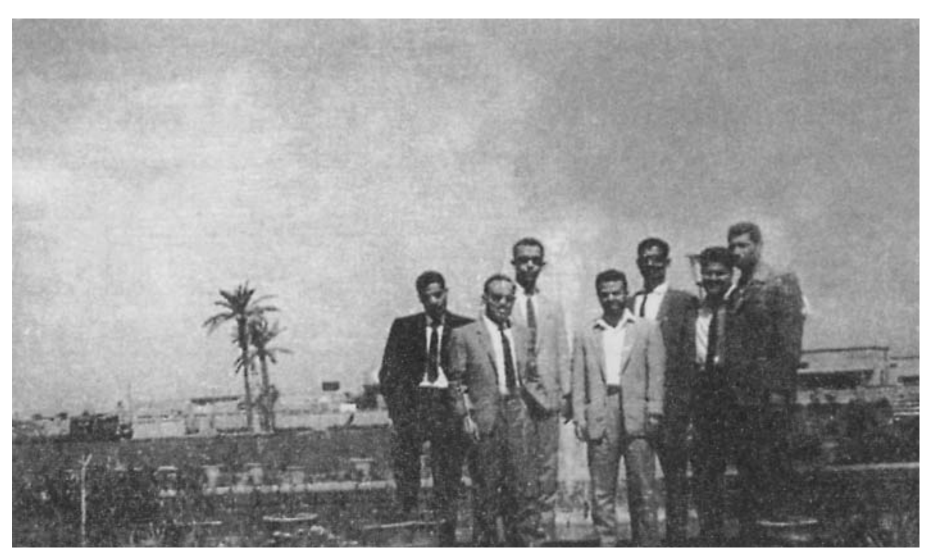
وفي معركة قناة السويس سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م برز دور الشباب المسلم بكل وضوح حيث قاد المعركة طلاب الجامعات المصرية وشارك معهم بعض الإخوة الفلسطينيين في التدريبات ومنهم الأستاذ هاني بسيسو، الذي وصفه عبدالله أبو عزة بقوله: «كان هاني بسيسو ـ رحمه الله ـ من أصغر الرجال حجماً من حيث حجم جسمه المادي لكنه كان من أكبر الرجال في قوة إيمانه وعمق إخلاصه وزهده في المظاهر ونكرانه لذاته وتفانيه في خدمة المبادئ التي آمن بها والمنهج الذي أعلن له ولاءه (ص ٢٥ من كتاب مع الحركة الإسلامية)» انتهى.

وإذا كان (معين بسيسو) الشاعر والزعيم الشيوعي قد سُلطت عليه الأضواء وتحدّث عنه الإعلام الذي كان يسيطر عليه اليسار في معظم العالم العربي فإن الأخ المجاهد هاني بسيسو كان الجندي المجهول والعامل المحتسب والتقي الخفي الذي يؤثر ما عند الله على ما عند الناس ويعرف قيمته الرجال المحيطون

به أمثال: خليل الوزير ومحمد أبو سيدو وحسن عبد الحميد صالح وغيرهم من الأعوان الخُلّص.

ظلّ المجاهد هاني بسيسو يؤدي دوره في العمل الإسلامي وجمع كلمة الفلسطينيين على منهج الإسلام الصحيح فترك أطيب الأثر في فلسطين ومصر، وحين وقع عليه الاختيار ليعمل في (مدرسة النجاة الأهلية) في الزبير بالعراق مع بعض الزملاء المصريين صرف جلّ اهتمامه إلى الطلبة يربيهم على الإسلام خلقاً وسلوكاً وفهماً وعملاً وكان يصحبهم للصلوات في المساجد وقيام الليل ودروس الفجر والرحلات الكشفية حتى عمّ الخير وانتشر وكثر الصالحون من الشباب الذين تعلقوا به وآثروه حتى على آبائهم في طرح مشكلاتهم والإجابة عن استفساراتهم وكان القدوة العملية للجميع في تواضعه الجم وخلقه الفاضل وخدمته للصغار والكبار على حد سواء. وقد تزوج من أخت زميله في التدريس ورفيقه في طريق الدعوة الأخ محمد الصفطاوي فكانت خير عون له في جهاده.

ولم يكن انصرافه للعمل في التدريس ليصرفه عن الاتصال بإخوانه العاملين



حسن المدهون، وإبراهيم عاشور، و... هاني مصطفى بسيسو، و... عرفات العشي، وإبراهيم غوشة

المجاهدين في مصر وفلسطين بل كان دائم الصلة بهم، كثير التردد عليهم، يوفر لهم العون اللازم والدعم المستمر.

يقول الأستاذ عبدالله أبو عزة في كتابه (مع الحركة الإسلامية) ص ٧١: «في يوم من أيام شهر تموز من سنة ١٩٥٧م جاءني المرحوم هاني مصطفى بسيسو يحمل مذكرة مكتوبة في بضع ورقات وقال: إن الأخ خليل الوزير قدّمها إليه وفيها مقترحات تقدم مشروعاً لنشاط إخواني كي يتبناه التنظيم وطلب مني الأستاذ هاني أن أدرس المذكرة وأعطيه رأيي فيها فاعتذرت للأخ هاني لظروفي وأعدت إليه المذكرة بعد أن ألقيت عليها نظرة سريعة ويبدو أن الأخ هاني ومن معه لم يأخذوا المذكرة مأخذ الجد ولكن أصحاب المذكرة خليل الوزير وإخوانه تابعوا الأمر إلى أن وُلدت حركة فتح سنة ١٣٧٨هـ، ١٩٥٨م».

ويمضي أبو عزة في كتابه المذكور ص ٧٨: «ربما لا يعرف كثيرون أن أول بعثة إخوانية مصرية زارت فلسطين في شهر أغسطس سنة ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٥م كانت تضم كلاً من الأستاذ عبد الرحمن الساعاتي البنا (شقيق حسن البنا) والأستاذ محمد أسعد الحكيم (سكرتير الإخوان المسلمين آنذاك) وعندما اندلعت الثورة الكبرى في فلسطين سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٦م هبّ الإخوان في مصر لنصرتها لكن دورهم الأكبر والأظهر كان في سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م حين دخلت كتائبهم للقتال بجانب الفلسطينيين» انتهى.

وكان الأخ هاني مصطفى بسيسو يجاهد مع إخوانه من أبناء الحركة الإسلامية، حين كُشف أمره لدى الطغاة المتسلّطين على حكم مصر من العسكريين فقُبض عليه ١٩٦٥م وسُجن وبقي في السجن عدة سنين وكان الدعاة في السجن يلتفون حوله ويسهمون معه في تثبيت الناس وشد أزرهم وتبشيرهم بما أعده الله للمجاهدين الصابرين والدعاة المخلصين.

ولم تلن له قناة ولم يضعف أمام مغريات الوعود ولا سياط الجلاّدين بل كان رابط الجأش، صلباً في مواقفه، جريئاً في أقواله، متوكلاً على ربه حتى أتاه اليقين

سنة ١٩٧٠م حيث لقي ربه في غياهب السجن فبكاه الجميع داخل السجن وخارجه وظل ذكره عطراً يتحدّث فيه القاصي والداني لما عرفوه فيه من تديّن صادقٍ وعملٍ مخلصٍ ولسان عفيفٍ وخلق فاضلٍ وجرأة في الحق ورجولة في المواقف وإيثارٍ عند الشدائد وزهدٍ في الدنيا وعزوفٍ عما في أيدي الناس.

شهادة بحقه:

يقول عنه رفيق دربه وتلميذه حسن عبد الحميد صالح: «.. عرفته عام ١٩٤٧م في مدرسة الإمام الشافعي الثانوية بغزة يوم وقف في وجه ناظر المدرسة وقفة طالب وطني شجاع يطالبه بجرأة وإصرار أن يسمح لطلاب المدرسة بمساعدة إخوانهم المتطوعين القادمين للاشتراك في حرب فلسطين، وذلك بحفر الخنادق معهم في معسكر الطيران شرقي غزة.. ورغم ما هدّد به ناظر المدرسة من فصل وحرمان وتحمّل للمسؤولية ظل واقفاً جريئاً مصرّاً باسم المدرسة على مطالبه حتى استجاب ناظر المدرسة له، وخرج الطلاب لمساعدة إخوانهم المتطوعين.. وهناك في المعسكر كان هاني خير قدوة لزملائه، ازداد به الجميع إعجاباً وازددت إليه تقرباً وإكباراً، فما كان يقع بصري عليه إلاّ وأجده يحفر في خندق، أو يشرح لبعض الطلاب واجبهم، أو يرحب ببعض المتطوعين القادمين من البلاد العربية.. وفي ذلك اليوم كنت واقفاً معه وإذا بناظر المدرسة يقترب منا مهدداً إياه بقوله: اسمع يا هاني ستتحمّل غداً مسؤولية خروج الطلاب من المدرسة وستقدّم للاستجواب الذي ربما تكون



المناصير ـ الصالح ـ الأحمر ـ الشقير ـ الثوابتة ـ بسيسو (حيث يشير السهم الأعلى) ـ الصفطاوي ـ عميرة
مايو عام ١٩٥٦م

نتيجته الفصل نهائياً من المدرسة.. رد عليه قائلاً: إنه لشرف كبير أن أُفصل من المدرسة نتيجة لمشاركتي وإخواني في مثل هذا العمل الوطني؛ بل إنه أول وسام وطني يمنحني إياه وطني.

وفي نهاية ١٩٤٧م كان هاني الأول على طلاب الثانوي القسم الأدبي فقرّرت الإدارة المصرية أن ترسله على حساب الحكومة ليكون أول مبعوث فلسطيني في الجامعات المصرية مجاناً؛ وعندما ذهبت إليه لأهنّئه قال لي: هذا من توفيق الله تعالى وليس قائماً على جدي واجتهادي.

وفي عام ١٩٥١م التقيت به في القاهرة حيث كان في السنة النهائية بكلية الحقوق وكنت أنا على أعتاب كلية الآداب وأخذ يتردد على مسكني وأتردد على مسكنه فلمست فيه الخلق الفاضل والتواضع الجم والإيثار فاتخذت منه قدوة طيبة صالحة، أخذت أترسّم خطاها وأتعلّم منها كل يوم جديداً. لقد زرع في قلبي وعقلي حبّ الإسلام العظيم ودلّني على جوانب العظمة ومكامن الخير فيه فازددت إعجاباً وافتخاراً بالانتساب إليه.

لا زلت أذكر ذلك اليوم الذي طلب مني أن أرافقه لزيارة زميل له فلسطيني شيوعي، وكان ذلك الزميل مريضاً، فذهبت على كره مني وعندما وصلنا بيت ذلك الزميل، قام هاني بصنع الشاي ثم طلب مني أن أنتظر عند المريض حتى يعود، وإذا به يعود بعد قليل ومعه طبيب خاص ليفحص المريض ثم دفع للطبيب أتعابه من جيبه الخاص.. وعندما انصرفنا قال لي: يا أخي حسن هذه مهمة المسلم في الحياة أن يفعل الخير ما دام قادراً عليه، فالمسلم إنسان طبيب ومهمة الطبيب في المجتمع أن يعالج المرضى ويعين المحتاجين.

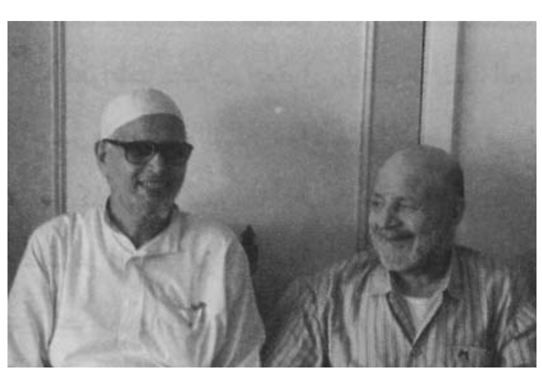
وتخرّج في كلية الحقوق ورفض أن يعمل في النيابة في غزة ورضي أن يعمل مدرساً بمدرسة أهلية في الزبير في العراق، ثم التقيت به بعد سنوات وكنت عاتباً عليه لأنه لم يعمل في مجال اختصاصه، وإذا به يحدثني وكله غبطة وسرور ويقول: أنا مسرور جداً في الزبير فلقد لمست ثمرة جهودي بيدي ورأيتها حلوة

متمثّلة في جيل من الشباب الإسلامي الواعي الذي سوف يكون له أطيب الأثر في المستقبل، ثم قال: اسمع قول الرسول الكريم: (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها). وفي عام ١٩٦٣م ذهبت إلى زيارة الزبير ورأيت بنفسي من أهل الزبير الكرام المكانة الكبيرة التي احتلها هاني في نفوسهم فلم أسمع من أحد إلاّ ثناء عاطراً عليه، ومديحاً كان هو يخجل من سماعه ولا يحب أن يسمعه من أحد، تواضعاً منه وحياء.

كان ـ رحمه الله ـ رجلاً صالحاً عطر السيرة مؤمناً صادق الإيمان كثير الصوم حريصاً على صلاة الجماعة في المسجد لا يقصر عن صلاة الفجر ولا تفوته صلاة العشاء، يجهد نفسه كثيراً من أجل راحة الآخرين حريصاً على زرع بذور الإسلام في كل مكان ينزل فيه، جواداً كريماً مع ضيوفه حتى يظن أنه غني من الأغنياء، وهو مع نفسه يعيش عيشة الزهّاد. كان خادماً لأصحابه، عطوفاً على إخوانه، واسع الصدر مع تلاميذه ومريديه، ذا مروءة ورجولة وصدق لا تأخذه في الله لومة لائم.

عرفته الحركة الإسلامية في غزة رائداً لها وقائداً لحركتها، وعرفته الزبير وغيرها داعية ومربياً إسلامياً.. عرفه الجميع بطيبة قلبه وسلامة صدره فأحبوه وقدروه وأنزلوه منزلة الأستاذية من نفوسهم رغم صغر سنه..» انتهى.

وقد أسهم كثيراً بالمشاركة في الندوات وإلقاء المحاضرات في الزبير والبصرة. وكان يحرص رحمه الله على الاستفادة من العلماء وبخاصة العلاَّمة الشيخ ناصر الأحمد مدير مدرسة النجاة الأهلية في الزبير وطلب منه أن



صورة د. أحمد العسال والأستاذ محمد الصفطاوي



صورة حديثة لبعض مدرسي مدرسة النجاة بالزبير
وزملاء هاني بسيسو وبعض التلاميذ بالمدرسة سابقاً (ديوانية الديحان)
المرزوق، الدايل، العقيل، اللهو، الديحان، الزيد، الناصر، المشرف، الشماس.

يدرس هو وعدد من الإخوة علم الفرائض عليه فوافق الشيخ ناصر رحمه الله وخصص وقتاً لهم بعد انتهاء الدرس اليومي بعد صلاة العشاء وقد استفادوا كثيراً من هذا الدرس. وكذلك كان الشيخ هاني يحرص على العناية بتعليم الكبار والعناية بحفظهم للقرآن الكريم والاستماع إليهم وتصحيح تلاوتهم إلى غير ذلك من الجهود العلمية.

ذلك هو الداعية المجاهد هاني مصطفى بسيسو، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.







شاعر الإسلام.. وليد الأعظمي

(١٣٥٠ ـ ١٤٢٥هـ = ١٩٣٠ ـ ٢٠٠٤م)

مولده ونشأته:

ولد الأخ الحبيب وليد عبدالكريم إبراهيم الأعظمي سنة ١٩٣٠م في (الأعظمية) المدينة التي أخذت اسمها من اسم الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وهو من قبيلة (العُبيد) العربية القحطانية الحميرية، كما أن سكان الأعظمية، معظمهم من أبناء هذه القبيلة، وقد تعلم قراءة القرآن الكريم لدى الملا عميد الكردي، وانتسب إلى مدرسة الأعظمية الابتدائية الأولى وأكمل الدراسة الابتدائية فيها.

وقد نشأ في بيئة دينية وأسرة محافظة على دينها، فكان محافظاً على الصلاة وهو صبي، وكان وأصحابه يقضون معظم أوقاتهم في جامع الإمام الأعظم حيث الدفء والأنوار والجو الروحي العابق بالبخور والعطور، والزرابي المبثوثة والسجاد الوثير الفاخر.

كما كان يلعب مع أترابه في «مقبرة الخيزران» التاريخية القريبة من جامع الإمام الأعظم، وكانت تستهويه وتثير إعجابه تلك الخطوط الجميلة المحفورة بالمرمر على رقيم بعض قبور الولاة وبعض الموظفين الأتراك، وكان الشاب وليد يحاول تقليد تلك الخطوط، كما كان يحفظ تلك الأشعار المخطوطة على رقيم تلك القبور، وفي هذه المقبرة ومنذ صباه تعلق بالخط العربي والشعر العربي.

مشايخه:

كان في شبابه يحرص على حضور دروس العلامة الشيخ قاسم القيسي (مفتي بغداد) التي يلقيها على طلاب المدارس الدينية في (مسجد بشر الحنفي) في الأعظمية، وكذلك دروس العلاَّمة الدكتور تقي الدين الهلالي في (مسجد خطاب) بالأعظمية، ودروس العلاَّمة الشيخ محمد القزلجي الكردي، ودروس الشيخ عبدالقادر الخطيب، ومجلس العلامة الحاج حمدي الأعظمي في منزله، ودروس العلامة الشيخ أمجد الزهاوي في جامع الإمام الأعظم ومسجد الدهان.

بداياته الشعرية:

بدأ نظم الشعر وهو ابن خمسة عشر عاماً، وكان قبل ذلك بقليل ينظم الزجل والشعر الشعبي بلغة العوام، وكان خاله الأديب مولود أحمد الصالح يوجهه ويرعاه ويصحح له بعض الأوزان ويبدل بعض الكلمات، وفي سنة ١٩٤٦م افتتحت جمعية الآداب الإسلامية فرعاً لها في الأعظمية فكان ينشر فيها بعض المقطوعات الشعرية بعد أن يراجعها ويصححها الأستاذ المصري الإخواني محمود يوسف المدرس في دار المعلمين بالأعظمية.

ثم انطلق بعدها إلى الشعر، وأصدر عدة دواوين شعرية كان أولها (ديوان الشعاع) الذي أصدره سنة ١٩٥٩م وتتابعت بعد ذلك دواوينه وكان آخرها (نفحات قلب) الذي أصدره عام ١٩٩٨م.

معرفتي به:

كانت معرفتي بالأخ الشاعر وليد الأعظمي سنة ١٩٤٧م، حين توجهت إلى بغداد للدراسة في الثانوية الشرعية في الأعظمية مع زملائي الإخوة: يوسف العظم، وإبراهيم منير المدرس، ونعمان عبدالرزاق السامرائي، وعبدالحافظ سليمان وغيرهم.

وكان لنا مع إخواننا سكان الأعظمية أمثال الشاعر وليد الأعظمي والأخ صالح الدباغ والأخ عبدالحكيم المختار، وغيرهم لقاءات متصلة من خلال الأسر والكتائب والرحلات والمخيمات والدروس والمحاضرات والمؤتمرات والاحتفالات، وكانت (مكتبة الإخوان المسلمين) في الأعظمية من الأماكن التي نكثر التردد عليها، حيث تجري المناقشات الدعوية والمطارحات الشعرية والمساجلات الأدبية فضلاً عن المسابح على ضفاف نهر دجلة، حيث تمارس السباحة والرياضة.

وكنت ألمح في أخي وليد الأعظمي هذا الحماس والعطاء المتدفق والعمل الدؤوب والغيرة الصادقة على الإسلام وحرماته، والحرص على جمع الشباب على منهج الإسلام والتصدي لقوى الإلحاد والطغيان والفساد والإفساد الذي يمارسه دعاة الشيوعية وأذناب الاستعمار وعملاء الكفرة الأعداء.

كانت بواكير شعره تنطلق من أعماق قلب مؤمن وكبد حرّى، كما كان حبه لإخوانه العاملين في حقل الدعوة الإسلامية السائرين في ركب كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة هو الطابع الغالب على أشعاره، وقد اشترك معنا في المظاهرات الشعبية بقيادة الشيخ محمد محمود الصواف ضد معاهدة «بورت سموث» حتى سقطت حكومة صالح جبر التي عقدتها وألغيت المعاهدة، وقد أولاه الأستاذ الصواف عناية كبيرة، فكان يشجعه ويقدمه في المحافل العامة لينشد الشعر الإسلامي وينشره في مجلة «الأخوة الإسلامية» كما كان يصحبه في زيارة المدن العراقية.

وقد ذاع صيته وانتشرت قصائده وأشعاره في العالم العربي كله، وكان الشباب المسلم يترنم بها في كل مكان وينشدها في المناسبات.

وأسهم بإلقاء الكثير من القصائد في البلدان التي زارها مثل: الكويت، وسورية، والأردن، وفلسطين، ومصر، والجزائر، والسعودية، والإمارات، واليمن وغيرها.

ويعلم الله أنني مدين للأخ الحبيب أبي خالد بالكثير من الفضل، فقد وجدت في كتابه (السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني) ما أزال الغشاوة عن عيني، فقد كنت في مرحلة الدراسة الجامعية بمصر معجباً بكتاب (الأغاني)، وأعتبره من المراجع المعتمدة، حتى فضح عواره، وكشف عن خبيئته الأخ وليد الأعظمي، فسارعت في نقد الكتاب وبيان أغاليطه وأكاذيبه في مجلة المجتمع الكويتية الغراء، وحذَّرت الناس من الاغترار به.

وفي السنوات الأخيرة من ١٩٩٨م وحتى تاريخ وفاته، كانت لنا لقاءات كثيرة بالأردن وندوات، وأكرمني الله مع إخواني أن نشجعه على الإذن لنا بطباعة أعماله الشعرية كاملة، وتم ذلك بحمد الله، ونحن الآن بصدد طباعة تراثه النثري كاملاً إن شاء الله بمساعدة أخينا الأستاذ الأديب عبدالله الطنطاوي صاحب الهمة والعزم.

حياته العملية:

عاش الأخ وليد الأعظمي داعية من دعاة الإخوان المسلمين، وشاعراً من شعراء الإسلام المعاصرين، وسخر كل طاقاته وإمكاناته لخدمة الإسلام والمسلمين داخل العراق وخارجه، فكان يعيش قضايا الإسلام والمسلمين، ويتفاعل مع الأحداث، ويؤكد المعاني الإسلامية وروابط الأخوة بين المسلمين، وأنهم جسد واحد، وأن بلاد المسلمين واحدة، فكان لا يقيم وزناً للحدود المصطنعة.

وكان يرى أن المسلمين أمة واحدة ربها واحد ونبيها واحد، وقبلتها واحدة، وهدفها واحد، هو العمل لمرضاة الله وتحقيق معنى العبودية لله وحده.

وقد أسهم في كل ميدان من ميادين خدمة الإسلام والمسلمين على الصعيد الوطني والسياسي والاجتماعي، فشارك في مظاهرات ١٩٤٨م التي أسقطت المعاهدة الاستعمارية، وأسهم في تأسيس «جمعية الأخوة الإسلامية» ١٩٥٠م، وشارك في جميع أنشطتها من المحاضرات والندوات والمؤتمرات والمخيمات والمعسكرات الكشفية، والتمثيليات والمسرحيات والأناشيد الإسلامية وغيرها.

وقد انتسب إلى معهد الفنون الجميلة ببغداد، قسم الخط العربي والزخرفة الإسلامية، وتخرج فيه، وتعلم فن التركيب في الخط العربي على يد الخطاط التركي الشهير ماجد بك الزهدي، كما رافق الخطاط النابغة هاشم محمد البغدادي عشرين عاماً، اغترف خلالها الكثير المفيد من فنه وفضله وأدبه.

والأستاذ وليد الأعظمي متزوج من ابنة عمه التي كانت له نعم الزوجة الصابرة ورُزق منها بثمانية من الأولاد أربعة من البنين وأربع من البنات، واستشهد أكبرهم وهو (خالد) في الحرب العراقية الإيرانية.

كما كان الأستاذ وليد الأعظمي رئيساً لنادي التربية الرياضي بالأعظمية لمدة خمس سنوات، وفاز النادي ببطولة العراق في المصارعة.

كما حصل على إجازات في فن الخط العربي من الخطاط المصري الشهير محمد إبراهيم البرنس ومن الخطاط محمد طاهر الكردي «خطاط مصحف مكة المكرمة» ومن الخطاط أمين البخاري «خطاط كسوة الكعبة المشرفة» وغيرهم.

وكان عضواً مؤسساً في الحزب الإسلامي العراقي سنة ١٩٦٠م، وعضواً مؤسساً لجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين، وعضواً مؤسساً لجمعية الخطاطين العراقيين، وعضواً مؤسساً لمنتدى الإمام أبي حنيفة في الأعظمية.

كما كان خبيراً في شؤون المصاحف في وزارة الأوقاف العراقية، وخبيراً في فن الخط العربي وتاريخه وآدابه في وزارة الثقافة والإعلام العراقية، واشتغل

خطَّاطاً في المجمع العلمي العراقي، ومصححاً في مطبعته لمدة عشرين سنة.

وقد نشرت له الكثير من القصائد والمقالات والبحوث في النقد الأدبي واللغة والتاريخ والفن في عدد من المجلات منها: الوعي الإسلامي في الكويت، ومجلة المجتمع ببيروت، ومجلة المجمع العلمي العراقي، ومجلة الرسالة الإسلامية ببغداد، ومجلة التربية الإسلامية ببغداد، وبعض الصحف اليومية ببغداد مثل: الأيام، والبلد، والسجل، والجمهورية وغيرها.

كما قام بتزويق الكاشي المزجج بخطه الجميل في الكثير من محاريب المساجد وأروقتها وقبابها في بغداد.

والأخ الشاعر وليد الأعظمي لم تزده الأحداث، ولا تعاقب الأيام إلا إصراراً على التمسك بالحق، والدعوة إلى الحق، والصبر على الأذى في سبيل الحق، واحتساب ذلك عند الله عز وجل.

وهو لم يتلون مع المتلونين، ولم يخضع للسلاطين، وظل شاهراً سيفه ينافح عن الإسلام ديناً، والمسلمين أمة، في أي صقع من أصقاع الأرض وجدوا، تؤرقه مشكلاتهم، ويتألم لمعاناتهم، ويستنهض الهمم لنجدتهم والوقوف إلى جانبهم.

والأستاذ وليد الأعظمي عاش ويعيش قضايا أمته الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي كلها وليس مختصاً بقطر دون قطر، فالعراق والعالم العربي كله، والعالم الإسلامي برمته، هو شغله الشاغل، فهو يتحدث عن فلسطين وكشمير وقبرص والفلبين والشيشان والجزائر وزنجبار وسائر الأقطار الإسلامية التي نابتها النوب، وأرخى الظلم بسدوله عليها، والاستعمار قمة الظلم والظلام، حيث حل ويحل، وشاعرنا الأعظمي كان له بالمرصاد، فلم يهادن ظالماً، مستعمراً جاء من وراء البحار، أو جاء بأمر من الاستعمار من أبناء الوطن، فكان يتصدى له شاعرنا أبوخالد، ويسوطه بسياط من القول حداد شداد، ويلقي عليه حمم شعره، وشواظ نظمه.

لم يكن وليد الأعظمي شاعر الدعوة في العراق وحده، بل كان بشعره يتخطى الحدود، ليكون على ألسنة أبناء الحركة الإسلامية الذين أحبوه وأحبوا شعره، وكان الوقود الذي يشعل جذوة الإيمان في القلوب، ليهب ذووها إلى ميادين العز والفخار، وهم ينشدون مرة ويهتفون بها مرات.

أهم مؤلفاته:

للأستاذ وليد الأعظمي دواوين كثيرة أهمها: ديوان الشعاع، ديوان الزوابع، ديوان أغاني المعركة، ديوان نفحات قلب، وقد جُمعت كلها في حياته في مجلد كبير، تحت عنوان (ديوان وليد الأعظمي).

وأما مؤلفاته النثرية، فهي: شاعر الإسلام حسان بن ثابت، المعجزات المحمدية، تراجم خطاطي بغداد المعاصرين، الرسول في قلوب أصحابه، مدرسة الإمام أبي حنيفة، تحقيق ديوان الأخرس، تحقيق ديوان العُشاري، الخمينية، السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني، جمهرة الخطاطين البغداديين، شعراء الرسول، تاريخ الأعظمية، تحقيق ديوان عبدالرحمن السويدي، أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران، حسان بن ثابت الأنصاري، عبدالله بن رواحة الأنصاري، كعب بن مالك الأنصاري، عباد بن بشر الأنصاري، قتادة بن النعمان الأنصاري، أبولبابة الأنصاري، سعد بن معاذ الأنصاري، أسيد بن حضير الأنصاري، أبوطلحة الأنصاري، حارثة بن النعمان الأنصاري، عقبة بن عامر الأنصاري، أبودجانة الأنصاري، ذكريات ومواقف، رجال من قبيلة العبيد وقد جمعت كلها في ثمانية مجلدات، تحت عنوان: الأعمال النثرية الكاملة.

وله مقالات كثيرة منشورة في الصحف والمجلات العربية، تنتظر طلاب الدراسات العليا، ليجمعوها، ويكتبوا عنها وعن صاحبها دراساتهم التي تؤهلهم لنيل الماجستير والدكتوراه.

مقتطفات من شعره:

إيه فلسطين

إيه فلسطين للتاريخ دورته ... وللحوادث إيراد وإصدار
نمنا زماناً، وكان الخصم منتبهاً ... من نام خاب ولم تسعفه أقدار
إنّا على موعد يا قدس فانتظري ... يأتيك عند طلوع الفجر جرار
جيش تدرّع بالإيمان يدفعه ... لنصرة الحق تأكيد وإصرار
آلى على نفسه ألا يبل صدى ... حتى تعود إلى أصحابها الدار
لا عذر للعرْب عند الله إن سكتوا ... وبات في القدس من صهيون ديّار

ذكر ونسيان

شريعة الله للإصلاح عنوانُ ... وكل شيء سوى الإسلام خسرانُ
لما تركنا الهدى حلت بنا محن ... وهاج للظلم والإفساد طوفان
تاريخنا من رسول الله مبدؤه ... وما عداه فلا عز ولا شان
محمد أنقذ الدنيا بدعوته ... ومن هداه لنا روح وريحان
لا خير في العيش إن كانت مواطننا ... نهباً بأيدي الأعادي أينما كانوا
لا خير في العيش إن كانت عقيدتنا ... أضحى يزاحمها كفر وعصيان
ها قد تداعى علينا الكفر أجمعه ... كما تداعى على الأغنام ذؤبان
والمسلمون جماعات مفرقة ... «في كل ناحية ملك وسلطان»
في كل أفق على الإسلام دائرة ... ينهدّ من هولها «رضوى» و«ثهلان»
حرب صليبية شعواء سافرة ... كالشمس ما عازها قصد وبرهان
كل الحوادث نالتنا مصائبها ... ولم يزل عندنا عزم وإيمان
قرآننا مشعل يهدي إلى سبل ... من حاد عن نهجها لا شك خسران
قد ارتضيناه حكماً لا نبدِّله ... ما دام ينبض فينا منه شريان

ربيع تموز

من الخليج إلى تطوان ثوار ... شعب يزمجر في أحشائه الثار
طافت به ذكريات المجد فالتهبت ... طاقاته باندلاع دونه النار
تحركت فيه روح العزم ثانية ... فهبّ لم يثنه بطش وأخطار
سامته خسفاً لصوص بات يدفعها ... للغدر والظلم جاسوس ودولار
آمنت بالله أن الحق منتصر ... والظلم منتحر والكفر منهار
والشعب إن مازج الإيمان همته ... فإنه لقوى الإفساد دحّار
آمنت بالله إيماناً عرفت به ... أن الزمان على الباغين دوَّار
لا ينكر الله إلا جاهل نزق ... غرّ بليد سفيه الرأي ختار

يا هذه الدنيا

يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي ... إنّا بغير محمد لا نقتدي
لا رأسمال الغرب ينفعنا ولا ... فوضى شيوعي أجير أبلد
وسطاً نعيش كما يريد إلهنا ... لا نستعير مبادئاً لا نجتدي
إسلامنا نور يضيء طريقنا ... إسلامنا نار على من يعتدي

قالوا عنه:

يقول الأستاذ الأديب عبدالله الطنطاوي:

«كانت فكرة جمع الأعمال الشعرية الكاملة للشعراء الإسلاميين تستهويني وتلح عليّ منذ ستينيات القرن الماضي، وقد بدأنا في حلب بجمع الأعمال الشعرية الكاملة لشاعر الدعوة في حلب الأستاذ محمد منلا غزيل، وطبعت في ديوان في سورية عام ١٩٧٨م ثم أعيد طبع الديوان في دار عمار في عمان عام ١٩٨٣م. وكنت وما زلت أحلم بجمع أشعار شعرائنا: جمال فوزي، وعبدالحكيم

عابدين، والباقوري، ومحيي الدين عطية، والأميري، وضياء الدين الصابوني، ومحمد الحسناوي، وعبدالله عيسى السلامة، ومحمد المجذوب، وسواهم من شعراء الدعوة في سائر الأقطار.

وزارنا الأستاذ الأعظمي في عمان، والتقينا في ديوان الشيخ المستشار عبدالله العقيل، وذلك بعد سقوط بغداد، وعرضنا عليه الفكرة، فتهلل وجهه لها، وطرب لهذا الاقتراح، وفوضنا في جمعه وترتيبه، وسارعت إلى جمع الأعمال الكاملة وتصحيحها، وتحتوي أربعة دواوين مطبوعة (الشعاع، والزوابع، وأغاني المعركة، ونفحات قلب)، وديواناً مخطوطاً (قصائد وبنود)، وآخر قصيدة نظمها وألقاها في الاحتفال الكبير بجامع الإمام الأعظم ببغداد، وهذا كل ما أخذنا من الشاعر وليد رحمه الله تعالى، نضدنا الديوان وصححناه، وتلافينا ما فيه من نقص وخلل، وأطلقنا عليه «ديوان وليد الأعظمي» الأعمال الشعرية الكاملة، واتفقنا على طبعة أولى مع صاحب دار القلم بدمشق.

وهاتفني الشيخ العقيل من الرياض وأخبرني أن شاعرنا أصيب بجلطة دماغية في بغداد، وألح على إيصال نسخة من الديوان المطبوع للشاعر قبل أن يحمّ القضاء.

وهاتفنا الطابع في بيروت، وطلبنا منه إرسال خمس نسخ بالبريد السريع وكان تجاوبه رائعاً فأرسل النسخ الخمس، وبادر الشيخ العقيل بإرسال نسختين إلى الشاعر مع رجلين صديقين كانا عائدين إلى مدينتهما بغداد.

وتلقى الشيخ العقيل رسالة من الشاعر الأعظمي يشكره فيها على جهوده المبرورة في إخراج الديوان بهذا الشكل الجميل ولم ينسنا من الدعاء والثناء على مقدمة العقيل للديوان، كان هذا قبل وفاة الشاعر بأسبوعين تقريباً، وحمدنا الله الذي أقرّ عيني شاعرنا الكبير، برؤية ديوانه مطبوعاً قبل وفاته.

ثم كانت الطبعة الثانية للديوان بعد شهرين (آذار ٢٠٠٤م) ثم جاءت الطبعة الثالثة بعد شهرين من الثانية، وكان مجموع نسخ الطبعات الثلاث، عشرة آلاف

ومئة نسخة، بادر الناس إلى اقتنائها في العراق، ولبنان، والأردن، والسعودية، والمغرب، والسودان، والكويت، والإمارات، وقطر وسواها من سائر الأقطار ثم صدرت الطبعة الرابعة بعد أشهر من صدور الطبعة الثالثة».

ويقول الأستاذ الدكتور جابر قميحة:

«وليد الأعظمي شاعر عراقي باعتبار المولد، ولكنه شاعر عربي إسلامي باعتبار العقيدة والمنهج والسلوك والواقع الذي يعيشه، وفي أدائه الفني فكراً ولغة ووجداناً، فهو كما وصفه بحق الدكتور يوسف القرضاوي:

«شاعر الشعب يشدو له حين يفرح، ويبكي حين يأسى، ويزأر من أجله حين يُظلم، ويصرخ صراخ الحارس اليقظ إذا أهدرت حقوقه، أو ديس في حماه، وشعبه هم المسلمون في كل مكان، عرباً كانوا أم عجماً، بيضاً كانوا أو سوداً، رجالاً كانوا أم نساء، وهو أيضاً شاعر الإسلام، وكل شاعر حقيقي للشعب، لابد أن يكون شاعراً للإسلام، فالإسلام هو دين الشعب ومنهجه الذي ارتضاه الله له، وارتضاه هو لنفسه بمقتضى عقد الإيمان».

وكأنما هو الناطق بقول الشاعر:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

فلا عجب أن يقف قلمه وشاعريته لقضايا المسلمين على حد سواء، والشواهد أكثر من أن تحصى في هذا المقام، وبهذه النظرة الرحيبة الشاملة يتصدى للأدعياء في الغرب الذين يزعمون أنهم حريصون بل يعملون على (تمتيع) شعوب العالم الثالث بالسلام والاستقرار.

إنه يحمل هموم الوطن العربي والإسلامي، فكل شبر من الأرض فيه مسلم موحد يعد وطناً لكل مسلم.

وشعر وليد الأعظمي ينهل من معين أصيل زاخر بالثقافات الإسلامية والعربية، والمعطيات التراثية عقيدة وفكراً وتاريخاً، ومن يقرأ سيرة الشاعر ويعش مسيرته الفنية الشعرية يكتشف بسهولة أن (مسيرة حياته) هي (مسيرة شعره) وأن شعره

مرآة جلية لواقع أمته ونبض عقيدته، ومشاعره الصادقة التي لا يشوبها زيف ولا كذب ولا رياء، فهو شخصية متناسقة الملامح والتوجهات والطوابع ، بمعنى أن أعماله المنظومة وأعماله المكتوبة عاشت انعكاساً أميناً صادقاً لنسيج شخصيته في أبعادها العقلية والنفسية والعقدية والخلقية، لأنه ينطلق من الإيمان العميق برسالته الأدبية، مرتكزاً على إيمان بالله ورسوله ومبادئ الإسلام وقواعده، وهذا الاتساق الإيماني يعني أنه لا تنافر بأية حال بين الجزئيات المكونة لعطائه الفكري والأدبي، بل تأخذ كل جزئية منها مكانها الطبيعي في هذا النسق الممتد، كما أنه لا تنافر بأية حال بين هذا التشكيل في هيئته الكلية وطبيعة شخصيته في سلوكياتها وتفاعلها وتوجهاتها.

وليد الأعظمي كما تنطق سيرة حياته ومسيرته الفنية كان واحداً من دعاة الإسلام الرساليين الذين منحهم الله من فضله وآلائه، موهبة الخط الآسر الأخاذ، وموهبة الشاعرية القوية الأصيلة، وموهبة البحث والكتابة والقول والإلقاء المبين».

ويقول الأستاذ د.بهجت الحديثي:

«كثير من شباب فلسطين المجاهدين يحفظون قصائد وليد الأعظمي، واتخذوا أبياته شعارات جهادية، وكتبوها على الجدران واللافتات، وكذلك في سورية واليمن والجزائر والمغرب وباكستان وإندونيسيا...».

وقال عنه الشيخ يونس إبراهيم السامرائي:

«هو الأديب الشاعر الأستاذ وليد بن عبدالكريم بن إبراهيم كاكا بن مهدي بن صالح بن صافي بن عزو العطار العبيدي الأعظمي، ولد في الأعظمية في محلة الشيوخ في أول ١٩٣٠م وله عشرة إخوة هو أكبرهم، ووالده مثقل بالعيال فاضطر للعمل في حرف ومهن متعددة، وكان يصدر نشرة جدارية باسم «المشكاة» وبدأ نظم الشعر في سن مبكرة، كما كان يحب الخط العربي ويحب حلقات الذكر ويحرص على حضورها، وانتسب إلى جمعية الآداب ثم جمعية الأخوة

الإسلامية، وساهم في تأسيس الحزب الإسلامي العراقي وهو عضو بجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين، وعضو جمعية الخطاطين العراقيين، وساهم في إنشاء عدد من المساجد وله آثار فنية في جامع الدهان وجامع الأزبك، ومكتبة الحاج حمدي الأعظمي وجامع الشهيدين، وجامع الصديق وجامع الوزير وجامع القبانجي وجامع الخويلص وجامع الصحابة».

ويقول الأستاذ شمس الدين درمش:

«نعم أيها الشاعر الأعظمي، للتاريخ دورته، وإنك إذ رحلت ودورة التاريخ مازالت علينا، ومازالت رحى التاريخ تطحننا طحناً أليماً، تدور بشدة على إخواننا في فلسطين في الأرض المباركة في القدس وأكنافها وهم صامدون صابرون عطشى، يأبون أن يرتووا من ماء النهر.. ها قد رحلت عنا بعد خمسين عاماً من قصائدك (الزوابع)، والزوابع تلفنا فتكاد تقتلع قلوبنا من صدورنا.. ها قد رحلت عنا وقد دخل أحفاد السبي البابلي إلى بغداد تحت رايات الصليب من كل حدب وصوب تداعت على قصعة المسلمين ينهشونها دون رحمة.. ها قد رحلت والمغاوير من أحفاد حيدرة يقاومون الغزاة في بغداد وليس في القدس فقط.. رحلت عنا بصمت مع رحيل العام الهجري ١٤٢٤هـ، فلك منا الدعاء ومن الله الرحمة والرضوان».

ويقول الدكتور عبدالرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي:

«يطيب لي أن أحيي الأستاذ الأخ وليد الأعظمي تحية تقدير وحب، ويعزّ علي أن تكون هذه التحية بمناسبة مغادرته المجمع العلمي العراقي الذي كان له ولي شرف التعاون وتبادل الرأي في كثير مما نشر المجمع من كتب علمية وأدبية خلال اشتغاله بالعمل المجمعي. أيها الإخوان: في الناس من يكبر بالوظيفة، وفي الناس من تكبر به الوظيفة، ولكن هناك أفذاذ تكبر وظائفهم ويتجاوزونها إلى وظائف وخدمات يقل أن يصلح لها موظف من الموظفين وإن كان كبيراً، والحاج وليد الأعظمي من هؤلاء الأفذاذ الذين تجاوزوا وظائفهم وإن كَبُرَت بهم، وفي

المثل «المعروف على قدر المعرفة»، وقد أتاح الله لي من المعرفة ما جعلني على بيِّنة من قيمة هذا الرجل في سمو مواهبه الأدبية.

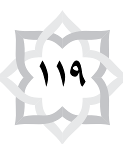
أصغي إلى رأيه وأنتفع به في مجالات مختلفة من مجالات اللغة وفهم النصوص العالية، ولن أكتم أن المجمع لن يستغني عن مثله، مهما سمت منزلة موظفيه وأعضائه العلميين والأدبيين، وأنه كان عوناً لي وعيناً لي على تلمس طريقي إلى تحرير بعض النصوص، إنه على جانب من فهم علوم العربية، لغتها ونحوها وعروضها وإملائها، وعلى جانب من فهم آي القرآن الكريم وحديث الرسول ﷺ».

وفاته:

وفي مساء يوم السبت الأول من محرم ١٤٢٥هـ ـ الموافق ٢٢ من فبراير سنة ٢٠٠٤م انطفأ سراج وليد الأعظمي الذي طالما أنار الدنيا من حوله عن عمر يناهز أربعة وسبعين عاماً، وذلك بعد صراع مع المرض استمر أكثر من شهر عقب إصابته بجلطة، وصُلي عليه بمسجد الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بالأعظمية.

طبت حياً وميتاً يا أبا خالد وتقبلك الله في الصالحين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





البطل الجسور الشهيد يوسف طلعت

(١٣٣٢ ـ ١٣٧٤هـ = ١٩١٤ ـ ١٩٥٤م)

مولده ونشأته:

هو الأخ الكريم، والمجاهد الصادق، والجندي الملتزم، والبطل الجسور، يوسف عز الدين محمد طلعت، من مواليد مدينة الإسماعيلية بمصر، في شهر أغسطس ١٩١٤م، وكانت بداية معرفتي به في القاهرة مع بعض إخواني الطلبة الذين حدَّثوني عن جهاده في فلسطين، وبطولاته التي أرعبت اليهود، وأقضَّت مضاجعهم، وجعلتهم كالفئران المذعورة أمام مجاهدي الإخوان المسلمين، وبخاصة أمثال يوسف طلعت، الذي تميَّز بالجرأة والحنكة والدهاء وهدوء الأعصاب والصبر وطول النَّفَس في مصاولة الأعداء.

لقد تعرَّف على الإمام الشهيد حسن البنا عام ١٩٣٦م، ومنذ ذلك الوقت ارتبطت حياته برسالة الإسلام الحق، التي يحمل لواءها الإخوان المسلمون، وكان الاهتمام في ذلك الوقت لدى الإخوان بقضية فلسطين، وجهاد الشعب

الفلسطيني، وضرورة مؤازرته، والوقوف إلى جانبه، بالدعم المالي وتزويده بالسلاح، وتدريب أفراده، والتعريف بقضيته لجماهير الشعب المصري من خلال الخطب والمحاضرات، والكتب والنشرات والمظاهرات، حتى إن جريدة الأهرام المصرية نشرت يوم ٣١ / ٧ / ١٩٣٨م تقول:

«ألَّف جماعة من الإخوان المسلمين في مدينة الإسماعيلية مظاهرة بدؤوها من الجامع العباسي إلى دار الإخوان إظهاراً لشعورهم وعطفهم نحو فلسطين، وقد اعتقل البوليس عدداً من المتظاهرين، وبعد أن انتهت نيابة الإسماعيلية من التحقيق معهم، قرَّرت القبض على حسن البنَّا ويوسف محمد طلعت وآخرين، وحبسهم أربعة أيام على ذمة التحقيق».

درس يوسف طلعت، وحصل على كفاءة التعليم الأولى، ثم عمل نجاراً، ثم عمل في تجارة المحاصيل الزراعية، حتى تفرَّغ للدعوة، حيث كان له نشاط كبير، مع رفيق الكفاح والجهاد الشيخ محمد فرغلي، فما كانت تحدث حادثة في أسوان أو الإسكندرية أو القاهرة ضد الإنجليز أو اليهود إلا ويُعتقل يوسف طلعت ومحمد فرغلي.

جاب المحافظات كلها، وأنشأ الكثير من الشُّعب، ووثَّق الروابط بين الناس، فكان في حركة دائمة، ونشاط مستمر لا يتوقف، مما أثار رجال المخابرات البريطانية الذين كانوا يحكمون البلاد بالفعل، وقد تتبعه رجال المخابرات ورصدوا تحركاته، ولكنه مع ذلك كان يخدعهم، ويُفلت من أيديهم، فقد تصادف مرة أنه كان يحمل كمية من البنادق للمجاهدين في فلسطين، اشتراها من تجار الأسلحة ووضعها في كيسين «جوالين» وسط التبن وحملهما على بعير، وتنكَّر في ثياب ريفية وسار في طريقه، فإذا بمجموعة من الشرطة العسكرية الإنجليزية تحيط به من كل جانب، فسألوه عن وجهته فأجابهم بأنه يقيم بالمنطقة ومعه تبن لماشيته، وصار يُربِّتُ على رقبة البعير، وهو رابط الجأش غير مكترث، فانصرف عنه رجال العدو، وعندها غيَّر يوسف طلعت وجهته ووصل بحمولته للمكان المطلوب.

مبدع موهوب:

وهو مُبْدع مُبْتكر، واسع الحيلة، يُحسن التصرُّف في الأزمات، ويسرع في علاج المشكلات، فقد حدث عام ١٩٤٨م في فلسطين نقصان في سلاح المجاهدين وذخيرتهم، فما كان منه ومن بعض إخوانه إلا التفكير في تصنيع السلاح والذخيرة، بالاستفادة من الأسلحة التي كانوا يغنمونها من العدو، وقد كان.

إن جهاد الأستاذ يوسف طلعت في فلسطين وبلاءه كان مضرب المثل وحديث العدو والصديق، وهو من أوائل من سارع مع فريق من إخوانه في الإسماعيلية للجهاد في فلسطين عام ١٩٤٨م، حيث خرجوا إلى معسكرات النصيرات يحملون زادهم وما معهم من سلاح، وبدؤوا في مهاجمة المعسكرات اليهودية، حتى إن اليهود كانوا يفضِّلون الانسحاب على أي معركة يكون الإخوان المسلمون طرفاً فيها.

وقد قاد يوسف طلعت معركة (دير البلح) التي استشهد فيها اثنا عشر من مجاهدي الإخوان المسلمين، وحين عُقدت الهدنة لتسليم الجُثث وحضرها قائد إنجليزي تفقَّد الجُثث، فوقف مذهولاً لأنه لاحظ أن جميع الإخوان مصابون في صدورهم، ودار نقاش عَلِمَ منه القائد الإنجليزي أن من صفات المؤمنين أن يُقبلوا في المعارك ولا يُوَلون الأدبار، فقال القائد الإنجليزي: «لو أن عندي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم الدنيا».

يقول الأستاذ كامل الشريف في كتابه القيِّم: (المقاومة السرية في قناة السويس): «إن من أقوى تشكيلاتنا السرية لمقاومة الإنجليز كانت في منطقة الإسماعيلية التي يرأسها داعية مُحنّك، عظيم الخبرة هو الشيخ محمد فرغلي، كما يساعده مغامر جسور هو يوسف طلعت، وعدد من الشباب المسلم الواعي، وقد سألني يوسف طلعت ظهر يوم ونحن على مائدة الغداء في منزل الشيخ محمد فرغلي: هل ترغب في زيارة أحد الجنرالات الإنجليز في منزله، وتناول الشاي على مائدته العامرة؟

فضحكتُ لهذه الدعابة، ولكنه أكَّد لي أنه لا يمزح ولا يقول إلا حقاً، الأمر الذي أدهشني غاية الدهشة، ولكنه فسَّر لي الموضوع قائلاً: إن لديه أخاً مخلصاً يعمل في المعسكرات البريطانية ولا يعرفه أحد حتى الإخوان أنفسهم، وأنه وصل إلى مكانة عظيمة في نفس الجنرال الإنجليزي، مما يساعده على التجوّل في المعسكرات بحرية تامة، وأنه يحمل معه شهادة تمكّنه من دخول منزل الجنرال وكبار الضباط في أي وقت يشاء.

وقال يوسف طلعت ـ غامزاً بعينه التي تفيض منها الشجاعة والدهاء ـ: ألا ترى أن جولتك تبدو ناقصة مبتورة إذا أنت لم تَقُمْ بنزهة طويلة مع صاحبنا؟

والحق أنني أبديتُ تخوفي من هذه المغامرة، ولكن العرض كان مغرياً إلى درجة تصعب مقاومته، فقمتُ من فوري وقلتُ في حزم: غداً، فقال يوسف طلعت: غداً صباحاً إن شاء الله تعالى.

إن يوسف طلعت جندي بالفطرة، ومحارب بالسليقة، وعصامي بمعنى الكلمة، كان ذا عقلية مُبتكرة خلاقة لا تعجز عن إيجاد حلٍّ لأيِّ قضية، أذكر حين كنا في فلسطين أننا غنمنا بعض قنابل المورتر من العدو، ولم نكن نملك المدفع اللازم لها في ذلك الوقت المبكر من الحرب، فوقفنا عاجزين، ولكن يوسف طلعت طلب منا أن نُمهله، فتركناه ونحن لا ندري ماذا ينوي، وبعد أيام قدَّم لنا أسطوانة فولاذية مُثبَّتة على حامل أرضي، ولم تكن لامعة دقيقة الصنع كالمدفع الأصلي، ولكننا استخدمناها في ضرب مراكز اليهود القريبة بقنابل المورتر وأحدثت أثرها الفعال.

ومرة وقفنا عاجزين أمام مشكلة مستعصية هي: كيف نستطيع أن نُلقي المفرقعات على استحكامات اليهود من مكان بعيد؟ فكان يوسف طلعت هو أول من فكَّر في صنع (راجمة ألغام) مبتكرة ساعدتنا كثيراً على قذف ألغامنا دون أن نتعرض للإصابات.

أما أبرز صفات يوسف طلعت فكانت بلا شك هي «الدعابة»، فهو مرح خفيف

الظل مهذب، لا تسمع منه كلمة نابية، ولا تفارقه روح المرح في أحرج المواقف وأشدها خطورة.

كان يوماً على رأس دورية قتال في فلسطين مهمتها القيام بأعمال القنص ضد الحرس اليهودي في إحدى المستعمرات القريبة، وقد أخذ يتسلل بجماعته في الصباح الباكر من حفرة إلى حفرة إلى شجرة، حتى أصبحوا في مكان قريب جداً من مباني المستعمرة، بحيث كانوا يرون مَنْ في داخل البيوت من اليهود.

وحينما نظر الإخوان إلى برج الحراسة وجدوا جندياً يهودياً وفتاة من المجندات في موقف عاطفي، وجاءت النكتة المرحة على لسان يوسف طلعت، ولم يستطع كتمانها في هذا الموقف الخطر، فهمس في أذن إخوانه: أتدرون لماذا يقف اليهودي واليهودية في هذا الموقف؟ فسكت الإخوان، واستمر وهو يقول: إنهم يعرفون جيداً أننا من الإخوان المسلمين وأننا موجودون هنا لنتجسس عليهم ونرصد مواقعهم، فأرادوا أن يمنعونا من النظر إلى مستعمراتهم، لأن اليهود يعلمون أن الله أمرنا أن نُشيح بأبصارنا عند رؤية المنكر كما جاء في قوله تعالى: ﴿**قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمِ**﴾ [النور: ٣٠]، ثم قال يوسف طلعت: نحن الآن أكثر من أربعة شهود، ونستطيع أن نقيم الحد عليهم، ثم أمر قناصته بإطلاق النار على رأس البرج، فوقع الفتى والفتاة على الأرض، وحينما كان الرصاص ينهمر على رأس يوسف طلعت وإخوانه كان لا يزال مستغرقاً في ضحكة عالية قبل أن يلوذ مع إخوانه ببطن الوادي...» انتهى.

أمام المحكمة:

إن هذه الروح المرحة لم تفارق الأستاذ يوسف طلعت حتى يوم كان ماثلاً أمام المحاكمة الهزلية، التي عقدتها الحكومة العسكرية له لتحكم عليه بالإعدام، فحين قال له جمال سالم ـ رئيس المحكمة ـ: هل تعرف تقرأ الفاتحة بالمقلوب؟ قال يوسف طلعت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأشار بيده إلى جمال سالم



يوسف طلعت في طريقه إلى التحقيق
مكبلة يداه وراء ظهره بقيد حديدي



يوسف طلعت بين الأوغاد وآثار التعذيب واضحة


يوسف طلعت مقيد داخل السجن

رئيس المحكمة عند قوله (الشيطان الرجيم)، ثم قرأ الفاتحة على الوجه الصحيح، فَكُبِتَ الرئيس.

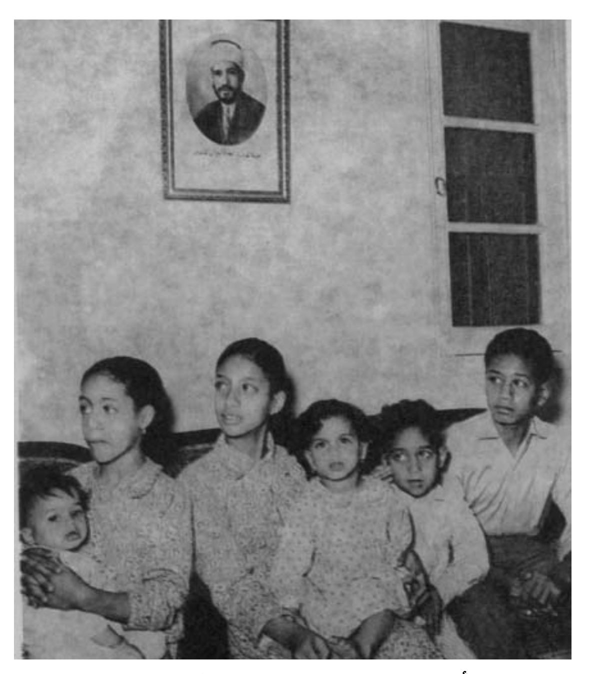
وحين سأله: إنت بتشتغل إيه؟ أجاب: نجار، فقال الرئيس: كيف تكون رئيس جهاز فيه أساتذة الجامعة وأنت نجار؟ فأجاب: لقد كان سيدنا نوح عليه السلام نجاراً وهو نبي، فكُبِتَ مرة أخرى وسكت، وحين سأله: لماذا لا تستطيع الوقوف؟ قال له يوسف: اسأل نفسك.

كان الأستاذ يوسف طلعت قد تعرَّض لتعذيب شديد القساوة والوحشية، حيث كسروا عموده الفقري وذراعه وجمجمته ولم يبق مكان في جسمه إلا وأصيب بكسر أو جرح أو رضّ، حتى إن الأستاذ المرشد حسن الهضيبي حين حاكمه جمال سالم تحدث الهضيبي عن التعذيب الذي أصاب الإخوان، ونفى جمال سالم، فردَّ عليه الأستاذ الهضيبي: اكشفوا على يوسف طلعت لتروا مقدار التعذيب الذي أصيب به هو وغيره من الإخوان في سجونكم.

يقول الكاتب اليساري أحمد حمروش في كتابه (قصة ثورة ٢٣ يوليو) الجزء الأول: (ص ١٨٧): «في مارس ١٩٥٢م - أي قبل قيام الحركة بأربعة أشهر - كانت منشورات الضباط الأحرار، تطبع بمعرفة خالد محيي الدين، الذي كلّفه عبد الناصر، بعدم استخدام عبارة (الاستعمار الإنجلو أمريكي) والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطاني، وذلك للتأييد الذي لمسه عبد الناصر من المسؤولين الأمريكيين في المنطقة، حيث وعدوه بالمعاونة باشتراط إبعاد الإخوان المسلمين والشيوعيين عن المشاركة في الانقلاب» انتهى.



الشهيد يوسف طلعت قبل تنفيذ حكم الإعدام بدقيقتين



أبناء الشهيد يوسف طلعت لحظة إعدامه

إن الحديث عن يوسف طلعت وشخصيته وبطولاته يحتاج إلى كتب وليس إلى مقالات، فهو نموذج فريد من البطولة، قلَّ أن يجود الزمان بمثله، ومن عرفه عن قرب يعرف عنه الكثير، مما يُشرِّف هذه الدعوة المباركة التي أسسها الإمام الشهيد حسن البنا، وتخرَّجت في مدرستها هذه النماذج الفذّة من الرجال الذين صدقوا مع الله في عهدهم وبيعهم أرواحهم لله وفي سبيل الله.

إن الذي قاد قافلة الإمدادات للجيش المحاصر في (الفالوجا)، والذي اخترق خطوط اليهود بكل جرأة وشجاعة هو يوسف طلعت وإخوانه، وكان جمال عبد الناصر وجماعته من المحاصرين في الفالوجا.

لقد اعتُقل يوسف طلعت وإخوانه عام ١٩٤٩م وهم في ميدان الجهاد في فلسطين، وأُقيم لهم معسكر اعتقال بإشراف الجيش المصري، ثم نُقلوا إلى معتقل الطور بمصر، وحين خرج من المعتقل لم يهدأ بل ظل يهاجم الإنجليز في المعسكرات بقناة السويس مع أخيه القائد الشيخ الشهيد محمد فرغلي والإخوان المجاهدين، حتى إن الإنجليز وضعوا جائزة قيِّمة لمن يعثر عليه أو على أخيه الشيخ فرغلي حياً أو ميتاً، فما كان منه إلا أن خرج أمامهم متنكراً في هيئة شيخ كبير السن يحمل طفلاً رضيعاً، فلم يتعرضوا له لما يتمتع به من هدوء الأعصاب، والقدرة على تجاوز الصعاب دون أدنى خوف أو وجل.

تأزَّم الموقف بين الإخوان والحكومة العسكرية في يناير، وتتابعت الأزمات، واشتدت في أكتوبر عام ١٩٥٤م بعد افتعال حادث المنشية الذي دبَّره عبد الناصر بتخطيط المخابرات الأمريكية واقتراحها للتخلص من الإخوان، كما ذكر ذلك حسن التهامي في مذكراته، وهو من أعوان عبد الناصر ومسؤولي المخابرات عنده، وسمع يوسف طلعت بالحادث من إخوانه فقال على الفور: «عملها عبد الناصر»، لأنه لو كان للإخوان صلة بالحادث، لكان يوسف طلعت أوَّل من يعرف به، باعتباره رئيس النظام الخاص في الجماعة.

قال اللواء محمد نجيب في حديث له في مجلة (اقرأ) السعودية:

«هناك في مكتبي قرأت الصحف الصادرة في الصباح، فإذا بها تذخر بأخبار مختلقة تماماً عن ثبوت اتصالي بمؤامرة الإخوان المسلمين على حياة جمال عبد الناصر، هنا أقطع سياق كلامي لأعلن لأول مرة في التاريخ، سرّاً من أدقّ ما يمكن من أسرار ثورة ٢٣ يوليو، وهو أن مؤامرة إطلاق الرصاص على عبد الناصر في الإسكندرية، كانت مؤامرة وهمية من أولها لآخرها، وكانت مرتّبة بواسطة رجل من أجهزة المباحث العامة بمصر، كوفئ على ذلك ـ فيما بعد ـ بمنصب كبير، واستؤجر في هذه المؤامرة شاب مصاب بجنون العظمة، وأغري بأنه لو اعترف بأنه حاول قتل جمال عبد الناصر فسينال مكافأة مالية ضخمة، ويسمح له بالهجرة إلى البرازيل. وقد كانت المكافأة الوحيدة التي تلقّاها، هي إعدامه بدلاً من تهريبه، كما وعدوه، حتى يموت، ويموت السرّ معه».

وابتدأت موجة الاعتقالات للإخوان بالألوف، وزُجَّ بالكبار والصغار والنساء والأطفال، وكان حرص أجهزة عبد الناصر القبض على يوسف طلعت، الذي يحرص على الذهاب للمساجد للصلوات حتى صلاة الجمعة دون اكتراث، وحين أُلقي القبض عليه ناله من التعذيب من زبانية عبد الناصر، ما لا يصبر عليه إلا أصحاب العزائم من الرجال المؤمنين الذين كانت تتقطع السياط على جلودهم، وتُكسَّر عظامهم، وتُشجّ رؤوسهم، وتُحرَّق أجسادهم، وتُنفخ بطونهم، ومنهم من يسقط من الإعياء، ومنهم من يلقى الله شهيداً تحت سياط التعذيب، وكان من هؤلاء يوسف طلعت، الذي كان قمّة في الصبر على البلاء.

يوم حزين:

وفي يوم حزين من أيام ديسمبر ١٩٥٤م دخلت مدينة الإسماعيلية مصفحتان تحملان جثماني الشهيدين: محمد فرغلي، ويوسف طلعت، بعد تنفيذ الإعدام فيهما شنقاً، وقد منعت أجهزة السلطة العسكرية الناس من السير في جنازتيهما،

فأقفلتْ مدينة الإسماعيلية أبوابها ونوافذها، وخيّم عليها الحزن، ووضعت نقطة حراسة ثابتة لمدة ستة أشهر لمنع الاقتراب من قبريهما.

وهكذا قطف اليهود والإنجلو أمريكان ثمرة مساعداتهم التي قدّموها لصنيعتهم عبد الناصر بحصد رؤوس الدعاة إلى الله، والمجاهدين في سبيله من أبطال فلسطين والقنال، ولكن هل نفع ذلك؟ لقد أخزى الله جمال عبد الناصر وأعوانه في الدنيا، وسيلقى من الله ما يستحق في الآخرة.

أما ركبُ الدعوة الإسلامية في أرض الكنانة والعالم العربي والإسلامي فهو في صعود والحمد لله، والدعوة باقية والأفراد زائلون، وكلما مات سيِّد قام سيِّد **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُه﴾** [الحج: ٤٠].

نسأل الله أن يتقبل الشهيد البطل الجسور يوسف طلعت، وأن يدخله فسيح جنته مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

وبهذه الحلقة ينتهي الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث قريباً بإذن الله تعالى.

فهرس الأعلام

ـ ب ـ

- ح -

- خ -

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

- ن -

- هـ -

ـ و ـ

ـ ي ـ

المـراجـع

أولاً: الكتب:

١ ـ أبو زهرة ـ أبو بكر عبد الرازق.
٢ ـ ١٢ عاماً مع الأستاذ البنّا ـ عبد البديع صقر.
٣ ـ اختاروا إحدى السبيلين ـ محمد ناصر.
٤ ـ أخلاقنا الاجتماعية ـ د. مصطفى السباعي.
٥ ـ الإخوان المسلمون.. رؤية من الداخل ـ محمود عبد الحليم.
٦ ـ الإخوان المسلمون في حرب فلسطين ـ كامل الشريف.
٧ ـ الإخوان المسلمون في ريف مصر ـ أحمد البس.
٨ ـ الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ـ زكريا سليمان بيومي.
٩ ـ الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ـ محمد زكي شوقي.
١٠ ـ أرغمت فاروق على التنازل عن العرش ـ عبد المنعم عبد الرؤوف.
١١ ـ أريد أن أتحدث إلى الإخوان ـ أبو الحسن الندوي.
١٢ ـ أسرار حركة الضباط الأحرار والإخوان المسلمين ـ حسين حمودة.
١٣ ـ الإسلام الممتحن ـ محمد الحسني.
١٤ ـ الإسلام بين العلماء والحكام ـ عبد العزيز البدري.
١٥ ـ إصلاح المجتمع ـ محمد سالم البيحاني.
١٦ ـ أصول الدعوة ـ د. عبد الكريم زيدان.
١٧ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلي.
١٨ ـ الأفعى اليهودية ـ عبد الله التل.
١٩ ـ ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني ـ زهير المارديني.
٢٠ ـ إمارة الزبير ـ الصانع والعمر.

٢١ ـ الإمام أمجد الزهاوي ـ كاظم أحمد المشايخي.
٢٢ ـ أناشيد الدعوة الإسلامية ـ أحمد الجدع، وحسني جرار.
٢٣ ـ أوراق تاريخية ـ زهمول.
٢٤ ـ أيام من حياة الشهيد عبده المخلافي ـ عبد الملك الشيباني.
٢٥ ـ أيام من حياتي ـ زينب الغزالي.
٢٦ ـ باشوات وسوبر باشوات ـ حسين مؤنس.
٢٧ ـ بقايا ذكريات ـ أحمد حسن الباقوري.
٢٨ ـ البوابة السوداء ـ أحمد رائف.
٢٩ ـ تاريخ الحركة الإسلامية في ساحة التعليم ـ السيد عبد الستار المليجي.
٣٠ ـ تاريخ بلا وثائق ـ إبراهيم عبده.
٣١ ـ تتمة الأعلام ـ محمد خير يوسف.
٣٢ ـ تذكرة الدعاة ـ البهي الخولي.
٣٣ ـ التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ـ د. يوسف القرضاوي.
٣٤ ـ التشريع الجنائي في الإسلام ـ عبد القادر عودة.
٣٥ ـ التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد ـ محسن صالح.
٣٦ ـ ثمانون عاماً بحثاً عن مخرج ـ صلاح حسن.
٣٧ ـ ثورة يوليو الأمريكية ـ محمد جلال كشك.
٣٨ ـ جمال عبد الناصر ـ أحمد أبو الفتح.
٣٩ ـ الحاج محمد أمين الحسيني ـ تيسير جبارة.
٤٠ ـ الحاج محمد أمين الحسيني.. رائد جهاد وبطل قضية ـ حسني أدهم جرار.
٤١ ـ الحرب النفسية ـ صلاح نصر.
٤٢ ـ الحركة الإسلامية وقضية فلسطين ـ زياد أبو غنيمة.
٤٣ ـ حقيقة التنظيم الخاص ـ محمود الصباغ.
٤٤ ـ حقيقة الخلاف بين الإخوان وعبد الناصر ـ محمد حامد أبو النصر.
٤٥ ـ حكايات عن الإخوان ـ عباس السيسي.
٤٦ ـ حكم الإسلام في الاشتراكية ـ عبد العزيز البدري.
٤٧ ـ الحكومة الخفيّة في عهد عبد الناصر ـ جمال حماد.

٤٨ ـ الحلال والحرام في الإسلام ـ د. يوسف القرضاوي.
٤٩ ـ حماس: الجذور التاريخية والميثاق ـ عبد الله عزّام.
٥٠ ـ الخطايا العشر ـ إبراهيم دسوقي أباظة.
٥١ ـ ٢٥ عاماً في جماعة الإخوان ـ حسن دوح.
٥٢ ـ دروس في دعوة الإخوان المسلمين ـ مصطفى السباعي.
٥٣ ـ دستور الوحدة الثقافية للمسلمين ـ محمد الغزالي.
٥٤ ـ دعائم الحق ـ محمد الشيخ محمود صيام.
٥٥ ـ دعوة الإخوان حب ـ عباس السيسي.
٥٦ ـ الدور القيادي للملك فيصل ـ الحجيلان.
٥٧ ـ ديوان الرصافي ـ معروف الرصافي.
٥٨ ـ ديوان القرضاوي ـ د. يوسف القرضاوي.
٥٩ ـ ذكرياتي ـ محمد عبد الحميد أحمد.
٦٠ ـ ذكريات الطنطاوي ـ علي الطنطاوي.
٦١ ـ ذكريات لا مذكرات ـ عمر التلمساني.
٦٢ ـ ذيل الأعلام ـ أحمد العلاونة.
٦٣ ـ رسائل الأعلام ـ أبو الحسن الندوي.
٦٤ ـ رسالتي إلى الشباب ـ د. أحمد الملط.
٦٥ ـ رجال ونساء أسلموا ـ عرفات العشي.
٦٦ ـ رحلتي مع الجماعة الصامدة ـ أحمد أبو شادي.
٦٧ ـ روح وريحان ـ أحمد أنس الحجاجي.
٦٨ ـ رياح التغيير في اليمن ـ محمد أحمد الشامي.
٦٩ ـ سراديب الشيطان ـ أحمد رائف.
٧٠ ـ السُّنّة ومكانتها في التشريع ـ د. مصطفى السباعي.
٧١ ـ سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ـ صلاح الخالدي.
٧٢ ـ سيد قطب وتراثه الفكري والأدبي ـ إبراهيم البليهي.
٧٣ ـ الشاعر عبد الرحيم محمود ـ جابر قميحة.
٧٤ ـ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ـ خير الدين الزركلي.

٧٥ ـ شخصيات وكتب ـ أبو الحسن الندوي.
٧٦ ـ شعراء الدعوة الإسلامية ـ أحمد الجدع، وحسني جرار.
٧٧ ـ شهداء على الطريق ـ حسن دوح.
٧٨ ـ شهداء فلسطين ـ محمد أبو فارس.
٧٩ ـ شهور في ديار العرب ـ مسعود عالم الندوي.
٨٠ ـ الشهيد عبد الله عزّام ـ حسني أدهم جرار.
٨١ ـ الشيخ الغزالي كما عرفته ـ د. يوسف القرضاوي.
٨٢ ـ الشيخ محمد الغزالي ـ عبد الحليم عويس.
٨٣ ـ الشيوعية وليدة الصهيونية ـ أحمد عبد الغفور عطار.
٨٤ ـ الصامتون يتكلمون ـ سامي جوهر.
٨٥ ـ صرخة مؤمنة إلى الشباب والشابات ـ محمد محمود الصوّاف.
٨٦ ـ صفحات من التاريخ ـ صلاح شادي.
٨٧ ـ صفحات من حياة الحاج محمد أمين الحسيني ـ عوني جدوع العبيدي.
٨٨ ـ تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري ـ يونس السامرائي.
٨٩ ـ الظاهرة القرآنية ـ مالك بن نبي.
٩٠ ـ ظلام السجن ـ محمد علي الطاهر.
٩١ ـ عبد الله عزّام.. الذي ترجم الأقوال إلى أفعال ـ محمد عبد الله العامر.
٩٢ ـ عبد الناصر وحادث المنشية ـ عباس السيسي.
٩٣ ـ علاقة عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية ـ محمد جلال كشك.
٩٤ ـ العلامة أمجد الزهاوي ـ محمد محمود الصوّاف.
٩٥ ـ علماء الكويت وأعلامها ـ عدنان سالم الرومي.
٩٦ ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون ـ عبد الله البسّام.
٩٧ ـ علماء ومفكرون عرفتهم ـ محمد المجذوب.
٩٨ ـ عمر التلمساني.. المرشد الثالث للإخوان المسلمين ـ محمد سيد عبد الرحيم.
٩٩ ـ فتاوى معاصرة ـ د. يوسف القرضاوي.
١٠٠ ـ في قافلة الإخوان المسلمين ـ عباس السيسي.
١٠١ ـ قصة ثورة ٢٣ يوليو ـ أحمد حمروش.

١٠٢ ـ قصص الدين والدنيا ـ محمد لبيب البوهي.
١٠٣ ـ قضية السيارة الجيب ـ أسعد السيد أحمد.
١٠٤ ـ كبرى الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري ـ محمد السيد الوكيل.
١٠٥ ـ كلمتي للمغفلين ـ محمد جلال كشك.
١٠٦ ـ كيف ندعو الناس؟ ـ عبد البديع صقر.
١٠٧ ـ لعبة الأمم وعبد الناصر ـ محمد الطويل.
١٠٨ ـ لمحات من حياتي ـ نجيب الكيلاني.
١٠٩ ـ المبشرات بانتصار الإسلام ـ د. يوسف القرضاوي.
١١٠ ـ مجموعة الرسائل ـ حسن البنا.
١١١ ـ محمد نصيف.. حياته وآثاره ـ محمد سيد أحمد، وعبده العلوي.
١١٢ ـ المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين ـ سعيد حوى.
١١٣ ـ مذابح الإخوان المسلمين في سجون عبد الناصر ـ جابر رزق.
١١٤ ـ مذبحة الأبرياء ـ وجيه أبو ذكرى.
١١٥ ـ مذكرات الدعوة والداعية ـ حسن البنا.
١١٦ ـ مذكرات سائح في الشرق العربي ـ أبو الحسن الندوي.
١١٧ ـ مذكرات المقبلي ـ حسين محمد المقبلي.
١١٨ ـ مربون من بلدي ـ محمد عبد المحسن الخرافي.
١١٩ ـ مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ـ حسن البنا.
١٢٠ ـ مصطفى السباعي بأقلام محبيه ـ محمد مصطفى السباعي.
١٢١ ـ مصطفى السباعي ـ عدنان زرزور.
١٢٢ ـ مصطفى السباعي قائد جيل ورائد أمة ـ حسني أدهم جرار.
١٢٣ ـ المصلح المجدد محمد بن عبد الوهاب ـ مسعود عالم الندوي.
١٢٤ ـ معتقل هايكتسب ـ محمد علي الطاهر.
١٢٥ ـ معجم الأدباء الإسلاميين ـ أحمد الجدع.
١٢٦ ـ معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة.
١٢٧ ـ مع الحركة الإسلامية في الدول العربية ـ عبد الله أبو عزة.
١٢٨ ـ مع القاضي الزبيري ـ عمر بهاء الأميري.

١٢٩ ـ مع الناشئة ـ صالح الدباغ.
١٣٠ ـ المقاومة السرية في قناة السويس ـ كامل الشريف.
١٣١ ـ من أعلامنا ـ عبد العزيز العسكر.
١٣٢ ـ من سجل ذكرياتي ـ محمد محمود الصوّاف.
١٣٣ ـ منهج التغيير عند الشهيدين: حسن البنا وسيد قطب ـ محمد أبو فارس.
١٣٤ ـ المنهج الفكري للعمل الإسلامي ـ صفوت منصور.
١٣٥ ـ مهمتي السرية بين عبد الناصر وأمريكا ـ علوي حافظ.
١٣٦ ـ مصطفى السباعي الداعية الرائد والعالم المجاهد ـ عبد الله محمود الطنطاوي.
١٣٧ ـ المؤامرة على الإسلام مستمرة ـ جابر رزق.
١٣٨ ـ موسوعة الزاد ـ شركة الزاد.
١٣٩ ـ موقف التيار الإسلامي في مصر من القضية الفلسطينية ـ صالح المسلوت.
١٤٠ ـ النار والدمار في فلسطين.
١٤١ ـ الناصرية في قفص الاتهام ـ عبد المتعال الجبري.
١٤٢ ـ نجاوى محمدية ـ عمر بهاء الدين الأميري.
١٤٣ ـ النقط فوق الحروف ـ أحمد عادل كمال.
١٤٤ ـ النهضة الإسلامية في سير أعلامها ـ محمد رجب البيومي.
١٤٥ ـ هذه تجربتي ـ سعيد حوى.
١٤٦ ـ هل نحن قومٌ عمليون؟ ـ حسن البنا.
١٤٧ ـ وحي القلم ـ مصطفى صادق الرافعي.
١٤٨ ـ وراء الأسوار ـ جلال الدين الحمامصي.
١٤٩ ـ وسائل الإعلام المطبوعة في دعوة الإخوان المسلمين ـ محمد فتحي شعير.
١٥٠ ـ وسائل التربية عند الإخوان المسلمين ـ علي عبد الحليم.
١٥١ ـ وصايا أساطين الدين ـ عبد الله المزروع .
١٥٢ ـ وفقيد آخر ـ حيدر قفة.
١٥٣ ـ يا حكام المسلمين ألا تخافون الله؟ ـ عمر التلمساني.
١٥٤ ـ اليمن.. الإنسان والحضارة ـ عبد الله الشماحي.

ثانياً: المجلات:

١ ـ مجلة «الأدب الإسلامي» السعودية.
٢ ـ مجلة «الأديب» اللبنانية.
٣ ـ مجلة «الإخوان المسلمون» المصرية.
٤ ـ مجلة «الأخوَّة الإسلامية» العراقية.
٥ ـ مجلة «الإرشاد» الكويتية.
٦ ـ مجلة «الإرشاد» اليمنية.
٧ ـ مجلة «الأزهر» المصرية.
٨ ـ مجلة «الإصلاح» الإماراتية.
٩ ـ مجلة «الاعتصام» المصرية.
١٠ ـ مجلة «الأمان» اللبنانية.
١١ ـ مجلة «الأمة» القطرية.
١٢ ـ مجلة «باري ماتش» الفرنسية.
١٣ ـ مجلة «البعث الإسلامي» الهندية.
١٤ ـ مجلة «البلاغ» الكويتية.
١٥ ـ مجلة «التربية الإسلامية» العراقية.
١٦ ـ مجلة «التضامن الإسلامي» السعودية.
١٧ ـ مجلة «الحرس الوطني» السعودية.
١٨ ـ مجلة «حضارة الإسلام» السورية.
١٩ ـ مجلة «الحوادث» اللبنانية.
٢٠ ـ مجلة «الدستور» الأردنية.
٢١ ـ مجلة «الدعوة» السعودية.
٢٢ ـ مجلة «الدعوة» اللندنية.
٢٣ ـ مجلة «الدعوة» المصرية.
٢٤ ـ مجلة «رابطة العالم الإسلامي» السعودية.
٢٥ ـ مجلة «الرسالة» المصرية.
٢٦ ـ مجلة «روز اليوسف» المصرية.
٢٧ ـ مجلة «الشهاب» اللبنانية.
٢٨ ـ مجلة «الشهاب» المصرية.
٢٩ ـ مجلة «الزهراء» المصرية.
٣٠ ـ مجلة «الضياء» الهندية.
٣١ ـ مجلة «العربي» الكويتية.
٣٢ ـ مجلة «الفتح» المصرية.
٣٣ ـ مجلة «الفكر الجديد» المصرية.
٣٤ ـ مجلة «فلسطين المسلمة» اللندنية.
٣٥ ـ مجلة «الفيصل» السعودية.
٣٦ ـ مجلة «الكشكول الجديد» المصرية.
٣٧ ـ مجلة «كلمة الحق» السعودية.
٣٨ ـ مجلة «لسان الدين» المغربية.
٣٩ ـ مجلة «لواء الإسلام» المصرية.
٤٠ ـ مجلة «المباحث القضائية» المصرية.
٤١ ـ مجلة «المجتمع» الكويتية.
٤٢ ـ مجلة «المسلم المعاصر» اللبنانية.
٤٣ ـ مجلة «المسلمون» سويسرا.
٤٤ ـ مجلة «المنار» المصرية.
٤٥ ـ مجلة «المنهل» السعودية.
٤٦ ـ مجلة «النذير» المصرية.
٤٧ ـ مجلة «النور» الكويتية.
٤٨ ـ مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية.
٤٩ ـ مجلة «اليمامة» السعودية.

ثالثاً: الصحف

١ ـ جريدة «البصائر» الجزائرية.
٢ ـ جريدة «الحياة» اللندنية.
٣ ـ جريدة «الإخوان المسلمون» المصرية.
٤ ـ جريدة «الأهرام» المصرية.
٥ ـ جريدة «الرياض» السعودية.
٦ ـ جريدة «السبيل» الأردنية.
٧ ـ جريدة «السجل» العراقية.
٨ ـ جريدة «الشعب» المصرية.
٩ ـ جريدة «عكاظ» السعودية.
١٠ ـ جريدة «العلم» المغربية.
١١ ـ جريدة «الفيحاء» العراقية.
١٢ ـ جريدة «القبس» الكويتية.
١٣ ـ جريدة «الكفاح الإسلامي» الأردنية.
١٤ ـ جريدة «اللواء» الأردنية.
١٥ ـ جريدة «لواء الأخوَّة» العراقية.
١٦ ـ جريدة «المدينة» السعودية.
١٧ ـ جريدة «المسلمون» السعودية.
١٨ ـ جريدة «الندوة» السعودية.
١٩ ـ جريدة «الميثاق» السودانية.
٢٠ ـ جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية.
٢١ ـ جريدة «المنار» السورية.
٢٢ ـ جريدة «الدستور» الأردنية.
٢٣ ـ جريدة «الرأي» الأردنية.
٢٤ ـ جريدة «آفاق عربية» المصرية.
٢٥ ـ جريدة «رسالة الإخوان» اللندنية.
٢٦ ـ جريدة «الصحوة» اليمنية.

الفهرس